

مفتاح السعيا  
في شرح نهج البغلا

لمؤلفه  
محمد تقي النقوي القايي



[www.haydarya.com](http://www.haydarya.com)



# مفتاح السعادة في شرح نهج البلاغة

المجلد العاشر

لِمُؤَلِّفِهِ سَيِّدِ مُحَمَّدِ تَقِيِّ النُّقُويِّ

قائمه  
انتشارات قائن



نقوی قاضی، محمد تقی، ۱۳۰۸ -  
مفتاح السعادة فی شرح نهج البلاغه [علی بن ابی طالب علیه السلام] تألیف محمد تقی نقوی  
القائمی۔۔ تهرآن: قائن، ۱۳۸۳.

ج ۱۰۰

ISBN - SET : 964 - 94687 - 5 - 7: (دوره).

ISBN : 964 - 8981 - 00 - 0: (ج ۱۰).

فهرست نویسی بر اساس اطلاعات فیما.

عربی.

کتابنامه.

۱. علی بن ابی طالب علیه السلام، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ ق. - نهج البلاغه - نقد  
و تفسیر. ۲. علی بن ابی طالب علیه السلام، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ ق. - کلمات قصار.  
۳. علی بن ابی طالب علیه السلام، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ ق. - خطبه‌ها، الف. علی بن  
ابی طالب علیه السلام، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ ق. - نهج البلاغه. شرح. ب. عنوان. ج. عنوان:  
نهج البلاغه. شرح.

۲۹۷/۹۵۱۵

BP۳۸/۰۲/۷۷

۱۳۸۳

م۸۳-۳۴۵۷۱

کتابخانه ملی ایران

## مفتاح السعادة فی شرح نهج البلاغه - المجلد العاشر

المؤلف: محمد تقی نقوی قاضی

الکمية: ۱۰۰۰

الطبعة: الاولى

تاریخ الطبع: ۱۳۸۴ ش - ۱۴۲۶ ق.

تنسيق الصفحات: نشرقائن - ۸ - ۴۴۴۴۶۵۲۷

لیتوغرافی: نوین

المطبعة: زنبق

انتشارات: قائن

تهران: شارع جنت آباد، هاتف: ۴۴۴۴۶۵۲۷-۸

جميع الحقوق محفوظة للنشر

با مشارکت و حمایت معاونت امور فرهنگی وزارت فرهنگ و ارشاد اسلامی

شابک: ۹۶۴ - ۸۹۸۱ - ۰۰ - ۰ ISBN : 964 - 8981 - 00 - 0

شابک دوره: ۹۶۴ - ۹۴۶۸۷ - ۵ - ۷ ISBN-SET : 964 - 94687 - 5 - 7

## ومن كلام له (١٣١) عليه السلام

□ قوله عليه السلام: أَيَّتْهَا النَّفُوسُ الْمُخْتَلِفَةُ وَالْقُلُوبُ الْمَشْتَتَةُ الشَّاهِدَةُ أَبْدَانُهُمْ وَالْغَائِبَةُ عَنْهُمْ عُقُولُهُمْ، أَظْأَرُكُمْ عَلَى الْحَقِّ وَأَنْتُمْ تَنْفِرُونَ عَنْهُ نُفُورَ الْمِعْزَى مِنْ وَعْوَعَةِ الْأَسَدِ! هَيْهَاتَ أَنْ أُطَّلَعَ بِكُمْ سَرَارَ الْعَدْلِ أَوْ أُقِيمَ اعْوِجَاجَ الْحَقِّ اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ الَّذِي كَانَ مِنَّا مُنَافَسَةً فِي سُلْطَانٍ وَلَا تِمَاسَ شَيْءٍ مِنْ فُضُولِ الْحُطَامِ وَلَكِنْ لِنَرْدِ الْمَعَالِمِ مِنْ دِينِكَ وَنُظْهِرَ الْإِصْلَاحَ فِي بِلَادِكَ، فَيَأْمَنَ الْمُظْلَمُونَ مِنْ عِبَادِكَ وَتُقَامَ الْمُعْطَلَةُ مِنْ حُدُودِكَ اللَّهُمَّ إِنِّي أَوَّلُ مَنْ أَنْابَ وَسَمِعَ وَأَجَابَ لَمْ يَسْبِقْنِي إِلَّا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالصَّلَاةِ.

وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الْوَالِي عَلَى الْفُرُوجِ وَالْدَّمَاءِ وَالْمَغَانِمِ وَالْأَحْكَامِ وَإِمَامَةَ الْمُسْلِمِينَ الْبَخِيلُ فَتَكُونَ فِي أَمْوَالِهِمْ نَهْمَتُهُ وَلَا الْجَاهِلُ فَيُضِلُّهُمْ بِجَهْلِهِ وَلَا الْجَافِي فَيَقْطَعُهُمْ بِجَفَائِهِ وَلَا الْحَائِفُ لِلدُّوْلِ فَيَسْخِذَ قَوْمًا دُونَ قَوْمٍ وَلَا الْمُرْتَشِي فِي الْحُكْمِ فَيَذْهَبَ بِالْحُقُوقِ وَيَقِفَ بِهَا دُونَ الْمَقَاطِعِ وَلَا الْمُعْطَلُ لِلسُّنَّةِ فَيُهْلِكَ الْأُمَّةَ.

◁ اللغة

(أَطَارَكُمْ) أي أعطفكم (المعزى) المعز من الغنم خلاف الضان وهو إسم جنس وكذلك المعزى (سرار) بفتح السين وكسرهما في الأصل آخر ليلة من الشهر والمراد هنا الظلمة (نهمته) التهمة بفتح النون وسكون الهاء إفراط الشهوة والمبالغة في الجرص (الحائف) بالحاء المهملة من الحيف أي الجور

والظلم (الدول) بضم الدال وفتح الواو وجمع دولة بالضم وهي المال  
(المقاطع) الحدود المعينة.

### ◀ المعنى

(آيتها النفوس المختلفة) بحسب الآراء والعقائد (والقلوب المتشعبة)  
المتفرقة بحسب الإدراكات) (الشاهدة ابدانهم) بالحضور الحسي (والغائبة  
عنهم عقولهم) بالشهود العيني الواقعي (أطأركم) وأعطفكم (على الحق وأنتم  
تنفرون عنه) اي عن الحق (نفور المعزى من وعوة الأسد) اي كما ان المعزى  
ينفر عن الأسد خوفاً من ان ياكله فكذلك انتم مني (هيهات ان اطلع)  
واظهر (بكم سرار العدل) وخفيايه لعدم استعدادكم وقابليتكم (او اقيم)  
فيكم (إعوجاج الحق) ليستقيم (اللهم انك قد تعلم انه لم يكن الذي كان منّا) في  
امر الخلافة (منايسة) ومنازعة (في سلطان ولا إتماس شيء من فضول  
الحطام) الدنيوية من الماكول والمشروب وغيرهما (ولكن) الذي كان منا (لترد  
المعالم من دينك) الى محالها (ونظير الإصلاح في بلادك) بالأمر بالمعروف  
والنهي عن المنكر (فيا من المظلومون من عبادك) من شرار الناس وارذالهم  
(وتقام المعطلة من حدودك) المقررة في دينك بإجرائها على ما تحب  
وترضى (اللهم اني اول من اناب) اليك بالتضرع (وسمع) الحق (واجاب) له (لم  
يسيقني) في الإيمان بك (الآرسل الله بالصلوة) فصليت بعده (وقد علمتم انه  
لا ينبغي ان يكون الوالي) الحاكم (على الفروج والدماء والمغانم والأحكام  
وإمامة المسلمين البخيل) فان البخيل لبخله لا يصلح لأجراء هذه الأمور كما  
ستعلم (فتكون في اموالهم) اي اموال الناس (نهمته) وشهوته (ولا الجاهل) اي  
ولا يصلح للولاية الجاهل بالأحكام (فيضلهم) اي فيضل الناس بجهله (ولا  
الجافي) اعني الظالم (فيقطعهم) اي الناس بجفائه وظلمه (ولا الحائف  
للدول) اي الأكل لأموال الناس (فيتخذ قوماً دون قوم) ليثسيد حكومته و  
دولته (ولا المرتشى في الحكم) اعني من ياخذ الرشوة عليه (فيذهب بالحقوق)

لأجل الإرتشاء (ويقف بها) اي بالحقوق دون المقاطع، والحدود المقررة  
المعينة (ولا المعطل للسنة فيهلك الأمة) بتعطيله اياها.

## ◀ الشرح

المقصود من هذا الكلام هو توبيخ اصحابه وتعييرهم على ما كانوا عليه من  
التفاق ومخالفة الحق قولاً وعملاً ومتابعتهم الأهواء والآراء الفاسدة الموجبة  
لتضعيف الحق وتقوية الباطل ثم بين عليه السلام فيه هدفة وقصده من الحكومة  
والخلافة ثم اتبع كلامه بذكر شرائط الوالي على الناس على ما ستسمعه  
مفصلاً.

□ قوله عليه السلام: أَيْتَهَا النَّفُوسُ الْمُخْتَلِفَةُ وَالْقُلُوبُ الْمُتَشْتَتَةُ ...

نسبة الإختلاف الى النفوس والتشتت الى القلوب للدلالة على ان شان  
القلوب التشتت وشان النفوس الإختلاف وذلك لأن الإختلاف في شيء او  
اشياء يرجع الى ذات الشيء وحقيقته.

بخلاف التشتت فانه من العوارض اللاحقة به فكل إختلاف تشتت ولا  
عكس اذ كثيراً ما يوجد التشتت ولا يوجد الأختلاف ولذلك يقال ان منشأ  
التشتت ليس هو الإختلاف في جميع الموارد نعم بعض الموارد كذلك الا ترى  
ان في كثير من الأفراد المتشعبة ليس بينهم إختلاف في الواقع بل يمكن كونهم  
متحدين الا أنهم لبعدهم او غفلتهم او متابعة اهوائهم صاروا متشتتين متفرقين.  
واما الأختلاف فليس كذلك فانه لا محالة يكون في شيء اصيل كما يقال  
فلان يخالف فلان او بينهما إختلاف في الأثر او في المذهب او في الدين او  
غيرها من الأمور الواقعية ولا يقال بينهما تشتت فيها فالإختلاف دائماً يكون  
في الأصول والتشتت في الفروع اللاحقة اذا عرفت هذا فنقول - نسبة  
الإختلاف الى النفوس مُشعرٌ بكون إختلافها اصيلاً، اما لأن النفوس بحسب  
ذواتها وجبلتها وفطرتها وجدت مختلفة كما يشعر بذلك قوله عليه السلام الأرواح  
جنودٌ مُجَنَّدَةٌ فما تعارف منها إنتلّف وما تناكر منها إختلف بناء على ان الروح



والنفس لافرق بينهما إلا بالإعتبار كما هو الحق وأما لأن كل نفس من النفوس إختارت مذهباً ومسلكاً غير النفس الأخرى في دار الدنيا وهو أيضاً لا خفاء فيه وعلى كلا التقديرين فالإختلاف يُنسب إليها والمعنى على الأول يرجع إلى عالم الذر وعلى الثاني إلى عالم الكون والفساد اعني عالمنا هذا والحاصل أن نفوسكم مختلفة بحسب الفطرة والجيلة او بحسب المذهب والمسلك فإن بعضكم سلك مسلك الخلفاء الثلاثة وبعضهم انكره واتخذ طريقاً آخر فصرتم مختلفين بذلك وكيف كان فهو اعني الإختلاف يضر بكم لو كنتم تعقلون والمعنى الثاني اوفق بسياق العبارة فإن المسلمين في عصره عليه السلام كانوا مختلفين من حيث المذهب والمسلك.

وأما قال عليه السلام آيتها النفوس ولم يقل ايها الناس مثلاً للدلالة على أن الإنسان اللائق بالخطاب هو النفس لا غيرها وذلك لما ثبت في الفلسفة أن شئية الشئ بصورته لا بمادته والنفس في الإنسان بمنزلة الصورة للمادة ولأجل هذه الدقيقة قال تعالى في كتابه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مَّرْضِيَةً فَأَدْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ (١)

ثم إن هذا الإختلاف مذموم وقد ذمه الله تعالى في كتابه: ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اٰخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ (٢)

و: ﴿وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اٰخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ (٣)

و: ﴿وَلَكِنْ اٰخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَّنْ أَمَنَ وَمِنْهُمْ مَّنْ كَفَرَ﴾ (٤)

و: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاٰخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ (٥)

و: ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اٰخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ﴾ (٦)

و: ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاٰخْتَلَفُوا﴾ (٧)

٢- البقرة-١٧٦

٤- البقرة-٢٥٣

٦- النساء-١٥٧

١- الفجر-٣٠=٢٧

٣- البقرة-٢١٣

٥- آل عمران-١٠٥

٧- يونس-١٩

و: ﴿فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾<sup>(١)</sup> وغيرها من الآيات.  
□ واما قوله ﷺ: وَالْقُلُوبُ الْمُتَشَتَّة...

ففيه إشارة الى ان الواردات القلبية فيهم كانت متفرقة فكل واحد منهم كان يدرك غير ما ادركه الآخر في نظام الدين والدنيا ولم يكن فكرهم ودركهم على نمط واحد في الأمور الاجتماعية والدينية مع ان المسلمين لا بد لهم من الاتفاق والاتحاد وهو لا يوجد الا بعد الفكر الصحيح والفكر الصحيح عبارة عن ترجيح مصالح الاجتماع على مصلحة الشخص وفي هذا النوع من الفكر لا ينبغي التشتت فقوله ﷺ إشارة الى تشتتهم في أمر دينهم ونظام اجتماعهم والا فالتشتت في اصل الدرك مما لا محيص عنه اللهم الا ان يقال ان المراد الدرك الصحيح لا مطلق الدرك وكيف كان فهو كناية بل صراحة بعدم اتفاقهم واجتماعهم ومن المعلوم انه يوجب الوهن والفشل.

□ قوله ﷺ: الشَّاهِدَةُ أَبْدَانُهُمْ وَالْغَائِبَةُ عَنْهُمْ عُقُولُهُمْ ...

وصفهم بوصفين آخرين مهلكين احدهما قوله ﷺ: الشَّاهِدَةُ اَبْدَانُهُمْ، فَاِنْ شُهِدَ الْبَدَنُ وَحُضِرَ لَا نَفْعَ فِيهِ اِذَا لَمْ تَكُنِ النَّفْسُ وَالْقُلُوبُ عَلَيَّ مُقْتَضِي شَرَائِطِهَا اِذَا الْبَدَنُ اَلَّ مَحْضَةً لِنَفْسٍ لَا اَثَرَ لَهَا مَعَ قَطْعِ النَّظَرِ عَنْهَا ضَرُورَةٌ اِنْ الْحَاكِمُ عَلَيْهِ وَعَلَى جَمِيعِ الْقَوَى هُوَ النَّفْسُ فَاِذَا كَانَتْ مُخْتَلِفَةً تَصِيرُ الْحُكُومَةُ مُخْتَلِفَةً فَكُلُّ بَدَنِ يَفْعَلُ مَا يُضَادُّهُ الْآخَرُ بِمُقْتَضَى مَامُورِيَّتِهِ لِنَفْسِهِ الْحَاكِمِ عَلَيْهِ. وثانيهما غيبة عقولهم عنهم فان العقل اذا غاب عن البدن يصير الانسان مجنوناً وانما عبر ﷺ بهذا الكلام لأن الانسان اذا لم يعمل بمقتضى العقل فكأنه لا عقل له اذا لا فرق بين عدم العقل راساً ووجوده بلا اثر وحيث ان اعمالهم كانت مشبهة باعمال المجانين الفاقدين للعقل قال ﷺ لهم ما قال.  
□ قوله ﷺ: اِظْأَرُكُمْ عَلَى الْحَقِّ وَأَنْتُمْ تَنْفَرُونَ عَنْهُ نُفُورَ الْمِغْرَى مِنْ وَعْوَعَةٍ الْأَسَدِ! ...

رَدُّ الْبَدَنِ إِلَى النَّفْسِ وَالْقُلُوبِ



أَطَارَكُمْ بِصِيغَةِ الْمُتَكَلِّمِ فَعَلَ مَاضِيٌّ مِنْ أَطَارَ يُطَارُ نَحْوَ أَكْرَمَ يُكْرَمُ أَيِ  
 اعْطَفَكُمْ وَإِنَّمَا عَبَّرَ ﷺ بِهِ لِأَنَّ أَصْلَ الإِعْطَافِ فِي الْمَقَامِ الشَّفَقَةِ عَلَى الْوَالِدِ قَالَ  
 فِي الْمُنْجِدِ - طَارَ طَاراً وَطِئَاراً وَاطَارَا إِطَاراً وَطَائِرَ مَطَائِرَةً، النَّاقَةُ أَوْ الْمِرَاةُ عَلَى  
 وَوَلَدٍ غَيْرِهَا عَطَفَهَا عَلَيْهِ فَطَارَتْ وَاطَارَتْ أَيِ عَطَفَتْ عَلَيْهِ أَنْتَهَى.

وَعَلَيْهِ فَالْمَعْنَى إِنِّي عَلَيْكُمْ عَطُوفٌ شَفِيقٌ وَالْحَالُ إِنَّمَا تَنْفَرُونَ وَتُعْرَضُونَ  
 عَنِ الْحَقِّ كَنْفُورِ الْمِعْزَى عَنِ وَعَوْعَةِ الْأَسَدِ أَيِ مِنْ صَوْتِ الْأَسَدِ وَبِعِبَارَةٍ أُخْرَى  
 أَنَا أَذَلُّكُمْ عَلَى الْحَقِّ وَنَاصِحٌ بِكُمْ عَلَى الصَّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ وَإِنَّمَا لَا تَقْبَلُونَهُ بَلْ  
 تَفْرُونَ كَمَا يَقْرُ الْمِعْزَى عَنِ صَوْتِ الْأَسَدِ لَثَلَا يَأْكُلُهُ وَيَفْتَرِسُهُ إِنْ هَذَا لِشَيْءٍ  
 عَجِيبٍ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى حِكَايَةً عَنِ الْمُنَافِقِينَ فِي كِتَابِهِ: ﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ  
 وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ (١)

وَقَالَ تَعَالَى حِكَايَةً عَنِ صَالِحِ النَّبِيِّ ﷺ: ﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ  
 أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولًا مِنْ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ﴾ (٢)

وَقَالَ تَعَالَى حِكَايَةً عَنِ نُوحِ النَّبِيِّ ﷺ: ﴿أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولًا مِنْ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ  
 وَأَعْلَمْتُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٣)

وَقَالَ تَعَالَى حِكَايَةً عَنِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ  
 لَكُمْ﴾ (٤)

و: ﴿أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولًا مِنْ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ﴾ (٥) وَغَيْرِهَا مِنَ الْآيَاتِ.

ثُمَّ أَنَّ فِي الْكَلَامِ إِسْتِعَارَةً وَهِيَ أَنَّهُ ﷺ شَبَّهَ نَفْسَهُ الشَّرِيفَةَ بِالْأَسَدِ وَالنَّاسَ  
 بِالْمِعْزَى وَاللَّامِ فِي قَوْلِهِ ﷺ: (الْمِعْزَى، لِلْجِنْسِ فَتَشْمَلُ الْكُلَّ مِمَّنْ كَانَ مُتَصِفًا  
 بِهَذِهِ الصِّفَةِ فَكَمَا أَنَّ الْمِعْزَى يَقْرُ مِنَ الْأَسَدِ فَكَذَلِكَ هَؤُلَاءِ يَقْرُونَ مِنَ النَّاصِحِ  
 الْمُسْتَفِقِّ فِي كُلِّ عَصْرٍ وَزَمَانٍ وَالْحَقُّ أَنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ كَذَلِكَ وَلَا سِيَّمًا فِي زَمَانِنَا  
 هَذَا.

مفتاح السعادة في شرح نهج البلاغة

٢- الاعراف- ٧٩  
 ٤- هود- ٣٤

١- النور- ٤٨  
 ٣- الاعراف- ٦٢  
 ٥- الأعراف- ٦٨

وعليه فتقدير الكلام (كُنْفُورِ الْمِعْزَى) حذف حرف التشبيه لِدلالة الكلام عليه كما يقال زيدٌ اسدٌ.

اي زيدٌ كالأسد وهذا الكلام منه ﷺ ائماً صدر على سبيل التوبيخ والتعبير لأصحابه المنافقين.

□ قوله ﷺ: هَيْهَاتَ أَنْ إِطَّلَعَ بِكُمْ سَرَارَ الْعَدْلِ أَوْ أُقِيمَ اغْوِجَاجَ الْحَقِّ ...

قال الخوئي رحمه الله في شرح هذا الكلام ما لفظه، اي بعد ان اظهركم وأبين لكم ما خفي من العدل وأستر تخاذلكم وتفرق اهوائكم انتهى وقال الشارح المعتزلي:

يُفسره الناس بمعنى هيهات ان اطلعكم مضيئين ومثورين سرار العدل والسرار آخر ليلة من الشهر وتكون مظلمة ثم قال ويمكن ان يُفسر عندي على وجه آخر وهو ان يكون السرار هنيئاً بمعنى السرور وهي خطوط مضيئة في الجبهة فيكون معنى كلامه ﷺ هيهات ان تلمع بكم لوامع العدل واشروجه ويمكن فيه ايضاً وجه آخر وهو ان ينصب سرار على الظرفية ويكون التقدير هيهات ان اطلع بكم الحق زمان إستسرار العدل وإستخفائه فيكون حذف المفعول وحذفه كثير انتهى.

ثم ان الشارح الخوئي رحمه الله بعد نقله ما نقلناه عنه نقل عن الكندري انه قال في محكي كلامه، وسرار العدل اي في سرار فحذف حرف الجر ووصل الفعل وقيل اي هيهات ان اظهر بمعونتكم ما خفي وإستسر من اعمار العدل وانواره انتهى ثم قال وهو اولي مما ذكره المعتزلي والأظهر ما ذكرناه انتهى.

وانا أقول: هذه التوجيهات في كلماتهم انما نشأت عن كلمة السرار والباقي واضح لا خفاء فيه ونحن نفسرها أولاً ثم نقول فيها ما هو الحق عندنا.

السرار بفتح السين اليوم الذي يُستر فيه القمر قاله الراغب في المفردات وقال في المنجد ايضاً كذلك ثم قال - السرار بكسر السين ايضاً آخر ليلة من الشهر وقال السرار الخطوط في الجبهة وقال السرار (بالفتح) محض النسب

وافضنه، سرار الوادي افضل مواضعه، وقال ايضاً، السرارة، الخالص سرارة الشئ اطيبه وخالصة ج سرار انتهى اذا عرفت هذا فنقول.

سرار العدل محضه وافضله والإطلاع الإظهار والمعنى بعد ان اظهر بكم اي بسببكم محض العدل وافضله او ليستقيم فيكم إعوجاج الحق الذي اوجده من كان قبلي من الخلفاء من البدع والانحرافات وانما قال ﷺ ذلك لعدم إيمانهم واقعاً ولأنهم كانوا معرضين عن الحق وكيف كان يُستفاد من كلامه ﷺ أمور: احدها: ان إجراء العدل في الناس لا يمكن الا بعد قبولهم وإستعدادهم وتهيئتهم له وهؤلاء لم يكونوا كذلك بل كانوا ينفرون عنه فلا يمكن إجرائه فيهم.

وثانيها: ان إجراء العدل يحتاج الى الأعوان والأنصار فاذا لم يكن في الناس من به الكفاية في إجرائه فلا يمكن إنفاذه فيهم والى هذا الوجه اشار ﷺ بقوله (بكم) اي بسببكم ومعونتكم.

وثالثها: ان الحق كان له إعوجاج وإنحراف في خلافته وحكومته ﷺ اذ لو لا ذلك لما إحتاج الى إقامة إعوجاجه وإستقامته وهذا الإعوجاج انما اوجده في الأسلام من كان قبله من الخلفاء والا لا معنى لكونه ﷺ مقيماً له وهو عبارة عن البدع والمحدثات التي ابدعوها واحدثوها في خلافتهم بعد النبي ﷺ كما هو مذكور في التواريخ والسير

ورابعها: ان هذا الأمرين اعني إجراء العدل بهم وإقامة إعوجاج الحق لا يمكن لو جُود الموانع والى هذا اشار ﷺ بقوله في صدر كلامه (هيئات) اي بعد كما قال تعالى: ﴿ هِيَآتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴾ (١)

واما علة بعده فالوجه فيها ان الناس بعد النبي صاروا اتباعاً واشياعاً للخلفاء الثلاثة في دينهم ودنياهم ومن المعلوم بالضرورة والشواهد التاريخية أنهم لم يقدروا على إصلاح الناس وإرشادهم الى طريق الهدى وذلك لأن من لا يقدر

على إصلاح نفسه فكيف يقدر على إصلاح غيره فإن المعطي للشي لا يكون  
 فاقداً له قال الله تعالى في كتابه: ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا  
 أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾<sup>(١)</sup> وقد اشعبنا الكلام في الإمام وشرائطه فيما  
 مضى بما لا مزيد عليه وإذا كان الأمر على هذا المنوال فصّح لنا ان نقول ان  
 الناس بعد الخلفاء كانوا عن الحق معرضين وعن طريقه ناكبين فإن الناس على  
 دين ملوكهم ثم بعد الخلفاء الثلاثة وصلت النوبة الى امير المؤمنين عليه السلام في  
 ظاهر الأمر ومع ذلك كان الأسلام والقرآن والدين والإيمان والسياسات  
 والأخلاقيات وغيرها هو ما اسسوه وأبدعوه وأجروه فيهم بحيث لم يكن له  
عليه السلام من الإمارة الا الأسم فقط الا ترى انه عليه السلام لم يقدر على عزل شريح القاضي  
 في الكوفة الذي نصبه عمر قاضياً للناس مع انه كان من المسائل الجزئية  
 بالنسبة الى الكليات منها من البدع والحوادث الموجودة في الناس فاذا لم  
 يقدر عليه فكيف يقدر على ما هو اعظم منه وهذه الداهية العظمى هي التي  
 صارت موجبة لإصدار هذه الكلمات منه عليه السلام فقله عليه السلام اطاركم على الحق  
 وانتم تفرون عنه حق لاشك فيه وقوله عليه السلام: هيهات الى قوله عليه السلام: إعوجاج  
 الحق في محله.

□ قوله عليه السلام: اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ الَّذِي كَانَ مِنَّا مُنَافَسَةً فِي سُلْطَانٍ وَلَا  
 التماسِ شَيْءٍ مِنْ قُضُولِ الحُطَامِ ...

كان قوله عليه السلام هذا جواب عن سؤال مقدر وهو انه قد صدر منه عليه السلام في بدو  
 الأمر بعد موت النبي وغضبهم الخِلافة ما هو مذكور في كتب التواريخ والسير  
 من الإحتجاجات والمناشدات الدالة على كونه عليه السلام طالباً للخِلافة مانلاً اليها  
 كما ان غيره عليه السلام من الخلفاء قبله ايضاً كان كذلك.

وعليه فما الفرق بينه عليه السلام وبين غيره من الخلفاء حيث انهم لم يتكلموا بهذه  
 الكلمات الدالة على التوبيخ والتعير بالنسبة الى المسلمين والشكاية عنهم فقال

ﷺ في الجواب بما حاصله ان الغرض من الحكومة يَختلف في الحُكَّام فمن كان غرضه منها نفس الحكومة والرئاسة والأمر والنهي على طبق اميالهم وشهواتهم والاستفادة من اموال المسلمين بما شاء وصرفها في ما اراد لِتشيد مباني الحكومة واكل المُشهيّات وإطفاء الشّهوات وغيرها مما هو المقصود بالأصالة في الحكومات الطّاغوتية والإمارات الشّيْطانية فلا محالة لا يتكلم بهذه الكلمات التي تنشأ من الإيمان بالله واليوم الآخر.

واما من لم يكن كذلك اي لم يتعلّق غرضه بالحكومة اصالتاً من حيث هي هي بل تعلّق غرضه بها لكونها سبباً ووسيلة الى إجراء المعروف وترك المنكر وإرشاد الناس الى ما هو اصلح لهم في دينهم ودنياهم وإجراء العدالة فيهم فهو يتكلم بها وذلك لأنه في إجراء المقاصد المذكورة يحتاج الى من يعينه عليها من الأفراد والأشخاص وحيث أنهم لا يعينونه عليها فلا محالة يُوبّخهم ويُنقّدهم وهذا هو السّر في تكلمه ﷺ بما تكلم غير مرّة وعدم تكلم غيره من الخلفاء.

وان شئت قلت الحكومة تارة تؤخذ بها لكونها آلة ووسيلة الى إجراء المقاصد العالية وتارة لكونها في نفسها مطلوبة فعلى الأول يُعبّر عنها بالحكومة الآلية وعلى الثاني بالاستقلالية فمن كان صالحاً ينظر اليها بالاعتبار الأول ومن كان فاسقاً ينظر اليها بالثاني وحيث أنه ﷺ كان من الأولياء وعارفاً بالله وبرسوله مُعرضاً عن الدنيا وخطامها فلم ينظر اليها الا لكونها آلة للوصول الى مقاصده السنية اعني احياء كلمة التوحيد وإتصاف الناس بالصفات الكمالية الحسنة وتخلّقهم بالأخلاق الجيدة الربانية فلهذا قال ﷺ ما قال وصدّر كلامه بقوله اللهم انك قد تعلم، مؤكداً بكلمة (ان) المثقلة و(قد) التحقيقية مُشعراً بان ما قال ﷺ حق لا مَرية فيه فقال:

اللهم انك قد تعلم علماً قطعياً فانك انت العالم بما في الضمائر والسرائر، انه لم يكن الذي كان (قد صدر منّا في امر الخلافة من الاجتماعات

والمُنَاشِدَات فِي طَلَبِ الْحَقِّ) مُنَافِسَةٌ وَمُغَالِبَةٌ، فِي سُلْطَانٍ وَحُكُومَةٍ، وَلَا مَا صَدَّرَ مِنْهَا، كَانَ مِنَ الْإِلْتِمَاسِ فِي شَيْءٍ مِنْ فُضُولِ الْحُطَامِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَزَخَارِفِهَا مِنَ الشُّهُوَاتِ فِي الْأَمْوَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْمَقَامِ وَغَيْرِهَا فَإِنَّ الدُّنْيَا وَمَافِيهَا لَا قِيَمَةَ لَهَا عِنْدِي بَعَلْمِي بِأَنَّهَا رَأْسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ: ﴿رُزِقْنَا لِلنَّاسِ حُبَّ الشُّهُوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾<sup>(١)</sup> وَفِي قَوْلِهِ ﷺ هَذَا إِشَارَةٌ إِلَى مَا اتَّفَقَ عَلَيْهِ الْكُلُّ مِنْ أَنَّهُ ﷺ كَانَ تَارِكاً لِلدُّنْيَا وَزَخَارِفِهَا كَيْفَ لَا وَهُوَ الَّذِي قَالَ غَيْرَ مَرَّةٍ يَا دُنْيَا غَرِي غَيْرِي فَقَدْ طَلَقْتِكِ ثَلَاثًا لَا رَجْعَةَ لِي فِيهَا وَلِنَعْمَ مَا قِيلَ فِيهِ:

وَكَانَ يَقُولُ يَا دُنْيَايَ غُرِّي سَوَايَ فَلَسْتُ مِنْ أَهْلِ الْغُرُورِ  
نَقَلَ أَنَّهُ أَتَى إِلَيْهِ بِمَالٍ فَكُومَ كُومَةً مِنْ ذَهَبٍ وَكُومَةً مِنْ فِضَّةٍ فَقَالَ يَا صَفْرَاءُ  
إِصْفَرِي وَيَا بَيْضَاءُ إِبْيَضِي وَغُرِّي غَيْرِي.

هَذَا خَبَايَ وَخِيَارَهُ فِيهِ وَكُلَّ جَانٍ يَدُهُ إِلَى فِيهِ  
وَقِيلَ أَيْضًا:

لَمْ يَشْمَلْ قَلْبُهُ الدُّنْيَا بِزَخْرِفِهَا بَلْ قَالَ غُرِّي سَوَايَ قَوْلٌ مُحْتَقَرٌ  
وَعَنِ الْغَزَالِيِّ فِي الْأَحْيَاءِ أَنَّهُ كَانَ لَهُ ﷺ سُوقٌ فِي أَنْاءٍ مَخْتُومٍ يَشْرَبُ مِنْهُ  
فَيَقَالُ لَهُ اتَّفَعَلْ هَذَا بِالْعِرَاقِ مَعَ كَثْرَةِ طَعَامِهِ فَقَالَ ﷺ أَمَا أَنِّي لَا اخْتَمَمُهُ بِخَلْأُ بِهِ  
وَلَكِنِّي أَكْرَهُ أَنْ يُجْعَلَ فِيهِ مَا لَيْسَ مِنْهُ وَآكُرُهُ أَنْ يَدْخُلَ بَطْنِي غَيْرَ طَيِّبٍ.  
قَالَ الْأَصْبَغُ - قَالَ عَلِيُّ ﷺ دَخَلْتُ بِلَادَكُمْ بِأَسْمَالِي هَذِهِ وَرَحَلْتِي وَرَاحَلْتِي  
هَاهُنَا فَإِنَّا خَرَجْتُ مِنْ بِلَادِكُمْ بِغَيْرِ مَا دَخَلْتُ قَائِلًا مِنَ الْخَائِنِينَ، وَفِي رِوَايَةٍ  
يَا أَهْلَ الْبَصْرَةِ مَا تَتَقَمُّونَ مِنِّي إِنْ هَذَا لَمِنْ غَزَلِ أَهْلِي وَإِشَارَةٍ إِلَى قَمِيصِهِ وَقِيلَ  
فِيهِ ﷺ:

وَكَانَ طَعَامُهُ خُبْزًا وَزَيْتًا وَيُوَثَّرُ بِاللَّحُومِ الطَّارِقِيْنَا



وآخر:

صَدُوقٌ عَنِ الزَّادِ الشَّهِي فَوَّادِهِ

رَغِيْبٌ اِلَى زَادِ التَّقِي وَالْفَضَائِلِ

جَرِيٌّ اِلَى قَوْلِ الصَّوَابِ لِلسَّانِهِ

اِذَا مَا الْفِتَاوِي افْحَمْتَ بِالْمَسَائِلِ

اُعِيْدَتْ لَهُ الشَّمْسُ الْاَصِيْلُ جَلَالُهُ

وَقَدْ حَالَ ثَوْبُ الصَّبْحِ فِي اَرْضِ بَابِلِ

وَفَضَائِلُهُ كَثِيْرَةٌ جَدًّا وَهُوَ ﷺ فِي تَرْكِهِ الدُّنْيَا وَحُطَامِهَا مِمَّا يُضْرَبُ بِهِ الْمَثَلُ.

□ قَوْلُهُ ﷺ: وَلَكِنْ لِنَزْدِ الْمَعَالِمِ مِنْ دِينِكَ وَنُظْهِرَ الْاِصْلَاحَ فِي بِلَادِكَ، ...

اي اِنَّ الْغَرَضَ وَالْمَقْصِدَ مِنَ الْحُكُومَةِ هُوَ رَدُّ الْمَعَالِمِ مِنْ دِينِكَ اِلَى مَحَالِهَا وَظُهُورِ الْاِصْلَاحِ فِي بِلَادِكَ وَيُظْهِرُ مِنْ كَلَامِهِ ﷺ اِنَّ الْمَعَالِمَ الدِّيْنِيَّةَ كَانَتْ مُتَغَيِّرَةً مُتَبَدِّلَةً وَالبِلَادُ كَانَتْ فَاسِدَةً بِفَسَادِ اَهْلِهَا وَالْمَعَالِمُ جَمْعُ مَعْلَمٍ وَهُوَ الَّذِي يُسْتَدَلُّ بِهِ عَلَى الطَّرِيقِ وَفِي الْمَقَامِ الْمُرَادِ بِهِ طَرِيقُ الشَّرْعِ فَعَلِيَّةٌ يَكُونُ الْمُرَادُ بِهَا الطَّرِيقَ الشَّرْعِيَّةَ وَالْاَحْكَامَ الْاِلَهِيَّةَ الَّتِي تَغَيَّرَتْ فِي عَهْدِ الْخُلَفَاءِ الثَّلَاثَةِ مِنَ الْبِدْعِ الَّتِي اَبْدَعُوْهَا وَاحْدَثُوْهَا فِي الدِّيْنِ كَمَا اَشْرْنَا اِلَيْهِ فِي بَحْثِ الْاِمَامَةِ مُفْصَلًا وَالْمَقْصُودُ مِنْ رَدِّهَا اِرْجَاعُهَا اِلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ.

وَأَمَّا الْاِصْلَاحُ فِي الْبِلَادِ هُوَ عِبَارَةٌ عَنِ اِجْرَاءِ الْمَعْرُوفِ وَتَرْكِ الْمُنْكَرِ فِي اَهْلِ

الْبِلَادِ لَا اِنَّ الْمُرَادَ بِاِصْلَاحِ الْبِلَادِ عُمْرَانِهَا مِنْ جِهَةِ الْاَبْنِيَّةِ وَالْعِمَارَةِ وَمِنْ الْمَعْلُومِ

اِنَّ اِصْلَاحَ الْبِلَادِ لَا يَتَّحَقُّ اِلَّا بِاِصْلَاحِ اَهْلِهَا.

□ قَوْلُهُ ﷺ: فَيَأْمَنَ الْمَظْلُومُونَ مِنْ عِبَادِكَ وَتُقَامَ الْمُعْطَلَّةُ مِنْ حُدُودِكَ ...

الْفَاءُ لِلتَّفْرِيعِ اَي يَتَّفَعُ عَلَى رَدِّ الْمَعَالِمِ مِنْ دِينِكَ وَالْاِصْلَاحِ فِي بِلَادِكَ اِنْ

يَكُونُ الْمَظْلُومُ آمِنًا وَالْحُدُودُ الْمُعْطَلَّةُ الْمَتْرُوكَةُ فِي عَهْدِ الْخُلَفَاءِ السَّابِقِينَ

جَارِيَةً عَلَى سُنَنِهَا وَفِيهِ اِشَارَةٌ اِلَى اِنَّ الْمَظْلُومَ فِي الْمَاضِي لَمْ يَكُنْ آمِنًا وَالْحُدُودُ

الشَّرْعِيَّةُ لَمْ تَكُنْ تُقَامُ بِهَا عَلَى مَا يَنْبَغِي وَهُوَ كَذَلِكَ بِشَهَادَةِ التَّوَارِيخِ.

□ قَوْلُهُ ﷺ: اَللّٰهُمَّ اِنِّىْ اَوَّلُ مَنْ اَنَابَ وَسَمِعَ وَاَجَابَ لَمْ يَسْبِقْنِيْ اِلَّا رَسُوْلُ اللّٰهِ

الإِنَابَةُ هِيَ الرَّجُوعُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَالتَّوْبَةُ هِيَ الرَّجُوعُ عَنِ الْمُخَالَفَةِ إِلَى الْمُوَافَقَةِ وَأَمَّا لَمْ يَقُلْ ﷺ أَنِّي أَوَّلُ مَنْ أَتُوبُ وَقَالَ أَوَّلُ مَنْ أَنَابَ لِعَدَمِ مُخَالَفَتِهِ لِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَنَوَاهِيهِ قَطُّ فَلَا مَعْنَى لِلتَّوْبَةِ وَأَمَّا الإِنَابَةُ بِالْمَعْنَى الَّتِي ذَكَرْنَاهُ فَهِيَ مُحَقَّقٌ ثَابِتٌ فِي حَقِّ الْكُلِّ إِذَا الرَّجُوعُ إِلَى اللَّهِ مِمَّا لَأَشْكُ فِيهِ.  
ثُمَّ إِنَّ الإِنَابَةَ ثَلَاثَةٌ:

أَحَدُهَا: الرَّجُوعُ إِلَى الْحَقِّ إِصْلَاحاً كَمَا رَجَعَ إِلَيْهِ إِعْتِذَاراً.

وِثَانِيهَا: الرَّجُوعُ إِلَيْهِ وَفَاءً كَمَا رَجَعَ إِلَيْهِ عَهْداً.

وِثَالِثُهَا: الرَّجُوعُ إِلَيْهِ حَالاً كَمَا رَجَعَ إِلَيْهِ إِجَابَةً.

وَتَوْضِيحُهَا - إِنَّ الرَّجُوعَ عِنْدَ الإِنَابَةِ إِلَى الْحَقِّ فِي إِصْلَاحِ الْعَمَلِ وَالطَّاعَةِ كَالرَّجُوعِ إِلَيْهِ عِنْدَ التَّوْبَةِ فِي الإِعْتِذَارِ عَنِ الذَّنْبِ وَالْمَعْصِيَةِ وَالرَّجُوعِ إِلَيْهِ هَاهُنَا بِالْوَفَاءِ بِعَقْدِ التَّوْبَةِ كَالرَّجُوعِ إِلَيْهِ هُنَاكَ بِعَقْدِ التَّوْبَةِ فَالتَّوْبَةُ هِيَ الْعَهْدُ وَالإِنَابَةُ هِيَ الْوَفَاءُ بِذَلِكَ الْعَهْدِ وَالرَّجُوعُ إِلَيْهِ هَاهُنَا بِأَنْ يَشْهَدَ صِحَّةَ حَالِهِ بِصِدْقِ مَقَالِهِ هُنَاكَ حَيْثُ إِعْتَرَفَ بِذَنْبِهِ إِذَا عَرَفْتَ هَذَا فَتَقُولُ:

أَمَّا الْأَوَّلُ: اعْنِي الرَّجُوعُ إِلَيْهِ إِصْلَاحاً فَهُوَ أَنَّمَا يَسْتَقِيمُ بِثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ، بِالْخُرُوجِ

عَنِ التَّبَعَاتِ، وَالتَّوَجُّعِ لِلْعَثَرَاتِ، وَإِسْتِدْرَاكِ الْفَائِتَاتِ.

وَالْخُرُوجُ عَنِ التَّبَعَاتِ يَتَحَقَّقُ بِالإِسْتِغْفَارِ عَنِ الذُّنُوبِ الَّتِي بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللَّهِ

وَالْتَّضَرُّعِ إِلَيْهِ وَالإِسْتِحْلَالَ فِي الذُّنُوبِ الَّتِي بَيْنَكَ وَبَيْنَ النَّاسِ، وَالتَّوَجُّعِ

لِلْعَثَرَاتِ هُوَ النَّدَمُ وَالبِكَاءُ لِخَطَايَاكَ وَتَالِمِ الْبَاطِنِ، لِخَطَايَا إِخِيكَ إِشْفَاقاً عَلَيْهِ

وَتَرْحُماً لَهُ وَعَدَمِ التَّأْذِي بِذَلَّتِهِ وَمُقَابَلَةِ إِسَائَتِهِ بِالْحَسَنَةِ، وَإِسْتِدْرَاكِ الْفَائِتَاتِ

بِقِضَاءِ الْوَاجِبَاتِ مِنَ الصِّيَامِ وَالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ.

وَأَمَّا الثَّانِي: اعْنِي الرَّجُوعُ إِلَيْهِ وَفَاءً أَيْضاً بِثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ، بِالْخِلَاصِ مِنْ لَذَّةِ

الذَّنْبِ، وَبِتَرْكِ إِسْتِهَانَةِ أَهْلِ الْغَفْلَةِ فَهُوَ أَنْ لَا تُسْتَحْقِرَهُمْ خَوْفاً عَلَيْهِمْ وَتَرْجُو

لِنَفْسِكَ الْخِلَاصَ مِنَ الْعِقَابِ وَحُصُولِ الثَّوَابِ بَلْ يَجِبُ أَنْ تَتَفَكَّرَ وَتَخَافَ عَلَى

نَفْسِكَ النِّقْمَةَ وَتَرْجُو لَهُمُ الرَّحْمَةَ وَتَعْذِرَهُمْ دُونَ نَفْسِكَ.

وامّا الثالث: فهو ان تستقصي في تعرّف افات خدمتك ليلّهِ وللاخوان  
وعللها وامراض النفس وعيوبها في الخدمة حتّى تتخلص من حظوظ النفس.  
وامّا الثالث: اعنى الرّجوع اليه حالاً فهو ايضاً بثلاثة اشياء، بالأياس من  
عمّلك، ومُعابنة إضطرارك وشيم برق لطفه بك - والأوّل اعنى الأياس من  
عمّلك أنّما يكون بمشاهدتك من الله ونفي الفعل والتأثير عن الغير لقوله  
تعالى: ﴿وَاللّٰهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾<sup>(١)</sup> واذا كان العمل ليلّهِ وراه منه عاين  
إضطراره وإفتقاره اليه وأيس من عمّله فلاحت له بوارق لطفه.

فان العبد اذا إنسلخ عن افعاله برؤية الفعل من الله واصبح مضطراً اليه  
يؤيده بلوامع اللطف وبوارق التجليات وذلك من سنّة الله في عباده اذا عرفت  
معنى الإنابة والفرق بينها وبين التوبة فاعلم ان الإنابة الى الله تعالى مرغوب فيه  
وقد حتّ الله عباده عليها في كتابه قال تعالى: ﴿مَمْلُؤْنَ اِنَّ اللّٰهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ  
وَيَهْدِي اِلَيْهِ مَنْ اَنَابَ﴾<sup>(٢)</sup>

و: ﴿وَاتَّبِعْ سَبِيْلَ مَنْ اَنَابَ اِلَيّْ ثُمَّ اِلَيّْ مَرْجِعُكُمْ﴾<sup>(٣)</sup>

و: ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَالْيَهْ اُنِيْبُ﴾<sup>(٤)</sup>

و: ﴿وَمَا تَوْفِيقِي اِلَّا بِاللّٰهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَالْيَهْ اُنِيْبُ﴾<sup>(٥)</sup>

و: ﴿رَبَّنَا عَلَيْنِكَ تَوَكَّلْنَا وَالْيَكْ اَنْبَنَّا وَالْيَكْ الْمَصِيْرُ﴾<sup>(٦)</sup>

و: ﴿وَظَنَّ دَاوُدُ اِنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعاً وَاَنَابَ﴾<sup>(٧)</sup>

و: ﴿اِنَّ اِبْرَاهِيْمَ لَحَلِيْمٌ اَوَّاهٌ مُّنِيْبٌ﴾<sup>(٨)</sup>

و: ﴿اِنَّ فِيْ ذٰلِكَ لٰيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيْبٍ﴾<sup>(٩)</sup>

فقوله ﷻ: اللهم اني اول من اناب معناه اني اول من ارجع اليك في جميع  
أموري فهو كناية عن خضوعه ﷻ وخشوعه عند ربّه.

٢- الزعد- ٢٧  
٤- الشورى- ١٠  
٦- الممتحنة- ٤  
٨- هود- ٧٥

١- صافات- ٩٦  
٣- لقمان- ١٥  
٥- هود- ٨٨  
٧- ص- ٢٤  
٩- السبا- ٩

وامّا قوله عليه السلام: وَسَمِعَ وَاجَابَ مَعْنَاهُ بِمُقْتَضَى الْعَطْفِ أَنِّي أَوَّلَ مَنْ سَمِعَ الْحَقَّ مِنْ رَسُولِكَ وَاجَابَهُ فِيهِ إِشَارَةٌ بَلْ صِرَاحَةٌ بِكَوْنِهِ عليه السلام أَوَّلَ مَنْ اجَابَ الرَّسُولَ بِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ وَهَذَا مِمَّا لَا خِلَافَ فِيهِ لِأَنَّهُ عليه السلام كَانَ أَسْبَقَ النَّاسَ إِسْلَامًا وَاقْدَمَهُمْ إِيمَانًا بِالْإِتْفَاقِ.

قال في المناقب إستفاضت الرواية أن الأول من اسلم علي ثم خديجة ثم جعفر، ثم زيد، ثم ابو ذر ثم عمرو ابن عتبة السلمي، ثم خالد ابن سعيد ابن العاص، ثم سمية أم عمّار، ثم عبدة ابن الحارث ثم حمزة، ثم خباب ابن الأرت، ثم سلمان، ثم المقداد، ثم عمّار، ثم عبد الله ابن مسعود في جماعة ثم ابو بكر وعثمان وطلحة والزبير وسعد ابن ابي وقاص وعبد الرحمن ابن عوف وسعد ابن زيد، وصهيب، وبلال.

ونقل عن الطبري أنه قال أن عمر اسلم بعد خمسة واربعين رجلاً واحدى وعشرين إمراة.

انساب الصحابة عن الطبري والمعارف عن القيتبي أن أول من اسلم خديجة ثم علي ثم زيد ثم ابو بكر، وروي ابو ذرعة الدمشقي وابو إسحاق الثعلبي في كتابيهما أنه قال ابو بكر يا اسفي على ساعة تقدمني فيها علي ابن ابي طالب فلو سبقتة لكان لي سابقة الإسلام.

معارف القيتبي وفضائل الممقاني ومعرفة النوى قالت معادة المدوية سمعت علياً يقول على منبر البصرة انا الصديق الأكبر أنت قبل ان يؤمن ابو بكر واسلمت قبل ان يسلم عمر.

وقال عثمان لأمير المؤمنين عليه السلام أنك ان ترئصت بي فقد ترئصت بمن هو خير مني ومنك قال عليه السلام ومن هو خير مني قال ابو بكر وعمر قال عليه السلام كذبت انا خير منك ومنهما عبدت الله قبلكم وعبدته بعدكم.

الأحاديث المزوية في كونه عليه السلام أول الناس إسلاماً:

روي السدي عن ابي مالك عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿وَالشَّاقِقُونَ﴾

السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ»<sup>(١)</sup> فقال سابق هذه الأمة عليّ ابن ابي طالب...

٢- النّطنزي - في الخصائص العلوية باسناده عن إبراهيم ابن إسماعيل عن المامون عن الرّشيد عن المهدي عن المنصور عن جدّه عن ابن عبّاس قال سمعت عمّر ابن الخطاب يقول قال رسول الله ﷺ يا عليّ انت أوّل المسلمين إسلاماً وأوّل المؤمنين إيماناً...

ابو يوسف النّوي في المعرفة والتاريخ روي السّدي عن ابي مالك عن ابن عبّاس قال رسول الله ﷺ عليّ أوّل من آمن بي وصدّقني.... فضائل الصّحابة عن العكبري واحمد ابن حنبل قال عباد ابن عبد الله قال عليّ اسلمت قبل الناس بسبع سنين...

كتاب ابن مردوي الأصفهاني والمظفر الممّقاني وامالي سهل ابن عبد الله المروزي عن ابي ذر وأنس واللفظ لأبي ذر قال النبي ان الملائكة صلّت عليّ وعلى عليّ سبع سنين قبل ان يسلم بشر..

تاريخ بغداد والرّسالة القوامية ومسند الموصلي وخصائص النّطنزي انه قال حبة العرنبي قال عليّ ﷺ بُعث النبي ﷺ يوم الاثنين واسلمت يوم الثلاثاء...

اقول: الأحاديث المروية في المقام كلّها منقول عن المناقب لابن شهر آشوب- «ج ٢ ص ٤ الى ٧».

والأحاديث كثيرة فيها وفي غيرها من طريق العامة واما الخاصّة فالأمر اوضح وكيف كان لا خلاف عند المسلمين في كونه ﷺ أوّل من اسلم وقد مرّ منّا الكلام فيه عند شرح قوله ﷺ وسبقت الى الإيمان والهجرة وكونه ﷺ أوّل من اسلم لا يكاد يخفي على العاقل المتدرب بل هو ممّا يضرب به المثل من صدر الإسلام الى زماننا هذا وقد نسب اليه ﷺ انه قال:

صدّفته وجَميع الناس في بُهم

من الضّلالة والإشراك والنكّد

وفي هذا قال الشاعر:

وعَلَيَّ أَوَّلُ النَّاسِ إِهْتَدَى

بِهُدَى اللَّهِ وَصَلَّى وَإِذْ كَر

عَبَدَ اللَّهَ وَلَمْ يُشْرِكْ بِهِ

وَقُرَيْشِ أَهْلِ عُوْدٍ وَحَجْرٍ

والآخر:

أنتَ الإِمَامُ الَّذِي نَرْجُو بِطَاعَتِهِ

يَوْمَ النَّشُورِ مِنَ الرَّحْمَنِ غُفْرَاناً

أَوْضَحَتْ مِنْ دِينِنَا مَا كَانَ مُلْتَبِساً

جِزَاكَ رَبُّكَ عَنَّا فِيهِ إِحْسَاناً

نَفْسِي فِدَاءً لِخَيْرِ النَّاسِ كُلِّهِمْ

بَعْدَ النَّبِيِّ عَلِيِّ الْخَيْرِ مَوْلَانَا

أَخِي النَّبِيِّ وَمَوْلَى الْمُؤْمِنِينَ مَعاً

وَأَوَّلِ النَّاسِ تَصَدِيقاً وَإِيمَاناً

وَرَوَى فِي كِتَابِ الْغَمَّةِ عَنْ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ رضي الله عنه قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم

خَيْرُ الْأُمَّةِ بَعْدِي أَوْلَهُمَا إِسْلَاماً عَلِيٌّ ابْنُ أَبِي طَالِبٍ أَنْتَهَى « ج ١ ص ٨٧ »...

وَفِيهِ بِإِسْنَادِهِ أَنَّهُ صلى الله عليه وسلم قَالَ لِغَاطِمَةَ رضي الله عنها إِلا تَرْضَيْنِ أَنِّي زَوْجَتُكَ أَقْدَمُ أُمَّتِي

سِلْماً وَأَكْثَرُهُمْ عِلْماً وَأَعْظَمُهُمْ جِلْماً أَنْتَهَى « ص ٨٦ »...

وَنَقَلَ عَنِ الثَّعْلَبِيِّ أَنَّهُ قَالَ إِتَّفَقَتِ الْعُلَمَاءُ عَلَيَّ أَنَّ أَوَّلَ مَنْ آمَنَ بَعْدَ خَدِيجَةَ

مِنَ الذُّكُورِ بِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَلِيٌّ ابْنُ أَبِي طَالِبٍ وَهُوَ قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ وَجَابِرِ

ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيِّ وَزَيْدِ ابْنِ أَرْقَمٍ وَمُحَمَّدِ ابْنِ الْمُنْكَدَرِ وَرَبِيعَةَ الرَّايِ

وَأَبِي الْجَارُودِ الْمَدَنِيِّ أَنْتَهَى « ص ٨٦ »...

وَأَمَّا قَوْلُهُ صلى الله عليه وسلم لَمْ يَسْبِقْنِي إِلا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بِالصَّلَاةِ، فَفِيهِ تَصْرِيحٌ

بِكُونِهِ صلى الله عليه وسلم أَوَّلَ مَنْ صَلَّى مَعَهُ صلى الله عليه وسلم وَهَذَا إِيضاً مِمَّا لَا خِلَافَ فِيهِ لَدَى الْعَامَّةِ

وَالْخَاصَّةِ أَمَّا الْخَاصَّةُ فَمَعْلُومٌ وَأَمَّا الْعَامَّةُ فَتَذَكَّرُ بَعْضُ مَا وَرَدَ عَنْهُمْ...

كشفت الغُمة - عن حبة العرني قال سمعتُ علياً عليه السلام يقول انا اوّل من  
صَلَّيْتُ مع رَسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله ...

وروي عن ابن عباس انه قال لِعَلِّي اربع خِصال ليست لأحدٍ مِنَ النَّاسِ  
غيره هو اوّل عربي واعجَمي صَلَّيْتُ مع رسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وهو الَّذي كان لِواءه  
معه في كلِّ زَحْفٍ وهو الَّذي صَبِرَ معه يوم المِهراس انتهى....

وعن زيد ابن ارقم قال اوّل من صَلَّيْتُ مع النَّبِيِّ عَلِّي ابن ابي طالب انتهى...  
وعن ابي رافع - صَلَّيْتُ النَّبِيَّ اوّل يوم الأثنين وَصَلَّتْ خديجة آخر يوم  
الأثنين وَصَلَّيْتُ عَلِّي يوم الثلاثاء مِنَ العَدِّ وَصَلَّيْتُ مُسْتَخْفِيّاً قبل ان يُصَلِّيَ مع  
النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله سبع سنين واشهر انتهى..

وعن الخصائص للنطنزي عن عَلِّي قال قال رسول الله نزلت عَلَيَّ النبوة  
يوم الأثنين وَصَلَّيْتُ عَلِّيَ معي يوم الثلاثاء.....

وعنه في قوله تعالى: واركعوا مع الراكعين قال انما نزلت في النبي وَعَلِّي  
خاصة لأنهما اوّل مَنْ صَلَّيْتُ وَرَكَعَ انتهى...

ومن مُسند ابن حنبل عن عمرو ابن عبادة عن عبد الله قال سمعتُ عَلِّي  
ابن ابي طالب يقول انا عبد الله واخو رسول الله وانا الصديق الأكبر لا يقولها  
بعدي الا كاذب مفترٍ فلقد صَلَّيْتُ قبل الناس سبع سنين انتهى...

والاحاديث نقلناها عن كشف الغُمة «ج ١ ص ٨١ الى ٨٩»...

وروي في المناقب باسناده عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا  
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ <sup>(١)</sup> نَزَلَتْ في عَلِّي  
خاصة وهو اوّل مؤمنٍ واول مُصَلٍِّ بعد النبي...

تفسير السدي باسناده عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ  
تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ﴾ <sup>(٢)</sup> قال قاوّل من  
صَلَّيْتُ مع رسولِ اللهِ عَلِّي ابن ابي طالب انتهى...

تفسير القطان باسناده عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ (١)  
يعني مُحَمَّدًا يَدْتِرُ ثِيَابَهُ: ﴿قُمْ فَأَنْذِرْ﴾ (٢) أي فَصَلْ وادع عَلِيَّ ابن ابي طالب الى  
الصَّلَاةِ مَعَكَ ﴿وَرَبُّكَ فَكَبِيرٌ﴾ (٣) مِمَّا تَقُولُ عَبْدَةُ الْأَوْثَانِ...

تاريخ النبوي قال زيد ابن ارقم أول من صَلَّى مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَيَّ  
انتهى...

جامع الترمذي ومسنند ابي يعلي الموصلي عن انس وتاريخ الطبري عن  
جابر قالَا بُعِثَ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ الْأَثْنَيْنِ وَصَلَّى عَلَيَّ يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ انْتَهَى...  
وباسناده عن حبة العرني قال سمعتُ عَلِيًّا يَقُولُ اَنَا أَوَّلُ مَنْ صَلَّى مَعَ  
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ انْتَهَى...

وروي جماعة عن انس وابي ايوب وروي ابن شيروية في الفردوس عن  
جابر قال النَّبِيُّ ﷺ لَقَدْ صَلَّتُ الْمَلَائِكَةُ عَلَيَّ وَعَلَى عَلِيٍّ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ سَبْعِ  
سِنِينَ قَبْلَ النَّاسِ وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ يُصَلِّي وَلَا يُصَلِّي مَعَنَا غَيْرِنَا وَفِي رِوَايَةٍ لَمْ  
يُصَلِّ فِيهَا غَيْرِي وَغَيْرِهِ وَفِي رِوَايَةٍ لَمْ يُصَلِّ مَعِي رَجُلٌ غَيْرُهُ انْتَهَى « ص  
١١٢ الى ص ١٦ ج ٢٢ »...

اقول: الروايات من طرق العامة في الباب كثيرة وقد ذكر صاحب كتاب  
ينابيع المودة كثيراً منها وهو من اعيان العامة وكتب الفريقين مشحونة بها ايضاً  
وهو من المسلمات عند الكل والأشعار التي قيلت في الباب اكثر من ان  
تُحصى ويُعلم منها ان الموضوع في صدر الإسلام كان قطعياً.

صهر النبي وخير الناس كلهم  
صَلَّى الصَّلَاةَ مَعَ الْأَمِيِّ أَوْلَهُمْ  
وَأَخْرَجَ:

وَأَنَّ عَلِيًّا لَكُمْ مَفْخَرٌ  
أَمَّا أَنَّهُ ثَانِي الْعَابِدِينَ  
وَكُلٌّ مَن رَامَهُ بِالْفَخْرِ مَفْخُورٌ  
قَبْلَ الْعِبَادِ وَرَبُّ النَّاسِ مَكْفُورٌ  
يُشَبَّهُ بِالْأَسَدِ الْأَسْوَدِ  
بِمَكَّةَ وَاللَّهِ لَمْ يُعْبَدِ



ولآخر:

أَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ قَبْلَهُمْ حُجْبًا  
وهؤلاء ومن في حزب دينهم  
ولآخر:

وَوَحَّدَ اللَّهُ رَبَّ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ  
قوم صلواتهم للعود والحجر

بفضل الصلوة والتوحيد  
بركوع لده او بسجود

وكفاه بانه سبق الناس  
حجبا قبلهم كوامل سبعا  
ولآخر:

وأول من صلى خلفاً ووحداً  
فبرقن بثور او حراء مُصتعدا  
مع المصطفى مثني وان كان او حدا  
كوامل صلى قبل ان يتمردا

اليس علي كان اول مؤمن  
فما زال في سر يروح ويغتدي  
يُصلي ويدعو ربه فهما به  
سنتين ثلاثاً بعد خميس واشهرا  
ولآخر:

فَوَحَّدَ رَبَّهُ الْأَحَدَ الْعَلِيَّ  
سنتين تجرمت سبعا آسياً

أَلَمْ يُؤْتِ الْهُدَى وَالنَّاسَ حَبْرِي  
وصلى ثانياً في حال خوف  
ولآخر:

ثمانية من بعد سبع كوامل  
وتوحيده وهم مُشركونا  
ربنا احسن الخالقينا  
يُنَاجِي الْإِلَهَ لَهُ مُسْتَكِينَا  
على اهل فضلكم اجمعينا

وصلى ولم يُشرك سنيين واشهراً  
اما لا يرون اقام الصلاة  
ويشهد ان لا إله سوي  
سنيماً كوامل سبعا يبيت  
بذلك فَضَّلَهُ رَبَّنَا  
ولآخر:

وَإِخْوَتَهَا عَدِّي جَاهِدْنَا

وصلى القبلتين وآل تيم  
ولآخر:

أَصَابَ النَّبِيَّ وَلَمْ يَدْحَشْ  
على أنسه غير مُستوحش

أَلَمْ يَكْ لَمَّا دَعَاهُ الرَّسُولُ  
فَصَلَّى هَنِيئًا لَهُ الْقِبْلَتَيْنِ

ولآخر:

وَمَنْ وَحَدَّ اللَّهُ مِنْ قَبْلِهِمْ  
وَزَكَّى بِخَاتَمِهِ فِي الصَّلَاةِ  
لَقَدْ فَازَ مَنْ كَانَ مَوْلَى لَهُ  
وَخَابَ الَّذِي قَدِ يَعَادِيهِمْ  
ولآخر:

الا ان خير الناس بعد مُحَمَّدٍ  
وان عَلِيًّا خير مَنْ وَطِئَ الْحَصَا  
عَلِيٌّ وان لام العذُولِ وَقَنَدَا  
سوى الْمُصْطَفَى اعنى النَّبِيَّ مُحَمَّدًا  
ولآخر:

هما اسلما قبل الأنام وصلياً  
عَلِيٌّ وَصِيَّ الْمُصْطَفَى وابن عمّه  
اغارا لعمري في البلاد وانجد  
واول من صَلَّى وَوَحَّدَ فاعلم

والأشعار كثيرة والقضية بحمد الله واضحة غير مبهمه والذي يظهر من كلامه ﷺ في المقام هو انه لم يسبقه احد بالصلاة الا رسول الله ﷺ والأطلاق يقتضي ان لا تكون خديجة ايضاً سابقة عليه فيها وهو كذلك اذ لو كان كذلك لم يصح قوله ﷺ هذا وهو كما ترى مضافاً الى ان اكثر الأخبار الآما شد منها ونذر يدل على هذا المعنى واما بعض الأخبار الواردة من ان خديجة ﷺ صلت قبله فعامية لا يعبا بها وليس في اخبارنا الصحيحة ما يدل عليه واظن ان العامة ذكروا هذه الأخبار لثلاثا يقال انه ﷺ اول من صَلَّى مع النبي وليس لها سند يعتمد عليه بل انها من المجعولات الا ترى ان الأشعار التي قيلت في صدر الإسلام وقد ذكرنا شطراً منها ناصئة فيما ذكره وذكرناه وهذا لدى الخاصة ممالا ريب فيه ثم انه على فرض صحة هذه الأخبار فكلامه ﷺ في المقام يحمل على انه لم يسبقه غير رسول الله ﷺ بالصلاة من الرجال دون النساء وهذا القدر يكفي في إثبات الفضيلة مع ان الحق هو ما ذكرناه والحمد لله رب العالمين.

ثم انه ﷺ بعد ما بين شطراً من احوال المنافقين من اختلاف نفوسهم

وَتَشْتَت قُلُوبَهُمْ وَعَدَمَ قَابِلِيَّتِهِمْ لِإِقَامَةِ الْعَدْلِ فِيهِمْ وَأَنَّ مَا كَانَ مِنْهُ لَمْ يَكُنْ مُنَافَسَةً فِي سُلْطَانِ بَلِّ لِرِدِّ الْمَعَالِمِ إِلَى مَحَالِّهَا إِلَى آخِرِ مَا قَالَ ﷺ شَرَعَ فِي بَيَانِ أَوْصَافِ الْوَالِيِّ وَأَشَارَ إِلَى بَعْضِ الْأَوْصَافِ الَّذِي بِمَنْزِلَةِ الْأَصْلِ لغيرها مِمَّا لَمْ يَذْكُرْهُ وَحَاصِلُهُ أَنَّ الْوَالِيَّ لَا يَكُونُ بَخِيلًا وَلَا جَاهِلًا وَلَا حَافِيًا وَلَا حَائِفًا وَلَا مُرْتَشِيًا وَلَا مُعْطَلًا لِلسُّنَّةِ، فَأَشَارَ إِلَى الْأَوَّلِ وَاسْتَدَلَّ عَلَيْهِ بِقَوْلِهِ وَقَدْ عَلِمْتُمْ إِلَى قَوْلِهِ نَهْمَتُهُ وَالنَّيِّبُ الثَّانِي بِقَوْلِهِ وَلَا الْجَاهِلُ إِلَى قَوْلِهِ بِجَهْلِهِ، وَالنَّيِّبُ الثَّلَاثُ بِقَوْلِهِ وَلَا الْجَافِي إِلَى قَوْلِهِ بِجَفَائِهِ وَالنَّيِّبُ الرَّابِعُ بِقَوْلِهِ وَلَا الْحَائِفُ إِلَى قَوْلِهِ دُونَ قَوْمٍ وَالنَّيِّبُ الْخَامِسُ بِقَوْلِهِ وَلَا الْمُرْتَشِي إِلَى قَوْلِهِ دُونَ الْمَقَاطِعِ وَالنَّيِّبُ السَّادِسُ بِقَوْلِهِ وَلَا الْمُعْطَلُ لِلسُّنَّةِ.

ثم استدل على إثبات كل واحد منها على سبيل الإجمال ونحن نشرح ما فاده ﷺ في المقام على حسب ما يقتضيه المقال لكون الموضوع من أهم الموضوعات فنقول.

□ قوله ﷺ: وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الْوَالِيَّ عَلَى الْفُرُوجِ وَالِدِّمَاءِ وَالْمَغَانِمِ وَالْأَحْكَامِ وَإِمَامَةِ الْمُسْلِمِينَ الْبَخِيلُ ...

قال الراغب في المفردات البخل إمساك المقتنيات عما لا يحق حبسها عنه ويقابله الجود يقال بخل فهو باخل واما البخيل فالذي يكثر منه البخل كالرحيم من الراحم والبخل ضربان بخل بقنينات نفسه وبخل بقنينات غيره وهو اكثرهما ذمًا دليلنا على ذلك قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ﴾ (١) انتهى.

والمقصود ان الوالي اعني من يتولى أمور الناس لا بد له في أن يكون منزهاً عن الإتيان بالقبائح والرذائل الأخلاقية من البخل والحسد والكبر وامثالها والأصل فيه هو ان المعطي للشيء لا يكون فاقد له وحيث ان الوالي على الناس يامرهم بالصالح والسداد والإجتنب عن القبائح والفساد فحق له الإتيان بالصالح بما يامرهم به والإجتنب عما ينهاهم عنه والآ فيكون مصداقاً لقوله

تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾<sup>(١)</sup> ولا شك ان البخل من الرذائل بل اعظمها واقبحها فكيف يكون الوالي المتصف به واجداً لشرائط الولاية والإمامة وقد ذم الله تعالى البخيل في كتابه في آيات كثيرة. منها قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ يَبْخُلْ وَاسْتَغْنَى وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾<sup>(٢)</sup>

و: ﴿فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾<sup>(٣)</sup>

و: ﴿فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلْ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَنِ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ﴾<sup>(٤)</sup>

و: ﴿وَلَا يَخْسِبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرٌ لَّهُمْ﴾<sup>(٥)</sup>

و: ﴿الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾<sup>(٦)</sup>

و: ﴿الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾<sup>(٧)</sup>

ومن الأخبار - قال رسول الله ﷺ اياكم والشح فانه اهلك من كان قبلكم حملهم على ان يسفكوا دماهم واستحلوا محارمهم...

وقال ﷺ لا يدخل الجنة بخيل ولا خب ولا خائن ولا سئى الملكة انتهى...

وقال ﷺ - البخيل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة قريب من

النار وجاهل سخي احب الى الله من عابد بخيل وادوى الداء البخل انتهى)...

وقال ﷺ - الموبقات ثلاث، شح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء

بنفسه انتهى...

وقال ﷺ - ان الله يبغض الشئخ الزاني والبخيل المنان والميل المختال

انتهى...

٢- الليل - ١٠ = ٨

٤- محمد - ٢٨

٦- النساء - ٣٧

١- البقره - ٤٤

٢- التوبة - ٧٦

٥- آل عمران - ١٨٠

٧- الحديد - ٢٤

وقال ﷺ - أَيَاكُمْ وَالشُّحُّ فَاتَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِالشُّحِّ أَمَرَهُمْ بِالْكَذْبِ فَكَذَبُوا وَأَمَرَهُمْ بِالظُّلْمِ فَظَلَمُوا وَأَمَرَهُمْ بِالْقَطِيعَةِ فَقَطَعُوا أَنْتَهَى...  
 وقال ﷺ البُخْلُ شَجْرَةٌ تَنْبُتُ فِي النَّارِ فَلَا يُلْجُ النَّارَ إِلَّا بِخَيْلٍ أَنْتَهَى...  
 وقال ﷺ لَا يَنْبَغِي لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يَكُونَ بَخِيلًا وَلَا جَبَانًا أَنْتَهَى...  
 وقال ﷺ - خَصَلَتَانِ لَا تَجْتَمِعَانِ فِي مُؤْمِنٍ البُخْلُ وَسُوءُ الخُلُقِ أَنْتَهَى...  
 وقال ﷺ - الشُّحُّ وَالْأَيْمَانُ لَا يَجْتَمِعَانِ فِي قَلْبٍ وَاحِدٍ أَنْتَهَى...  
 وقال ﷺ - اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ البُخْلِ أَنْتَهَى...  
 وقال ﷺ - يَقُولُ قَائِلُكُمْ الشَّحِيحُ اعْذِرْ مِنَ الظَّالِمِ وَإِيَّيَّ ظَلَمَ أَظْلَمَ عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الشُّحِّ حَلَفَ اللَّهُ بِعِزَّتِهِ وَعَظَمَتِهِ وَجَلَالِهِ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ شَحِيحٌ وَلَا بَخِيلٌ أَنْتَهَى وَالْأَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ «جامع السَّعَادَاتِ ج ٢ ص ١٠٩ و ١١٠»...

وَأَمَّا خَصَّ ﷺ الوَالِي بِعَدَمِ البُخْلِ وَلَمْ يَذْكُرْ غَيْرَهُ مِنَ الصِّفَاتِ الخَبِيثَةِ مِنَ الظُّلْمِ وَالْكَذْبِ وَالخِيَانَةِ وَالْحِرْصِ وَغَيْرِهَا لِأَنَّ البُخْلَ اعْظَمَ مِنْهَا بَلْ هُوَ مَنْشَأُهَا وَمَصْدَرُهَا بِمَعْنَى أَنَّهَا تَدُورُ مَدَارَهُ وَجُوداً وَعَدَمًا، فَالْبَخِيلُ لَا مُحَالَةَ يَكُونُ ظَالِمًا وَإِيَّيَّ ظَلَمَ أَظْلَمَ مِنَ البُخْلِ كَمَا عَرَفْتَ مِنَ الْحَدِيثِ، وَيَكُونُ كَذَابًا أَيْضًا إِذَا سُئِلَ عَنْ شَيْءٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَغَيْرِهَا فَيَقُولُ لَيْسَ عِنْدِي شَيْءٌ مِثْلًا أَنْ كَانَ فِي الْمَالِ وَيَقُولُ لَا أَعْلَمُ أَنْ كَانَ فِي الْعِلْمِ وَيَقُولُ لَا أَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ أَنْ كَانَ فِي إِعَانَةِ الْمَظْلُومِ وَهَكَذَا.

وَيَكُونُ حَرِيصًا أَيْضًا، وَذَلِكَ وَاضِحٌ لِأَنَّ البُخْلَ لَا يَكُونُ إِلَّا عَنِ حِرْصٍ بِالْدُّنْيَا.

وَيَكُونُ خَائِنًا - لِأَنَّ أَصْلَ البُخْلِ هُوَ الْإِمْسَاكُ حَيْثُ يَنْبَغِي الْبَدْلُ وَهَلْ هَذَا إِلَّا الخِيَانَةُ فِي الْمَالِ حَيْثُ مَنَعَ أَهْلَهُ مِنْهُ - وَيَكُونُ جَبَانًا - لِكَوْنِهِ يَخَافُ مِنَ الْفَقْرِ وَهَكَذَا غَيْرُهَا مِنَ الصِّفَاتِ هَذَا فِي النَّاسِ وَأَمَّا الْوَلَاةُ وَالْحِكْمَامُ فَهُوَ فِيهِمْ اخْبَثُ وَأَشْنَعُ لِأَنَّ البُخْلَ مِنْهُمْ يُوجِبُ تَضْيِيعَ حَقُوقِ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ الَّذِينَ هُمْ تَحْتَ وَلَا يَتَّهَمُونَ وَأَمَّا البُخْلُ فِي أَحَادِ النَّاسِ فَلَيْسَ كَذَلِكَ لِأَنَّهُ يُوجِبُ تَضْيِيعَ حَقِّ الْفَرْدِ مِثْلًا مُضَافًا إِلَى أَنَّ النَّاسَ عَلَى دِينِ مُلُوكِهِمْ فَإِذَا كَانَ الْوَالِي بَخِيلًا حَرِيصًا عَلَى

جمع الأموال وإسّاكها عن المُستحقين فما ظنك بغيره اعاذنا الله منه والى  
هذه الثمرة الفاسدة اشار ﷺ بقوله:

□ قوله ﷺ: فَتَكُونُ فِي أَمْوَالِهِمْ نَهْمَتُهُ ...

الفاء للتفريع اي اذا كان الوالي بَخِيلاً فتكون في اموال الناس نَهْمَتُهُ وَوَلَعَهُ.  
النَهْمَةُ - بفتح التّون وسكّون الهاء وفتح الميم والتاء في آخرها مصدر من  
نَهَمَ يَنْهَمُ نَهْمًا والتاء للدلالة على المَرّة واصل النّهم الحاجة ومعناها بلوغ الهِمّة  
والشّهوة في الشّيء لقضاء حاجته، يقال له في هذا الأمر نَهْمَةُ اي شَهْوَةٌ، قُضِيَ  
منه نَهْمَتُهُ اي شَهْوَتُهُ.

وعليه فالمعنى انّ الوالي اذا كان بَخِيلاً حَرِيصاً على الدّنيا فهو يَعْرِفُ هِمَّتَهُ  
في الوُصُولِ الى ما يَشْتَهِيهِ من اموال النّاس لياخذها عنهم فهو لا يَشْبَعُ ابداً كما  
في الحديث (منهُومان لا يَشْبَعانِ طالب المال وطالب العلم، والأوّل مذموم  
والثّاني ممدوح)...

□ قوله ﷺ: وَلَا الْجَاهِلُ فَيُضِلُّهُمْ بِجَهْلِهِ ...

الواو للعطف على ما سبق اي ولا يكون الوالي على النّاس جاهلاً فَيُضِلُّ  
النّاس عن طريق الهدى بجهله وتوضيحه - انّ الجهل ضدّ العلم فاذا كان  
الوالي جاهلاً بالأحكام يَحْكُمُ فيهم بجهله ويَجْرِيه لكونه قادراً على إجرائه  
وحيث انّ الحكم لا يكون صحيحاً كما هو المفروض فيلزم منه سَوْقُ النّاس  
الى الباطل وهو الضّلالة.

□ قوله ﷺ: وَلَا الْجَافِي فَيَقْطَعُهُمْ بِجَفَائِهِ ...

قال في المُنجد، الجافي الغليظ، جافي الخلق غليظ العشرة ج جناة انتهى.  
والوجه فيه ايضاً واضح فانّ الجافي يقطع النّاس بجفائه وانقباضه عن  
الوُصُولِ اليه او عن قضاء حوائجهم وهو يُوجِبُ تفريق النّاس وتشتتهم والى  
هذا المعنى أُشير في الكتاب العزيز حيث قال مخاطباً لنبيه (لو كُنْتَ فَظًّا غليظ  
القلب لأنقَضُوا من حَوْلِكَ) والآيات والأخبار في ذمّ سَيِّ الخلق كثيرة.

قال بعض علماء الأخلاق هو من نتائج الغضب كما أنّ حُسن الخلق من نتائج الحلم ولا ريب في أنّ سوء الخلق ممّا يُبْعِد صاحبه عن الخالق والخلق والتجربة شاهدة بأنّ الطّباع مُتَنَفِّرة عن كلّ سَيِّئ الخلق وهو دائماً يكون أضحوكة للنّاس ولا يَنفَك لحظة عن الحزن والألم ولذا قال الصّادق عليه السلام: من ساء خُلقه عذّب نفسه، هذا كلّهُ مع سُوء عاقبته في الآخرة وإدائه الى العذاب الأبدي ولذا ورد به الدّم الشّدِيد من الشّريعة.

قال رسول الله ﷺ - لَمَّا خَلَقَ اللهُ الإِيْمَانَ قال اللهُ قَوْنِي فَقَوَاهُ بِحُسْنِ الخُلُقِ والسَّخَاءِ وَلَمَّا خَلَقَ اللهُ الكُفْرَ قال اللهُ الكُفْرَ قال اللهُ قَوْنِي فَقَوَاهُ بِالْبُخْلِ وَسُوءِ الخُلُقِ انتهى...

ورُوي أنّه قيل له ﷺ انّ فلانة تَصُومُ النّهار وتَقُومُ اللّيل وهى سَيِّئَةُ الخُلُقِ تُؤْذِي جيرانها بِلِسَانِها قال ﷺ لا خير فيها هي مِن اهل النار انتهى... وقال ﷺ - سُوءُ الخُلُقِ يُفْسِدُ العَمَلَ كما يُفْسِدُ الحُلَّ العَسَلَ انتهى...

وقال ﷺ - انّ العبد يَبْلُغُ مِن سُوءِ خُلُقِهِ اسْفَلَ دَرَكٍ جَهَنَّمَ انتهى...

وقال ﷺ - اَبْنَى اللهُ لِصاحبِ الخُلُقِ السَّيِّئِ بِالتَّوْبَةِ قِيلَ فكيف ذاك يا

رَسُولَ اللهِ قال ﷺ لِأَنَّهُ اِذَا تَابَ مِنْ ذَنْبٍ وَقَعَ فِي ذَنْبٍ اعْظَمَ مِنْهُ انتهى...

وقال ﷺ - سُوءُ الخُلُقِ ذَنْبٌ لا يُغْفَرُ انتهى...

وقال الصّادق عليه السلام - اِذَا خَلَقَ اللهُ العَبْدَ فِي اصْلِ الخُلُقِ كَافِراً لَمْ يَمُتْ حَتّى

يُحِبِّبَ اللهُ اليه الشَّرَّ فيقرب منه فابتلاه بِالكِبَرِ والجَبَرُوتِ فَقَسَى قَلْبَهُ وساء

خُلُقُهُ وغلظ وجهه وظهر فحشهُ وَقَلَّ حياؤُهُ وَكَشَفَ اللهُ تَعَالَى سِرَّهُ وَرَكِبَ

المحارم وَلَمْ يَنْزِعْ عَنْها ثُمَّ رَكِبَ مَعْاصِيَ اللهِ وَاَبْغَضَ طاعته وَوَثَبَ عَلَيَّ

النّاسَ لا يَشْبَعُ مِنَ الخُصُومَاتِ فاسالوا اللهُ العافية واطلبوها مِنْهُ انتهى...

وقال بعض الأكابر لأنّ يَصحِبَنِي فَاجِرٌ حَسَنَ الخُلُقِ احبّ إِلَيَّ مِنْ ان

يَصحِبَنِي عابِدٌ سَيِّئَ الخُلُقِ انتهى «جامع السّعادات ج - ١ ص ٣٠٨»...

□ قوله عليه السلام: وَلَا الحَائِفُ لِلدُّوَلِ فَيَتَّخِذُ قَوْمًا دُونَ قَوْمٍ ...

قال الخوئي في شرح العبارة، اي الجائر للأموال والظالم في تقسيمها بان لا يُقسّمها بالسوية بل يُرجح بعضهم على بعض انتهى.

قال في المنجد، حاف حيفاً عليه اي جارّ عليه وظلمه فهو حائف ح حيف وحيف وحافة انتهى - وقال، الدولة مصدر، والدولة ما يتداول فيكون مرّة لهذا ومرّة لذلك فتطلق على المال والغلبة والدولة عند ارباب السياسة تطلق على الملك ووزارته ج دول ودؤل انتهى.

اذا عرفت هذا فنقول قوله عليه السلام: للدول يمكن ان يُقرأ بفتح الدال وكسر الواو وبضم الدال وفتح الواو وعلى التقديرين يمكن ان تكون جمع دولة بضم الدال وسكون الواو وان تكون جمع دولة بفتح الدال وسكون الواو.

**فعلى الأول:** معنى العبارة انّ الوالي ينبغي ان لا يكون حائفاً وظالماً لما يتداول بين الناس مرّة لهذا ومرّة لهذا وعليه فالمقصود ممّا يتداول بينهم هو الملك او المال فانّ كليهما لا بقاء لهما وما لابقاء له لا يُعنى به فضلاً عن الظلم فيه .

**وعلى الثاني:** معنى العبارة عدم الظلم في الحكومة فقط واما قوله عليه السلام: فَيَتَّخِذُ قَوْمًا دُونَ قَوْمٍ فعلى الأول المراد به ان لا يتخذ بعض الناس دون بعض اي لا يكون المال او الإمارة لبعض دون بعض بان يقسم الأموال في طائفة دون طائفة او أمر على الناس قوماً دون قوم من اقربائه واعوانه وبعبارة أخرى الوالي ينبغي ان يكون عادلاً في ولايته في جميع الشؤون وينظر الى الناس بعين واحدة.

**وعلى الثاني:** فواضح ايضاً ومعناه ان لا يتخذ اقربائه وانصاره على الباطل ووزراء دون غيرهم.

وكيف كان افاد عليه السلام في المقام التساوي بين الناس في الحقوق المالية والاجتماعية لئلا يكون مضيعاً لحقوقهم وهذا لا يتحقق الا بكونه عادلاً غير ظالم ففيه إشارة الى انّ الوالي على المسلمين يجب ان يكون عادلاً والآيات



والأخبار في مدح العدالة وذم الظلم أكثر من ان تُحصى أما الآيات فواضحة.  
ومن الأخبار:

ما رواه في البحار بإسناده عن جعفر عن ابيه قال قال رسول الله ﷺ  
صَنَفَانِ مِنْ أُمَّتِي إِذَا صَلَحَا صَلَحَتْ أُمَّتِي وَإِذَا فَسَدَا فَسَدَتْ أُمَّتِي قِيلَ  
يَارَسُولَ اللَّهِ مَنْ هُمَا قَالَ ﷺ الْفُقَهَاءُ وَالْأَمْرَاءُ انْتَهَى «ج ١٥ ص ٢٠٩ ط  
كمباني»...

وما رواه أيضاً قال رسول الله ﷺ رَجُلَانِ لَا تَنَالُهُمَا شَفَاعَتِي صَاحِبِ  
سُلْطَانٍ عَسُوفٍ عَشُومٍ وَغَالٍ فِي الدِّينِ مَارِقٍ انْتَهَى «ص ٢٠٩»...

وما رواه بإسناده عن ابي عبد الله عليه السلام قال ثلاثة يُدْخِلُهُمُ اللَّهُ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ  
حِسَابٍ وَثَلَاثَةٌ يُدْخِلُهُمُ النَّارَ بِغَيْرِ حِسَابٍ فَأَمَّا الَّذِينَ يُدْخِلُهُمُ اللَّهُ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ  
حِسَابٍ فَأِمَامٌ عَادِلٌ وَتَاجِرٌ صَدُوقٌ وَشَيْخٌ أَفْنَى عُمُرِهِ فِي طَاعَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ  
وَأَمَّا الثَّلَاثَةُ الَّذِينَ يُدْخِلُهُمُ اللَّهُ النَّارَ بِغَيْرِ حِسَابٍ فَأِمَامٌ جَائِرٌ وَتَاجِرٌ كَذُوبٌ  
وَشَيْخٌ زَانٌ انْتَهَى «ص ٢٠٩»...

وما رواه عن الامالي في مناهي النبي قال ﷺ الْآوْمِنُ تَوَلَّى عَرَافَةَ قَوْمٍ  
حَبَسَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى شَفِيرِ جَهَنَّمَ بِكُلِّ يَوْمٍ أَلْفَ سَيِّئَةٍ وَحُسْبِيرٍ يَوْمَ الْقِيَمَةِ  
وَيَدَاهُ مَغْلُولَتَانِ إِلَى عُنُقِهِ فَإِنْ قَامَ فِيهِمْ بِأَمْرِ اللَّهِ أَطْلَقَهُ اللَّهُ وَإِنْ كَانَ ظَالِمًا  
هَوِيَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ انْتَهَى «ص ٢١١»...

وما رواه عن ابي عبد الله عليه السلام قال وَمَنْ وَالَى شَيْئًا مِنْ أُمُورِ الْمُسْلِمِينَ  
فَضَيَّعَهُمْ ضَيَّعَهُ اللَّهُ انْتَهَى «ص ٢١١»...

وما رواه بإسناده عن الباقر عليه السلام قال قال رسول الله ﷺ ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ  
اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ - شَيْخُ زَانَ وَمَلِكُ  
جَبَّارٍ وَمُصَلِّ مُخْتَالٍ انْتَهَى «ص ٢١١»...

وبإسناده عن انس قال سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ مَنْ وَلَّى عَشْرَةَ فَلَمْ  
يَعْدِلْ فِيهِمْ جَاءَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَيَدَاهُ وَرِجْلَاهُ وَرَأْسُهُ فِي ثَقْبٍ فَاسٍ انْتَهَى «ص  
٢١١»...

وباسناده عن ابي عبد الله عليه السلام قال عليه السلام ان الله عز وجل اوصى الى نبي من الأنبياء في مملكة جبار من الجبابرة ان اتت هذا الجبار فقل له اني لم استعملك على سفك الدماء واتخاذ الأموال وانما استخلفتك لتكف عني اصوات المظلومين فاني لن ادع ظلامتهم وان كانوا كفاراً انتهى «ص ٢١١»...

وباسناده عن ابي جعفر قال عليه السلام ان في جهنم لجبالاً يقال له الصعداء وان في الصعداء لوادٍ يقال له سقر وان في سقر لجباً يقال له هتهب كلما كشف غطاء ذلك الجب ضج اهل النار من حره وذلك منازل الجبارين انتهى «ص ٢١١»...

□ قوله عليه السلام: وَلَا الْمُرْتَشِي فِي الْحُكْمِ فَيَذْهَبَ بِالْحُقُوقِ وَيَقِفَ بِهَا دُونَ الْمَقَاطِعِ ...

اي وقد علمتم انه لا ينبغي ان يكون الوالي مرتشي في الحكم فان الرشوة توجب تضييع الحقوق وعدم وقوفها على المقاطع المقررة في الشرع بل تقف دونها.

المرتشي اسم فاعل من الارتشاء وهو ماخوذ من الرشوة والتاء في الاستفعال للطلب وعليه فالمرتشي من يطلب الرشوة عن الراشي وقد يقال ان التاء للقبول وعليه فالمعنى من يقبل الرشوة.

قال في المنجد - الرشوة والرشوة والرشوة ما يعطى لابطال حق او احقاق باطل انتهى.

وقال في المجمع الراشي يعني المعطي للرشوة والآنخذ لها والساعي بينها يزيد لهذا وينقص لهذا وهو الراشي، والرشوة بالكسر ما يعطيه الشخص لحاكم وغيره ليحكم له او يحمله على ما يريد والجمع رشي مثل سدره وسدر والضم لغة واصلها من الرشاء وهو الحبل الذي يتوصل به الى الماء وجمعه ارشية ككساء واكسية، وقيل من رشا الفرح اذا مد عنقه الى أمه لترفه والرشوة قلما تستعمل الا فيما يتوصل به الى ابطال حق او تمشية باطل ورسوته رشوة من باب قتل اعطيته رشوة وارتشي اخذ الرشوة واسترشي في حكمة طلب

عليه الرّشوة والرّشاء مهمّوزاً ولد الظّبيّة اذا تحرك ومشّى وهو الغزال والجمع أرشاء كسبب وأسباب انتهى.

ثمّ أعلم أنّ الرّشوة من المحرّمات القطعيّة التي لا خلاف فيها لدى المسلمين من العامّة والخاصّة وذلك لأنّها من اخذ المال بالباطل واكله كذلك وقد نهى الله عنه في كتابه حيث قال: قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ ﴾ (١)

و: ﴿ وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ ﴾ (٢)

و: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتَذُلُّوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٣)

قال الطّبرسي رحمه الله اي لا ياكل بعضكم مال بعض بالغصب والظلم والوجوه التي لا تحل انتهى.

وحيث أنّ كلامه عليه السلام في المقام ناظر الى الرّشوة في الحكم فلا باس بالإشارة الى بعض ما ورد فيها من الأخبار:

روى في الوسائل باسناده عن سماعة عن ابي عبد الله عليه السلام قال الرّشاء في الحكم هو الكفر بالله تعالى انتهى...

وباسناده عن يزيد ابن فرقد قال سئلت ابا عبد الله عن النّجس فقال عليه السلام هو الرّشاء في الحكم انتهى...

وباسناده عن ابي عبد الله عليه السلام أنّه قال من اكل السّحت الرّشوة في الحكم انتهى...

وباسناده عنه عليه السلام قال واما الرّشاء في الحكم فهو الكفر بالله انتهى «ج ٣ كتاب القضاء»...

وباسناده في المستدرک عن ابي جعفر أنّه قال من اكل السّحت الرّشوة في الحكم قيل يا بن رسول الله وان حكّم بالحقّ قال عليه السلام وان حكّم بالحقّ فاما

٢- النساء - ١٦١

١- النساء - ٢٩

٣- البقرة - ١٨٨

الحكم بالباطل فهو كُفْرٌ كما قال الله تعالى: ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ (١)

وباسناده عن ابي عبد الله عليه السلام انه قال من اكل السُّحْتِ سَبَقَهُ الرِّشْوَةُ فِي الْحُكْمِ الْخَبِرُ عليه السلام - (وباسناده عن النبي صلى الله عليه وآله قال لَعَنَ اللَّهُ الرَّاشِيَّ وَالْمُرْتَشِيَّ وَمَا بَيْنَهُمَا يَمْشِيَّ اَنْتَهَى «ج ٣ كتاب القضاء»... وعن النبي صلى الله عليه وآله انه قال الرَّاشِيَّ وَالْمُرْتَشِيَّ كِلَاهُمَا فِي النَّارِ اَنْتَهَى... وَالْاَخْبَارُ كَثِيرَةٌ...

□ قوله عليه السلام: وَلَا اِلَّ مُعْطَلٌ لِلسُّنَّةِ فَيُهْلِكُ الْاُمَّةَ... □

اي لا ينبغي ان يكون مُعْطَلًا لِلسُّنَّةِ ايضاً والمُرَادُ بِهَا الطَّرِيقَةُ الشَّرْعِيَّةُ النَّبَوِيَّةُ وَبِتَعْطِيلِهَا تَرْكُ الْاِخْذِ بِهَا مَطْلَقاً اَوْ عَدَمُ اجْرَاءِ حُدُودِهَا وَقِصَاصِهَا عَلَيَّ مَا يَنْبَغِي وَفِي قَوْلِهِ عليه السلام: فَيُهْلِكُ الْاُمَّةَ اِشْعَارُ بَانَ تَعْطِيلِ السُّنَّةِ، يُوجِبُ هَلَاكَ الْاُمَّةِ وَالْوَجْهُ فِيهِ هُوَ اَنْ فِي تَعْطِيلِهَا يَصِيرُ الْمُنْكَرُ رَاجِحاً وَالْمَعْرُوفُ مَتْرُوكاً بَلْ يَصِيرُ الْمُنْكَرُ مَعْرُوفاً وَالْمَعْرُوفُ مُنْكَراً وَلَاشِكْ اَنْ فِيهِ هَلَاكُ الْاُمَّةِ مِنْ حَيْثُ الدِّينُ وَالدُّنْيَا. اَمَّا الدِّينُ فَمَعْلُومٌ ضَرُورَةٌ اَنْ الدِّينَ لَيْسَ اِلَّا الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ وَتَعْطِيلُ السُّنَّةِ مَلَاذِمٌ لِتَعْطِيلِ الْكِتَابِ اِذِ الْكِتَابُ بِدُونِ السُّنَّةِ لَا اَثَرَ لَهُ لِأَنَّ السُّنَّةَ فِي الْحَقِيقَةِ مَاخُودَةٌ مِنْهُ فَتَرْكُهَا تَرْكُهُ.

وامَّا الدُّنْيَا فَلَا تَعْطِيلُهَا مُوجِبٌ لِتَبْرُوزِ الْهَرَجِ وَالْمَرْجِ وَاِشَاعَةِ الْفَحْشَاءِ وَلَا شَكَّ فِي كَوْنِهِ مُوجِباً لِفَسَادِ الدُّنْيَا فَإِنَّ فِسَادَهَا بِفَسَادِ اَهْلِهَا خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ ذَلِكَ هُوَ الْخَسِرَانُ الْمُبِينُ.

تنبيهة - ذكر الشَّارِحُ الْمُعْتَزَلِيُّ فِي الْمَقَامِ مَا حَاصِلُهُ اَنْ اَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ اَمَّا قَالَ مَا قَالَ تَقْرِيراً لِقَاعِدَةِ الْاِمَامَةِ وَاِنَّهُ لَا يَجُوزُ اَنْ يَلِيَهَا الْفَاسِقُ وَاِنَّهُ لَا يَبْدَأُ لِلْاِمَامِ مِنْ صِفَاتٍ مَخْصُوصَةٍ عَدَّدَهَا عليه السلام وَنَحْنُ نَنْقُلُ مَا ذَكَرَهُ بِالْفَاظِ وَعِبَارَاتِهِ ثُمَّ نَقُولُ مَا هُوَ الْحَقُّ عِنْدَنَا قَالَ:

فَانْ قَلْتُ - اَيَّ وَجْهِ لِدَاخَالِ هَذَا الْكَلَامِ فِي عُضْوُونِ مَقْصَدِهِ فِي هَذِهِ الْخُطْبَةِ

فإنها مَبْنِيَّةٌ عَلَى ذَمِّ اصْحَابِهِ وَتَقْرِيرِ قَاعِدَةِ الْإِمَامَةِ وَأَنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ يَلِيَهَا الْفَاسِقُ وَأَنَّهُ لَا يَبْدَأُ لِلْإِمَامِ مِنْ صِفَاتٍ مَخْصُوصَةٍ عَدَدُهَا وَكُلٌّ هَذَا لَا تَعْلُقُ لِسَبْقِهِ إِلَى الْإِسْلَامِ بِهِ قَلْتُ بَلِ الْكَلَامُ مُتَعَلِّقٌ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ مِنْ وَجْهَيْنِ.

أحدهما: أَنَّهُ لَمَّا قَالَ اللَّهُمَّ أَنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي مَا سَأَلْتُ السَّيْفَ طَلِباً لِلْمَلِكِ أَرَادَ أَنْ يُؤَكِّدَ هَذَا الْقَوْلَ فِي نَفْسِ السَّامِعِينَ فَقَالَ ﷺ أَنَا أَوَّلُ مَنْ اسْلَمَ وَلَمْ يَكُنِ الْإِسْلَامَ حَتَّى مَعْرُوفاً أَصْلاً وَمَنْ يَكُونُ إِسْلَامُهُ هَكَذَا لَا يَكُونُ قَدْ قَصِدَ بِإِسْلَامِهِ إِلَّا وَجْهَ اللَّهِ تَعَالَى وَالْقَرَبَةَ إِلَيْهِ فَمَنْ يَكُونُ هَذِهِ حَالُهُ فِي مَبْدَأِ أَمْرِهِ كَيْفَ يَخْطُرُ بِبَالٍ عَاقِلٍ أَنَّهُ يَطْلُبُ الدُّنْيَا وَحَطَامَتَهَا وَيُجْرِدُ عَلَيْهَا السَّيْفَ فِي آخِرِ عُمُرِهِ وَوَقْتُ انْقِضَاءِ مَدَّةِ عُمُرِهِ.

**الوجه الثاني:** أَنَّهُ إِذَا كَانَ أَوَّلُ السَّابِقِينَ وَجِبَ أَنْ يَكُونَ أَقْرَبَ الْمُقْرَبِينَ لِأَنَّهُ تَعَالَى قَالَ: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾<sup>(١)</sup> الْإِتْرَى أَنَّهُ إِذَا قَالَ الْمَلِكُ الْعَالِمُونَ الْعَامِلُونَ هُمْ الْمُخْتَصُّونَ بِنَا وَجِبَ أَنْ يَكُونَ أَعْلَمَهُمْ أَشَدَّهُمْ بِهِ إِخْتِصَاصاً وَإِذَا كَانَ ﷺ أَقْرَبَ الْمُقْرَبِينَ وَجِبَ أَنْ يُنْتَفَى عَنْهُ الْمَوَانِعُ السِّتَّةُ الَّتِي جَعَلَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا صَادِقاً عَنِ الْإِمَامَةِ وَقَاطِعاً عَنِ اسْتِحْقَاقِهَا.

وهي البخل والجَهْلُ والجَفَاءُ أَي الغِلْظَةُ والعَصْبِيَّةُ فِي دَوْلَتِهِ أَي تَقْدِيمُ قَوْمٍ عَلَى قَوْمٍ وَالْإِرْتِشَاءُ فِي الْحُكْمِ وَالتَّعْطِيلُ لِلسِّتَّةِ وَإِذَا انْتَفَتْ عَنْ هَذِهِ الْمَوَانِعِ السِّتَّةِ يَكُونُ هُوَ الْإِمَامَ لِأَنَّ شُرُوطَ الْإِمَامَةِ مَوْجُودَةٌ فِيهِ بِالْإِتْفَاقِ وَإِذَا كَانَتْ مَوَانِعُهَا عَنْهُ مُنْتَفِيَةً وَلَمْ يَحْصُلْ لغيره إِجْتِمَاعُ الشُّرُوطِ وَإِرْتِفَاعُ الْمَوَانِعِ وَجِبَ أَنْ يَكُونَ هُوَ الْإِمَامَ لِأَنَّهُ لَا يَجُوزُ خُلُوعُ الْعَصْرِ مِنْ إِمَامٍ سِوَاءِ كَانَتْ هَذِهِ الْقَضِيَّةُ عَقْلِيَّةً أَوْ سَمْعِيَّةً.

قال - فان قلت إفتراه عنى بهذا قوماً دون قوم باعياهم، قلت الإمامية تزعم أنه رمز في الجفاء والعصبية لقوم دون قوم إلى عمرو رمز بالجهل إلى من كان قبله ورمز بتعطيل السنة إلى عثمان ومعاوية وأما نحن فنقول أنه لم يعن ذلك وإنما قال قولاً كلياً غير مخصوص وهذا هو اللائق بشرفه وقول الإمامية دعوى

لادليل عليها ولا يَعدَم كلِّ احدٍ ان يَستنبط من كلِّ كلامٍ ما يوافق غرضه وان  
غمض ولا يجوز ان تُبنى العقائد على مثل هذه الإستنباطات الدَّقِيقة انتهى  
ما ذكره.

قال الخوئي رحمته الله بعد نقله بعض ما نقلناه ما هذا لفظه.

اما ان في كلامه رمزاً وإشارةً الى مَنْ ذَكَرَ فهو ممّا لا غبار عليه واما ان فيه  
دلالة عليه فلم تدعه الإمامية حتى يناقش فيه او يعترض عليهم والإشارة غير  
الدلالة واما إستبعاد ذلك بعدم لياقته بشرفه عليه السلام ومُنافاتِه لسُودده ففيه ان شرافته  
مقتضية للإرشاد على الهدى والتبينة على ضلال قادة الردي وهفوة من إتبعهم  
واذعن بخلافتهم من اهل العصبية والهوى لأنه من باب الأمر بالمعروف  
والنهي عن المنكر المناسب لشان الإمام ووظيفته انتهى. ثم إستدل عليه السلام على  
مدعاه ببعض الفقرات الواردة في الخطبة الشَّقشقية الدالة على كون عُمر  
مَوْصُوفاً بالفظاظة والغِلظة والجَهل بالأحكام وعلى كون عثمان بخيلاً ان شئت  
فراجعها.

اقول: اما مقاله المعتزلي من انه عليه السلام لم يعن ذلك واما قال قولاً كلياً غير  
مخصوص وهذا هو اللائق بشرفه عليه السلام وقول الإمامية لا دليل عليه ففيه.  
اما أولاً: ما الدليل على انه عليه السلام لم يعن ذلك وقد ثبت كونه مظلوماً مقهوراً  
بعد النبي وهذا ظاهر.

وثانياً: ما الدليل على انه لم يكن لائقاً بشرفه مع ان فيه إظهار الحق وردع  
الباطل ثم نسال عن المعتزلي ونقول له ان كان هذا غير لائق بشرفه فلا محالة  
يكون اللائق به هو السكوت او كتمان الحق وإظهار الباطل بلسانه وكلاهما  
لا يناسبان شانه وشرفه عليه السلام وكيف وقد قال الله تعالى في كتابه: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ  
الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعاً عَلِيماً﴾<sup>(١)</sup>  
وقال النبي صلى الله عليه وآله في ذم كتمان الحق - اذا ظهرت البدع فعلى العالم ان

يُظهِرِ عِلْمَهُ وَالْأَفْعَلِيهِ لَعْنَةَ اللَّهِ وَحَيْثُ أَنَّهُ ﷺ كَانَ مَظْلُومًا وَعَالِمًا فَقَالَ ﷺ  
مَاقَالَ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ (وَأَمَّا قَالَ قَوْلًا كَلِيمًا) فَنَحْنُ لَانْكِرُهُ بَلْ نُصَدِّقُهُ إِلَّا أَنْ هَذَا لَا يَنَافِي  
قَصْدَهُ وَذَلِكَ لِأَنَّهُمْ أَعْنَى الْخُلَفَاءِ الثَّلَاثَةِ قَبْلَهُ ﷺ كَانُوا مِنْ أَعْظَمِ مُصَادِقِ الْكَلِمَى  
لِكَوْنِهِمْ مُؤَسِّسِينَ لِأَسَاسِ الظُّلْمِ وَالْجَوْرِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الرِّذَائِلِ فِي الْحُكُومَةِ  
الْإِسْلَامِيَّةِ وَقَدْ ثَبَتَ أَنَّ الْكَلَامَ دَائِمًا يَنْظُرُ إِلَى مُصَادِقِهِ الْأَكْمَلِ أَوَّلًا وَإِلَى غَيْرِهَا  
ثَانِيًا وَأَمَّا قَوْلُنَا أَنَّهُمْ كَانُوا مِنْ أَكْمَلِ الْمَصَادِقِ لِأَنَّهُمْ اسْتَسُوا هَذَا الْأَسَاسَ فِي  
الدِّينِ وَهَذَا مِمَّا لَا يَنْكِرُهُ إِلَّا الْمُعَانِدُ الْمُتَعَصِّبُ وَذَلِكَ لِأَنَّا لَانْشُكُ فِي وَجُودِ  
الصِّفَاتِ الْمَذْكُورَةِ فِي الْحُكَامِ وَالْأَمْرَاءِ فِي زَمَانِنَا هَذَا فِي جَمِيعِ الْمَمَالِكِ  
الْإِسْلَامِيَّةِ مِنْ غَيْرِ إِسْتِثْنَاءٍ فِيهِمْ ثُمَّ هَذِهِ الرِّذَائِلُ لَا يَخْلُو حَالُهَا أَمَا أَنْ تَكُونَ مِنْ  
الْإِسْلَامِ أَوْ تَكُونَ خَارِجَةً عَنْهُ لَا سَبِيلَ إِلَى الْإِحْتِمَالِ الْأَوَّلِ بِالضَّرُورَةِ مِنَ الدِّينِ  
فَلَا مَحَالَةَ تَكُونَ خَارِجَةً عَنْهُ وَعَلَيْهِ فَالْمَوْجِدُ لَهَا فِي الْحُكُومَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ هُوَ  
نَفْسُ الْحَاكِمِ فِي كُلِّ عَصْرٍِ وَزَمَانٍ بَخُبْتُ ذَاتَهُ وَسُوءَ سَرِيرَتِهِ حَتَّى إِتْنَهَتْ إِلَى  
زَمَانِنَا هَذَا بِالْوَرَاثَةِ وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْمُؤَسِّسَ الْأَصْلِيَّ لِهَذِهِ الْحُكُومَةِ أَعْنَى الرَّسُولِ  
ﷺ كَانَ مُبْرَأً عَنْهَا غَيْرَ مُتَّصِفٍ بِهَا وَإِلَّا لَمْ يَكُنْ جَدِيرًا بِالْحُكُومَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ  
فَضْلًا عَنِ الرِّسَالَةِ الْإِلَهِيَّةِ وَأَوْلَادِهِ أَيْضًا كَذَلِكَ فَانَّهُمْ مُضَافًا إِلَى بَرَائَتِهِمْ عَنْهَا  
بذَوَاتِهِمْ الْمُقَدَّسَةَ لَمْ يَكُونُوا مِنَ الْوَلَاةِ وَالْحُكَامِ الظَّاهِرِيَّةِ بَلْ كَانُوا مَظْلُومِينَ  
مَقْتُولِينَ مَقْتُولِينَ فِي كُلِّ عَهْدٍ وَزَمَانٍ وَأَمَّا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ﷺ وَإِنْ تَصَدَّقُوا لِأَمْرِ  
الْخِلَافَةِ بُرْهَةً مِنَ الزَّمَانِ إِلَّا أَنَّهُ ﷺ أَيْضًا كَانَ كغَيْرِهِ مِنَ الْمُعْصُومِينَ فِي عَدَمِ  
بَسْطِ الْيَدِ وَإِجْرَاءِ الْأَحْكَامِ عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ بِشَهَادَةِ التَّوَارِيخِ بَلْ بَنَصَ كَلِمَاتِهِ فِي  
نَهْجِ الْبَلَاغَةِ وَغَيْرِهِ مِنَ الْأَخْبَارِ الْوَارِدَةِ عَنْهُ ﷺ كَيْفَ وَهُوَ الَّذِي قَالَ غَيْرَ مَرَّةٍ فِي  
وَلَايَتِهِ وَحُكُومَتِهِ لَا أَمْرَ لِمَنْ لَا يُطَاعُ وَعَلَيْهِ فَالرَّسُولُ وَأَوْلَادُهُ وَأَهْلُ بَيْتِهِ بَرِيئُونَ  
مِنْهَا إِذَا عَرَفْتَ هَذَا فَنَقُولُ:

مَنْ الْمُؤَسِّسُ لِهَذَا الْأَسَاسِ الشَّنِيعِ بَعْدَ مَوْتِ الرَّسُولِ فِي الْحُكُومَةِ إِلَّا أَبُو  
بَكْرٍ ثُمَّ بَعْدَهُ عُمَرُ ثُمَّ بَعْدَهُ عَثْمَانُ وَهَلُمَّ جَرًّا بَلِ الْمُجْرِمِينَ الْوَاقِعِيِّينَ وَالْمُبْدَعِينَ

الحقيقتين هو هذه الثلاثة لا غيرهم امثال معاوية ويزيد وعبد الملك الى آخر  
العباسيين ضرورة أنهم كانوا اغصاناً لهذه الشجرة الخبيثة وفروعاً لهذه الأصول  
الردئية بل المقصر ليس الا الأول منهم اعني ابو بكر اذ هو الذي غير مسير  
الإنسانية بعد الرسول بسبب غصبه الخلافة ومعلوم ان اصل البناء اذا كان  
متزلزلاً فالفرع مثله وهذا معنى قولنا أنهم كانوا من اكمل المصاديق فالكلام  
يتوجه اليهم أولاً والى غيرهم ثانياً وقد ثبت ان الكناية ابلغ من التصريح ولهذا  
لم يصرح عليه السلام باسمائهم واما الشارح المعتزلي اراد بكلامه هذا تطهير الخلفاء  
الثلاثة عن لوث الخباثت ولم يعلم معنى ما قال في المقام اليس هو يقول بعدم  
عصمتهم ومن كان يجوز عليه الخطا فاي إشكال في إتصافه بها واي احتياج  
الى هذه التلفيقات الركيكة مع ان الأمر أظهر من الشمس وابتين من الأمس  
والدليل على كونهم متصفين بها واضح لا يخفي على احد وقد مر تفصيلاً وإن  
ثبت الإطلاع عليه على وجه ابسط فعليك بالكتب الموضوععة لهذا الفن  
كالغدير وغيره من المفصلات فتجدها مشحونة بالحقائق بما لا مزيد عليه هذا  
كله مضافاً الى ان الشارح قد اعترف بكون امير المؤمنين اقرب المقربين الى  
الله تعالى وان هذه الستة كانت متفية عنه عليه السلام وشروط الإمامة موجودة فيه  
بالإتفاق فوجب ان يكون هو الإمام وهذا من الأعاجيب اذ لو كان الأمر على  
هذا المنوال فكيف يجوز العدول عنه والرجوع الى غيره ممن هو ليس كذلك  
وقد ثبت ان إقرار العقلاء على انفسهم جائز ان ثبت كونه منهم.

ان قلت - لعل هذه الأوصاف وجدت في الحكام بعد الخلفاء الثلاثة وانهم  
كانوا مبرئين عن الإتصاف بها.

قلت - كلاً فان التواريخ شاهدة بكونهم متصفين بها بل مضرين عليها  
ولزيادة التوضيح نقول.

١ - اليس ابو بكر اول من غصب الخلافة وهذا هو الظلم الأول والدليل  
عليه قوله عليه السلام: في الخطبة الشقشقية التي قد مر شرحها، اما والله لقد تمصها



ابن ابي قحافة وانه ليعلم ان مخلى منها محل القطب من الرحنى واى ظلم افحش منه.

**والظلم الثانى:** منه غصبه فدكا واخذه من الزهراء ظلماً وعدواناً.

**والظلم الثالث:** قتله مالك ابن ثويرة واعوانه واقربائه.

والظلم الرابع تاميره عمر ابن الخطاب على الناس من عند نفسه فهذه هي أصول الظلم في خلافته.

**فمن الأول:** صار غصب الحكومة بل مطلق الحق في الإسلام شائعاً رائجاً كما هو الآن كذلك.

**ومن الثانى:** صار تضييع الحقوق في الحكومات الإسلامية من الأوليات حتى سلبوا المالكية الفرديه عن المسلمين وانتحلوه الى الإسلام كما نشاهده الآن فلو لم يسلب ابو بكر مالكية الزهراء في صدر الإسلام بسبب الإسلام في قصة فدك بحديث مجعول ونسبه الى النبي لم يقدر احد على سلب المالكية بعده من اتباعه وانصاره وجعله من أصول الإسلام.

**ومن الثالث:** فتح باب قتل كل من كان مخالفاً للحاكم الجائر فقتل من قتل وشبي من شبي بعده مع ان الحكومة على فرض كونها بشورى بين المسلمين كما يقولون به ليس معناها قتل من كان مخالفاً إما بعدم إدخاله في الشورى وإما بعدم موافقته وحيث ان مالك ابن ثويرة لم يكن حاضراً في السقيفة لعدم إطلاعها او لكونه معتقداً في الخلافة بالنص من الرسول فحكموا بقتله وهذه السيرة المنحوسة صارت اصلاً في تشييد مباني الحكومات الطاغوتية.

**ومن الرابع:** صارت الحكومة بيد الأشخاص فعملوا فيها ما شاءوا وعينوا لها ما ارادوا من غير إسترضاء الناس بل رغباً لأنوفهم كما هو الآن كذلك وهكذا سائر الأوصاف وفيهم ما قيل:

اميرنا يرتشي وحاكمنا يجور والرأس شر ما راس

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ ﷺ (١٣٢)

□ قوله ﷺ: نَحْمَدُهُ عَلَى مَا أَخَذَ وَأَعْطَى وَعَلَى مَا أَبْلَى وَإِبْتَلَى الْبَاطِنُ لِكُلِّ خَفِيَّةٍ وَالْحَاضِرُ لِكُلِّ سَرِيرَةٍ الْعَالِمُ بِمَا تُكِنُّ الصُّدُورُ وَمَا تَخُونُ الْعُيُونُ وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ غَيْرُهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ نَجِيْبُهُ وَبِعَيْتِهِ شَهَادَةٌ يُوَافِقُ فِيهَا السِّرُّ الْإِعْلَانُ وَالْقَلْبُ اللَّسَانَ.

وَمِنْهَا

فَإِنَّهُ وَاللَّهِ الْجِدُّ لَا اللَّعِبُ وَالْحَقُّ لَا الْكَذِبُ وَمَا هُوَ إِلَّا الْمَوْتُ أَسْمَعَ دَاعِيَهُ وَأَعْجَلَ حَادِيَهُ فَلَا يَغُرَّتْكَ سَوَادُ النَّاسِ مِنْ نَفْسِكَ وَقَدْ رَأَيْتَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ مِمَّنْ جَمَعَ الْمَالَ وَحَذِرَ الْأَقْلَالَ وَأَمِنَ الْعَوَاقِبَ طُولَ أَمَلٍ وَاسْتَبْعَادَ أَجَلَ كَيْفَ نَزَلَ بِهِ الْمَوْتُ فَازَّ عَجَهُ عَن وَطْنِهِ وَأَخَذَهُ مِنْ مَأْمِنِهِ مَحْمُولًا عَلَى أَعْوَادِ الْمَنَائِيَا يَتَعَاطَى بِهِ الرَّجَالُ الرَّجَالَ حَمَلًا عَلَى الْمَنَاكِبِ وَإِمْسَاكَ بِالْأَنَامِلِ أَمَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَأْمَلُونَ بَعِيدًا وَيَبْنُونَ مَشِيدًا وَيَجْمَعُونَ كَثِيرًا! كَيْفَ أَصْبَحَتْ يَبُوتُهُمْ قُبُورًا وَمَا جَمَعُوا بُورًا وَصَارَتْ أَمْوَالُهُمْ لِلْوَارِثِينَ وَأَزْوَاجُهُمْ لِقَوْمٍ آخِرِينَ لَا فِي حَسَنَةٍ يَزِيدُونَ وَلَا مِنْ سَيِّئَةٍ يَسْتَعْتَبُونَ! فَمَنْ أَشَعَرَ التَّقْوَى قَلْبَهُ بَرَزَ مَهْلُهُ وَفَازَ عَمَلُهُ فَاهْتَبَلُوا هَبْلَهَا وَأَعْمَلُوا لِلْجَنَّةِ عَمَلَهَا فَإِنَّ الدُّنْيَا لَمْ تُخْلَقْ لَكُمْ دَارَ مَقَامٍ بَلْ خُلِقَتْ لَكُمْ مَجَازًا لِتَزُودُوا مِنْهَا الْأَعْمَالَ إِلَى دَارِ الْقَرَارِ فَكُونُوا مِنْهَا عَلَى أَوْفَارٍ وَقَرُّبُوا الظُّهُورَ لِلزِّيَالِ.

(الإِبْلَاء) الإِحْسَان والإِنْعَام (الإِبْتِلَاء) الإِمْتِحَان (نَجِيْبُهُ) مُصْطَفَاه  
 (بَعِيْثُهُ) مَبْعُوْثُهُ (دَاعِيَةٌ) دَاعِي الْمَوْتِ مَا نَرَاهُ مِنْ كَثْرَةِ الْمَوْتِيْنَ وَاضِلُ الدَّاعِي  
 الصَّوْتِ (سَوَادُ النَّاسِ) كَثْرَتُهُمْ (أَزْعَجَهُ) أَي أَبْعَدَهُ (بَرَزَ مَهْلُهُ) أَي فَاقَ النَّاسَ  
 (فَاهْتَبَلُوا) أَمْرٌ مِنَ الإِهْتِبَالِ وَهُوَ الطَّلَبُ يُقَالُ إِهْتَبَلَ الصَّيْدَ أَي طَلَبَهُ (أَوْ فَازَ)  
 جَمَعَ وَفَزَ وَهُوَ الْعَجَلَةُ (الزِّيَالُ) الزِّيَالُ الْمُفَارِقَةُ.

◀ المعنى

(نَحْمَدُهُ) أَي نَحْمَدُ اللَّهَ تَعَالَى (عَلَى مَا أَخَذَ مِنَّا) (وَاعْطَى) لَنَا (وَعَلَى مَا أَيْلَى)  
 وَانْعَمَ (وَإِبْتَلَى) وَإِخْتَبَرَ وَإِمْتَحَنَ أَي نَحْمَدُهُ عَلَى كُلِّ حَالٍ فِي الْبِاسَاءِ وَالضَّرَاءِ  
 (الْبَاطِنُ لِكُلِّ خَفِيَّةٍ) فَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ (وَالْحَاضِرُ لِكُلِّ سَرِيرَةٍ) فَلَا يَغِيبُ عَنْهُ  
 شَيْءٌ (الْعَالَمُ بِمَا تَكُنُ الصُّدُورُ) وَتَسْتَرُّهُ (وَمَا تَخُونُ الْعُيُونُ) مِنَ الرَّمَزَاتِ  
 وَاللُّحْظَاتِ (وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ غَيْرُهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ نَجِيْبُهُ وَبَعِيْثُهُ) أَي مُصْطَفَاهُ  
 وَمَبْعُوْثُهُ (شَهَادَةٌ) أَي نَشْهَدُ شَهَادَةً (يُوَافِقُ) وَيَطَابِقُ (فِيهَا) أَي فِي الشَّهَادَةِ  
 (السِّرُّ) أَي الْبَاطِنُ (الإِعْلَانُ) الظَّاهِرُ (وَالْقَلْبُ اللَّسَانُ) أَي نَشْهَدُ بِالْقَلْبِ كَمَا  
 نَشْهَدُ بِاللِّسَانِ (مِنْهَا) أَي مِنَ الْخُطْبَةِ (فَأَنَّهُ) الضَّمِيرُ أَمَّا لِلشَّانِ أَوْ إِلَى مَا تَقْدَمُ  
 ذَكَرَهُ وَاسْقَطَهُ السَّيِّدُ ﷺ (وَاللَّهُ الْجَدُّ لَا اللَّعْبُ وَالْحَقُّ لَا الْكُذْبُ وَمَا هُوَ إِلَّا الْمَوْتُ  
 أَسْمِعْ دَاعِيَهُ، أَي مِنْ دَعَاةِ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ (وَاعْجَلْ) إِلَى الْمَقْصِدِ (حَادِيَهُ) أَي  
 مَنْ يَسِيرُ إِلَى الْمَنَآئِ (فَلَا يَغْرُنْكَ سَوَادُ النَّاسِ) وَاجْتِمَاعُهُمْ إِلَيْكَ (مَنْ نَفْسِكَ)  
 لَتَغْتَرَّ بِهِمْ (فَقَدْ رَأَيْتَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ) مِنَ الْأَحْيَاءِ (مِمَّنْ جَمَعَ الْمَالَ) وَإِدْخَرَهُ  
 (وَحَذَرَ الْأَفْلالِ) أَي الْإِفْتِقَارِ وَالْإِحْتِيَاجِ (وَأَمَّنَ الْعَوَاقِبِ) أَي كَانَ آمِنًا فِي الدُّنْيَا  
 عَنْ عَوَاقِبِهَا (طَوَّلَ أَمَلَ) وَإِسْتَبْعَادَ أَجَلٍ) أَي كَانَ أَمِنًا مِنْ جَهَةِ طَوَّلِ أَمَلِهِ  
 وَإِسْتَبْعَادِ أَجَلِهِ فَإِنَّ الْمَوْتَ كَانَ بَعِيدًا فِي نَظَرِهِ (كَيْفَ نَزَلَ بِهِ الْمَوْتُ) وَأَخَذَهُ  
 أَخَذًا شَدِيدًا (فَازَ عَجَهُ) أَي أَقْلَقَهُ وَأَبْعَدَهُ (عَنْ وَطْنِهِ) الَّذِي كَانَ سَاكِنًا فِيهِ

(وَآخِذْهُ) الْمَوْتَ (مِنْ مَامَنَهُ) أَيِ الْمَحَلِّ الَّذِي كَانَ مَأْمُونًا فِيهِ بِزَعْمِهِ (مَحْمُولًا عَلَى أَعْوَادِ الْمَنَآيَا) وَآخِشَابِهَا أَعْنِي النَّعُوشَ (يَتَعَاطَى بِهِ الرَّجَالُ الرَّجَالُ) أَيِ يَتَدَاوِلُونَهُ بَعْدَ مَوْتِهِ وَيُسِيرُونَهُ إِلَى الْمَقَابِرِ (أَمَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَأْمَلُونَ بَعِيدًا) بِطُولِ أَمَالِهِمْ (وَيَبْنُونَ مُشِيدًا) أَيِ قِصُورًا مُشِيدَةً (وَيَجْمَعُونَ كَثِيرًا) مِنَ الْأَمْوَالِ (كَيْفَ أَصْبَحَتْ بَيُوتُهُمْ قُبُورًا) لَهُمْ بَعْدَ مَوْتِهِمْ (وَمَا جَمَعُوا) مِنَ الْأَمْوَالِ (بُورًا) أَيِ فَاسِدًا هَالِكًا، (وَصَارَتْ أَمْوَالُهُمْ) الَّتِي جَمَعُوهَا (لِلْوَارِثِينَ) بَعْدَهُمْ (وَأَزْوَاجُهُمْ لِقَوْمٍ آخِرِينَ) (لَا فِي حَسَنَةٍ يَزِيدُونَ) بَعْدَ مَوْتِهِمْ (وَلَا مِنْ سَيِّئَةٍ يُسْتَعْتَبُونَ) إِلَى اللَّهِ تَعَالَى (فَمَنْ أَشَعَرَ التَّقْوَى قَلْبَهُ) وَإِئْتَصَفَ بِهَا (بَرَزَ) أَيِ فَاقَ (مَهَلَهُ) تَقَدَّمَ بِالْخَيْرِ (وَفَازَ عَمَلَهُ) وَنَالَ بِهِ (فَاهْتَبَلُوا هَيْلَهَا) أَيِ فَاطَلَبُوا وَاعْتَنَمُوا فُرْصَتَهَا (وَاعْمَلُوا لِلْجَنَّةِ عَمَلَهَا) الَّذِي بِهِ تَدْخُلُونَ فِيهَا (فَإِنَّ الدُّنْيَا لَمْ تَخْلُقْ لَكُمْ دَارَ مَقَامٍ بَلْ خُلِقَتْ لَكُمْ مَجَازًا) فَلَا بَدَّ لَكُمْ مِنَ الْإِنْتِقَالِ فِيهَا إِلَى الْآخِرَةِ (لِتَرْوَدُوا مِنْهَا) أَيِ مِنَ الدُّنْيَا (إِلَى دَارِ الْقَرَارِ) أَعْنِي الْآخِرَةَ (فَكُونُوا مِنْهَا) أَيِ مِنَ الدُّنْيَا عَلَى أَوْفَازٍ وَإِسْتِعْجَالٍ (وَقَرَّبُوا الظُّهُورَ لِلزِّيَالِ) وَالْفِرَاقِ .

قال في مصادر نهج البلاغة - نثر الأمدى في الغرر جملة منها بتفاوتٍ نجزم أنه لم يرجع إلى النهج في نقلها ثم نقل ما ذكره الأمدى باختلاف بعض العبارات ان شئت فراجعها وهو دليل على اختلاف المآخذ.

## ◀ الشرح

□ قوله ﷺ: نَحْمَدُهُ عَلَى مَا آخَذَ وَأَعْطَى وَعَلَى مَا أَبْلَى وَإِثْلَى ...

الضمير في قوله ﷺ: (نَحْمَدُهُ) راجع إلى الله تعالى أما بإسقاط المرجع عن الخطبة أو بان المرجع لظهوره لا يحتاج إلى الذكر إذ الحمد لا يستحق الأله فإن الآخذ والمعطي والمبلى والمبلى ليس الأهو وقد مررنا معنى الحمد لغة وإصطلاحاً غير مرة ثم إن الحمد على ما آخذ أي ما أخذه الله من العباد يمكن أن يراد به أخذ الميثاق عنهم في عالم الدر بالتوحيد والنسوة أو أخذ عموم التكاليف أو خصوص الحقوق المالية أو ما اعطاه على بعض العباد ثم أخذه منه

وإبتلاه بالفقر أو اخذُ المُجرِّمين بأعمالهم، على ما ذكره الخوئي في شرحه  
وإحتمله كل ذلك لا باس به.

**اقول:** الحق أن المراد بالأخذ اخذُ مُطلق النعمة التي اعطاها الله العباد سواء  
كانت من الأموال ام من غيرها كالصحة والعزة وغيرهما وكيف كان ففيه إشارة  
الى أن الأخذ بها هو الله تعالى كما أن المُعطي بها ايضاً هو وحيث أن كل واحد  
من الأخذ والإعطاء مقرون بالمصلحة فلا محالة يتصف الفعل بالحسن وكل ما  
يتصف به فهو مستحق للمدح ففعله تعالى مستحق له وهو المطلوب وضورة  
الناس هكذا.

فِعَلُ اللَّهِ تَعَالَى حَسَنٌ عَلَى كُلِّ حَالٍ وَكُلُّ مَا هُوَ حَسَنٌ مَمْدُوحٌ فَالْفِعْلُ مِنْهُ  
مَمْدُوحٌ فَالْمَطْلُوبُ ثَابِتٌ.

وإنما الإشكال الذي لم يتوجهوا اليه هو تقدم الأخذ على الإعطاء في كلامه  
ﷺ مع أن الأخذ بعد الإعطاء لا قبله ضرورة أن قبل الإعطاء لا يوجد شيء حتى  
ياخذه وهو واضح ويمكن التَّقْصِي عنه بوجهين:

احدهما: رعاية السجع اذ لو قال نَحْمَدُهُ عَلَى مَا اعطَى وَأَخَذَ وَعَلَى مَا أبلَى  
وإبتلى كان غير موزون وهو ظاهر.

وثانيهما: أن الحمد على اخذه تعالى النعمة اشرف وافضل من الحمد على  
إعطائه ايها وذلك لأن الأول يكشف إيمان العبد وتسليمه ورضاه برضا الله  
بخلاف الثاني فإن الحمد على إعطاء النعمة عن لا يختص بالمؤمن وهو  
واضح ولأجل هذه الفضيلة الثابتة فيه قدمه ﷺ عليه.

وأما قوله ﷺ: وَعَلَى مَا أبلَى وَإِبتلى - فالواو للعطف والتقدير نَحْمَدُهُ عَلَى  
مَا أبلَى وَعَلَى مَا إِبتلى.

قالوا اصل الإِبْلَاءُ الإعطاء والإِحْسَانُ والإِبتِلَاءُ الإِختبار والإِمْتِحَانُ والمعنى  
نحمده على ما اعطانا وإِختبرنا وَيَظْهَرُ مِنْ بَعْضِهِمْ أَنَّ الإِبتِلَاءَ فِي الأَصْلِ إِنْزَالُ  
مَضْرُوبَةٍ بِالْإِنْسَانِ عَلَى سَبِيلِ الإِختبار سواء كانت في الخير ام في الشر وقال

الخَوْنِي ۞ بعد نقله ما نقلناه ما هذا لفظه.

الظَّاهِرُ أَنَّ إِسْتِعْمَالَ الْبَلَاءِ فِي الْإِعْطَاءِ أَيْضاً عَلَى الْغَالِبِ لَا دَائِماً وَالْأَفْقَدُ قَالَ  
اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ  
وَالثَّمَرَاتِ﴾<sup>(١)</sup> ثُمَّ قَالَ:

والتَّحْقِيقُ أَنَّ الْإِبْلَاءَ وَالْإِبْتِلَاءَ كِلَاهُمَا بِمَعْنَى الْإِخْتِبَارِ وَالْإِمْتِحَانِ قَالَ الْفَيْرُوزُ  
أَبَادِي إِبْتَلَيْتُ الرَّجُلَ إِخْتَبَرْتُهُ وَإِمْتَحَنْتُهُ كَبَلَوْتُهُ بَلَوْتُ أُمَّتٌ قَالَ وَالْبَلَاءُ يَكُونُ مَنَحَةً،  
وَيَكُونُ مِحْنَةً وَفِي الْمِصْبَاحِ بَلَاهُ اللَّهُ بِخَيْرٍ أَوْ شَرٍّ يَبْلُوهُ بَلَواً وَابْلَاهُ بِالْأَلْفِ  
وَإِبْتَلَاهُ إِبْتِلَاءً بِمَعْنَى إِمْتَحَنَهُ أَنْتَهَى.

وَأَنَا أَقُولُ: مَا قَالَ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ، بَلَوْتُ الرَّجُلَ بَلَواً وَبَلَاءً وَإِبْتَلَيْتُهُ إِخْتَبَرْتُهُ  
وَبَلَاهُ يَبْلُوهُ بَلَواً إِذَا جَرَّبْتَهُ وَإِخْتَبَرْتَهُ وَفِي حَدِيثِ حُذَيْفَةَ لَا اِبْلَى أَحَدًا بَعْدَكَ اِبْدَاءً،  
وَقَدْ اِبْتَلَيْتُهُ فَاِبْلَانِي أَيِ اسْتَخْبَرْتَهُ فَاخْبَرْتَنِي وَفِي حَدِيثِ أُمِّ سَلْمَةَ أَنَّ مِنْ  
أَصْحَابِي مَنْ لَا يَرَانِي بَعْدَ أَنْ فَارَقْتَنِي فَقَالَ لَهَا عُمَرُ بِاللَّهِ امِينَهُمَ أَنَا قَالَتْ لَا وَلَنْ  
اِبْلَى أَحَدًا بَعْدَكَ أَيِ لَا اخْبُرَ بَعْدَكَ أَحَدًا ثُمَّ نَقَلَ عَنِ ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ أَنَّهُ قَالَ اِبْلَى  
بِمَعْنَى اخْبَرَ وَإِبْتَلَاهُ اللَّهُ إِمْتَحَنَهُ إِلَى أَنْ قَالَ.

وَيُقَالُ اِبْلَاهُ اللَّهُ يُبْلِيهِ إِبْلَاءً حَسَنًا إِذَا صَنَعَ بِهِ صُنْعًا جَمِيلاً وَبَلَاهُ اللَّهُ بَلَاءً  
وَإِبْتَلَاهُ أَيِ إِخْتَبَرْتَهُ وَالتَّبَالِي الْإِخْتِبَارُ وَالْبَلَاءُ الْإِخْتِبَارُ إِلَى أَنْ قَالَ.

وَفِي الْحَدِيثِ مَنْ اِبْلَى فَذَكَرَ فَقَدْ شَكَرَ الْإِبْلَاءَ الْإِنْعَامَ وَالْإِحْسَانَ قَالَ زَهِيرٌ:  
جَزَى اللَّهُ بِالْإِحْسَانِ مَا فَعَلَا بِكُمْ وَابْلَاهُمَا خَيْرُ الْبَلَاءِ الَّذِي يَبْلُو  
أَيِ صَنَعَ بِهِمَا خَيْرَ الصُّنْعِ الَّذِي يَبْلُو بِهَا عِبَادَهُ إِلَى آخِرِ مَا قَالَ أَنْتَهَى.  
وَبِهِ قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ فِي النَّهْيَةِ.

إِذَا عَرَفْتَ هَذَا فَتَقُولُ إِنَّكَ قَدْ عَلِمْتَ أَنَّ الْإِبْلَاءَ جَاءَ عَلَى مَعَانِي مُتَعَدِّدَةً  
فِي كَلَامِ الْعَرَبِ مِنَ الْإِنْعَامِ، وَالْأَخْبَارِ وَالصُّنْعِ وَغَيْرِهِمَا مِمَّا لَمْ نَذْكُرْهُ حَذْراً مِنْ  
الْإِطْنَابِ إِلَّا أَنَّ هَذِهِ الْمَعَانِي الثَّلَاثَةُ الَّتِي أَوْمَأْنَا إِلَيْهَا أَحْسَنُ الْوُجُوهِ وَأَنْسَبُهَا إِلَى

المَقَامِ وَعَلَيْهِ فَاِنْ كَانَ الْمُرَادُ بِالْإِبْلَاءِ هُوَ الْأَوَّلُ اعْنِي الْإِنْعَامَ فَالْمَعْنَى نَحْمُدُهُ  
عَلَى أَنْعَامِهِ تَعَالَى عَلَيْنَا وَإِمْتِحَانَنَا بِهِ، وَعَلَى الثَّانِي نَحْمُدُهُ عَلَى مَا أَخْبَرَنَا بِهِ مِنْ  
الشَّرِيعَةِ الْمُقَدَّسَةِ ثُمَّ إِخْتَبَرْنَا بِهِ مِنْ حَيْثُ الْعَمَلُ بِهَا وَعَلَى الثَّلَاثِ نَحْمُدُهُ عَلَى  
مَا صَنَعَ بِنَا مِنْ الْإِجَادِ وَإِخْتَبَرْنَا بِهِ وَهَذِهِ كُلُّهَا مُحْتَمَلَةٌ تَنَاسُبُ الْمَقَامِ وَخَيْرُ  
الْأُمُورِ أَوْسَطُهَا.

وَفِي اسْتِعْمَالِهِ **الْبَلَاءُ** كَلِمَةُ الْبَلَاءِ وَالْإِبْتِلَاءِ فِي الْمَقَامِ إِشَارَةٌ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى  
حَيْثُ قَالَ: ﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا﴾<sup>(١)</sup>  
و: ﴿وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾<sup>(٢)</sup>  
و: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾<sup>(٣)</sup>  
و: ﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِنَّا تُرْجِعُونَ﴾<sup>(٤)</sup>  
و: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زَيْتَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾<sup>(٥)</sup>  
فِي الْإِبْتِلَاءِ: ﴿هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾<sup>(٦)</sup>  
و: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ﴾<sup>(٧)</sup>  
و: ﴿قَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ﴾<sup>(٨)</sup> وَغَيْرَهَا مِنْ  
الْآيَاتِ.

وَحَاصِلُ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ نَحْمُدُهُ عَلَى الْبِاسَاءِ وَالضَّرَاءِ كَمَا هُوَ وَظِيْفَةُ الْمُؤْمِنِ  
الرَّاضِي بِرِضَائِهِ كَمَا قِيلَ بِالْفَارْسِيَّةِ:

يَكِي دَرْدُ وَيَكِي دَرْمَانِ پَسَنْدَد  
يَكِي وَصَلُ وَيَكِي هَجْرَانِ پَسَنْدَد  
مَنْ اَزِ دَرْمَانِ وَ دَرْدُ وَصَلُ وَ هَجْرَانِ  
پَسَنْدَدِمْ آنِچِه رَا جَانَانِ پَسَنْدَدِ

٢- الأعراف - ١٦٨

٤- الأنبياء - ٣٥

٦- الأحزاب - ١١

٨- البقرة - ٢٤٩

١- القلم - ١٧

٣- محمد - ٣١

٥- الكهف - ٧

٧- المؤمنون - ٣٠

□ قوله ﷻ: الْبَاطِنُ لِكُلِّ خَفِيَّةٍ وَالْحَاضِرُ لِكُلِّ سَرِيرَةٍ الْعَالَمُ بِمَا تُكِنُّ الصُّدُورُ  
وَمَا تَخُونُ الْعُيُونُ ...

الألف واللام للموصول والمعنى الله الذي باطن لكل خفية وحاضر لكل سريرة وعالم بما تكن الصدور وما تخون العيون والكلمة مقتبس من الكتاب الإلهي.

فالأول:

إشارة الى قوله تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾ (١)

والثاني:

إشارة الى قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ (٢)

و: ﴿أَوْ لَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ (٣)

و: ﴿وَأَنْ تَجْهَرُوا بِالْقَوْلِ فَيَكْفُرُوا بِهِ يَخَفِيهِ لَمَّا تُسِرُّونَ بِهِمْ سِرًّا وَعَظِيمًا﴾ (٤) وغيرها من الآيات.

والثالث:

إشارة الى قوله تعالى: ﴿أَوْ لَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ (٥)

و: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ﴾ (٦)

و: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ (٧)

و: ﴿وَأَنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ (٨)

و: ﴿وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ (٩)

و: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ (١٠) وغيرها من الآيات.

هذا بالنظر الى النقل واما الدليل العقلي على إثبات المدعى فنقول:

لاشك ان الواجب تعالى علة إيجاد الممكنات وغاية خلق الموجودات لأنه

هو الأول والآخر فمینه الإبتداء واليه المنتهى انا لله وانا اليه راجعون.

٢- النحل - ١٩

٤- طه - ٧

٦- البقرة - ٢٢٥

٨- النحل - ٧٤

١٠- العاقر - ١٩

١- الحديد - ٣

٣- البقرة - ٧٧

٥- البقرة - ٧٧

٧- المائدة - ٩٩

٩- القصص - ٦٩



وقد ثبت أن وجود العلة علم تام بوجود المعلول كما أن وجود المعلول علم ناقص بوجود العلة بناءً على المختار من أن العلم من شئون الوجود وتوابعه شدة ونقصاً وكمالاً وضعفاً وأما على مسلك القوم فعلم العلة بذاتها علم تفصيلي بالمعلول كما أن علم المعلول بذاته علم إجمالي بعلة إذا عرفت هذا فإعلم أن الواجب لكونه علة لما سواه كائناً ما كان فهو باطن لكل شيء وحقيقة لكل شيء إذ ما من مخلوقٍ إلا ويرجع إليه في وجوده سواء كان المخلوق جلياً أم خفياً فإن كون الشيء خفياً لا يخرج عن مخلوقيته ومعلوليته وبطن كل شيء حقيقته وحقيقة الأشياء هو الوجود الحقيقي الذي به قوامها وحياتها ووجودها والوجود الحقيقي عبارة عن الوجود الذي لا يشوبه نقص ولا يعتره الضعف ولا يسبقه العدم ولا يلحقه وهذا الوجود ليس إلا وجود الحق جلّ وعلاً فباطن كل شيء وحقيقته هو الله تعالى بهذا المعنى وإياك إن تفهم منه العينية بالمعنى الذي قاله بعض العرفاء في قوله سبحانه من أظهر الأشياء وهو عينها، نعوذ بالله منه فإن هذا كفرٌ والحادث بل بمعنى أنه باطنها وعلةً والفرق واضح فتأمل وإذا ثبت كونه تعالى باطناً لكل خفية فلا محالة يكون حاضراً لكل سريرة إذ العلة لا تكون غائبة عن معلولها ابداً والى هذا المعنى أشار في الكتاب بقوله وهو معكم أينما كنتم وقوله وهو أقرب اليكم من حبل الوريد، فإن الحضور ليس حضوراً مكانياً بل حضوراً تجردياً عقلياً حضور العلة لدى المعلول إذ لولا حضورها لديه لما كان له وجود أصلاً كيف لا وقد ثبت أن المعلول رشح من وجود العلة وظل لها والظل لا وجود له إلا بعد وجود ذي الظل وحضوره.

ثم إن هذا الحضور بعينه هو العلم فإن العلم هناك حضورياً لاحصوي والعلم الحضورى عبارة عن حضور المعلوم لدى العالم والمعتقول لدى العاقل ولا سيما على اتحاد العاقل والمعتقول، أو عليه فالعلم هو المعلوم والمعلوم هو العلم والاتحاد لا يعقل إلا بعد الحضور وهذا معنى قولنا إن الحضور هو العلم

وبذلك تعلم أنه لا فرق بين كون المعلوم مكنوناً أو غير مكنون فإن المدار في تعلق العلم به هو كونه موجوداً معلولاً مخلوقاً وقد ثبت هذا في المقام فإن المكنون في الصدور مخلوق معلول للإنسان وهو مخلوق له تعالى معلوم له فالعلم به يستلزم العلم بمكنوناته وهو المطلوب وبذلك قد ظهر معنى قوله ﷺ وماتحون العيون حذو النعل بالنعل فهو تعالى قد احاط بكل شيء علماً هذا.

□ قوله ﷺ: وَتَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ غَيْرُهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ نَجِيَّهُ وَبَعِيثُهُ ...

الشهادة بان لا إله إلا هو وانّ محمداً ﷺ ببعيثة ورسوله هي اساس الإسلام وذروة الإيمان وقد نصّ الكتاب بها قال الله تعالى: ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ﴾ (١)

و: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾ (٢)

و: ﴿ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ ﴾ (٣)

و: ﴿ وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ ﴾ (٤)

وفي قوله ﷺ: بَعِيثُهُ ، قال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا ﴾ (٥)

و: ﴿ قَالُوا ابْعَثْ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا ﴾ (٦)

وكيف كان فالكلام مسوق لبيان الإقرار بالتوحيد والرسالة وقد مرّ الكلام فيهما مفصلاً.

□ قوله ﷺ: شَهَادَةٌ يُوَافِقُ فِيهَا السِّرُّ الْإِعْلَانُ وَالْقَلْبُ اللَّسَانَ ...

اي تشهد شهادة خالصة يوافق فيها السرّ الإعلان والقلب اللسان وانما قال ﷺ ذلك لأن الشهادة باللسان تتصور على قسمين احدهما ان يشهد بها اللسان والقلب معاً وذلك فيما اذا كان اللسان دليلاً على القلب والقلب اصلاً ومصدراً له، وثانيهما الشهادة باللسان وحده دون القلب.

١- آل عمران - ٦٨

٣- الحج - ٧٥

٥- الجمعة - ٢

٢- الفاطر - ٣٢

٤- ص - ٤٧

٦- الاسراء - ٩٤

فَقَوْلُهُ ﷺ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ شَهَادَتَهُ مِنَ الْقِسْمِ الْأَوَّلِ كَمَا هُوَ شَأْنُ الْمُوَحِّدِينَ الصَّادِقِينَ لَا مِنَ الثَّانِي الَّذِي هُوَ مِنْ شَأْنِ الْمُنَافِقِ الْكَاذِبِ وَقَدْ أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا فِي كِتَابِهِ فَقَالَ فِي وَصْفِ الْمُؤْمِنِينَ: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ (١)

وَقَالَ فِي الْمُنَافِقِينَ: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ (٢)

و: ﴿فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾ (٣)

و: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ (٤) وَالْآيَاتُ كَثِيرَةٌ.

وَفِي كِتَابِ مَشْكَاتِ الْأَنْوَارِ عَنِ الرَّضَاءِ ﷺ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْإِيمَانَ بَضْعٌ وَسَبْعُونَ بَاباً أَكْبَرُهَا شَهَادَةٌ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَادْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ أَنْتَهَى «ص ٤٠»...

وَفِي الْبَحَارِ بِإِسْنَادِهِ عَنِ أَبِي جَعْفَرٍ قَالَ مَا مِنْ شَيْءٍ أَعْظَمَ مِنْ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ (لَا يَعْدِلُهُ شَيْءٌ وَلَا يُشْرِكُهُ فِي الْأَمْرِ أَحَدٌ أَنْتَهَى «ج ٢، ص ٣، ط كمياني»...

وَفِيهِ أَيْضاً - قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ كَلِمَةٌ عَظِيمَةٌ كَرِيمَةٌ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مَنْ قَالَهَا مُخْلِصاً إِسْتَوْجِبَ الْجَنَّةَ وَمَنْ قَالَهَا كَاذِباً عَصَمَتْ مَالَهُ وَدَمَهُ وَكَانَ مَصِيرُهُ إِلَى النَّارِ أَنْتَهَى «ص ٣»....

وَبِإِسْنَادِهِ عَنِ عَلِيِّ بْنِ مُوسَى الرَّضَا عَنْ آبَائِهِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ حِصْنِي فَمَنْ دَخَلَهُ آمِنَ مِنْ عَذَابِي أَنْتَهَى «ص ٣»...  
وَبِإِسْنَادِهِ أَيْضاً عَنِ الرَّضَا عَنْ آبَائِهِ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ يَقُولُ قَالَ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ أَنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِي وَمَنْ جَاءَ مِنْكُمْ بِشَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ بِالْإِخْلَاصِ دَخَلَ حِصْنِي وَمَنْ دَخَلَ حِصْنِي آمِنَ مِنْ عَذَابِي أَنْتَهَى «ص ٣»...

وبإسناده - عن سهل ابن سعد الأنصاري قال سألت رسول الله عن قول الله عز وجل وما كُنتَ بجانب الطُّورِ إذ نادينا، قال ﷺ كتب الله عز وجل كتاباً قبل أن يخلق الخلق بالفي عامٍ في ورق آس ثم وضعها على العرش ثم نادى يا أمة محمد ان رحمتي سبقت غضبي اعطيتم قبل ان تسألوني وغفرت لكم قبل ان تستغفروني فمن لقيني منكم بشهادة ان لا إله لله وان محمداً عبدي ورسولي ادخله الجنة برحمتي «ص ٥»...

وعن كنز الكراكي روي عن امير المؤمنين ﷺ انه قال ان الله رفع درجة اللسان فانطقه بتوحيده من بين الجوارح انتهى «ص ٥» والأخبار في الباب كثيرة...

□ قوله ﷺ: فَإِنَّهُ وَاللَّهِ الْجِدُّ لَا اللَّعِبُ وَالْحَقُّ لَا الْكَذِبُ ...

قد قلنا في معنى الخطبة ان الضمير في قوله ﷺ: (فإنه) يمكن ان يكون للسان ويمكن ان يكون راجعاً الى ما أسقط عن الخطبة احتمالاً وكيف كان فالمقصود ان ما قلته سابقاً او ما اقول لكم والله الجد لا اللعيب.

والجد بكسر الجيم وتشديد الدال مصدر من جدَّ يَجِدُّ ومعناه الاجتهاد يقال عظيم جداً اي بلغ الغاية في العظم والنصب على المصدر. قاله في المنجد - واللعب بفتح اللام وسكون السين ضد الجد وقد يعبر عنه بالمزاح، والحق ما يطابق الواقع والكذب ما لا يطابقه.

والمعنى اني لا امزح ولا اكذب بل اقول جداً وحقاً.

□ قوله ﷺ: وَمَا هُوَ إِلَّا الْمَوْتُ أَسْمَعُ دَاعِيَهُ وَأَعْجَلَ حَادِيَهُ ...

داعي الموت ما تراه من كثرة الموتى فهو ابغ من المنطق المسموع فكأنه نادانا فاسمعنا وقوله ﷺ: واعجل حاديه معناه اسرع من ساقه الى مكانه وحثه الى السير اليه ومعلوم ان نسبة الاسماع والإعجال الى الموت من باب الاستعارة.

والمقصود ان الموت ياتي بغتة وهو مما لا شك فيه عقلاً ونصاً وحيثاً وقد

تكلّمنا في المَوْتِ وحقّيقته سابقاً بما لا مزيد عليه واذا كان كذلك فلا بدّ للإنسان من التّهيؤ له بالأعمال الصّالحة.

□ قوله ﷺ: **فَلَا يَغْرُنْكَ سِوَادُ النَّاسِ مِنْ نَفْسِكَ ...**

اي فلا يغرّنك كثرة الناس واجتماعهم في الدنيا من نفسك وذلك لأنهم يموتون لا مُحالة كما مات من كان قبلهم وقال الخوئي اي كثرتهم واجتماعهم حولك، وعليه فالمعنى لا تغترّ باجتماعهم حولك بان تقول انا لا اموت مثلاً وما ذكرناه اوفق بظاهر العبارة والأمر سهل بعد وضوح المعنى.

□ قوله ﷺ: **وَقَدْ رَأَيْتَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ مِمَّنْ جَمَعَ الْمَالَ وَحَذَرَ الْأَقْلَالَ وَأَمِنَ الْعَوَاقِبَ طُولَ أَمَلٍ وَاسْتَبَعَادَ أَجَلٍ ...**

اي كيف تغترّ بها وقد رايت من كان قبلك من الناس ممن جمع الأموال وحذّر الأقلال والفقير وامن العواقب المترتبة على سوء فعله طول امل اي لأجل طول الأمل واستبعاد الأجل والمقصود ان منشا هذه الصفات الذميمة فيه كان طول امله واستبعاد اجله والوجه فيه هو ان طول الأمل ينسي الآخرة واستبعاد الأجل يوقعه في ورطة الغفلة عن الموت.

□ قوله ﷺ: **كَيْفَ نَزَلَ بِهِ الْمَوْتُ فَأَزَعَجَهُ عَنْ وَطْنِهِ وَأَخَذَهُ مِنْ مَمْنِهِ ...**

اي فقد رايت من كان قبلك موصوفاً بهذه الأوصاف المذكورة كيف نزل به الموت وادركه فازعجه واقلعه عن وطنه الذي كان يسكن فيه واخذه الموت عن مامنه الذي كان ماموناً فيه بزعمه وظنه الفاسد.

**نُراَع لِذِكْرِ الْمَوْتِ سَاعَةَ ذِكْرِهِ**

**فَنَعْتَرِضُ الدُّنْيَا فَنَلْهُوا وَنَلْعَبُ**

**خَمْسُونَ عَاماً كُنْتَ أَمَلْتَهَا**

**كَانَتْ أَمَامِي ثُمَّ خَلْفَتَهَا**

**كَنْزُ حَيَاةٍ لِي أَنْفَقْتُهُ**

**عَلَى تَصَارِيفٍ تَطَّرَفْتَهَا**

لو كان عُمرِي مِائَةً هَدَّنِي

تَذَكَّرِي أَنِّي تَسَوَّفْتُهَا

وَأَنَّ إِمْرًا دُنْيَاهُ أَكْثَرُ هَمِّهِ

لَمُسْتَمْسِكُ مِنْهَا بِحَبْلِ غُرُورٍ

غَرَّ جَهُولًا أَمَلَهُ يَمُوتُ مِنْ جَاءِ أَجَلِهِ

وَمَنْ دَنَا مِنْ يَوْمِهِ لَمْ تَغْنِ عَنْهُ حَبْلُهُ

وَكَيْفَ يَبْقَى آخِرُ قَدَمَاتٍ عَنْهُ أَوْلَهُ

لَا يَصْحَبُ الْإِنْسَانَ مِنْ دُنْيَاهُ إِلَّا عَمَلُهُ

قال المولوي بالفارسية:

عالم که چه نقطه ایست موهوم

خطی که در این میان نماید

عالم همه چیست صورت علم

گر نقطه اصل را بیابی

در مسجد عشق اگر در آئی

ای روح بلند آشیانه

افتاده بآخاک ره بمانی

مپسند ز نفس ظلم بر خویش

آتش بوجود خویش در زن

آنکس که نه کشته غم او است

در ملک وجود خود سفر کن

در خود بطلب که در حقیقت

ولآخر:

نناقس فی الدنیا ونحن نُصیبها

وما نحسب الساعات نَقَطَ مَدَّةً

بی بود وجود اوست معدوم

فی الجملة خطی است لیک موهوم

صورت همه چیست عین معلوم

لازم شودت به پیش ملزوم

بینی که توئی امام وماموم

تا چند در این خرابه چون بوم

در منزل نفس ابتر شوم

ای مانده بچنگ نفس مظلوم

پروانه بشو بسوز چون موم

در مذهب عشق نیست مرحوم

تا چند ز شام و مگه وروم

در ذات وصفات تست مکتوم

وقد حذرتناها لعمري خطوبها

علی أنها فینا سریع ریئها

كأني برهطي يحملون جنازتي  
وباكية حري تنوح وأنني  
أيا هادم اللذات ما منك مهرب  
رايت المنايا قُتمت بين انفس  
□ قوله عليه السلام: مَحْمُولًا عَلَى أَعْوَادِ الْمَنَايَا يَتَعَاطَى بِهِ الرَّجَالُ الرَّجَالَ حَمَلًا عَلَى  
الْمَنَاكِبِ وَإِمْسَاكًا بِالْأَنَامِلِ ...

الأعواد جمع عُود وهو الخشب المخصوص والمنايا جمع المنيّة واعواد  
المنايا كناية عن السرير الذي يوضع عليه الميت ويقال له بالفارسية (تابوت)  
وحاصل المعنى ان الإنسان بعد موته يُحمَل على السرير يتعاطى ويتداول به  
الرجال الرجال اي يتداولونه بينهم ليستريحوا ويكون هذا الحمل منهم على  
مناكبهم كما هو المشهود المحسوس فان السرير الحامل للميت يوضع على  
المناكب وقوله إمساكاً بالأنامل معناه انهم يمسكونه باناملهم على مناكبهم والأ  
يسقط السرير على الأرض والأنامل جمع انملة وهي الإصبع والعجب ان  
هؤلاء الأشخاص كثيراً ما احبائه واقربائه وهم يستعجلون في دفنه ولنعم ما  
قيل:

فكم من صحيح بات للموت آمناً  
فلم يستطع اذ جاءه الموت بعتناً  
فاصبح تبيكه النساء مكفناً  
وقرب من لحد فصار مقيله  
□ قوله عليه السلام: أَمَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَأْمُلُونَ بَعِيداً وَيَبْنُونَ مَشِيداً وَيَجْمَعُونَ كَثِيراً! ...  
الهمزة للإستفهام الإنكاري والماء نافية والنفي في النفي هو الإثبات  
والمعنى رايتم كما قال الشاعر:

أما ترى حيث سهيل طالعاً  
ونجم يضي كالشهاب ساطعاً  
والمقصود انكم قد رايتم الذين كانوا ياملون في الدنيا بعيداً ويبنون مشيداً

من القصور المشيدة ويجمعون كثيراً من الأموال لم يتتفعوا بها أصلاً.  
 □ قوله ﷺ: كَيْفَ أَصْبَحَتْ بُيُوتُهُمْ قُبُوراً وَمَا جَمَعُوا بُوراً وَصَارَتْ أَمْوَالُهُمْ  
 لِلْوَارِثِينَ وَأَزْوَاجُهُمْ لِقَوْمٍ آخَرِينَ...

اي كيف اصبحت بيوتهم التي بنوها للسكنى فيها قبوراً لهم وما جمعوا في  
 الدنيا من الأموال والنفائس بوراً اي فاسداً هالكاً وصارت اموالهم للوارثين  
 فقسموها بينهم وازواجهم لقوم آخرين فتزوجوا بها وما كان هذا شأنهم  
 وعاقبته لا ينبغي للعاقل الإعتماد عليه والى هذا المعنى أشير في الكتاب. حيث  
 قال عز من قائل: ﴿كَمْ تَرَكَوْا مِنْ جَنَاطٍ وَعُعْيُونٍ، وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ، وَنَعْمَةً كَانُوا  
 فِيهَا فَأَكْبَهَتِمْ، كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ، فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا  
 مُنظَرِينَ﴾ (١)

و: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ، إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ، الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ،  
 وَتَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ، وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَارِ، الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ،  
 فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفِسَادَ﴾ (٢)

روي الكليني رحمه الله قال قال امير المؤمنين عليه السلام ان ابن آدم اذا كان في آخر  
 يوم من الدنيا واول يوم من الآخرة مثل له ماله وولده وعمله فيلتفت الى ماله  
 فيقول والله اني كنت عليك حريصاً شحيحاً فمالي عندك فيقول خذ مني  
 كفنك قال فيلتفت الى ولده فيقول والله اني كنت (لكم) محبباً وانني كنت عليكم  
 محامياً فمالي عندكم فيقولون نؤيك الى حفرتك فنؤريك فيها قال عليه السلام  
 فيلتفت الى عمله فيقول والله اني كنت فيك لزاهداً وانك كنت علي ثقيلاً فمالي  
 عندك فيقول انا قرينك في قبرك ويوم نشرك حتى اعرض انا وانت على ربك  
 «انوار النعمانية ج ٤، ص ٢١٣»...

تَخِيرَ خَلِيطاً مِنْ فَعَالِكَ أَمَّا قَرِينُ الْفَتَى مَا كَانَ فِي الْقَبْرِ يَتَعَلَّقُ

من السعادة في شرح نهج البلاغه



ولا بدّ بعد المَوْت من ان تَعَدّه  
فان تَكُ مَشْغُولاً بِشَيْءٍ فَلَ تَكُنْ  
فَلَنْ تَعْجَبَ الْإِنْسَانُ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ  
ليوم يُنادي المرء فيه فيقبل  
بغير الَّذي يَرْضَى بِهِ اللَّهُ تَشْغُلُ  
ومن قبله إلا الَّذي كان يَعْمَلُ

□ قوله ﷺ: لَا فِي حَسَنَةٍ يَزِيدُونَ وَلَا مِنْ سَيِّئَةٍ يَسْتَعْتَبُونَ! ...

وذلك لكونهم على غفلة على ما سيقع بهم من المَوْت وما بعده من  
الخطرات فقوله ﷺ: لَا فِي حَسَنَةٍ يَزِيدُونَ، إشارة الى قوله تعالى حيث قال:  
﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ  
الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾<sup>(١)</sup>

و: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ﴾<sup>(٢)</sup>

و: ﴿وَيَجْزِي الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَىٰ﴾<sup>(٣)</sup>

و: ﴿وَإِنْ تَحْسَبُوا أَنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾<sup>(٤)</sup>

و: ﴿وَإِحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾<sup>(٥)</sup>

و: ﴿وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا﴾<sup>(٦)</sup>

والثاني اعنى قوله: (وَلَا مِنْ سَيِّئَةٍ يُسْتَعْتَبُونَ)، إشارة الى قوله تعالى حيث

قال: ﴿ثُمَّ لَا يُؤْذِنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾<sup>(٧)</sup>

و: ﴿فَالْيَوْمَ لَا يُخْرِجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾<sup>(٨)</sup>

و: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾<sup>(٩)</sup> وغيرها من

الآيات.

□ قوله ﷺ: فَمَنْ أَشْعَرَ التَّقْوَىٰ قَلْبَهُ بَرَّرَ مَهْلَهُ وَقَارَ عَمَلُهُ فَأَهْتَبُوا هَبْلَهَا وَاعْمَلُوا  
لِلْجَنَّةِ عَمَلَهَا...

قال في المنجد يقال اشعر اللهم قلبي اي لصق به اشعره بكذا الصقه به،

٢- التحل - ٣٠

٤- النساء - ١٢٨

٦- الشورى - ٢٣

٨- الجاثية - ٣٥

١- يونس - ٢٦

٣- النجم - ٣١

٥- البقرة - ١٩٥

٧- التحل - ٨٤

٩- روم - ٥٧

الْقَوْمَ جَعَلُوا لَأَنْفُسِهِمْ شِعَاراً أَنْتَهَى.

والمعنى من إِنْصَفَ قلبه بالتَّقْوَى وَلَصِقَ بها بَرَزَ وظهر تقدمه بالخير على غيره وفاز اي فاق عَمَلَهُ كَذَلِكَ فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ فِي الْفَضِيلَةِ التَّقْوَى قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لِتَعَارِفُوا الَّذِينَ أَنْزَلْنَا لَكُمْ فِيهِ الْقُرْآنَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعَمَلِ﴾ (١) فَاهْتَبِلُوا هَبْلَهَا أَي فإِطْلُبُوا غَنَائِمَهَا وَخُذُوا بِهَا وَإِعْمَلُوا لِلْجَنَّةِ عَمَلَهَا.

فَقَوْلُهُ ﷺ: فَمَنْ أَشَعَرَ التَّقْوَى قَلْبَهُ بَرَزَ مَهْلُهُ إِشَارَةٌ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ (٢)

و: ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ﴾ (٣)

و: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعِظْكُمْ شُعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ (٤)

و: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ إِمْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى﴾ (٥)

وَقَوْلُهُ ﷺ: وَإِعْمَلُوا لِلْجَنَّةِ عَمَلَهَا إِشَارَةٌ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ﴾ (٦)

و: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾ (٧)

و: ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ (٨)

وَالْآيَاتُ فِيهِ كَثِيرَةٌ جَدًّا وَحَاصِلُ كَلَامِهِ ﷺ هُوَ أَنَّ الْإِنْسَانَ بِسَبَبِ التَّقْوَى يَصِيرُ عَزِيزًا عِنْدَ الْخَالِقِ وَالْمَخْلُوقِ وَالْعَاقِلِ يَنْبَغِي لَهُ الْإِتِّصَافُ بِهَا وَالْعَمَلُ عَلَى مَدَارِهَا فَإِنَّ الْجَنَّةَ تَمَنُّ التَّقْوَى بِأَكْلَامٍ وَقَدْ مَرَّ مِنَّا الْكَلَامُ فِيهَا مُفَصَّلًا وَقَدْ تَعَرَّضْنَا فِيهَا مَضَى لِكَثِيرٍ مِنَ الْأَخْبَارِ الْوَارِدَةِ فِي فَضْلِهَا وَفِيهِ كِفَايَةٌ.

□ قَوْلُهُ ﷺ: فَإِنَّ الدُّنْيَا لَمْ تُخْلَقْ لَكُمْ دَارَ مَقَامٍ بَلْ خُلِقَتْ لَكُمْ مَجَازًا لِتَزَوَّدُوا مِنْهَا الْأَعْمَالَ إِلَى دَارِ الْقَرَارِ ...

وَهَذَا بِمَنْزِلَةِ الدَّلِيلِ عَلَى مَا ذَكَرَهُ ﷺ وَحَاصِلُهُ أَنَّ الدُّنْيَا لَمْ تُخْلَقْ لَكُمْ دَارَ

ولا بدّ بعد المَوْت من ان تَعَدّه  
فان تَكُ مَشْغُولاً بِشَيْءٍ فلا تَكُنْ  
فلن تعجب الإنسان من بعد مَوْتِه  
ليوم يُنادي المرء فيه فيقبَل  
بغير الَّذي يَرْضَى به الله تَشْغُلُ  
ومن قبله الا الَّذي كان يَعْمَلُ

□ قوله ﷺ: لَا فِي حَسَنَةٍ يَزِيدُونَ وَلَا مِنْ سَيِّئَةٍ يَسْتَعْتَبُونَ! ...

وذلك لكونهم على غفلة على ما سيقع بهم من الموت وما بعده من  
الخطرات فقوله ﷺ: لَا فِي حَسَنَةٍ يَزِيدُونَ، إشارة الى قوله تعالى حيث قال:  
﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ  
الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾<sup>(١)</sup>

و: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ﴾<sup>(٢)</sup>

و: ﴿وَيَجْزِي الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَىٰ﴾<sup>(٣)</sup>

و: ﴿وَأَنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾<sup>(٤)</sup>

و: ﴿وَإِحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾<sup>(٥)</sup>

و: ﴿وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا﴾<sup>(٦)</sup>

والثاني اعنى قوله: (وَلَا مِنْ سَيِّئَةٍ يُسْتَعْتَبُونَ)، إشارة الى قوله تعالى حيث

قال: ﴿ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾<sup>(٧)</sup>

و: ﴿فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾<sup>(٨)</sup>

و: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾<sup>(٩)</sup> وغيرها من

الآيات.

□ قوله ﷺ: فَمَنْ أَشْعَرَ التَّقْوَىٰ قَلْبَهُ بَرَزَ مَهْلَهُ وَقَارَ عَمَلُهُ فَأَهْتَبُوا هَبْلَهَا وَاعْمَلُوا  
لِلْجَنَّةِ عَمَلَهَا...

قال في المنجد يقال اشعر اللهم قلبي اي لصق به اشعره بكذا الصق به،

٢- النحل - ٣٠

٤- النساء - ١٢٨

٦- الشورى - ٢٣

٨- الجاثية - ٢٥

١- يونس - ٢٦

٣- التجم - ٢١

٥- البقرة - ١٩٥

٧- النحل - ٨٤

٩- روم - ٥٧

الْقَوْمَ جَعَلُوا لَأَنْفُسِهِمْ شِعَاراً أَنْتَهَى.

والمعنى من إِتَّصَفَ قَلْبَهُ بِالتَّقْوَى وَلَصِقَ بِهَا بَرَزَ وَظَهَرَ تَقَدَّمَهُ بِالْخَيْرِ عَلَى غَيْرِهِ وَفَازَ أَي فَاقَ عَمَلَهُ كَذَلِكَ فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ فِي الْفَضِيلَةِ التَّقْوَى قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لِتَعَارِفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَىكُمْ﴾<sup>(١)</sup> فَاهْتَبِلُوا هَبْلَهَا أَي فِاطِبُوا غَنَائِمَهَا وَخُذُوا بِهَا وَاعْمَلُوا لِلْجَنَّةِ عَمَلَهَا.

فَقَوْلُهُ ﷺ: فَمَنْ أَشْعَرَ التَّقْوَى قَلْبَهُ بَرَزَ مَهْلُهُ إِشَارَةٌ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾<sup>(٢)</sup>

و: ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ﴾<sup>(٣)</sup>

و: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾<sup>(٤)</sup>

و: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ إِمْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى﴾<sup>(٥)</sup>

وَقَوْلُهُ ﷺ: وَاعْمَلُوا لِلْجَنَّةِ عَمَلَهَا إِشَارَةٌ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ﴾<sup>(٦)</sup>

و: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾<sup>(٧)</sup>

و: ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾<sup>(٨)</sup>

وَالْآيَاتُ فِيهِ كَثِيرَةٌ جَدًّا وَحَاصِلُ كَلَامِهِ ﷺ هُوَ أَنَّ الْإِنْسَانَ بِسَبَبِ التَّقْوَى يَصِيرُ عَزِيزاً عِنْدَ الْخَالِقِ وَالْمَخْلُوقِ وَالْعَاقِلِ يَنْبَغِي لَهُ الْإِتِّصَافُ بِهَا وَالْعَمَلُ عَلَى مَدَارِهَا فَإِنَّ الْجَنَّةَ تَمَنُّ التَّقْوَى بِلَا كَلَامٍ وَقَدْ مَرَّ مَنَا الْكَلَامُ فِيهَا مَفْصَلاً وَقَدْ تَعَرَّضْنَا فِيمَا مَضَى لِكَثِيرٍ مِنَ الْأَخْبَارِ الْوَارِدَةِ فِي فَضْلِهَا وَفِيهِ كِفَايَةٌ □ قَوْلُهُ ﷺ: فَإِنَّ الدُّنْيَا لَمْ تُخْلَقْ لَكُمْ دَارَ مَقَامٍ بَلْ خُلِقَتْ لَكُمْ مَجَازاً لِتَزُودُوا مِنْهَا الْأَعْمَالَ إِلَى دَارِ الْقَرَارِ ...

وَهَذَا بِمَنْزِلَةِ الدَّلِيلِ عَلَى مَا ذَكَرَهُ ﷺ وَحَاصِلُهُ أَنَّ الدُّنْيَا لَمْ تُخْلَقْ لَكُمْ دَارَ

٢- البقرة - ١٩٧

٤- الحج - ٣٢

٦- البقرة - ٢٥

٨- الأنعام - ١٣٢

١- حجرات - ١٣

٣- الأعراف - ٢٦

٥- الحجرات - ٣

٧- البقرة - ٨٢

مقام لِتُقِيمُوا فِيهَا أَيْدٍ بَلْ خُلِقَتِ الدُّنْيَا لَكُمْ دَارَ مَجَازٍ لِتَجُوزُوا بِهَا وَتَزُودُوا مِنْهَا  
الأعمال الصالحة النافعة إلى دار القرار ومقام الخلد .

### والجُملة الأولى:

إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾ (١)

والثانية:

إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ الْأَخْرَجَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾ (٢)

و: ﴿إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ﴾ (٣)

و: ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ (٤)

□ وقوله ﷻ: فَكُونُوا مِنْهَا عَلَى أَوْفَازٍ وَقَرَّبُوا الظُّهُورَ لِلزِّيَالِ ...

أي فكونوا من الدنيا على أوفازٍ وعجلةٍ وقربوا الظهر للزيال والمفارقة عن الدنيا وما فيها قال بعض العرفاء - إياك والإغترار بالدنيا والركون إليها فإن أمانتها كاذبة وآمالها خائبة وعيشها نكد وصفوها كدر وانت منها على خطرٍ إما نعمة زائلة وإما بلية نازلة وإما مصيبة موجهة وإما منية مفجعة .

وقال آخر - أنك إذا أدركت أمك قررتك من أجلك وإذا أدركك أجلك لم تبلغ أمك انتهى وقال - لا يهلك الأمل الطويل عن الأجل القصير، وقال بعض  
الآمال لا تنتهي.

والحي لا يكتفي، وقيل ما اطاع عبداً أمه الأ قصر عمله.

## ومن خطبة له عليه السلام (١٣٣)

□ قوله عليه السلام: وَأَنْقَادَتْ لَهُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ بِأَرْمَتَيْهَا وَقَذَفَتْ إِلَيْهِ السَّمَوَاتُ  
وَالْأَرْضُونَ مَقَالِيدَهَا وَسَجَدَتْ لَهُ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ الْأَشْجَارُ النَّاصِرَةُ وَقَدَحَتْ  
لَهُ مِنْ قُضْبَانِهَا النَّيِّرَانَ الْمُضِيئَةَ وَأَتَتْ أَكْلَهَا بِكَلِمَاتِهِ الثَّمَارُ الْيَانِعَةَ.  
منها

وَكِتَابُ اللَّهِ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ نَاطِقٌ لَا يَعْصِي لِسَانَهُ وَيَبُتُّ لَا تُهْدَمُ أَرْكَانُهُ وَعِزُّ لَا  
تُهْزَمُ أَعْوَانُهُ.

منها

أَرْسَلَهُ عَلَى حِينِ فِتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ وَتَنَازَعِ مِنَ الْأَلْسُنِ فَفَقِيَ بِهِ الرُّسُلَ وَخَتَمَ  
بِهِ الْوَحْيَ فَجَاهَدَ فِي اللَّهِ الْمُدْبِرِينَ عَنْهُ وَالْعَادِلِينَ بِهِ.  
منها، الفصل الثاني :

وَأِنَّمَا الدُّنْيَا مُنْتَهَى بَصَرِ الْأَعْمَى لَا يُبْصِرُ مِمَّا وَرَاءَهَا شَيْئاً وَالْبَصِيرُ يَنْقُذُهَا  
بَصْرُهُ وَيَعْلَمُ أَنَّ الدَّارَ وَرَاءَهَا فَالْبَصِيرُ مِنْهَا شَاخِصٌ وَالْأَعْمَى إِلَيْهَا شَاخِصٌ  
وَالْبَصِيرُ مِنْهَا مُتْرَوِّدٌ وَالْأَعْمَى لَهَا مُتْرَوِّدٌ.

منها

وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يَكَادُ صَاحِبُهُ يَشْبَعُ مِنْهُ وَيَمَلُّهُ إِلَّا الْحَيَاةَ فَإِنَّهُ لَا  
يَجِدُ فِي الْمَوْتِ رَاحَةً وَإِنَّمَا ذَلِكَ بِمَنْزِلَةِ الْحِكْمَةِ الَّتِي هِيَ حَيَاةٌ لِلْقَلْبِ الْمَيِّتِ  
وَبَصَرٌ لِلْعَيْنِ الْعَمِيَاءِ وَسَمْعٌ لِلْأُذُنِ الصَّمَاءِ وَرِيٌّ لِلظَّمْآنِ وَفِيهَا الْغِنَى كُلُّهُ

وَالسَّلَامَةُ كِتَابُ اللَّهِ تُبْصَرُونَ بِهِ وَتَنْطَلِقُونَ بِهِ وَتَسْمَعُونَ بِهِ وَيَنْطِقُ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ  
وَيَشْهَدُ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ وَلَا يَخْتَلِفُ فِي اللَّهِ وَلَا يُخَالِفُ بِصَاحِبِهِ عَنِ اللَّهِ قَدِ  
اصْطَلَحْتُمْ عَلَى الْغُلِّ فِيمَا بَيْنَكُمْ وَنَبَتِ الْمَرْعَى عَلَى دِمَانِكُمْ وَتَصَافَيْتُمْ عَلَى حُبِّ  
الْأَمَالِ وَتَعَادَيْتُمْ فِي كَسْبِ الْأَمْوَالِ لَقَدْ اسْتَهَامَ بِكُمْ الْخَيْبُ وَتَاهَ بِكُمْ الْغُرُورُ  
وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى نَفْسِي وَأَنْفُسِكُمْ.

### ◀ اللغة

(مقاليدها) المقاليد المفاتيح او الخزائن (قُضبانها) بضم القاف جمع  
القضيب وهو العُصن المَقْطُوع (رَبِّي) الرِّي ضِدَّ العَطش (إِسْتَهَامَ بِكُمْ) ذهب  
من هام على وجهه لا يدري اين يَتَّوَجِه.

### ◀ المعنى

(إِنْقَادَاتُ لَهُ) اي لِلَّهِ (الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ بَاذِمَّتِيهَا) اي بِاجْمَعِيهَا وَالْإِنْقِيَادُ الْإِطَاعَةُ  
(وَقَدَّفَتْ) اي الْقَتَّ (إِلَيْهِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُونَ مَقَالِيدُهَا)، اي خَزَائِنُهَا  
وَمَفَاتِيحُهَا (وَسَجَدَتْ لَهُ) اي لِلَّهِ تَعَالَى (بِالْعُدْوِ وَالْأَصَالِ الْأَشْجَارِ النَّاصِرَةِ)  
الغیر اليابسة (وَقَدَّحَتْ لَهُ) تَعَالَى (مِنْ قُضْبَانِهَا) اي قُضْبَانَ الْأَشْجَارِ (النَّيْرَانِ)  
الْمُضِيئَةِ وَاتَتْ أَكْلَهَا بِكَلِمَاتِهِ الثَّمَارِ الْيَانِعَةِ) النَّاصِجَةُ (مِنْهَا) اي مِنْ هَذِهِ الْخُطْبَةِ  
(وَكِتَابُ اللَّهِ) اعْنِي الْقُرْآنَ (بَيْنَ أَظْهَرِكُمْ) وَآيْدِيكُمْ (نَاطِقٌ لَا يَغِيَا لِسَانَهُ وَبَيْتٌ لَا  
تُهْدَمُ أَرْكَانُهُ) فَإِنَّ أَرْكَانَهُ قَوِيَةٌ مُسْتَحْكِمَةٌ (وَعِزٌّ لَا تُهْزَمُ أَعْوَانُهُ) لِيَصِيرَ ذَلِيلًا.  
مِنْهَا أَرْسَلَهُ، اي الرُّسُولَ (عَلَى حِينِ فِتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ) اي خَلَّو الزَّمَانَ  
مِنْهُمْ (وَتَنَازَعُ مِنَ الْأَلْسُنِ) اي أَرْسَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيَّ حِينَ تَنَازَعُ مِنَ  
الْأَلْسُنِ (فَقَضَى بِهِ الرُّسُلَ وَخَتَمَ بِهِ الْوَحْيَ) لِأَنَّهُ خَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ (فَجَاهَدُ  
فِي اللَّهِ) اي فِي سَبِيلِهِ (الْمُدْبِرِينَ) الْمُعْرِضِينَ (عَنْهُ) تَعَالَى (وَالْعَادِلِينَ) عَنْ  
طَرِيقِ الْهُدَى وَالْمُنْحَرِفِينَ عَنِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ او الْمَعْنَى الْجَاعِلِينَ لَهُ نَظِيرًا  
وَعَدِيًا.

وانما الدنيا مُنتهى بَصَرِ الأعمى، اي اعمى القلب (لا يُبصر ممّا ورائها شيئاً) لأنه لا يرى إلا ما هو المَحسوس (والبصير) بالقلب (يُنفذها) اي الدنيا (ببصره ويعلم ان الدار) الآخرة (ورائها) اي وراء الدنيا (فالبصير منها) اي من الدنيا (شاخص) وخارج اي خارج نظره من الدنيا (والأعمى اليها) اي الى الدنيا شاخص، لا يرى غيرها (والبصير منها) من الدنيا (مُتزوّد) لآخרתه (والأعمى لها) اي للدنيا ولأجلها مُتزوّد فلا يتزوّد إلا لها (واعلموا انه ليس من شيء إلا يكاد صاحبه ان يشبع منه) (ويمّله) كما هو المشهود المَحسوس (الآ الحياة) في الدنيا (فانه لا يجد له في الموت راحة) ولأجل هذا يحبها ويكره الموت (وانما ذلك بمنزلة الحكمة التي هي حياة للقلب الميت) فان اراضي القلوب يحيا بها احياء الأرض المَحسوس بالمطر (وبصر للعين العمياء) بحب قلبه (وسمع للأذن الصماء) التي لا تسمع بقلبه (ورّي للظمان) العطشان ايضاً كذلك (ومنها) اي في الحكمة (الغنى كله والسلامة) من حيث الدنيا والدين (كتاب الله تُبصرون به وتنطقون به) بالتلاوة لآياته (وتسمعون به) اذا تليت آياته (وينطق بعضه ببعض) اي يُفسر بعضه ببعض (ويشهد بعضه على بعض) آخر في كونه حقاً (لا يختلف في الله) فان كلام الحق مُنزّه عنه (ولا يخالف لصاحبه عن الله) اي لا يسده عنه سبحانه ولا يضلّه عن سبيله (قد اصطَلَحْتُمْ على الغل) والجحد (فيما بينكم وبنت المرعى على دميكم وتصافيتُمْ) وتوافقْتُمْ (على حُبّ الآمال) الدنيوية (وتعاديتُمْ) اي صرتم اعداء (في كسب الأموال لقد استهام) اي طلب منكم ان تهيموا وتُحيروا (الخبيث وتاه بكم الغرور) اي اضلكم الشيطان اللعين وجعلكم تائمين ضالين (والله المُستعان على نفسي وانفسكم) من سوء الأعمال اذ لا ملجأ غيره.

◁ الشرح

□ قوله ﷺ: وَأَنْقَادَتْ لَهُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ بِأَرْمَتِهَا ...

الإتيقار الإطاعة وقيل الخضوع يقال إنقاد إنقياداً لفلان خضع له وذلك



واذَعَنَ، والمآل واحد لأن كل واحد من الإنقياد اعني الإطاعة والخُصُوع يلزم الأخر ضرورة أن الإطاعة لازمها الخُصُوع كما أن لازم الخُصُوع الإطاعة بل الحق هو عدم الفرق بينهما إلا بالاعتبار ومعلوم أن الإطاعة في كل شيء تجب، والأزمنة، التمام والكمال والمعنى أن الدنيا والآخرة بازمتهما أي بتمامها وكمالها مطيعة خاضعة له تعالى والضمير في قوله ﷻ: (له) يرجع إلى الله تعالى ومنه يظهر أن صدر الخطبة محذوف إذ المرجع لم يذكر بعد، ولعل السيد ﷺ اسقط صدر الخطبة أو لم يظفر به وعلى التقديرين لا شك في كون المرجع هو الله تعالى لأن الدنيا والآخرة له تعالى لا غيره فإنقيادهما لغير خالقهما لا معنى له وقد تكلمنا في معناهما وحقيقتهما في ما مضى مفصلاً.

ثم أن الدليل على كونهما منقادين له تعالى من النقل قوله تعالى: ﴿قَلِيلٌ مِنَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى﴾<sup>(١)</sup>

و: ﴿وَإِن لَّنَا لِلْآخِرَةِ وَالْأُولَى﴾<sup>(٢)</sup> تقريب الاستدلال أن اللام في قوله فليله ولنا، للملك أو الإختصاص ومعلوم أن المملوك يكون خاضعاً منقاداً للمالك ولا سيما إذا كان المالك مالكاً حقيقياً له والخالق هكذا. واما العقل: فلأن الله تعالى خالق الدنيا والآخرة وعلة لإيجادهما والمعلول دائماً يكون خاضعاً خاشعاً لعلته إذ لا وجود له حقاً مع قطع النظر عن وجود علته قال السبزواري في منظومته:

ازمنة الأمور طراً بيده والكل مستمدة من مده

□ قوله ﷻ: وَقَذَفْتُ إِلَيْهِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُونَ مَقَالِيدَهَا ...

أي القت ورمت إلى الله تعالى السموات والأرضون مفاتيحها وخزائنها والمقصود أنهما مع ما فيهما له تعالى قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ. لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾<sup>(٣)</sup>

فتح السعادة في شرح نهج البلاغة

و: ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾<sup>(١)</sup>

و: ﴿وَأَنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾<sup>(٢)</sup>

□ قوله ﷻ: وَسَجَدَتْ لَهُ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ الْأَشْجَارُ النَّاضِرَةُ ...

وسجدت اي خضعت وخشعت فان السجود في الأصل الخضوع والخشوع ثم استعمل في عرف المشرعة في وضع الجبهة على الأرض بالنسبة الى الإنسان وحيث ان السجدة بهذا المعنى مختص بالإنسان فلا جرم غرضه ﷻ من السجدة في المقام هو معناها اللغوي المعبر عنه بالسجود التكويني وفيه إشارة الى قوله تعالى حيث قال: ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾<sup>(٣)</sup>

و: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ

وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ﴾<sup>(٤)</sup>

و: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وظِلالَةًهُم بِالْغُدُوِّ

وَالْأَصَالِ﴾<sup>(٥)</sup> وإنما خص ﷻ بالذكر الأشجار مع ان الموجودات باسرها كذلك

لان الشجر اظهر واين في المدعى من غيره وخصها بالناصرة لكون اليابسة

منها لا حياة لها واقعاً والخضوع فرع على الحياة والوجود ومالا حياة له لا

خضوع له اللهم الا ان يقال ان الشجر بعد بئسه يصير في سلك الجمادات وقد

ثبت ان الجماد ايضاً يسجد، والجواب ان البحث ليس في مطلق السجود بل

البحث في سجدة الشجر والشجر اليابس قد خرج بئسه عن النباتية فهو

خارج عن البحث ويمكن ان يكون وجه التخصيص بالناصرة لكونها اقرب

بالحس كما قال السعدي بالفارسية:

برگ درختان سبز در نظر هوشيار

هر ورقش دفتري است معرفت كردگار

□ قوله ﷺ: وَقَدَحَتْ لَهُ مِنْ قُضْبَانِهَا النَّيِّرَانَ الْمُضِيئَةَ ...

قال في المنجد، قدح وإقتدح بالزند جادل إخراج النار منه قال تعالى: ﴿فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا﴾<sup>(١)</sup> أي الخيل توري سنايبها اذا وقعت على الحجارة، والقضبان بضم القاف معناه القطع يقال قضبت الشيء قضباً من باب ضرب قطعته فانقطع ومنه قيل للغصن المقطوع قضيب فعيل بمعنى مفعول والجمع قضبان بضم القاف والكسر لغة، والنيران بكسر النون وسكون الياء مع النار، والمضيئة اسم فاعلٍ من اضاء يضيئ إذا اشرق وانار اذا عرفت هذا.

فالمعنى ان الأشجار اشعلت النيران المضيئة من قضبانها واغصانها وفيه إشارة الى قوله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا﴾<sup>(٢)</sup> قال الطبرسي في تفسير الآية اي جعل لكم من الشجر الرطب المطفئ للنار ناراً محرقة يعني بذلك المرخ والعفار يتخذ الأعراب زنودهما منهما انتهى.

وقال الألويسي المشهور ان المراد بهذا الشجر المرخ والعفار يتخذ من المرخ وهو ذكر الزند الأعلى ومن العفار بفتح العين وهو أنثى الزندة السفلى ويسحق الأول على الثاني وهما خضراوان يقطر منهما الماء فتقدح النار باذن الله وكون المرخ بمنزلة الذكر والعفار بمنزلة الأنثى هو ما ذكره الزمخشري وغيره واللفظ كالشاهد له وعكس الجوهرى ثم قال وعن ابن عباس والكلبي في كل شجر نار الا العناب ولذا يتخذ منه مدق القصارين قال الخفاجي:

ايا شجر العناب نارك اوقدت بقلبي وما العناب من شجر النار

ولا يخفى ان نسبة القدح الى الأشجار في كلامه ﷺ من باب المجاز العقلي وذلك لأنها من الأسباب المادية لإستخراج النار منها بامر الله تعالى وفيه إشارة الى كمال قدرته تعالى كما قال في سورة الواقعة: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ، ءَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ، نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا

لِلْمُتَّقِينَ» (١)

□ قوله ﷻ: «وَأَتَتْ أُكْلَهَا بِكَلِمَاتِهِ الثَّمَارُ الْيَانِعَةَ ...»

أُكْلَهَا، بضم الهمزة والكاف إسم لما يؤكل من المأكولات، والمراد بكلماته ﷻ الكلمات التكوينية والباء فيها للسبب إذ الكلمات هي السبب لوجود الأشياء، واليانعة قال الراغب في المفردات ينعت الثمرة ينعا وينعاً وايئعت إيناعاً وهي يانعة ومونعة، هو المدرك البالغ انتهى.

والمعنى أن الأشجار أتت أكلها بأمر من الله تعالى والثمار جمع ثمر والثمار اليانعة بالفارسية (ميوهاى رسیده) وفيه إشارة إلى قوله تعالى حيث قال: ﴿كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ﴾ (٢)

و: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ كَحَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (٣)

و: ﴿وَشَجَرَةٍ تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِلْأَكْلِينَ﴾ (٤)

و: ﴿أُكْلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ (٥)

و: ﴿تُوْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ (٦)

وفي قوله ﷻ: بِكَلِمَاتِهِ إشارة إلى أن هذه الأثمار بسبب كلمات الله تعالى اعني كلماته الوجودية المعبرة عنها بكلمة كن في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (٧)

و: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (٨)

و: ﴿إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (٩) فهذه الكلمة هي سبب إيجاد

٢- الأنعام - ١٤١

٤- المؤمنون - ٢٠

٦- ابراهيم - ٢٥

٨- الحل - ٤٠

١- واقعه - ٧٣ = ٧١

٣- الانعام - ٩٩

٥- الزعد - ٣٥

٧- الانعام - ٧٣

٩- يس - ٨٢

الموجودات بمشيئته وإرادته ولا يبعد ان تكون هي المشيئة التي ورد في الحديث خلق الله الأشياء بالمشيئة والمشيئة بنفسها ضرورة ان هذه الكلمة اعني كلمة (كن الوجودية) ليست من سنخ الألفاظ والحروف.

هذا ان قلنا بان المراد بها ما ذكرناه كما هو ظاهر العبارة واما ان حملنا الكلمات في قوله ﷺ على الكلمات التامات اعني الموجودات الكاملة من الأنبياء والأوصياء فالمعنى ان الثمار اليانعة بسبب وجودها كما ورد في الحديث عن المعصوم انه قال نحن الكلمات التامات منها.

□ قوله ﷺ: وَكِتَابُ اللَّهِ يَبِينُ أَظْهَرِكُمْ نَاطِقٌ لَا يَعْصِي لِسَانَهُ وَيَبِيتُ لَا تُهْدَمُ أَرْكَانُهُ وَعِزٌّ لَا تُهْزَمُ أَعْوَانُهُ... .

وصف ﷺ كتاب الله اعني القرآن بانه ناطق لا يعجز لسانه ولا يقصر بيانه، وثانياً بانه يبىء لا تهدم اركانه لكونها قوية مشيدة، وثالثاً بانه عز لا تهزم اعوانه وانصاره.

اما الأول:

فهو إشارة الى قوله تعالى حيث قال: ﴿وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (١)

و: ﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ﴾ (٢)

والى الثانى:

قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لِحَافِظُونَ﴾ (٣)

و: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ (٤)

والى الثالث:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ﴾ (٥) ثم ان

الكلام خرج مخرج الإستعارة فتارة شبهه ﷺ الكتاب بالإنسان الفصيح الذي

لايَعْيَا لسانه ولا يَعْجِز عن التَّكَلُّم بما اراد وأخرى بَيِّتٍ وثيقٍ الَّذِي له أركان وأعمدة قَوِيَّة غير قابلة للإنهدام وثالثة اطلق عليه العِزَّ الَّذِي لا يَصِير ذلًّا ابدًا ويمكن كونه على طريق الإستعارة ايضاً وتقريبها انه ﷺ شَبَّه الكتاب بالعزير الَّذِي له اعوان وانصار الَّذِي عِزَّتْه تَدُور مدارهم وجوداً وعدمًا وحيث ان الكتاب اعوانه لا تُهْزَم ابدًا فهو عزيز دائماً.

اما الأَوَّل: اعني كونه ناطقاً لا يَعْْيَا لسانه فالوجه فيه هو انه كلام الحق تبارك وتعالى وحيث ان الكلام صفة للمتكلم وقد ثَبَّت عَيْنِيَّة الصِّفَات لِلذَّات هناك وان ذاته بريئة عن النقائص والعجز نقص فلا مُحَالَة لا يكون كلامه عاجزاً اذ العجز في الكلام يَسْرِي الى العجز في الذات وهو مُنَافٍ لِلواجبية فان الواجب بالذات واجب من جميع الجهات والنقص يُنَافِيه.

اما الثَّانِي: اعني انه بيتٌ لا تُهْدم اركانه فلان اركان هذا البيت ليست من جنس الخشب والحديد وامثالها من المواد القابلة للذئور والفناء بمرور الليالي والأيام بل اركانه عبارة عن العلم والارادة والحكمة والقدرة التي لا تقبل الفناء اصلاً لكونها من صفات الذات والذات ازلي ابدِي وهذا معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لِحَافِظُونَ﴾ (١)

و: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَيْتَهُمْ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (٢) وغيرهما من الآيات.

واما الثالث: فلان اعوان الكتاب وانصاره في كل عصرٍ وزمان حَمَلَة القرآن اعني الأولياء والصُّلحاء ومعلوم ان هؤلاء لا يهزمون اصلاً لكونهم مع الكتاب والكتاب معهم وانما اطلق ﷺ عليه العِزَّ مع انه سَبَّب للعِزَّ اطلاقاً لِلْمُسَبَّب على السَّبَب.

□ قوله ﷺ: أَرْسَلَهُ عَلَيَّ حِينَ فِتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ وَتَنَازَعِ مِنَ الْأَلْسُنِ ...

والضمير في قوله ﷺ: ارسله يرجع الى النبي ﷺ ولعل الرضي ﷺ اسقط

الموجودات بمشيئته وإرادته ولا يبعد ان تكون هي المشيئة التي ورد في الحديث خلق الله الأشياء بالمشيئة والمشية بنفسها ضرورة ان هذه الكلمة اعني كلمة (كن الوجودية) ليست من سنخ الألفاظ والحروف.

هذا ان قلنا بان المراد بها ما ذكرناه كما هو ظاهر العبارة واما ان حملنا الكلمات في قوله ﷺ على الكلمات التامات اعني الموجودات الكاملة من الأنبياء والأوصياء فالمعنى ان الثمار اليانعة بسبب وجودها كما ورد في الحديث عن المعصوم انه قال نحن الكلمات التامات منها.

□ قوله ﷺ: وَكِتَابُ اللَّهِ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ نَاطِقٌ لَا يَعْنِي لِسَانُهُ وَيَبِيتُ لَا تُهْدَمُ أَرْكَانُهُ وَعِزٌّ لَا تُهْزَمُ أَعْوَانُهُ... .

وصف ﷺ كتاب الله اعني القرآن بانه ناطق لا يعجز لسانه ولا يقصر بيانه، وثانياً بانه بيت لا تهدم اركانه لكونها قوياً مشيدة، وثالثاً بانه عز لا تهزم اعوانه وانصاره.

اما الأول:

فهو إشارة الى قوله تعالى حيث قال: ﴿وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾<sup>(١)</sup>

و: ﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ﴾<sup>(٢)</sup>

والى الثانى:

قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لِحَافِظُونَ﴾<sup>(٣)</sup>

و: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾<sup>(٤)</sup>

والى الثالث:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ﴾<sup>(٥)</sup> ثم ان

الكلام خرج مخرج الإستعارة فتارة شبه ﷺ الكتاب بالإنسان الفصيح الذي

لايَعْيَا لسانه ولا يَعْجِز عن التَّكَلُّم بما اراد وأخرى بَيْتٍ وثيقٍ الَّذِي له أركان وأعمدة قَوِيَّة غير قابلة للإِهْدَام وثالثة اطلق عليه العِزَّ الَّذِي لا يَصِير ذلًّا ابدًا ويمكن كونه على طريق الإستعارة ايضاً وتقريبها أَنَّهُ ﷺ شَبَّهَ الْكِتَابَ بِالْعَزِيزِ الَّذِي له اعوان وانصار الَّذِي عِزَّتُهُ تَدُورُ مَدَارَهُمْ وَجُوداً وَعَدماً وَحَيْثُ انَّ الْكِتَابَ اعوانه لا تُهْزَمُ ابدًا فهو عزيز دائماً.

اما الأَوَّل: اعني كونه ناطقاً لا يعيياً لسانه فالوجه فيه هو أَنَّهُ كَلَامُ الْحَقِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَحَيْثُ انَّ الْكَلَامَ صِفَةً لِلْمُتَكَلِّمِ وَقَدْ ثَبَّتْ عَيْنِيَّةُ الصِّفَاتِ لِلذَّاتِ هُنَاكَ وَانْ ذَاتَهُ بَرِيئَةٌ عَنِ النَّقَائِصِ وَالْعَجْزِ نَقْصٌ فَلَا مُحَالَةَ لا يَكُونُ كَلَامُهُ عَاجِزاً اِذْ الْعَجْزُ فِي الْكَلَامِ يَسْرِي إِلَى الْعَجْزِ فِي الذَّاتِ وَهُوَ مُنَافٍ لِلوِاجِبِيَّةِ فَإِنَّ الْوَاجِبَ بِالذَّاتِ وَاجِبٌ مِنْ جَمِيعِ الْجِهَاتِ وَالنَّقْصُ يُنَافِيهِ.

اما الثَّانِي: اعني أَنَّهُ بَيْتٌ لا تُهْدَمُ اركانُه فَلاِنَّ اركانَ هَذَا الْبَيْتِ لَيْسَتْ مِنْ جِنْسِ الْخَشَبِ وَالْحَدِيدِ وَامثالها من المواد القابلة للذُّثُورِ وَالْفَنَاءِ بِمُرُورِ اللَّيَالِيِ وَالْأَيَّامِ بَلْ اركانُه عِبَارَةٌ عَنِ الْعِلْمِ وَالْإِرَادَةِ وَالْحِكْمَةِ وَالْقُدْرَةِ الَّتِي لا تَقْبَلُ الْفَنَاءَ اصْلاً لَكُونِهَا مِنْ صِفَاتِ الذَّاتِ وَالذَّاتُ اِزْلِيٌّ اِبْتَدِيٌّ وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لِحَافِظُونَ﴾ (١)

و: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَيْتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (٢) وغيرهما من الآيات.

واما الثالث: فَلاِنَّ اعوان الكتاب وانصاره في كُلِّ عَصْرٍِ وَزَمَانٍ حَمَلَةَ الْقُرْآنِ اعني الأولياء والصُّلَحَاءَ وَمَعْلُومٌ انَّ هَؤُلَاءَ لا يُهْزَمُونَ اصْلاً لَكُونِهِمْ مَعَ الْكِتَابِ وَالْكِتَابُ مَعَهُمْ وَإِنَّمَا اَطْلَقَ ﷺ عَلَيْهِ الْعِزَّ مَعَ أَنَّهُ سَبَبٌ لِلْعِزِّ اِطْلَاقاً لِلْمُسَبَّبِ عَلَى السَّبَبِ.

□ قَوْلُهُ ﷺ: أَرْسَلَهُ عَلَيَّ حِينَ فِتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ وَتَنَازُعٍ مِنَ الْأَلْسِنِ ... وَالضَّمِيرُ فِي قَوْلِهِ ﷺ: أَرْسَلَهُ يَرْجِعُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَلَعَلَّ الرَّضِيَّ ﷺ اسْقَطَ



صَدَرَ الخُطْبَةُ كما مرَّ في قوله ﷺ وإنقادت له الدنيا والآخرة وكيف كان المقصود أن الله تعالى أرسل الرُّسُولَ إلى النَّاسِ في زمان الفُتُورِ اعني إنقطاع الوحي وقد مرَّ شرح هذا الكلام مُفصلاً في الخُطْبَةُ الأُولَى والخُطْبَةُ الثَّامِنَةُ والثَّمَانِينَ وتنازع الألسن كناية عن إختلاف الأراء وتشتت العقائد في عصر الجاهلية وقد مرَّ تفصيله ايضاً.

□ قوله ﷺ: فَقَفَى بِهِ الرُّسُلَ وَخَتَمَ بِهِ الوَحْيَ ...

اي قَضَى اللهُ تعالى بوجود النبي الرُّسُلَ واتبعهم به لكونه ﷺ بحسب الظاهر آخر الأنبياء وان كان في الواقع قبلهم كما قال ﷺ كُنْتُ نَبِيًّا وَأَدَمُ بَيْنَ الْمَاءِ وَالطَّيْنِ وَخَتَمَ بِهِ الوَحْيَ اذ لا نبي بعده والوحي يَخْتَصُّ بالنبي فلا وحي بعده كما قال تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ (١)

و: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ وَخَاتِمَ النَّبِيِّينَ﴾ (٢)

إعلم: أن الوحي في الأصل الإشارة السريعة ولتضمن السرعة مقيل امرٌ وصيٌ وذلك يكون بالكلام على سبيل الرمز والتعريض وقد يكون بصوتٍ مُجَرَّدٍ عن التركيب وبإشارةٍ ببعض الجوارح وبالكتابة وقد حمل على ذلك قوله تعالى حكاية عن زكريا: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ (٣)

فقد قيل رمز وقيل إعتبار وقيل كتب وعلى هذه الوجوه قوله تعالى حيث قال: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ (٤)

و: ﴿إِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ﴾ (٥)

وهو الوسواس المُشار اليه بقوله تعالى: ﴿مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾ (٦) ويقول ﷺ: إِنَّ لِلشَّيَاطِينَ لَمَّةَ الْخَيْرِ هَذَا...

٢- الاحزاب- ٤٠

٤- الانعام- ١١٢

٦- الناس- ٤

١- آل عمران- ١٤٤

٣- مريم- ١١

٥- الانعام- ١٢١

ويقال للكلمة الإلهية التي تلقي إلى أنبيائه وأوليائه أيضاً وحي وهو المبحوث عنه فعلاً والأصل فيه أن الله تعالى لا يكلم البشر إلا وحيًا كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكْتُمَ اللَّهُ إِلًّا وَحِيًّا﴾<sup>(١)</sup>

وهو على أقسام:

أحدها: أن يكون برسولٍ مُشاهدٍ تُرى ذاته ويُسمع كلامه كتبليغ جبرائيل ﷺ للنبي في صورةٍ معينة كما ورد أن جبرائيل نزل عليه ﷺ في صورة دحية الكلبي.

وثانيها: بسماع كلامه من غير معاينته ذاته كسماع موسى كلام الله في قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾<sup>(٢)</sup>

وثالثها: بالقاء في الروح كما ذكر ﷺ أن روح القدس نَفَذَ في روعي. ورابعها: بالهام قال الله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾<sup>(٣)</sup> وخامسها:

بالتسخير - قال الله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا﴾<sup>(٤)</sup>

وسادسها: الوحي بالمنام كما قال ﷺ: إنقطع الوحي وتبييت المبشرات رؤيا المؤمن.

فالألهام والتسخير والمنام دَلَّ عليه قوله تعالى ﴿إِلَّا وَحِيًّا﴾ وسماع الكلام مُعَايِنَةٌ دَلَّ عليه قوله (أو من وراء حجاب) وتبليغ جبرائيل في صورة معينة دَلَّ عليه قوله تعالى: ﴿أَوْ يُزِيلُ رَسُولًا فَيُوحِي﴾<sup>(٥)</sup>

و: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ﴾<sup>(٦)</sup>

و: ﴿أَوْحَىٰ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحِ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾<sup>(٧)</sup>

١- النساء - ١٦٤

٢- النحل - ٦٨

٣- الانعام - ٢١

٤- الشورى - ٥١

٥- القصص - ٧

٦- الشورى - ٥١

٧- الانعام - ٩٣

والوجه فيه هو ان معرفة الله ومعرفة صفاته ووجوب عبادته ليست مقصورة على الوحي المختص بأولي العزم من الرسل بل يُعرف ذلك بالعقل والألهام كما يُعرف بالسَّمع.

ثم ان الوحي تارة يكون بواسطة النبي الى غيره كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَوْحَيْتُ إِلَى الْخَوَارِجِ﴾ (١) ومعلوم ان ذلك الوحي اليهم بواسطة عيسى عليه السلام وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ﴾ (٢)

فذلك وحي الى الأمم بواسطة الأنبياء - وقد يكون مُختصاً بالنبي ومنه قوله تعالى: ﴿اتَّبِعْ مَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ (٣) و: ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ (٤)

و: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ (٥) وقد يكون الوحي بواسطة كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ﴾ (٦)

فَوحيه تعالى الى موسى بواسطة جبرائيل والى هارون بواسطة موسى وهكذا وحيث إنجر الكلام الى هنا لا بأس بالإشارة الى بعض الحقائق العقلية الفلسفية التي إستخرجوها من القواعد الحكمية وان كان للنظر فيها مجال واسع فنقول إعلم: ان الروح الإنساني كمرآة تنعكس فيها صور الأشياء فاذا صقلت بصقاله العقل القدسي للعبودية التامة وزالت عنه غشاوة الطبيعة ورين المعصية لاح له حيثئذ نور المعرفة والإيمان وهو المسمى عند الحكماء بالعقل المُستفاد وبهذا النور العقلي يتراى فيه حقائق الملكوت وخبايا الجبروت كما يتراى بالنور الحسي الأشباح المثالية في المرآتي الصيقلية اذا لم يفسد صيقلتها بطبع ولم يكدر صفائها برين ولم يمنعها حجاب عن ذلك لأن النفوس بحسب أصل فطرتها صالحة بقبول نور الإيمان وفيض الرحمن اذا لم يطرء لها كلمة يفسدها

٢- الانبياء- ٧٣  
٤- الانعام- ٥٠  
٦- يونس- ٨٧

١- المائدة- ١١١  
٣- الانعام- ١٠٦  
٥- كهف- ١١٠

او حِجَابٌ يَحْجُبُهَا عَنْ إِدْرَاكِ الْحَقِّ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَطَبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ (١)

و: ﴿بَلْ زَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (٢) فَإِذَا اعْرَضَتْ نَفْسُ الْإِنْسَانِيَّةِ عَنْ دَوَاعِي الْبَدَنِ وَالْإِشْتِغَالِ بِمَا تَحْتَهَا مِنَ الشَّهْوَةِ وَالغَضَبِ وَالْحِسِّ وَالتَّخْيِيلِ وَتَوَجَّهَتْ وَوَلَّتْ بِوَجْهِهَا تَلْقَاءَ عَالَمِ الْمَلَكُوتِ الْأَعْلَى إِتَّصَلَتْ بِالسَّعَادَةِ الْقُصْوَى وَرَأَى عَجَائِبَ الْمَلَكُوتِ وَآيَاتِ اللَّهِ الْكُبْرَى كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ (٣)

ثُمَّ إِنَّ هَذِهِ إِذَا كَانَتْ قُدْسِيَّةً شَدِيدَةً الْقُوَى قَوِيَّةَ الْإِنَارَةِ لَمَّا تَحْتَهَا لَا يَشْغَلُهَا جِهَةٌ فَوْقَهَا عَنْ تَحْتِهَا فَتَضْبِطُ لِلطَّرْفَيْنِ وَتَسَّعُ لِلْجَانِبَيْنِ وَلِغَايَةِ قُوَّتِهَا وَشِدَّتِهَا تَقْدِرُ عَلَى الْجَمْعِ بَيْنَ الْمَقُولَاتِ وَالْمَحْسُوسَاتِ لَا يَسْتَعْرِقُهَا حَسُّهَا الْبَاطِنِ عَنْ حَسِّهَا الظَّاهِرِ وَليست كالأرواح العامية الضعيفة إذا مالت إلى جانب غابت عن الآخر وإذا رَكَنت إلى مَشْعَرٍ مِنَ الْمَشَاعِرِ ذَهَلَتْ عَنِ الْآخِرِ فَلِذَلِكَ الْبَصَرُ مِنْهَا يُخَيَّلُ بِالسَّمْعِ وَبِالعكس والخوف يشغلها عن الشهوة والشهوة تصدها عن الغضب والكفر يُغْطِيهَا عَنِ الْجَمِيعِ.

وَأَمَّا الرُّوحُ الْقُدْسِيَّةُ فَلَا تَشْغَلُهَا شَأْنٌ عَنِ شَأْنٍ وَلَا يَصْرِفُهَا نَشَاءٌ عَنِ نَشَاءٍ فَإِذَا تَوَجَّهَتْ إِلَى الْأَفْقِ الْأَعْلَى وَتَلَقَّتْ بَانَوَارِ الْمَعْلُومَاتِ بِلَا تَعَلُّمٍ بَشَرٍ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى يَتَّعَدِي تَأْثِيرَهَا إِلَى قَوَاهَا وَيَتَّخِيلُ صُورَةَ مَا شَاهَدَهَا لِرُوحِهَا الْبَشَرِيَّ وَمِنْهَا إِلَى ظَاهِرِ الْكَوْنِ فَيَتَّمثلُ لِلْحَوَاسِ الظَّاهِرَةِ سَيِّمًا السَّمْعِ وَالْبَصَرِ لِكُونِهِمَا أَشْرَفَ الْحَوَاسِ الظَّاهِرَةِ وَالطَّفَقِهَا فَيَرَى شَخْصًا مَحْسُوسًا وَيَسْمَعُ كَلَامَ اللَّهِ مِنْظُومًا فِي غَايَةِ الْجُودَةِ وَالْفَصَاحَةِ أَوْ صَحِيفَةً مَكْتُوبَةً فَالشَّخْصُ هُوَ الْمَلَكُ النَّازِلُ الْحَامِلُ لِلوَحْيِ الْإِلَهِيِّ وَالْكَلامُ هُوَ كَلَامُ اللَّهِ وَالْكِتَابُ كِتَابُهُ وَهَذَا الْمُتَّمثلُ لَيْسَ مُجَرَّدَ صُورَةٍ خَيَالِيَّةٍ لَا وَجُودَ لَهَا فِي الْخَارِجِ أَيِ فِي خَارِجِ الدَّهْنِ كَمَا

زَعَمَهُ بَعْضُ الْفَلَسَفَةِ مِنْ اتِّبَاعِ أَرِسْطُو مَعَاذَ اللَّهِ مِنْ هَذَا الْإِعْتِقَادِ النَّاشِي عَنِ الْجَهْلِ بِأَحْكَامِ الْإِنْزَالِ وَالتَّنْزِيلِ وَعَدَمِ الْإِيمَانِ بِكَيْفِيَةِ الرِّسَالَةِ وَالْوَحْيِ.

أَقُولُ: هَذَا خِلَاصَةٌ مَا حَقَّقَهُ صَدْرُ الْمُتَأَلِّهِينَ فِي كَيْفِيَةِ الْوَحْيِ وَبَيَانِ حَقِيقَتِهِ وَمَا هَيْتَهُ فِي كِتَابِهِ الْمُسَمَّى بِمِفَاتِيحِ الْغَيْبِ ثُمَّ اتَّبَعَ كَلَامَهُ بَعْدَ ذَلِكَ بِمَا لَا يَفِيدُ فِي الْمَقَامِ أَنْ شُتَّ الْإِطْلَاعُ عَلَيْهِ فَرَاغَهُ وَهُوَ ﷺ وَأَنْ صَرَّحَ فِي مَا نَقَلْنَاهُ عَنْهُ بِأَنَّ هَذَا الْمُتَمَثِّلَ لَيْسَ مُجَرَّدَ صُورَةٍ خَيَالِيَّةٍ لِأَوْجُودِ لَهَا فِي خَارِجِ الذَّهْنِ كَمَا زَعَمَهُ اتِّبَاعُ أَرِسْطُو مِنَ الْفَلَسَفَةِ إِلَّا أَنْ مَا حَقَّقَهُ ﷺ أَيْضاً كَذَلِكَ وَذَلِكَ لِأَنَّا نَقُولُ.

هَذَا الشَّخْصُ اعْنِي الْمَلَكَ النَّازِلَ الْحَامِلَ لِلْوَحْيِ لَا يَخْلُو حَالَهُ أَمَا أَنْ يَكُونَ مَوْجُوداً فِي خَارِجِ الذَّهْنِ قَبْلَ الْوَحْيِ وَأَمَا أَنْ لَا يَكُونَ مَوْجُوداً فَإِنَّ كَانَ مَوْجُوداً فَلَا مَعْنَى لِقَوْلِهِ فَيَتَمَثَّلُ لِلْحَوَاسِ الْخ.

وَأَنْ كَانَ غَيْرَ مَوْجُودٍ بَلْ يُوجَدُ بِتَوَجُّهِ الرُّوحِ الْقُدْسِيِّ إِلَى الْأَفْقِ الْأَعْلَى فَالرُّوحُ الْقُدْسِيُّ هِيَ الْمَوْجُودَةُ لَهُ وَقَدْ ثَبَتَ بِالضَّرُورَةِ مِنَ الدِّينِ وَجُودَ جِبْرَائِيلَ فِي عَالَمِ الْخَارِجِ قَبْلَ الرَّسُولِ وَبَعْدَهُ وَهُوَ وَاضِحٌ.

وَلَبَّ الْكَلَامُ هُوَ أَنَّ مَاهِيَةَ الْوَحْيِ وَحَقِيقَتَهُ غَيْرُ ظَاهِرَةٌ لَنَا وَلَا يُمَكِّنُ لَنَا الْإِلْتِمَامَ بِهَذِهِ الْكَلِمَاتِ الْمُسْتَخْرَجَةِ عَنِ الْأَوْهَامِ الْفَاسِدَةِ وَالْعُقُولِ الْكَاسِدَةِ الْبَشَرِيَّةِ وَالَّذِي ثَبَتَ لَنَا نَقْلاً هُوَ أَصْلُ ثُبُوتِ الْوَحْيِ فِي الشَّرِيعَةِ بَلِ الشَّرَائِعِ الْمُقَدَّسَةِ وَأَنَّ حَامِلَ الْوَحْيِ هُوَ جِبْرَائِيلُ ﷺ وَأَمَا أَنَّ الْوَحْيَ مَا هُوَ فَهُوَ خَارِجٌ عَنِ إِدْرَاكِنَا وَبِعِبَارَةٍ أُخْرَى لَا بَدَّ لَنَا مِنَ الْإِعْتِقَادِ بِأَصْلِ الْوَحْيِ فِي الْأَنْبِيَاءِ وَلَا تَقْدِرُ عَلَيَّ إِنْكَارُهُ لِتَصْرِيحِ الْكِتَابِ بِهِ وَأَمَا الْعِلْمُ بِحَقِيقَتِهِ بَلِ الْبَحْثُ عَنْهَا فَلَا يَجِبُ بَلْ لَا يَجُوزُ.

□ قَوْلُهُ ﷺ: فَجَاهِدْ فِي اللَّهِ الْمُدْبِرِينَ عَنْهُ وَالْعَادِلِينَ بِهِ ...

أَيُّ فَجَاهِدِ الرَّسُولَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الْمُدْبِرِينَ الْمُعْرِضِينَ عَنْهُ تَعَالَى وَالْعَادِلِينَ أَيُّ الْجَاعِلِينَ لَهُ عَدِيلاً وَنَظِيراً وَفِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ مَاموراً مِنَ اللَّهِ بِالْجِهَادِ مَعَ أَعْدَائِهِ وَهُوَ كَذَلِكَ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ

وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَا وَأَيُّهُمْ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ<sup>(١)</sup>

و: ﴿فَلَا تُطِيعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَاداً كَبِيراً﴾<sup>(٢)</sup>

و: ﴿لَكِنَّ الرِّسُولَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ﴾<sup>(٣)</sup>

وفي قوله ﷺ: المُدْبِرِينَ إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ﴾<sup>(٤)</sup>

وفي قوله ﷺ: العادِلِينَ إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾<sup>(٥)</sup>

و: ﴿وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾<sup>(٦)</sup>

و: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ﴾<sup>(٧)</sup> ثُمَّ إِنَّ الْفَرْقَ بَيْنَ الْمُدْبِرِينَ وَالْعَادِلِينَ

هو أنَّ المُدْبِرِينَ عبارة عن المُعْرِضِينَ عَنِ الْحَقِّ الْمُنْكَرِينَ لَهُ وَأَمَّا الْعَادِلِينَ فَلَيْسُوا بِمُنْكَرِيهِ بَلْ وَصَلُوا إِلَى الْحَقِّ بِزَعْمِهِمُ الْفَاسِدِ مَعَ أَنَّهُمْ عَدَلُوا عَنْهُ وَأَقْعَا كَالْمُشْبَهَةِ وَعِبَادَةِ الْأَصْنَامِ وَغَيْرِ هَؤُلَاءِ مِمَّنْ يَقُولُ بِهَذِهِ الْمَقَالَةِ وَبِعِبَارَةٍ أُخْرَى الْمُدْبِرُ مَنْ أَنْكَرَ الْإِلَهَ وَالْعَادِلُ مَنْ شَبَّهَهُ بِمَخْلُوقَاتِهِ وَكِلَاهُمَا مُحْكُومَانِ بِالْكَفْرِ وَالْإِلْحَادِ وَالنَّبِيِّ كَانَ مَأْمُوراً بِالْجِهَادِ مَعَهُمْ.

□ قوله ﷺ: ﴿وَأِنَّمَا الدُّنْيَا مُتَنَهَى بَصَرِ الْأَعْمَى لَا يُبْصِرُ مِمَّا وَرَاءَهَا شَيْئاً...

كلمة إنما يُفِيدُ الْحَصْرَ وَالْمَعْنَى أَنَّ الْأَمْرَ كَذَلِكَ قِطْعاً وَالْمُرَادُ بِالْأَعْمَى أَعْمَى الْقَلْبِ لَا أَعْمَى الْبَصَرِ الْجِسْمِيِّ وَذَلِكَ لِأَنَّ مَا وَرَائَهَا أَعْنِي مَا وَرَاءَ الطَّبِيعَةِ وَالْمُرَادُ هُنَا الْآخِرَةَ لَيْسَ مِمَّا يُرَى بِهَذَا الْبَصَرِ حَتَّى صُحَّحَ أَنَّ الْقَلْبَ لَا يُبْصِرُهُ بَلْ هُوَ غَيْرُ قَابِلٍ لِلرُّؤْيَى الْمَحْسُوسَةِ قِطْعاً بِصِيراً كَانَ أَوْ أَعْمَى، وَعَلَيْهِ فَالْمُرَادُ بِالْأَعْمَى أَعْمَى الْقَلْبِ الَّذِي لَا بَصِيرَةَ فِي قَلْبِهِ وَهُوَ الَّذِي يَكُونُ مُتَغَمِّراً فِي عَالَمِ الْمَادَّةِ مُنْهَمِكاً فِي اللَّذَاتِ وَالشَّهَوَاتِ الْجِسْمِيَّةِ الْفَانِيَةِ لَا يَرَى إِلَّا مَا هُوَ مُحْسُوسٌ لَهُ.

٢- الفرقان - ٥٢

٤- المدثر - ٢٣/٢٤

٦- الانعام - ١٥٠

١- التوبة - ٧٣، والتحريم - ٩

٣- التوبة - ٨٨

٥- الانعام - ١

٧- النحل - ٦٠

قوله ﷻ: وَالْبَصِيرُ يَنْفُذُهَا بَصَرُهُ وَيَعْلَمُ أَنَّ الدَّارَ وَرَاءَهَا ...

النَّفُوذُ الخُروجُ يقالُ نَفَذَ السَّهْمُ فِي الرَّمِيَةِ نَفُودًا وَنَفَادًا وَالْمَثْقَبُ فِي الخَشَبِ إِذَا خَرِقَ إِلَى الجِهَةِ الأُخْرَى قالَ تعالى: ﴿إِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ (١)

والمعنى أن بصير القلب يخرج بصره القلبي عن الدنيا ويعلم أن الدار الآخرة ورائها فيعمل لها عملاً صالحاً وقد أشير في الكتاب الإلهي اليهما.  
فمن الأول:

اعني من لا يبصر ورائها شيئاً قوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الحَيَاةَ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ القِيَمَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (٢)

و: ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ (٣)

و: ﴿أَرْضَيْتُمْ بِالحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الأُخْرَةِ فَمَا مَتَاعُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الأُخْرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ (٤)

و: ﴿إِنَّ هِيَ إِلا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَى وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ (٥)

و: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الأُخْرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ (٦)

و: ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمُ بِاللَّهِ الغُرُورُ﴾ (٧)

و: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالأُخْرَةَ حَيْرًا وَابْتِغَى﴾ (٨) والآيات كثيرة دالة

على وجود الآخرة بعد الدنيا فمن رأى هذه الآيات ولا يعتقد بها فهو الأعمى حقاً.

ومن الثاني:

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالأُخْرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ (٩)

٢- البقرة - ٢١٢

٤- التوبة - ٣٨

٦- الروم - ٧

٨- الأعلى - ١٦

١- الرحمن - ٣٣

٣- الاعراف - ٥١

٥- المؤمنون - ٢٧

٧- لقمان - ٣٣

٩- الأنعام - ٩٢

و: ﴿وَلَذَارُ الْأَخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ ذَارُ الْمُتَّقِينَ﴾ (١)

و: ﴿وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً﴾ (٢)

و: ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (٣)

و: ﴿وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى﴾ (٤)

□ وقوله ﷺ: فالْبَصِير منها شاخِص والأَعْمَى اليها شاخِص ...

قال الرَّاعِب في المُفردات في مادة شَخَص - الشَّخَص سواد الإنسان القائم المرآئي من بعيد وقد شَخَص من بَلَدَه نَقَد، وشَخَص سَهْمَه وبَصَرَه واشَخَصه صاحبه اي اجفانهم لا تطرف انتهى.

قال الخوئي في شرح الكلام ما هدا لفظه: فالْبَصِير، النافذ البَصَر (منها شاخِص) راحل لأنه بعد ما عرف ان الدار ورائها لا يقف دُونها بل يَجْعَلها بمنزلة طريق سالك الى وطنه ومكانه قال: (والأعمى اليها شاخِص) ناظر لأنه بعد ما لم يعرف ورائها شيئاً يزعم ان هذه هي الدار وان له فيها القرار فيَقصر نظره اليها انتهى.

ما ذكره تَبَعاً للمُحَقِّق البحراني ﷺ في شرحه له.

اقول: لا ادري ما الذي حَمَلهم على هذا التفسير ولعله لعدم دركهم عمق كلامه ولَب مرامه تَسَبُّوا بهذا التفسير الموهون الذي لا يساعده العقل السليم والفطرة المُستقيمة وهو انهم فَسَّرُوا الشَّخَص تارة بالرَّاحِل وتارة بالناظر ولم يَعْلَمُوا ان الكلام في صدر الفصل الي هنا كان في كيفية نظر السالك الى الدنيا والآخرة لا في الرِّحِيل منها فان الإنسان راحل منها لا محالة بصيراً كان او اعمى القلب مؤمناً كان او كافراً وعليه فما النفع في قوله فالْبَصِير منها راحل، وما وجه تخصيص الشَّخَص هنا بالرَّاحِل اليس الأعمى ايضاً راحل منها وحاصل الكلام ان كلمة الشَّخَص في المقامين معناها واحد فان قلنا بكون الشَّخَص



في الجملة الأولى معناه الراحل فكذا في الثانية وان قلنا بان معناه الناظر فهكذا في الثانية فباي دليل يُحمل في الأولى بغير ما يُحمل عليه في الثانية واذ ليس فليس اذا عرفت هذا فنقول.

كلمة الشاخص في المقامين معناها الناظر عن دقة بحيث انه لا ينظر يمينا وشمالا واجفانه لا تطرف كما فسره الراغب وهذا هو الفرق بين الناظر والشاخص فالأول اعم من الثاني والثاني اخص منه فكل شاخص ناظر ولا عكس اي ليس كل ناظر شاخص قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾<sup>١</sup>

و: ﴿وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾<sup>٢</sup>

عبر الله تعالى في المقامين بهذا اللفظ ولم يقل في الأول (تنظر) وفي الثاني (ناظرة) مثلاً للدلالة على ان نظر الكفار في المقامين غير النظر بالنسبة الى غيرهم والا فاصل النظر ثابت لهم جميعاً والفرق ان نظر الكفار نظر بُهتٍ وحيرةٍ وتأثرٍ وندامة فلا مُحالة لا يرفعون نظرهم عن المحشر مثلاً وهذا بخلاف النظر في غيرهم من المؤمنين الا ترى ان الإنسان اذا تعجب من شيء مثلاً ونظر اليه لا يرفع نظره عنه وهذا هو المسمى بالنظر الشاخص وهكذا في موارد السرور والحزن وغيرهما مما هو خارج عن العادة.

ثم ان المبصر له إعتباران، إعتبار بنفسه، وإعتبار لغيره وان شئت قلت النظر الى الشيء تارة يكون بما هو هو على سبيل الإستقلال، وأخرى بما هو آلة لغيره على سبيل المرآتية ويظهر هذا المعنى في المرآة فانك تارة تنظر اليها إستقلالاً مع قطع النظر عن انها آلة، لانعكاس صور الأشياء فيها وأخرى بانها كذلك فالنظر الأول إستقلالي والثاني آلي والدنيا ايضاً كذلك فتارة ينظر الإنسان اليها بما هي هي مع قطع النظر عن كونها سبباً ووسيلة الى الآخرة وانها في طريقها وأخرى ينظر اليها لا كذلك بل لأنها سبب لتحصيل السعادات وآلة للئيل الى

اعلى المَقَامَاتِ فِي دَرَجَاتِ الْآخِرَةِ وَلَا شَكَّ أَنَّ الْإِنْسَانَ فِي كِلَا الْمَقَامَيْنِ شَاخِصٌ لِيهَا لَا نَاطِرَ لِيهَا فَقَطُّ الْآتَهُ أَيِ الْإِنْسَانَ فِي النَّظَرِ الْإِسْتِقْلَالِي لِيهَا شَاخِصٌ إِذْ لَا هَدَفَ لَهُ غَيْرَهَا وَفِي النَّظَرِ الْآلِي مِنْهَا شَاخِصٌ إِلَى غَيْرِهَا أَعْنِي الْآخِرَةَ إِذَا عَرَفْتَ هَذَا.

فَقَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: فَالْبَصِيرُ مِنْهَا شَاخِصٌ، مَعْنَاهُ أَنَّ بَصِيرَ الْقَلْبِ يَنْظُرُ مِنْهَا أَيِ مَنْ الدُّنْيَا بِنَظَرٍ شَاخِصٍ ثَابِتٍ وَحَيْثُ أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَتَى بِكَلِمَةِ (مَنْ) الْإِبْتِدَائِيَّةِ نَفْهَمُ أَنَّ الْمُتَنَهِّيَ غَيْرَ الدُّنْيَا فَلَا مَحَالَةَ هُوَ الْآخِرَةُ وَالْأَيُّ يُلْزَمُ أَنْ يَكُونَ الْإِبْتِدَاءُ بِلَا إِنْتِهَاءٍ أَوْ يَكُونَ الْإِبْتِدَاءُ عَيْنَ الْإِنْتِهَاءِ وَكِلَاهُمَا مَحَالَانِ عَقْلًا وَإِذَا ثَبِتَ الْإِنْتِهَاءُ وَأَنَّهُ غَيْرُ الْإِبْتِدَاءِ ثَبِتَ أَنَّ هَذَا النَّظَرَ لِأَجْلِ الْإِنْتِهَاءِ فَكَأَنَّهُ يَرَى فِي الْإِبْتِدَاءِ الْإِنْتِهَاءَ وَفِي الْآلَةِ ذِي الْآلَةِ وَهُوَ الْمَطْلُوبُ .

وَإِنَّمَا قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: وَالْأَعْمَى إِلَيْهَا شَاخِصٌ، إِشَارَةٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِكَلِمَةِ (إِلَى) الدَّالَّةِ عَلَى الْإِنْتِهَاءِ أَنَّ أَعْمَى الْقَلْبِ يَجْعَلُ مُتَنَهِّيَ نَظَرِهِ الدُّنْيَا وَلَا يَرَى بَعْدَهَا شَيْئًا أَصْلًا وَهَذَا هُوَ النَّظَرُ الْإِسْتِقْلَالِي فَتُحْصَلُ مِمَّا حَقَّقْنَاهُ أَنَّ الْبَصِيرَ يَجْعَلُ الدُّنْيَا آلَةً وَوَسِيلَةً إِلَى الْآخِرَةِ وَالْأَعْمَى يَجْعَلُهَا لَا كَذَلِكَ فَالْعَارِفُ يَنْظُرُ مِنَ الدُّنْيَا وَسَبَبِهَا إِلَى الْآخِرَةِ وَالْأَعْمَى يَنْظُرُ بِالدُّنْيَا إِلَى الدُّنْيَا مِنْ غَيْرِ تَوَجُّهِهِ إِلَى الْآخِرَةِ هَذَا فإِفْهَمُوا وَإِغْتَنِمُوا.

□ قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: وَالْبَصِيرُ مِنْهَا مُتَزَوِّدٌ وَالْأَعْمَى لَهَا مُتَزَوِّدٌ...

الكلام في المقام كالكلام في سابقه فالمعنى أن البصير من الدنيا متزودٌ وحيث أنه عَلَيْهِ السَّلَامُ أتى بكلمة (مَنْ) فقد دلَّ الكلام على أنه متزودٌ من الدنيا لغيرها وليس هو إلا الآخرة وإنما أعمى القلب فيتزود لها أي للدنيا واللام للغاية وإنما قال عَلَيْهِ السَّلَامُ هناك (إليها) وهنا (لها) لأنَّ النظر يحتاج إلى المنظور إليه والتزود إلى المتزود له يقال نظرت إليه ولا يقال نظرت له كما يقال تزودت له ولا يقال إليه وإنما كلمة (مِنْ) فلا فرق فيها في الموردين يقال نظرت منه إليه وتزودت منه له، وعليه فاللام يفيد الغاية كما أن (كلمة إلى) أيضاً كذلك إلا أن موارد

الإستعمالات تفترق.

ثُمَّ إِنَّ فِي التَّعْبِيرِ بِالتَّزْوُدِ إِشَارَةً إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى حَيْثُ قَالَ: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾<sup>١</sup> وَعَنْ كِتَابِ الْمُحَاسِنِ سَأَلَ أَبُو بَصِيرٍ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام عَنْ قَوْلِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾<sup>(٢)</sup> قَالَ عليه السلام يُطَاعُ وَلَا يُعْصَى وَيُذَكَّرُ وَلَا يُنْسَى وَيُشْكَّرُ فَلَا يُكْفَرُ انْتَهَى مَشْكَاتُ الْأَنْوَارِ ص ٤٤ وَقَدْ مَرَّ الْأَحَادِيثُ فِي الْبَابِ.

اگر سلطان مارا بنده باشی	همه گریند وتو در خنده باشی
گر از غم پُر شود اطراف عالم	تو شاد وخرّم وفرخنده باشی
وگر چرخ وزمین ازهم بدرآند	ورای هر دو جانی زنده باشی
همه مشتاق دیدار تو باشند	تو صد پرده فرو افکنده باشی
اگر یک قطره از آب وصالش	چشیدی دردُ وعالم زنده باشی
اگر سودای او در سر نداری	به نزد عاشقان شرمنده باشی
چه بلبل گریه کن باشور و غوغا	به فصل گل که تا درخنده باشی
به شاهان میفروش نخوت و ناز	اگر پیر مغانرا بنده باشی

ولآخر:

لعمرك ما الإنسان إلا ابن سعيه

فمن كان اسعى كان بالمجد اجدرا

وبالهمة العليا يُرقي إلى العلى

فَمَنْ كَانَ أَعْلَى هِمَّةً كَانَ أَشْهَرًا

وَلَمْ يَتَأَخَّرْ مَنْ يُرِيدُ تَقَدُّمًا

وَلَمْ يَتَقَدَّمْ مَنْ يُرِيدُ تَأَخَّرًا

□ قَوْلُهُ عليه السلام: وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يَكَادُ بِصَاحِبِهِ يَشْبَعُ مِنْهُ وَيَمَلُّهُ ...

افاد عليه السلام أَنَّهُ لَا شَيْءٍ مَحْبُوبٍ فِي عَالَمِ الْوُجُودِ إِلَّا وَصَاحِبُهُ وَمُحِبُّهُ يَكَادُ أَنْ يَشْبَعَ مِنْهُ أَوْ يَمَلَّ عَنْهُ وَهَذَا أَمْرٌ لَا شَكَّ فِيهِ بِشَهَادَةِ الْحِسِّ وَالْوُجُودِ عَلَيْهِ وَأَتَمَّا

مفتاح السعادة في شرح نهج البلاغه

قال عليه السلام او يَمَلُّهُ وَلَمْ يَقْنَعْ بِقَوْلِهِ ان يَشْبَعَ مِنْهُ لِأَنَّ الْمَحْبُوبَ تَارَةً يَكُونُ مِنَ الْمَاكُولَاتِ وَأُخْرَى مِنْ غَيْرِهَا فَعَلَى الْأَوَّلِ صَاحِبُهُ يَشْبَعُ مِنْهُ. وَعَلَى الثَّانِي يَمَلُّهُ أَي يَمَلُّهُ هُوَ عَنْهُ وَكُلُّ مَحْبُوبٍ فِي الْعَالَمِ لَا يَخْلُو مِنْهُمَا إِلَّا تَرَى أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا دَاوَمَ عَلَى أَكْلِ الطَّعَامِ فَهُوَ يَشْبَعُ مِنْهُ لَا مُحَالَةَ وَإِنْ كَانَ لَذِيذًا فِي غَايَةِ اللَّذَّةِ وَهَكَذَا فِي غَيْرِ الْمَاكُولَاتِ مِنَ الْمُبْصَرَاتِ وَالْمَسْمُوعَاتِ وَالْمَلْمُوسَاتِ وَالْمَشْمُومَاتِ حَتَّى أَنَّ الْإِنْسَانَ يَمَلُّ عَنْ أَوْلَادِهِ مَعَ أَنَّهُمْ أَكْبَادُهُ وَعَنْ أَمْوَالِهِ مَعَ أَنَّهَا قُرَّةُ عَيْنِيهِ وَعَنْ مَقَامِهِ مَعَ أَنَّهُ كَانَ مُنْتَهَى أَمَالِهِ وَهَذَا هُوَ السَّرُّ فِي نَقْصِ الدُّنْيَا وَمَافِيهَا.

□ قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: **إِلَّا الْحَيَاةَ فَإِنَّهُ لَا يَجِدُ فِي الْمَوْتِ رَاحَةً...**

قال الخوئي رحمه الله في شرحه فإن ظاهر هذا الكلام يفيد أن اللذات كلها لعموم الناس مملول منها إلا الحياة مُعَلَّلًا بأنه لا إستراحة في الممات ثم قال - قلت ظاهر هذا الكلام وان كان يُعطي العنوم وكرهيته الموت للكُلِّ إلا أنه يُحمل على الخصوص اعني كراهيته لأهل الشقاوة جمعاً بينه وبين الأخبار الدالة على محبوبيته لأولياء الله سبحانه كقوله عليه السلام ليس للمؤمن راحة دون لقاء الله وربما توجه بعد إبقائه على العموم تارة بأن الموت يُفوت متَجَرَّ الأخره وَيَنْقَطِعُ بِهِ عَنِ الإِسْتِعْدَادِ وَالْكَمَالِ اشرف مما حصل عليه الميت وان كان ولياً فلا جرم لا يجد الراحة التي يلحقه بما يُفوته من ذلك الكمال وأخرى بأن النفوس البشرية لما لم يكن معارفها ضرورية ولم يتمكن مادامت في هذه الأبدان في الإطلاع على ما بعد الموت من سعادة أو شقاوة فبالأحرى ان لا تجد لها راحة يتصورها في الموت ثم اورد عليه بقوله وانت خبير بما فيه فإن عدم التمكن في الإطلاع على ما بعد الموت انما هو للمحجوبين دون العارفين من الأنبياء والمرسلين واولياء الله المتقين فانهم من سعادتهم على يقين والى ترى الى قول علي عليه السلام لو كُشِفَ الْغَطَاءُ مَا زِدَدْتُ يَقِينًا ثُمَّ قَالَ

والأوجه ما قاله الشارح البحراني حيث قال ان كان مراده عليه السلام لا يجد في

الموت راحة اي في نفس الموت مع قطع النظر عن غيره من احوال الآخرة  
فالحق مع قول من عمم فقدان الراحة في حق الجميع اذ الموت من حيث هو  
موت لا راحة فيه لأحد من الناس كافةً، وان كان مراده فقدان الراحة في الموت  
ومابعده فالحق التخصيص باهل الشقاوة الدائمة فان شدة محبة الحياة  
ونقصانها متفاوتة بحسب تصور زيادة الراحة في الآخرة ونقصانها وذلك  
ظاهر عند إعتبار اهل الدنيا المقبلين عليها بالكلية انتهى.

**اقول:** هذا ما ذكره في شرح العبارة بالفاظه وعباراته وانما نقلناه بطوله لئلا  
يشبه عليك الأمر اذ لا يبعد ان تفهم من كلامهم غير ما فهمنا منه فان هذا  
الكلام من العويصات فنقول قال الشارح المعتزلي بعد تصريحه بان هذا  
الفصل ليس بمُنْتَظَم من اوله الى آخره بل هو فُصُول مُتَفَرِّقَةٌ إلتقطها الرضي رحمته الله  
من خطبة طويلة على عاداته الخ ما قال ثم قال بعد ما قال.

**فان قلت-** كيف يقول انه لا يجد في الموت راحة واين هذا من قول رسول  
الله صلى الله عليه وآله وسلم الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر ومن قوله والله ما ارجو الراحة الا  
بعد الموت وماذا يعمل بالصالحين الذين آثروا فراق هذه العاجلة وإختاروا  
الآخرة وهو سيدهم واميرهم.

**قلت -** لا منافاة فان الصالحين انما طلبوا الحياة المستمرة بعد الموت  
ورسول الله انما قال الدنيا سجن المؤمن لأن الموت غير مطلوب للمؤمن  
لذاته انما يطلبه للحياة المتعقبة له وكذلك قوله والله ما ارجو الراحة الا بعد  
الموت تصريح بان الراحة في الحياة التي تتعقب الموت وهي حياة الأبد فلا  
منافاة اذاً بين هذه الوجوه وبين ما قاله صلى الله عليه وآله وسلم لأنه صلى الله عليه وآله وسلم مانقياً الا الراحة في الموت  
نفسه لا في الحياة الحاصلة بعده انتهى.

**اقول:** ما ذكره المعتزلي قريب مما ذكره البحراني فهذا ما ذكره في شرح  
كلامه صلى الله عليه وآله وسلم.

واما نحن فالذي حصل لنا في المقام بعون الملك الوهاب في شرح هذا

الكلام الذي صدر عن إمام الأنام هو أن أصل الإشكال في كلامه ﷺ أن الموت كيف لا يكون راحة للإنسان مع تظافر الآيات والأخبار بأن الموت يُوجب الراحة وبعبارة أخرى كون الكلام على عمومته لا يستقيم ضرورة أن المؤمن يستريح بالموت فإن كان مراده غير المؤمن فلمَ لم يفيد كلامه به وإن كان مراده العموم فما المخلص منه هذا.

اقول: لا بُد لنا قبل بيان المقصود من هذا الكلام من ذكر أمور:

أحدها: أن المُستثنى منه في كلامه ﷺ هو قوله ﷺ: (ليس من شيء) و المُستثنى قوله ﷺ: (إلا الحياة) فكانه ﷺ قال ليس من شيء إلا وهو كذلك إلا الحياة فإنها ليست كذلك.

وثانيها: قوله ﷺ: (إلا) ويكاد صاحبه يشبع منه أو يملئه فَعَبَّرَ ﷺ بالصاحب اعني صاحب الشيء والصاحب عبارة عن الملازم، إنساناً كان أو حيواناً أو مكاناً أو زماناً ولا فرق بين أن تكون مصاحبة بالبدن وهو الأصل والأكثر، أو بالعناية والهمة كما قال الشاعر: لان غيبت عن عيني لما غيبت عن قلبي وقوله ﷺ:

حبيبٌ غاب عن عيني وجسمي وعن قلبي حبيبٌ لا يغيبُ  
والصاحب لا يقال إلا لمن كثرت ملازمته ويقال للمالك للشيء هو صاحبه  
ولأجل هذا قالوا المصاحبة ابلغ من الاجتماع لأن المصاحبة تقتضي طول لبته  
فكل إصطحاب اجتماع وليس كل اجتماع إصطحاباً.

وثالثها: أن القاعدة تقتضي إنسحاب حكم المُستثنى منه للمُستثنى وحيث  
أن المُستثنى منه اعني الشيء مسبوق بليس الذي يفيد النفي فمعنى الجملة  
الإثبات كقولك ما من أحدٍ من الناس إلا وهو مُستقيم القامة معناه أن الناس  
كلهم كذلك ففيما نحن فيه معنى الجملة كل شيء يكاد صاحبه يشبع منه أو  
يملئه على وجه العموم والكلية فاذا قلنا إلا الحياة فهي إستثنيت عن الشيء  
ولوآزمه ويصير المعنى أن صاحب الحياة ليس كذلك وإن شئت قلت صاحب

كُلُّ شَيْءٍ يَشْبَعُ إِلَّا صَاحِبَ الْحَيَاةِ وَالذَّلِيلَ عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ قَوْلُهُ ﷺ (فَأَنَّهُ) وَذَلِكَ لِأَنَّ مَرْجِعَ الضَّمِيرِ هُوَ الصَّاحِبُ لَا غَيْرَهُ وَعَلَيْهِ فَالْمَعْنَى صَاحِبُ كُلِّ شَيْءٍ يَشْبَعُ مِنْهُ أَوْ يَمْلَأُهُ إِلَّا الْحَيَاةَ فَإِنَّ صَاحِبَ الْحَيَاةِ لَا يَجِدُ لِنَفْسِهِ فِي الْمَوْتِ رَاحَةً فَالَّذِي لَا يَجِدُ لِنَفْسِهِ رَاحَةً هُوَ صَاحِبُ الْحَيَاةِ وَمُلَازِمُهَا لَا مَنْ لَهُ الْحَيَاةُ كَمَا زَعَمُوهُ إِذَا فُرِّقَ وَاضْطَحَّ بَيْنَ الْمَوْرِدَيْنِ كَمَا سَيَتَّضِحُّ لَكَ إِذَا عَرَفْتَ هَذِهِ الْأُمُورَ.

فَاعْلَمْ: أَنَّهُ ﷺ لَمْ يَنْفِي الرَّاحَةَ فِي الْمَوْتِ إِلَّا لِصَاحِبِ الْحَيَاةِ لِأَنَّهُ نَفَاها عَنْ كُلِّ مَنْ إِنْ تَصَفَّ بِالْحَيَاةِ كَائِنًا مِنْ كَانَ وَالْفَرْقُ أَنَّ الْمُصَاحِبَ لِلْحَيَاةِ الدُّنْيَوِيَّةِ لَيْسَ إِلَّا مَنْ كَانَ مُلَازِمًا لَهَا كَثِيرًا كَالْمَالِكِ لِلشَّيْءِ عُنَايَةً وَهَيْمَةً بِحَيْثُ لَا إِعْتِنَاءَ لَهُ إِلَّا بِهَا وَلَا هَمَّ لَهُ إِلَّا دُونِهَا وَمَنْ كَانَ كَذَلِكَ لَا يَكُونُ مُؤْمِنًا وَاقِعًا فَضْلًا عَنْ أَنْ يَكُونَ نَبِيًّا أَوْ وَصِيًّا وَهُوَ الَّذِي نُعْبِرُ عَنْهُ بِأَهْلِ الدُّنْيَا الَّذِي قِيلَ فِي حَقِّهِ.

اهل دنيا از كهين واز مهين لعنة الله عليهم اجمعين

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَنْ أَحَبَّ دُنْيَاهُ أَضْرَبَ بِأَخْرَتِهِ، وَقَالَ ﷺ حُبُّ الدُّنْيَا رَاسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ، وَقَدْ مَرَّتِ الْأَخْبَارُ فِي دَمِّ الدُّنْيَا وَمَنْ الْمَعْلُومُ أَنَّ الدَّمَ يُرْجَعُ إِلَى حُبِّ الْحَيَاةِ فِيهَا حُبًّا شَدِيدًا عَلَى سَبِيلِ الْمُصَاحِبَةِ وَالْمُلَازِمَةِ بِأَنَّ كَانَتِ الدُّنْيَا مَحْبُوبَةً لَهُ فَحَسَبَ وَمَنْ كَانَ كَذَلِكَ فَهُوَ لَا يَجِدُ فِي الْمَوْتِ رَاحَةً لَا مُحَالَةَ بَلِ الْمَوْتِ أَوَّلُ إِبْتِلَاءٍ وَمِحْنَةٍ كَائِنًا مِنْ كَانَ وَعَلَيْهِ فَكَلَامُهُ ﷺ عَلَى الْعَمُومِ بِلَا إِشْكَالٍ فِيهِ فَصَارَ مُحْصَلُ كَلَامِهِ ﷺ كُلُّ شَيْءٍ صَاحِبُهُ يَشْبَعُ مِنْهُ وَيَمْلَأُ عَنْهُ إِلَّا صَاحِبَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَوِيَّةِ الْمُلَازِمِ الْمُصَاحِبِ لَهَا فَإِنَّهُ لَا يَشْبَعُ مِنْهَا لِعَدَمِ وَجْدَانِهِ الرَّاحَةَ لِلْمَوْتِ فَهُوَ يَشْتَهِي الْحَيَاةَ أَبَدًا هَذَا.

الوجه الثاني: ان يُقال ان الموت مما تستكرهه الطباع بالفطرة الأولية والغريزة البشرية وان كانت تُحبه بالفطرة الثانوية الإنسانية المتأدبة بأداب الشريعة والرياضات الحقيقية وهو امرٌ وجداني لا يحتاج الى الدليل والوجه فيه هو ان الموت ليس إلا الفراق عن الأحبة والفراق ألمٌ وكل طبيعة تكره الألم سواء فيه النبي والوصي وغيرهما إلا ان الأولياء لكونهم في مقام الرضا

والتسليم لله تعالى لا يكرهونه لا من حيث طبائعهم البشرية بل لأجل ارواحهم القدسية الغالبة على ابدانهم العنصرية وان شئت قلت تقرباً اليه تعالى وهذا لا يتنافى ما ذكرناه.

ثم ان هذا الإكراه لا بد له من منشأ ومصدر وهو ليس إلا عدم وجدانهم الراحة بالموت الذي هو الفراق المؤلم اذ لو وجدوا فيه راحة بحب طباعهم لكانوا يحبونه طبعاً مع انه ليس كذلك ومما يؤيد هذا الوجه ما رواه الصدوق في الأمالي باسناده عن الصادق عن ابائه عن امير المؤمنين عليه السلام قال لما اراد الله تبارك وتعالى قبض روح إبراهيم عليه السلام اهبط الله ملك الموت فقال السلام عليك يا إبراهيم قال وعليك السلام يا ملك الموت، اداع انت ام ناع، قال بل داع يا إبراهيم فاجب قال إبراهيم عليه السلام فهل رايت خليلاً يميت خليله قال عليه السلام فرجع ملك الموت حتى وقف بين يدي الله جل جلاله فقال إلهي سمعت ما قال خليلك إبراهيم فقال الله جل جلاله يا ملك الموت اذهب اليه وقل له هل رايت حبيباً يكره لقاء حبيبه ان الحبيب يحب لقاء حبيبه انتهى أمالي الصدوق ص ١١٨.

وانت ترى ان هذا الحديث كالتص على ما ذكرناه إذ لولا ان الموت كان منفوراً عنده لما قال عليه السلام فهل رايت خليلاً يميت خليله، ثم انه عليه السلام رضي بالموت بعد ما قال الله تعالى له هل رايت حبيباً يكره لقاء حبيبه، فقوله عليه السلام بمقتضى طبعه البشري الأولي ورضايته به بالعنوان الثانوي.

٢ - وعن معاني الأخبار عن شعيب العقرقوفي قال قلت لأبي عبد الله عليه السلام شيء يروى عن ابي ذر رضي الله عنه انه كان يقول ثلاثة يبغضها الناس وانا احبها، احب الموت، واحب الفقر، واحب البلاء فقال عليه السلام ان هذا ليس على ما (يروون) انما عني الموت في طاعة الله احب الي من الحياة في معصية الله والفقر في طاعة الله احب الي من الغنى في معصية الله، والبلاء في طاعة الله احب الي من الصحة في معصية الله انتهى معاني الأخبار ص ١٦٥.



اقول: وهذا الحديث ايضاً كسابقه فان حُبَّ المَوْتِ في طاعة الله غير حُبِّه بما هو ويُستفاد منه ان المَوْتِ بما هو هو لم يكن مَحْبُوباً له وهو المطلوب فان العناوين تَفترق والأحاديث كثيرة وعلى هذا الوجه فكلامه عليه السلام مَحْمُول على العناوين الأولى دون الثانوية منها.

الوجه الثالث: ان يقال خطابه الى اصحابه الحاضرين والتابعين لهم الى يوم القيمة لعموم الإشتراك في التكليف فالعموم بالنسبة اليهم كما هو الشأن في الخطابات وذلك لأن عموم الخطاب وخصوصه لا يُقاس الى غير المُخاطب بالكلام وإنما قلنا خطابه الى اصحابه لدلالة قوله عليه السلام عليه حيث قال في صدر الفصل واعلموا انه ليس شيء الى آخره وإذا كان كذلك فالأنبياء والأوصياء غير مخاطبين بهذا الكلام لعدم شمول الخطاب من تَقَدَّمَ على المُخاطب بل وعلى المُتَكَلِّم وهذا لخروج تَخَصُّص لا تَخْصِص إذا عرفت هذا فقوله عليه السلام على عمومه بالنسبة الى مخاطبيه وعليه فالمعنى أنهم لا يجدون في الموت راحة وهو كذلك وليس معنى الكلام انه ليس فيه راحة إذ عدم الوجدان لا يدل على عدم الوجود وإنما الإشكال في نفي الوجود لا في نفي الوجدان وكم فرق بين قولنا (لا يجد) وقولنا لا يوجد، والمُنَافِي للآيات والأخبار ولو بالعناوين الثانوية هو الثاني لا الأول فقط .

□ قوله عليه السلام: وَأِنَّمَا ذَلِكَ بِمَنْزِلَةِ الْحِكْمَةِ الَّتِي هِيَ حَيَاةٌ لِلْقَلْبِ الْمَيِّتِ ...

هذا الكلام ايضاً مما تَحْيرت عقولهم فيه فلم ياتوا فيه بمُتَمَنِّعٍ واصل الإشكال في تعيين المُشار اليه بقوله عليه السلام (ذلك) وان الذي بمنزلة الحكمة ماهو: فقال البحراني رحمته الله بما حاصله ان المُشار اليه هو الأمر الذي هو احق بان لا يَمَلَّ ولا يَشْبَع منه، فهو بمنزلة الحكمة وعليه فالمعنى انما ذلك اي الأمر الذي هو احق بان لا يَمَلَّ ولا يَشْبَع منه فهو منزلة الحكمة التي هي حياة للقلب الميت واما هذا الأمر ماهو، فلم يُعَيِّنْه.

واما الشارح المعتزلي فلم يات في المقام بشيء وقال هذا الكلام الى قوله

وَالسَّلَامَةَ فَصَلَ آخَرَ غَيْرِ مُلْتَثِمٍ بِمَا قَبْلَهُ وَإِنَّ الْإِشَارَةَ بِذَلِكَ إِلَى كَلَامٍ مِنْ كَلَامِ الرَّسُولِ رَوَاهَا لَهُمْ وَحَضُّهُمْ عَلَى التَّمَسُّكِ بِهِ.

وَأَمَّا الْخَوْثِيُّ فَنَقَلَ فِي شَرْحِهِ عَنْهُمَا مَا نَقَلْنَاهُ ثُمَّ رَدَّ عَلَيْهِمَا وَعَبَّرَ عَمَّا قَالَهُ الْمُعْتَزَلِيُّ بِأَنَّهُ رَجِمَ بِالْغَيْبِ وَتَاوِيلٍ مِنْ غَيْرِ دَلِيلٍ لِعَدَمِ ثُبُوتِ التَّقْطِيعِ وَالِإِلْتِقَاطِ بَعْدَ هَذِهِ الْفَقْرَةِ وَعَلَى فَرْضِهِ لَا تَكُونُ الْإِشَارَةُ إِلَى كَلَامِ الرَّسُولِ بَلْ إِلَى مَا وَعَظَهُمْ بِهِ وَنَصَحَهُمْ مِنْ كَلَامِ نَفْسِهِ.

وَقَالَ فِي رَدِّ الْبَحْرَانِيِّ بَانَ فِيهِ مِنَ التَّعَسُّفِ وَالْخَبْطِ مَا لَا يُخْفَى إِلَى أَنْ قَالَ وَكَيْفَ كَانَ فَمَا قِيلَ أَوْ يُمْكِنُ أَنْ يُقَالَ فِي هَذَا الْمَقَامِ فَأَمَّا هُوَ تَحْمِينٌ وَحِسْبَانٌ لَا يُمْكِنُ أَنْ يُوجَّهَ بِهِ كَلَامُ الْإِمَامِ حَتَّى يَقُومَ عَلَيْهِ دَلِيلٌ بَيِّنٌ أَنْتَهَى.

وَلَمْ يَذْكَرْ هُوَ ﷺ فِي الْمَقَامِ شَيْئاً هَذَا وَالَّذِي يُقْوَى فِي النَّظَرِ فِي حَلِّ الْإِشْكَالِ وَجِهَانِ:

أحدهما: أن يكون المُشار إليه (بذلك) هو المَوت نفسه والمعنى أن نفس المَوت وأن الإنسان لا بد له بمنزلة الحكمة والموعظة الحسنة التي هي حياة للقلب الميت الغافل فكما أن المواعظ تُحيي القلوب فكذلك المَوت والتوجه إليه يُحيي القلوب إذ هو الباعث للإنسان على الإتيان بالأعمال الحسنة والتخلق باخلاق الله والتزود من الدنيا لدار الآخرة والكف عن المعاصي من الظلم والغيبة والكذب وغيرها وفي كل ذلك إحياء للقلب فإن خلو القلب عن الرذائل وتحليته وتزيينه بالخصائل من أحسن الحياة للقلب ومعلوم أن الباعث على الأمور هو ذكر المَوت والتوجه إليه وإلى هذا المعنى أشار ﷺ بقوله كفى بالمَوت واعظاً.

وثانيهما: أن يكون المُشار إليه هو الخَوف عن المَوت وما بعده وبعبارة أخرى عدم الراحة في المَوت وعليه فالمعنى أن عدم وجدان الراحة في المَوت بمنزلة الحكمة الخ وهذا المعنى أيضاً متين فإن الإنسان إذا علم أنه لا بد له من المَوت ولا راحة فيه بل يُسأل عما يفعل في الدنيا ويُناب أو يُعاقب عليه

فَيَسْعَى فِي إِصْلَاحِهِ وَالْعَمَلِ لِأَخْرَتِهِ وَآيَةٌ مَوْعِظَةٌ أَحْسَنُ مِنْهُ وَالْفَرْقُ بَيْنَ  
الْوَجْهِينَ وَاضِحٌ .

فَإِنَّ الْوَجْهَ الْأَوَّلَ: نَاطِرٌ إِلَى نَفْسِ الْمَوْتِ وَأَنَّهُ لَا بَدَّ مِنْهُ فَلَا يَعْتَمِدُ عَلَى الدُّنْيَا  
وَمَا فِيهَا لِعَدَمِ بَقَائِهَا وَمَا لَا بَقَاءَ لَهُ لَا يَعْتَمِدُ عَلَيْهِ .

وَأَمَّا الْوَجْهَ الثَّانِي: فَنَاطِرٌ إِلَى السُّؤَالِ وَالْجَوَابِ بَعْدَهُ .

فَفِي الْأَوَّلِ: لَا يَتَّحِقُّ الْخَوْفُ .

وَفِي الثَّانِي: يَتَّحِقُّ وَكَمَا أَنَّ فِي الْخَوْفِ عَنِ تَبَعَاتِ الْمَوْتِ وَالْفِرَاقِ مَوْعِظَةٌ  
تُوجِبُ التَّوْبَةَ وَالْيَقِظَةَ عَنِ نَوْمِ الْعَقْلَةِ فَكَذَلِكَ فِي نَفْسِ الْفِرَاقِ أَيْضاً مَوْعِظَةٌ فَإِنَّ  
الْحَيَاةَ إِذَا لَمْ تَكُنْ دَائِمَةً لَا يَنْبَغِي أَنْ يَرْكُنَ إِلَيْهَا هَذَا وَاطْنَنَّ أَنَّ الْأَمْرَ وَاضِحٌ لَا  
خَفَاءَ فِيهِ وَقَدْ مَرَّتْ الْآيَاتُ وَالْأَخْبَارُ الْوَارِدَةُ فِي كَوْنِ الْمَوْتِ أَحْسَنَ وَاعْظِ لِمَنْ  
كَانَ لَهُ قَلْبٌ .

وَأَمَّا الْحِكْمَةُ الَّتِي هِيَ حَيَاةٌ لِلْقَلْبِ الْمَيِّتِ، فَهِيَ عِبَارَةٌ عَنِ الْمَعْرِفَةِ بِاللَّهِ  
وَبِرَسُولِهِ وَاحْكَامِهِ وَلَا شَكَّ أَنَّهَا حَيَاةٌ لِلْقَلْبِ الْخَالِي عَنْهَا كَمَا أَنَّ الْمَطْرَ حَيَاةٌ  
لِلْأَرْضِ الْخَالِيَةِ عَنِ الْكَلَاءِ .

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ (١)

و: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ﴾ (٢)

و: ﴿أُدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ (٣)

و: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ﴾ (٤)

و: ﴿يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ

لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (٥) وَمَنْ الْمَعْلُومُ أَنَّ الْقَلْبَ إِذَا كَانَ خَالِيًا عَنِ الْحِكْمَةِ اعْنِي

الْمَعْرِفَةَ بِمَعْنَاهَا الْأَعْمَ فَهُوَ مَيِّتٌ إِذَا لَا نَعْنِي بِالْمَيِّتِ إِلَّا مَا لَا أَثَرَ لَهُ فِي الْخَيْرَاتِ

٢- البقرة - ٢٦٩

٤- لقمان - ١٢

١- البقرة - ٢٦٩

٣- النحل - ١٢٥

٥- الجمعة - ٢

والقلب الخالي عنها كذلك فإن الحياة على قسمين حياة جسمانية وهي الحياة السارية في جميع الأجسام وحياة طيبة روحانية وهي لا تعم بل تختص ببعض دون بعض وهي لا توجد إلا بالحكمة والموعظة الحسنة وإنما سُميت الحكمة بها لأنها تمنع صاحبها من اخلاق الأرزاق واوصاف الجهال فإن الحكمة في الأصل المنع.

□ قوله ﷺ: وَبَصَرٌ لِلْعَيْنِ الْعَمِيَاءِ وَسَمْعٌ لِلْأُذُنِ الصَّمَاءِ وَرِيٌّ لِلظَّمْآنِ وَفِيهَا الْغِنَى كُلُّهُ وَالسَّلَامَةُ ...

الواو للعطف وهذه كلها معطوفات على الحياة فكانه ﷺ قال الحكمة حياة للقلب وبصرٌ للعين الخ، وحاصل المعنى أنه ﷺ وصف الحكمة بستة أمور: احدها: أنها حياة للقلب الميِّت وقد مرَّ الكلام فيه. وثانيها: أنها بصرٌ للعين العمياء فإن اعمى القلب يصير بصيراً بها فيرى الأشياء على ما هي عليه.

وثالثها: أنها سمعٌ للأذن الصماء التي لا تسمع الحقائق فيها تسمع. ورابعها: أنها ريٌّ للظَّمآن العطشان الى فهم الحقائق فيها يصير رياناً. وخامسها: فيها اي في الحكمة الغنى عما سوى الله تعالى كله فإن الحكيم لا يحتاج الى غيره تعالى.

وسادسها: والسلامة اي فيها سلامة الدين والدنيا والأصل فيها هو الأول والباقي فروعٌ عليه وذلك لأن القلب اذا صار حياً بها فالبصر والسمع والذوق وغيرها من الحواس تتبَّعه في الحياة الطيبة ضرورة أنها تابعة له بل الإدراك على ما هو التحقيق له لها وإنما هي آلات له واسباب بمعنى ان القلب يرى بالباصرة ويسمع بالسامعة ويذوق بالذاتقة ويلمس باللامسة ويشم بالشامة ولأجل هذه الدقيقة قدّمه عليها في الذكر.

وإنما قال ﷺ حياة للقلب ولم يقل حياة للعين وحياة للأذن وهكذا لأن الحكمة لا تصير حياة لها اذا لا حياة لها واقعاً إلا بحياة القلب فهي مع قطع النظر

عنه معدومة الحياة وفيه تاييد لمذهب الإشراقين في الباب حيث ذهبوا الى ما ذكرناه في الإدراكات واما المشائون فينسبون الإدراكات الى قواها، والتقدير في الموارد كلها هو الكاف وما شابهها من اداة التشبيه فيصير التقدير ان الحكمة كالخياة للقلب وكالبصر للعين وهكذا ويمكن ان يكون المورد من قبيل زيد عدل اعني من حمل المصدر على الذات مبالغة فكما ان زيدا من كثرة عدالته صار نفس العدل مبالغة وإدعاء كذلك الحكمة الموجهة للحياة صارت نفسها اي نفس حياة القلب ونفس البصر والسمع وهكذا وفيه إشارة الى شرافة الحكمة التي قال تعالى فيها: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾<sup>(١)</sup> هذا. وفي قوله ﷺ: بَصْرٌ لِلْعَيْنِ الْعَمِيَاءِ إشارة الى قوله ﷺ: (لَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بها)...

وفي قوله ﷺ: لِلأَذْنِ الصَّمَاءِ إشارة الى قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ أذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ﴾<sup>(٢)</sup>، وفي قوله ﷺ: رَأَى لِلظَّمَانِ إشارة الى قوله تعالى حيث قال: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمَانُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾<sup>(٢)</sup>

و: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ﴾<sup>(٣)</sup>

و: ﴿وَإِنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى﴾<sup>(٤)</sup> والإستعارات اللطيفة الموجودة في

كلماته ﷺ لا يخفى عليك.

واما قوله ﷺ: وفيها الغنى كله والسلامة، ففيه إشارة الى ان الغنى بحسب الطبع من لوازم الحكمة وشؤونها فان الحكيم لا يرى لنفسه إحتياجاً الى احد من المخلوقين فهو غني عما سوى الله تعالى وذلك لأنه يعلم بسبب الحكمة ان لا مؤثر في الوجود إلا هو، وما سواه كائناً من كان محتاج اليه كما قال تعالى:

١- الاعراف - ١٧٩

٣- التوبة - ١٢٠

١- البقرة - ٢٦٩

٢- النور - ٣٩

٤- طه - ١١٩

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ﴾<sup>(۱)</sup> وَاذَا كَانَ كَذَلِكَ فَالْخَيْرُ  
 الْبَصِيرُ لَا يَتَوَجَّهُ إِلَّا إِلَى الْمَبْدِءِ وَلَا يَرَى لِنَفْسِهِ الْإِفْتِقَارَ إِلَّا إِلَيْهِ وَهَذَا هُوَ رَأْسُ  
 السَّعَادَاتِ وَاصِلُ الْكَمَالَاتِ وَلُبُّ التَّوْحِيدِ وَخِلَاصَةُ الْعِبُودِيَّةِ وَفِي هَذَا الْمَقَامِ  
 تُفْتَحُ عَيْنُ الْبَصِيرَةِ فَيَرَى الْأَشْيَاءَ عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ بَلْ يَرَى حَقَائِقَهَا وَرِقَائِقَهَا  
 وَيَتَخَلَّصُ عَنْ قَشْرِ الْمَادَةِ وَتَوَابِعِهَا وَلِنَعْمَ مَا قِيلَ بِالْفَارِسِيَّةِ:

چشم دل باز کن که جان بینی	آنچه نادیدنی است آن بینی
گر باقلیم عشق رو آری	همه آفاق گلستان بینی
آنچه بینی دلت همان خواهد	و آنچه خواهد دلت همان بینی
بر همه اهل این جهان بمراد	گردش دور آسمان بینی
بی سر و پا گدائی آنجارا	سر ز ملک جهان گران بینی
آندر آن پابرهنه قومی را	پای بر فرق فرقدان بینی
هم در آنجا برهنه جمعی را	بر سر از عرش سایبان بینی
از مضیق جهان چه در گذری	وسعت ملک لامکان بینی
آنچه نشنیده گوش آن شنوی	و آنچه نادیده چشم آن بینی
تا بجائی رساندت که یکی	از جهان و جانیان بینی
بایکی عشق ورزی از دل و جان	که بعین یقین عیان بینی

که یکی هست و هیچ نیست جز او

وَخَدَهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ

وایضاً:

مَا بَسْتَهُ دَرْدِيمَ وَدَوَارًا نَشْنَسِيمَ

ماتشنه دریم و صفا را نشناسیم

تأ چند زمستی سر و پا را نشناسیم

خود را نشناسیم و خدا را نشناسیم

از آب و هوای تن ما رُوح مَلُول است

حکمت نَبُود کَاب و هوا را نشناسیم

میریم و سلام امرارا نگزینیم

سوریم و فریب وزراء را نشناسیم

نه مفتی دینیم و نه قاضی ولایت

ارباب صفت زوی و ریارا نشناسیم

در مُلک فنا ما و تو موجود نباشد

ای خواجۀ عارف تو و ما را نشناسیم

ایخواجه در این کُرس که ما را طلبی تو

مَطَلَب که بجز کرسی رضا را نشناسیم

□ قوله ﷺ: كِتَابُ اللَّهِ تُبْصَرُونَ بِهِ وَتَنْطَقُونَ بِهِ وَتَسْمَعُونَ بِهِ ...

هذا الكلام كالتفسير للحكمة التي هي للقلب فكأنه قيل له ﷺ وما الحكمة

الموصوفة بالصفات المذكورة فقال ﷺ كتاب الله تبصرون الحقائق به اي

بسببه وتنتطقون به وتسمعون به - ويمكن ان يكون الباء في قوله ﷺ:

(به) للإستعانة كما في بسم الله، او للمصاحبة والكل مُحْتَمَلٌ صَحِيحٌ.

فَعَلَى الْأَوَّلِ: معنى الكلام ان بسبب الكتاب تبصرون الأشياء وتنتطقون

بالحق وتسمعون الحق.

وعلى الثاني: والثالث بمعونته ومصاحبته وكيف كان فيه إشارة الى ان

الكتاب هو منبع الكمالات والسعادات من اخذ به نجى ومن تركه غرق كما

اشار الى هذا المعنى حديث الثقلين المتواتر عند الفريقين اني تارك او مخلف

فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي الحديث.

ان قلت - ماعنى هذا الكلام اليس الإنسان يبصر بعينه وينطق بلسانه

ويسمع بأذنه.

قلت - بلى الا ان لكل واحد من البصر والنطق والسمع اعتبارين، اعتبار

بالجراحة، وإعتبار غيرها والأوّل يُتَحَقَّقُ بها والثاني يُتَحَقَّقُ بِالْقَلْبِ البَصِيرِ  
النَّاقِدِ والكلام في الثاني دون الأوّل وما نحن فيه من الثاني فإنّ الإبصار  
الحقيقي القلبي أنّما يُتَحَقَّقُ بِمَعُونَةِ الكِتَابِ وبسببه كما أنّ النطق والسَّمْعَ  
الحَقِيقَيْنِ أيضاً كذلك فالإبصار بالكتاب غير الإبصار الجسّي الذي هو بالعين  
والنطق به غير النطق باللسان وهكذا السَّمْعُ كما قال ﷺ: **إِنَّمَا فِرَاسَةُ الْمُؤْمِنِ**  
**فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ وَقَوْلُهُ ﷺ: مَنْ اخْلَصَ لِلَّهِ أَرْبَعِينَ صَبَاحاً جَرَتْ يَنْابِيعُ**  
**الْحِكْمَةِ مِنْ قَلْبِهِ عَلَيَّ لِسَانِهِ.**

□ قوله ﷺ: **وَيَنْطِقُ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ وَيَشْهَدُ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ ...**

أي يَنْطِقُ وَيُفَسِّرُ بعض القرآن بعضاً آخر وَيَشْهَدُ بَعْضُهُ عَلَى صِدْقِ بَعْضٍ  
والحاصل أنّه لا تنافي في الآيات من حيث المعنى وهو دليل على أنّه كلام  
الحقّ اذ لو كان كلام الأدمي لما كان كذلك كما نرى في غيره من الكتب المدونة  
حيث يكذب بعضها بعضاً آخر والى هذا المعنى أشير في الكتاب بقوله  
تعالى: **﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ غَيْرِ عِنْدِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ إِخْتِلَافاً**  
**كَثِيراً﴾** (١)

وفي قوله ﷺ: **يَنْطِقُ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ**، إشارة الى كونه حقاً فإنّ الباطل لا يكون  
كذلك.

قال الله تعالى: **﴿وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾** (٢)

و: **﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ﴾** (٣)

□ وقوله ﷺ: **وَلَا يَخْتَلِفُ فِي اللَّهِ وَلَا يُخَالِفُ صَاحِبَهُ عَنِ اللَّهِ ...**

أي لا يَخْتَلِفُ الكِتَابُ فِي طَرِيقِ السَّلُوكِ إِلَى اللَّهِ لِللسانك اليه ولا يَخَالِفُ  
أيضاً لصاحبه عن الله أي لا يَسُدُّهُ عنه سُبْحَانَهُ ولا يُضِلُّهُ عن سَبِيلِهِ كما قال إنّ  
هذا القرآن يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ.



□ قوله عليه السلام: قَدْ اضْطَلَحْتُمْ عَلَى الْغِلِّ فِيمَا بَيْنَكُمْ وَبَنَتِ الْمَرْعَىٰ عَلَىٰ دِمْنِكُمْ ...

اي قد تسالتم على الغل والحسد فيما بينكم وبنّت المرعى اعني الحقد القديم على اراضي قلوبكم والجُملة الثانية اعني قوله بنّت المرعى كالتاكيد او التوضيح للجُملة الأولى وديمّنكم بكسر الدال وفتح الميم جمع دمنة بكسر الدال وهي الحقد القديم وبنّت المرعى عليه إستنارة بظواهر النفاق وزينة الخداع واصل الدمن السرجين وما يكون من ارواث الماشية وابوالها سميت بها الأحقاد لأنها اشبه شيء بها قد تبت عليها الخضر وهي على ما فيها من قدر وهذا كلام ينعي به حالهم مع وجود كتاب الله وخلاصة الكلام انكم قد تبدّثتم كتاب الله وراء ظهوركم واخذتم بالمناهي والمعاصي واتصفتكم بالصفات الرذيلة الخبيثة من الحقد وغيره كما قال عليه السلام:

□ قوله عليه السلام: وَتَصَافَيْتُمْ عَلَىٰ حُبِّ الْأَمَالِ وَتَعَادَيْتُمْ فِي كَسْبِ الْأَمْوَالِ ...

اي انتم مشتركون في حُبّ الآمال ومُتعادون في كَسْبِ الأموال فكل واحدٍ منكم يَجْر النار الى قُرصته مع انّ المؤمن ينبغي ان يكون حُبّه لله ويُبغضه ايضاً له قال الصادق عليه السلام من احب لله وابغض لله واعطى لله فهو ممن كُمل إيمانه، (ولنعم ما قيل بالفارسية):

اين جهان بر مثال مرداری است      گرکسان گِرد او هزار هزار

اين مر آنرا همی زند مِخَلَب      آن مر اين را همی زند منقار

آخر الأمر بگذرد همه      واز همه باز ماند آن مُردار

□ قوله عليه السلام: لَقَدْ اسْتَهَامَ بِكُمْ الْخَيْثُ وَتَاهَ بِكُمْ الْغُرُورُ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ نَفْسِي وَأَنْفُسِكُمْ ...

والأستهام اصله من هام على وجهه اذا خرج لا يدري اين يذهب، والتيه والخيرة والمعنى اخرجكم الشيطان من نور الفطرة وضياء الشريعة الى ظلمات الضلال والخيرة فلا يدرون اين تذهبون وهذا هو الضلال المبين وفيه إشارة الى قوله تعالى حيث قال في كتابه: ﴿ قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا

وَلَا يَضُرُّنَا وَتُرْدُّ عَلَيَّ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَا اللَّهَ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ  
حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى انقِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَأَمِرْنَا لِنُسَلِّمَ  
لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١﴾

و: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾ (٢)

و: ﴿وَعَرَّهْمُ فِي بَيْنِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ (٣)

و: ﴿وَعَرَّتْكُمْ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ (٤)

و: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ (٥) وغيرها من الآيات.

ولنعم ما قيل:

بس که اندر خویش حیرانم نمیدانم کیم

کافرم کبرم مُسلمانم نمیدانم کیم

گر عزیز مصر و جانم بر سریر عز و ناز

گاه چون یوسف بزندانم نمیدانم کیم

گه ظلمنا گوی و گه رب بما اغویتینی

گاه آدم گاه شیطانم نمیدانم کیم

گه گرفتارم بدست دل گهی یابند جان

گاه از تن گاه از جانم نمیدانم کیم

گاه دردم گاه درمان گاه خارم گاه گل

گاه گنج گاه ثعبانم نمیدانم کیم

گه سگ اصحاب کهمم گاه گرگ یوسفم

گاه فی الجملة مُسلمانم نمیدانم کیم

گاه در بزم خردمندان ندیم عاقلان

گاه مَجْنُون بیابانم نمیدانم کیم

وَأَمَّا قَوْلُهُ ﷻ: وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ إِلَىٰ آخِرِهِ فَفِيهِ إِشَارَةٌ إِلَىٰ أَنَّ الْمُؤْمِنَ يَسْتَعِينُ بِهِ  
تَعَالَىٰ فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ إِذْ هُوَ الْمَلْجَأُ وَالْمَلَاذُ فِي جَمِيعِ الْمَرَاهِلِ قَالَ تَعَالَىٰ:  
﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾<sup>(١)</sup>

و: ﴿فَصَبِرْ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾<sup>(٢)</sup>  
و: ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا﴾<sup>(٣)</sup> وغيرها من الآيات.

## ومن كلام له (١٣٤)

وقد شاوره عمر ابن الخطاب في الخروج الى غزو الروم بنفسه

□ قوله عليه السلام: وَقَدْ تَوَكَّلَ اللَّهُ لِأَهْلِ هَذَا الدِّينِ بِإِعْزَازِ الْحَوْزَةِ وَسَثْرِ الْعَوْرَةِ  
وَالَّذِي نَصَرَهُمْ وَهُمْ قَلِيلٌ لَا يَنْتَصِرُونَ وَمَنْعَهُمْ وَهُمْ قَلِيلٌ لَا يَمْنَعُونَ حَتَّى لَا  
يَمُوتَ إِنَّكَ مَتَى تَسِرْ إِلَى هَذَا الْعَدُوِّ بِنَفْسِكَ فَتَلْقَهُمْ فَتُنَكِّبُ لَا تَكُنْ لِلْمُسْلِمِينَ  
كَانِفَةً دُونَ أَقْصَى بِلَادِهِمْ وَلَيْسَ بِعَدِكَ مَرْجِعٌ يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ فَابْعَثْ إِلَيْهِمْ رَجُلًا  
مِخْرَبًا وَاحْفِزْ مَعَهُ أَهْلَ الْبَلَاءِ وَالنَّصِيحَةِ فَإِنَّ أَظْهَرَ اللَّهِ فَذَاكَ مَا تُحِبُّ وَأَنْ تَكُنْ  
الْأُخْرَى كُنْتَ رِذَاءً لِلنَّاسِ وَمَثَابَةً لِلْمُسْلِمِينَ.

◁ اللُّغَةُ

(الحَوْزَةُ) بفتح الحاء الناحية والمراد بها بَيْضَةُ الأَسْلَامِ (كَانِفَةً) أي عاصمة  
وَرَوِي (كَهْفَةً) أي كَهْفٌ يُلْجَأُ إِلَيْهِ (مِخْرَبًا) بضم الميم وسكون الحاء وفتح الراء  
صاحب حُرُوبٍ (احْفِزْ) امر من احْفِزْ يُحْفِزُ أي تدفعه (رِدَةً) الرِّدَاءُ بكسر الراء  
المَلْجَأُ (مَثَابَةً) المَرْجِعُ انتهى.

◁ المعنى

(وَقَدْ تَوَكَّلَ اللَّهُ) أي صار وَكَيْلًا لَهُمْ (لِأَهْلِ هَذَا الدِّينِ) اعني دين الإسلام  
(بِإِعْزَازِ الْحَوْزَةِ) اعني البَيْضَةُ والْجَمْعِيَّةُ (وَسَثْرِ الْعَوْرَةِ) مما لا ينبغي إطلاع  
الأعداء عليه (وَالَّذِي نَصَرَهُمْ) أي الَّذِي نَصَرَ الْمُسْلِمِينَ فِي بَدْوِ الأَمْرِ (وَهُمْ

وامّا قوله ﷺ: واللّه المُستعان الي آخره ففيه إشارة الي انّ المؤمن يستعين به  
تعالى في جميع الأحوال اذ هو الملجأ والملاذ في جميع المراحل قال تعالى:  
﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾<sup>(١)</sup>

و: ﴿فَصَبِرْ جَمِيلٌ وَاللّٰهُ الْمُسْتَعَانُ عَلٰى مَا تَصِفُونَ﴾<sup>(٢)</sup>  
و: ﴿قَالَ مُوسٰى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللّٰهِ وَاصْبِرُوا﴾<sup>(٣)</sup> وغيرها من الآيات.

## ﴿ومن كلام له ﷺ (١٣٤)﴾

وقد شاوره عمر ابن الخطاب في الخروج الى غزو الروم بنفسه

□ قوله ﷺ: وَقَدْ تَوَكَّلَ اللَّهُ لِأَهْلِ هَذَا الدِّينِ بِإِعْزَازِ الْحَوْزَةِ وَسِتْرِ الْعَوْرَةِ  
وَالَّذِي نَصَرَهُمْ وَهُمْ قَلِيلٌ لَا يَنْتَصِرُونَ وَمَنْعَهُمْ وَهُمْ قَلِيلٌ لَا يَمْنَعُونَ حَتَّى لَا  
يَمُوتَ إِنَّكَ مَتَى تَسِرَ إِلَى هَذَا الْعَدُوِّ بِنَفْسِكَ فَتُلْقَهُمْ فَتُكَبِّ لَا تَكُنْ لِلْمُسْلِمِينَ  
كَانِفَةً دُونَ أَقْصَى بِلَادِهِمْ وَلَيْسَ بَعْدَكَ مَرْجِعٌ يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ فَاْبَعَثْ إِلَيْهِمْ رَجُلًا  
مُحْرَبًا وَاحْفَظْ مَعَهُ أَهْلَ الْبَلَاءِ وَالنَّصِيحَةِ فَإِنَّ أَظْهَرَ اللَّهِ فَذَاكَ مَا تُحِبُّ وَأَنْ تَكُنْ  
الْأُخْرَى كُنْتَ رِدًّا لِلنَّاسِ وَمَثَابَةً لِلْمُسْلِمِينَ.

◀ اللّغة

(الحَوْزَة) بفتح الحاء النّاحية والمُرَاد بها بَيْضَة الإسلام (كَانِفَة) اي عاصمة  
وَرُوي (كَهْفَة) اي كَهْفٌ يُلْجَا اليه (مُحْرَبًا) بضم الميم وسكّون الحاء وفتح الرّاء  
صاحب حُرُوب (احْفَظ) امر من احْفَظ يُحْفَظ اي تدفعه (رِدَّة) الرّدء بكسر الرّاء  
المَلْجَا (مَثَابَة) المَرْجِع انتهى.

◀ المعنى

(وَقَدْ تَوَكَّلَ اللَّهُ) اي صار وَكِيلاً لَهُمْ (لِأَهْلِ هَذَا الدِّينِ) اعني دين الإسلام  
(بِإِعْزَازِ الْحَوْزَةِ) اعني البَيْضَة والجمعيّة (وَسِتْرِ الْعَوْرَةِ) ميّلا لا ينبغي إطلاع  
الأعداء عليه (وَالَّذِي نَصَرَهُمْ) اي الَّذِي نَصَرَ المُسْلِمِينَ في بدو الأمر (وَهُمْ

قَلِيلٌ) وَهُمْ قَلِيلٌ اعْنِي اللَّهُ تَعَالَى (وَمَنْعَهُمْ) فِي حَالِ ضَعْفِهِمْ وَعَدَمِ قُدْرَتِهِمْ عَلَى الْإِمْتِنَاعِ.

(حَيٌّ لَا يَمُوتُ) فَهُوَ حَيٌّ الْآنَ (أَنَّكَ مَتَى تَسِرْ إِلَى هَذَا الْعَدُوِّ) اعْنِي الرُّومِيْنَ (بِنَفْسِكَ فَتَلْقَهُمْ) فِي الْمَعْرَكَةِ (فَتُنْكَبُ) مِنْهُمْ أَيِ اصَابَتِكَ النُّكْبَةُ (لَا تَكُنْ لِلْمُسْلِمِينَ كَانِفَةً) أَيِ لَمْ تَبَقْ لَهُمْ جِهَةً عَاصِمَةً يَعْتَصِمُونَ بِهَا (دُونَ أَقْصَى بِلَادِهِمْ وَلَيْسَ بَعْدَكَ مَرْجِعٌ يَرْجِعُونَ) الْمُسْلِمِينَ (إِلَيْهِ فَابْعَثْ إِلَيْهِمْ) أَيِ إِلَى الْأَعْدَاءِ (رَجُلًا مُحْرَبًا) ذَا خِبْرَةٍ وَبَصِيرَةٍ (وَاحْفِزْ مَعَهُ) أَيِ إِدْفَعْ مَعَهُ (أَهْلَ الْبَلَاءِ) مِنَ الْأَبْطَالِ (وَالنَّصِيحَةِ) أَيِ إِدْفَعْ مَعَهُ الْأَبْطَالِ الْمُتَّبَحِرِينَ الْمُجْرِبِينَ بِالنُّصْحِ، (فَإِنَّ أَظْهَرَ اللَّهِ) بِالنَّصْرِ وَالْغَلْبَةِ عَلَى الْأَعْدَاءِ (فَذَاكَ) النَّصْرَ (مَا تُحِبُّ) وَأَنْ تَكُنَّ (الْأُخْرَى) أَيِ الْإِنْكَسَارِ وَالْمَغْلُوبِيَّةِ (كُنْتَ رِدًّا) وَمَلْجَأً (لِلنَّاسِ وَمَثَابَةً) وَمَرْجِعاً (لِلْمُسْلِمِينَ) وَمَامناً لَهُمْ.

### ◀ الشرح

اعلم: أن هذا الكلام مما قاله ﷺ لعمر ابن الخطاب لما أراد المسير إلى غزو الروم بنفسه واستشار فيه.

فقال ﷺ - وَقَدْ تَوَكَّلَ اللَّهُ لِأَهْلِ هَذَا الدِّينِ بِإِعْزَازِ الْحَوْزَةِ وَسِتْرِ الْعَوْرَةِ ...  
أي قد صار الله تعالى وكيلاً لأهل هذا الدين اعني الأسلام بشيئين احدهما إعزاز الحوزة والناحية، وثانيهما ستر العورة مما لا ينبغي إطلاع الكفار والمخالفين عليه.

أما الأول فالوجه فيه أن العزة والذلة بيده تعالى: ﴿تُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ﴾<sup>(١)</sup> ولا شك أن الله تعالى قد ارتضى الإسلام وأمر الناس بمتابعته والتدين به كما قال تعالى في كتابه: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَنْ يُبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾<sup>(٢)</sup> فإذا كان الدين

المَرْضَى عنده هو الإسلام لا غيره والعِزَّة ايضاً بيده فلا مُحَالَة هو المَتَكْفَل  
لإِعْزَازِ الدِّينِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَخْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً وَهُوَ السَّمِيعُ  
الْعَلِيمُ﴾ (١)

وَأَمَّا قَالَ ﷺ تَوَكَّلْ لِإِعْزَازِ الْحَوْزَةِ وَلَمْ يَقُلْ بِإِعْزَازِكَ مَعَ أَنَّهُ كَانَ خَلِيفَةَ  
المُسْلِمِينَ وَآمِيرَهُمْ، لِأَمْرَيْنِ:

أحدهم: أَنَّهُ تَعَالَى قَدْ تَوَكَّلَ بِإِعْزَازِ دِينِهِ فِي كُلِّ عَصْرٍ وَزَمَانٍ وَأَمَّا إِعْزَاؤُهُ  
الشَّخْصَ الَّذِي تَصَدَّى لِرِعَايَةِ القَوْمِ فَلَا إِلَّا أَنْ يَكُونَ بِأَمْرٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِذْ فِي  
هَذِهِ الصُّورَةِ إِعْزَاؤُهُ إِعْزَازَ الدِّينِ وَبِالعَكْسِ وَحَيْثُ أَنَّ عُمَرَ ابْنَ الخَطَّابِ كَانَ  
خَلِيفَةَ أَبِي بَكْرٍ لَا خَلِيفَةَ الرَّسُولِ فَلَا مَعْنَى لِإِعْزَاؤِهِ تَعَالَى آيَاهُ إِذْ إِعْزَاؤُهُ يَكْشِفُ  
عَنْ رِضَايَتِهِ تَعَالَى بِخِلَافَتِهِ مَعَ أَنَّهُ مَحَلُّ الكَلَامِ.

وَأَمَّا إِعْزَاؤُهُ الدِّينِ فَلَا رِبْطَ لَهُ بِعُمَرِ وَغَيْرِهِ كَائِنًا مِنْ كَانَ كَمَا قَالَ تَعَالَى  
يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٢﴾ وَنُورُهُ  
دِينُهُ..

وِثَانِيهِمْ: أَنَّ إِعْزَاؤَ الحَوْزَةِ الَّتِي هِيَ التَّاحِيَةُ وَبِعِبَارَةٍ أُخْرَى بَيِّضَةُ الإِسْلَامِ هُوَ  
إِعْزَاؤُ الدِّينِ بَعِينَهُ كَمَا أَنَّ إِنْكَسَارَ الحَوْزَةِ إِنْكَسَارُ الدِّينِ فَإِنَّ الحَوْزَةَ الإِسْلَامِيَّةَ  
بِمَنْزِلَةِ الرَّاسِ فِي البَدَنِ فَكَمَا أَنَّهُ لَا خَيْرَ فِي بَدَنِ لَا رَأْسَ مَعَهُ كَذَلِكَ لَا خَيْرَ فِي  
دِينٍ لَا حَوْزَةَ وَلَا بَيِّضَةَ لَهُ وَالعَرَضُ أَنَّ الحَوْزَةَ هِيَ الأَصْلُ فِي عِزَّةِ الدِّينِ وَعَدْلُهَا  
والمَقْصُودُ مِنْهَا فِي كَلَامِهِ هُوَ المَدِينَةُ الَّتِي كَانَتْ مَرَكِزَ الخِلَافَةِ وَمَجْمَعِ  
الأَصْحَابِ مِنَ المُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَأَمَّا سِتْرُ العَوْرَةِ فَمَعْنَاهُ قَدْ ظَهَرَ مِنْهَا ذِكْرُنَاهُ.  
قَوْلُهُ ﷺ: وَالَّذِي نَصَرَهُمْ وَهُمْ قَلِيلٌ لَا يَنْتَصِرُونَ وَمَنْعَهُمْ وَهُمْ قَلِيلٌ لَا يَمْنَعُونَ  
حَتَّى لَا يَمُوتَ ...

أَيُّ وَالَّذِي نَصَرَ المُسْلِمِينَ وَهُمْ قَلِيلٌ وَمَنْعَهُمْ أَيُّ المُسْلِمِينَ فِي حَالِ قِلَّتِهِمْ  
وَعَدَمِ قُدْرَتِهِمْ عَلَى الإِمْتِنَاعِ مِنَ سَيْفِ المُعَانِدِينَ فَهُوَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ أَبَدًا اعْنِي



اللَّهِ تَعَالَى قَادِرٌ عَلَىٰ نُصْرَتِهِمُ الْآنَ كَمَا كَانَ قَادِرًا عَلَيْهَا مِنْ قَبْلِ وَعَلَىٰ هَذَا الْمَعْنَى الَّذِي اعْتَمَدُوا عَلَيْهِ فِي شَرْحِ الْعِبَارَةِ فَالضَّمَاثِرُ فِي قَوْلِهِ ﷺ (هُم) تَرْجِعُ إِلَى الْمُسْلِمِينَ.

اقول: لا يبعد ان يكون الضمير في قوله ﷺ: (وَمَنْعَهُمْ) الى الكفار وعليه فالمعنى انه تعالى منع الكفار عن الغلبة على المسلمين والحال انهم كانوا قليلاً لا يقدرّون على الإمتناع عن اوامر الكفار بحسب ذواتهم وكيف كان فالمقصود ان الله تعالى هو المعين والناصر في جميع الأحوال وهو حي لا يموت. ثم ان ما ذكره إشارة الى قوله تعالى حيث قال على سبيل العموم. ﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (١)

و: ﴿ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبَّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ (٢)

و: ﴿فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ﴾ (٣)

و: ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ (٤)

و: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٥)

و: ﴿وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَن يَشَاءُ﴾ (٦)

و: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ (٧)

وقال تعالى على سبيل الخصوص في المسلمين: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ، إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنزَلِينَ، بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا يَأْتُوَكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا

٢- البقرة - ٢٥٠

٤- آل عمران - ١٢٦

٦- آل عمران - ١٣

١- البقرة - ٢٤٩

٣- البقرة - ٢٥١

٥- الزوم - ٤٧

٧- الحج - ٢٩

يُمِدُّكُمْ رَبِّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ، وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ  
وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾

و: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبْتَكُمْ كَثَرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ  
عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّذَبِحِينَ، ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ  
سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ  
ذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾ (٢)

وحاصل الكلام انّ المدار في الغلبة هو التوكل على الله تعالى وطلب  
النصر منه واما كثرة الأفراد او قلتهم فلا يُعاب بهما فما النصر الا من عند الله  
العزیز الحكيم.

وفي قوله ﷺ: (حي لا يموت) إشارة الى قوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي  
لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ﴾ (٣)

□ قوله ﷺ: إِنَّكَ مَتَى تَسِرْ إِلَىٰ هَذَا الْعَدُوِّ بِنَفْسِكَ فَتَلْقَهُمْ فَتَنْكَبَ لَا تَكُنْ  
لِلْمُسْلِمِينَ كَانِفَةً...

بعد ما اشار ﷺ في صدر كلامه بانّ النصر منه تعالى فينبغي التوكل عليه فلا  
عبرة بالأشخاص والأفراد اشار ﷺ الى وجه العقلي مما افاده بالمنع من  
الخروج فقال ﷺ: انك متى تسير الى هذا العدو اعني الكفار من الروميين  
فتنكب اي اصابتك النكبة بالقتل والموت والجرح وغيرها لا تكن للمسلمين  
كانفة وعاصمة يعتصمون بها في أمورهم وحوائجهم وهذا ظاهر وفي تعبيره  
ﷺ إشعار بانّ المسلمين لا بدّ لهم من ملجأ ومرجع كائناً من كان حتى يلجأوا  
اليه.

□ قوله ﷺ: دُونَ أَقْصَىٰ بِلَادِهِمْ وَلَيْسَ بَعْدَكَ مَرْجِعٌ يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ...  
وانما خصّ ﷺ اقصى البلاد بالذكر لأنّ المسلمين الذين في اقاصي البلاد

إحتياجهم إلى الأمير والقائد أكثر ممّن في بيضة الأسلام او قريباً منها وذلك لأنهم في معرض القتل والنهب للكفار.

□ قوله ﷺ: فَأَبْعَثُ إِلَيْهِمْ رَجُلًا مِحْرَبًا وَأَخْفِزُ مَعَهُ أَهْلَ الْبَلَاءِ وَالنَّصِيحَةَ ...

بعد ما بيّن ﷺ له وجه عدم صلاحية الخروج اشار ﷺ بما هو الحق في المقام وفيه نفع للمسلمين والإسلام فقال إبعث اليهم اي إلى الأعداء رجلاً عارفاً بفتون الحرب واحفز اي إدفع معه اهل البلاء والنصيحة اي المختبرين المُجربين بالنصح اعني الصداقة والأمانة.

□ قوله ﷺ: فَإِنْ أَظْهَرَ اللَّهُ فَذَلِكَ مَا تُحِبُّ وَإِنْ تَكُنُ الْأُخْرَى كُنْتَ رِدَاءً لِلنَّاسِ وَمَثَابَةً لِلْمُسْلِمِينَ ...

وذلك لأن الأمر لا يخلو من هذين الشقين اما الغلبة على الأعداء واما العكس، فعلى الأول فذاك ما تُحِبُّ فانك تُحِبُّ الغلبة وعلى الثاني كنت رداءً وعوناً للناس ومثابةً ومرجعاً للمسلمين ومعناه واضح وفي قوله ﷺ رداءً إشارة إلى قوله تعالى: ﴿فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي﴾ (١)

## ﴿ ومن كلام له ﴾ (١٣٥)

□ قوله ﷺ: يَا بَنَ اللَّعِينِ الْأَبْتَرِ وَالشَّجَرَةَ الَّتِي لَا أَصْلَ لَهَا وَلَا فَرْعَ أَنْتَ تَكْفِينِي  
فَوَاللَّهِ مَا عَزَّ اللَّهُ مِنْ أَنْتَ نَاصِرُهُ وَلَا قَامَ مِنْ أَنْتَ مُنْهَضُهُ أَخْرَجُ عَنْكَ أَبْعَدَ اللَّهِ  
نَوَاكَ ثُمَّ أَبْلُغُ جَهْدَكَ فَلَا أَبْقَى اللَّهُ عَلَيْكَ أَنْ أَبْقَيْتَ.

### ◀ اللغة

(الْأَبْتَرِ) الْمُتَقَطَّعُ عَنِ الْخَيْرِ أَوْ مِنْ لَا عَقِبَ لَهُ (مُنْهَضُهُ) أَي مُقِيمُهُ مِنْ انْهَضَ  
أَي أَقَامَ (نَوَاكَ) قِيلَ التَّوَيُّ الْقَصْدُ الَّذِي يَنْوِيهِ الْمُسَافِرُ مِنْ قُرْبٍ أَوْ بُعْدٍ.

### ◀ المعنى

(يَا بَنَ اللَّعِينِ الْأَبْتَرِ) الَّذِي لَا خَيْرَ فِي عَقْبِهِ وَنَسْلِهِ (وَالشَّجَرَةَ) الْخَبِيثَةَ (الَّتِي  
لَا أَصْلَ لَهَا وَلَا فَرْعَ) فَهُوَ كَالْمَعْدُومِ (أَنْتَ تَكْفِينِي) فَوَاللَّهِ مَا عَزَّ اللَّهُ مِنْ أَنْتَ  
نَاصِرُهُ) يَعْنِي عَثْمَانَ لِأَنَّهُ أَي الْمُغِيرَةَ كَانَ نَاصِرًا لَهُ (وَلَا قَامَ مِنْ أَنْتَ مُنْهَضُهُ) أَي  
لَا تَقْدِرُ عَلَيَّ إِقَامَةَ غَيْرِكَ (أَخْرَجُ عَنْكَ) عَنْ مَجْلِسِنَا (أَبْعَدَ اللَّهِ نَوَاكَ) وَقَصْدَكَ (ثُمَّ  
أَبْلُغُ جَهْدَكَ) أَي إِفْعَلْ مَا شِئْتَ.

### ◀ الشرح

قال السيد ﷺ قد وَقَعَتْ مُشَاجِرَةٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَثْمَانَ فَقَالَ الْمُغِيرَةُ ابْنُ الْأَخْنَسِ  
لِعَثْمَانَ أَنَا أَكْفِيكَه فَقَالَ ﷺ لِلْمُغِيرَةَ يَا بَنَ اللَّعِينِ الْأَبْتَرِ الْخ.

قال الشَّارِحُ الْمُعْتَزَلِيُّ فِي نَسَبِ الْمُغِيرَةِ ابْنِ الْأَخْنَسِ بْنِ شَرِيقِ بْنِ عَمْرِو بْنِ وَهَبِ بْنِ عِلَاجِ بْنِ أَبِي سَلْمَةَ الثَّقَفِيِّ حَلِيفِ بَنِي الزَّهْرَةِ.

□ قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَا بَنَ اللَّعِينِ الْأَبْتَرِ وَالشَّجَرَةَ الَّتِي لَا أَصْلَ لَهَا وَلَا فَرْعَ ...

أَصْلُ اللَّعْنِ الطَّرْدُ وَالْإِبْعَادُ عَلَى سَبِيلِ السَّخَطِ وَذَلِكَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى فِي الْآخِرَةِ عَقُوبَةً، وَفِي الدُّنْيَا إِنْقِطَاعٌ مِنْ قَبُولِ رَحْمَتِهِ وَتَوْفِيقِهِ وَمِنْ الْإِنْسَانِ دَعَاءٌ عَلَى غَيْرِهِ قَالَه الرَّاعِبُ فِي الْمُفْرَدَاتِ.

وَاللَّعِينُ الْمَلْعُونُ، الْمُسَبُّ الْمَطْرُودُ، الْمَشُومُ الْمَمْسُوحُ الْمُخْزِيُّ الْمُهْلِكُ الشَّيْطَانُ قَالَ فِي الْمُنْجَدِ - وَالْأَبْتَرُ، أَصْلُ الْبَتْرِ الْقَطْعُ وَالْأَبْتَرُ الْأَقْطَعُ وَهُوَ يُسْتَعْمَلُ فِي قَطْعِ الذَّنْبِ ثُمَّ اجْرَى الْعَقَبُ مَجْرَاهُ فَقِيلَ فَلَانَ ابْتَرَا إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ عَقَبٌ يَخْلُفُهُ وَرَجُلٌ ابْتَرَا وَإِبْتَرٌ إِنْقَطَعَ ذَكَرَهُ عَنِ الْخَيْرِ، وَرَجُلٌ ابْتَرَا يَقْطَعُ رَحِمَهُ قَالَ فِي الْمُفْرَدَاتِ انْتَهَى.

وَالشَّجَرَةُ وَاحِدَةٌ الشُّجْرُ وَمَعْنَاهَا مَعْلُومٌ إِذَا عَرَفْتَ هَذَا فَنَقُولُ: قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مُخَاطِباً لَهُ أَيُّ لِمُغِيرَةَ يَابْنَ اللَّعِينِ الْأَبْتَرِ وَذَلِكَ لِأَنَّ أَبَاهُ الْأَخْنَسَ، كَانَ مِنْ رُؤَسَاءِ الْمُنَافِقِينَ وَكَأَبْرِهِمْ كَمَا ذَكَرَ الشَّارِحُ الْمُعْتَزَلِيُّ أَيْضاً قَالَ بَعْدَ ذِكْرِهِ مَا قَلْنَا أَنَّهُ أَيُّ الْأَخْنَسِ كَانَ فِي الْمَوْلَفَةِ قُلُوبِهِمُ الَّذِينَ اسْلَمُوا يَوْمَ الْفَتْحِ بِالسِّيْتِمْ دُونَ قُلُوبِهِمْ وَابْنُهُ أَبُو الْحَكَمِ ابْنُ الْأَخْنَسِ قَتَلَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ أَحَدٍ كَافِراً فِي الْحَرْبِ وَهُوَ أَخُو الْمُغِيرَةِ هَذَا وَالْحَقْدُ الَّذِي فِي قَلْبِ الْمُغِيرَةِ عَلَيْهِ مِنْ هَذِهِ الْجِهَةِ وَأَمَّا قَالَ لَهُ يَابْنَ الْأَبْتَرِ لِأَنَّ مِنْ كَانَ عَقَبُهُ ضَالاً خَبِيثاً فَهُوَ كَمَنْ لَا عَقَبَ لَهُ بَلْ مِنْ لَا عَقَبَ لَهُ خَيْرٌ مِنْهُ انْتَهَى.

أَقُولُ: أَمَّا قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَا قَالَ تَأْسِياً بِالْكِتَابِ حَيْثُ قَالَ تَعَالَى فِي الْعَاصِ ابْنِ وَائِلٍ وَامِثَالِهِ (أَنْ شَانَتْكَ هُوَ الْأَبْتَرُ) أَيُّ الْمَقْطُوعِ الذِّكْرِ وَكَلَامُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ هَذَا يَدُلُّ عَلَى كَوْنِ الْأَخْنَسِ لَعِيناً ابْتَرَا وَمِنْ كَانَ كَذَلِكَ فَكَانَهُ لَا عَقَبَ لَهُ أَوْ إِنْ كَانَ لَهُ عَقَبٌ لَا خَيْرَ فِيهِ فَكَانَهُ مَعْدُومٌ وَلِهَذَا عَقَبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَلَامَهُ بِقَوْلِهِ وَالشَّجَرَةَ الَّتِي لَا أَصْلَ لَهَا وَلَا فَرْعَ فَإِنَّ الشَّجَرَةَ الْمَوْصُوفَةَ بِهَذِهِ الصِّفَةِ هِيَ مَعْدُومَةٌ وَأَقْعَاءٌ إِذْ لَوْ كَانَتْ مَوْجُودَةً لَكَانَ لَهَا أَصْلٌ فَلَا مَحَالَةَ لَهَا فَرْعٌ إِذَا أَصْلُهَا لَا يَكُونُ بِلَا فَرْعٍ أَمَّا قُوَّةٌ أَوْ فِعْلاً وَفِيهِ

إشارة الى قوله تعالى حيث قال: ﴿مَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَالِهَا مِنْ قَرَارٍ وَمَا لَا قَرَارَ لَهُ فَكَانَ لَا وَجُودَ لَهُ.

وفي جمعه ﷺ بين اللعين والأبتر والشجرة الموصوفة بما ذكره ﷺ إشارة الى قوله تعالى ايضاً حيث قال: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّءْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ﴾ (١)

ثم قوله ﷺ إشارة بل صراحة بكون المغيرة ممن لا اصل له او الأخنس لا اصل له والمراد بعدم الأصل هو عدم النسب الصحيح اذ الأصل في كل شيء انما هو بحسبه فاصل الإنسان نسبه فان كان النسب صحيحاً فالأصل ثابت والآ فلا وحيث ان الأخنس لم يكن له نسب صحيح فعبر ﷺ بأنه لا اصل له واذا كان الأخنس كذلك فابنه المغيرة ايضاً حاله معلوم اذ هو فرع على ما لا اصل له وهو محال.

□ قوله ﷺ: أَنْتَ تَكْفِينِي فَوَ اللَّهُ مَا أَعَزَّ اللَّهُ مِنْ أَنْتَ نَاصِرُهُ وَلَا قَامَ مِنْ أَنْتَ مُنْهَضُهُ ...

قوله ﷺ: أَنْتَ تَكْفِينِي جواب لقول المغيرة حيث قال لعثمان انا اكفيك وإستدل ﷺ على كون المغيرة كاذباً في قوله بامرین:

احدهما قوله ﷺ: فَوَ اللَّهُ مَا أَعَزَّ اللَّهُ مِنْ أَنْتَ نَاصِرُهُ صَدَرَ كَلَامِهِ ﷺ بالقسم للدلالة على كون ما قاله فيه حقاً لا مريية فيه وكلمة (ما) نافية اي أقسم بالله أن الله تعالى لا يعز من كنت ناصره ومعينه وتقدير الكلام ان عثمان لا يصير عزيزاً عند الله وعند الناس بنصرتك إياه والوجه فيه ان الله تعالى يعز العبد باوليائه لا باعدائه المنافقين لوجوه:

احدها: ان المنافق لا ينصر الا المنافق فإذا كان الناصر للإنسان منافقاً كذاباً يكشف ان المنصور ايضاً كذلك فان الخبيثين للخبيثين ومعلوم ان المنافق ملعون مطرود.

وثانيهما: ان العِزَّةَ لِلَّهِ ورسوله والمؤمنين فلو فرضنا ان الله تعالى اعزَّ المنافق يلزم منه كذب القرآن وهو كما ترى.

وثالثها: انه تعالى لو اعزَّ المنافق بالمنافق يلزم منه احياء المنكر واماتة المعروف والمنكر قبيح ذاتاً وهو تعالى منزّه عن القبائح وهو ايضاً واضح.

وثانيهما: قوله ﷺ: وَلَا قَامَ مَنْ أَنْتَ مُنْهَضُهُ، وَرُوي (اقام) ايضاً وهو اولى وأنسب بسياق الكلام والحاصل انه لا يقوم من انت مقيمه وعلى الثاني اعني اقام معناه ما اقام الله من انت منهضه ومقيمه والمراد بالقيام القيام الغير الجسّي من الرئاسة والزعامة والقدرة وهو ايضاً ظاهر فان المنافق المطرود والملعون على لسان الله ولسان رسوله كيف يقدر على هذا فمن عجز وضعف عن الأمر لا يقوم ولا يقدر عليه بمعونة المنافق وذلك لأنه اي المنافق منفور لدى الخلق مطرود عندهم فنصرته لغيره لا تزيد الا خساراً وتباراً.

والدليل الواضح من الجسّ والعيان على صدق ما ذكره ﷺ هو ان عثمان صار مقتولاً منفوراً في الناس ومن المعلوم ان الباعث على قتله وجود المغيرة وامثاله من المنافقين الكذابين وقبوله قولهم وفعلهم وإتكائه عليهم في جميع شئونه الدنيوية والآخروية وتسليطهم على الأموال والنفوس فلو كانوا قادرين على إعزازه وإنهاضه لأعزّوه وإنهضوه وحيث لم يكن ذلك بل صار الأمر بالعكس فيظهر خلاف ما زعموه وظنّوه.

ان قلت - أليست نصرة المغيرة وامثاله موجبة لحكومة عثمان وخلافته والخلافة والحكومة عِزَّةٌ.

قلت - غرضه ﷺ من العِزَّة ليس هذا والآ يلزم ان يكون كل حاكم جبار عزيزاً، أليس فرعون ونمرود وضحّاك وفي الإسلام الحكّام والسلاطين الظالمين الجائرين عزيزاً، فان كان المراد بالعِزَّة العِزَّة التي في اذهان العوام كالأنعام اعني الإستيلاء والسُلطة على الناس بالقهر والغلبة وسفك الدماء

ونهب الأموال والضرب والشتم وغيرها من الأمور المنكرة القبيحة فكان  
عثمان وامثاله عزيزاً وان كان المراد بهما المحبوبة المكنونة في القلوب ولا  
سيما قلوب الخواص من العلماء والصلحاء والأتقياء في حياة الوالي وبعد  
موته فمعلوم ان العزة بهذا المعنى كانت متفية عنهم وغرضه عليه السلام منها المعنى  
الثاني وهو لا يتحقق الا للخواص من اولياء الله.

□ قوله عليه السلام: اخْرُجْ عَنَّا أَبْعَدَ اللَّهُ نَوَاكَ ...

اي اخرج عن مجلسنا أو عن قربنا أبعد الله قصدك هذا اذا كان النوى  
بمعنى القصد كما عليه المشهور وقال بعضهم النوى في المقام بمعنى الدار اي  
أبعد الله دارك وعليه فالمعنى ان الله تعالى أبعد دارك عن دارنا ولا يبعد ان يراد  
بالدار الدار الآخرة فدعا عليه السلام عليه إشعاراً بأنه من اهل النار.

□ قوله عليه السلام: ثُمَّ ابْلُغْ جَهْدَكَ فَلَا أَبْقَى اللَّهُ عَلَيْكَ أَنْ أَبْقَيْتَ ...

اي اخرج عنّا ثم ابلغ جهدك أي افعل ما شئت فلا أبقي الله، يقال ابقيت  
على فلان اذا راعيته ورحمته والمعنى لا رحمتك الله ان اشفقت علي  
ورحمتني.

إعلم: ان هذا الكلام منه عليه السلام انما صدر بمحضر عثمان لمشاجرة وقعت بينه  
وبينه كما ذكره السيد عليه السلام واما الشارح المعتزلي فلا يراه صحيحاً بل قال انما قال  
عليه السلام ما قال لما ارسل عثمان زيد ابن ثابت والمغيرة الي امير المؤمنين فدخلا  
عليه وقال المغيرة وكان من شيعة عثمان وخلصائه، انك والله لتكفن عنه او  
لتكفن فانه اقدر عليك منك عليه الي آخر ما قال فقال عليه السلام يا ابن اللعين الأبر  
الخ.

ثم قال الشارح المعتزلي وهذا الخبر يدل على ان اللفظة (انت تكفني)  
وليست كما ذكره الرضي عليه السلام (انت تكفيني)

لكن الرضي طبق هذه اللفظة على ما قبلها وهي قوله (انا اكفيك) ولا شبهة



انها رواية أخرى انتهى ما قال مُلخصاً.

اقول : ما ذكره المُعتزلي لا باس به ولا دليل عليه وعلى فرض كونه حقاً  
فالمعنى لا يفرق ولا يبعد ان يكون الرّضي رضي الله عنه اخذه عن غير ما اخذه المُعتزلي  
فالرواية مُختلفة وكيف كان فلا شك انه عليه السلام قال هذا الكلام المَلَكوتي للمُغيرة  
سواء كان الكلام في حُضور عثمان ام كان في غيابه فان حُضوره وعدم  
حُضوره لا دَخل له في اصل الصّدور. والحمدُ لِلّهِ رَبِّ العالمين.

## ﴿ وَمَنْ كَلِمَ لَهُ ﴾ (١٣٦)

□ قوله ﷺ: لَمْ تَكُنْ بَيِّعْتُمْ أَيَّامِي فُلْتَةً وَلَيْسَ أَمْرِي وَأَمْرُكُمْ وَاحِدًا إِنِّي أُرِيدُكُمْ لِلَّهِ وَأَنْتُمْ تُرِيدُونَنِي لِأَنْفُسِكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ أَعِينُونِي عَلَى أَنْفُسِكُمْ وَأَيْمُ اللَّهِ لِأَنْصِفَنَّ الْمَظْلُومَ مِنْ ظَالِمِهِ وَلَا أَقُودَنَّ الظَّالِمَ بِخِزَامَتِهِ حَتَّى أُورِدَهُ مِنْهَلِ الْحَقِّ وَإِنْ كَانَ كَارِهًا.

### ◁ اللّغة

(فُلْتَةً) وقوع الأمر من غير تدبّر ولا رويّة (بخرامته) الخرامة حلقة تجعل في وترة انف البعير، (أورده) الإبراد الإحضار (منهل) على وزن مفعّل إسم مكان من نهل وهو المشرب.

### ◁ المعنى

(لَمْ تَكُنْ بَيِّعْتُمْ أَيَّامِي) بعد قتل عثمان (فُلْتَةً) من غير رويّة (وَلَيْسَ أَمْرِي وَأَمْرُكُمْ وَاحِدًا) اي ليست إرادتي إياكم كإرادتكم إياي بل (إِنِّي أُرِيدُكُمْ لِلَّهِ وَأَنْتُمْ تُرِيدُونَنِي لِأَنْفُسِكُمْ) لتتفعوا بي في دنياكم (أَعِينُونِي) وانصروني (عَلَى أَنْفُسِكُمْ) اي على خلاف اهوائكم وأمالككم (وَأَيْمُ اللَّهِ) اي أقسم بالله (لِأَنْصِفَنَّ الْمَظْلُومَ مِنْ ظَالِمِهِ) الذي ظلم في حقّه (وَلَا أَقُودَنَّ الظَّالِمَ بِخِزَامَتِهِ) كما يُقَاد البعير بها (حَتَّى أُورِدَهُ) اي الظالم (مِنْهَلِ الْحَقِّ) ومشربه (وَإِنْ كَانَ) الظالم (كَارِهًا) له.

□ قوله ﷺ: لَمْ تَكُنْ بَيِّعْتُمْ أَيَّامِي فَلْتَةٌ ...

الْبَيْعَةُ بفتح الباء وسكون الياء وفتح العين التولية وعقدتها يُقال بايعة مُبايعة عَقَدَ مَعَهُ الْبَيْعَ عَاهِدَهُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾ (١) اي يُعَاهِدُونَكَ عَلَى الطَّاعَةِ وَالْإِنْقِيَادِ وَالْفُلْتَةُ بضم الفاء وسكون اللام وفتح التاء الأُولَى الْمَرَّةَ مِنْ فَلْتٍ، يَقَعُ الْأَمْرُ عَلَى غَيْرِ أَحْكَامٍ وَإِتْقَانٍ، آخِرَ لَيْلَةٍ مِنَ الشَّهْرِ جَمَعَ فَلْتَاتٍ، وَفَلْتَاتُ الْكَلَامِ زَلَاتُهُ وَهَفَوَاتُهُ، يُقَالُ خَرَجَ الرَّجُلُ فَلْتَةً، أَي بَغْتَةً، وَحَدَّثَ الْأَمْرَ فَلْتَةً أَي فَجَاءَهُ مِنْ غَيْرِ تَدَبُّرٍ انْتَهَى .

والمعنى لَمْ تَكُنْ بَيِّعْتُمْ لِي بَعْدَ قَتْلِ عِثْمَانَ مِنْ غَيْرِ تَدَبُّرٍ وَتَفَكُّرٍ بَلْ كَانَتْ مَسْبُوقَةً بِهِمَا وَالْمَشْهُورُ أَنَّ هَذَا الْكَلَامَ قَالَهُ ﷺ بَعْدَ تَخَلُّفِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ وَجَمَاعَةٍ أُخْرَى عَنْ بَيْعَتِهِ، وَفِي كَلَامِهِ ﷺ هَذَا إِشَارَةٌ إِلَى أَمْرَيْنِ:

أحدهما: أَنَّ بَيْعَتِي لَيْسَتْ كَبَيْعَةِ أَبِي بَكْرٍ فِي كَوْنِهَا فَلْتَةٌ لِقَوْلِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ كَانَتْ بَيْعَةُ أَبِي بَكْرٍ فَلْتَةٌ وَقَتِي اللَّهُ شَرُّهَا، رَوَاهُ الْمُوَافِقُ وَالْمُخَالَفُ وَالْمَقْصُودُ أَنَّكُمْ بَايَعْتُمْ أَبِي بَكْرٍ مَعَ أَنَّ بَيْعَتَهَا كَانَتْ فَلْتَةً وَلَا تُبَايِعُونِي مَعَ أَنَّ هَذِهِ الْبَيْعَةُ كَانَتْ مَسْبُوقَةً بِالتَّدَبُّرِ وَهُوَ عَجِيبٌ قَالَ ابْنُ قَتَيْبَةَ فِي الْإِمَامَةِ وَالسِّيَاسَةِ مَا هَذَا لَفْظُهُ.

وذكروا أَنَّ عُمَارَ بْنَ يَاسِرٍ قَامَ إِلَى عَلِيٍّ فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أئِذْنٌ لِي أَتِي عَبْدِ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ فَأُكَلِّمَهُ لَعَلَّهُ يَخْفُفُ مَعَنِي فِي هَذَا الْأَمْرِ فَقَالَ عَلِيٌّ ﷺ نَعَمْ فَاتَاهُ فَقَالَ لَهُ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ إِنَّهُ قَدْ بَايَعَ عَلِيًّا الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ وَمَنْ أَنْ فَضَلْنَاكَ عَلَيْكَ لَمْ يَسْخَطْكَ وَإِنْ فَضَلْنَاكَ عَلَيْهِ لَمْ يُرْضَكَ فَقَدْ انْكَرْتَ السَّيْفَ فِي أَهْلِ الصَّلَاةِ وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّ عَلِيَّ الْقَاتِلَ الْقَتْلَ وَعَلَى الْمُحْصَنِ الرَّجْمَ وَهَذَا يُقْتَلُ

بالسيف وهذا يُقتل بالحجارة وإن علياً لم يقتل احداً من اهل الصلوة فيلزمه حكم القاتل فقال ابن عمر يا ابا اليقظان ان ابي جَمَعَ اهل الشورى الذين قُبِضَ رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ فكان احقهم بها علي غير انه جاء امر فيه السيف ولا اعرفه.

قال - فإنصرف عنه فاخبر علياً بقوله فقال علي لو اتيت محمد ابن مسلمة الأنصاري فاتاه عمّار فقال له محمد مرحباً بك يا ابا اليقظان علي فرقة ما بيني وبينك والله لولا ما في يدي من رسول الله لبايعت علياً ولو ان الناس كلهم عليه لكنت معه ولكنّه يا عمّار كان من النبي امرٌ ذهب فيه الرأي فقال عمّار كيف قال رسول الله ﷺ اذا رايت المسلمين يقتتلون او اذا رايت اهل الصلوة فقال عمّار فان كان قال لك اذا رايت المسلمين فوالله لا ترى مسلمين يقتتلان بينهما ابداً وان كان قال لك اهل الصلوة فمن سمع هذا معك انما انت احد الشاهدين فتريد من رسول الله قولاً بعد قوله يوم حجة الوداع دمائكم واموالكم عليكم حرام الا يحدث فتقول يا محمد لا نقاتل المحدثين قال حسبتك يا ابا اليقظان.

قال ثم اتى سعد ابن ابي وقاص فكلّمه فاطهر الكلام القبيح فإنصرف عمّار الى علي فقال له علي دَع هؤلاء، اما ابن عمر فضعيف، واما سعد فحشود، وذنبى الى محمد ابن مسلمة اني قتلت اخاه يوم خيبر مرحب اليهودي هذا ما قاله ابن قتيبة في كتابه.

وقال ابن الاثير في الكامل وفي هذه السنة بويع امير المؤمنين (سنة خمس وثلاثين) وقد اختلفوا في كيفية بيعته فقيل إنه لما قتل عثمان اجتمع اصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار وفيهم طلحة والزبير فاتوا علياً فقالوا له انه لا بد للناس من امام قال ﷺ لا حاجة لي في امركم فمن اختارتم رخصت به فقالوا ما نختار غيرك وترددوا اليه مراراً وقالوا له في آخر ذلك اننا لا نعلم احداً

أَحَقُّ بِهِ مِنْكَ لَا أَقْدَمُ سَابِقَةً وَلَا أَقْرَبُ قَرَابَةً مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ ﷺ لَا تَفْعَلُوا فَإِنِّي أَكُونُ وَزِيرًا خَيْرٌ مِنْ أَنْ أَكُونَ أَمِيرًا فَقَالُوا وَاللَّهِ مَا نَحْنُ بِفَاعِلِينَ حَتَّى تُبَايَعَكَ قَالَ ﷺ فَفِي الْمَسْجِدِ فَإِنْ بَيَّعْتَنِي لَا تَكُونُ خُفْيَةً وَلَا تَكُونُ إِلَّا فِي الْمَسْجِدِ وَكَانَ ﷺ فِي بَيْتِهِ وَقِيلَ فِي حَائِطِ بَنِي عَمْرٍو بْنِ مَبْدُولٍ فَخَرَجَ إِلَى الْمَسْجِدِ وَعَلَيْهِ أَزَارٌ وَطَاقٌ وَعِمَامَةٌ خَزٌّ وَنَعْلَاهُ فِي يَدِهِ مُتَوَكِّنًا عَلَى قَوْسٍ فَبَايَعَهُ النَّاسُ وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ بَايَعَهُ مِنَ النَّاسِ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ فَنَظَرَ إِلَيْهِ حَبِيبُ بْنُ ذُوَيْبٍ فَقَالَ إِنَّا لِلَّهِ أَوَّلُ مَنْ بَدَأَ بِالْبَيْعَةِ يَدٌ شَلَاءٌ لَا يَتَمُّ هَذَا الْأَمْرُ وَبَايَعَهُ الزَّيْبِرُ وَقَالَ لِهَذَا عَلِيٌّ إِنْ أَحْبَبْتُمَا أَنْ تُبَايَعَانِي وَإِنْ أَحْبَبْتُمَا بَايَعْتُمَا فَقَالَا لَهُ بَلْ تُبَايَعُكَ وَقَالَا بَعْدَ ذَلِكَ إِنَّمَا فَعَلْنَا ذَلِكَ خَشْيَةً عَلَى.

عَلَى نَفُوسِنَا وَعَرَفْنَا أَنَّهُ لَا يُبَايَعُنَا وَهَرَبْنَا إِلَى مَكَّةَ بَعْدَ قَتْلِ عُثْمَانَ بِأَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ وَبَايَعَهُ النَّاسُ وَجَاءُوا بِسَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ فَقَالَ عَلِيٌّ بَايَعُ فَقَالَ لَا حَتَّى يُبَايَعَ النَّاسُ وَاللَّهِ مَا عَلَيْكَ مِنِّي بِأَسْفَلٍ فَقَالَ خَلُّوا سَبِيلَهُ وَجَاءُوا بِإِبْنِ عَمْرِو بْنِ مَبْدُولٍ فَقَالَ لَا حَتَّى يُبَايَعَ النَّاسُ قَالَ أَتُنِي بِكَفِيلٍ قَالَ لَا أَرَى كَفِيلًا قَالَ الْأَشْتَرُ دَعْنِي أَضْرِبُ عُنُقَهُ قَالَ عَلِيٌّ دَعُوهُ أَنَا كَفِيلُهُ وَبَايَعَتِ الْأَنْصَارُ إِلَّا نَفْرًا يَسِيرًا، مِنْهُمْ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ وَكَعْبُ بْنُ مَالِكٍ وَمَسْلَمَةُ بْنُ مَخْلَدٍ وَأَبُو سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ وَمُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ وَالنُّعْمَانُ بْنُ بَشِيرٍ وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ وَرَافِعُ بْنُ خَدِيجٍ وَفَضَالَةُ بْنُ عُبَيْدٍ وَكَعْبُ بْنُ فَخْرَقٍ وَكَانُوا عِثْمَانِيًّا فَأَمَّا حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ فَكَانَ شَاعِرًا لَا يُبَالِي مَا يَصْنَعُ وَأَمَّا زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ فَوَلَّاهُ عُثْمَانُ الدِّيَّوَانَ وَبَيْتَ الْمَالِ فَلَمَّا حُصِرَ عُثْمَانُ قَالَ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ مَرَّتَيْنِ فَقَالَ لَهُ أَبُو أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيُّ مَا تَنْصِرُهُ إِلَّا لِأَنَّهُ أَكْثَرُ لَكَ مِنَ الْعَبْدَانِ، وَأَمَّا كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ فَاسْتَعْمَلَهُ عَلِيٌّ صَدَقَةً مَزِينَةً وَتَرَكَ لَهُ مَا أَخَذَ مِنْهُمْ، وَلَمْ يُبَايِعْهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ وَصُهَيْبُ بْنُ سَنَانَ وَمَسْلَمَةُ بْنُ سَلَامَةَ وَأَسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ وَقِدَامَةُ بْنُ مَطْعُونٍ وَالْمُعْغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ

إِنِّي أَنْ قَالَ أَمَّا عَلِيٌّ قَوْلُ مَنْ قَالَ إِنَّ طَلْحَةَ وَالزَّيْبِرَ بَايَعَا كُرْهًا فَقَالَ إِنَّ عُثْمَانَ لَمَّا

قُتِلَ بَقِيَّةُ الْمَدِينَةِ خَمْسَةَ أَيَّامٍ وَأَمِيرُهَا الْغَافِقِيُّ بْنُ حَرْبٍ يَلْتَمِسُونَ مِنْ يُجِيبُهُمْ  
إِلَى الْقِيَامِ بِهَا فَلَا يَجِدُونَهُ وَوَجَدُوا طَلْحَةَ فِي حَائِطٍ لَهُ وَوَجَدُوا سَعْدًا وَالزُّبَيْرَ  
قَدْ خَرَجَا مِنَ الْمَدِينَةِ وَوَجَدُوا بَنِي أُمِّيَّةٍ قَدْ هَرَبُوا إِلَّا مَنْ لَمْ يَطِّقِ الْهَرَبَ وَهَرَبَ  
سَعِيدٌ وَالْوَلِيدُ وَمُرْوَانَ إِلَى مَكَّةَ وَتَبِعَهُمْ غَيْرُهُمْ فَأَتَى الْمَصْرِيِّونَ عَلِيًّا فَبَاعَدَهُمْ  
وَأَتَى الْكُوفِيِّونَ الزُّبَيْرَ فَبَاعَدَهُمْ وَأَتَى الْبَصْرِيِّونَ طَلْحَةَ فَبَاعَدَهُمْ وَكَانُوا  
مُجْتَمِعِينَ عَلَى قَتْلِ عَثْمَانَ مُخْتَلِفِينَ فِيمَنْ يَلِي الْخِلَافَةَ فَأَرْسَلُوا إِلَى سَعْدٍ  
يَطْلُبُونَهُ فَقَالَ إِنِّي وَإِبْنُ عُمَرَ لَا حَاجَةَ لَنَا فِيهَا فَأَتَوْا ابْنَ عُمَرَ فَلَمْ يَجِبَهُمْ فَبَقُوا  
حِيَارَى قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَنِي رَجَعِ النَّاسُ إِلَى أَمْصَارِهِمْ بِغَيْرِ إِمَامٍ لَمْ نَأْمَنْ بِالْإِخْتِلَافِ  
وَفَسَادِ الْأُمَّةِ فَجَمَعُوا أَهْلَ الْمَدِينَةِ فَقَالُوا لَهُمْ يَا أَهْلَ الْمَدِينَةِ أَنْتُمْ أَهْلُ الشُّورَى  
وَأَنْتُمْ تَعْقِدُونَ الْإِمَامَةَ وَحُكْمَكُمْ جَائِزٌ عَلَى الْأُمَّةِ فَانظُرُوا رِجَالًا تَنْصِبُونَهُ وَنَحْنُ  
لَكُمْ تَبِعٌ وَقَدْ أَجَلْنَاكُمْ يَوْمَكُمْ فَوَاللَّهِ لَنْ لَمْ تَفْرغُوا لِنَقْتُلَنَّ غَدًا عَلِيًّا وَطَلْحَةَ  
وَالزُّبَيْرَ وَأَنَاسٌ كَثِيرٌ فَعَشِيَ النَّاسُ عَلِيًّا فَقَالُوا نُبَايَعُكَ فَقَدْ تَرَى مَا نَزَلَ بِالْإِسْلَامِ  
وَمَا ابْتَلَيْنَا بِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَقَالَ عَلِيٌّ دَعُونِي وَأَلْتَمِسُوا غَيْرِي فَإِنَّا مُسْتَقْبِلُونَ  
أَمْرًا لَهُ رُجُوءٌ وَلَهُ أَلْوَانٌ لَا تَقُومُ بِهِ الْقُلُوبُ وَلَا تَثْبُتُ عَلَيْهِ الْعُقُولُ فَقَالُوا نَشِيدُكَ  
اللَّهُ أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ أَلَا تَرَى الْإِسْلَامَ أَلَا تَرَى الْفِتْنَةَ أَلَا تَخَافُ اللَّهَ فَقَالَ قَدْ  
أَجَبْتَكُمْ وَأَعْلَمُوا أَنِّي إِنْ أَجَبْتَكُمْ رَكِبْتُ بِكُمْ مَا أَعْلَمُ وَإِنْ تَرَكْتُمُونِي فَإِنَّمَا أَنَا  
كَأَحَدِكُمْ أَلَا أَنِّي مِنْ أَسْمَعِكُمْ وَأَطُوعِكُمْ لِمَنْ وَلِيْتُمُوهُ ثُمَّ أَفْتَرَقُوا عَلَى ذَلِكَ  
وَتَشَاوَرُوا النَّاسَ فِيمَا بَيْنَهُمْ فَقَالُوا إِنْ دَخَلَ طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ فَقَدْ اسْتَقَامَتْ فَبِعَثَ  
الْبَصْرِيِّونَ إِلَى الزُّبَيْرِ حَكِيمُ بْنُ جَبَلَةَ وَمَعَهُ نَفَرٌ فَجَاءُوا بِهِ يَحْدُونَهُ بِالسَّيْفِ فَبَايَعَ  
وَبِعَثُوا إِلَى طَلْحَةَ الْأَشْعَرِ وَمَعَهُ نَفَرٌ فَأَتَى طَلْحَةَ فَقَالَ دَعْنِي أَنْظُرَ مَا يَصْنَعُ النَّاسُ  
فَلَمْ يَدْعِهِ إِلَى أَنْ قَالَ وَلَمَّا أَصْبَحُوا يَوْمَ الْبَيْعَةِ وَهُوَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ حَضَرَ النَّاسُ  
الْمَسْجِدَ وَجَاءَ عَلِيٌّ فَصَعِدَ الْمَنْبِرَ وَقَالَ إِنَّ هَذَا أَمْرٌ لَيْسَ لِأَحَدٍ فِيهِ حَقٌّ إِلَّا مَنْ  
أَمَرْتُمْ وَقَدْ أَفْتَرَقْنَا بِالْأَمْسِ عَلَى أَمْرٍ وَكُنْتُ كَارِهًا لِأَمْرِكُمْ فَأَبَيْتُمْ إِلَّا أَنْ أَكُونَ

عليكم أميراً ألا وأنه ليس لي دونكم إلا مفاتيح مالكم معي وليس لي أن آخذ  
درهماً دونكم فإن شئتم قعدت لكم وإلا فلا آخذ علي أحد فقالوا نحن علي ما  
فارقناك عليه بالأمس فقال: اللهم إشهد إنتهي ما أردنا ذكره.

أقول: إنما نقلت ما نقلت بطوله وتفصيله لتعلم معنى قوله ﷺ: لم تكن  
بيعتكم إيتاي فلتة، وقد ظهر لك ممّا ذكرناه أنه ما تخلف عن بيعته إلا جماعة  
من العُثمانيّة فقال ﷺ لهم ما قال.

والذي يقوي في النفس هو أن هذا الكلام منه ﷺ إنما قاله لمن بايعه ثم  
نكثها كالزبير وطلحة وأتباعهما لا أنه ﷺ قاله لعبد الله بن عمر وسعد بن أبي  
وقاص وغيرهما ممن تخلف عن بيعته كما عليه الشارح الخوئي رحمه الله وذلك لأنه  
قال لم تكن بيعتكم، ولم يقل لا تكون بيعتكم فلو كان الأمر كما ظنه الخوئي  
فحقّ العبارة هو الإتيان بكلمة (لا) دون كلمة (لم) ضرورة أن المضارع إذا  
دخل عليه (لم) يصير معناه ماضياً وعليه قوله ﷺ لم تكن تدلّ علي أن البيعة  
التي وقعت منكم فيما مضى لم تكن فلتة فلاي شيء نقضتموها ونكثتموها،  
وهذا المعنى يُنافي ما ذكره من أنه ﷺ قاله لمّا تخلف فلان وفلان عن بيعته إذ  
البيعة التي لم تقع كيف يُعبّر عنها بما عبّر ﷺ به وعليه فالظاهر أنه ﷺ إنما قال  
هذا الكلام لِلنَّاكِثِينَ والعَجَبُ أَنَّهُ ﷺ سلك في شرحه لهذا الكلام ما حَقَّقناه  
وقال مقصود أمير المؤمنين ﷺ أن بيعتكم إيتاي لم تكن بَغْتَةً إلى أن قال فليس  
لأحدكم بعدها أن يَنكُثَ وَيَندَمَ إنتهي وهو صريح فيما ذكرناه وأمّا في صدر  
الخطبة فقال ما هذا لفظه قال ﷺ لمّا تخلف عن بيعته عبد الله بن عمر وسعد  
بن أبي وقاص وجماعة أُخرى إنتهي وهو خبط منه.

□ قوله ﷺ: وَلَيْسَ أَمْرِي وَأَمْرُكُمْ وَاحِدًا إِنِّي أُرِيدُكُمْ لِلَّهِ وَأَنْتُمْ تُرِيدُونَنِي  
لِأَنْفُسِكُمْ...

قوله ﷺ: إِنِّي أُرِيدُكُمْ لِلَّهِ معناه إِنِّي أُرِيدُ إِصْلَاحَكُمْ فِي طَرِيقِ مَرْضَاتِ اللَّهِ

وتأديبكم بأدابه وتخلقكم بأخلاقه وأنتم تريدونني لأنفسكم لتتفعوا بي في أمر الدنيا والآخرة.

وبعبارة أخرى: لا أريد الانتفاع بكم في أمر الحكومة كما هو شأن غيري من الحكام فإن الولاة يريدون الناس لأنفسهم لا لله وأما أنا فلا أحتاج إليكم أصلاً ولكنكم تحتاجون إلي في دينكم ودنياكم وظني أن هذا الكلام من مختصاته ﷺ ولا يقدر أحد من الحكام على هذا الكلام.

□ قوله ﷺ: أَيُّهَا النَّاسُ أَعِينُونِي عَلَى أَنْفُسِكُمْ...

ثم أمرهم ﷺ بعد قوله: إِنِّي أُرِيدُكُمْ لِلَّهِ، بالإعانة على أنفسهم والإعانة منهم هي الإطاعة والإنقياد لأوامره ونواهيهِ وعدم مخالفتهم إياه وفي قوله على أنفسكم، إشعار بأن هذه الإعانة لا محالة لا تكون موافقة للنفس الأمارة إذ هي أمارة بالسوء فإن طريق الحق والسلوك عليه مشكل جداً تأباه النفس الأمارة فسلك هذا المسلك يكون على خلاف ميل النفس لا موافقاً لها ولأجل هذا قال ﷺ على أنفسكم ولم يقل لأنفسكم قال رسول الله ﷺ حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ وفي قوله ﷺ أَعِينُونِي إشارة إلى قوله تعالى حيث قال حكاية عن ذي القرنين: ﴿قَالَ مَا مَكَّنِي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ (١).

و: ﴿تَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالتَّعَدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ (٢).

□ قوله ﷺ: وَأَيْمُ اللَّهِ لَأُنْصِفَنَّ الْمَظْلُومَ مِنْ ظَالِمِهِ وَلَا أُقَوِّدَنَّ الظَّالِمَ بِخِزَامَتِهِ... ثم أقسم بالله وقال لأنصفن المظلوم أي أحكم في ظلامته بالعدل والإنصاف وأخذ حق المظلوم من ظالمه وفي قوله لأقودن الظالم بخزامته، إستعارة لطيفة حيث شبه الظالم بالإبل الصعب التي لا تنقاد إلا بالخزامة وهي



حلقة من شعر تجعل في وتر أنف البعير ليشدّ فيها الزّمام ويسهل قياده والظّالم أيضاً هكذا فإنّه يحتاج إلى من يقوده كذلك وحاصل الكلام إنّي أخذ حقّ المظلوم عن الظّالم كائناً من كان.

□ قوله ﷺ حَتَّى أُورِدَهُ مَنَهْلَ الْحَقِّ وَإِنْ كَانَ كَارِهًا...

الْمَنَهْلُ الْمَشْرَبُ وَالْمَعْنَى إِنِّي أَخَذَهُ حَتَّى أُورِدَهُ فِي طَرِيقِ الْحَقِّ وَإِنْ كَانَ الظّالم كَارِهًا مِنَ الدّخُولِ فِيهِ كَمَا هُوَ وَظِيْفَةُ الْحَاكِمِ الْعَادِلِ الْعَامِلِ بِسِيْرَةِ رَسُولِ اللَّهِ.

ومن كلام له عليه السلام (١٣٧)

□ قوله عليه السلام: وَاللَّهِ مَا أَنْكَرُوا عَلَيَّ مُنْكَرًا وَلَا جَعَلُوا بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ نِصْفًا وَإِنَّهُمْ لَيَطْلُبُونَ حَقًّا هُمْ تَرَكَوهُ وَدَمًا هُمْ سَفَكُوهُ فَإِنْ كُنْتُ شَرِيكَهُمْ فِيهِ فَإِنَّ لَهُمْ نَصِيبَهُمْ مِنْهُ وَإِنْ كَانُوا وَلَوْهُ دُونِي فَمَا الطَّلِبَةُ إِلَّا قِبَلَهُمْ وَإِنْ أَوْلَ عَدْلِهِمْ لَلْحُكْمُ عَلَيَّ أَنْفُسِهِمْ إِنْ مَعِيَ لَبْصِيرَتِي مَا لَبَسْتُ وَلَا لَيْسَ عَلَيَّ وَإِنَّهَا لِلْفِتْنَةِ الْبَاغِيَةِ فِيهَا الْحَمَاءُ وَالْحَمَّةُ وَالشُّبْهَةُ الْمُغْدِفَةُ وَإِنَّ الْأَمْرَ لَوَاضِحٌ وَقَدْ زَاخَ الْبَاطِلُ عَنْ نِصَابِهِ وَأَنْتَقَطَعَ لِسَانُهُ عَنْ شَغْبِهِ وَإِيْمُ اللَّهِ لَا فَرِطَنَ لَهُمْ حَوْضًا أَنَا مَا تَحَهُ لَا يَصُدُّونَ عَنْهُ بِرِيٍّ وَلَا يُعْبُونَ بَعْدَهُ فِي حَسِي.

وَمِنْهُ: فَأَقْبَلْتُمْ إِلَيَّ إِقْبَالَ الْعُوذِ الْمَطَافِيلِ عَلَيَّ أَوْلَادَهَا تَقُولُونَ الْبَيْعَةَ الْبَيْعَةَ قَبِضْتُ كَفِّي فَبَسَطْتُمُوهَا وَتَارَعْتُمْ يَدِي فَجَادَبْتُمُوهَا اللَّهُمَّ إِنَّهُمَا قَطَعَانِي وَظَلَمَانِي وَنَكَثَا بَيْعَتِي وَالْبَا النَّاسَ عَلَيَّ فَأَخْلَلُ مَا عَقَدَا وَلَا تُحْكِمْ لَهُمَا مَا أْبْرَمَا وَأَرِهْمَا الْمَسَاءَةَ فِيمَا أَمَلَا وَعَمِلَا وَلَقَدْ اسْتَشَبْتُهُمَا قَبْلَ الْقِتَالِ وَأُسْتَأْنَيْتُ بِهِمَا أَمَامَ الْوِقَاعِ فَعَمَطَا النُّعْمَةَ وَرَدَّهَا الْعَافِيَةَ.

◁ اللُّغَةُ

(نِصْفًا) محرّكة، الإنصاف (الطَّلِبَةُ) بكسر اللام ما طلبته من شيء (الْبَسْتُ) التلبس الإشتباه (الْحَمَاءُ) الأسود الممتين (الْحَمَّةُ) بضم الحاء وفتح الميم العقرب أو كل شيء يلدغ (الْمُغْدِفَةُ) الظلماء (شَغْبَةُ) بالتحريك، تهيج الشر (مَا تَحَهُ) الماتح المستقى من فوق (يُعْبُونَ) العب شوب الماء بلا مص (حَسِي)

الْحَسَاءُ مَاءٌ كَامِنٌ فِي رَمْلِ يَحْفَرُ عَنْهُ فَيَسْتَخْرِجُ وَجَمَعَهُ إِحْسَاءٌ (الْعُوذُ) النُّوقُ،  
 (الْمَطَافِيلُ) جَمْعُ مَطْفَلٍ (أَلْبَا) أَي حَرَضَا (إِسْتَبْتَهُمَا) أَي طَلَبْتَ مِنْهُمَا أَنْ يَتُوبَا  
 وَيَرْجِعَا (أَسْتَأْنَيْتُ) أَي إِنْتَظَرْتُ (الْوَقَاعُ) بِكَسْرِ الْوَاوِ مَصْدَرٌ وَقَعْتَهُمْ فِي  
 الْحَرْبِ وَقَاعًا (غَمَطًا) حَقْرًا.

### ◀ المعنى

( وَاللّٰهُ مَا أَنْكَرُوا عَلَيَّ مُنْكَرًا ) أَي النَّاكِثِينَ لَمْ يَرَوْا مِنِّي مُنْكَرًا حَتَّى أَنْكَرُوهُ  
 عَلَيَّ ( وَلَا جَعَلُوا ) هُوَ لَاءُ ( بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ نِصْفًا ) وَإِنْصَافًا أَي لَمْ يَنْصِفُونِي فِيمَا  
 فَعَلُوهُ مِنَ النَّكْثِ ( وَإِنَّهُمْ ) النَّاكِثُونَ ( لَيَطْلُبُونَ حَقًّا هُمْ تَرَكَوهُ وَدَمًا هُمْ سَفَكُوهُ )  
 أَعْنِي دَمَ عَثْمَانَ فَإِنَّهُمْ أَلْبُوا النَّاسَ عَلَى سَفْكَ دَمِهِ ( فَإِنْ كُنْتُ شَرِيكَهُمْ فِيهِ فَإِنَّ  
 لَهُمْ نَصِيبَهُمْ ) وَحَظَّهُمْ ( مِنْهُ ) أَي مِنَ الدَّمِ وَالشَّرِيكِ فِي الدَّمِ لَا يَكُونُ وَلِي الدَّمِ  
 بِالنِّسْبَةِ إِلَى شَرِيكِهِ فِيهِ ( وَإِنْ كَانُوا وَلَوْهُ ) قَتَلَهُ ( دُونِي فَمَا الطَّلِبَةُ ) أَي إِنْ لَمْ أَكُنْ  
 شَرِيكًا لَهُمْ فَأَيُّ شَيْءٍ يَطْلُبُونَهُ مِنِّي ( إِلَّا قَبْلَهُمْ ) أَي يَنْبَغِي لَهُمُ الطَّلِبُ مِنْ أَنْفُسِهِمْ  
 ( وَإِنْ أَوْلَ عَدْلِهِمْ لِلْحُكْمِ عَلَيَّ أَنْفُسِهِمْ ) بِطَلِبِهِمْ مَا لَيْسَ لَهُمْ فَلَا مَحَالَةَ ظَلَمُوا  
 أَنْفُسَهُمْ ( إِنْ مَعِيَ لَبْصِيرَتِي ) فِي دِينِي ( مَا لَبَسْتُ ) أَي مَا إِسْتَبْتُهُ الْأَمْرَ عَلَى أَحَدٍ  
 ( وَلَا لَيْسَ عَلَيَّ ) أَي وَلَا إِسْتَبْتُهُ الْأَمْرَ عَلَيَّ قَطُّ ( وَإِنَّهَا لِلْفِئْتَةِ الْبَاغِيَّةِ ) الَّتِي أَخْبَرَنِي  
 النَّبِيُّ بِهَا ( فِيهَا الْحَمَاءُ ) الطِّينُ الْأَسْوَدُ ( وَالْحُمَّةُ ) أَي الْعَقْرَبُ ( وَالشُّبْهَةُ الْمُغْدِفَةُ )  
 الظُّلْمَاءُ ( وَإِنَّ الْأَمْرَ لَوَاضِحٌ ) لَا خَلْطَ فِيهِ ( وَقَدْ زَاحَ ) وَأَرْتَفَعَ ( الْبَاطِلُ عَنْ نِصَابِهِ )  
 وَحَدَّهُ ( وَأَنْقَطَعَ لِسَانُهُ ) أَي لِسَانُ الْبَاطِلِ ( عَنْ شَعْبِهِ ) أَي عَنْ تَهْيِيجِ الشَّرِّ ( وَآيْمُ  
 اللَّهِ ) أَي أَقْسَمُ بِهِ ( لِأَفْرِطَنَّ لَهُمْ ) أَي لِلنَّاكِثِينَ ( حَوْضًا أَنَا مَا تَحَهُ ) وَمُسْتَقِيهِ ( لَا  
 يَصْدُرُونَ عَنْهُ ) أَي الْحَوْضُ الْمَذْكُورُ ( بِرِيٍّ ) حَتَّى يَرُوي غَلْتَهُ بَلِ الْوَارِدُ فِيهِ لَا  
 يَعُودُ ( وَلَا يَعْبُونَ ) وَلَا يَشْرَبُونَ ( بَعْدَهُ فِي حَسِيٍّ ) أَي لَا يَشْرَبُونَ بَعْدَهُ بَارِدَ الْمَاءِ  
 لِهَلَاكِهِمْ فِيهِ.

«منها»

أَي مِنْ هَذِهِ الْخُطْبَةِ ( فَأَقْبَلْتُمْ إِلَيَّ ) إِقْبَالَ الْعُوذِ الْمَطَافِيلِ ( وَالْوَالِدَاتُ الْحَدِيثَاتُ )

التَّاجِ وَذَاتِ الطِّفْلِ (عَلَى أَوْلَادِهَا تَقُولُونَ الْبَيْعَةَ الْبَيْعَةَ قَبِضْتُ كَفِّي) رَدًّا عَلَيْكُمْ  
وَإِنْكَارًا لَكُمْ فِيهَا (فَبَسَطْتُمُوهَا) أَي بَسَطْتُمْ يَدِي (وَنَازَعْتُمْ يَدِي) وَتَمَنَعْتِ  
(فَجَادَبْتُمُوهَا) أَي جَادَبْتُمْ يَدِي إِلَيْكُمْ لِلْبَيْعَةِ (اللَّهُمَّ إِنَّهُمَا) الزَّبِيرُ وَطَلْحَةُ  
(قَطَعَانِي) أَي قَطَعَا الرَّحِمَ (وَظَلَمَانِي) بِبَيْعَتِهِمَا بَيْعَتِي (وَأَلْبَا النَّاسَ) أَي  
حَرَضَاهُمْ (عَلَى) حَتَّى وَقَعَ مَا وَقَعَ مِنْ حَرْبِ الْجَمَلِ (فَأَخْلَلُ) وَفَكَ (مَا عَقَدَا  
وَلَا تُحْكِمُ لَهُمَا مَا أُبْرِمَا) وَأَحْكَمَا مِنَ الْمُخَالَفَةِ (وَأَرِهَمَا الْمَسَاءَةَ فِيمَا أَمَلَا  
وَعَمَلَا) فَلَا تَبْلُغُهُمَا آمَالُهُمَا وَأَجْزُهُمَا السُّوءَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ (وَلَقَدْ اسْتَشَبَّتُهُمَا  
قَبْلَ الْقِتَالِ) أَي طَلَبْتُ مِنْهَا التَّوْبَةَ وَالرَّجُوعَ عَمَّا كَانَا عَلَيْهِ (وَأَسْتَأْنَيْتُ) أَي كُنْتُ  
أَنْتَظِرُ (بِهِمَا أَمَامَ الْوِقَاعِ) وَالْحَرْبِ (فَقَعَمَطَا) وَحَقَّرَا (النُّعْمَةَ وَرَدًّا الْعَافِيَةَ) عَنِ  
الْبَلَاءِ فِي الدَّارَيْنِ بَلِ أَوْقَعَا أَنْفُسَهُمَا فِيهِ..

### ◀ الشرح

□ قوله ﷺ: وَاللَّهِ مَا أَنْكَرُوا عَلَيَّ مُنْكَرًا وَلَا جَعَلُوا بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ نِصْفًا...

هذا الكلام إنما صدر عنه ﷺ في ذم أصحاب الجمل وتوبيخهم وتعييرهم  
وحيث إن الزبير وطلحة كانا أصليين في قصة الجمل فلا محالة يكون الكلام  
متوجهاً إليهما أولاً وإلى غيرهما من أتباعهما ثانياً وبالعرض إذ هما ألبا الناس  
عليه ولهذا ترى صدر الكلام يدل على أن المقصود مطلق أصحاب الجمل  
فقال: واللَّهِ مَا أَنْكَرُوا وَقَالَ ﷺ: وَلَا جَعَلُوا وَلَمْ يَقُلْ أَنْكَرُوا وَجَعَلَا ثُمَّ بَعْدَ تَمْهِيدِهِ  
أَصْلَ الْكَلَامِ خَصَّ الْبَحْثَ بِهِمَا لِمَا ذَكَرْنَاهُ.

أَقْسَمَ ﷺ بِاللَّهِ وَقَالَ وَاللَّهِ أَي أَقْسَمَ بِهِ مَا أَنْكَرُوا أَي أَصْحَابَ الْجَمَلِ عَلَيَّ  
مُنْكَرًا إِذْ لَمْ أَفْعَلْ مُنْكَرًا يُوجِبُ خُرُوجَهُمْ عَلَيَّ لِذَفْعِهِ وَلَا جَعَلُوا هُوَ لَاءِ بَيْنِي  
وَبَيْنَهُمْ نِصْفًا أَي حَكْمًا وَعَدْلًا هَذَا.

أقول: قد مرّ منا مراراً ولا سيّما في الخطبة السّابقة أن الناس بعد قتل عثمان  
اجتمعوا وأنفقوا على بيعة علي ومنهم الزبير وطلحة بل هما كانا من أشدّ  
الناس وأحرصهم على ذلك فقد عرفت أن أول من بايعه ﷺ هو طلحة ثم

الزبير ولكن الدنيا تزينت وتبرجت في نظرهما ففعلا ما فعلا وفي قوله ﷺ ما أنكروا عليّ مُنكراً وجوه من اللطائف.

أحدها: أنهم لو أنكروا عليه مُنكراً واقعاً فكان ينبغي لهم القيام عليه والقتال معه فإنّ دفع المنكر واجب على كلّ مُسلم كما أنّ الأمر بالمعروف أيضاً واجب وحيث كان الحاكم على المسلمين تاركاً للمعروف وفاعلاً أمراً بالمنكر وجب دفعه بأيّ نحو كان إذ في وجوده ضررٌ على الاسلام وخطر على المسلمين فلو سكت الناس عن الكلام وقعدوا عن القيام أثموا جميعاً وهو ظاهر وحيث إنّهُ ﷺ لم يأت بالمنكر فلا موجب للقيام ونكث البيعة وإنما قلنا هذا الكلام من جهة المفهوم.

وثانيها: أنّ المنكر الذي يُوجب القيام على فاعله هو المنكر الشرعي الذي حكم الشارع بكونه مُنكراً لا مطلق ما أنكره الناس أو الشّخص إذ كثير من الأحكام الشرعيّة ولا سيّما في الحقوق الاجتماعيّة يعدّ في نظر بعض الأفراد من المنكر المُستهجن فإنّ تنبيه الظالم وأخذ حق المظلوم فيه يكون في نظر الظالم مُنكراً مُستهجناً ومن هذا القبيل إجراء الحدود والقصاص وعدم إعطائه الأموال من بيت المال على طبق ميله وإرادته أو عدم تأميره على الناس وغير ذلك من الأمور فهذه كلّها في نظر أهل الدّنيا يعدّ من المنكرات وفاعلها يستحقّ اللوم بزعمهم الفاسد.

وثالثها: إنّ ما زعموه من المنكر فهو ليس به واقعاً في نظر الشارع أمّا قتل عثمان فمضافاً إلى كونه خارجاً عن المنكرات لا ربط له به ﷺ إذ هو ﷺ لم يقتله ولم يأمر بقتله وسيأتي توضيحه، وأمّا التسوية في العطاء فهي ممّا أسّسها النبي ﷺ بأمر من الله وخروج عمر وعثمان عنها لا دليل له على صحّته وأمّا عدم تأميره ﷺ أيّهما على البصرة والكوفة فهو أيضاً ليس بمنكر واقعاً بل هو من المعروف فإنّ الظالم السارق الذي لا يرحم الصغير والكبير ويأخذ أموالهم كيف شاء لا يصلح للإمارة وإذا لم يكن هذه الأمور فأيّ مُنكر صدر عنه ﷺ حتّى يُوجب خروجهم عليه ونكثهم بيعته.

إن قلت - إذا لم يصدر عنه عليه السلام منكرًا فلائي شيء نكثوا بيعته وخرجوا عليه وقد علمنا أن الزبير وطلحة كانا من الأصحاب وعلى قول العامة من العشرة المبشرة وهما أعرف وأبصر بعلي من غيرهما قلت: الجواب نذكره عن العامة الذين يقولون بأنهما من العشرة المبشرة.

قال ابن قتيبة في كتابه المسمى بالإمامة والسياسة ما هذا لفظه.

قال وذكروا أن الزبير وطلحة أتيا علياً بعد الفراغ عن البيعة فقللا هل تدري علي ما بايعناك يا أمير المؤمنين؟ قال علي: نعم علي السمع والطاعة وعلي ما بايعتم عليه أبا بكر وعمر وعثمان فقالا: لا ولكننا بايعناك علي أنا شريكك في الأمر قال علي عليه السلام لا، ولكنكما شريكان في القول والإستقامة والعون علي العجز والأولاد قال: وكان الزبير لا يشك في ولاية العراق وطلحة في اليمن فلما أستبان لهما أن علياً غير موليهما شيئاً أظهرتا الشكاة فتكلم الزبير في ملائم قريش فقال: هذا جزاءنا من علي قمنا له في أمر عثمان حتى أثبتنا عليه الذنب وسببنا له القتل وهو جالس في بيته وكفي الأمر فلما نال بنا ما أراد جعل دوننا غيرنا فقال طلحة: ما اللوم إلا إنا كنا ثلاثة من أهل الشورى كرهه أحدنا وبايعناه وأعطيناه ما في أيدينا ومنعنا ما في يده فأصبحنا قد أخطأنا ما رجونا قال: فأنتهى قولهما إلى علي فدعا عبد الله بن عباس وكان أستوزره فقال له: بلغك قول هذين الرجلين؟ قال: نعم بلغني قولهما قال: فما ترى؟ قال: أرى أنهما أحبا الولاية فوّل البصرة الزبير ووّل طلحة الكوفة فإتتهما ليسا بأقرب إليك من الوليد وابن عامر من عثمان فضحك علي ثم قال: ويحك، إن العراقين بهما الرجال والأموال ومتى تملكنا رقب الناس يستميلوا السفيه بالطمع ويضربوا الضعيف بالبلاء ويقتوبا علي القوي بالسُلطان ولو كنت مستعملاً أحدا لضره ونفعه لأستعملت معاوية الشام ولو لا ما ظهر لي من حرصهما علي الولاية لكان لي فيهما رأي قال ثم أتى طلحة والزبير إلى علي فقالا: يا أمير المؤمنين أئذن لنا في العمرة فإن تقم إلى إنقضائها رجعنا إليك وإن

تسرّ نَتَّبِعُكَ فنظر إليهما عليّ وقال: نعم والله ما العُمرَةُ تُرِيدَانِ وَإِنَّمَا تُرِيدَانِ أَنْ تَمْضِيَا إِلَيَّ شَأْنِكُمَا فَمْضِيَا إِنْتَهِي ثُمَّ قَالَ فِي سَبَبِ خِلَافِ عَائِشَةَ عَلِيَّ مَا هَذَا لَفْظُهُ.

وذكروا أنّ عائشة لما أتتها أنّه ببيع لعليّ وكانت خارجة عن المدينة فقيل لها: قُتِلَ عِثْمَانُ وَبَايَعَ النَّاسُ عَلِيًّا فَقَالَتْ: مَا كُنْتُ أَبَالِي أَنْ تَقَعَ السَّمَاءُ عَلَيَّ الْأَرْضُ قُتِلَ وَاللَّهِ مَظْلُومًا وَأَنَا طَالِبَةٌ بِدَمِهِ فَقَالَ لَهَا عُبَيْدُ إِنَّ أَوَّلَ مَنْ طَعَنَ عَلَيْهِ وَأَطَمَعَ النَّاسَ فِيهِ لَأَنْتِ، وَلَقَدْ قُلْتِ: إِقْتُلُوا نَعْتَلًا فَقَدْ فَجَّرَ فَقَالَتْ عَائِشَةُ: قَدْ وَاللَّهِ قُلْتُ وَقَالَ النَّاسُ وَآخِرُ قَوْلِي خَيْرٌ مِنْ أَوَّلِهِ فَقَالَ عُبَيْدُ: عُدْرٌ وَاللَّهِ ضَعِيفٌ يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ ثُمَّ قَالَ:

وَمِنْكَ الْبَدَاءُ وَمِنْكَ الْغَيْرُ      وَمِنْكَ الرِّيحُ وَمِنْكَ الْمَطَرُ  
وَأَنْتِ أَمَرْتِ بِقَتْلِ الْإِمَامِ      وَقُلْتِ لَنَا إِنَّهُ قَدْ فَجَّرَ  
فَهَبْنَا أَطْعَمْنَاكَ فِي قَتْلِهِ      وَقَاتَلَهُ عِنْدَنَا مِنْ أَمْرٍ

قال: فلما أتى عائشة خبر أهل الشام أنّهم ردّوا بيعة عليّ وأبوا أن يُبايعوه أمرت بعمل لها هودج من حديد وجعل فيها موضع عينيها ثم خرجت ومعها الزبير وطلحة وعبد الله بن الزبير ومحمد بن طلحة إنتهى.

وأنت ترى أنّ أصحاب الجمل وفي رأسهم عائشة والزبير وطلحة قد خرجوا عليه عليه السلام بغياً وظلماً من غير أنّ رأوا فيه عملاً يُوجب الخلاف عليه وهذا ممّا اتَّفَقَ الْمُؤَرِّخُونَ عَلَيْهِ.

□ قوله عليه السلام: وَلَا جَعَلُوا بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ نَصْفًا...

قالوا في شرح هذا الكلام النصف بالتحريك الإنصاف، والذي يظهر من كلام اللغويين هو أنّ النِّصْفَ بكسر النون الإسم من الإنصاف قاله صاحب المجمع ثم قال ومنه الحديث خانوا الله حتى تعطوا من أنفسكم النِّصْفَ ومثله حديث عليّ وَلَا جَعَلُوا بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ نِصْفًا إِنْتَهَى.

وعليه فضبط اللّغة في كلامه عليه السلام هو النِّصْفَ بكسر النون لا مُحَرَّكَة كما عليه

الشَّارِحُ وَقَالَ فِي الْمُنْجِدِ النِّصْفِ وَقَدْ تُثَلَّثُ النَّونُ الْإِنْصَافَ وَالْعَدْلُ إِنْتَهَى وَأَمَّا كَوْنُ النَّصْفِ بِالتَّحْرِيكِ بِهَذَا الْمَعْنَى فَلَا أَدْرِي مِنْ أَيْنَ أَخَذُوهُ، ثُمَّ عَلِيٌّ مَا ذَكَرْنَاهُ مِنْ أَنَّهُ الْإِسْمُ مِنَ الْإِنْصَافِ فَلَا نَحْتَاجُ إِلَى تَقْدِيرِ فِي الْكَلَامِ كَمَا زَعَمَهُ الْمُعْتَزَلِيُّ حَيْثُ قَالَ نَصِيفًا عَلِيٌّ حَذَفَ الْمُضَافَ أَيَّ حَكْمًا مُنْصِيفًا عَادِلًا بِحَكْمِ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ إِنْتَهَى وَقَالَ الْخَوَثِيُّ بَعْدَ نَقْلِهِ عَنْهُ مَا نَقَلْنَاهُ، الْأَوْلَى أَنْ يُقَدَّرَ الْمُضَافُ الْمَحْذُوفُ لَفْظَ الْحَكْمِ أَيَّ حَكْمِ نَصِيفٍ وَعَدْلٍ إِذْ عَلِيٌّ مَا ذَكَرَهُ الشَّارِحُ يَحْتَاجُ إِلَى حَذْفِ مَوْصُوفٍ (ذَا) وَهُوَ تَكَلَّفَ مُسْتَعْنَى عَنْهُ إِنْتَهَى أَقُولُ بَلْ مَا ذَكَرَهُ ﷺ أَيْضًا تَكَلَّفَ مُسْتَعْنَى عَنْهُ إِذْ لَا نَحْتَاجُ إِلَى الْمُضَافِ أَصْلًا سِوَا مَا كَانَ الْمُضَافُ كَلِمَةً (ذَا) أَمْ كَلِمَةً (حُكْمًا) وَذَلِكَ لِأَنَّ الْمَعْنَى أَنَّهُمْ لَمْ يَنْصِفُونِي أَوْ أَنَّهُمْ لَمْ يَجْعَلُوا بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ إِنْصَافًا وَعَدْلًا وَأَمَّا أَنْ الْمَعْنَى أَنَّهُمْ لَمْ يَجْعَلُوا بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ حَكْمًا مُنْصِيفًا، كَمَا عَلَيْهِ الْمُعْتَزَلِيُّ، فَلَيْتَ شَعْرِي مِنْ أَيْنَ أَخَذَهُ وَاللَّفْظُ لَا يَدُلُّ عَلَيْهِ أَصْلًا وَهَكَذَا كَلَامُ الْخَوَثِيِّ ﷺ .

ثُمَّ أَنَّهُ عَلِيٌّ مَا ذَكَرْنَاهُ مَعْنَى الْعِبَارَةِ أَنَّهُمْ لَمْ يَنْصِفُونِي حَقَّ الْإِنْصَافِ وَالذَّلِيلُ عَلِيٌّ عَدَمُ إِنْصَافِهِمْ مِنْ وَجْهِهِ .

أَحَدُهَا: أَنَّهُمْ لَوْ كَانُوا مُنْصِفِينَ لَمَا عَدَلُوا عَنِّي بَعْدَ الرَّسُولِ فِي أَمْرِ الْحَكُومَةِ فَضْلًا عَنْهَا بَعْدَ عَثْمَانَ وَذَلِكَ لِلدَّلَالَةِ النَّصُوصِ الْوَاضِحَةِ النَّقْلِيَّةِ وَالْبَرَاهِينِ السَّاطِعَةِ الْعَقْلِيَّةِ عَلَيَّ الْمُدَّعَى وَلَا سِيَّمًا أَنَّ الزَّبِيرَ وَطَلْحَةَ قَدْ شَهِدَا غَدِيرَ خُيَّمٍ وَسَمِعَا مِنَ النَّبِيِّ مَا سَمِعَا مُضَافًا إِلَى غَيْرِهِ مِنَ النَّصُوصِ فَمَنْ شَهِدَ هَذِهِ النَّصُوصِ وَسَمِعَ عَنِ النَّبِيِّ مَا سَمِعَ كَيْفَ يَعْدِلُ عَنِ حُكْمِ الرَّسُولِ الَّذِي هُوَ حُكْمُ اللَّهِ بِعَيْنِهِ وَيَخْتَارُ مِنْ عِنْدِ نَفْسِهِ غَيْرَ مَا أَخْتَارَهُ اللَّهُ وَرَسُولَهُ وَمَنْ كَانَ كَذَلِكَ لَا يَكُونُ مُنْصِيفًا قَطْعًا هَذَا إِنْ قُلْنَا بِأَنَّ الْخِلَافَةَ لِلرَّسُولِ كَانَتْ مَنْصُوصَةً وَلَا دَخَلَ لِلْأَرَاءِ كَاتِنًا مَنْ كَانَ فِيهَا كَمَا هُوَ الْحَقُّ عِنْدَنَا .

وَتَأْنِيهَا: أَنَّهُ عَلِيٌّ فَرَضَ كَوْنَهَا شُورَى بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ كَمَا عَلَيْهِ الْقَوْمُ فَهَمَا أَوْ هُمْ أَيْضًا لَمْ يَنْصِفُونِي وَذَلِكَ لِأَنَّ الزَّبِيرَ وَطَلْحَةَ لَمْ يَكُونَا فِي الشُّورَى أَعْنِي فِي



السَّقِيفَةَ وَمَعَ ذَلِكَ بَايَعَا أَبَا بَكْرٍ ثُمَّ بَعَدَهُ عَمْرٌ مِنْ غَيْرِ شُورَى فَكَيْفَ يَقُولَانِ فِي مَا لَمْ يَقُولَا فِيهِمَا وَنَكَثَا بِيَعْتِي وَلَمْ يَنْكَثَا بِيَعْتِيهِمَا.

وثالثاً: الخلافة بناء على كونها بإختيار من الناس ولم يَكُنْ لِلنَّصِّ فِيهَا دَخْلٌ كَمَا عَلَيْهِ الْعَامَّةُ فَلَا شَكَّ أَنَّ الْخَلِيفَةَ يَنْبَغِي أَنْ يَخْتَارَ مِنْ أَعْلَامِ النَّاسِ وَأَعْلَمُهُمْ وَأَتْقَاهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ بِالْأُمُورِ وَأَقْدَرَهُمْ عَلَى إِصْلَاحِ الْأُمَّةِ مِنْ حَيْثُ الدُّنْيَا وَالدِّينِ وَهَذِهِ الشَّرَائِطُ لَمْ تَكُنْ مَوْجُودَةً بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِلَّا فِي أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَهَذَا مِمَّا لَا خِلَافَ فِيهِ فَمَا يَقُولُ الزَّبِيرُ وَطَلْحَةُ وَأَتْبَاعُهُمَا وَهَلِ الْإِنْصَافُ يَقْتَضِي نَكَثَ الْبَيْعَةِ بَعْدَ وَجُودِهَا.

ورابعاً: بعد الغض عن جميع ما ذكرناه تحققت البيعة فيهما بالطوع والرغبة كما عرفت بل كان طلحة أول من بايعه فلو أنصفا لم يجز لهما نكثها من غير مجوز يوجهه فقد ثبت خروجهما عن جادة الإنصاف ومشيئتهما طريق الإعتساف ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ (١)  
□ قوله ﷺ: وَإِنَّهُمْ لَيَطْلُبُونَ حَقًّا هُمْ تَرَكَوهُ وَدَمًا هُمْ سَفَكُوهُ...

المراد بالحق الذي تركوه يمكن أن يكون أحد الشئيين أو كليهما.

أحدهما: أن يكون المراد به نصرتهم عثمان وحمایتهم له كما كانوا يدعونها بعد النكث وعليه فالمقصود أنهم تركوا في حياة عثمان وحصره نصرته مع أنه كان محضوراً في بيته أربعين صباحاً فلو صدقوا في إدعائهم النصرة له لم ينصروه هناك وبعبارة أخرى لو كان نصرة عثمان من الحقوق الثابتة عليهم فلاي شئ تركوا هذا الحق وخذلوه بل ألبوا الناس على قتله.

وثانيهما: أن يكون المراد به الخلافة وذلك لأنهم بعد النكث كانوا يريدون الخلافة واقعاً وإنما الطلب بدم عثمان كان سبباً ووسيلة إلى مقصدهم كما لا يخفى وعليه فالمعنى أنهم كيف يطلبونها مع أنهما أعني الزبير وطلحة تركا هذا الحق في الشورى العمرية بإختيارهم وذلك لأن الزبير فوض حقه في

الشورى إلى علي وطلحة إلى عثمان وسعد ابن أبي وقاص إلى عبدالرحمن  
ابن عوف علي ما مضى شرحه و عليه فلا حق لهم بعد تركهم إياه، ثم بعد قتل  
عثمان وبيعتههم لأمر المؤمنين أدعوها وهذا عجيب.

وأما الدم الذي سفكوه ثم أخذوا بثاره وهو دم عثمان ففيه إيماء إلى أن الدم  
المسفوح كان بتحريضهم الناس عليه فكيف يطالبون به وإنما قال ﷺ ذلك  
لأنهم ألّبوا الناس على قتله وقد ذكره الموافق والمخالف.

□ قوله ﷺ: فَإِنْ كُنْتُ شَرِيكَهُمْ فِيهِ فَإِنَّ لَهُمْ نَصِيبَهُمْ مِنْهُ وَإِنْ كَانُوا وَلَوْهُ دُونِي  
فَمَا الطَّلِبَةُ إِلَّا قِبَلَهُمْ...

يعني أن أمر عثمان أعني قتله لا يخلوا عن حالين أحدهما شركتي معهم في  
قتله، وثانيهما كونهم السبب فيه دوني، فعلى الأول فإن لهم نصيبهم وحظهم  
في القتل فلا يجوز لهم المطالبة بثاره لكونهم مجرمين وبعبارة أخرى لو كان  
قتله مستنداً إلي وإيهم فأنا وإياهم في حد سواء فلا بد من المطالبة من شخص  
آخر لم يكن له مدخل في قتله، وإن كان الثاني فما الطلابة إلا قبلهم، أي ينبغي  
أن لا يطلبون الثأر إلا من أنفسهم إذا فرض أنهم ولوه فعلى التقديرين أعني  
إشترافي معهم وإنفرادهم به لا مجوز لهم عقلاً وشرعاً في مطالبة دمه إلا أن  
يكون المطلوب شيئاً آخر أعني الخلافة وهو المطلوب قال في الإمامة  
والسياسة بعد عزم أصحاب الجمل نحو البصرة ما هذا لفظه.

قال الزبير لعبد الله بن عامر من رجال البصرة؟ قال: ثلاثة كلهم سيّد مطاع  
كعب بن سور في اليمن والمُنذر بن ربيعة في ربيعة والأحنف بن قيس في  
مُضَر فكتب طلحة والزبير إلى كعب بن سور أما بعد فإنك قاضي عُمر بن  
الخطاب وشيخ أهل البصرة وسيّد أهل اليمن وقد كنت غَضِبْتَ لِعثمان من  
الأذى فأغضب له من القتل والسّلام. وكتب إلى الأحنف أما بعد فإنك وافد  
عمر وسيّد مُضَر وحليم أهل العراق وقد بلّغك مُصاب عثمان ونحن قادمون  
عليك والعيان أشفى لك من الخبَر والسّلام. وكتب إلى المُنذر أما بعد فإن أباك

كان رئيساً في الجاهلية وسيداً في الإسلام وإنك من أبيك بمنزلة المصلي من السابق يُقال كاد أو لحق وقد قتل عثمان من أنت خير منه وغضب له من هو خير منك والسلام. فلما وصلت كتبهما إلى القوم قام زياد بن مضر والنعمان بن شؤال وغزوان فقالوا ما لنا ولهذا الحَي من قُريش؟ أيريدون أن يخرجونا من الإسلام بعد أن دخلنا فيه؟ ويدخلونا في الشُّرك بعدما خرجنا منه؟ قتلوا عثمان وبايعوا علياً لهم ما لهم وعليهم ما عليهم وكتب كعب بن سور إليهما أما بعد فإننا غَضِبنا لعثمان من الأذى والغير باللسان فجاء أمر الغير فيه بالسيف فإن يك عثمان قتل ظالماً فما لكما وله؟ وإن كان قتل مظلوماً فغير كما أولى به وإن كان أمره أشكل علي من شهبه فهو علي من غاب عنه أشكل وكتب الأحنف إليهما أما بعد فإنه لم يأتنا من قبلكم أمر لا نشك فيه إلا قتل عثمان وأنتم قادمون علينا فإن يَكُن في العيان فضل نظرنا فيه ونظرتم وإلا يكن فيه فضل فليس في أيدينا ولا في أيديكم ثقة والسلام. وكتب المنذر أما بعد فإنه لم يلحقني بأهل الخير إلا أن أكون خيراً من أهل الشر وإتّما أوجب حق عثمان اليوم حقه أمس وقد كان بين أظهركم فخذلتموه فمتى إستنبطتم هذا العلم وبدأ لكم هذا الرّأي؟ فلما قرأ كتب القوم ساءهما ذلك وغضبا انتهى ثم في الكتاب المذكور: ثم غدا مروان إلى طلحة والزبير فقال لهما عاودا ابن عمر فلعله ينبى فعاوداه فتكلم طلحة وقال: يا أبا عبد الرحمن إنه والله ليرب حق ضيعناه وتركناه فلما حضر العذر قضينا بالحق وأخذنا بالحظ إن علياً يرى إنفاذ بيعته وإن معاوية لا يرى أن يبايع له وأنا نرى أن نردها شورى فإن سرت معنا ومع أم المؤمنين صلحت الأمور وإلا فهي الهلكة فقال ابن عمر:

إن يكن قولكما حقاً ففضلاً ضيعت وإن يكن باطلاً فشر منه نجوت وإعلما أن بيت عائشة خير لها من هودجها وأتما المدينة خير لكما من البصرة والذلل خير لكما من السيف ولن يقاتل علياً إلا من كان خيراً منه وأما الشورى فقد والله كانت مقدّم وأخرتما ولن يردّها إلا أولئك الذين حكموا فيها فأكفياني أنفسكما فإنصرفا.

فقال مروان أستعينا عليه بحفصة فأتيا حفصة فقالت لو أطاعني أطاع عائشة دعاه فإتركاها وأتاها عبد الله بن خلف فقال لهما إنه ليس أحد من أهل الحجاز كان منه في عثمان شيء إلا وقد بلغ أهل العراق وقد كان منكما في عثمان من التّحليب والتّأليب ما لا يدفعه جحود ولا ينفعكما فيه عذر وأحسن الناس فيكما قولاً من أزال عنكما القتل وأزكمما الخذل وقد بايع الناس علياً بيعة عامّة والناس لا قوكمَا غداً فما تقولان؟ فقال طلحة ننكر القتل ونُقر بالخذل ولا ينفع الإقرار بالذنب إلا مع التّدم عليه ولقد ندمنا على ما كان منا. وقال الزبير بايعنا علياً والسيف على أعناقنا حيث تواتب الناس بالبيعة إليه دون مشورتنا ولم نصب لعثمان خطأ فتجب علينا الدية ولا عمداً فيجب علينا القصاص.

فقال عبد الله بن خلف عذركما أشد من ذنبكما قال فتهياً القوم للمسير إلى أن قال ولما نزل طلحة والزبير وعائشة بأوطاس من أرض خيبر أقبل عليهم سعيد بن العاص على نجيب له فأشرف على الناس ومعه المغيرة بن شعبة فنزل وتوكأ على قوس له سوداء فأتى عائشة فقال لها أين تريدين يا أم المؤمنين؟ قالت أريد البصرة قال وما تصنعين بالبصرة؟ قالت أطلب بدم عثمان قال فهؤلاء قتلة عثمان معك ثم أقبل على مروان فقال له وأنت أين تريد أيضاً؟ قال البصرة قال وما تصنع بها؟ قال أطلب قتلة عثمان قال فهؤلاء قتلة عثمان معك إن هذين الرجلين قتلا عثمان (طلحة والزبير) وهما يريدان الأمر لأنفسهما فلما غلبا عليه قالوا نغسل الدّم بالدم والخوبة بالتوبة ثم قال المغيرة بن شعبة أيها الناس إن كنتم إنما خرجتم مع أمكم فارجعوا بها خيراً لكم وإن كنتم غضبتم لعثمان فرؤساؤكم قتلوا عثمان وإن كنتم نقمتم على علي شيئاً فبينوا ما نقمتم عليه أنشدكم الله ففتتن في عام واحد ومن عجيب ما ذكره فيه هو أنه أتاهم رجل من أشرف البصرة بكتاب كان كتبه طلحة في التأليب على قتل عثمان فقال لطلحة هل تعرف هذا الكتاب؟ قال نعم قال فما ردك على ما

كنت عليه؟ وكنت أمس تكتب علينا تؤلبنا على قتل عثمان وأنت اليوم تدعونا إلى الطلب بدمه وقد زعمتما أن علياً دعاكما إلى أن تكون البيعة لكما قبله إذ كنتما أسنّ منه فأبيتما إلا أن تقدماه لقربته وسابقته فبايعتماه فكيف تنكثان بيعتكما بعد الذي عرض عليكم؟ إلى أن قال، قال: فما بدأ لكما من أمر عثمان؟ قالوا ذكرنا ما كان من طعننا عليه وخذلاننا إيّاه فلم نجد من ذلك مخلصاً إلا الطلب بدمه قال ما تأمراني به؟ قالوا بايعنا على قتال عليّ ونقض بيعته قال أرايتما إن أتانا بعدكما من يدعونا إلى ما تدعوان إليه ما نصنع؟ قالوا لا تبايعه قال ما أنصفتما أتأمراني أن أقاتل علياً وأنقض بيعته وهي في أعناقكما وتنهيانني عن بيعة من لا بيعة له عليكم انتهى.

أقول: هذه شذمة مما ذكره المخالف في كتابه والتفصيل يطلب من المطوّلات وكيف كان فقد علمت من هذه المكالمات والمحاورات الواقعة بين الناس وبينهم أنهم كانوا من قتلة عثمان لا غيرهم وإن كان غيرهم أيضاً فيها فهولاء ولا سيّما الزبير وطلحة كانا شريكين لهم فيه وهذا معنى قوله ﷺ وَإِنْ كَانُوا وَلَوْهُ دُونِي فَمَا الطَّلِبَةُ إِلَّا قَبْلَهُمْ.

□ قوله ﷺ: وَإِنَّ أَوَّلَ عَدْلِهِمْ لِلْحُكْمِ عَلَى أَنْفُسِهِمْ...

والمقصود أن أول عدلهم ظلمهم على أنفسهم بنكث البيعة والخروج على الإمام المفترض الطاعة وفيه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ﴾ (١)

و: ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (٢)

و: ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (٣) وغيرها في الآيات.

وإنما قال ﷺ أول عدلهم كذا، لأنهم كانوا يدعون العدل في خروجهم عليه إذ كان شعارهم، قتل عثمان مظلوماً، وقالوا إن علياً قاتل عثمان ولازم ذلك كون

القاتل ظالماً وحيث إنهم بزعمهم طالبوا ثاره فلا محالة عدلوا فيه فإن الطالب بدم المظلوم عادل في قتله، فقال ﷺ في جواب هذه الشبهة إن أول عدلهم كان كذا وتقرير الجواب أن الظالم على النفس في أصل الخروج لا يكون عادلاً فيه قطعاً إذ الظلم والعدل في مورد واحد لا يجتمعان وحيث ثبت كونهم ظلمة فقد خرجوا عن العدالة ففيه إيماء إلى أن المطالبة بدم عثمان ليست من حقهم لعدم كونهم من أوليائه ومطالبة غير الولي للدم خارج عن معيار الشرع والعقل فإن قتل فيها فقد ظلم نفسه ولا سيما إذا كان الطالب هو القاتل واقعاً كما فيها نحن فيه وإذا ثبت الظلم فيه فكيف يدعى إجراء العدل في غيره والإصلاح في الناس.

□ قوله ﷺ: **إِنَّ مَعِيَ لَبِصِيرَتِي مَا لَبِستُ وَلَا لِبِيسَ عَلَيَّ...**

أي إني على بصيرة في ديني ما لبست وإشبهت الأمر على غيري ولا إشتهه الأمر على وفي قوله ﷺ إشارة إلى قوله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ (١)

و: ﴿بَلِ الْإِنْسَانِ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾ (٢)

و: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ﴾ (٣)

وقوله ﷺ: **مَا لَبِستُ مَا لَبِستُ** إشارة إلى قوله تعالى حيث قال: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٤)

و: ﴿لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٥)

وقوله ﷺ: **وَلَا لِبِيسَ عَلَيَّ** إشارة إلى قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ﴾ (٦)

و: ﴿لِيُرْزُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ﴾ (٧)

٢- القيامة - ١٤

٤- البقرة - ٤٢

٦- الأنعام - ٨٢

١- يوسف - ١٠٨

٣- الأنعام - ١٠٤

٥- آل عمران - ٧١

٧- الأنعام - ١٣٧

ففي قوله ﷺ: إِنَّ مَعِيَ لَبَصِيرَتِي إشارة إلى أَنَّهُ ﷺ لَمْ يَخْفَ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِ دِينِهِ وَدُنْيَايِهِ فَإِنَّ الْبَصِيرَةَ الْكَامِلَةَ لَا تَتَحَقَّقُ إِلَّا بِهِ وَهُوَ ﷺ كَانَ كَذَلِكَ لِقَوْلِهِ ﷺ: لَوْ كَشَفَ الْغَطَاءَ مَا إِزْدَتْ يَقِينًا، وَفِي قَوْلِهِ (مَا لَبِست) إشارة إلى أَنَّهُ ﷺ لَمْ يَكُنْ مَمَّنْ يَشْتَبِهُ الْأَمْرَ عَلَى غَيْرِهِ كَمَا هُوَ شَأْنُ كَثِيرٍ مِنَ الْأَفْرَادِ وَلَا سَيِّمًا الْحُكَّامِ وَالْوَلَائِيَّةِ وَمَنْ وَقَعَ فِي طَرِيقِ الْحُكُومَةِ لِلْوُصُولِ إِلَيْهَا فَإِنَّهُ يَتَشَبَّهُ بِكُلِّ حَشِيشٍ ضَرُورَةٌ أَنَّهُ لَوْ لَمْ يَشْتَبِهْ الْأَمْرَ عَلَى النَّاسِ فِي أَفْعَالِهِ وَأَقْوَالِهِ لَمْ يُمْكِنْ لَهُ إِغْفَالُ النَّاسِ وَهَذَا أَوَّلُ لَهُ فُرُوعٌ كَثِيرَةٌ فِي جَمِيعِ الشُّؤْنِ الْإِجْتِمَاعِيَّةِ وَلِعَمْرِي أَنَّ تَلْبِيسَ الْحَقِّ بِالْبَاطِلِ لِلدَّرْكِ الْمَقْصُودِ وَالْوُصُولِ إِلَى الْأَهْدَافِ مِنْ أَعْظَمِ الْوَسَائِلِ وَالْأَسْبَابِ وَعَلَيْهِ بَنُوا أُصُولَهُمُ الْفَاسِدَةَ فِي جَمِيعِ الْحُكُومَاتِ وَلَمْ يَخْرُجْ مِنْ هَذِهِ الْقَاعِدَةِ بَعْدَ الرَّسُولِ ﷺ إِلَّا صَاحِبُ هَذَا الْكَلَامِ وَأَبْنَاءُ الْمَعْصُومِينَ.

وَكَيفَ كَانَ فِيهِ تَعْرِيزٌ عَلَى أَصْحَابِ الْجَمَلِ حَيْثُ لَبَسُوا الْأَمْرَ عَلَى النَّاسِ، وَكَذَلِكَ لِأَنَّهُمْ أَلْبَسُوا النَّاسَ عَلَى قَتْلِ عَثْمَانَ ثُمَّ قَالُوا قَتَلَ عَثْمَانَ مَظْلُومًا، وَإِتْهَمُوا عَلِيًّا بِكَوْنِهِ قَاتِلًا لَهُ، ثُمَّ طَالَبُوهُ بِدَمِهِ فَأَيُّ تَلْبِيسٍ أَعْظَمَ وَأَشَدَّ مِنْهُ وَمَنْ الْمَعْلُومُ أَنَّهُمْ لَمْ يَرِيدُوا إِلَّا الْخِلَافَةَ.

أَلَا تَرَى أَنَّهُمْ تَارَةً قَالُوا نَطْلُبُ بِدَمِ عَثْمَانَ وَتَارَةً إِذْ عَوَّا الْإِصْلَاحَ فِي أَمْرِ الْأُمَّةِ وَأُخْرَى الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ مَعَ أَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا مِنْ أَوْلِيَاءِهِ وَأَعْجَبَ مِنْ هَذَا كُلِّهِ إِخْرَاجُهُمْ عَائِشَةَ عَنْ بَيْتِهِ، وَالنَّاسَ صَارُوا حَيَارَى فِي هَذِهِ الْفِتْنَةِ فَلَمْ يَدْرُوا مَا فَعَلُوا وَأَيُّ تَلْبِيسٍ أَشَدَّ مِنْهُ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ ﷺ: وَلَا لَبِسَ عَلَيَّ الْأَمْرَ، فَمَعْنَاهُ أَنَّهُ لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ عَلَى تَلْبِيسِ الْأَمْرِ عَلَيَّ لِكَوْنِي عَلَى الْبَصِيرَةِ فِي دِينِي وَتَعْرِيزِ عَلَيْهِمْ أَيْضًا وَهُوَ أَنَّهُمْ مَضَافًا إِلَى كَوْنِهِمْ مَلْبَسِينَ الْأَمْرَ عَلَى غَيْرِهِمْ لَبَسَ الْأَمْرَ عَلَيْهِمْ أَيْضًا مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ أَوْ عَلِمُوا وَتَجَاهَلُوا بِهِ وَكَذَلِكَ لَوْجُوهُ.

أَحَدُهَا: أَنْ يُقَالَ إِنَّ عَائِشَةَ لَبِست الْأَمْرَ عَلَيْهِمْ كَمَا هُوَ الْمَشْهُورُ وَكَذَلِكَ لِأَنَّهَا أَرَادَتْ خِلَافَةَ ابْنِ أُخْتِهِ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ الزُّبَيْرِ وَلِهَذَا أَمَرَتْ أَنْ يُصَلِّيَ بِالْقَوْمِ عَبْدِ اللَّهِ وَصَلَّى الزُّبَيْرِ وَطَلْحَةَ وَغَيْرَهُمَا خَلْفَهُ.

وثانيها: أن الشيطان لبس عليهم الأمر فإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم وهو لا ينافي الأول.

وثالثها: إن قتل عثمان كان الباعث عليه بل لا يبعد أن يكون تحريضهم الناس عليه لأجل هذا.

ورابعها: أن يكون الملبس هو معاوية ابن أبي سفيان لعنه الله وذلك لأنه كتب إلى الزبير إني أخذت البيعة من أهل الشام لك وبعذك لطلحة فعليكما بالبصرة والكوفة لا يسبقنكما إليهما ابن أبي طالب.

وكيف كان فقد لبس عليهما الأمر فوقعوا فيما وقّعوا.

□ قوله عليه السلام: **وَإِنَّهَا لَلْفِئَةُ الْبَاغِيَّةُ فِيهَا الْحَمَاءُ وَالْحُمَةُ وَالشُّبْهَةُ الْمُغْدِقَةُ...**

وأنها أي حرب الجمل هي الفئة الباغية التي أخبرني النبي صلى الله عليه وآله بها وأمرني بحربها فيها أي في الحرب أو في الفئة الحماء والحمة، أما الحماء فقال في المجمع الحماء مع حماءة وهو الطين الأسود المتغير قال الله تعالى ﴿من حماء مسنون﴾ انتهى والحمة بضم الحاء وفتح الميم وتخفيفها العقرب وكل شيء يلسع أو يلدغ.

قال الخوئي بعد ذكره ما ذكرناه في تفسير اللغة قال الشارح البحراني إستعارة للغل والفساد الذي كان في صدور هذه الفئة ووجه الإستعارة إستلزامه لتكدير الإسلام وإثارة الفتنة بين المسلمين كما تكدر الحماة الماء وتخيشه وإستلزامه للأذى والقتل كما يستلزم ذلك سم العقرب.

وقال الشارح المعتزلي أي في هذه الفئة الفساد والضلال والضرر وإذا أرادت العرب إن يعبر عن الضلال والفساد قالت الحمة مثل الحماة بالتاء ويروي فيها الحماء بالألف مقصورة وهو كناية عن الزبير لأن كل ما كان بسبب الرجل فهم الأحماء مثل قضا واقضا، وما كان بسبب المرأة فهم الأحمام وقد كان الزبير من عمّة الرسول وقد كان النبي صلى الله عليه وآله أعلم علياً بأن فئة من المسلمين تبغي عليه أيام خلافته فيها بعض زوجاته وبعض أحمائه فكسني علي عن



الزوجة بالحمة وهي سمّ العقرب وظهر أن الحماء الذي أخبر النبي بخروجه مع هولاء البغاة هو الزبير بن عمة انتهى ثم قال الخوئي بعد نقله ما نقلناه عنهما وهذا اللفظ مما ذكره البحراني وإستدلّ عليه بقول السيّد عليه السلام في أواخر الكتاب من قوله المرأة عقرب حلوة اللبسة أي حلوة اللسعة انتهى ما ذكره في تفسير الكلام.

وأما قوله عليه السلام: وَالشُّبُهَةُ الْمُغْدِفَةُ أي المظلمة التي لبسوا بها على أكثر الناس من طلب دم عثمان والنسخ التي بأيدينا ضبطوها بكسر الدال وأما الشارح الخوئي فقد ضبطها بالفتح والكسر حيث قال أي الشبهة الخفية المستورة التي لبسوا بها ومن روى بكسر الدال فالمراد الشبهة المظلمة أي الموقعة في ظلمة الجهالة التي لم يهتد فيها أكثر الخلق حتى قتلوا بسببها كما لا يهتدي في ظلمة الليل انتهى.

أقول: يظهر ممّا ذكره أنّ المغدفة بكسر الدال الظلمة وبفتحها الخفية المستورة وأما الضمّ فلم يروها أحد والذي ظهر لنا في المقام أنّ الحقّ فيها كسر الدال يقال أغدفت الليل إذا أرسل سدولها وأغدفت المرأة قناعها أرسلته على وجهها اللهم إلا أن يقال إنّ المغدفة ما تقع في الظلمة وهذا وإن كان صحيحاً إلا أنه لا يناسب المقام إذا الشبهة مظلمة بكسر اللام لا مظلمة فالمظلمة هي الواقعة في الشبهة لا وصفها وحاصل الكلام أنّ الصحيح هو كسر الدال هذا خلاصة ما قالوا في المقام وأنا أقول في كلامه عليه السلام هذا وجوه من اللطائف.

أحدها أنه عليه السلام: أخبر فيه بأنّها الفئة الباغية والبغي الظلم وفيه إشارة إلى قوله تعالى وإلى قول الرسول. أمّا قوله تعالى فحيث قال: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ﴾ (١)

و: ﴿قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ﴾ (٢)

و: ﴿فَإِنْ بَعَثَ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْآخَرَىٰ فَقَاتِلُوا النَّبِيَّ تَبِعِي حَتَّىٰ تَقْبَىٰ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ﴾ (١)

وأما قول الرسول: روي في البحار عن المناقب عن السدي أنه قال نزل قوله تعالى وإتقوا فتنة في أهل بدر خاصة فأصابتهم يوم الجمل فإقتلوا انتهى «ج ٨ ص ٤٥٣»...

وروي عن الرضا عليه السلام قال قال رسول الله لأُمَّ سَلْمَةَ إِشْهَدِي عَلَيَّ أَنْ عَلِيًّا يِقَاتِلُ النَّاكِثِينَ وَالْقَاسِطِينَ وَالْمَارِقِينَ انْتَهَى وَالنَّاكِثِينَ أَصْحَابَ الْجَمَلِ، وَالْقَاسِطِينَ مَعَاوِيَةَ وَأَصْحَابَهُ وَالْمَارِقِينَ الْخَوَارِجَ «ص ٤٥٤»...

وروي بإسناده عن أبي عبدالله عليه السلام قال بعث الله محمداً بخمسة أسياف ثلاثة منها شاهرة وسيف منها مكفوف وسيف منها سله إلى غيرنا وحكمه إليه ثم قال وأما السيف المكفوف فسيف على أهل البغي والتأويل قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا﴾ (٢) فلما نزلت هذه الآية قال رسول الله إن منكم من يقاتل بعدي على التأويل كما قاتلت على التنزيل فسئل النبي من هو فقال خاصف النعل يعني أمير المؤمنين فقال عمار ابن ياسر قاتلت بهذه الرواية ثلاثاً وهذه هي الرابعة والله لو ضربونا حتى بلغوا بنا السعفات من هجر لعلمنا أننا على الحق وأنهم على الباطل الخبير «ص ٤٥٥»...

وروي عن الصادق عليه السلام أن أمير المؤمنين قرأ يوم البصرة، ﴿وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَنْتُمْ الْكُفْرُ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ﴾ (٣) ثم قال عليه السلام لقد عهد إلي رسول الله وقال يا علي لتقاتلن الفئة الناكثة والفئة الباغية والفئة المارقة أنهم لا إيمان لهم لعلمهم ينتهون انتهى «ص ٤٥٣»...

وثانيها قوله ﷺ: فِيهَا الْحَمَاءُ وَالْحُمَّةُ أَنْ. حَمَاءٌ بفتح الحاء قال في لسان العرب كلُّ شيءٍ من قبل الزوج فهم الأحماء والأثنى حماة انتهى وقال - فيه أربع لغات حَمَاءٌ مثل قفأ، حَمُوٌ مثل أبو، حَمٌ مثل أب، حَمَاءٌ مثل أبا.

الحُمَّة - قال في لسان العرب السَّم وقال بعضهم هي الأبرة التي تغرب بها الحيّة والعقرب والزنبور وأصله حمواً وحَمَاءٌ والهَاءُ عوض والجمع حمات وحمي، وعن الجوهري حمة العقرب سَمَّهَا وَضَرَّهَا وقد ذكرنا في صدر البحث كلمات الشراح في تفسير اللّغة وما عني بها.

أقول: الحق في تفسير اللفظ أن يقال إنّ الحماء كناية عن الزبير وأبنة عبد الله وأقربائه، والحمة كناية عن عائشة، أو أنّ الحماء كناية عنهما بناء على قول من قال إنّ الحماء مطلق القريب والنسب سواء كان من قبل الزوج أم من قبل الزوجة، والحمة كناية عن إيدائهم فهم كالعقارب إلى قولهم، الأقارب كالعقارب وقد قيل بالفارسية:

من از بیگانگان هرگز ننالم که هر چه کرد با من آشنا کرد

وعليه فمعنى العبارة أنّ في هذا الحرب أعني حرب الجمل الحماء يعني الأقارب فإنّ الزبير كان ابن عمته وعبد الله ابنه، والحمة معناها مضى وفيه إيماء إلى تأسفه وتأثره ﷺ عليه فإنّ الإنسان يغلب على العدو بمعونة أقربائه إذ هم المعتمدون في الشدائد والمصائب وفي هذا المورد قد عكس الأمر فإنّه ﷺ صار مقهوراً مظلوماً في الإسلام بسبب أقربائه أليس معاوية غلب على الأمر ومعلوم أنّ هذا الغلبه والوصول إلى الخلافة سببها مخالفة أقرباء أمير المؤمنين إياه وهو ممّا لا شك فيه.

وثالثها قوله ﷺ: والشبهة المغدفة. وفي كلامه ﷺ إيماء إلى أنّ الذي تمسكوا به في هذه الفتنة وهو الطلب بدم عثمان وخروج عائشة عن بيتها لذلك من الشبهات التي تحيرت فيها عقول الضعفاء بحيث لا يدرون أين

يَرُوحُونَ وَأَيُّ شَيْءٍ يُرِيدُونَ وَإِلَى أَيِّ وادٍ يَهَيِّمُونَ فَإِنْ كَانُوا مَعَ عَائِشَةَ خَذَلُوا عَلِيًّا وَقَدْ سَمِعُوا أَنَّ خِذْلَانَهُ خِذْلَانُ الرَّسُولِ وَحَرْبُهُ حَرْبُهُ كَمَا قَالَ ﷺ يَا عَلِيُّ حَرْبُكَ حَرْبِي وَسَلْمُكَ سِلْمِي، وَإِنْ كَانُوا مَعَ عَلِيٍّ خَذَلُوا عَائِشَةَ وَهِيَ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ بِزَعْمِهِمْ وَالْإِهَانَةُ بِهَا الْإِهَانَةُ بِالرَّسُولِ وَلَمْ يَدْرُوا أَنَّهَا لَا وَقَعَ لَهَا وَلَا أَنَّهَا أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ بَعْدَ خُرُوجِهَا عَنِ بَيْتِهَا ظُلْمًا وَحَرْبِهَا لِوَصِيِّ الرَّسُولِ حَقًّا وَكَيْفَ كَانَ فَالشُّبْهَةُ كَانَتْ قَوِيَّةً جَدًّا إِلَّا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ وَلِهَذَا تَرَى كَلِمَاتِهِمْ تَدُورُ حَوْلَ الشُّبْهَةِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ، الْحَقُّ مَعَ عَائِشَةَ وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ الْحَقُّ مَعَ عَلِيٍّ فَإِنَّهُ مَعَ الْحَقِّ وَالْحَقُّ مَعَهُ يَدُورُ مَعَهُ حَيْثُ مَا دَارَ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ:

كَمْ نُهِيتَ عَنْ تَبَرُّجٍ فَعَصَيْتَ      وَأَصْبَحْتَ لِلْخِلَافِ مُتَّبِعَهُ  
قَالَ لَهَا اللَّهُ فِي الْبُيُوتِ قَرِي      فَخَالَفْتَهُ الْعَفِيفَةَ الْوَرِعَةَ  
وَلَاخِرُ:

وَمَا لِلنِّسَاءِ وَحَرْبِ الرِّجَالِ      وَهَلْ غَلَبَتْ قَطُّ أَنْثَى ذَكَرَ  
وَلَوْ أَنَّهَا لَزِمَتْ بَيْنَهَا      وَمَغْزَلَهَا لَمْ يَنْلَهَا ضَرَرُ  
وَلَاخِرُ:

جَاءَتْ مَعَ الْأَشْقِينِ فِي هُودَجٍ      تَرْجِي إِلَى الْبَصْرَةِ أَجْنَادَهَا  
كَأَنَّهَا فِي فَعْلِهَا هَرَّةٌ      تُرِيدُ أَنْ تَأْكُلَ أَوْلَادَهَا  
وَلَاخِرُ:

حِجَابِكَ أَخْفَى لِلَّذِي تَسْتَرِينَهُ      وَصَدْرُكَ أَوْعَى لِلَّذِي لَا أَقُولُهَا  
فَلَا تَسْلُكَنَّ الْوَعْرَ صَعْبًا مَحَالَةً      فَتَغْتَبِرَ مِنْ سَحْبِ الْمَلَاءِ ذِيُولَهَا  
وَلَاخِرُ:

يَا أَيُّهَا النَّاسُ عِنْدِي الْخَبِيرُ      بِأَنَّ الزَّبِيرَ أَخَاكُمْ غَدَرُ  
وَطَلْحَةُ أَيْضًا حَذَا فَعَلَهُ      وَيَعْلَى إِبْنُ مَنِبَهٍ فَيَمُنُ نَفَرُ  
وَقَالَ الْحُمَيْرِيُّ:

أَعَائِشُ مَا دَعَاكَ إِلَى قِتَالِ      الْوَصِيِّ وَمَا عَلَيْهِ تَنْقَمِينَا

تري أبدا من المتبرجينا  
ولا تَتَّبِرْجِي لِلنَّاطِرِينَا  
سَيُيْدِي مِنْكَ فَعَلَ الْحَاسِدِينَا  
مِنَ الْأَعْرَابِ وَالْمَتَّعِرِينَا  
يُسْمِي عَسْكَرَا فَتُقَاتِلِينَا  
وَلَمْ تَرَ لِهَ الْقَوْلِ الْوَضِينَا

أَلَمْ يَسْعِدِ الْيَكُ اللهُ إِلَّا  
وَأَنْ تَرَخِي الْحِجَابَ وَأَنْ تَقْرِي  
وَقَالَ لَكَ النَّبِيُّ أَيَا حُمَيْرَا  
وَقَالَ سَتَنْبَحِينَ كِلَابَ قَوْمِ  
وَقَالَ سَتَرْكُبِينَ عَلَيَّ خَدَّبِ  
فَخُنْتِ مُحَمَّدَا فِي أَقْرَبِيهِ  
وَلَاخِر:

إِلَى الْخَرِيْبَةِ شَيْخَاهَا الْمُضْلَانِ  
وَحَلَّتْ رَحْلَهَا فِي قَيْسِ غَيْلَانَ  
فَنَادَتْ الْوَيْلَ لِي وَالْعَوْلُ رُدَّانِي  
بِأَنَّ سَيْرِي هَذَا سَيْرِ عِدْوَانِي  
وَيَا زُبَيْرَ أَقِيلَانِي أَقِيلَانِي  
قَدْ خَلَفَ الْمَاءُ خَلْفَ الْمَنْزِلِ الثَّانِي  
بِأَنَّ أَحْمَدَ لَمْ يُخْبَرَ بِبُهْتَانِ

وَأَقْبَلْتُ فِي بَقَايَا السَّيْفِ يَقْدَمُهَا  
يَقُودُهَا عَسْكَرُ حَتَّى إِذَا قَرِبْتُ  
وَنَبَّحْتَ أَكْلِبًا بِالْحَوْتِ أَدَكْرْتُ  
يَا طَلْحَ أَنْ رَسُولَ اللهِ خَبَرَنِي  
وَإِنِّي لِعَلِّي فِيهِ ظَالِمَةٌ  
فَأَقْسَمَا قَسَمًا بِاللَّهِ أَنَّهُمَا  
وَطَاطَاتُ رَأْسِهَا عَمَدًا وَقَدْ عَلِمْتُ

وَالْأَشْعَارُ فِي ذَمِّ عَائِشَةَ وَأَنَّهَا لَمْ تَخْرُجْ عَنْ بَيْتِهَا إِلَّا ظَالِمَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْ أَهْلِ  
الْإِيمَانِ الَّذِينَ عَرَفُوا إِمَامَ زَمَانِهِمْ وَعَلِمُوا أَنَّهُ عَلَى الْحَقِّ وَمِنْهُمْ مَنْ عَكَسَ الْأَمْرَ  
وَزَعَمَ أَنَّ الْحَقَّ مَعَ أَصْحَابِ الْجَمَلِ وَأَنَّ عَلِيًّا هُوَ الظَّالِمُ عَلَيْهَا وَالْوَجْهَ فِي هَذِهِ  
الْأَقْوَالِ وَالْأَشْعَارِ لَيْسَ إِلَّا وَجُودُ الشُّبْهَةِ الْمَغْدِفَةِ الَّتِي صَارَتْ بَاعِثَةً عَلَى  
حَيْرَتِهِمْ وَضَلَالَتِهِمْ عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ مِنْهَا قَوْلُهُ:

ذَاكَ الَّذِي يُعْرِفُ حَقًّا بِالْفِتَنِ

يَا رَبِّ إِنِّي طَالِبُ أَبِي الْحَسَنِ  
مِنْهَا:

وَالْمَوْتُ أَحْلَى عِنْدَنَا مِنَ الْعَسَلِ  
إِنَّ عَلِيًّا بَعْدُ مِنْ شَرِّ النَّذَلِ

نَحْنُ بَنُو ضَبَّةِ أَصْحَابِ الْجَمَلِ  
رُدُّوا عَلَيْنَا شَيْخَنَا بِمَرْتَحَلِ  
مِنْهَا:

نَحْنُ بَنُو ضَبَّةِ أَعْدَاءِ عَلِيٍّ      ذَاكَ الَّذِي يُعَرِّفُ فِيهِمْ بِالْوَصِيِّ  
منها:

إِنْ تَنْكِرُونِي فَأَنَا ابْنُ الْيَثْرَبِيِّ      قَاتِلِ عَلِيًّا يَوْمَ هِنْدِ الْجَمَلِ  
منها:

أَضْرِبْكُمْ وَلَوْ أَرَى عَلِيًّا      عَمَّمْتُهُ أَبْيَضَ مَشْرِفِيًّا  
وَأَسْمُرُ عَنطَنطاً خَطِيًّا      أَبْكِي عَلَيْهِ الْوَلَدَ وَالْوَالِيَا  
منها:

إِنْ تَدُنْ مِنِّي يَا عَلِيُّ فَتِرَا      فَأَنْتَنِي دَانَ إِلَيْكَ شَبْرَا  
بِصَارِمٍ يُسْقِيكَ كَأْسًا مُرًّا      هَا أَنْ فِي صَدْرِي عَلَيْكَ وَتِرَا  
منها:

لَا تَطْمَعُوا فِي جَمْعِنَا الْمُكَلَّلِ      الْمَوْتَ دُونَ الْجَمَلِ الْمُجَلَّلِ  
منها:

يَا مَعْشَرَ النَّاسِ عَلَيْكُمْ أُمَمٌ      فَأَنَّهَا صَلَاتِكُمْ وَصَوْمِكُمْ  
وَالْحُرْمَةُ الْعُظْمَى الَّتِي تَعْمَكُم      لَا تَفْضَحُوا الْيَوْمَ فِدَاكُمْ قَوْمِكُمْ  
منها:

يَا أُمَّ يَا أُمَّ خَلَا مِنِّي الْوَطْنَ      لَا أَبْتَغِي الْقَبْرَ وَلَا أَبْغِي الْكَفْنَ  
وَأَنْتَ تَرَى أَنَّ هَذِهِ الْأَشْعَارُ تَدُلُّ عَلَيَّ      إِشْتَبَاهَ الْأَمْرَ لِضَعْفِ أَيْمَانِهِمْ وَقِيلَةَ  
إِدْرَاكِهِمْ حَتَّى أَنْ عَثْمَانَ ابْنَ حُنَيْفٍ مَعَ جَلَالَةِ قَدْرِهِ      وَعَظْمِ خَطَرِهِ قَالَ فِي حَرْبِ  
الْجَمَلِ.

شَهِدْتُ الْحُرُوبَ فَشَيَّبَنِي      فَلَمْ أَرَ يَوْمًا كَيَوْمِ الْجَمَلِ  
أَشَدُّ عَلَيَّ مَوْمِنٍ فِتْنَةً      وَأَقْتَلُ مِنْهُمْ لِحَرْقِ بَطْلِ  
فَلَيْتَ الظَّعِينَةَ فِي بَيْتِهَا      وَيَا لَيْتَ عَسْكَرٍ لَمْ يَرْتَجِلْ  
وقال مهيان:

إِحْتَجَّ قَوْمٌ بَعْدَ ذَلِكَ بِهِمْ      بِفَاضِحَاتِ رَبِّهَا يَوْمَ الْجَمَلِ

فَقِيلَ فِيهِمْ مِنْ نَوَى نَدَامَةً      عَنَانِهِ مِنَ الْمَضَاعِ فَأَعْتَزَلَ  
فَأَسْرَعَ الْعَامِلُ فِي قَنَاتِهِ      فَرَدَّ بِالْكِرَّةِ كَرًّا وَحَمَلَ  
وَمِنْهُمْ مَنْ تَابَ بَعْدَ مَوْتِهِ      وَلَيْسَ بَعْدَ الْمَوْتِ لِلْمَرْءِ عَمَلٌ  
□ قَوْلُهُ ﷺ: وَإِنَّ الْأَمْرَ لَوَاضِحٌ وَقَدْ زَاغَ الْبَاطِلُ عَنْ نِصَابِهِ وَأَنْقَطَعَ لِسَانُهُ عَنْ  
شَعْبِهِ...

إِن قُلْتُ - قَالَ ﷺ قَبْلَ هَذَا الْكَلَامِ وَالشَّبْهَةُ الْمُغْدِفَةُ وَفِي الْمَقَامِ صَرَّحَ بِأَنَّ  
الْأَمْرَ لَوَاضِحٌ أَيْ لَا شَبْهَةَ فِيهِ فَمَا وَجَّهَ الْجَمْعَ بَيْنَ الْقَوْلَيْنِ.  
قُلْتُ - لَا تَنَافِي بَيْنَ الْكَلَامَيْنِ وَذَلِكَ لِتَفَاوُتِ الْمَوْرَدِ فِيهِمَا فَحَيْثُ قَالَ،  
وَالشَّبْهَةُ الْمُغْدِفَةُ غَرَضُهُ ﷺ أَصْحَابُ الْجَمَلِ حَيْثُ وَقَعُوا فِيهَا مِنْ حَيْثُ لَا  
يَحْتَسِبُونَ وَحَيْثُ قَالَ ﷺ إِنَّ الْأَمْرَ لَوَاضِحٌ غَرَضُهُ أَصْحَابُهُ فَإِنَّ الْأَمْرَ كَانَ عَلَيْهِمْ  
وَاضِحًا لَا خَفَاءَ فِيهِ.

أَوْ أَنَّ هَذِهِ الْحَرْبَ شَبْهَةٌ مُغْدِفَةٌ لِمَنْ لَمْ يَتَدَبَّرْ مِنَ الْعَوَامِ كَالْأَنْعَامِ وَغَيْرِ شَبْهَةٍ  
لِلْمُتَدَبِّرِ الْمُؤْمِنِ وَأَجَلَ هَذَا قَالَ ﷺ وَقَدْ زَاغَ الْبَاطِلُ وَإِرْتَفَعَ عَنْ نِصَابِهِ وَأَصْلُهُ  
بِحَيْثُ لَا خَفَاءَ فِيهِ أَصْلًا وَإِنْقَطَعَ لِسَانُهُ أَيْ لِسَانُ الْبَاطِلِ عَنْ شَعْبِهِ وَتَهَيَّجَ شَرُّهُ  
شَبَّهُ ﷺ الْبَاطِلَ بِالْحَيَوَانَ أَوْ الْإِنْسَانَ الشَّرُّورَ الَّذِي لَهُ لِسَانٌ سَوْءٌ فإِثْبَاتُهُ ﷺ  
اللِّسَانَ لَهُ أَيْ لِلْبَاطِلِ مِنَ الْإِسْتِعَارَةِ التَّخْيِيلِيَّةِ وَذَكَرَ الشَّعْبَ لَهُ تَرْشِيحًا.

وَمَحْضَلُ كَلَامِهِ ﷺ أَنَّهُ بَعْدَ وَضُوحِ الْأَمْرِ وَأَنِّي عَلَيَّ الْحَقُّ مَعِيَ لَمْ يَبْقَ  
لِلْبَاطِلِ أَصْلٌ يَعْتَمِدُ عَلَيْهِ بَلْ إِعْتَقَلَ لِسَانَهُ وَخَرَسَ عَنْ تَهَيَّجِ الشَّرِّ قَالَ اللَّهُ  
تَعَالَى: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾<sup>(١)</sup> وَلنَعْمَ مَا قِيلَ.

أَبَا حَسَنٍ أَيْقَظَتْ مَنْ كَانَ نَائِمًا      وَمَا كَانَ مِنْ يَدْعَى إِلَى الْحَقِّ يَتَّبِعُ  
وَإِنَّ رَجَالًا بَايَعُوكَ وَخَالَفُوا      هَوَاكَ وَأَجْرُوا فِي الضَّلَالِ  
وَضَيَّعُوا      وَطَلْحَةَ فِيهَا وَالزُّبَيْرَ قَرِينَهُ  
وَلَيْسَ لِمَا لَا يَدْفَعُ اللَّهُ مَدْفَعٌ      وَذَكَرَهُمْ قَتَلَ ابْنَ عَفَانَ خُدَعَةً

هم قتلوه والمُخادع يُخدع

وقال آخر:

صُنْتُمْ حِلَائِلَكُمْ وَقُدْتُمْ أُمَّكُمْ  
أُمِرْتَ بِجَزِّ ذُيُولِهَا فِي بَيْتِهَا  
عَرَضاً يُقَاتِلُ دُونَهَا أَبْنَاءُهَا  
وقال آخر:

وَبَيْعَةُ ظَاهِرٍ بَايَعْتُمُوهَا  
وَقَدْ قَالَ الْآلَهُ لَهْنَ قَرْنَا  
يَسُوقُ لَهَا الْبَعِيرَ أَبُو حَبِيبٍ  
وقال آخر:

أَلَا يَا خَلِيفَةَ خَيْرِ الْوَرَى  
أَدَلَّ الدَّلِيلَ عَلَيَّ أَنَّهُمْ  
خَالَفَهُمْ بَعْدَ دَعْوَتِهِمْ  
طَغَوْا بِالْخَرِيبَةِ وَإِسْتَنْجَدُوا  
أُنَاسٌ هُمْ حَاصِرُوا نَعْتَلًا  
فِيَا عَجَباً مِنْهُمْ إِذْ جَنَوْا  
لَقَدْ كَفَرَ الْقَوْمُ إِذْ خَالَفُوا  
أَتَوْكَ وَقَدْ سَمِعُوا النَّصَّ فِيكَ  
وَنَكَثْتَهُمْ بَعْدَ مَا بَايَعُواكَ  
بِصَفَيْنَ وَالنَّهْرَ إِذْ صَالَتْوَاكَ  
وَنَالُوهُ بِالْقَتْلِ مَا اسْتَأْذَنُواكَ  
دَمًا وَبِثَارَاتِهِ طَالِبُواكَ

□ قوله ﷺ: **وَإِيْمُ اللّٰهِ لَأَفْرِطَنَّ لَهُمْ حَوْضًا أَنَا مَاتِحُهُ لَا يَصْدُرُونَ عَنْهُ بَرِيٌّ وَلَا يَعْْبُونَ بَعْدَهُ فِي حَسِيٍّ...**

بعد ما بيّن ﷺ في صدر الخطبة إلى هنا حالات الناكثين وأنهم قتلة عثمان في الحقيقة والفتنة الباغية الظالمة على أنفسهم وعلى غيرهم من جهلة العوام مع وضوح الأمر وأني على الحق وأنهم على الباطل قال ﷺ: **وَإِيْمُ اللّٰهِ وَأَقْسَمُ بِهِ لَأَفْرِطَنَّ أَيُّ لَأَمْلَأَنَّ لَهُمْ حَوْضًا مِنْ مَاءِ الْهَلَاكَةِ وَالضَّلَالَةِ وَأَنَا مَاتِحُهُ وَمَسْقِيهِ أَيُّ أَنَا نَازِعُ مَاءَهُ لَأَسْقِيَهُمْ عِبَّ شَرْبٍ بَلَا تَنْفَسُ لَا يَشْرَبُونَ بَعْدَهُ بَارِدُ الْمَاءِ أَبَدًا لَعْرَقَهُمْ وَهَلَاكَهُمْ فِيهِ شَبَّهُ ﷺ الْمَوْتَ وَالْهَلَاكَةَ بِالْحَوْضِ الْعُمْتَلِيِّ مِنَ الْمَاءِ**



الذي غرق فيه الإنسان فلم يقدر على الشرب بعده ونفسه الشريفة بماتح الماء ونازعه والوجه فيه واضح لأنه ﷺ هو الذي أوقعهم في الهلاكة والموت بعد إختيارهم الموت بميلهم وإرادتهم وطغيانهم وفيه إخبار عنه ﷺ بموتهم وأنهم مغلوبون مقهورون لا محالة وكان إخباره ﷺ صحيحاً فإن الزبير قد قتل وطلحة هكذا وعائشة ردت إلى المدينة وبالجملة فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين.

وفي قوله ﷺ: لَا يَصْدُرُونَ الخ إشارة إلى أن هذا الغرق لا نجاة فيه أبداً بل كان مصيرهم إلى النار خلافاً لما ذهب إليه العامة من أنهم تابوا بعد ذلك وسعدوا بها، وذلك لأنه قال لا يصدرون عنه بري الخ كلامه أي لا يفلحون أبداً وهذا هو الحق على مذهبنا فإن من قتل بسبب خروجه على الإمام المفترض الطاعة فمأواه النار وبئس مئوى المتكبرين فلا تنفعه التوبة حين الموت ولا شفاعة شافع إن كانت، بعد الموت.

أما عدم قبول التوبة فلقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا \* وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كَفَارًا أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (١)

و: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَنْ نَقْبَلَ تَوْبَتَهُمْ﴾ (٢)

ولا شك أن هولاء لم يعملوا السوء بجهالة لعلمهم وعرفانهم بمقام علي ﷺ هذا مضافاً إلى أنه لم يثبت لهم التوبة أصلاً وما قالوه إنما هوى رجم بالغيب.

وأما أنه لا تنفعهم شفاعة الشافع فلقوله تعالى: ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ (٣)

و : ﴿ لَا يَفْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴾ (١)

و : ﴿ لَا تَغْنَى شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلَّا مَنْ بَعْدَ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ (٢) وحيث إنه

قد ثبت أن حربه ﷺ حرب الرسول وحرب الرسول حرب الله وحرب الله في حدّ الشرك فكيف يمكن القول بخلوص المشرك المحارب عن عذابه تعالى وإجراء حكم الإسلام عليهم لا ينافي ما ذكرناه بالنسبة إلى الآخرة وسيأتي زيادة توضيح بل تصريح منه ﷺ في آخر البحث.

منها قوله ﷺ: وَمِنْهُ فَأَقْبَلْتُمْ إِلَيَّ إِقْبَالَ الْعُوذِ الْمَطَافِيلِ عَلَيَّ أَوْلَادِهَا... وفي هذا الكلام إيماء إلى أنه ﷺ لم يكن بصدد الخلافة والولاية عليهم بعد قتل عثمان لعلمه ﷺ بأن هذا الأمر له وجوه لا تستقيم لها القلوب فهو ﷺ كان عالماً بهذه الوقائع قبل وقوعها ولأجل هذا قال لهم لما أقبلوا عليه: دعوني وإلتمسوا غيري الخ ومع ذلك فهم لم يقبلوا إنكاره ﷺ بل أصرّوا والتمسوا منه القبول وقد ذكرنا قصّتهم وهجومهم على باب بيته ﷺ وإنهم قالوا له ﷺ الله الله في الإسلام والمسلمين كما أشار إليه في قوله ﷺ هذا فقال فأقبلتم إليّ إقبال العوذ الخ شبهه ﷺ إقبالهم إليه وإصرارهم له بإقبال العوذ المطافيل على أولادها أعني الحديثات النباح من التوق والظباء وكل أنثى، فكما أن الأنثى تقبل على أولادها إقبالا شديداً فكذلك أنتم أقبلتم إليّ إقبالا لا يتصوّر فوقه. □ قوله ﷺ: تَقُولُونَ الْبَيْعَةَ الْبَيْعَةَ قَبَضْتُ كَفَى قَبَسَطْتُمُوهَا وَنَارَ عَتُكُمُ يَدِي فَجَادِبْتُمُوهَا...

ثم أردف كلامه بما قالوه حين الإقبال وما فعلوه عند البيعة فقال ﷺ: تَقُولُونَ الْبَيْعَةَ الْبَيْعَةَ قَبَضْتُ كَفَى وَأَخَذْتَهُ فَبَسَطْتُمُوهَا وَالْحَاصِلُ أَنْكُمْ لَمْ تَرُخَّصُونِي وَلَمْ تَمَهِّلُونِي فَكَلَّمَا أَنْكَرْتَ الْبَيْعَةَ أَصْرَرْتُمْ عَلَيْهَا.

□ قوله ﷺ: اللَّهُمَّ إِنَّهُمَا قَطَعَانِي وَظَلَمَانِي وَنَكَتَا بَيْعَتِي وَأَلْبَا النَّاسَ عَلَيَّ...

ثم بعد ما ذكر ﷺ إقبالهم على البيعة في بدو الأمر وخروجهم عليه بعدها

دعا عليهم وخصّ الزبير وطلحة منهم فقال إنهما الخ لكونهما أشدّ إصراراً على البيعة بل قيل أول من بايعه هو طلحة كما عرفت وبعده الزبير أو لأنهما صاراً باعثن على وقوع الحرب وكيف كان لا شك في كونهما أصليين في الفئة الباغية ونسب إليهما أموراً كلّها يوجب اللعن والذم.

أحدها قوله عليه السلام: **إِنَّهُمَا قَطَعَانِي**، أي قطعاً البيعة ونكثوها، أو قطعاً الرّحم الموجود بيني وبينهما، أمّا الأول فمعلوم وأمّا الثاني فلأنّ الزبير كان ابن عمته صفيّة بنت عبد المطلب، وأمّا طلحة وإن لم يكن في القرابة كالزبير إلا أنّه أيضاً من أقربائه وذلك لأنّه، طلحة ابن عبيد الله ابن عثمان ابن عمرو ابن كعب ابن سعد ابن تيم ابن مرّة ابن كعب ابن لؤي ابن غالب القرشي التيمي، وأمّا أنّهما قطعاً الرّحم فالوجه فيه معلوم لإعدادهما الحرب وفيها قطع الرّحم لا محالة. وثانيهما قوله عليه السلام: **وظلماني**، والوجه فيه أيضاً ظاهر فإنّ التّجاوز بحقوق الغير ظلم عليه.

وثالثها قوله عليه السلام: **وَنَكَثَا بَيْعَتِي** وقد مرّ الكلام فيه.

ورابعها قوله عليه السلام: **وَأَلْبَا النَّاسَ عَلَيَّ**، أي حرّضاهم على قتالي وحربي.

□ قوله عليه السلام: **فَأَخْلَلُ مَا عَقَدَا وَلَا تُحْكِمُ لَهُمَا مَا أُبْرَمَا وَأَرِهِيهَا الْمَسَاءَةَ فِيمَا أَمَلَا وَعَمِلَا**. دعا عليه السلام عليهما بأمور ثلاثة:

أحدها قوله عليه السلام: **فَأَخْلَلُ مَا عَقَدَا** من العزم الفاسد الذي أضمره في نفسها من قتلي.

وثانيهما قوله عليه السلام: **وَلَا تُحْكِمُ لَهُمَا مَا أُبْرَمَا**، أي لا تحكم لهما ما أثبتاه بزعمهم.

وثالثها قوله عليه السلام: **وَأَرِهِيهَا الْمَسَاءَةَ فِيمَا أَمَلَا وَعَمِلَا**، أي لا تنلها آمالهما في الدنيا والآخرة.

□ قوله عليه السلام: **وَلَقَدْ اسْتَشَبَّتُهُمَا قَبْلَ الْقِتَالِ وَأُسْتَأْنَيْتُ بِهِمَا أَمَامَ الْوِقَاعِ فَعَمَطَا النُّعْمَةَ وَرَدَّا الْعَافِيَةَ...**

الإستثبات مصدر قولك إستثبت وهي طلب التوبة من تاب يتوب ويمكن أن يقرأ بالثاء المثلثة من تاب يثوب أي رجع ومنه المثابة للمنزل والمأل واحد أي طلبت منهما الرجوع إلى ما كانا عليه فلم يقبلا وقوله ﷺ: وَأَسْتَأْنَيْتُ، أي تأنيت وتأملت بهما قبل وقاع الحرب لعلهما يرجعا إلى الحق فلم يرجعا فغمّطا النعمة وإستحقراها وردّا العافية أعني سلامة الدين والدنيا فوقعا فيما وقعا من هلاكة الدارين وخسران النشأتين.

روي في المناقب أنه زحف عليّ بالناس غداة يوم الجمعة لعشر ليالٍ خلون من جمادي الآخرة سنة ست وثلاثين ، وعلى ميمنته الأشتر وسعيد ابن قيس وعلى ميسرته عمار وشريح ابن هاني وعلى القلب محمد ابن أبي بكر وعدي ابن حاتم وعليّ الجناح زياد ابن كعب وحجر ابن عدي وعليّ الكمين عمرو ابن الحمق وجندب بن زهير وعليّ الرّجاله أبو قتادة الأنصاري وأعطى رايته محمد ابن الحنفية ثم أوقفهم من صلاة الغداة إلى صلاة الظهر يدعوهم ويناشدهم ويقول لعائشة إنّ الله أمرك أن تقرّ في بيتك فأتقي الله وإرجعي ويقول لطلحة والزبير خباثما نساء كما وأبرزتما زوجة رسول الله وإستنقرتماها فيقولان إنّما جئنا للطلب بدم عثمان وإن يرد الأمر شورى وألبست عائشة درعاً وضربت عليّ هودجها صفائح الحديد وألبس الهودج درعاً وكان الهودج لواء أهل البصرة وهو عليّ جمل يدعى عسكرياً انتهى ج ٣ ص ١٥٤ وقال في موضع آخر قال عليّ ﷺ لأصحابه: أيها الناس غَضُّوا أبصاركم ونظرت عائشة إليه وهو يجول بين الصّفين فقالت: أنظروا إليه كأن فعله فعل رسول الله يوم بدر أما والله ما ينتظر بك إلا زوال الشمس فقال عليّ ﷺ: يا عائشة عما قليل لتصبّحن نادمين فجذّ الناس في القتال فنهاهم أمير المؤمنين ﷺ وقال ﷺ: اللهم إني أعذرت وأنذرت فكن لي عليهم من الشاهدين ثم أخذ المصحف وطلب من يقرأ عليهم وإن طائفتان من المؤمنين إقتلوا فأصلحوا بينهما الآية فقال مسلم المجاشعي ها أنا ذا فخوفه بقطع يمينه وشماله وقتله

فقال لا عليك يا أمير المؤمنين فهذا قليل في ذات الله فأخذه ودعاهم إلى الله  
فقطعت يده اليمنى فأخذه بيده اليسرى فقطعت فأخذه بأسنانه فقتل فقالت  
أمه:

يا رب إن مسلماً أتاهم بمُحْكَمِ التَّنْزِيلِ إِذْ دَعَاهُمْ  
يَتْلُوا كِتَابَ اللَّهِ لَا يَخْشَاهُمْ فَزَمَلُوهُ زَمَلَتَ لِحَاهُمْ  
فقال ﷺ: الآن طاب الضراب ثم أمرهم فحملوا عليهم إلى أن جاء النصر  
والفتح على ما هو مذكور في كتب القوم وبما ذكرناه قد ظهر لك إنه ﷺ لم  
يبدأهم بالقتال بل طلب منهم الرجوع عن غيهم أولاً ثم قاتلهم ثانياً ليهلك من  
هلك عن بيئة ويحيى من حي عن بيئة فإن ربك ليس بظلام للعبيد.

## ﴿ وَمَنْ خَطْبَةٌ لَهُ ﴾ (١٣٨)

### في ذكر الملاحم

وشرحها في فصلين: الفصل الأول:

□ قوله ﴿يَعْطِفُ الْهَوَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ إِذَا عَطَفُوا الْهُدَىٰ عَلَى الْهَوَىٰ وَيَعْطِفُ الرَّأْيَ عَلَى الْقُرْآنِ إِذَا عَطَفُوا الْقُرْآنَ عَلَى الرَّأْيِ وَمِنْهَا: حَتَّىٰ تَقُومَ الْحَرْبُ بِكُمْ عَلَى سَاقٍ بَادِيًا نَوَاجِدُهَا مَمْلُوءَةً أَخْلَافُهَا حُلُوءًا رَضَاعُهَا عَلَقْمًا عَاقِبَتُهَا أَلَا وَفِي غَدٍّ وَسَيَاتِي غَدٍّ بِمَا لَا تَعْرِفُونَ يَأْخُذُ الْوَالِي مِنْ غَيْرِهَا عُمَّالَهَا عَلَى مَسَاوِي أَعْمَالِهَا وَتُخْرِجُ لَهُ الْأَرْضُ أَفَالِيدَ كِبِدِهَا وَتُلْقِي إِلَيْهِ سِلْمًا مَقَالِيدَهَا فَيُرِيكُمْ كَيْفَ عَدَلُ السَّيْرَةِ وَيُحْيِي مَيِّتَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

منها، الفصل الثاني:

قوله ﴿كَأَنِّي بِهِ قَدْ نَعَقَ بِالشَّامِ وَفَحَصَ بِرَايَاتِهِ فِي ضَوَاجِي كُوفَانَ فَعَطَفَ عَلَيْهَا عَطْفَ الضَّرُوسِ وَفَرَشَ الْأَرْضَ بِالرُّوُوسِ قَدْ فَعَرَتْ فَأَغْرَتُهُ وَثَقُلْتُ فِي الْأَرْضِ وَطَأْتُهُ بَعِيدُ الْجَوْلَةِ عَظِيمِ الصَّوَلَةِ وَاللَّهِ لِيُشْرِدَنَّكُمْ فِي أَطْرَافِ الْأَرْضِ حَتَّىٰ لَا يَبْقَىٰ مِنْكُمْ إِلَّا قَلِيلٌ كَالْكُحْلِ فِي الْعَيْنِ فَلَا تَزَالُونَ كَذَلِكَ حَتَّىٰ تَتُوبَ إِلَى الْعَرَبِ عَوَازِبُ أَحْلَامِهَا فَالزُّمُوا السُّنَنَ الْقَائِمَةَ وَالْآثَارَ الْبَيْتَةَ وَالْعَهْدَ الْقَرِيبَ الَّذِي عَلَيْهِ بَاقِي النُّبُوءَةِ وَاعْلَمُوا أَنَّ الشَّيْطَانَ إِنَّمَا يُسْنِي لَكُمْ طَرِيقَهُ لِتَسْبِعُوا عَقِبَهُ.

(يَعْطِفُ الْهَوَى) أي يقهره ويشنيه (عَلَقَمًا) العلقم الحَنْظَل (أفاليد) جمع أفلاذ وقد يقال لكل شيء وإذا كان قطعة فيقال الفلذ القطعة من الشيء (نَعَقَ) الرَّاعِي ينَعَق من باب ضرب النَّعَق الصَّيْحَة بِالْغَنَم (فَحَصَ) الفحص الإستقصاء في البحث (ضَوَاحِي) النَّوَاصِي (الضَّرُوسِ) الناقة السيئة الخلق (فَغَرَّتْ) انْفَتَحَتْ (عَوَازِبُ) جمع عازب الخفايا (يُسْنِي) أي يسهل (عَقِبَهُ) العقب مؤخر القدم.

◀ المعنى

(يَعْطِفُ) أي يقهر (الْهَوَى عَلَى الْهُدَى) أي يصير الهوى مغلوباً والهُدَى غالباً، (إِذَا عَطِفُوا) وقهروا (الْهُدَى عَلَى الْهَوَى) والمقصود إنه يصير الهوى مغلوباً بعد ما كان الهُدَى مغلوباً أولاً (وَيَعْطِفُ الرَّأْيَ) ويقهره (عَلَى الْقُرْآنِ إِذَا عَطِفُوا) وقهروا (الْقُرْآنَ عَلَى الرَّأْيِ) - منها، أي من هذه الخطبة ( حَتَّى تَقُومَ الْحَرْبُ بِكُمْ عَلَى سَاقٍ) كناية عن شدة الحرب (بَادِيًا نَوَاجِذَهَا) كناية عن غاية الحرب كما إن غاية الضحك أن تبدو النواجذ (مَمْلُوءَةً أَخْلَافَهَا) تأكيد آخر لها (حُلُوا رِضَاعُهَا عَلَقَمًا عَاقِبَتَهَا) أي أولها حلو وآخرها مر (أَلَا وَفِي غَدٍ وَسَيَاتِي غَدٌ بِمَا لَا تَعْرِفُونَ) تنبيه على عظم شأن الغد الموعود (يَأْخُذُ الْوَالِي مِنْ غَيْرِهَا عُمَّالَهَا عَلَى مَسَاوِي) وقبائح أعمالها، (وَتُخْرِجُ لَهُ الْأَرْضَ أَفَالِيدًا) أعني القطعات (كبدها) أي تخرج له الأرض ذخائرها (وتلقي) الأرض (إِلَيْهِ سِلْمًا) أي مطيعاً ومُنْقَاداً (مَقَالِيدَهَا) ومفاتيحها (فَيُرِيكُمْ كَيْفَ عَدَلُ السَّيْرَةِ وَيُحْيِي مَيِّتَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ) إحياء كاملاً (كَأَنِّي بِهِ) أي كأني أنظر إليه (قَدْ نَعَقَ) وصاح (بِالشَّامِ وَفَحَصَ بِرَأْيَاتِهِ فِي ضَوَاحِي كُوفَانٍ) ونواحيها (فَعَطَفَ عَلَيْهَا) أي قهر عليها وغلب (عَطَفَ الضَّرُوسِ) وقهرها (وَفَرَشَ الْأَرْضَ بِالرُّوُوسِ) لكثرة القتلى فيها (قَدْ فَغَرَّتْ) وانفتحت (فَأَغْرَتُهُ وَثَقُلْتُ فِي الْأَرْضِ وَطَأْتُهُ) كناية عن إستيلائه عليها (بَعِيدُ الْجَوْلَةِ) والجولان من جهة الخيول والجيوش

(عَظِيمَ الصَّوْلَةِ) والهيبة (وَاللَّهُ لِيُشْرِدَنَّكُمْ) تشريداً (فِي أَطْرَافِ الْأَرْضِ حَتَّى لَا يَبْقَى مِنْكُمْ إِلَّا قَلِيلٌ كَالْكُحْلِ فِي الْعَيْنِ) من القلة (فَلَا تَزَالُونَ كَذَلِكَ حَتَّى تُؤْوَبَ) وترجع (إِلَى الْعَرَبِ عَوَازِبُ أَخْلَامِهَا) أي عقولهم المستورة الخفية (فَأَلْزَمُوا السُّنَنَ الْقَائِمَةَ) النبوية (وَالْآثَارَ الْيُسْتَنَّى) الجليّة (وَالْعَهْدَ الْقَرِيبَ الَّذِي عَلَيْهِ بَاقِي النُّبُوَّةِ) يعني عهده وأيامه ﷺ (وَاعْلَمُوا أَنَّ الشَّيْطَانَ إِنَّمَا يُسْنِي) ويسهل (لَكُمْ طُرُقَهُ لِتَتَّبِعُوا عَقِبَهُ) فيوقعكم في العذاب.

## ◀ الشرح

إعلم: أن الفصل الأول منها أعني من صدر الخطبة إلى قوله ﷺ الكتاب والسنة واردة في كيفية ظهور القائم ﷺ وأنه مما لا بد منه وعليه الإتفاق بين الشراح وأما الفصل الثاني منها فهو إشارة إلى خروج السفيناني وقال أكثر الشراح إنه إشارة إلى عبد الملك ابن مروان وسيأتي الكلام فيه.

قوله ﷺ: يَعْطِفُ الْهَوَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ إِذَا عَطَفُوا الْهُدَىٰ عَلَى الْهَوَىٰ...

أي إذا ظهر القائم يعطف الهوى المتبعة في الناس والنفس الهائرة عن سبيل الله التابعة لظلمات أهوائها وأميالها النفسانية إلى الهدى والضراط المستقيم والنهج القويم وذلك إذا عطفوا الهدى على الهوى أي يكون ظهوره ﷺ بعد ما كان الناس كذلك وبعبارة أخرى هو ﷺ يعطف ويقهر الهوى على الهدى بعد كونه في الناس بالعكس بمعنى كونهم تابعين للهوى فتقدير الكلام هكذا، إذا عطفوا الناس الهوى على الهدى فهو يظهر فيهم ويعطف الهوى على الهدى وهذا التقدم لكونه أوقع في القلوب أقول: يجب علينا أن نذكر في المقام ما هو اللائق به لأن الموضوع من أهم الموضوعات الاعتقادية فتقول القائم الذي يعطف الهوى إلى آخر ما ذكره ﷺ هو الإمام الأثني عشر حجة ابن الحسن العسكري ﷺ على مذهب الشيعة الأثني عشرية وهو حي موجود ويقال له ﷺ الإمام المنتظر لكونه ﷺ منتظر به الفرج من الله تعالى وقد وردت الآثار من النبي والأئمة بوجوده وظهوره بمشيئة الله وإرادته ونحن نشرح أولاً



فقرات الخطبة ثم نتبعها بذكر ما يليق بالمقام في حالاته ﷺ وعلائم ظهوره وغير ذلك من الأمور الحتمية.

□ قوله ﷺ: وَيَعْطِفُ الرَّأْيَ عَلَى الْقُرْآنِ إِذَا عَطِفُوا الْقُرْآنَ عَلَى الرَّأْيِ...

أي هو ﷺ بعد ظهوره يردّ الآراء الفاسدة على القرآن بعد ما كان القرآن مردود عليها فيأخذ بالكتاب ويطرح الآراء التي أولوا القرآن عليها.

□ قوله ﷺ: حَتَّى تَقُومَ الْحَرْبُ بِكُمْ عَلَى سَاقٍ بَادِيًا نَوَاجِذُهَا مَمْلُوءَةٌ أَخْلَافُهَا حُلُوءًا رِضَاعُهَا عَلَقَمًا عَاقِبَتُهَا...

أشار ﷺ إلى الفتن التي تظهر عند ظهوره ﷺ فقال حتى تقوم الحرب بكم على ساق، وهو كناية عن اشتداد الحرب وبلوغها غايتها بحيث لا يتصور فوقها في الشدة.

وقوله ﷺ: نَوَاجِذُهَا مَمْلُوءَةٌ، أي ظاهراً أقصى أضرارها، شبه ﷺ الحرب بالحيوان الناطق أعني الإنسان الذي له أضرار تبدو حين الضحك فقوله ﷺ في وصف الحرب بادياً نواجذها، كناية عن ظهوره ﷺ بعد شدة الحروب وعلى قول الخوئي رحمه الله نزلها منزلة الأسد الم غضب باعتبار الشدة والأذى على الإستعارة بالكناية.

وقوله ﷺ: مَمْلُوءَةٌ أَخْلَافُهَا، قيل تأكيد ثالث لشدتها والأخلاف جمع خلف بالكسر وهو من ذوات الخف والظلف كالندي للإنسان، شبه ﷺ الحرب بالحيوان الذي كانت أخلافها مملوءة من اللبن على سبيل الإستعارة بإثبات الأخلاف لها أي للحرب تخييل والمملوءة ترشيح.

وقوله حلوا رضاعها، إستعارة أخرى بإثبات الرضاع للحرب تخييل والحلوة ترشيح، والمقصود إن إقبال الحرب يكون حلواً من جهة طمع المظفر على الأقران والأمثال.

وقوله ﷺ: عَلَقَمًا عَاقِبَتُهَا، إشارة إلى أن آخر الحرب يكون مرّاً حيث لم

يظفر

□ وقوله ﷻ: أَلَا وَفِي غَدِّ وَسَيَاتِي غَدُّ بِمَا لَا تَعْرِفُونَ...

أي ما ذكرناه من العلامات أو ظهور القائم في غدِّ وسيأتي غد بما لا تعرفون بل كثير منكم له منكرون.

□ قوله ﷻ: يَاخُذُ الْوَالِي مِنْ غَيْرِهَا عُمَّالَهَا عَلَى مَسَاوِي أَعْمَالِهَا...

أي يأخذ القائم في ذلك الزمان عمال هذه الطائفة بسوء أعمالهم وخبث سريرتهم

□ قوله ﷻ: وَتُخْرِجُ لَهُ الْأَرْضُ أَقَالِيدَ كَبِدِهَا وَتُلْقِي إِلَيْهِ سِلْمًا مَقَالِيدِهَا...

إستعار ﷻ لفظ الكبد لكنوز الأرض والجامع الخفاء الموجود في الكبد والكنز والمعنى أن الأرض تخرج للقائم كنوزها وذخائرهما وتلقى الأرض إليه مفاتيحها بالطوع والإنقياد

□ قوله ﷻ: فَيُرِيكُمْ كَيْفَ عَدَلُ السَّيْرَةِ وَيُحْيِي مَيِّتَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ...

أي فيريكم القائم في ذاك العصر كيف عدل السيرة ويحيي أيضاً الكتاب والسنة بعد أندراسهما

### (الفصل الثاني منها)

□ قوله ﷻ: كَأَنِّي بِهِ قَدْ نَعَقَ بِالشَّامِ وَفَحَصَ بِرَايَاتِهِ فِي ضَوَاحِي كُوفَانٍ...

أي كأني أنظر إليه أنه قد نعق وصاح بالشام وفحص وأسرع براياته في أطراف الكوفة.

□ قوله ﷻ: فَعَطَفَ عَلَيْهَا عَطْفَ الضَّرُوسِ وَفَرَشَ الْأَرْضَ بِالرُّؤُوسِ...

أي فحمل عليها أعني ضواحي الكوفة كما تحمل الناقة السيئة الخلق وفرش الأرض بالرؤوس كناية عن كثرة القتلى بها.

□ قوله ﷻ: قَدْ فَعَّرَتْ فَأَغْرَتْهُ وَثَقَلَتْ فِي الْأَرْضِ وَطَأَتْهُ...

شبهه ﷻ بالسبع الضاري الذي يصول وينفتح فمه عند الصيال والغضب ثم أثبت له الغض تخيلاً وهو كناية عن غضبه وشدة بأسه وثقلت في الأرض وطأته كناية عن إستيلائه عليها.

فقرات الخطبة ثم تتبعها بذكر ما يليق بالمقام في حالاته ﷺ وعلائم ظهوره وغير ذلك من الأمور الحتمية.

□ قوله ﷺ: وَيَعْطِفُ الرَّأْيَ عَلَى الْقُرْآنِ إِذَا عَطِفُوا الْقُرْآنَ عَلَى الرَّأْيِ...

أي هو ﷺ بعد ظهوره يردّ الآراء الفاسدة على القرآن بعد ما كان القرآن مردود عليها فيأخذ بالكتاب ويطرح الآراء التي أولوا القرآن عليها.

□ قوله ﷺ: حَتَّى تَقُومَ الْحَرْبُ بِكُمْ عَلَى سَاقٍ بَادِيًا نَوَاجِذُهَا مَمْلُوءَةٌ أَخْلَافُهَا حُلُوءًا رِضَاعُهَا عَلَقَمًا عَاقِبَتُهَا...

أشار ﷺ إلى الفتن التي تظهر عند ظهوره ﷺ فقال حَتَّى تَقُومَ الْحَرْبُ بِكُمْ عَلَى سَاقٍ، وهو كناية عن اشتداد الحرب وبلوغها غايتها بحيث لا يتصوّر فوقها في الشدة.

وقوله ﷺ: نَوَاجِذُهَا مَمْلُوءَةٌ، أي ظاهراً أقصى أضرارها، شبه ﷺ بالحرب بالحيوان الناطق أعني الإنسان الذي له أضرار تبدو حين الضحك فقوله ﷺ في وصف الحرب بادياً نواجذها، كناية عن ظهوره ﷺ بعد شدة الحروب وعلى قول الخوئي رحمه الله نزلها منزلة الأسد المَغْضَبِ باعتبار الشدة والأذى على الإستعارة بالكناية.

وقوله ﷺ: مَمْلُوءَةٌ أَخْلَافُهَا، قيل تأكيد ثالث لشدتها والأخلاف جمع خلف بالكسر وهو من ذوات الخَفِّ والظِّلْفِ كالثدي للإنسان، شبه ﷺ بالحرب بالحيوان الذي كانت أخلافها مملوءة من اللبن على سبيل الإستعارة بإثبات الأخلاف لها أي للحرب تخييل والمملوءة ترشيح.

وقوله حُلُوءًا رِضَاعُهَا، إستعارة أخرى بإثبات الرضاع للحرب تخييل والحلوة ترشيح، والمقصود إن إقبال الحرب يكون حلوة من جهة طمع المظفر على الأقران والأمثال.

وقوله ﷺ: عَلَقَمًا عَاقِبَتُهَا، إشارة إلى أن آخر الحرب يكون مرّاً حيث لم

يظفر

□ وقوله ﷺ: أَلَا وَفِي غَدِّ وَسَيِّئَاتِي غَدٌّ بِمَا لَا تَعْرِفُونَ...

أي ما ذكرناه من العلامات أو ظهور القائم في غدِّ وسَيِّئَاتِي غَدٌّ بما لا تعرفون بل كثير منكم له مُنكرون.

□ قوله ﷺ: يَاخُذُ الْوَالِي مِنْ غَيْرِهَا عُمَّالَهَا عَلَى مَسَاوِي أَعْمَالِهَا...

أي يأخذ القائم في ذلك الزمان عمال هذه الطائفة بسوء أعمالهم وخبث سريرتهم

□ قوله ﷺ: وَتُخْرِجُ لَهُ الْأَرْضُ أَفَالِيدَ كَيْدِهَا وَتُلْقِي إِلَيْهِ سِلْمًا مَقَالِيدَهَا...

إستعار ﷺ لفظ الكبد لكنوز الأرض والجامع الخفاء الموجود في الكبد والكنز والمعنى أن الأرض تخرج للقائم كنوزها وذخائرها وتلقى الأرض إليه مفاتيحها بالطُوع والإتقياد

□ قوله ﷺ: فَيُتْرِكُكُمْ كَيْفَ عَدَلُ السَّيْرَةِ وَيُحْيِي مَيِّتَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ...

أي فَيُتْرِكُكُمْ القائم في ذاك العصر كيف عدلُ السَّيْرَةِ ويحيي أيضاً الكتاب والسنة بعد أندراسهما

### (الفصل الثاني منها)

□ قوله ﷺ: كَأَنِّي بِهِ قَدْ نَعَقَ بِالشَّامِ وَفَحَصَ بِرَايَاتِهِ فِي ضَوَاحِي كُوفَانٍ...

أي كَأَنِّي أنظر إليه أنه قد نَعَقَ وصاح بالشَّامِ وفَحَصَ وأسرع براياته في أطراف الكوفة.

□ قوله ﷺ: فَعَطَفَ عَلَيْهَا عَطْفَ الضَّرُوسِ وَقَرَشَ الْأَرْضَ بِالرُّؤُوسِ...

أي فحمل عليها أعني ضواحي الكوفة كما تحمل النَّاقَةُ السَّيِّئَةَ الخلق وفرش الأرض بالرُّؤُوسِ كناية عن كثرة القتل بها.

□ قوله ﷺ: قَدْ فَعَّرَتْ فَأَغْرَتْهُ وَثَقَلَتْ فِي الْأَرْضِ وَطَأَتْهُ...

شبهه ﷺ بالسَّعِ الضَّارِي الذي يصول وينفتح فمه عند الضيال والغضب ثم أثبت ﷺ له الغض تخيلاً وهو كناية عن غضبه وشدة بأسه وثقلت في الأرض

وطأته كناية عن إستيلائه عليها.

□ قوله ﷺ: بَعِيدُ الْجَوْلَةِ عَظِيمِ الصَّوْلَةِ...

وصفه ﷺ بكونه بعيد الجولة لجولان خيوله وجيوشه وعظيم الصولة لصياله في القتال.

□ قوله ﷺ: وَاللَّهِ لَيُشَرِّدَنَّكُمْ فِي أَطْرَافِ الْأَرْضِ حَتَّى لَا يَبْقَى مِنْكُمْ إِلَّا قَلِيلٌ كَالْكُحْلِ فِي الْعَيْنِ...

التشريد التفريق، أقسم بالله أنه ليفرقنكم في أطراف الأرض حتى لا يبقى منكم إلا قليل كالكحل في العين في قلته وهو كناية عن كمال التشيت والإفتراق فيهم.

□ قوله ﷺ: فَلَا تَزَالُونَ كَذَلِكَ حَتَّى تَوُوبَ إِلَى الْعَرَبِ عَوَازِبُ أَحْلَامِهَا...

أي لا تزالون أنتم على هذه الحالة من المَقهورية والمغلوبية والتشريد حتى تَوُوبَ وترجع إلى العرب عوازب أحلامها أي ما ذهب من عقولهم في نظام أحوالهم.

□ قوله ﷺ: فَأَلْزَمُوا السُّنَنَ الْقَائِمَةَ وَالْآثَارَ الْبَيِّنَةَ وَالْعَهْدَ الْقَرِيبَ الَّذِي عَلَيْهِ بَاقِي النُّبُوَّةِ...

أي إذا كان مأل الأمر هكذا فألزموا السنن القائمة النبوية والآثار البيينة الواضحة التي لا خفاء فيها والعهد القريب بالنبي الذي عليه باقى النبوة وهو عهد إمامته ﷺ والمقصود إغتنموا بهذا العهد.

□ قوله ﷺ: وَأَعْلَمُوا أَنَّ الشَّيْطَانَ إِنَّمَا يُسْنِي لَكُمْ طُرُقَهُ لِتَتَّبِعُوا عَقِبَهُ...

أي إعلموا إن الشيطان يُسهل لكم طُرُقَهُ المُضَلَّةَ المُنْحَرِفَةَ لِتَتَّبِعُوا عَقِبَهُ وآثاره فيوقعكم في العذاب الأليم والخسران المبين والحمد لله رب العالمين إذا عرفت شرح كلماته ﷺ على سبيل البتّ والقطع فأعلم أن الفصل الأول من هذه الخطبة في أوصاف القائم وهو متفق عليه بين الشراح إلا أن الكلام في أنه موجود الآن أم سيوجد في آخر الزمان فإن بعض الشراح من العامة يكاد يقول بأنه ﷺ لم يوجد في العالم ولكن الله ﷻ سيُوجدُه حيث شاء ومتى شاء ومنهم

من قال بأن كلامه ﷺ لا يدل على وجود القائم وظهوره على ما تقوله الشيعة من أنه كذا كذا بل قوله ﷺ يدل على وجود شخص في آخر الزمان يقوم بأمر الله بإحياء كتابه وسنته كما وصفه ﷺ في كلامه هذا في الفصل الأول، وأمّا الفصل الثاني أعني قوله ﷺ كأنّي قد نَعَى بالشّام، إلى آخره فقال أكثر الشّراح منهم المعتزلي والبحراني إنّه إشارة إلى خروج عبد الملك ابن مروان من الشّام وإستيلائه على الكوفة إلى آخره.

وأما العلامة المجلسي رحمه الله وتبعه الخوئي فقالا إنّه إشارة إلى خروج السّفياني في آخر الزّمان قبل ظهور القائم ومبدء خروجه من الشّام كما استفاضت به الأخبار ونحن نتكلّم في الفصلين إن شاء الله.

أمّا الفصل الأوّل فالكلام فيه من جهات:

الجهة الأولى: في لزوم الحجّة وأنه لا تبقى الأرض خاليتها منها من أوّل الدهر إلى آخره والدليل عليه من وجوه:

أحدها: ما ذكره بعض المحقّقين من أنّ الله تبارك وتعالى يقول في كتابه: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾<sup>(١)</sup> فبدأ عزّ وجل بالخليفة قبل الخليفة فدل ذلك على أنّ الحكمة في الخليفة أبلغ منها في الخليفة لأنّه تعالى حكيم والحكيم لا يبدأ إلا بالأهمّ دون الأعمّ.

وثانيها: إنّ القضية في الخليفة باقية إلى يوم القيمة ومن زعم أنّها هي النبوة فقط فقد أخطأ إذ هي أعمّ منهما ومن النبوة المصطلحة والدليل عليه قوله تعالى حيث قال ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يُعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾<sup>(٢)</sup> دلّت الآية على استمرار الخلافة إلى آخر الدهر ولو كان المقصور بها النبوة لما صحّ قوله ﷺ حيث قال

﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾<sup>(١)</sup> وذلك لأنَّ ختم النبوة دليل على أنها غير الخلافة من وجه لا أقول إنَّ النبي ليس من الخليفة بشي بل أقول إنَّ الخلافة لا تنحصر به والآية شاهدة عليه وإن شئت قلت بين النبي والخليفة من نَسب الأربيع عموم وخصوص مطلقاً فكلَّ نبيِّ خليفة ولا عكس كُلياً

وثالثها: إنَّه تعالى أراد أن يظهر بإستبعاد الخلق السُّجود لآدم نفاق المنافق وإخلاص المُخلص كما في الملائكة والشيطان ولو وكل ذلك المعنى أعني إختيار الإمام إلى من أضمر سوء لما كشفت الأيام عنه بالتعرُّض وذلك أنَّه يختار المنافق من سَمَحَت نفسه بطاعته والسُّجود له فكيف وأنتى يُوصل إلى ما في الضمائر من النفاق والإخلاص والحسد والدَّاء الدِّفين ومن الأخبار الواردة في لزومها:

ما رواه الكليني رحمته الله في الكافي بإسناد عن العبد الصَّالح عليه السلام قال عليه السلام إنَّ الحجَّة لا تقوم لله على خلقه إلا بإمام حتَّى يعرف انتهى...  
وإسناده عن أبان بن تغلب عن الصادق عليه السلام قال الحجَّة قبل الخلق ومع الخلق وبعد الخلق انتهى...

وإسناده عن الحسين بن أبي علا قال قلت لأبي عبد الله عليه السلام يكون الأرض ليس فيها إمام قال عليه السلام لا قلت يكون إمامان قال لا إلا وأحدهما صامت انتهى...

وإسناده عن الصادق عليه السلام قال قلت له تبقى الأرض بغير إمام قال عليه السلام لا انتهى...

وإسناده عن أبي بصير عن أحدهما قال عليه السلام: إنَّ الله لم يدع الأرض بغير عالم ولو لا ذلك لم يعرف الحق من الباطل انتهى...

وإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام قال إنَّ الله أجلُّ وأعظم من أن يترك الأرض بغير إمام انتهى...

وبإسناده عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال اللهم إنك لا تخلو أرضك من حجة لك على خلقك انتهى...

وبإسناده عن أبي حمزة عن أبي جعفر عليه السلام قال والله ما نزل الله أرضاً منذ قبض الله آدم إلا فيها إمام يهتدي به إلى الله وهو حجة على عباده ولا تبقى الأرض بغير إمام حجة لله على عباده انتهى...

وبإسناده عن أبي حمزة قال قلت لأبي عبد الله تبقّى الأرض بغير إمام قال: لو بقيت الأرض بغير إمام لساخت انتهى...

وبإسناده عن محمد بن الفضيل عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال قلت له عليه السلام أتبقى الأرض بغير إمام قال لا الحديث انتهى والأحاديث كلها روينها عن الكافي كتاب الحجة وفيه ما لم تذكره مخافة الأطناب...

الجهة الثانية في بيان أوصاف الحجة وأنها منصوبة من قبل الله تعالى ولا تنال أيدي الناس إلى جعلها ونصبها وقد تكلمنا في هاتين الجهتين في مبحث الإمامة بما لا مزيد عليه في المجلد الأول من كتابنا هذا...

الجهة الثالثة في أنّ بعد الرسول من كان حجة على خلقه وقد تكلمنا فيها أيضاً مفصلاً هناك وأنها لم تكن إلا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب لوجود أوصاف الحجة وشرائطها فيه فقط...

الجهة الرابعة في الوصي والإمام بعده وأنه هل كان واحداً أو متعدداً وعلى فرض التعدد هل ينحصر أو لا وعلى فرض الإنحصار هل هم معينون بأسمائهم وصفاتهم بالنص من الرسول أو لا والحق أنّ الأوصياء بعد أمير المؤمنين متعددون منحصرين معينين بأسمائهم وصفاتهم نصاً ولنشر إلى بعض ما ورد فيهم...

روي في منتخب الأثر عن كمال الدين بإسناده عن جعفر بن محمد عليه السلام عن آبائه عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله الأئمة بعدي إثني عشر أولهم علي بن أبي طالب وآخرهم القائم خلفائي وأوصيائي وأوليائي وحجج الله على



أُمّتي المقرّ بهم مؤمن والمنكر لهم كافر انتهى...

وروي عن كفاية الأثر بإسناده عن عبد الله ابن عباس قال دخلت على النبي ﷺ والحسن على عاتقه والحسين على فخذيه يلثمهما ويقبلهما ويقول اللهم والي من والاهما وعاد من عاداهما - وساق الحديث إلى أن قال - قلت يا رسول الله فكم الأئمة بعدك قال ﷺ بعدد حوارِي عيسى وأسباط موسى ونقباء بني إسرائيل قلت يا رسول الله فكم كانوا قال ﷺ كانوا إثني عشر والأئمة بعدي إثني عشر أولهم علي بن أبي طالب وبعده سبطاي الحسن والحسين فإذا إنقضى الحسين، فإبنيه علي فإذا إنقضى علي فإبنيه محمد فإذا إنقضى محمد فإبنيه جعفر فإذا إنقضى جعفر فإبنيه موسى فإذا إنقضى موسى فإبنيه علي فإذا إنقضى علي فإبنيه محمد فإذا إنقضى محمد فإبنيه علي فإذا إنقضى علي فإبنيه الحسن فإذا إنقضى الحسن فإبنيه الحجة الحديث «ص ٩٩»...

وروي أيضاً فيه عن كفاية الأثر بإسناده عن سلمان الفارسي قال خطبنا رسول الله ﷺ فقال معاشر الناس إنّي راحل عنكم عن قريب ومنطلق إلى المغرب أوصيكم في عترتي خيراً وإياكم والبِدع فإنّ كلّ بدعة ضلالة وكلّ ضلالة وأهلها في النار معاشر الناس من إفتقد الشمس فليتمسك بالقمر ومن إفتقد القمر فليتمسك بالفرقدين ومن إفتقد الفرقدين فليتمسك بالنجوم الزاهرة بعدي أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم قال فلما نزل عن منبره تبعته حتّى دخل بيت عائشة فدخلت عليه وقلت بأبي أنت وأُمّي يا رسول الله سمعتك تقول إذا إفتقدتم الشمس فتمسكوا بالقمر وإذا إفتقدتم القمر فتمسكوا بالفرقدين وإذا إفتقدتم الفرقدين فتمسكوا بالنجوم الزاهرة فما الشمس والقمر وما الفرقدان وما النجوم الزاهرة، فقال ﷺ أمّا الشمس فأنا، وأمّا القمر فعلي فإذا أفتقدتموني فتمسكوا به بعدي وأمّا الفرقدان فالحسن والحسين فإذا إفتقدتم القمر فتمسكوا بهما وأمّا النجوم الزاهرة فهم

الأئمة التسعة من صلب الحسين عليه السلام، والتاسع مهديهم ثم قال عليه السلام إنهم هم الأوصياء والخلفاء بعدي أئمة أبرار عدد أسباط يعقوب وحواري عيسى قلت فسمّهم لي يا رسول الله قال عليه السلام أولهم وسيدهم عليّ ابن أبي طالب وسبطاي، وبعدهما زين العابدين عليّ ابن الحسين وبعده مُحَمَّد ابن عليّ باقر علم النبيين والصادق جعفر ابن مُحَمَّد وابنه الكاظم سمّي موسى ابن عمران والذي يُقتل بأرض خراسان عليّ ثمّ ابنه مُحَمَّد والصادقان عليّ والحسن والحُجّة القائم المنتظر في غيبته فإنهم عترتي من دمي ولحمي علمهم علمي وحُكمهم حُكمي من أذاني فيهم فلا أناله الله تعالى شفاعتي انتهى «ص ١٠٠» ...

أقول: وقد ذكر في الكتاب المذكور أحاديث كثيرة كلّها دالة على المدعى إن شئت فراجعه والعجب أن بعض العامة أيضاً ذكروا في كتبهم المدونة ما يدلّ على المدعى

منها - ما رواه صاحب ينابيع المودة وهو من أعيان العامة في كتابه قال الباب السادس والسبعون في بيان الأئمة الإثني عشر بأسمائهم ثمّ قال وفي فرائد السمطين بسنده عن مجاهد عن ابن عباس قال قدم يهوديّ يقال له مغتل فقال يا مُحَمَّد أسألك عن أشياء تكلّج في صدري منذ حين وساق الحديث إلى أن قال فأخبرني عن وصيك من هو فما من نبيّ إلا وله وصي وأنّ نبيّنا موسى ابن عمران أوصي يوشع ابن نون فقال عليه السلام إنّ وصيّي عليّ ابن أبي طالب وبعده سبطاي الحسن والحسين تتلوه تسعة أئمة من صلب الحسين قال يا مُحَمَّد فسمّهم لي قال إذا مضى الحسين فأبنه عليّ فإذا مضى عليّ فأبنه مُحَمَّد فإذا مضى مُحَمَّد فأبنه جعفر فإذا مضى جعفر فأبنه موسى فإذا مضى موسى فأبنه عليّ فإذا مضى عليّ فأبنه الحسن فإذا مضى الحسن فأبنه الحُجّة مُحَمَّد المهدي فهو لاء إثني عشر الحديث «ج ٢ ص ١٨٥» فقال:

صَلَّى إِلَهَ ذُو الْعَلِيِّ عَلَيْكَ يَا خَيْرَ الْبَشَرِ  
 أَنْتَ النَّبِيُّ الْمُصْطَفَى وَالْهَاشِمِيُّ الْمَفْتَخِرُ  
 بِكُمْ هَدَانَا رَبَّنَا وَفِيكَ نَرْجُوا مَا أَمْرُ  
 وَمَعَشَرَ سَمَّيْتَهُمْ أُمَّةً إِثْنَيْ عَشَرَ  
 حَيَاهُمْ رَبُّ الْعَلِيِّ ثُمَّ أَصْطَفَاهُمْ مِنْ كَدِيرِ  
 قَدْ فَازَمَنْ وَالْأَهْمُ وَخَابَ مِنْ عَادِي الزَّهْرِ  
 آخِرَهُمْ يَسْقَى الظَّمَاءَ وَهُوَ الْإِمَامُ الْمُنتَظَرُ  
 وَعَتْرَةُ الْأَخْبَارِ لِي وَالتَّابِعِينَ مَا أَمْرُ  
 مِنْ كَانَ عَنْهُمْ مَعْرُضاً فَسَوْفَ تَصْلَاهُ سَقَرُ

وقد ذكر فيه كثيراً من الأحاديث إن شئت فراجعه.

الجهة الخامسة: في النصوص الدالة على القائم عليه السلام بخصوصه وأنه لا بد  
 من ظهور إمام معصوم من أولاد الرسول صلى الله عليه وآله في آخر الزمان من العامة  
 والخاصة فمن العامة:

ما رواه الترمذي في صحيحه بإسناده عن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله  
 لا تذهب الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي اسمه إسمي (يواطئ  
 إسمه إسمي خ) قال الترمذي وفي الباب عن علي وأبي سعيد وأم سلمة وابن  
 هريرة وهذا حديث حسن صحيح انتهى «منتخب الأثر ص ١٤١، صحيح  
 الترمذي ج ٢ ص ٤٦ ط دهلي»...

وأخرج أحمد ابن حنبل في مسنده «ط مصر ج ١ ص ٣٧٦» بإسناده عن  
 عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لا تنقضي الأيام ولا يذهب الدهر حتى يملك  
 العرب رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه إسمي انتهى «منتخب الأثر ص  
 ١٤١»...

صحيح الترمذي «ج ٢ ص ٤٦» بإسناده عن عبد الله عن النبي قال يلي

رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه إسمي قال عاصم حدثنا أبو صالح عن أبي هريرة قال لو لم يبق من الدنيا إلا يوماً لطوّل الله ذلك اليوم حتّى يلي هذا حديث حسن صحيح وأخرجه في منتخب كنز العمال «المطبوع بهامش مسند أحمد ص ٣٠ ج ٦» عن الترمذي عن ابن مسعود وفي مصابيح السنّة في باب أشراف السّاعة، وأخرج أحمد في مسنده «ج ١ ص ٣٧٦» عن عاصم عن زرّ عن عبد الله عن النبي ﷺ لا تقوم السّاعة حتّى يلي رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه إسمي انتهى» ص ١٤١...»

صحيح أبي داؤد «ط مصر ج ٢ ص ٢٠٧» في كتاب المهدي بإسناده عن عليّ بن أبي طالب عن النبي ﷺ قال لو لم يبق من الدهر إلا يوم لبعث الله رجلاً من أهل بيتي يملأها عدلاً كما ملئت جوراً ورواه في ينابيع المودة أيضاً «ص ٤٣٢» وقال رواه أبو داؤد وأحمد والترمذي وابن ماجه ورواه في نور الأبصار... صحيح أبي داؤد «ج ٢ ص ٢٠٧» بإسناده عن النبي ﷺ قال لا تذهب أو لا تنقضي الدنيا حتّى يملك العرب رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه إسمي قال وفي حديث فطر يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً وأخرجه أحمد في مسنده «ج ١ ص ٣٧٧» وأخرجه بطريق آخر «ج ١ ص ٤٣٠»...

صحيح أبي داؤد «ج ٢ ص ٢٠٧» بأسناده عن أمّ سلمة قالت سمعتُ رسول الله يقول المهدي من عترتي من ولد فاطمة ورواه ابن ماجه في سنّنه، ورواه في التّاج الجامع للأصول «ج ٥ ص ٣٦٤» وفي الصّواعق في الآية الثّانية عشر من الآيات الواردة فيهم، وفي مصابيح السنّة في باب أشراف السّاعة، وفي إسعاف الرّاغبين «ب ٢ ص ١٣٤» عن مسلم وأبي داؤد والنسائي وابن ماجه والبيهقي وفي ينابيع المودة «ص ٤٢٣» عن صاحب جواهر العقدين الحديث...

صحيح أبي داؤد «ج ٢ ص ٢٠٨» بأسناده عن أبي سعيد الخدري قال رسول الله المهدي منّي أجليّ الجبهة أفنى الأنف يملأ الأرض قسطاً وعدلاً

كما ملئت جوراً وظلماً يملك سبع سنين. وروى الحاكم بأسناده في  
المستدرک « ط حيدر آباد ج ٤ ص ٥٥٧ »...

وقال هذا حديث صحيح) وأخرجه في التاج «ج ٥ ص ٣٦٤» عن أبي داود  
والترمذي، وفي نور الأبصار «ب ٢ ص ١٥٤» عن الترمذي ورواه الطبراني  
في معجمه ورواه في منتخب كنز العمال «ج ٦ ص ٣٠»...

صحيح البخاري بأسناده عن أبي هريرة أنه قال قال رسول الله ٩ كيف أنتم  
إذا نزل ابن مريم فيكم وأمامكم منكم (ورواه مسلم في صحيحه في باب  
نزول عيسى) ورواه في نور الأبصار «ب ٢ ص ١٥٤» وفي ينابيع المودة  
ص ٤٣٢» وغيرهم من أرباب الحديث ذكروها في كتبهم...

أقول: الأحاديث المنقولة إنما نقلناها عن كتاب منتخب الأثر في الإمام  
الثاني عشر «ص ١٤١ إلى ص ١٤٤» وذكر فيه كثيراً من الأحاديث بطرق العامة  
إن شئت فراجع.

أقول: وروى صاحب كتاب ينابيع المودة عن عائشة عن النبي ﷺ أنه  
قال المهدي رجل من عترتي يقاتل على سنتي كما قاتلت أنا على الوحي  
انتهى «ج ٢ ص ١٧٩»...

وبأسناده عن أبي سلمة عن أبيه قال رسول الله ليبعثن الله رجلاً من  
عترتي أفرق الثنايا أجلي الجبهة يملأ الأرض عدلاً ويفيض المال أخرجه أبو  
نعيم انتهى «ص ١٧٩»...

وعن حذيفة اليمان قال قال رسول الله المهدي رجل من ولدي وجهه  
كالكوكب الدرّي اللون لون عربيّ والجسم إسراييلي يملأ الأرض عدلاً كما  
ملئت جوراً يرضى بخلافته أهل السماء وأهل الأرض والطير في الجوّ يملك  
عشرين سنة، أخرجه الزوياني والطبراني وأبو نعيم والديلمي في مسنده  
انتهى «ص ١٧٩»...

وعن أبي أيوب الأنصاري قال قال رسول الله ﷺ لفاطمة رضي الله عنها منّا خير

الأنبياء وهو أبوك ومنا خير الأوصياء وهو بعلك ومنا خير الشهداء وهو عمّ  
أبيك حمزة ومنا من له جناحان يثير بهما في الجنة حيث يشاء وهو ابن عمّ  
أبيك جعفر ومنا سبطاً هذه الأمة سيّد شباب أهل الجنة الحسن والحسين  
وهما إبنك ومنا المهدي وهو من ولدك، أخرج الطبراني في الأوسط انتهى»  
ص ١٧٩»...

أقول: وفي الكتاب المذكور أعني ينابيع المودة أيضاً كثيرة من الأحاديث  
بطرفهم إن شئت فراجعه وأظنّ إن فيما نقلته عنهم كفاية في الباب فإن  
إستقصاء الأحاديث من كتبهم يحتاج إلى كتاب آخر غير كتابنا هذا فإنه ليس  
موضوعاً لهذا الفن وأما الأخبار بطرقنا فكثيرة جداً ولنشر إلى شطر منها:

روى في غاية المرام بأسناده عن الصادق عليه السلام عن أبيه عن آبائه عن أمير  
المؤمنين قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله لما أسري بي إلى السماء أوصى إليّ ربّي  
جلّ جلاله يا محمّد إنّي إطلعت إلى الأرض إطلاعة وإخترتك منها فجعلتك  
نبيّاً وشققت لك من إسمي إسماً فأنا المحمود وأنت محمّد ثمّ إطلعت الثانية  
فإخترت منها عليّاً وجعلته وصيك وخليفتك وزوج إبنك وأبا ذرّيّتك  
وشققت له إسماً من أسمائي فأنا العليّ الأعلى وهو عليّ وخلق فاطمة  
والحسن والحسين من نوركما ثمّ عرضت ولايتهم على الملائكة فمن قبلها  
كان من المقرّبين يا محمّد لو أنّ عبداً عبدني حتّى ينقطع ويصير كالشنّ  
البالي ثمّ أتاني جاحداً لولايتهم فما أسكنته جنّتي ولا أظلمته تحت عرشي يا  
محمّد تحبّ أن تراهم قلت يا ربّ نعم فقال عزّ وجلّ إرفع رأسك فرفعت  
رأسي فإذا أنا بأنوار عليّ وفاطمة والحسن والحسين وعليّ ابن الحسين  
ومحمّد ابن عليّ وجعفر ابن محمد وموسى ابن جعفر وعليّ ابن موسى  
ومحمّد ابن عليّ وعليّ ابن محمّد والحسن ابن عليّ ومحمّد بن الحسن  
القائم في وسطهم كأنّه كوكبٌ درّي قلت يا ربّ ومن هؤلاء، قال الأنمة وهذا  
القائم الذي يحلّ حلالي ويحرّم حرامي وبه أنتقم من أعدئي وهو راحة

لأوليائي وهو الذي يشفي قلوب شيعتك من الظالمين والمجاهدين  
والكافرين الحديث غاية المرام» (ص ٧٠٦)...

وفي الكتاب المذكور بأسناده عن جابر ابن عبد الله الأنصاري قال لما  
أنزل الله على نبيّه محمد ﷺ، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ  
وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾<sup>(١)</sup> قلت يا رسول الله عرفنا الله ورسوله فمن أولوا الأمر  
الذين قرن الله طاعتهم بطاعتك قال ﷺ هم خلفائي يا جابر وأئمة المسلمين  
من بعدي أولهم عليّ ابن ابي طالب ثمّ الحسن ثمّ الحسين ثمّ عليّ ابن  
الحسين ثمّ محمد ابن عليّ المعروف في التوراية بالياقر ستدرکه يا جابر  
فإذا لقيته فأقرئه منّي السلام ثمّ الصادق جعفر ابن محمد ثمّ موسى ابن  
جعفر ثمّ عليّ ابن موسى ثمّ محمد ابن عليّ ثمّ عليّ ابن محمد ثمّ الحسن ابن  
عليّ ثمّ سميّ وكنيتي وحقّة الله في أرضه وبقية في عباده ابن الحسن ابن  
عليّ الحديث» (ص ٧٠٦)...

أقول: ذكر صاحب غاية المرام في الباب كثيراً من الأحاديث تقرب ثلاثين  
ومن طريق العامة (١٦٥) حديثاً هذا مضافاً إلى ما ذكره غير واحد في العامة  
والخاصة بطرق مختلفة في كتبهم المدونة وحاصل الكلام أنه لا شك لذوي  
البصائر أن النبي ﷺ قد أخبرنا بوجوده وظهوره وأنه الإمام المعصوم ابن  
الحسن العسكري ﷺ من أولاد الحسين ﷺ وهذا القدر ممّا لا شك فيه ظاهراً  
وبعبارة أخرى: لا كلام لنا ولهم في أنه يخرج في آخر الزمان من يملأ الله  
الأرض به قسطاً وعدلاً بعد ما ملئت ظلماً وجوراً.

الجهة السادسة: في أن الموعود في آخر الزمان هل وجد أم سيوجد  
وبعبارة أخرى الحجّة القائم المنتظر موجود الآن أم ليس بموجود وهو وإن لا  
يحتاج إلى إثبات جديد بعد ظهور الأخبار المنقولة وغيرها ممّا لم نقله على  
أنه ابن الحسن العسكري بل التصريح به فإنّ العسكري ﷺ قد مات بالإتفاق و

لا يشك في موته أحد وإذا كان القائم ابنه فلا محالة يكون موجوداً الآن أو وجد ومات إذ لا يعقل أن يكون الابن يوجد في آخر الزمان والأب والأم ماتا قبل ذلك بقرون كثيرة ممن أقر واعتقد بكونه عليه السلام ابناً للعسكري إماماً أن يقول بوجوده إلى أن يظهر بمعنى استمرار وجوده كما عليه الشيعة الإمامية الإثنى عشرية أو يقول بأنه وجد ومات وإن شئت قلت الاحتمالات في القائم ثلاثة لا رابع لها.

أحدها: أنه عليه السلام وجد في حياة العسكري وهو الآن موجود حي غائب عن الأنظار ينتظر الفرج من الله تعالى.

وثانيها: أنه لم يوجد في حياة العسكري إلا أنه عليه السلام سيوجد في آخر الزمان ويقوم بأمر الله تعالى.

وثالثها: أنه وجد في حياة العسكري ثم مات وعليه فظهور القائم في آخر الزمان إما بإحياء الله تعالى بعد ذلك أو ان الظهور أو أن القائم غيره.

لأسبيل إلى الثالث أما أولاً فلأن حياته كانت ثابتة بعد العسكري على قول الخصم وموته يحتاج إلى دليل قاطع عليه وحيث لم يمكن للخصم إقامة الدليل على موته فلا محالة هو حي وهو المطلوب.

وثانياً الوجود ثابت أولاً والموت بعده مشكوك فيه لو لم يكن مقطوع العدم فهو موجود الآن بحكم الإستصحاب وثالثاً القرائن والإمارات دلت على عدم موته وأنه موجود وهي وإن لم تكن موجبة للقطع على مذهب الخصم إلا أنها توجب الظن المتأخم بالعلم وهو يكفي في إثبات وجوده فعلاً وهذا القرائن عبارة عن رؤية من رآه على ما هو المنقول في كتب الموضوعة وغيرها من التوقيعات التي خرجت من جنابه مضافاً إلى الأخبار الدالة على وجوده وأنه قطب عالم الإمكان.

إن قلت كل هذه القرائن لا تفيد لأنها لا توجب أكثر من الظن وهو معارض بظن أقوى منه وهو أن الإنسان لا يمكن أن يكون موجوداً في هذه المدة



الطويلة المتجاوزة عن ألف سنة وهذا هو من أقوى الإشكالات التي أوردوها في المقام والجواب عنه من وجوه.

أحدها أن عدم إمكان وجوده أمّا بأنه مُمتنعٌ أو أنه لا يمكن معناه أنه واجب العدم إذ كل مفهوم من المفاهيم أو شيء من الأشياء بحسب التشقيق العقلي لا يخلو من وجوه ثلاثة مُمكن، مُمتنع، واجبٌ فإن كان مراد الخصم أنه مُمتنع الوجود في هذه المدة فهو غلط فاحش إذ لم يدل دليل على إمتناع وجوده وذلك لأنه لو كان كذلك لما وجد أولاً إذ المُمتنع ما يكون بالذات أبياً عن الوجود وحيث إنه قد ثبت وجوده في حياة العسكري كما هو المفروض والتزم به الخصم أيضاً فهو بالذات قد خرج عن الإمتناع والإستحالة ووقع في غيره فالقول بإمتناع إستمرار وجوده بعد ثبوت أصل الوجود خارج عن العقل بعيد عن التّحصيل إذ كيف يعقل وجود الشيء أولاً وإمتناع وجوده ثانياً أليس لوجوده أولاً داخلاً في الممكنات أو الواجبات خارجاً عن المُمتنعات فالقول بإمتناع وجوده إستمراراً لا معنى له.

وإن كان مراد الخصم من عدم إمكان وجوده على سبيل الإستمرار هو أنه واجب الوجود كذلك لا ممكن الوجود فهو أيضاً غير معقول أمّا أولاً فلأن هذا القول ينافي ما عليه الخصم إذ يثبت به وجوده وهو لا يقول به، وثانياً إنه كيف يعقل إستمرار وجوده وجوباً ذاتاً والمفروض أنه مخلوق مصنوع والمخلوق لا يكون إلا ممكناً، وثالثاً، أنه من إنقلاب الماهية الذي إتفقوا على إستحاله فإن ماهية الممكن إذا صارت من جهة الإستمرار الوجودي واجباً ذاتياً فلا محالة إنقلبت بالوجوب وهو محال.

وإن كان مراد الخصم من عدم إمكان الوجود هو عدم إمكانه لا أنه ممتنع الوجود أو واجب الوجود فنقول، إن كان المراد منه عدم الإمكان العقلي فهو أيضاً باطل إذ عدم الإمكان العقلي يساوق الإمتناع ولا فرق بين قولنا إن الشيء مُمتنع الوجود وبين قولنا إنه غير ممكن الوجود عقلاً، نعم يمكن أن يقال بأن

عدم الإمكان العقلي أعمّ من المُمتنع فإنّ الواجب غير ممكن عقلاً وليس بممتنع، ولكنّه لا يضرّنا بعد ثبوت أنّ الواجب مُنحصر في الفرد وأنّ المبحوث عنه لا يكون واجباً بل يكون مخلوقاً له وإن كان المراد بعدم الإمكان عدم الإمكان عادةً كما هو الظاهر من كلماتهم بمعنى أنّ الإنسان عادة لا يبقى ألف سنة أو أكثر مثلاً وهذا هو الذي دعاهم إلى هذا القول وصار باعثاً لهم على إنكار وجوده وهو أيضاً لا يرجع إلى مُحصّلٍ حلاً ونقضاً.

أمّا الحُلّ فلاّنا نقول هل بقي هذا الموجود بالنسبة إلى إستمرار الوجود وحلوله على إمكانه الذاتي أو خَرَج عنه وبعبارةٍ أُخرى المفروض أنّه وجد أولاً ولا شكّ إنّ هذا الوجود البدوي له على سبيل الإمكان لا الوجوب ولا الإمتناع ثمّ إنّ هذا الوجود الإمكانى إمّا أن يمكن إستمراره أكثر من ألف سنة مثلاً أو لا يمكن فإن كان ممكناً فالمطلوب ثابت وإن كان غير ممكن فما وجه عدم إمكانه من حيث الإستمرار بعد ثبوته وإمكانه من جهة أصل الوجود فإن قلت أنّ الإمكان فيه بدّل بعدم الإمكان فهو من قلب الماهية وهو محال إذ يلزم منه سلب الشّيء عن نفسه وإنه ليس هو.

وإن قلت: لم يُبدّل به بل هو باقى على أصل الإمكان الذاتى إلاّ أنّه منع عن إستمراره مانع لا يمكن له معه الإستمرار، قلنا ما هذا المانع فإن كان المانع مانعاً في أصل الإمكان فهو من قلب الماهية وإن كان في أمر عارض له أعني الإستمرار مثلاً فهو قابلٌ للدّفْع لا محاله والله تعالى يدفعه.

بل نقول أصل الإمكان يقتضى الإستمرار وعدمه لمانع وبعبارةٍ أُخرى الشّيء إذا كان ممكناً موجوداً فهو في ذاته يكون موجوداً على سبيل الإمكان إذ نسبته الوجود والعدم إلى ذات الممكن على حدّ سواءٍ أو نسبةً الذات إليهما كذلك وعليه فهو أعني الممكن بنفسه لا يقدر على خروجه عن حدّ الإستواء والمخرج إتياء عن حدّ الإستواء وهو العلة فإذا خَرَج عنه بها وصار موجوداً فلا محالة يكون الوجود راجحاً بالغير والعدم مَرَجُوح والمفروض أنّ العلة

المُخرجة موجودة ووجود المعلول بها لا بنفسه و لازم هذا وجود المعلول دائماً بوجود العلة وحيث إنّ الفاعل أعني العلة مختار في فعله بمعنى إن شاء فَعَلَ وإن لم يَشَاءَ لم يَفْعَلْ فهو إن شاء يديم وجود المعلول و يستمره عليه وإن لم يَشَاءَ فلا، إذا ثبت هذا بمقتضى القواعد العقلية فأَيُّ مانع في الإستمرار وأيُّ دليل على عدمه و مُجرّد الإستبعاد وأنه على خلاف العادة و العرف لا يكفي في المقام بعد موافقة العقل و مساعدة الدليل له و ملخّص الكلام في حلّ الإشكال هو أنّ الممكن في وجوده لا يكون مُنقطع الآخر البتّة حتّى يقال بأنّ المورد على خلاف الأصل بل هو في ذاته بعد وجوده بعلة موجود بوجودها ما دامت العلة موجودة إلا أن تقطع العلة الوجود بمشيئته وإرادته ولم يدلّ دليل لا عقلاً و نقلاً على أنّ العلة أعني الواجب تعالى يقطع وجود كلّ مُمكنٍ في ستين أو سبعين أو مائة أو غير ذلك.

نعم لو قام الدليل على أنّ الممكن في ذاته لا يعيش أكثر من سبعين سنة مثلاً فنحتاج إلى إثبات العُمر بعده وقد علمت أنّ الأمر ليس كذلك وعلى ما ذكرناه واصلناه في المقام فالإستمرار الوجودي فيه ﷺ على طبق القاعدة و مقتضى طبع الممكن ومن قال أو يقول بقطع الوجود من جانب العلة أو أنّ الإستمرار مُستحيل فعليه بإثبات ما ادّعاه وأنّى له بإثباته فوجوده ﷺ ثمّ بقائه إلى آخر الدهر مطابق للأصل والخروج عنه يحتاج إلى دليل وإذ ليس فليس فنحن في فسحة من الإثبات فتأمل في المقام وإغتنم ما حقّقناه.

وأما النقص فلأنّ كثيراً من أفراد البشر عاشوا في الدنيا مدّة طويلة وهو دليل على أنّه لا معيار للعُمر في الدنيا فلو كان الأمر على ما ذكره الخصم من عدم إمكانه عادة لما كان كذلك وحيث إنّ ثبت طول العُمر زائداً على المتعارف بين الناس ولو في مورد واحد فهو الدليل على إمكانه بل وقوعه في غيره ونحن نذكر بعضاً من هؤلاء القوم الذين خرجوا بقول الخصم عن العادة فما يقول فيهم نقول فيه ﷺ:

فمنهم سلمان الفارسي ؛ وإنه عاش مائتين (٢٠٠) سنة وقيل أكثر.  
ومنهم عمرو بن العاص قيل إنه عاش في الجاهلية والإسلام مائتي (٢٠٠)  
سنة وأنه قال حين أحسّ الموت.

مضت مائتا حول لعمروٍ وبعدها

رمته المنايا بالسَّهام القواصد

فمات وما حيّ وإن طال عُمره

على مرّ أيام السنين بخالد

ومنهم أمد بن لبد عاش ثلاث مائة وستين (٣٦٠) وروي أن معاوية بن أبي  
سفيان قال إني أحب أن القي رجلاً قد أتت عليه سنٌ وقد رأى الناس يخبرنا  
عماً رأى فليل له هذا رجل بحضرموت فأرسل إليه فأتاه فقال ما إسمك فقال  
أمد قال إبن من قال إبن لبد قال ما أتى عليك من السنين قال ستون وثلاث مائة  
سنة فتكلم معه إني أن قال له هل رأيت هاشمياً قال نعم رأيت رجلاً طوالاً  
حسن الوجه بين عينيّ بركة أو غرة بركة قال فهل رأيت أمية قال نعم رأيت  
رجلاً قصيراً أعمى إن في وجهه أشراً أو شوماً قال فهل رأيت مُحَمَّدًا قال من  
محمّد قال معاوية: رسول الله ﷺ قال ويحك أفلا فحمته كما فحّمه الله فقلت  
رسول الله ﷺ إني أن قال له معاوية سلني قال أسألك أن تدخلني الجنة قال  
معاوية ليس ذلك بيدي ولا أقدر عليه قال فأسألك أن تردّ عليّ شبابي قال ليس  
ذلك بيدي ولا أقدر عليه قال فلا أرى عندك شيئاً من أمر الدنيا ولا من أمر  
الآخرة فزدني من حيث جئت بي قال معاوية أما هذا فنعم ثمّ قال لجلسائه لقد  
أصبح هذا زاهداً فيما أنتم فيه راغبون انتهى.

ومنهم عبيد بن شريد الجرهمي عاش ثلاث مائة سنة ولحق أيضاً أيام  
معاوية فروى أنه قدم عليه يوماً إلى الشام فقال معاوية أخبرني من أعجب ما  
رأيت قال نعم إنتهيت إلى قوم يدفنون ميتاً فلما فرغوا منه إغرورقت عيناي  
وتمثلت بهذه الأبيات:

يا قلب إنك في أسماء مغرور

فأذكر وهل ينفعك اليوم تذكير

قد بحثت بالحب ما تخفيه من أحد

حتى جرت بك إطلافاً محاضير

ما بت فأصبر فما تدري أعاجلها

خير لنفسك أم ما فيه تأخير

فاستقدر الله خيراً وأرضين به

فبينما العسر إذ دارت مياسير

وبينما المرء في الأحياء مُغْتَبِطاً

إذ صار في الرمس تعفوه الأعاصير

حتى كأن لم يكن إلا تذكره

والدهر أيتما حال دهارير

يبكي الغريب عليه ليس يعرفه

وذو قرابته في الحي مسرور

وذاك آخر عهد من أخيك إذا

ما الميِّت ضمَّنه اللحد الخناسير

فقال لي رجل منهم هل تدري من قال هذه الأبيات قلت لا قال هو الذي

دفناه

ومنهم العوام ابن المنذر الطائي عاش دهوراً في الجاهلية وبقى إلى أن أدرك

خلافة عمر بن عبد العزيز فأدخل عليه وقد إختلفت ترقوتاه وسقط حاجباه

ف قيل له ما أدركت فقال والله ما أدري أدركت أمة على عهد ذي القرنين أم كنت

أقدما فقال:

متى تَنْزَعُوا عَنِّي اللباس تبتينوا

أجاجي لم يكسين لحمأ ولا دمأ

ومنهم تيم بن ثعلبة بن عطاية الرّبعي عاش مائتي سنة (٢٠٠).  
ومنهم معدّي كرب الحميري من آل ذي رعين عاش مائتين وخمسين سنة  
(٢٥٠).

ومنهم جعفر ابن قرط الجّهني عاش ثلاث مائة سنة (٣٠٠) وأدرك الإسلام  
وأسلم ومنهم عوف بن كنانة الكلبي عاش ثلاث مائة سنة (٣٠٠).  
ومنهم هُبَلُ بن عبد الله بن كنانة الكلبي عاش ستّ مائة وسبعين سنة  
(٦٧٠).

ومنهم حصين بن عتبان الزبيدي عاش مائتين وخمسين سنة (٢٥٠).  
ومنهم شويد بن عبد الله الجعفي من سعد العشيرة عاش ثلاث مائة سنة  
(٣٠٠).

ومنهم ربيعة بن كعب بن زيد بن مناة بن تميم عاش ثلاث مائة سنة  
وثلاثين سنة وأدرك الإسلام وأسلم (٣٣٠)

ومنهم سيف بن وهب الطائي عاش مائتي سنة (٢٠٠) ومنهم عدوان بن  
عمرو بن قيس عاش مائتين وخمسين سنة (٢٥٠).

ومنهم ابن يزيد الجعفي عاش خمس مائة سنة ومنهم مرداس بن خصيم  
عاش مائتين وستّ وثلاثين سنة (٢٣٦).

ومنهم عمرو بن ربيعة اللّخمي عاش ثلاث مائة وأربعين سنة (٣٤٠).

أقول: ما ذكرته من أسماء المعمرين إنّما نقلناه عن كنز الكراچكي - ص  
٢٦٠ الى ص ٢٦٢ ثمّ إنّهُ ﷺ قال ما لفظه: فهذا طرف من ذكر المعمرين  
ومختصر ممّا رواه أصحاب الأثر وعلماء المُصنّفين قد أوردته لك زيادةً على  
ما تقدّم وإثباتاً للحجّة على من يفهم وإذا جاز أن يُعمر الله تعالى جماعة من  
خلقه من أنبيائه وأوليائه والمُشركين له ويَمُدّهم بصحّة الأجسام وثبوت العقل  
والرّأي فما الذي ينكر من طول عمر صاحب الزّمان المهدي ﷺ وهو حجّة الله  
على العباد وخاتم الأوصياء من ذرية رسول الله ﷺ والموعود بالبقاء حتّى

يكون على يده هلاك جميع الأعداء ويصير الدين كله لله لو لا أن خصومنا ظالمون معاندون للحق ومكابرون وقد ذاع بين كثير من الخصوم ما يؤوي ويقال اليوم (سنة تأليف الكتاب أعني الكنز) من حال المعمر أبي الدنيا المغربي المعروف بالأشبح وأنه باق من عهد أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب إلى الآن وأنه مقيم من ديار المغرب من أرض طنجة وقد عبر متوجهاً إلى الحج والزيارة وروايتهم عنه حديثه وقصة وأحاديث سمعها من أمير المؤمنين عليه السلام وقوله أنه كان ركابياً بين يديه ورواية الشيعة أنه يبقى إلى أن يظهر صاحب الزمان انتهى.

أقول: وقد ذكر عليه السلام بعد ذكره ما ذكرناه ونقلناه عن كتابه عدة من المعمرين الذين لم نذكرهم في هذا الكتاب مخافة الإطالة إن شئت فراجع الكتاب المذكور.

ثم إنه مع ذلك كيف يبقى شك في طول عمره وحياته عليه السلام لأحد وهو ولي الله وحجة الله الذي وعد الله أن يملأ الأرض به قسطاً وعدلاً بعد ما ملئت ظلماً وجوراً أليس الله تعالى بقادر على إنفاذ أمره بيده بلى والله هو قادر عليه وعلى كل شيء ومن أبى فعليه لعنة الله فثبت وتحقق أن القول بعدم إمكان حياته عليه السلام في هذه المدة الطويلة كلام لا طائل تحته فالقول بوجوده عليه السلام ثم موته لا دليل عليه بل مقطوع العدم.

وأما القول الثاني: وهو أنه لم يوجد أصلاً فهو أيضاً مملاً لا سبيل إليه عقلاً ونقلاً.

أما العقل: فلائه لا يرى مانعاً من وجوده في زمان العسكري بعد كونه عليه السلام ممكن الوجود في حد نفسه ومجرد عدم رؤيتنا أو رؤية أكثر الناس له لا يدل على عدم وجوده في زمانه أليس إنكار وجوده في ذلك الزمان كإنكار وجود غيره في القرون الماضية وبعبارة أخرى إنكار وجود من لا يراه العين الحسي بعيد من العقل كيف وإن لم يدل العقل على إثبات أصل وجوده لا يدل على

نفيه أيضاً وهو كاف فعلاً وأما نقلاً فقد عرفت دلالة التّقل عليه فإنّ الأخبار الواردة في أسماء المعصومين من النبي ﷺ لا تكاد تحصي وقد أشرنا إلى بعضها وقد ذكر المحدث البحراني رحمه الله في غاية المرام (١٦١) حديثاً من طرق العامة فقط الدالة على أنّ الأئمة والخلفاء بعد النبي إثنى عشر وسماهم بأسمائهم مضافاً إلى نصوص الشيعة في الباب فكيف يمكن إنكار وجوده ﷺ وهو إنكار الآثار والأخبار الذي مساوق لإنكار أصل النبوة فإنّ الذي وصل إلينا من الأحكام الشرعية إنّما هو بطريق الخبر والرواية لا بطريق الحس والعيان والمشاهدة لصاحب الشريعة فالنافية لوجوده ﷺ ما يقول في هذه الأحاديث المصرحة بأنه القائم المنتظر وأنه ابن الحسن العسكري وأنه الإمام الثاني عشر. فلا بدّ للمنكر إمّا من القول بإنكار الأحاديث كلّها ولا كلام لنا معه إذ هو خارج عن ريقة الإسلام وليس من المسلم بشي وإمّا أن يقول بعدم الإنكار لها وأنه لم يوجد بعد أو أنه غير المهدي الذي هو ابن العسكري وسيوجد في آخر الزمان وأنت ترى أنّ هذا القول أيضاً في معنى إنكار الأحاديث إذ الأحاديث مصرحة بأنه ابن العسكري فلا يعقل وجوده في آخر الزمان هذا.

وإذا بطل القسمان الأخيران يبقى الأوّل بلا معارض وهو أنه ﷺ ولد في حياة العسكري واستمرّ وجوده فهو حيّ الآن موجود إلى أن يشاء الله وهو المطلوب وحيث إنجزّ الكلام إلى هنا فلا بأس بالإشارة إلى شطرين من حالاته ﷺ من حين تولده إلى غيبته الكبرى والعلة التي لأجلها غاب ﷺ عن الأنظار ثمّ نتبع الكلام بما يناسب البحث من علائم ظهوره وما يقع بعد الظهور وغير ذلك من الأمور تكميماً للبحث فإنّ الموضوع من أهمّ المسائل الاعتقادية بناء على ما روته العامة والخاصة من أنه، من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة الجاهلية فيقع الكلام في فصول.

الفصل الأوّل: في ولادته ﷺ وبعض أوصافه المختصة به سلام الله عليه.

قال المفيد رحمه الله في الإرشاد ما هذا نصّه وكان الإمام بعد أبي محمّد ﷺ ابنه



المُسَمَّى بِاسْمِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْمُكْتَنَى بِكُنْيَتِهِ وَلَمْ يَخْلَفْ أَبُوهُ وَلِدًا وَلَا ظَاهِرًا وَلَا  
 بَاطِنًا غَيْرَهُ وَخَلَفَهُ غَائِبًا مُسْتَتْرَأً عَلَيَّ مَا قَدَّمْنَا ذَكَرَهُ وَكَانَ مَوْلَدَهُ لَيْلَةَ النِّصْفِ مِنْ  
 شَعْبَانَ سَنَةِ خَمْسٍ وَخَمْسِينَ وَمِائَتَيْنِ (٢٥٥) مِنَ الْهَجْرَةِ وَأُمُّهُ أُمُّ وَلَدٍ يُقَالُ لَهُ  
 نَرْجِسٌ وَكَانَ سَنَّهُ عِنْدَ وَفَاةِ أَبِيهِ خَمْسَ سِنِينَ أَتَاهُ اللَّهُ فِيهَا الْحِكْمَةَ وَفَصَلَ  
 الْخَطَابَ وَجَعَلَهُ آيَةً لِلْعَالَمِينَ وَأَتَاهُ الْحِكْمَةَ كَمَا أَتَاهَا يَحْيَى صَبِيًّا وَجَعَلَهُ إِمَامًا  
 فِي الطَّفُولِيَّةِ الظَّاهِرَةِ كَمَا جَعَلَ عَيْسَى ابْنَ مَرْيَمَ فِي الْمَهْدِ نَبِيًّا وَقَدْ سَبَقَ النَّصُّ  
 عَلَيْهِ فِي مِلَّةِ الْإِسْلَامِ مِنْ نَبِيِّ الْهُدَى ﷺ ثُمَّ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي  
 طَالِبٍ ﷺ، وَنَصَّ عَلَيْهِ الْأُئِمَّةُ وَاحِدٌ بَعْدَ وَاحِدٍ إِلَى أَبِيهِ الْحَسَنِ ﷺ وَنَصَّ أَبُوهُ  
 عَلَيْهِ عِنْدَ ثِقَاتِهِ وَخَاصَّةً شِيعَةَ إِنْتَهَى وَقَالَ ابْنُ بَابُوَيْهِ فِي كِتَابِهِ كَمَالِ الدِّينِ وَتَمَامِ  
 النِّعْمَةِ مَا هَذَا نَصُّهُ.

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ الْوَلِيدِ ﷺ قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى الْعَطَّارُ  
 قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحَسِينُ بْنُ رِزْقِ اللَّهِ قَالَ حَدَّثَنِي مُوسَى بْنُ مُحَمَّدٍ ابْنِ  
 الْقَاسِمِ بْنِ حَمَزَ بْنِ مُوسَى ابْنِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ الْحَسَنِ ابْنِ عَلِيِّ  
 ابْنِ أَبِي طَالِبٍ قَالَ حَدَّثَنِي حَكِيمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدِ ابْنِ عَلِيِّ ابْنِ مُوسَى ابْنِ جَعْفَرِ  
 ابْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ ابْنِ حَسِينِ ابْنِ عَلِيِّ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ قَالَتْ:

بَعَثَ إِلَيَّ أَبُو مُحَمَّدٍ الْحَسَنُ ابْنُ عَلِيِّ ﷺ فَقَالَ يَا عَمَّةُ اجْعَلِي إِفْطَارَكَ هَذِهِ  
 اللَّيْلَةَ عِنْدَنَا فَإِنَّهَا لَيْلَةُ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ فَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى سَيُظْهِرُ فِي هَذِهِ  
 اللَّيْلَةِ الْحُجَّةَ وَهُوَ حُجَّتُهُ فِي أَرْضِهِ قَالَتْ فَقُلْتُ لَهُ وَمَنْ أُمُّهُ، قَالَ لِي نَرْجِسُ  
 قُلْتُ لَهُ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ مَا بِهَا أَثَرٌ فَقَالَ هُوَ مَا أَقُولُ لَكَ قَالَتْ فَجِئْتُ وَلَمَّا  
 سَلَّمْتُ وَجَلَسْتُ جَاءَتْ تَنْزِعُ خَفِيَّ وَقَالَتْ لِي يَا سَيِّدَتِي (وَسَيِّدَةُ أَهْلِي) كَيْفَ  
 أَمْسَيْتِ فَقُلْتُ بَلْ أَنْتِ سَيِّدَتِي وَسَيِّدَةُ أَهْلِي قَالَتْ فَأَنْكَرْتُ قَوْلِي وَقَالَتْ مَا هَذَا  
 يَا عَمَّةُ قَالَتْ فَقُلْتُ لَهَا يَا بِنْتِةَ إِنْ اللَّهَ تَعَالَى سَيُهَبُ لَكَ فِي لَيْلَتِكَ هَذَا غَلَامًا سَيِّدًا  
 فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ قَالَتْ فَخَجَلْتُ وَإِسْتَحَيْتُ فَلَمَّا أَنْ فَرَعْتُ مِنْ صَلَاةِ الْعِشَاءِ  
 الْآخِرَةِ أَفْطَرْتُ وَأَخَذْتُ مَضْجَعِي فَرَقَدْتُ فَلَمَّا أَنْ كَانَ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ قَمْتُ

إلى الصلوة ففرغت من صلاتي وهي نائمة ليس بها حادث ثم جلست معقبة ثم اضطجعت ثم إنبتهت فزعة وهي راقدة ثم قامت فصَلت ونامت.  
قالت حكيمة وخرجت أتفقّد الفجر فإذا أنا ما بفجر الأول كذنب السُرْهان وهي نائمة فدخّلني الشكوك فصاح بي أبي محمّد من المجلس فقال لا تعجلي يا عمّة فهاك الأمر قد قرب.

قالت فجلست وقرأت ألم السّجدة ويس فيبينما أنا كذلك إذا إنبتهت فزعة فوثبت إليها فقلت إجمعي نفسك وإجمعي قلبك فهو ما قلت لك قالت فأخذتني فترة وأخذتها فترة فإنبتهت بحسّ سيّدي فكشفت الثوب عنه فإذا أنا به ﷺ ساجداً يتلقّى الأرض بمساجده فضمّته إليّ فإذا أنا به نظيف مُنظّف فصاح بي أبو محمّد ﷺ هلمّي إليّ ابني يا عمّة فجئت به إليه فوضع يديه تحت أليتيه وظهره ووضع قدميه على صدره ثم أدلى لسانه في فيه وأمرّ يدي (بده) على عينيّه وسَمعه ومفاصله ثم قال تكلم يا بني فقال أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمّداً رسول الله ثم صلّني على أمير المؤمنين وعلى الأئمّة إلى أن وقف على أبيه ثم أحجم (أقول أي سكت).

ثم قال أبو محمّد ﷺ يا عمّة إذ هبني به إلى أمّه ليسلم عليها وإنتني به فذهبت به فسلم عليها ورَدَدته فوضعتة في المجلس ثم قال يا عمّة إذا كان يوم السّابع فأتينا قالت حكيمة فلما أصبحت جئت لأسلم على أبي محمّد ﷺ وكشفت السّتر لأتفقّد سيّدي فلم أره فقلت جعلت فداك ما فعل سيّدي فقال ﷺ يا عمّة إستودعناه الذي إستودعته أمّ موسى موسى ﷺ.

قالت حكيمة فلمّا كان في اليوم السّابع جئت فسلمت وجلست فقال ﷺ هلمّي إليّ ابني فجئت بسيّدي ﷺ وهو في الخِرقة ففعل به كَفَعته الأولى ثم أدلى لسانه في فيه كأنه يغذّيه لبناً أو عسلاً ثم قال تكلم يا بني فقال ﷺ أشهد أن لا إله إلا الله وثنى بالصلاة على محمّد وعلى أمير المؤمنين وعلى الأئمّة الطّاهرين صلوات الله عليهم أجمعين حتّى وقف على أبيه ثم تلا هذه

الآية: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ وَنَمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾<sup>(١)</sup>

قال موسى فسألت عقبة الخادم عن هذه فقالت صدقت حكيمة انتهى ص  
٤٢٤.

أقول: ذكر ﷺ في المقام أخباراً كثيرة في كيفية تولده ﷺ والمأل واحد ولا خلاف عند المسلمين الذين إعتقدوا بوجوده ﷺ أنه ولد في ليلة النصف من شعبان سنة (٢٥٥) وإنه أباه أبو محمد العسكري وأمه نرجس، وقيل مليكة، وقيل سوسن وقيل ريحانه ولنعم ما قيل فيه.  
فهذا الخلف الحجة قد أيده الله

هَدَانَا مَنَهَجَ الْحَقِّ وَآتَاهُ سَجَايَاهُ  
وَأَعْلَى فِي ذَرَى الْعُلِيَا بِالتَّأْيِيدِ مَرْقَاهُ  
وَآتَاهُ حَلِي فُضْلٍ عَظِيمٍ فَتَّحَلَّاهُ  
وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ قَوْلًا قَدْ رَوَيْنَاهُ  
وَذَوَا الْعِلْمِ بِمَا قَالَ إِذَا أَدْرَكَ مَعْنَاهُ  
يَرَى الْأَخْبَارَ فِي الْمَهْدِيِّ جَاءَتْ بِمُسْمَاهُ  
وَقَدْ أَبْدَاهُ بِالنَّسْبَةِ وَالْوَصْفِ وَسْمَاهُ  
وَيَكْفِي قَوْلُهُ مَنِي لِإِشْرَاقِ مَحْيَاهُ  
وَمَنْ بَضَعْتَهُ الزَّهْرَاءُ مَرْسَاهُ وَمَجْرَاهُ  
وَلَنْ يَبْلُغَ مَا أُوتِيَهُ أَمْثَالُ وَأَشْبَاهُ  
فَإِنْ قَالُوا هُوَ الْمَهْدِيُّ مَا مَاتُوا بِمَا فَاهُ  
وقال ابن العربي في الفتوحات:

هو السيد المهدي من آل أحمد هو الصارم الهندي حين يبيد

هُوَ الشَّمْسُ يَجْلُو كُلَّ غَيْمٍ وَظُلْمَةٍ هُوَ الْوَابِلُ الْوَسْمِيُّ حِينَ يَجُودُ  
الفصل الثَّانِي: فيما ورد بعد ولادته في حياة أبيه عليه السلام.

قال في كمال الدِّين حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ الْفَرَجِيُّ الْمُؤَدِّنُ عليه السلام قَالَ حَدَّثَنَا  
مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ الْكَرْخِيُّ فِي قَالَ سَمِعْتُ أَبَا هَارُونَ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِنَا  
يَقُولُ رَأَيْتُ صَاحِبَ الزَّمَانِ وَوَجْهَهُ يَضِيُّ كَأَنَّهُ الْقَمَرُ لَيْلَةَ الْبَدْرِ وَرَأَيْتُ عَلِيَّ  
سِرَّتَهُ شَعْرًا يَجْرِي كَالْخَطِّ وَكَشَفْتُ الثُّوبَ عَنْهُ فَوَجَدْتَهُ مَخْتُونًا فَسَأَلْتُ أَبَا  
مُحَمَّدٍ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ هَكَذَا وُلِدَ وَهَكَذَا وُلِدْنَا أَنْتَهَى «ص ٤٣٤»...

وروي فيه بإسناده عن معاوية بن حكم ومحمد بن أيوب بن نوح  
ومحمد بن عثمان العمري عليه السلام قالوا عرض علينا أبو محمد الحسن بن علي  
ونحن في منزله وكنا أربعين رجلاً فقال عليه السلام هذا إمامكم من بعدي وخليفتي  
عليكم أطيعوه ولا تتفرقوا من بعدي في أديانكم فتهلكوا أما إنكم لا ترونه  
بعد يومكم هذا قالوا فخرجنا من عنده فما مضت إلا أيام قلائل حتى مضى  
أبو محمد انتهى «ص ٤٣٥»...

وإسناده عن عبد الله بن جعفر الحميري قال قلت لمحمد بن عثمان  
العمري عليه السلام إني أسألك سؤال إبراهيم ربه جلّ جلاله حين قال له: «ربّ أرني  
كيف تحيي الموتى قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي» فأخبرني عن  
صاحب هذا الأمر هل رأيتَه؟ قال نعم وله رقبة مثل ذي وأشار إلى عنقه  
انتهى «ص ٤٣٥»...

الفصل الثالث في إمامته عليه السلام قال المفيد في الإرشاد ومرض أبو محمد عليه السلام  
في أوّل شهر ربيع الأوّل سنة ستين ومائتين ومات في يوم الجمعة لثلاث  
ليال خلون من هذا الشهر في السنّة المذكورة وله يوم وفاته ثمان وعشرون  
سنة انتهى...

أقول: فعلى هذا كان للقائم عليه السلام حين وفاة أبيه تقريباً خمس سنين وهو  
أعني صغر سنّه عليه السلام لا يَصْرُ بِإِمَامَتِهِ إِذْ لَا يَشْتَرُطُ فِي الْإِمَامَةِ السُّنُّ كَثِيرًا أَوْ قَلِيلًا

الآية: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَيْمَةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ وَنَمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾ (١)

قال موسى فسألت عقبة الخادم عن هذه فقالت صدقت حكيمة انتهى ص  
٤٢٤.

أقول: ذكر ﷺ في المقام أخباراً كثيرة في كيفية تولده ﷺ والمأل واحد ولا خلاف عند المسلمين الذين إعتقدوا بوجوده ﷺ أنه ولد في ليلة النصف من شعبان سنة (٢٥٥) وإته أباه أبو محمد العسكري وأمه نرجس، وقيل مليكة، وقيل سوسن وقيل ريحانه ولنعم ما قيل فيه.

فهذا الخلف الحجة قد أيده الله

هَدَانَا مَنَهِجَ الْحَقِّ وَأَتَاهُ سَجَايَاهُ

وَأَعْلَى فِي ذُرَى الْعُلِيَا بِالتَّأْيِيدِ مَرْقَاهُ

وَأَتَاهُ حَلِي فَضْلٍ عَظِيمٍ فَتَحَلَّاهُ

وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ قَوْلًا قَدْ رَوَيْنَاهُ

وَذَوَا الْعِلْمِ بِمَا قَالَ إِذَا أَدْرَكَ مَعْنَاهُ

يَرَى الْأَخْبَارَ فِي الْمَهْدِيِّ جَاءَتْ بِمُسْمَاهُ

وَقَدْ أَبْدَاهُ بِالتَّسْبِئَةِ وَالْوَصِيفِ وَسْمَاهُ

وَيَكْفِي قَوْلُهُ مَنِي لِإِشْرَاقِ مَحْيَاهُ

وَمَنْ بَضَعَتْهُ الزَّهْرَاءُ مَرَسَاهُ وَمَجْرَاهُ

وَلَنْ يَبْلُغَ مَا أُوتِيَهُ أَمْثَالِ وَأَشْبَاهِ

فَإِنْ قَالُوا هُوَ الْمَهْدِيُّ مَا مَاتُوا بِمَا فَاهُ

وَقَالَ ابْنُ الْعَرَبِيِّ فِي الْفَتْوحَاتِ:

هُوَ الصَّارِمُ الْهِنْدِيُّ حِينَ يَبِيدُ

هُوَ السَّيِّدُ الْمَهْدِيُّ مِنْ آلِ أَحْمَدِ

هُوَ الشَّمْسُ يَجْلُو كُلَّ غَيْمٍ وَظُلْمَةٍ هُوَ الْوَابِلُ الْوَسْمِيُّ حِينَ يَجُودُ  
الفصل الثَّانِي: فيما ورد بعد ولادته في حياة أبيه عليه السلام.

قال في كمال الدين حدثنا عليّ ابن الحسين الفرج المؤدّن عليه السلام قال حدثنا  
محمد ابن الحسن الكرخي في قال سمعت أبا هارون رجلاً من أصحابنا  
يقول رأيت صاحب الزّمان ووجهه يضيّ كأنّه القمر ليلة البدر ورأيت عليّ  
سرّته شعراً يجري كالخطّ وكشفت الثّوب عنه فوجدته مَخْتُوناً فسألت أبا  
محمد عن ذلك فقال هكذا وُلِدَ وهكذا وُلِدْنَا انتهى «ص ٤٣٤»...

وروي فيه بإسناده عن معاوية بن حكم ومحمد ابن أيّوب بن نوح  
ومحمد بن عثمان العمري عليه السلام قالوا عَرَضَ علينا أبو محمد الحسن بن عليّ  
ونحن في منزله وكنّا أربعين رجلاً فقال عليه السلام هذا إمامكم من بعدي وخليفتي  
عليكم أطيعوه ولا تتفرّقوا من بعدي في أديانكم فتهلكوا أما إنكم لا ترونه  
بعد يومكم هذا قالوا فخرجنا من عنده فما مضت إلا أيام قلائل حتّى مضى  
أبو محمد انتهى «ص ٤٣٥»...

وبإسناده عن عبد الله بن جعفر الحميري قال قلت لمحمد بن عثمان  
العمري عليه السلام إنّي أسألك سؤال إبراهيم ربّه جلّ جلاله حين قال له: «ربّ أرني  
كيف تحيي الموتى قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئنّ قلبي» فأخبرني عن  
صاحب هذا الأمر هل رأيت؟ قال نعم وله رقبة مثل ذي وأشار إلى عنقه  
انتهى «ص ٤٣٥»...

الفصل الثّالث في إمامته عليه السلام قال المفيد في الإرشاد ومرض أبو محمد عليه السلام  
في أوّل شهر ربيع الأوّل سنة ستّين ومائتين ومات في يوم الجمعة لثلاث  
ليال خلون من هذا الشّهر في السّنة المذكورة وله يوم وفاته ثمان وعشرون  
سنة انتهى...

أقول: فعلى هذا كان للقائم عليه السلام حين وفاة أبيه تقريباً خمس سنين وهو  
أعني صغر سنّه عليه السلام لا يضرّ بإمامته إذ لا يشترط في الإمامة السنّ كثيراً أو قليلاً

ولهذا لم يعدّوه من الشرائط المُعتبرة فيها وكيف فهو ﷺ صار إماماً في صغر سنّه ولم يكن من الأئمة: من ثار الأمر إليه في صغره إلا القائم المنتظر.  
روي النعماني في الغيبة بإسناده عن أبي جعفر الباقر ﷺ أنّه قال الأمر في أصغرنا سنّاً وأخملنا ذكراً انتهى» (ص ٣١١)...

وإسناده عن أبي بصير قال قلت لأحدهما (بي عبد الله ﷺ وأبي جعفر ﷺ) أيكون أن يفضي هذا الأمر إلى من لم يبلغ؟ قال سيكون ذلك قلت فما يصنع؟ قال يورثه علماً وكتباً ولا يكله إلى نفسه انتهى» (ص ٣٢٢)...

٣- وإسناده عن أبي الجارود قال قال لي أبو جعفر ﷺ ولا يكون هذا الأمر إلا في أخملنا ذكراً وأحدثنا سنّاً انتهى» (ص ٣٢٣)...

قال النعماني بعد ذكره ما نقلناه ما هذا لفظه:

أنظروا رَحِمَكُمُ اللهُ يا معشر الشيعة إلى ما جاء عن الصادقين في ذكر سنّ القائم ﷺ وقولهم إنّه وقت إفضاء الأمر إليه أصغر الأئمة سنّاً وأحدثهم وأن أحداً ممّن قبله لم يفض إليه الأمر في مثل سنّه وإلى قولهم أخملنا ذكراً يشيرون بخمول ذكره إلى غيبة شخصه وإستتاره وإذا جاءت الروايات متصلة متواترة بمثل هذه الأشياء قبل كونها وبحدوث هذه الحوادث قبل حدوثها ثمّ حققها العيان والوجود وجب أن تزول الشكوك عمّن فتح الله قلبه ونوره وهداه وأضاء له بصره والحمد لله الذي يختصّ برحمته من يشاء من عباده بتسليمهم لأمره وأمر أوليائه وإيقانهم بحقيقة كلّ ما قاله واثقاً بحقيقة كلّ ما يقوله الأئمة: من غير شكّ فيه ولا إرتياب إذ كان الله عزّ وجلّ قد رفع منزلة حُجّجه: وخفض منزلة من دونهم أن يكونوا أغياراً عليهم وجعل الجزاء على التسليم لقولهم والوُدّ إليهم الهدى والثواب وعلى الشكّ والإرتياب فيه العمى وأليم العذاب وإياه نسأل الثواب على ما منّ به والمزيد فيما أولاه وحسن البصيرة فيما هدى إليه فإنما نحن به وله انتهى ما ذكره ﷺ.

أقول: ما ذكره ﷺ حقّ حقيق بالإتباع بل يليق بأن يكتب بقلم المعرفة على

صفحات القلوب إذا كانت لها بصيرة ومعرفة فإن من لم يجعل الله له نوراً فما له من نور ولذلك ترى كثيراً من العامة العمياء وغيرهم ممن تبعهم أنكروا وجوده أولاً مع قولهم بالإسلام وترثمهم بالإيمان ولم يعلموا أن إنكار وجوده مساوق لإنكار النبوة كما عرفت من الأحاديث فإن الرسول بعد ما أخبر بكون الأوصياء بعده إثني عشر أولهم عليّ ابن أبي طالب وآخرهم القائم ابن الحسن العسكري أليس إنكاره ﷺ يوجب تكذيب الرسول في قوله وأن الأئمة ليسوا بإثني عشر وليت شعري لم أنكروا وجوده وأي ضررٍ منه عليهم وأعجب منه أنهم أقرّوا واعتقدوا بالخرافات والأباطيل التي لم يذكرها إلا الكذّابون الوضاعون ولم يعتقدوا بما أخبر به النبي والصلحاء من أمته.

وأخرى قولهم يقولون إن الإمام لا يكون طفلاً أو صبيّاً وهو عليّ فرض وجوده كان له خمس سنين بعد موت أبيه وكيف نعقل تصيير الأمر إليه وحيث إن هذا الإشكال من أصعب الإشكالات الواردة في المقام ولا سيما في أذهان العوام كالأنعام فلا بدّ لنا من كشف القناع عنه ليكون البحث كاملاً من كل الجهات فنقول.

من المنكرين لوجوده ﷺ تارة وعدم لياقته للإمامة وهو صغر السنّ أخرى وأنه لا نفع في وجوده أصلاً ثالثاً هو أبو العباس أحمد ابن تيمية المشهور عند العامة بشيخ الإسلام في كتابه المشهور بمنهاج السنّة في نقض كلام الشيعة وقد كتبه في الردّ على كتاب منهاج الكرامة في معرفة الإمامة الذي صنّفه العلامة عليّ الإطلاق في العالم فخر الشيعة وكهف الشريعة العلامة الحلبي قدس الله نفسه الزكية الذي يليق بأن يقال فيه:

هيهات أن يأتي الزمان بمثله إن الزمان بمثله لعقيم

فإنه ﷺ حقّق في هذا الكتاب ما خفي على المتقدّمين والمتأخّرين وذكر فيه ما لا يوجد في زبّر الأولين والآخريين فأثبت فيه الإمامة عليّ مسلّك الشيعة بالأدلة القاطعة العقلية والبراهين الساطعة النورية والأحاديث المتفق عليها بين



العامة والخاصة مع ذكره المأخذ فيها عن كتب العامة بحيث لا يبقى لأحد بعده الشك في صحة نقلها لكون المدارك موجودة الآن إلا ابن تيمية الخبيث المتعصب في كتابه هذا أعني منهاج السنة وذلك لأنه لم يقدر على رد ما ذكره العلامة لا عقلاً ولا نقلاً وإذا كان كذلك فالإنكار أحد سيف للجاهل ولا سيما إذا كان متعنداً لجوراً وهو بهذا الوصف مشهور قال العلامة رحمته في منهاج الكرامة على ما نقل عنه ابن تيمية (كتاب منهاج الكرامة ليس موجوداً عندنا برأسه وإنما الموجود هو منهاج السنة الذي ألفه في رده وقد ذكر فيه قول العلامة رحمته أولاً ثم رده بزعمه فما نقله ننقله منه مؤلف) قال صاحب الكتاب ما هذا الفظة:

قال الرافضي، الوجه الرابع أن الإمامية أخذوا مذهبهم عن الأئمة المعصومين المشهورين بالفضل والعلم والزهد والورع والإشتغال في كل وقت بالعبادة والدعاء وتلاوة القرآن والمداومة على ذلك من الطفولية إلى آخر العمر ونزل في حقهم هل أتى وآية الطهارة وإيجاب المودة لهم وآية الأبتهاال وغير ذلك وكان علي عليه السلام يصلي في كل يوم وليلة ألف ركعة ويتلو القرآن مع شدة إبتلائه بالحروب والجهاد، فأولهم علي عليه السلام ابن أبي طالب عليه السلام كان أفضل الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وجعله الله تعالى نفس رسول الله إلى آخر ما قال رحمته فيه عليه السلام من الفضائل الثابتة له ثم عد الأئمة: واحداً بعد واحد ووصفهم بأحسن الأوصاف إلى أن وصلت التوبة بذكر سيدنا ومولانا المهدي (عج) فقال رحمته بعد ذكره علي عليه السلام ابن محمد الهادي ما هذا لفظه بنقله:

وكان ولده الحسن العسكري عالماً زاهداً فاضلاً عابداً أفضل أهل زمانه وروت عنه العامة كثيراً وولده مولانا المهدي محمد عليه السلام روى ابن الجوزي بإسناده إلى ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يخرج في آخر الزمان رجل من ولدي اسمه إسمي وكنيته كنيتي يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً وذلك المهدي انتهى.

قال ابن تيمية ما هذا لفظه: فيقال، قد ذكر محمد بن جرير الطبري وعبد الباقي ابن نافع وغيرهما من أهل العلم بالأنساب والتواريخ أن الحسن بن علي العسكري لم يكن له نسل ولا عقب، والإمامية الذين يزعمون أنه كان له ولد يدعون أنه دخل السرداب بسامراء، وهو صغير منهم من قال عمره ستان ومنهم من قال ثلاث ومنهم من قال خمس سنين وهذا لو كان موجوداً معلوماً لكان الواجب في حكم الله الثابت بنص القرآن والسنة والإجماع أن يكون محضوناً عند من يحضنه في بدنه كأمه وأمه ونحوهما من أهل الحضانة وأن يكون ما له عند من يحفظه إما وصي أبيه إن كان له وصي وإما غير الوصي إما قريب وإما نائب لدى السلطان فإنه يتيم لموت أبيه والله تعالى يقول: ﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾<sup>(١)</sup> الآية، قال: لا يجوز تسليم ماله إليه حتى يبلغ النكاح ويؤنس منه الرشد كما ذكر الله تعالى في كتابه فكيف يكون من يستحق الحجر عليه في بدنه وماله إماماً لجميع المسلمين معصوماً لا يكون مؤمناً إلا بالإيمان به ثم هذا باتفاق منهم سواء قدر وجوده أو عدمه لا يتفعلون به لا في الدين ولا في الدنيا ولا علم أحد شيئاً ولا عرف له صفة من صفات الخير والشر فلم يحصل به شيء من مقاصد الإمامة ومصالحها الخاصة ولا العامة بل إن قدر وجوده فهو ضرر على أهل الأرض بلا نفع أصلاً فإن المؤمنين به لم يتفعلوا به أصلاً ولا جعل لهم به لطف ولا مصلحة والمكذبون يعذبون عندهم على تكذبيهم فهو شر محض لا خير فيه وخلق مثل هذا ليس من فعل الحكيم العادل انتهى ما أردنا ذكره بألفاظه المنحوسة وعباراته الملعونة.

أقول: أنظروا يا أهل الإنصاف إلى هذا الرجل المسمى عندهم بشيخ الإسلام الذي ينبغي أن يعنون بسيف الكفار والملاحدة على الإسلام وأهله، ثم تأملوا فيما تفوه به وتلقق به لسانه وكأنه زعم أن ما ذكره في المقام وغيره

من موارد الكتاب من التّحقيقات والتّدقيقات التي لم يسبقه بها أحد ولم يعلم أنّها من هفوات الشّيطان ووساوسه فإنّ الشّياطين ليوحون إلى أوليائهم ما يحبّون وكلامه هذا كسائر كلماته في الكتاب وإن لم يكن لايقاً بالردّ عليه لكونه من تضييع العمر وإتلاف الوقت إلّا أنّ الذي دعانا إلى نقل هذه الأراجيف والردّ عليها هو أنّها ممّا يدور على السّنة بعض الجهال الذين لم يعلموا من الحقائق شيئاً فينقلون كلامه تارة في مؤلّفاتهم وأخرى في محاوراتهم ويظنون أنّهم يحسّنون صنماً فلهذا أردنا نقل كلامه والجواب عنه فنقول.

أمّا قوله عن الطّبري وعبد الباقي أنّ العسكري لا عقب له ولا نسل فالجواب أنه معارض بما ذكره ابن الأثير في كامله والمسعودي في مَرْوَجِه وغيرهما في غيرهما فقال في الكامل ما هذا لفظه.

ومنها (أي سنة مائتين وستين) توفيّ أبو محمّد العلوي العسكري وهو أحد الأئمّة الإثني عشر على مذهب الإماميّة وهو والد محمّد الذي يعتقدونه المنتظر بسرّاب سامراء انتهى.

وقال المسعودي وفي سنة ستين ومائتين قبض أبو محمّد الحسن ابن عليّ ابن محمّد ابن عليّ ابن موسى ابن جعفر ابن محمّد ابن عليّ ابن الحسين ابن عليّ ابن أبي طالب عليه السلام في خلافة المعتمد وهو ابن تسع وعشرين سنة وهو أبو المهدي المنتظر والإمام الثاني عشر عند القاطّعة من الإماميّة وهم جمهور الشيعة انتهى.

وقد صرّح صاحب ينابيع المودّة وهو من أعيانهم بوجوده وظهور الكرامات على يديه بعد أبيه وهكذا غيره من علماء العامّة وأمّا الطّبري فلا يحضرني الآن تاريخه حتّى أراجع فيه وأمّا عبد الباقي فلا أعرفه أصلاً ولم أر كتابه بل لم أسمع إلى الآن إلّا من ابن تيميّة وأظنّ أنّه كذب على الطّبري وذلك لأنّ ابن الأثير لم يترك ممّا ذكره الطّبري في تاريخه شيئاً إذ كان الأصل فيه تاريخ الطّبري فلو كان الطّبري منكراً لوجوده لذكره في الكامل هذا وعلى

فرض إنكاره لا يضرنا بعد مخالفة المورخين له وقوله: والإمامية يزعمون إنه كان له ولد إلى قوله وهو صغير.

ففيه أن الاعتقاد بأن له ولد ليس من مختصات الإمامية بل هو معتقد الكل إلا ابن تيمية نعم القول بإمامته من معتقدات الإمامية وهو غير الوجود والكلام في وجوده فعلاً لا في إمامته هذا كله مضافاً إلى الأخبار الواردة من طريق العامة بأن أوصياء الرسول إثني عشر وهذه الأخبار إنما صدرت عن النبي نفسه ﷺ وقد ذكرنا شطراً منها وقد سَمَّاهم ﷺ بأسمائهم فلو كان الأمر كما ذكره هذا القائل فيلزم إما تكذيب الأخبار بأسرها أو تكذيب النبي ﷺ بكون الأوصياء إثني عشر ضرورة أن الأوصياء مع قطع النظر عن القائم ﷺ ليسوا بإثني عشر بل أحد عشر وهو ظاهر.

قوله منهم من قال عمره سنتان ومنهم من قال ثلاث.

أقول: هذا أيضاً كذب منه عليهم إذ لم يقل أحد من الشيعة بستين أو ثلاث كما عرفت.

قوله وهذا لو كان موجوداً معلوماً لكان الواجب في حكم الله الثابت بنص القرآن إلى قوله ثم هذا، فيقال له أولاً:

قل للذي يدعى في العلم فلسفة حفظت شيئاً وغابت عنك أشياء  
وثانياً: أن الآية الشريفة المستشهد بها لا ربط لها بالمقام إذ من قال بإمامته ﷺ يقول أن الآية ناظرة إلى غير الإمام وأما الإمام فهو خارج عن موردها تخصيصاً أو تخصصاً وعليه فيرجع البحث إلى أصل الإمامة وقد فرغنا عن البحث فيها فما مضى وقلنا إن الإمام معصوم عن الخطأ والسهو والنسيان فضلاً عن الإنحرافات العمدية من بدو تولده إلى آخر عمره ومن كان كذلك فلا يقال فيه (فإن أنستم منه رشداً) فإنه رشيدٌ من أول الأمر ولا دخل للسن فيه والدليل عليه قوله تعالى في يحيى ﷺ: ﴿وَاتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾<sup>(١)</sup>، ومعلوم أن من أوتي

من موارد الكتاب من التّحقيقات والتّدقيقات التي لم يسبقه بها أحد ولم يعلم أنّها من هفوات الشيطان ووساوسه فإنّ الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ما يحبون وكلامه هذا كسائر كلماته في الكتاب وإن لم يكن لايقاً بالردّ عليه لكونه من تضييع العمر وإتلاف الوقت إلا أنّ الذي دعانا إلى نقل هذه الأراجيف والردّ عليها هو أنّها ممّا يدور على السّنة بعض الجهال الذين لم يعلموا من الحقائق شيئاً فينقلون كلامه تارة في مؤلفاتهم وأخرى في محاوراتهم ويظنون أنّهم يحسنون صنعاً فلهذا أردنا نقل كلامه والجواب عنه فنقول.

أمّا قوله عن الطّبري وعبد الباقي أنّ العسكري لا عقب له ولا نسل فالجواب أنه معارض بما ذكره ابن الأثير في كامله والمسعودي في مروجه وغيرهما في غيرهما فقال في الكامل ما هذا لفظه.

ومنها (أي سنة مائتين وستين) توفي أبو محمّد العلوي العسكري وهو أحد الأئمة الإثني عشر على مذهب الإماميّة وهو والد محمّد الذي يعتقدونه المنتظر بسرداب سامراء انتهى.

وقال المسعودي وفي سنة ستين ومائتين قبض أبو محمّد الحسن ابن عليّ ابن محمّد ابن عليّ ابن موسى ابن جعفر ابن محمّد ابن عليّ ابن الحسين ابن عليّ ابن أبي طالب عليه السلام في خلافة المعتمد وهو ابن تسع وعشرين سنة وهو أبو المهدي المنتظر والإمام الثاني عشر عند القاطبة من الإمامية وهم جمهور الشيعة انتهى.

وقد صرح صاحب ينابيع المودة وهو من أعيانهم بوجوده وظهور الكرامات على يديه بعد أبيه وهكذا غيره من علماء العامة وأمّا الطّبري فلا يحضرني الآن تاريخه حتّى أراجع فيه وأمّا عبد الباقي فلا أعرفه أصلاً ولم أر كتابه بل لم أسمع إلى الآن إلا من ابن تيميّة وأظنّ أنّه كذب على الطّبري وذلك لأنّ ابن الأثير لم يترك ممّا ذكره الطّبري في تاريخه شيئاً إذ كان الأصل فيه تاريخ الطّبري فلو كان الطّبري منكراً لوجوده لذكره في الكامل هذا وعلى

فرض إنكاره لا يضرنا بعد مخالفة المورخين له وقوله: والإمامية يزعمون إنه كان له ولد إلى قوله وهو صغير.

ففيه أن الاعتقاد بأن له ولد ليس من مختصات الإمامية بل هو معتقد الكل إلا ابن تيمية نعم القول بإمامته من معتقدات الإمامية وهو غير الوجود والكلام في وجوده فعلاً لا في إمامته هذا كله مضافاً إلى الأخبار الواردة من طريق العامة بأن أوصياء الرسول إثني عشر وهذه الأخبار إنما صدرت عن النبي نفسه ﷺ وقد ذكرنا شطراً منها وقد سمّاهم ﷺ بأسمائهم فلو كان الأمر كما ذكره هذا القائل فيلزم إما تكذيب الأخبار بأسرها أو تكذيب النبي ﷺ بكون الأوصياء إثني عشر ضرورة أن الأوصياء مع قطع النظر عن القائم ﷺ ليسوا بإثني عشر بل أحد عشر وهو ظاهر.

قوله منهم من قال عمره سنتان ومنهم من قال ثلاث.

أقول: هذا أيضاً كذب منه عليهم إذ لم يقل أحد من الشيعة بستين أو ثلاث كما عرفت.

قوله وهذا لو كان موجوداً معلوماً لكان الواجب في حكم الله الثابت بنص القرآن إلى قوله ثم هذا، فيقال له أولاً:

قل للذي يدعى في العلم فلسفة حفظت شيئاً وغابت عنك أشياء

وثانياً: أن الآية الشريفة المستشهادة بها لا ربط لها بالمقام إذ من قال بإمامته

ﷺ يقول أن الآية ناظرة إلى غير الإمام وأما الإمام فهو خارج عن موردها

تخصيصاً أو تخصصاً وعليه فيرجع البحث إلى أصل الإمامة وقد فرغنا عن

البحث فيها فما مضى وقلنا إن الإمام معصوم عن الخطأ والسهو والنسيان فضلاً

عن الإنحرافات العمدية من بدو تولده إلى آخر عمره ومن كان كذلك فلا يقال

فيه (فإن أنستم منه رشداً) فإنه رشيدٌ من أول الأمر ولا دخل للسق فيه والدليل

عليه قوله تعالى في يحيى ﷺ: ﴿وَاتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾<sup>(١)</sup>، ومعلوم أن من أوتي

الحكم في صباوته فهو لا محالة رَشِيدٌ فيها وإلا يلزم أن آتاه الله الحكم في عهد سفاهته وعدم رشده وهو كما ترى اللهم إلا أن يقول المستشكل أنه أيضاً كذلك وما هو منه ببعيد وقال تعالى حكاية عن عيسى عليه السلام: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾<sup>(١)</sup>، وعيسى عليه السلام كان في المهدي فما يقول ابن تيمية في هذين الموردين وأمثالهما.

فإن قال لا كلام لنا في قبل الإسلام بل البحث في المسلم يقال له الآية الشريفة عامة تشمل الكل ولا سيما في مذهبه من عدم التخصيص لها ولهذا استدلل بها فإن قال به فما نحن فيه من هذا القبيل وإن لم يقل به فما الجواب وإذا كان صح هذا في حقهما فصح في المورد.

هذا كله مضافاً إلى أنه يظهر من الآية الشريفة فيهما أنه لا يبعد أن يكون إنساناً في صباوته رشيداً لائقاً بهذا المقام كما في عيسى ويحيى وغيرهما كما أخبر به القرآن وإذا صح هذا بل هو قد وقع في غير الإسلام فهو في الإسلام أولى بالوقوع لكونه أشرف وأفضل من الأديان السابقة عليه وإذا كان أفضل فرسوله أفضل من المرسلين قبله ولازم ذلك كون وصية أيضاً أفضل وليت شعري أنهم كيف تلقوه بالقبول وأنكروه في أوصياء الرسول وقد ثبت عقلاً أن حكم الأمثال فيما يجوز وفيما لا يجوز واحد فكون يحيى عليه السلام ممن آتاه الله الحكم أيام كونه صبياً لا مانع منه مع أنه عليه السلام كان من الأنبياء لا من المرسلين وأما وصية الرسول فلا يصح فيه بل يستحق عليه الحجر في بدنه وماله إن هذا لشيء عجاب.

قوله: ثم هذا بإتفاق منهم سواء قدر وجوده أو عدمه لا ينتفعون به لا في الدين ولا في الدنيا.

فنقول ليس الأمر كما زعمه بل ينتفع به في الدين والدنيا كما أن الشمس إذا غابت عن الأبصار تحت السحاب ينتفع بها بلا كلام وكما أن النبي ينتفع به في

الَّذِينَ وَاللَّيْلَةَ بَعْدَ مَوْتِهِ أَيْضاً وَعَدَمَ إِنْتِفَاعِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ وَأَمْثَالِهِ لَا يَدُلُّ عَلَى عَدَمِ  
 إِنْتِفَاعِ غَيْرِهِ كَمَا أَنَّ أَبَا سَفِيَانَ لَمْ يَنْتَفِعْ بِالرَّسُولِ لَا فِي حَيَاتِهِ وَلَا فِي مَمَاتِهِ فَإِنَّ  
 الْإِنْتِفَاعَ بِالْحُجَجِ الْإِلَهِيَّةِ لَيْسَ كَالْإِنْتِفَاعِ مِنْ خَلْفَاءِ الْجَوْرِ وَأَوْلِيَاءِ الشَّيْطَانِ بَلْ هُوَ  
 شَيْءٌ آخَرَ لَا يَقْدِرُ ابْنُ تَيْمِيَّةَ وَأَمْثَالُهُ عَلَى دَرْكِهِ وَفَهْمِهِ وَسَيَأْتِي مَنَا الْكَلَامِ فِي  
 فِلْسَفَةِ غَيْبَتِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ قَوْلُهُ وَلَا عِلْمَ أَحَدٍ شَيْئاً وَلَا عَرَفَ لَهُ صِفَةَ مِنْ  
 صِفَاتِ الْخَيْرِ إِلَى قَوْلِهِ وَلَا الْعَامَّةَ.

**أقول:** ليس كذلك بل علم ﷺ أهله وعرف له صفات الخير بل الخير كله  
 يعود إليه ومنه إلى الله تعالى كيف وقد نقلوا في كتبهم عن النبي ﷺ أنه قال من  
 مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية، أليست المعرفة على هذه  
 الحديث خيراً وأيّ خير أفضل منه، وقوله ﷺ لو لا الحجة لساخت الأرض  
 بأهلها، أليس مع هذا فيه خير، وأن وجود السماء والأرض وما فيهما وبقائهما  
 بوجوده وبقائه.

قوله بل إن قدر وجوده ضرر على أهل الأرض بلا نفع أصلاً إلى آخر كلامه.  
 أنظروا يا أهل الإنصاف إلى هذه الخرافات التي خرجت من خلقهم  
 الشيطان المجسم ثم أحكموا فيها فيقال له أي ضرر على أهل الأرض إن قدر  
 وجوده فإن عدم إنتفاع المنكرين أعني ابن تيمية وأمثاله منه ﷺ ضرر على  
 أهل الأرض وبعبارة أخرى عدم الإنتفاع من الموجود، يُعبّر عنه بالضرر على  
 أهل الأرض فهذا عجيب بل هو بكلام المجانين أشبه منه بكلام العقلاء إذ على  
 ما ذكره يلزم وجود كل موجود لم ينتفع به بسبب إعراض الناس عنه وعد  
 إنتفاعهم به بإختيارهم ضرر على أهل الأرض فلو فرضنا إعراض الناس عن  
 النبي في كل عصر فوجوده ضرر على أهل الأرض ولو أعرض المريض عن  
 المراجعة إلى الطبيب فوجوده ضرر على أهل الأرض ولو لم يتعلم المتعلم  
 عن العالم فوجوده ضرر على أهل الأرض وهكذا.

ثم إن هذا الجاهل لم يميز بين الضرر وعدم الإنتفاع أولاً وبين الضرر على



الشخص وعلى الغير ثانياً فخلط كلامه ولم يدر ما قال.

وذلك لأن عدم الإنتفاع بشيء لا يُسمّى ضرراً بل هو عدم النفع وليس كل عدم نفع ضرر بل بعضه ضرر وبعضه ليس به هذا على قول من قال بعدم الوسطة وأما على قول من يقول بوجودها فالأمر أوضح وبعبارة أخرى عدم الإنتفاع بشيء من الأشياء يلزم منه في بعض الموارد وجود الضرر وفي بعضها فلا وفرق بين كون الشيء نفسه وبين كونه ملزوماً له.

ثم إن هذا على فرض ثبوته فهو ضرر على شخصه ولا ربط له بالغير فإن المريض إذا لم يُراجع إلى الطبيب فهو يضر بنفسه وأما غيره فلا وكذا المتعلم إذا لم يتعلم فعدم الإنتفاع عن الدين أو عن النبي والوصي ضرر بالشخص وأما أنه ضرر على أهل الأرض أو أن وجود الطبيب أو العالم ضرر هكذا فأي دليل دل عليه فإن غيره يمكن أن ينتفع به وعلى فرض عدم إنتفاع الكل أيضاً لا ضرر لوجوده عليهم وهو معلوم والدليل عليه من العقل أن الوجود قد ثبت أنه خير محض لا شر فيه والضرر شر فلو كان الوجود ضرراً على أهل الأرض يلزم كونه شراً وإذا كان شراً فالله تعالى شر لأنه محض الوجود والوجودات كلها منه والشر لا يوجد إلا من الشر كما أن الخير من الخير وحيث إنه تعالى خير محض فلو جوده الصادر منه أيضاً خير فما معنى هذا القول الباطل إن وجوده ضرر على أهل الأرض.

وأوهن من هذا كله قوله والمكذبون به يُعذبون عندهم على تكذيبهم به فهو شر محض لا خير فيه، أنظر إلى هذا الإستدلال الذي عجز عنه أرسطاطاليس وابن سينا وغيرهما، حيث استدل على كونه شراً محضاً تعذيب الله المكذبين فحيث أن المكذب له مُعذب على قول الشيعة فهو شر إذا صار سبباً لتعذيب غيره فصورة القياس هكذا.

وجود صار سبباً لعذاب المكذبين له يوم القيمة، وكل وجود كان كذلك فهو شر محض، فوجوده شر محض. فنقول: وجوده تعالى صار سبباً كذلك

وكل وجود كان كذلك فهو شرٌّ، فوجوده شرٌّ محضٌ. ونقول: وجود النبي صار سبباً كذلك وكل وجود كان كذلك فهو شرٌّ، فوجوده شرٌّ محضٌ.

وإنما قلنا ذلك وقسنا وجود الله ووجود النبي عليه لِوَحْدَةِ الْمَلَائِكَةِ فَإِنَّ الْمُنْكَرَ لَهُ تَعَالَى وَلِرَسُولِهِ مُعَذِّبٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَطْعاً وَعَلَى قَوْلِهِ يَلْزَمُ كَوْنُهُمَا شَرِّينَ إِذْ كُلُّ وَجُودٍ يَلْزَمُ مِنْ تَكْذِيبِهِ الْعَذَابَ فَهُوَ شَرٌّ، فَأَقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ وَأَكْتَسِبِ الْحَقَائِقَ مِنْهُ لِأَنَّهُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ بَزَعَهُمْ.

مع أنه لو كان من أهل العلم والفضل بل لو كان له حظٌ قليل من العلم لم يقل هذا بل حق الكلام أن يستتبع منه أنه خيرٌ محضٌ وتوضيحه.

إن من كان إنكار وجوده سبباً للتعذيب فهو خيرٌ لا محالة لأن إنكار الشر لا عذاب فيه ألا ترى أن إنكار الواجب فيه عذاب وإنكار شريكه لا عذاب فيه بل فيه ثواب وليس هذا إلا لأن الواجب خيرٌ وشريك الباري شرٌّ فإنه عدم محض وممتنع صرف والشرُّ عدم والخير وجود.

وحيث أنه قد اعترف في كلامه بأن المنكر له ﷺ مُعَذِّبٌ فَلِذَا لَمْ يَكُنْ وَجُودُهُ خَيْرًا لَا شَرًّا فَإِنَّ التَّعْذِيبَ شَرْعًا ثَابِتٌ فِي تَكْذِيبِ الْخَيْرَاتِ كَتَكْذِيبِ اللَّهِ وَتَكْذِيبِ الرَّسُولِ وَتَكْذِيبِ الْقُرْآنِ وَالصَّلَاةِ وَالصُّومِ وَالْحَجِّ وَغَيْرِهَا مِنَ الْأَعْمَالِ وَالْأَفْعَالِ الثَّابِتَةِ فِي الشَّرِيعَةِ وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَكَبُرَ الْقِيَاسُ مَخْدُوشَهُ فَتَأَمَّلْ.

وقوله وخلق مثل هذا ليس من فعل الحكيم العادل.

أقول: وعليه فخلق الأنبياء أيضاً ليس من فعل الحكيم العادل لعدم انتفاع الكل بهم في كل عصر وزمان فإن قال: انتفاع البعض بهم يكفي في صحة فعل الحكيم، نقول ففي المقام أيضاً كذلك ضرورة أن بعض الناس قد انتفعوا به ويتنفعون الآن أيضاً والأنبياء أيضاً كانوا كذلك فكل ما يقول فيهم نقوله فيه هذا والعجب أن صاحب هذا الكلام لا يقول في وجود الشيطان إن خلق هذا ليس من فعل الحكيم ويقول في الوصي هكذا وعلى فرض عدم كونه وصياً له

ﷺ كما يقول به ويعتقد هو وأمثاله، لا إشكال في كونه، موجوداً من الموجودات والحكيم لا يوجد إلا خيراً اللهم إلا أن يقول بأن وجوده حيث لم يكن فيه خيراً أصلاً فلم يوجد ولازم ذلك أن وجوده شرٌّ وأضرّ من وجود الشيطان حيث خلقه الله ولم يخلقه نعوذ بالله من الكفر والطغيان واللجاج والعناد اللهم ألعنه لعناً وبيلاً وعذبه عذاباً أليماً وأحشره مع الشياطين بحق محمد وآله الميامين فهذا شيخ الإسلام بزعمهم فما ظنك بأتباعه وأشياعه.

إذا كان الغراب دليل قوم سـهـيـديـهم سـبـيـل الهالكين ثم إن خلق هذا ليس من فعل الحكيم العادل، وخلق أبي حنيفة الذي كان أضرّ على الإسلام والمسلمين من الشيطان بقول الغزالي وأمثاله كان من فعل الحكيم العادل لأنه غيّر دين الله وخالف رسوله في أربع مائة حكم وهكذا إمام ابن تيمية أحمد ابن حنبل الذي كان يعتقد بأنه تعالى جسم وينزل في كل ليلة جمعة من السماء وحيث إنجّر الكلام إلى هنا فلا بأس بالإشارة إلى ما في خلقه مصلحة للحكيم العادل أعني إمام أحمد ابن حنبل بزعمه فإنه أعني ابن تيمية حنبلي فأستمع لما نتلوا عليك من كتبهم.

١- يقول الحسن الصّواف رأيت ربّ العزة في المنام فقال لي يا حسن من خالف أحمد ابن حنبل عذب إنتهى.

٢- ويقول الأسود ابن سالم أتاني آتٍ وقال لي يا أسود الله يُقرئك السلام ويقول لك هذا أحمد ابن حنبل يردّ الأمة عن الضلالة فما أنت فاعل وإلا هلك إنتهى.

٣- ويقول أبو عبد الله السجستاني رأيت رسول الله في المنام فقلت يا رسول الله من تركت لنا في عصرنا هذا من أمّك تقتدي به في ديننا قال عليك بأحمد ابن حنبل إنتهى.

٤- ونقلوا أنه رأى في المنام بعض الصالحين فقيل له، ما فعل الله بك قال غفر لي، قيل من وجدت أكثر أهل الجنة قال أصحاب الشافعي فقال له فأين له

أصحاب أحمد ابن حنبل فأجابه إنك سألتني عن أكثر أهل الجنة وما سألتني عن أعلى عليين أصحاب أحمد في أعلى، أهل الجنة وأصحاب الشافعي أكثر أهل الجنة إنتهى.

٥- ويقول الحسين ابن أحمد الحربي رأيت في المنام كأني في جماعة وكانا قد إعتقلنا وكأني مكروب من الإعتقال فإذا بقائل يقول أي شيء أنتم فقلت حنابلة فقال قوموا فإن الحنابلة لا يعتقلون وكان قائلاً يقول ما من أحد إشمعل على هذا المذهب فحوسب إنتهى.

٦- وعن يحيى الجمانى قال رأيت في المنام كأني في صفة لي إذ جاء النبي فأخذ بعضادتي الباب ثم أذن وأقام وقال نجى التاجون وهلك الهالكون فقلت من التاجون قال أحمد ابن حنبل وأصحابه إنتهى.

٧- قال أحمد ابن حسين سمعت رجلاً من خراسان يقول عندنا أحمد ابن حنبل يروونه إنه لا يشبه البشر يظنون أنه من الملائكة وقال رجل نظرة عندنا في أحمد تعدل عبادة سنة إنتهى.

٨- وقال بعضهم ما كنت أحب أن أقتل في سبيل الله ولم أصل على الإمام أحمد إنتهى.

أقول: والروايات عنهم بهذه المضامين كثيرة وما نقلناه منها نقلناه عن كتاب الإمام الصادق والمذاهب الأربعة تأليف أسد حيدر ج ٤ ص ٤٧٠، أنظر أيضاً مناقب ابن الجوزي إلى آخرها.

ومعلوم أنه مع هذه الفضائل التي أثبتوها لإمامهم ولم يثبتوها للنبي فضلاً عن أولاده فلا مجال للقول بإيجاد غير أحمد ابن حنبل في الإسلام فإنه يكفي الأمة وعليه فلا مصلحة لإخلاق غيره كائناً من كان ولو لا مخافة الأطناب أولاً وتلويث الأوراق ثانياً لنقلت مما نقلوه كثيراً.

ثم أن ابن تيمية ذكر في الكتاب المذكور بعد ذكره ما نقلناه عنه بأسطر ما هذا لفظه.

ثم أن عمر واحد من المسلمين هذه المدة أمرٌ يُعرف كذبه بالعادة المَطْرُدة في أمة محمد فلا يعرف أحدٌ وُلد في زمن الإسلام عاش مائة وعشرين سنة فضلاً عن هذا العمر وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال في آخر عمره أرأيتم ليبتكم هذه فإن علي رأس مائة سنة منها لا يبقى علي وجه الأرض ممن هو اليوم عليها أحد فمن كان في ذلك الوقت له سنة ونحوها لم يعيش أكثر من مائة سنة قطعاً وإذا كانت الأعمار في ذلك العصر لا تتجاوز هذا الحد فما بعده من الأعصار أولى بذلك في العادة الغالبة فإن أعمار بني آدم في الغالب كلما تأخر الزمان قصرت فإن نوحاً لبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً وآدم عاش ألف سنة وكان العمر في ذلك الزمان طويلاً ثم أعمار هذه الأمة بين الستين إلى سبعين إلى أن قال واحتجاجهم بحياة الخضر احتجاج باطل علي باطل فمن الذي يسلم لهم بقاء الخضر والذي عليه سائر العلماء أنه مات إلى أن قال وكذلك المنتظر محمد بن الحسن انتهى ما ذكره وأنا أقول: أما قوله لا يُعرف أحد في زمن الإسلام عاش مائة وعشرين سنة فهو كذب مخض وجهل بالتاريخ وباب الإنكار واسع لأن منشأ الجهل ولا حد له ونحن أشرنا إلى بعض المعمرين في زمن الإسلام و منهم سلمان الفارسي وأنه عاش مائتين من السنين وقد نقلوا أيضاً أن حبابة الوالبيّة بقيت من صدر الإسلام إلى زمن الجواد عليه السلام، ونقلوا أيضاً أن أبا الدنيا المغربي وإسمه علي بن عثمان بن خطاب بن مرة بن مؤيد لما قبض النبي كان له قريباً من ثلاث مائة سنة وأنه بقي إلى أيام المقتدر فكيف يروون هذه الأحاديث وينكرون أمر القائم لطول عمره ولا غرو فيه لأن بحر العناد لا ساحل له.

وأعجب من هذا كله حديثه الذي رواه عن صحيحه عن النبي ﷺ أنه قال في آخر عمره كذا مع أنه مخالف للعقل والنقل وهو أشبه شيء بالخرافات والأباطيل كغيره من الأحاديث التي رَووها في كتبهم ونقلنا بعضاً منها فإن الأحاديث الموضوعة في صحاحهم كثيرة جداً بل أكثرها كذلك فضلاً عن غيرها.

منها ما رواه الشيخان (البخاري والمسلم) عن النبي ﷺ أنه قال أن الله عز وجل يكشف عن ساقه إنتهى.

منها ما رواه البخاري عن أبي سعيد قال سمعت النبي يقول يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة إنتهى.

وقال ابن مسعود يكشف الله عن ساقه اليمنى فيضيع من نور ساقه الأرض إنتهى.

وفي سنن ابن ماجه من حديث ابن عمر أن النبي قال الشاة من دواب الجنة إنتهى.

في الصحيحين من حديث أنس أن النبي قال لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد حتى يضع رب العزة فيها قدمه فينزوي بعضها إلى بعض إنتهى «أضواء على السنة المحمدية ص ٢٣١»...

قال صاحب الكتاب المذكور (محمود أبو رقية) والمشكلات لا يمكن حصرها وبحسبك أن تجد الطحاوي قد ألف كتاب مُشكل الآثار في أربعة مجلدات كبار ولم يستوعب فيها كل المُشكلات وهذا الكتاب طبع في الهند إنتهى «ص ٢٣٢»...

أقول: الكلام في الباب طويل وفيما ذكرناه كفاية.

والعجب أنه (أي ابن تيمية) يتمسك بهذه الخرافات في تشييد مرامه ويتلقاها بالقبول وهو ينكر الأحاديث الصحيحة المروية في الكتب بطريق الموافق والمخالف كقوله ﷺ يخرج في آخر الزمان رجل من ولدي إسمه إسمي وكُنيتي يملأ الأرض عدلاً بعد ما ملئت ظلماً وجوراً فذلك هو المهدي، فإن العلامة ﷺ حيث تمسك به أنكره أصلاً مع أنه من المتواترات، وكذا قوله ﷺ من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية، فإنه في كتب الأحاديث أظهر من الشمس وهو قد أنكره وهكذا وتفصيل الكلام في هذا الباب يحتاج إلى تأليف مستقل.

الفصل الرابع في غيبته: إعلم أنّ له ﷺ غَيْبَتَيْنِ أَحَدَاهُمَا الصُّغْرَى وَالْأُخْرَى الْكُبْرَى فَالْكَلام يَقَعُ فِي مَقَامَيْنِ.

### المقام الأول في الغيبة الصغرى:

وهي امتدت إلى سنة (٣٢٩) سنة موت أبي الحسن عليّ ابن محمّد السَّمْرِي الَّذِي ختم به النِّيابة الخاصّة وأنقطعت بِمَوْتِهِ السَّفارة فكانت مُدَّتْهَا (٧٤) سنة على أن يكون أولها سنة ولادة الحجّة ﷺ (و - ٦٩ سنة) إن كان مَبْدئُهَا سنة وفاة أبيه ﷺ أعني سنة (٢٦٠ هـ) وفي هذه المدة كانت السُّفراء هم الوسائط بينه ﷺ وبين شيعته ويصل إليه وُكلائه وبعض الخواصّ من الشيعة ويصدر منه التّوقيعات إلى بعض الخواصّ وأمّا السُّفراء الَّذين كانوا في زمان غيبته الصُّغْرَى وسائط بين الشيعة وبين القائم ﷺ فكانوا أربعة:

**أولهم:** هو الشيخ الموثوق به أبو عمرو عثمان ابن سعيد العُمَرِي وكان أسدياً وإنّما سُمِّي العُمَرِي لما رواه أبو نصر هبة الله ابن محمّد ابن أحمد الكاتب ابن بنت أبي جعفر العُمَرِي قال أبو نصر كان أسدياً فَنَسبَ إلى جَدِّهِ فُقَيْلِ العُمَرِي وقد قال قوم من الشيعة أنّ أبا محمّد الحسن بن عليّ ﷺ قال لا يَجْمَعُ عليّ إمراء ابن عثمان وأبو عمرو وأمر بِكسر كُنية فُقَيْلِ العُمَرِي ويُقال له العسْكَرِي أيضاً لأنّه كان من عَسْكَرِ سِرِّ مَنْ رَأَى وَيُقَالُ لَهُ السَّمَانُ لأنّه كان يَتَجَرَّ فِي السَّمَنِ.

وعن أحمد بن إسحاق القُمِّي قال دخلتُ عليّ أبي الحسن عليّ بن محمّد ﷺ فِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ فَقُلْتُ يَا سَيِّدِي أَنَا أَغِيْبُ وَأَشْهَدُ وَلَا يَتَهَيَّأُ لِي الْوَصُولُ إِلَيْكَ إِذَا شَهِدْتُ فِي كُلِّ وَقْتٍ فَقَوْلُ مَنْ تَقَبَّلَ وَأَمْرٌ مَنْ نَمَثَّلَ فَقَالَ لِي ﷺ هَذَا أَبُو عَمْرٍو الْبَيْتَةُ الْأَمِينُ مَا قَالَ لَكُمْ فَعَنِّي يَقُولُهُ وَمَا أَذَاهُ إِلَيْكُمْ فَعَنِّي يُؤَدِّيهِ فَلَمَّا مَضَى أَبُو الْحَسَنِ ﷺ وَصَلْتُ إِلَى أَبِي مُحَمَّدٍ ابْنِهِ الْحَسَنِ صَاحِبِ الْعَسْكَرِي ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ فَقُلْتُ لَهُ ﷺ مِثْلَ قَوْلِي لِأَبِيهِ فَقَالَ لِي هَذَا أَبُو عَمْرٍو الْبَيْتَةُ الْأَمِينُ بَيْتَةُ الْمَاضِي وَبَيْتِي فِي الْمَحْيَى وَالْمَمَاتِ مَا قَالَ لَكُمْ فَعَنِّي يَقُولُهُ وَمَا أَذَى إِلَيْكُمْ فَعَنِّي يُؤَدِّيهِ.

وكيف كان فالرجل جليل القدر عظيم المنزلة وكفى في فضله وشرفه مضافاً إلى النصوص الواردة فيه أنه لما مات الحسن ابن علي رضي الله عنهما حضر غسله عثمان ابن سعيد رضي الله عنهما وتولى جميع أمره في تكفينه وتحنيطه وتقبيره أموراً بذلك وكانت توقيعات مولانا صاحب الأمر رضي الله عنه تخرج على يدي عثمان بن سعيد وابنه أبي جعفر محمد بن عثمان إلى شيعته وخواص أبيه أبي محمد رضي الله عنهما بالأمر والنهي والأجوبة عما تسأل الشيعة عنه إذا احتاجت إلى السؤال فيه بالخط الذي كان يخرج في حياة الحسن رضي الله عنه فلم تزل الشيعة مقيمة على عدالتهما حتى توفي عثمان بن سعيد رضي الله عنهما وغسله ابنه أبو جعفر وتولى القيام به وحصل الأمر كله مردوداً إليه وخرج التوقيع الشريف من صاحب الأمر إلى الشيخ أبي جعفر محمد ابن عثمان ابن سعيد رضي الله عنهما في التعزية بأبيه وفي فضل منه.

«إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ»<sup>(١)</sup> تسليماً لأمره ورضاً بفعله عاش أبوك سعيداً ومات سعيداً (حميداً) فرحمه الله وألحقه بأوليائه ومواليه فلم يزل مجتهداً في أمرهم ساعياً فيما يقربه إلى الله عز وجل وإليهم نضر الله وجهه وأقاله عشرته وفي فصل آخر أجزل الله لك الثواب وأحسن لك العزاء وزيت وزينا وأو حشك فراقه وأو حشنا فسرّه الله في منقلبه وكان من كمال سعادته أن رزقه الله ولداً مثلك يخلفه من بعده ويقوم مقامه بأمره ويترحم عليه وأقول الحمد لله الخ.

وثانيهم: ابنه أبو جعفر محمد ابن عثمان ابن سعيد فإنه لما مضى عثمان ابن سعيد قام ابنه هذا مقامه بنص أبي محمد الحسن العسكري رضي الله عنهما ونص أبيه عثمان عليه بأمر القائم رضي الله عنه.

رُوي عن أبي علي بأسناد صحيح أنه سأل أبا محمد الحسن ابن علي بمثل ما سأل أحمد ابن إسحاق المكي بأبي علي أبا الحسن الهادي رضي الله عنهما وقد مضى والمقصود أن أبا علي كما سأل أبا الحسن كذلك سأل أبا محمد رضي الله عنهما فقال رضي الله عنهما



في جوابه العُمري وإبنة ثقتان فما أدّيا إليك فعنّي يُؤذيان وما قال لك فعنّي  
يقولان فأسمع لهما وأطعهما فإنّهما الثّقتان المأمونان فهذا قول الإمامين في  
الأب والإبن الحديث.

وثالثهم: أبو القاسم الحسين ابن روح رحمه الله فأنّه قام مقام محمّد ابن عثمان  
بعده بأمر الإمام صلوات الله عليه.

وقد روي أنّ محمّد ابن عثمان أحضر جماعة من وجوه الشيعة وشيوخها  
فقال لهم إن حدث عليّ حدّث الموت فالأمر إلى أبي القاسم الحسين ابن روح  
التوبختي فقد أمرت أن أجعله في موضعي بعدي فأرجعوا إليه وعوّلوا في  
أموركم عليه.

ورابعهم: أبو الحسن عليّ ابن محمّد السّمري رحمه الله وبه ختم باب السفارة  
والنيابة الخاصّة.

روي في البحار بأسناده عن أبي محمّد الحسن المكتّب قال كنتُ بمدينة  
السلام في السنة التي تُوفي فيها الشيخ أبو الحسن عليّ ابن محمّد السّمري رحمه الله  
بعد ذلك فحضرتة قبل وفاته بأيّام فأخرج إلى الناس توقيعاً نسخته:

بسم الله الرحمن الرّحيم يا عليّ ابن محمّد السّمري أعظم الله أجر إخوانك  
فيك فإنك ميت ما بينك وبين ستّة أيّام فأجمع أمرك ولا تُوصي إلى أحد  
فيقوم مقامك بعد وفاتك فقد وقعت الغيبة التامة فلا ظُهور إلا بعد إذن الله  
تعالى ذكره وذلك بعد طول الأمد وقسوة القلوب وأمتلاء الأرض جوراً  
وسياتي شيعتي من يدّعي المشاهدة ألا فمن ادّعى المشاهدة قبل خروج  
السّفياني والصّيحة فهو كذاب مُفتر ولا حول ولا قوّة إلا بالله العليّ العظيم  
الحديث .

أقول: كلّ ما نقلناه ورويناه في السّفراء فقد نقلناه عن البحار ج ١٣، ص ٩٣.

المقام الثاني في الغيبة الكبرى:

التي لا يعلم أمدّها إلا الله تعالى وأمّا أولها فبعد خروج السّمري عن هذه

الدنيا وموته كما عَلِمَتْ.

**الفصل الخامس في علّة غيبته ﷺ:** أمّا الغيبة الصُّغرى فيمكن أن يكون السِّر فيها هو أنس الشيعة بالغيبة التامة الواقعة بعدها والدليل عليه أنهم: كانوا يعتادون الشيعة باختفاء الإمام عن نظر الناس في الجملة من زمن الإمام أبي الحسن عليّ ابن محمّد الهادي ﷺ فقد نقل عن المسعودي المؤرّخ الكبير في إثبات الوصية أنّه قال ورؤي أنّ أبا الحسن صاحب العسكر احتجّب عن كثير من الشيعة إلا عدد يسير من خواصّه فلما أفضى الأمر إلى أبي محمّد كان يكلم شيعته الخواصّ وغيرهم من وراء السّتر إلا في الأوقات التي يركب فيها إلى دار السُّلطان وأنّ ذلك كان منه ومن أبيه قبله مقدّمة لغيبة صاحب الزّمان ﷺ لتألف الشيعة ذلك ولا ينكروا الغيبة وتجري العادة بالاحتجاب والإستتار إنتهى.

**وأما الغيبة الكبرى:**

**إعلم:** أنّ الكلام فيها تارة في علّتها الواقعية أعني السّبب والحكمة فهي مُختفية علينا قطعاً ولا يُمكن لنا الوصول إلى هذه الحقيقة التي هي سِر من أسرار الله تعالى وقد روي عن أنمتنا: أنّ وجه الحكمة في غيبته لا ينكشف إلا بعد ظهوره وأنّه سِر من أسرار الله.

وروى الصدوق في كمال الدّين بأسناده عن عبد الله ابن الفضل الهاشمي قال: سمعتُ الصادق جعفر ابن محمّد ﷺ يقول: إنّ لصاحب هذا الأمر غيبة لا بدّ منها يرتاب فيها كلّ مُبطل قلت: ولم جعلتُ فذاك؟ قال: لأمر لا يؤذن لنا في كشفه لكم قلت: فما وجه الحكمة في غيبته؟ قال ﷺ: وجه الحكمة في غيبته وجه الحكمة في غيبات من تقدّمه من حجج الله تعالى ذكره أنّ وجه الحكمة في ذلك لا ينكشف إلا بعد ظهوره كما لم ينكشف وجه الحكمة فيما أتاه الخضر ﷺ من خرق السفينة وقتل الغلام وإقامة الجدار لموسى ﷺ إلى وقت إفتراقهما إنتهى «ص ٤٨٢»...

ثمّ قال ﷺ يا ابن الفضل إنّ هذا الأمر أمر من أمر الله تعالى وسِر من سيره

وَعَبَّابٌ مَنْ غَابَ عَنْ عَيْنَيْهِ وَغَابَ عَنْ عِلْمِهِ وَأَنَّهُ عَزَّ وَجَلَّ حَكِيمٌ صَدَقْنَا بِأَنَّ أَعْمَالَ كَلِّهَا  
حِكْمَةٌ وَإِنْ كَانَ وَجْهًا غَيْرَ مُنْكَشَفٍ إِنْتَهَى...

وَرُوي فِيهِ أَيْضًا بِأَسْنَادِهِ عَنْ يَعْقُوبَ، إِسْحَاقَ بْنِ يَعْقُوبَ الْكَلِينِي عَنْ  
صَاحِبِ الزَّمَانِ عليه السلام فِي آخِرِ التَّوْقِيعِ الْوَاردِ فِي جَوَابِ كِتَابِهِ الَّذِي سَأَلَ مُحَمَّدَ  
بْنَ عَثْمَانَ الْعُمَرِي أَنْ يُوصِلَ إِلَيْهِ (عج).

أَمَّا عِلْمٌ مَا وَقَعَ مِنَ الْغَيْبَةِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا  
تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِنْ تُبَدِّلَكُمْ سُدُوكُمْ﴾ <sup>(١)</sup> أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ مِنْ آبَائِي: إِلَّا وَقَدْ  
وَقَعَتْ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ لَطَاغِيَةٌ زَمَانُهُ وَأَتَى أَخْرَجَ حِينَ أَخْرَجَ وَلَا بَيْعَةَ لِأَحَدٍ مِنَ  
الطَّوَاغِيتِ فِي عُنُقِي وَأَمَّا وَجْهَ الْإِنْتِفَاعِ بِي فِي غَيْبَتِي فَكَالْإِنْتِفَاعِ بِالشَّمْسِ إِذَا  
غَيَّبَتْهَا عَنِ الْأَبْصَارِ السَّحَابُ وَأَنِّي لِأَمَانَ لِأَهْلِ الْأَرْضِ كَمَا أَنَّ النُّجُومَ أَمَانَ  
لِأَهْلِ السَّمَاءِ فَأَغْلَقُوا أَبْوَابَ السُّؤَالِ عَمَّا لَا يُعْنِيكُمْ وَلَا تَتَكَلَّفُوا عَمَّا قَدْ كَفَيْتُمْ  
وَأَكْثَرُوا الدُّعَاءَ بِتَعْجِيلِ الْفَرَجِ فَإِنَّ ذَلِكَ فَرَجَكُمْ وَالسَّلَامَ عَلَيْكَ يَا إِسْحَاقَ بْنَ  
يَعْقُوبَ الْكَلِينِي وَعَلَى مَنْ إِتَّبَعَ الْهُدَى إِنْتَهَى «مُنْتَخَبُ الْأَثَرِ ص ٢٦٧»...

وَالْأَخْبَارُ بِهَذَا الْمَضَامِينِ كَثِيرَةٌ وَأَمَّا الْعِلَّةُ الظَّاهِرِيَّةُ أَعْنِي الْفَوَائِدَ الْمُتَرْتِبَةَ  
عَلَى الْغَيْبَةِ بِحَسَبِ عَقُولِنَا النَّاقِصَةِ وَأَفْهَامِنَا الْقَاصِرَةِ.

فَمِنْهَا: إِمْتِحَانُ الْعِبَادِ بِغَيْبَتِهِ عليه السلام وَإِخْتِبَارُ مَرْتَبَةِ تَسْلِيمِهِمْ وَمَعْرِفَتِهِمْ وَإِيمَانِهِمْ  
بِمَا أَوْحَاهُ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وَقَدْ جَرَتْ سُنَّةُ اللَّهِ بِإِمْتِحَانِ عِبَادِهِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿أَحْسِبِ النَّاسَ أَنْ يَتَرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ <sup>(٢)</sup>

و: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ﴾ <sup>(٣)</sup>

و: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ <sup>(٤)</sup> وَغَيْرَهَا مِنَ

الآيَاتِ.

وَيَسْتَفَادُ مِنَ الْأَخْبَارِ أَنَّ الْإِمْتِحَانَ بِغَيْبَةِ الْمَهْدِيِّ مِنْ أَشَدِّ الْإِمْتِحَانَاتِ وَأَنَّ

الْمُتَمَسِّكُ فِيهَا بِغَيْبَتِهِ كَالْخَارِطِ لِلْقِتَادِ مِضَافاً إِلَى أَنْ فِي التَّصْدِيقِ وَعَقْدِ الْقَلْبِ  
وَالِإِلْتِمَامِ وَالِإِيمَانِ بِمَا أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ مِنَ الْأُمُورِ الْغَيْبِيَّةِ إِمْتِحَانٌ وَارْتِيَاشٌ  
خَاصٌّ وَثَمَرَةٌ لِصَفَاءِ الْبَاطِنِ وَقُوَّةِ التَّوَدُّدِ بِدِينِ اللَّهِ.

رَوَى الشَّيْخُ ﷺ فِي غَيْبَتِهِ بِأَسْنَادِهِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مَنْصُورٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: كُنَّا  
عِنْدَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ﷺ جَمَاعَةٌ نَتَحَدَّثُ فَأَلْتَفَتَ إِلَيْنَا فَقَالَ: فِي أَيِّ شَيْءٍ أَنْتُمْ؟ أَيِّهَاتِ  
أَيِّهَاتِ لَا وَاللَّهِ لَا يَكُونُ مَا تَمْدُونَ إِلَيْهِ أَعْيُنُكُمْ حَتَّى تُغْرِبُوا، لَا وَاللَّهِ لَا يَكُونُ مَا  
تَمْدُونَ إِلَيْهِ أَعْيُنُكُمْ حَتَّى تُمَيِّزُوا، لَا وَاللَّهِ لَا يَكُونُ مَا تَمْدُونَ إِلَيْهِ أَعْيُنُكُمْ إِلَّا بَعْدَ  
أَيَّاسٍ، لَا وَاللَّهِ لَا يَكُونُ مَا تَمْدُونَ إِلَيْهِ أَعْيُنُكُمْ حَتَّى يَشْقِيَ مَنْ شَقِيَ وَيَسْعُدَ مَنْ  
سَعَدَ أَنْتَهَى «مَنْتَخَبُ الْأَثَرِ ص ٣١٤»...

وَمِنْهَا - عَنْ جَابِرِ الْجَعْفِيِّ قَالَ قَلْتُ لِأَبِي جَعْفَرٍ ﷺ مَتَى يَكُونُ فَرَجُكُمْ؟  
فَقَالَ: هِيَهَاتَ هِيَهَاتَ لَا يَكُونُ فَرَجُنَا حَتَّى تُغْرِبُوا ثُمَّ تُغْرِبُوا يَقُولُهَا ثَلَاثًا  
حَتَّى يَذْهَبَ اللَّهُ تَعَالَى الْكَدْرَ وَيَبْقَى الصَّفْوُ أَنْتَهَى «مَنْتَخَبُ الْأَثَرِ ص ٣١٥»...  
وَمِنْهَا - بِأَسْنَادِهِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي نَصْرٍ قَالَ قَالَ أَبُو الْحَسَنِ ﷺ أَمَا وَاللَّهِ لَا  
يَكُونُ الَّذِي تَمْدُونَ إِلَيْهِ أَعْيُنُكُمْ حَتَّى يُمَيِّزُوا وَلَا تُمَحَّصُوا حَتَّى لَا يَبْقَى مِنْكُمْ  
إِلَّا الْأَنْدَرُ ثُمَّ تَلَى، «أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ»<sup>(١)</sup>  
وغيرها من الأخبار.

وَمِنْهَا: إِنْتِظَارُ كِمَالِ إِسْتِعْدَادِ النَّاسِ لظهوره فَإِنَّ ظَهْرَهُ لَيْسَ كظهور غيره من  
الأنبياء والحجج وليس مُسَبِّباً عَلَى الْأَسْبَابِ الظَّاهِرِيَّةِ وَالْعَادِيَّةِ وَسِيرَتِهِ أَيْضاً  
مُبْنِيَّةٌ عَلَى الْحَقَائِقِ وَالْحُكْمِ بِالْوَاقِعِيَّاتِ وَرَفْضِ التَّفِيمَةِ وَالتَّسَامُحِ فِي الْأُمُورِ  
الدينيَّةِ فَهُوَ ﷺ شَدِيدٌ عَلَى الْعَمَالِ شَدِيدٌ عَلَى أَهْلِ الْمَعَاصِي وَحَصُولُ هَذِهِ  
الْأُمُورِ مَحْتَاجٌ إِلَى حَصُولِ إِسْتِعْدَادٍ خَاصٍّ لِلْعَالَمِ وَرِقَاءِ الْبَشَرِ فِي نَاحِيَةِ الْعُلُومِ  
وَالْمَعَارِفِ وَفِي نَاحِيَةِ الْفِكْرِ وَالْأَخْلَاقِ حَتَّى يَسْتَعِدَّ لِقَبُولِ تَعْلِيمَاتِهِ الْعَالِيَّةِ.  
وَمِنْهَا: خَوْفُهُ عَنِ الْقَتْلِ وَذَلِكَ كَمَا قَتَلُوا آبَاءَهُ وَقَدْ وَرَدَتْ الْأَخْبَارُ بِهِ أَيْضاً.

روى النعماني في غيبته، بأسناده عن زرارة قال سمعت أبا جعفر يقول  
إنَّ للقائم عليه السلام غيبة ويجرده أهله قلت: ولم ذلك؟ قال: يخاف وأوماً بيده إلى  
بطنه انتهى» (ص ١٧٦)...

وروى أيضاً بأسناده عن عبد الملك ابن أعين قال سمعت أبا جعفر عليه السلام  
يقول: إنَّ للقائم غيبة قبل أن يقوم قلت: ولم؟ قال: يخاف وأوماً بيده إلى بطنه  
يعني القتل انتهى» (ص ١٧٧)...

وأسناده عن زرارة قال سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول إنَّ للغلام غيبة قبل أن  
يقوم وهو المطلوب ترائه قلت: ولم ذلك؟ قال: يخاف وأوماً بيده إلى بطنه  
يعني القتل انتهى» (ص ١٧٧) وغيرها من الأخبار.

وعن الشيخ عليه السلام في كتاب غيبته أنه قال لا علة تمنع من ظهوره عليه السلام إلا خوفه  
على نفسه من القتل لأنه لو كان غير ذلك لما ساغ له الإستتار وكان يتحمّل  
المشاق والأذى فإنَّ منازل الأئمة وكذلك الأنبياء إنما تعظم لتحملهم المشاق  
العظيمة في ذات الله ثمَّ قال عليه السلام:

فإنَّ قيل هَلَّا منع الله من قتله بما يحوّل بينه وبين من يريد قتله.  
قلنا المنع الذي لا ينافي التكليف هو النهي عن خلافه والأمر بوجوب  
إتباعه ونصرتة وإلزام الإنقياد له وكلّ ذلك فعله تعالى وأما الحيلولة بينهم وبينه  
فإنَّه ينافي التكليف وينتقض الغرض لأنَّ الغرض بالتكليف إستحقاق الثواب  
والحيلولة تنافي ذلك وريّما كان في الحيلولة والمنع من قتله بالقهر مفسدة  
للخلق فلا يحسن من الله فعلها انتهى.

أقول: ما ذكره عليه السلام في وجه الغيبة لا بأس به فإنَّ الأمر كما ذكره والحيلولة  
تنافي الأسباب الظاهرية التي عليها مدار عالم الأسباب ولأجل هذا لم تكن بين  
الأنبياء والأوصياء وبين الخلق وهو ظاهر فهذه الوجوه الثلاثة وغيرها ممّا لا  
تصل إليه أفهامنا القاصرة قد أوجبت غيبته عليه السلام وكيف كان لا إشكال فيها بعد  
العلم بكونها موافقة للمصالح الخفية وأما علمنا بها فلا يشرط في صحّة غيبته

بل لا دخل له فيها فوجوده ﷺ لطف وتصرفه لطف وآخر وعدمه منا ولنعم ما قيل فيه ﷺ:

إمام الهدى حتى متى أنت غائب  
تراثت لنا رايات جيشك قادماً  
وبشرت الدنيا بذلك فإعتدت  
مللنا وطال الإنتظار فجد لنا  
فعجل ظهوراً كي نراك فذدة  
فمن علينا يا أبانا بأوية  
فضاحت لنا منها روايح مسكة  
مضرة عن مصرة  
برأيك يا قطب الوجود بلفتة  
المحب لقي محبوبه بعد غيبة

وأما علائم ظهوره ﷺ وما يتعلق به بعده فمذكور في الكتب الموضوعه لها  
وحيث إن العلماء رضوان الله عليهم أجمعين قد صنّفوا وألفوا في صاحب  
الأمر وغيبته وما يتعلق بها كتباً مفصلة وذكروا فيها ما تشتهيهِ الأنفس وتلذّ  
الأعين كالمجلد الثالث عشر من البحار، وكمال الدين الصدوق، والغيبة  
للنعماني، والغيبة للشيخ ﷺ، ومنتخب الأثر، وكفاية الأثر وغيرها من الكتب  
المدوّنة، بالعربيّة والفارسيّة فلنختم الكلام في الباب ولنرجع إلى ما هو  
المقصود من هذا الكتاب وأرجوا من الله تعالى أن يجعلنا من أعوانه ﷺ  
والضارة بحق محمد وآله وأقول لمولاي صاحب الأمر متضرّعا:

بجدكم خير الوري وأبيكم  
ولولاكم لم يخلق الله خلقه  
ومن أجلكم أنشأ الإله لخلقه  
تجلّون عن شبه من الناس كلهم  
إذا مسنا ضرر دعونا إلهنا  
وإن دهمتنا غمة أو ملامة  
وإن عارضتنا خيفة من ذنوبنا  
وأنتم لنا نعم التجارة لم يكن  
ونعلم أن لو لم ندين بولائكم  
هديننا إلى سبل النجاة وأنقذنا  
ولا كانت الدنيا الغرور ولا كنا  
سماء وأرضاً وإبتلى الإنس والجنا  
بشانكم الأعلى وقدركم الأسنى  
بموضعكم منه فيكشفه عنا  
جعلناكم منها ومن غيرها حصنا  
براة لنا منها شفاعتكم أمنا  
خساراً علينا في ولاكم ولا غبنا  
لما قبلت أعمالنا أبداً منا

وقال الميبدى:

ولاية مهدي يقوم ويعدل  
وبويع منهم من يلد وَيَهْزَل  
ولا عنده جد ولا هو يعقل  
وبالحق يأتكم وبالحق يعمل  
فلا تخذلوه يا بني وعجلوا

بني إذا ما جاشت الترك فانتظر  
وذل ملوك الأرض من آل هاشم  
صبي من الصبيان لا رأي عنده  
فثم يقوم القائم الحق فيكم  
سمي نبي الله نفسي فداءه

الفصل الثاني منها: قوله عليه السلام: كأتي قد نعق بالشام إلى آخر كلامه أنه ما المراد

به فإن الشراح قد اختلفوا فيه على ما مر فنقول ظاهر الأمر أنه إشارة إلى خروج السفيناني كما استظهره المجلسي رحمته الله وتبعه عليه الخوئي لا ما ذكره المعتزلي من أنه عليه السلام أراد به عبد الملك ابن مروان والعجب أن الشراح البحراني أيضاً وافقه مع أن هذا بعيد عن سياق الكلام وذلك لأنه عليه السلام تكلم قبل هذا الفصل في أوصاف المهدي عليه السلام وأنه يعطف الهوى على الهدى إلى آخر مقالته فإنه مناسبة بعد الفصل المذكور لهذا الفصل وبعبارة أخرى لا نسبة بين خروج المهدي عليه السلام في آخر الزمان وخروج عبد الملك في صدر الإسلام بالشام بل المناسب بعد الإشارة إلى ظهور المهدي الإشارة بالعلامم الموجودة قبله ومن أعظمها خروج السفيناني كما دلت عليه الأخبار والحاصل أنه لا شك لنا بعد هذه القرينة الحالية أو المقالة أن المراد به السفيناني لا غيره إذ هو المناسب لظهور الحجة فإنه من الأمر المحتوم الذي لا بد له.

فعن الإرشاد بإسناده عن أبي حمزة الثمالي قال قلت لأبي جعفر عليه السلام:

خروج السفيناني من المحتوم؟ قال: نعم الحديث...

وعن كمال الدين بإسناده عن المعلى بن الخنيس عن الصادق عليه السلام قال إن

أمر السفيناني من المحتوم وخروجه في رجب انتهى...

وعن مجمع البيان عن حذيفة أن النبي صلى الله عليه وآله ذكر فتنة تكون بين أهل

المشرق والمغرب، قال فبيننا هم كذلك يخرج عليهم السفيناني من الوادي

اليابس في فور ذلك حتى ينزل دمشق الحديث...

وعن كمال الدين بإسناده عن البجلي قال: فقال وما تصنع بإسمه؟ إذا ملك كور الشّام الخمس: دمشق، وحمص، وفلسطين، والأردن، وقنسرين الحديث. الأحاديث منقولة عن منتخب الأثر «ص ٤٥٦ و ٤٥٧»...  
إذا عرفت هذا أعني خروج السفّياني وأنه من الأمر المحتوم.  
فإعلم: أنّ قوله عليه السلام: كأنّي قد نَعَقَ بالشّام إشارة إلى خروجه منه ويدلّ الأثر عليه.

قال النّعماني في الغيبة بإسناده عن المغيرة ابن سعيد عن أبي جعفر الباقر عليه السلام أنّه قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: وإذا اختلف الرّمحان بالشّام لم تنجل إلا عن آية من آيات الله قيل: وما هي يا أمير المؤمنين؟ قال: رَجَفَةٌ تكون بالشّام يهلك فيها أكثر من مائة ألف يجعلها الله رحمة للمؤمنين وعذاباً على الكافرين فإذا كان ذلك فأنظروا إلى أصحاب البراذين الشّهب المَحذوفة والزّايات الصّفر تقبل من المغرب حتى تحلّ بالشّام وذلك عند الجزع الأكبر والموت الأحمر الحديث «ص ٣٠٥»...

وقوله عليه السلام: وفحص براياته في ضواحي كوفان الخ. إشارة إلى أنّه يدخل كوفان ويدلّ عليه.

ما رواه في البحار عن حذيفة أنّ النّبي صلى الله عليه وآله ذكر فتنة تكون بين أهل المشرق والمغرب قال فبينما هم كذلك يخرج عليهم السفّياني إلى أن قال حتى ينزلوا بأرض بابل من المدينة الملعونة يعني بغداد فيقتلون أكثر من ثلاثة آلاف ويفضحون أكثر من مائة امرأة ويقتلون ثلث مائة كبش من بني العبّاس ثمّ ينحدرون إلى الكوفة فيخربون ما حولها ثمّ يخرجون متوجّهين إلى الشّام الحديث «بحار الأنوار ج ١٣ ص ١٥١»...

وفي قوله عليه السلام: فالزموا السنن القائمة إلى آخر ما قال عليه السلام.

إشارة إلى لزوم الأخذ بالسنن القائمة في الدّين والنّهج والواضح من الشّرع



المبين في عصر الغيبة والإجتنا ب عن الشيطان ومتابعته فاته للإنسان عدو  
مبين فعلم مما ذكرناه أن الفصل لا ربط له بعبد الملك ابن مروان وخروجه من  
الشام كما إلتزم به الشارح المعتزلي والحمد لله رب العالمين.

## ﴿ وَمَنْ كَلَامَ لَهُ ﴾ (١٣٩)

□ قوله ﴿لَنْ يُسْرِعَ أَحَدٌ قَبْلِي إِلَّا أَنْ تَرَوْا هَذَا الْأَمْرَ مِنْ بَعْدِ هَذَا الْيَوْمِ تُنْتَضَى فِيهِ السُّيُوفُ وَتُخَانَ فِيهِ الْعُهُودُ حَتَّى يَكُونَ بَعْضُكُمْ أُمَّةً لِأَهْلِ الضَّلَالَةِ وَشِيعَةً لِأَهْلِ الْجَهَالَةِ﴾

### ◀ اللّغة

(العائدة) المعروف (وَعُوا) الواء للعطف وكلمة (عُوا) بضم العين جمع (ع) من وعي يعي (تُنْتَضَى) أي تخرج.

### ◀ المعنى

(لَنْ يُسْرِعَ أَحَدٌ قَبْلِي إِلَّا أَنْ تَرَوْا هَذَا الْأَمْرَ مِنْ بَعْدِ هَذَا الْيَوْمِ) أي لن يبادر أحد قبلي إليها (وَصِلَةَ رَجِمٍ وَعَائِدَةٍ كَرَمٍ) من المعروف والإحسان والإنعام إلى الغير (فَاسْمَعُوا قَوْلِي وَعُوا) أي إفظوا (مَنْطِقِي) ولا تضيعوه (عَسَى أَنْ تَرَوْا هَذَا الْأَمْرَ) أعني الخلافة (مِنْ بَعْدِ هَذَا الْيَوْمِ تُنْتَضَى) ويخرج (فِيهِ السُّيُوفُ) من أعمادها للوصول إليها (وَتُخَانَ فِيهِ الْعُهُودُ) والمواثيق المؤكدة (حَتَّى يَكُونَ بَعْضُكُمْ أُمَّةً لِأَهْلِ الضَّلَالَةِ) والغواية (وَشِيعَةً لِأَهْلِ الْجَهَالَةِ).

### ◀ الشرح

قالوا في وجه صدور هذا الكلام منه ﷺ أنه ﷺ قاله وقت الشورى بعد قتل عمر وكيف كان فيما ذكره ﷺ تنبيه على إرشاد الغافلين وإيقاظ النائمين كما ستعرفه.

□ قوله ﷺ: لَنْ يُسْرِعُ أَحَدٌ قَبْلِي إِلَى دَعْوَةِ حَقٍّ وَصِلَةٍ رَحِمٍ وَعَائِدَةٍ كَرَمٍ...  
كلمة (لن) لنفي الأبد كقوله تعالى: ﴿لَنْ تَرَانِي يَا مُوسَى﴾، وفيه إيحاء إلى أنه ﷺ كان أسرع من غيره إلى هذه الأمور وهو كذلك لأنه ﷺ كان أول من أسرع في الإيمان بالله وبرسوله لم يسبقه إليه أحد وإذا كان سابقاً في الإيمان الذي هو أصل الخيرات ومنشأ السعادات فلا محاله يكون سابقاً في كل الخيرات من صلة رحم وعائده كرم وغيرهما من وجوه الخير.  
إن قلت - أليس الرسول ﷺ كان أسرع إليها منه فما معنى قوله لن يسرع أحد قبلي.

قلت - يمكن الجواب عنه بوجهين، أحدهما أن المقصود من كلمة (أحد) المسلمون من الخلفاء وغيرهم ممن ادعى الإسراع إليها فكأنه قال أنا أول من آمن واتصف بالخيرات.

وثانيها أن يقال إن الرسول ﷺ خارج عن الموضوع فإن البحث في الإسراع إلى الحق، والرسول ﷺ كان داعياً إليه قال تعالى: ﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ والداعي عبارة عمّن يدعو الناس إلى دعوته فلا يقال له أنه أسرع إليها والمسارع هو المجيب فالذي يجيب دعوة الداعي هو الذي يقال إنه أسرع أو لم يسرع إليها.

ثم إن في قوله ﷺ: دَعْوَةِ حَقٍّ إشارة إلى قوله تعالى حيث قال: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطٍ كَفَّيْنِهِ إِلَى الْمَاءِ﴾ (١)

و: ﴿يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾ (٢)

مفتاح السعادة في شرح نهج البلاغة

و: ﴿وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ﴾<sup>(١)</sup>

وفي قوله ﷺ: وصلة رحم، إشارة إلى قوله تعالى حيث قال: ﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾<sup>(٢)</sup> ومعلوم أن صلة الرحم مما أقره الله بوصولها ونهى عن قطعها وفي قوله ﷺ وعائدة كرم إشارة إلى قوله تعالى: ﴿طَاعَةَ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾<sup>(٣)</sup> ...

والأخبار في صلة الرحم والإتصاف بالمعروف كثيرة وقد مضى بعض منها فلا تغفل.

□ قوله ﷺ: فَاسْمَعُوا قَوْلِي وَعُوا مَنْطِقِي ...

أمرهم ﷺ بالسَّماع وحفظ منطقهم لأن فيه لهم نفع عظيم لو كانوا يعلمون وذلك لأن قول الحق يجب سماعه ثم حفظه للعمل به قال الله تعالى: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾<sup>(٤)</sup> الآية.

وحيث إن السَّماع فقط من غير حفظ الكلام والعمل به لا نفع فيه أردف كلامه ﷺ به وقال وعوا منطقي.

□ قوله ﷺ: عَسَى أَنْ تَرَوْا هَذَا الْأَمْرَ مِنْ بَعْدِ هَذَا الْيَوْمِ تُنْتَضَى فِيهِ السُّيُوفُ وَتُخَانَ فِيهِ الْعُهُودُ ...

أشار ﷺ بكلامه هذا إلى ما وقع من الحروب العظيمة وكثرة القتلى ونقض العهود في الإسلام ففي قوله عسى أن تروا هذا الأمر إلى قوله فيه السيوف إشارة إلى ما وقع في قتل عثمان ثم بعده من الحروب بينه وبين معاوية وبعده ما وقع في عهد مروان وإبنة عبد الملك إلى أن وقعت فتنة بني العباس وهكذا إلى زماننا هذا، فالملك بعد أبي ليلى لمن غلباً.

والسرّ فيما قاله ﷺ هو أن الحكومة إذا خرجت عن محورها الأصلي

ودخلت فيها الآراء والعقائد البشرية المشوبة بالأوهام والخرافات المنبعثة عن  
 الأميال والشهوات فلا محالة تمدّ الأعين إليها وكلُّ يجرّ النار إلى قرصته إذ  
 المفروض أنّه لا أساس لها إلا نفسها بمعنى أنّ الغرض فيها هو نفس الحكومة  
 والسلطة على الناس في أموالهم وأنفسهم من غير توجه فيها إلى ما فيه نفع  
 للناس وإستراحة فالحاكم بهذا المعنى لا يرى إلا شخصه ولا يتوجّه إلا إلى  
 أقربائه وأعدائه وإن شئت توضيح الأمر فنقول الحكومة على قسمين،  
 إستقلالية، وآلية.

أما القسم الأول: أعني الحكومة الإستقلالية فنعني بها الحكومة بما هي هي  
 من غير توجه فيها إلى شئونها ومسؤوليتها العقلية والشرعية والحق أن يعبر عنها  
 بالحكومة الشيطانية فإن الشيطانية فيها يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وفي هذا  
 الحكومة لا يرى الحاكم إلا شخصه ولا يريد فيها إلا السُلطة على الناس  
 وإطاعتهم وإتقيادهم له في جميع الأمور حقاً كانت أو باطلاً والسرّ فيها هو أنّ  
 الحاكم بهذا المعنى أراد نفس الحكومة على الناس لا إرشادهم وإصلاحهم  
 وإحقاق حقوقهم والحاكم كذلك في الحقيقة سارق مُسلّح وقاطع للطريق  
 ومانع عن وصول الناس إلى سعادة الدارين وهو واضح.

وأما القسم الثاني: منها - أعني الحكومة الآلية فالمقصود بها الحكومة التي  
 يرى فيها العدل والإنصاف وإعطاء كلّ ذي حقّ حقه وإنما عبرنا عنها بها  
 لكونها آلة وسبباً للوصول إلى هذه المقاصد العلية في إجراء العدل والأمر  
 بالمعروف والنهي عن المنكر وإستيفاء حقّ المظلوم عن الظالم وبالجملّة  
 إعطاء كلّ ذي حقّ حقه إذ لولاها لما يقدر على إجراء هذه الأمور وهذا هو  
 الحكومة التي فيها لله ولرسوله رضی وللشيطان غضب وسخط والغرض  
 الأصلي من الحكومة ليس إلا هذا ولأجل هذا نقول إنّ الحاكم من الإسلام لا بدّ  
 من أن يكون منصوباً من قبل الشارع المقدّس إذا عرفت هذا فإعلم أنّ الله  
 تبارك وتعالى أمر نبيّه ﷺ بتبليغ ما أنزل إليه منه تعالى في الحاكم على

المسلمين بعده ﷺ فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ (١) فأمثل النبي أمره في غدیر حَمِّ وقال: من كنت مولاه فهذا علي مولاه الخ وبذلك بَلِّغ الحُكْم ونَصَب علياً للخلافة بعده بأمرٍ منه تعالى وبعد ذلك كَمُلَ الدِّين وتَمَّ لقوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ (٢) وبذلك يظهر لنا أن إكمال الدِّين وإتمامه إنما هو بسبب الخليفة والحاكم علي المسلمين بعد الرسول بنَصِّه وجعله إِيَّاهُ ومن هنا يظهر لزوم الحاكم وشرفه في الدِّين كما قال تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ (٣) ومعلوم أن أولي الأمر لا يكون إلا من كان ولايته من قِبَلِ الله تعالى وإلا يَلْزَمُ نَقْضُ الغرض بل الإعانة على الإثم والظلم وقد قال تعالى: ﴿تَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالتَّعَدُّوا نِ وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ (٤)

فرضاية الله تعالى بولاية من كان والياً على الناس من قِبَلِ الشَّيْطَانِ وأتباعه إعانة على الإثم وهو كما ترى وهذا هو الأصل في الحكومة في الإسلام، إلا أنها خرجت عن هذا الأصل بعد النبي ووقعت في مسير آخر فَوَقَعَ ما وَقَعَ وَوَقَعْنَا فيما وَقَعْنَا فلَعَنَهُ اللهُ علي من أسس في الأمة أساس الجور والبدعة فقوله ﷺ عسى أن تروا هذا الأمر الخ إشارة إلى أنكم حيث أخرجتم الحكومة عما جعلها الله تعالى وجعلتموها في غير ما جعلها الله فيه ونصبتُم للحكومة غير ما نصبه الله تعالى لها وأدخلتم آرائكم الفاسدة وأميلكم النفسانية فيها فلا محالة عسى أن تروا هذا الأمر من بعد هذا اليوم كذا وفي كلامه هذا سِرٌّ لا بأس بالإشارة إليه على سبيل الإجمال إذ به يكشف القناع عن المقال.

وهو أن الخلافة الإسلامية على ما أصلناه وأسناها من أنها ليست بتعيين الناس بل لا بُدَّ من جعل الشارِع لها، إذا خَرَجَتْ عن هذا الأصل وخالف الناس من جعله الشارِع حاكماً عليهم كما كان في صدر الإسلام كذلك، فسائر الناس

٢- المائدة- ٣

٤- المائدة- ٢

١- المائدة- ٦٧

٣- النساء- ٥٩

بالتسببة إليها على حد سواء ولا فضل لأحد فيها على غيره لأن المفروض أنه ليس للناس فيها حظ ولا نصيب كائناً من كان إلا بتعيين الشارع وإذا كان كذلك فأبوبكر وعمر وعثمان ومعاوية ويزيد وعبد الملك وهلم جرا كل واحد منهم يدعي ما يدعيه الآخر إذ لا دليل من العقل والنقل على لزوم الإطاعة والإنقياد للحاكم الذي ليس له دخل في الحكومة واقعاً بالنسبة إلى غيره وعليه فكلّ يجرّ النار إلى قرصته فلا محالة يتوسّل كلّ واحد من الناس بالأسباب ويتشبّث بما هو يوصله إلى مقصده وبذلك يلزم الهرج والمرج فتخرج السيوف من الأغماد ويكثر القتلى بين الناس والسبب الأصلي ليس إلا خروجها عن محورها والذنب على الباعث الأول ولهذا ترى أنّ معاوية أراد الخلافة وفعل ما فعل حتّى وصل إليها وهو وعثمان من شجرة واحدة فإذا كان عثمان لائقاً بها فمعاوية مثله وعثمان أيضاً يقول بهذه المقالة بالنسبة إلى عمر وهو بالنسبة إلى أبي بكر وهكذا إلى زماننا هذا فإن حكم الأمثال فيما يجوز وفيما لا يجوز واحد وهذا هو الداهية العظيمة والآفة الكبرى التي أحدثت في صدر الإسلام ثم ضاعت وشاعت في الاجتماع بحيث لا يمكن لنا ولا لغيرنا قلعها وقمعها ولا المخالفة حتّى وصلت النوبة في الحكومة والسلطة إلى الأشرار والأوباش بل الأخباث والأرجاس فيحكمون في الناس بما يشاؤون ويفعلون بهم بما يشتهون في الأموال والنفوس بل في الدين أيضاً فكم من بدعة أبدعوها في ديننا ثمّ أجروها في الناس بالقهر والغلبة ولا يقدر أحد على ردها ومنعها بل ولا على إنكارها فمن قال إنّها مخالفة للعقل والشرع يقتل أو يحبس أو يضرب هذا حالنا في هذه الدنيا مع الظالمين والكلام طويل والعاقل يكتفيه الإشارة.

□ وأما قوله **﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾**: وَتُخَانُ فِيهِ الْعُهُودُ...

فهو أيضاً ممّالا كلام فيه إذ عدم الوفاء بالعهد من شئون الإنحراف ممّن كان

مُنْحَرَفاً عَنِ الْعَقْلِ وَالِدِّينِ وَلَا عَهْدَ لَهُ قَطْعاً أَلَا تَرَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَ الْوَفَاءَ بِالْعَهْدِ مِنْ أَوْصَافِ الْمُؤْمِنِينَ كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾<sup>(١)</sup> إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ فَالرَّاعِي لِلْعَهْدِ هُوَ الْمُؤْمِنُ لَا الْفَاسِقُ وَالْكَافِرُ وَحَيْثُ إِنَّ الْمَفْرُوضَ إِنَّ الْحَاكِمَ لَيْسَ بِأَهْلٍ لِلْحُكُومَةِ لِعَدَمِ لِيَاقَتِهِ وَمَعَ ذَلِكَ قَدْ تَصَدَّى لَهَا ظُلماً فَهُوَ فَاسِقٌ أَوْ كَافِرٌ وَمَنْ كَانَ كَذَلِكَ يَخُونُ الْعَهْدَ قَطْعاً وَلَا فَرْقَ بَيْنَهُمْ فِي الْعُهُودِ الشَّرْعِيَّةِ وَالْعُرْفِيَّةِ فَمَنْ لَا يَفِي بِالْعَهْدِ الشَّرْعِيِّ وَلَا يَخَافُ اللَّهَ لَا يَفِي بِالْعَهْدِ الْعُرْفِيِّ بِطَرِيقِ أَوْلَى.

□ قَوْلُهُ ﷺ: حَتَّى يَكُونَ بَعْضُكُمْ أُمَّةً لِأَهْلِ الضَّلَالَةِ وَشِيعَةً لِأَهْلِ الْجَهَالَةِ...  
 الْأُمَّةُ جَمْعُ الْإِمَامِ وَهُوَ الَّذِي يُؤْتَمُّ بِهِ فِي أَمْرِ الدِّينِ وَالدُّنْيَا أَوْ فِي جِهَةِ الْأَهْوَاءِ وَالْأُمِّيَالِ فَإِنَّ الْإِمَامَ كَمَا يُطْلَقُ عَلَى الْإِمَامِ بِالْحَقِّ كَذَلِكَ يُطْلَقُ عَلَى الْإِمَامِ فِي الْبَاطِلِ فَالنَّبِيُّ ﷺ إِمَامٌ، وَالشَّيْطَانُ أَيْضاً إِمَامٌ إِلَّا أَنَّهُ ﷺ إِمَامٌ أَهْلِ الْهُدَى وَالشَّيْطَانُ إِمَامٌ أَهْلِ الضَّلَالَةِ وَالرَّدَى وَقَدْ اسْتَعْمَلَ الْإِمَامُ فِي الْقُرْآنِ بِالْمَعْنِيَيْنِ الْمَذْكُورَيْنِ.

### فمن الأول:

- قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾<sup>(٢)</sup>  
 وَ: ﴿وَنَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَنَجَعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾<sup>(٣)</sup>  
 وَ: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾<sup>(٤)</sup>  
 وَ: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾<sup>(٥)</sup>  
 وَ: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾<sup>(٦)</sup>  
 وَ: ﴿وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُبِينٍ﴾<sup>(٧)</sup>

٢- الأنبياء- ٧٣

٤- السجدة- ٢٤

٦- البقرة- ١٢٤

١- المؤمنون- ١١٢

٣- القصص- ٥

٥- يس- ١٢

٧- الحجر- ٧٩



ومن الثاني:

قوله تعالى: ﴿فَقَاتِلُوا أُمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ﴾ (١)

و: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾ (٢)

ومن إستعماله في الجامع بين المعنيين قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِسْمِهِمْ﴾ (٣) والشَّيعة بكسر الشين وسكون الياء والعين المفتوحة بعدها أتباع الرجل وأنصاره جمع شيع وشيعاء والشَّيعة الفرقة وتقع على الواحد والإثنين والجمع مذكراً ومؤنثاً قاله في المنجد.

قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ شَيْعَتِهِ لِإِبْرَاهِيمَ﴾ (٤)

و: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شَيْعِ الْأَوَّلِينَ﴾ (٥)

و: ﴿فَاسْتَعَاثَهُ الَّذِي مِنْ شَيْعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ﴾ (٦)

و: ﴿ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شَيْعَةٍ إِيَّاهُمْ أَشَدُّ﴾ (٧)

و: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا﴾ (٨)

فكما أنّ الإمام يطلق تارة على الإمام بالحقّ وأخرى على الباطل فكذلك كلمة الشَّيعة تارة يُطلق على أتباع النبي والوصي وأخرى على أتباع الشيطان من الجن والإنس فشَّيعة عليّ أتباعه وأنصاره وشيعة عمر وأبو بكر وعثمان وغيرهم أتباعهم وأنصارهم باللسان والقلب والعمل إذا عرفت هذا فتقول كلامه ﷺ هذا داخل فيما قبله بدليل (حتى) والمعنى إذا كنتم كذلك أي إن لم تسمعوا قولي ولم يتدبروا فيه فينتهي أمركم بالآخرة إلى الإمامة لأهل الضلالة والمتابعة لأهل الجهالة وفيها هلاك الدنيا والآخرة لأنفسكم وإهلاك الناس الذين صرّتهم عليهم إماما وبعبارة أخرى فيه الهلاك والإهلاك هذا، ورَبِّمَا يظنّ أنّ الألف محذوفة والأصل (أو شبيعة لأهل الجهالة) بناء على ظاهر القضية في

٢- القصص - ٤١

٤- الصافات - ٨٣

٦- القصص - ١٥

٨- القصص - ٤

١- التوبة - ١٢

٣- الإسراء - ٧١

٥- الحجر - ١٠

٧- مريم - ٦٩

العبرة وعليه فالمعنى لا يخلو حالكم من هذين الحالين، الإمامة، والمأمومية، فإن كان الأول فأنتم أئمة لأهل الضلالة وإن كان الثاني فأنتم شيعة لأهل الجهالة فإن الإمام إذا كان ضالاً فهو جاهل والتابع له لا محالة شيعة لأهل الجهالة هذا. وأنا أقول: لا إشكال فيه إلا أن حذف الألف لا دليل عليه والأصل عدمه مضافاً إلى إننا لا نحتاج إليه بل المعنى في صورة الحذف وكون الجملة باقية على واو العاطفة أظهر وأبين فإن الواو للعطف وكلمة (أو) للتخيير، والأول أظهر من الثاني.

ومعنى الجملة في صورة الواو العاطفة المفيدة للجمع هو أن الإنسان إذا كان من أئمة الضلال فهو لا محالة شيعة لهم وللجهال علم به أو لم يعلم شاء أو لم يشأ وذلك لأن الإمام الضال لا يكون ضالاً إلا إذا لم يكن صالحاً للإمامة إذ لو كان صالحاً لها لا يكون من أئمة الضلال بل هو من أئمة الحق وإذا لم يكن صالحاً فبقائه على الإمامة والحكومة إنما هو بسبب الجهال والضلال كما أن حدوث الإمامة له يكون بهم ومعلوم أن أبناء الزمان أعني الأوباش والأراذل منهم لا يختارون في حكوماتهم وإماراتهم إلا من كان موافقاً لهم في أميالهم وآمالهم مجرباً لمقاصدهم وأمنياتهم ولا نعني بالشيعة إلا هذا المعنى فإن الإمام الفاسد لو كان مخالفاً للناس فيها غير تابع لهم في المشتبهات النفسانية لا يمكن له التلبس بالإمامة والحكومة فضلاً عن بقائها له وهذا الذي نقول نراه بالجس والعيان في زماننا هذا فإن أكثر الناس ليس لهم دين ولا إيمان في الحقيقة وإنما يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم وأما أهل الإيمان والفضيلة فهم قليلون جداً والناس إلى أشباههم أميل.

وحاصل الكلام أن الإمام إذا كان غير واجد لشرائط الإمامة فهو إمام للضلال والجهال من جهة أنهم تابعون له في ظاهر الأمر ومأموم لهم بإعتبار أنه تابع لأميلهم وآمالهم فهو بالإعتبار الأول إمام وبالإعتبار الثاني مأموم وشيعة لهم

فالشخص واحد والإعتبار مُتغايِر وإِنما قلنا ذلك لأنَّ الإمام والمأموم لا يبدُّ من  
أن يكون بينهما سَنخِيَّة تامَّة هذا.

## ﴿ وَمَنْ كَلَامَ لَهُ ﴾ (١٤٠)

### فى النهى عن الغيبة

□ قوله ﷺ: وَإِنَّمَا يَنْبَغِي لِأَهْلِ الْعِصْمَةِ وَالْمَصْنُوعِ إِلَيْهِمْ فِى السَّلَامَةِ أَنْ يَرْحَمُوا أَهْلَ الذُّنُوبِ وَالْمَعْصِيَةِ وَيَكُونَ الشُّكْرُ هُوَ الْغَالِبَ عَلَيْهِمْ وَالْحَاجِزَ لَهُمْ عَنْهُمْ فَكَيْفَ بِالْعَائِبِ الَّذِى عَابَ أَخَاهُ وَعَيَّرَهُ بِلُؤَاهِ أَمَّا ذَكَرَ مَوْضِعَ سِتْرِ اللَّهِ عَلَيْهِ مِنْ ذُنُوبِهِ مِمَّا هُوَ أَعْظَمُ مِنَ الذَّنْبِ الَّذِى عَابَهُ بِهِ وَكَيْفَ يَذُمَّهُ بِذَنْبٍ قَدْ رَكِبَ مِثْلَهُ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ رَكِبَ ذَلِكَ الذَّنْبَ بِعَيْنِهِ فَقَدْ عَصَى اللَّهَ فِيمَا سِوَاهُ مِمَّا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ وَأَيْمُ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَكُنْ عَصَاهُ فِى الْكَبِيرِ وَعَصَاهُ فِى الصَّغِيرِ لَجَرَاءَتُهُ عَلَى عَيْبِ النَّاسِ أَكْبَرُ يَا عَبْدَ اللَّهِ لَا تَعْجَلْ فِى عَيْبِ أَحَدٍ بِذَنْبِهِ فَلَعَلَّهُ مَغْفُورٌ لَهُ وَلَا تَأْمَنْ عَلَى نَفْسِكَ صَغِيرَ مَعْصِيَةٍ فَلَعَلَّكَ مُعَذَّبٌ عَلَيْهِ فَلْيَكْفُفْ مَنْ عَلِمَ مِنْكُمْ عَيْبَ غَيْرِهِ لِمَا يَعْلَمُ مِنْ عَيْبِ نَفْسِهِ وَلْيَكُنِ الشُّكْرُ شَاغِلًا لَهُ عَلَى مُعَافَاتِهِ مِمَّا ابْتُلِيَ بِهِ غَيْرُهُ.

◀ اللّغة

(وَالْمَصْنُوعِ) مَنْ صَنَعَ الشَّيْءَ إِذَا فَعَلَهُ (عَيَّرَهُ) التَّعْيِيرُ، اللَّوْمُ (بِلُؤَاهِ) مَا ابْتُلِيَ بِهِ (مُعَافَاتِهِ) عَافَاهُ اللَّهُ مِنَ الْمَكْرُوهِ أَيْ وَهَبَ لَهُ الْعَافِيَةَ مِنَ الْبَلَاءِ.

◀ المعنى

(وَإِنَّمَا يَنْبَغِي) وَيَلِيقُ (لِأَهْلِ الْعِصْمَةِ) أَعْنِي مَنْ عَصَمَهُمُ اللَّهُ عَنِ الْمَعْصِيَةِ (وَالْمَصْنُوعِ إِلَيْهِمْ) أَيِ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بِالسَّلَامَةِ (أَنْ يَرْحَمُوا أَهْلَ الذُّنُوبِ)

وَالْمَعْصِيَّةَ) إِذَا رَأَوْا فِيهِمْ ذَنْبًا وَعَصِيَانًا (وَيَكُونُ الشُّكْرُ) لَهُ تَعَالَى (هُوَ الْغَالِبُ عَلَيْهِمْ) مِنَ الْكُفْرَانِ (وَالْحَاجِزَ) الْمَانِعَ (لَهُمْ) أَي لَأَهْلِ الْعِصْمَةِ (عَنْهُمْ) أَي عَنْ أَهْلِ الْمَعْصِيَةِ (فَكَيْفَ بِالْعَائِبِ الَّذِي عَابَ أَخَاهُ) بِالْعَيْبِ (عَيْرُهُ) أَي عَيْرَ أَخِيهِ وَقَرَعَهُ (يَبْلُوَاهُ) أَي مَا أَبْتَلِي بِهِ (أَمَّا ذَكَرَ) الْعَائِبَ (مَوْضِعَ سِتْرِ اللَّهِ) لَهُ وَأَنَّهُ تَعَالَى سِتْرَ عَيْبِهِ (مِنْ ذُنُوبِهِ) الَّتِي فَعَلَهَا (مِمَّا) أَي مِنَ الذُّنُوبِ الَّتِي (هُوَ أَعْظَمُ) وَأَكْبَرُ (مِنَ الذُّنْبِ الَّذِي عَابَهُ) أَي عَابَ صَاحِبَهُ (بِهِ) أَي بِالذَّنْبِ (وَكَيْفَ يَذُمَّهُ بِذَنْبٍ قَدْ رَكِبَ) هُوَ أَيِ الْعَائِبِ (مِثْلَهُ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ رَكِبَ ذَلِكَ الذَّنْبَ بِعَيْنِهِ) وَشَخْصَهُ (فَقَدْ عَصَى اللَّهَ فِيمَا سِوَاهُ) أَي فِيمَا سِوَى الذَّنْبِ الْمَذْكُورِ (مِمَّا هُوَ أَعْظَمُ) وَأَشَدُّ (مِنْهُ وَأَيْمُ اللَّهِ) وَأَقْسَمَ بِهِ (لَئِنْ لَمْ يَكُنْ عَصَاهُ فِي الْكَبِيرِ) أَي لَمْ يَفْعَلْ مَعْصِيَةَ كَبِيرَةً (وَعَصَاهُ فِي الصَّغِيرِ) مِنَ الْمَعْصِيَةِ (لَجَرَاءِ تَهْ عَلَيَّ عَيْبِ النَّاسِ أَكْبَرُ) لِكَوْنِهِ عِصَاهُ وَالْعَاصِي لَا يَعِيبُ الْعَاصِي (يَا عَبْدَ اللَّهِ لَا تَعْجَلْ) وَلَا تَسْرِعْ (فِي عَيْبِ أَحَدٍ) مِنَ النَّاسِ (بِذَنْبِهِ) الَّذِي فَعَلَهُ (فَلَعَلَّهُ) أَي الذَّنْبَ (مَغْفُورٌ لَهُ) مِنَ اللَّهِ تَعَالَى (وَلَا تَأْمَنْ عَلَيَّ نَفْسِكَ صَغِيرَ مَعْصِيَةٍ) أَي لَا تَكُنْ آمِنًا مِنْ عَذَابِهِ تَعَالَى فِي الْمَعْصِيَةِ الصَّغِيرَةِ (فَلَعَلَّكَ مُعَذَّبٌ عَلَيْهِ) أَي عَلَيَّ الصَّغِيرَةِ (فَلْيَكْفُفْ) وَلِيَمْنَعْ (مَنْ عِلْمَ مِنْكُمْ عَيْبَ غَيْرِهِ لِمَا يَعْلَمُ مِنْ عَيْبِ نَفْسِهِ) أَي وَلِيَمْنَعْ عَنِ الْغَيْبَةِ مَنْ كَانَ كَذَلِكَ (وَلْيَكُنِ الشُّكْرُ شَاغِلًا لَهُ عَلَيَّ مُعَافَاتِهِ) وَعَافِيَةً (مِمَّا ابْتَلَى بِهِ غَيْرُهُ) انتهى.

## ◀ الشرح

إعلم: أن هذا الكلام إنما صدر منه في ذم الغيبة للناس ولا شك أنها من المهلكات العظيمة وقد حكم العقل والشرع بقبحها وذمها كما ستعرف.

□ قوله ﷺ: وَإِنَّمَا يَنْبَغِي لِأَهْلِ الْعِصْمَةِ وَالْمَصْنُوعِ إِلَيْهِمْ فِي السَّلَامَةِ أَنْ يَرْحَمُوا أَهْلَ الذُّنُوبِ وَالْمَعْصِيَةِ...

إعلم: أن الغيبة بكسر الغين وسكون الياء وفتح الباء، مصدر غاب يغيب غياباً وغياباً وغيبة وغيابة وغيوبة فالصحيح فيها كسر الغين، يقال غاب عنه أي

إستتر، وروي بالفتح أيضاً قال في المنجد بعد ذكره ما ذكرنا، غابه غيبة وإغتابه إغتاباً، غابه وذكره بما فيه من السوء وعليه فالحل أن يقال الغيبة بكسر الغين إسم المصدر وبفتحها المصدر، ويؤيده قول اللغويين حيث قالوا: الغيبة، الإغتياب وكيف كان فالأمر سهل بعد وضوح المعنى.

قال الرّاعب في المفردات الغيبة أن يذكر الإنسان غيره بما فيه من عيب من غير أن أحوج إلى ذكره وإثماً قيّد كلامه بقوله من غير أن أحوج إلى ذكره، لأن العيب الموجود في الغير لو كان بحيث لو لم يذكر لا يعرف فذكره لا إشكال فيه لعدم قصد العائب السّتر به كما سيأتي وهي من المحرّمات الشرعيّة والذّنوب الكبيرة وحرمتها قد ثبتت بالأدلة الأربعة، أعني الكتاب والسنة، والإجماع، والعقل .

أما الكتاب:

فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾<sup>(١)</sup>

أما السنة:

قال رسول الله ﷺ: إن أكثر خطايا ابن آدم في لسانه ومن كفّ لسانه ستر الله عورته انتهى «مشكاة الأنوار ص ١٧٤»...

وقال ﷺ: من إغتاب مؤمناً بما فيه لم يجمع بينهما في الجنة أبداً ومن إغتاب مؤمناً بما ليس فيه إنقطعت العصمة بينهما وكان المغتاب في النار خالداً فيها وبئس المصير انتهى «مشكاة الأنوار ص ١٧٤»...

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: كذب من زعم أنه ولد حلال (من حلال) وهو يأكل لحوم الناس بالغيبة إجتنب الغيبة فإنها إدام كلاب النار انتهى «مشكاة الأنوار ص ١٧٤»...

وقال الصادق عليه السلام: من الغيبة أن تقول في أخيك ما ستره الله عليه وإن من البهتان أن تقول في أخيك ما ليس فيه انتهى «مشكاة الأنوار ص ١٧٤»...

وقال الباقر عليه السلام: ينس العبد عبد يكون ذا وجهين وذا لسانين يطري أخاه شاهداً ويأكله غائباً الحديث انتهى.

وقال الصادق عليه السلام: من لقي الناس بوجه وغابهم بوجه جاء يوم القيمة وله لسانان من نار انتهى «ص ١٧٤»...

وقال عيسى ابن مريم عليه السلام: لا تَغْتَبْ فَتُغْتَبَ وَلَا تَحْفَرْ لِأَخِيكَ حُفْرَةً فَتَقَعْ فِيهَا فَإِنَّكَ كَمَا تُدِينُ تُدَانُ انتهى «ص ١٧٤»...

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه انتهى والغيبة تتناول العرض جامع السعادات «ج ٢ ص ٢٩٧»...

وقال عليه السلام: إياكم والغيبة فإن الغيبة أشد من الزنا أن الرجل قد يزني ويتوب فيتوب الله عليه وإن صاحب الغيبة لا يغفر له حتى يغفر له صاحبه انتهى «ص ٢٩٧»...

وقال عليه السلام: مررت ليلة أسري بي على قوم يخمشون وجوههم بأظافرهم فقلت يا جبرئيل من هؤلاء قال: الذين يغتابون الناس ويقعون في أعراضهم انتهى «ص ٢٩٧»...

وخطب عليه السلام يوماً: يا معشر من آمن بلسانه ولم يؤمن بقلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فإن من تتبع عورة أخيه يتبع الله عورته حتى يفضحه في جوف بيته انتهى «ص ٢٩٨»....

وأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام: من مات تائباً من الغيبة فهو آخر من يدخل الجنة ومن مات مُصِيراً عليها فهو أول من يدخل النار انتهى «ص ٢٩٨»....

وقال عليه السلام: ومن مشى في غيبة أخيه وكشف عورته كانت أول خطوة خطاها وضعها في جهنم وكشف الله عورته على رؤوس الخلائق ومن

إغتاب مُسْلِماً بطل صومه ونَقَضَ وضُوءه فَإِنَّ مات وهو كذلك مات وهو مُسْتَجِلٌّ لَمَّا حرم الله انتهى» ص ٢٩٩... والأحاديث فيها من الطرفين أكثر من أن تعدّ.

### وأما الإجماع:

فلا إشكال في ثبوته عند الكلّ وليس أحد من علماء الإسلام على اختلاف فرقهم ومللهم إلا وهو قال أو يقول بدم الغيبة وحرمتها في الإسلام ولم نر في هذا الحكم مخالفاً قطّ وقد أجمعوا على حرمتها ولا نعني بالإجماع إلا إتفاق الكلّ بل قلماً يوجد إجماع كهذا الإجماع فإن حرمتها من الضروريات.

### وأما العقل فلوجوه:

أحدها: إن العقل يحكم حكماً قطعياً بقبح الغيبة وذمها بل لا يبعد القول بأن قبحها من المستقلات العقلية ولذلك لا ترى أحداً يقول بحسنها وما كان كذلك يجب الإحراز عنه فالغيبة يجب الإحراز عنها.

وثانيها: إنها توجب إيذاء المؤمن والعقل يحكم بأن إيذاء الغير مذموم فالغيبة مذمومة.

وثالثها: إنها توجب إفشاء العيب في المغتاب وهو أمر مذموم عقلاً كما أن ستر العيب ممدوح ولأجله يوصف الله بالستارية ويقال يا ستار العيوب.

ورابعها: إنها توجب العداوة والبغضاء بين المسلمين وهي تنافي الأخوة والمحبة قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾<sup>(١)</sup> وقال: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا﴾<sup>(٢)</sup> وإنما قلنا إنها توجب العداوة لأن الإنسان في الغيبة يريد ذم الآخر وقدحه ومعلوم أنه خلاف مذاق الكلّ فلا محالة يصير المغتاب عنه عدواً للمغتاب وهذا المعنى لا يساعده العقل.

وخامسها: إن الإنسان بسببها يدخل في عرض غيره وهو مذموم عقلاً فهذه الجهات العقلية المذكورة وغيرها مما لم نذكره خوفاً عن الأطناب، العقل



يحكم بقبحها وذمها وهو المطلوب وبعد ما عرفت وحرمتها بالأدلة الأربعة من الكتاب والسنة والإجماع والعقل فاعلم أن الكلام فيها في فصول.

### الفصل الأول في بيان حدّها ومعناها:

قال بعض العلماء في حدّ الغيبة، الغيبة أن تذكر أخاك بما يكرهه لو بلغه سواء ذكرته بنقص في بدنه أو نسبه أو في خلقه أو في فعله أو في قوله أو في دنياه أو في دينه حتى في ثوبه وداره ودابته، أما البدن فذكر العَمَش (ضعف البصر) والْحَوْل (الأحول) والقرع (من لا شعر له) والعقر والطول والسواد والصفرة وجميع ما يتصوّر أن يوصف به ممّا يكرهه كيفما كان.

وأما النسب: فبأن تقول أبوه نبطيّ أو هنديّ أو فاسق أو إسكاف (كفّاش) أو زبال أو شيء ممّا يكرهه.

وأما الخلق: فبأن تقول إنه سيئ الخلق بخيل متكبّر مرء شديد الخلق وما يجري مجراه.

وأما الفعل: فإن كان متعلقاً بالدين فكقولك هو سارق كذاب شارب الخمر ظالم مُتْهَوْن في الواجبات من الصّوم والصّلوة والزّكوة أو إنه لا يحسن الرّكوع والسجود، أو لا يحترز من النّجاسات أو ليس باراً بوالديه وأمثال ذلك وإن كان متعلقاً بدنياه فكقولك إنه قليل الأدب مُتْهَوْن للناس لا يرى لأحد على نفسه حقاً أو إنه كثير الكلام، كثير الأكل وغير ذلك من الأمور الدنيويّة.

وفي ثوبه: فكقولك إنه واسع الكمّ طويل الذيل وسخ الثياب وأمثال ذلك. وفي داره ودابته كقولك إنه ضيق الدار أو وسعيها وأن دابته مريضة أو ضعيفة وغير ذلك انتهى.

أقول: ما ذكره في حدّ الغيبة من أنها أن تذكر أخاك بما يكرهه لو بلغه هو المشهور بين العلماء وبعض الأخبار يؤيده مثل قوله ﷺ وقد سأله أبوذر عن الغيبة، أنها ذكرك أخاك بما يكرهه، وفي نبويّ آخر قال ﷺ أتدرون ما الغيبة قالوا الله ورسوله أعلم قال ﷺ ذكرك أخاك بما يكرهه، وغير ذلك من

الأحاديث وقد نقل الشيخ الأنصاري رحمته في المكاسب بعد ذكره الحدِيثين المذكورين في تعريف الغيبة عن المحقق الكركي رحمته في جامع المقاصد أنه قال إن حقيقة الغيبة على ما في الأخبار أن تقول في أخيك ما يكرهه مما هو فيه انتهى قال الشيخ رحمته المراد بما يكرهه كما تقدّم في عبارة المصنّف ما يكره ظهوره سواء كره وجود كالبرص والجذام أم لا كالميل إلى القبائح.

ثم نقل عن الصحاح أنه قال الغيبة أن يتكلم خلف إنسان مستور بما يغمّه لو سمعه، ثم قال رحمته بل في كلام بعض من قارب عصرنا أن الإجماع والأخبار متطابقان على أن حقيقة الغيبة أن يذكر الغير بما يكره لو سمعه سواء كان بنقص في نفسه أو بدنه أو دينه أو دنياه.

ونقل رحمته عن الشهيد الثاني في كشف الرّيبة أنه قال الغيبة ذكر الإنسان في حال غيبته بما يكره نسبته إليه مما يُعدّ نقصاناً في العُرف بقصد الإنتقاص والذمّ ويخرج على هذا التعريف ما إذا ذكر الشّخص بصفات ظاهرة يكون وجودها نقصاً مع عدم قصد إنتقاصه بذلك مع أنّه داخل في التعريف عند الشهيد؛ أيضاً حيث عدّ من الغيبة ذكر بعض الأشخاص بالصفات المعروفة بها كالأعمش والأعور ونحوهما هذا ما وصل إلينا من كلماتهم في بيان حقيقة الغيبة وقد علمت أنّها تدور مدار تعريفين، أحدهما، ذكر الأخ في دينه ودنياه بما يكرهه لو بلغه، وثانيهما ذلك إذا كان المتكلم قصد به الإنتقاص والآ فلا وهذا التعريف للشّهاد الثاني رحمته على ما نقله الشيخ عنه.

أقول: والذي يقتضيه النظر هو الثاني أعني قول الشهيد رحمته من التقيّد بقصد الإنتقاص وأما القول الأوّل أعني الإطلاق فالإلتزام به مشكل وإن تلقّوه بالقبول.

والدليل على المختار هو أنّ الغيبة إذا فسّرناها بما فسّره المشهور من أنّها ذكر الأخ بما يكرهه مُطلقاً يلزم منه العسر والحرج المنفيان في الشريعة المقدّسة ولا سيّما في التكلم والتعاريف.

مثلاً إذا كان شخص من الأشخاص طويلاً أو قصيراً أو أعمى أو أعرج أو غير ذلك من العيوب الظاهرة في بدنه وجسمه ونريد أن نعرفه للمخاطب وهذا الشخص مشهور بهذه الصفات في العرف وهي ظاهرة فيه فكيف يمكن لنا تعريفه للمخاطب بدون ذكرها والمفروض أنه لا يعرف إلا بها فلو قلنا بمقالتهم لا بد لنا من السكوت أو ذكره بدون الصفة والمفروض أنه عديم النفع أو ذكره موصوفاً بها فنقول مثلاً قل للحسن الطويل أو القصير أو الأعمى وغيرها من غير قصد الانتقاص نعم لو لم يكن مشهوراً بها بحيث يمكن تعريفه وذكره بدونها أو كان مشهوراً بها إلا أنه يعرف بغير ذكر هذه الأوصاف فلا يجوز وصفه بها وعلى ما ذكرناه وحققناه لا فرق بين أن يكرهه إذا سمعه أو لا يكرهه إذ لا دخل في كراهته فيه بعد أن كان مدار التفهيم والتفهم عليه وعدم قصد المتكلم الانتقاص به ومن هذا القبيل كثير في زماننا بل في كل زمان.

هذا كله إذا كان العيب موجوداً في جسمه وبدنه بل كان متعلقاً بدنياه مطلقاً، وأما إذا كان العيب فيه من جهة دينه كالسارق والظالم وشارب الخمر والزاني وغيرها فلا يجوز ذكره إذا لم يكن متظاهراً به كما سيجيء في مسوغات الغيبة وهذا مما لا كلام لنا فيه.

### الفصل الثاني فيما تتحقق به الغيبة:

إعلم: أنه ربما يظن أن الغيبة تنحصر باللسان كما هو المتفاهم من قولهم ذكر الإنسان أخاه بما يكرهه فإن الذكر ظاهر في الذكر اللساني أعني التكلم بما يسوؤه إذا سمعه ولكن الأمر ليس كذلك بل الغيبة كما تتحقق باللسان كذلك تتحقق بكل ما يفهم المخاطب منه نقصان الغير أو بكل ما قصد المتكلم به نقصان الغير سواء كان باللسان أو بالفعل أو بالتعريض أو بالإشارة أو بالكناية وغير ذلك من الأمور الدالة على المراد بأية دلالة كانت.

والسرف فيه، هو أن حرمة الغيبة بسبب اللسان ليست لأجل أن له دخلاً في حرمتها بل لأجل أنه أعني اللسان مُفهماً ومُعرفاً لما يقصده المتكلم من

تنقيص أخيه وإذا كان الملاك في حُرمتها وذَمَّها هو هذا أعني تنقيص الغير على ما إختارناه أو كراهة الغير إذا سمعه فحيث وجد الملاك وجدت الحرمة ولا دخل فيها في أسبابها الموصلة إليها كما يقال مثلاً القتل حرام والقاتل حكمه كذا، فهذا الحكم ثابت له بأيّ نحو صدر القتل منه والحاصل أنّ الحكم مترتب على الموضوع ويدور مداره وجوداً وعدمياً وأما السبب الموصل فلا دخل له في ترتب الحكم وعدمه إذا عرفت هذا فنقول:

الغيبة تارة تتحقّق بالتكلم كما يقال فلان كذا وكذا وأخرى بالإشارة كما إذا اشرت إلى شخص وارتدت تنقيصه، وتارة بالفعل والمحاكاة كمشيية الأعرج وأخرى بالإيماء وقد روي أنّه دخلت امرأة على عائشة فلمّا ولّت أو مأت بيدها أنّها قصيرة فقال رسول الله قد إغتبته.

وكذلك تتحقّق بالكناية والتعريض كان يقول نعوذ بالله من قلة الحياء ونسأله ان يعصمنا منه معرضاً فيه بمن إرتكبه وإتصف به والأمثلة كثيرة والطرق الموصلة إليها متفاوتة.

### الفصل الثالث في المُستمع للغيبة:

والظاهر أنّه احد المُغتائبين قال رسول الله ﷺ المُستمع احد المُغتائبين، وقال عليّ عليه السلام السامع للغيبة احد المُغتائبين رواهما في البحار وروي أنّه عليه السلام لما رجم ماعزاً في الزنى قال رجل لآخر هذا قعص كما يقعص الكلب فمرّ النبي ﷺ معهما بجيفة فقال إنهشا من هذه الجيفة فقالا يا رسول الله ننهش جيفة فقال ﷺ ما أصبتما من اخيكما اتن من هذه، فجمع ﷺ بينهما مع ان احدهما كان قائلاً والآخر مُستمعاً.

قال بعض العلماء في وجه كونه احد المُغتائبين، وهو إمّا لا يسرّ بإستماعها إلا أنّه لا يُنكرها باللسان ولا يكرههما بالقلب او يسرّ ويفرح بإستماعها إلا انّ النفاق والتزهّد حملاه على عدم التصديق وربّما سكت منه رياءً وتزهّداً مع كونه مشتتياً لها بقلبه وغير ذلك من الأمور إنتهى.

والحاصل ان المُستمع لا يخرج عن إثم الغيبة إلا بان ينكرها بلسانه او يقطع الكلام بكلام آخر او يقوم من المجلس وإن لم يقدر على شيء من ذلك فليُنكر بقلبه وإن قال بلسانه أسكت وهو يشتهي بقلبه فذلك نفاق ولا يخرج من الإثم ما لم يكرهه بقلبه ذلك إستحقاقاً للمذكور مع أنه ينبغي ان يذَّب عنه.

قال النبي ﷺ من أدلَّ عنده مؤمنٌ وهو يقدر على ان ينصُرَه فلم ينصُرَه أدلَّه الله يوم القيمة على رؤوس الخلائق وقال ﷺ من ردَّ عن عرض اخيه بالغيب كان حقاً على الله ان يزُدَّ عن عرضه يوم القيمة انتهى...

وقال ﷺ ايضاً من ذبَّ عن عرض اخيه بالغيب كان حقاً على الله ان يعتقه من النار انتهى...

قال ﷺ: من ردَّ عن عرض اخيه كان له حجاباً من النار انتهى...

وقال ﷺ: ما من رجلٍ ذكِرَ عنده اخوه المسلم وهو يستطيع بنصره ولو بكلمة ولم ينصُرَه إلا أدلَّه الله عزَّ وجلَّ في الدنيا والآخرة ومن ذكر عنده اخوه مسلم فنصُرَه ينصُرَه الله في الدنيا والآخرة انتهى...

وقال ﷺ: مَنْ حَمَى عِرْضَ اخِيهِ فِي الدُّنْيَا بَعَثَ اللهُ لَهُ مَلَكاً يَحْمِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ النَّارِ انتهى...

وقال ﷺ: وَمَنْ تَطَوَّلَ عَلَى اخِيهِ فِي غَيْبَةٍ سَمِعَهَا فِيهِ فِي مَجْلِسٍ فَرَدَّهَا عَنْهُ رَدَّ اللهُ عَنْهُ الْفَ بَابٍ مِنَ الشَّرِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَإِنْ هُوَ لَمْ يَزُدَّهَا وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى رَدِّهَا كَانَ عَلَيْهِ كَوْرٌ مِّنْ إِغْتَابِهِ سَبْعِينَ مَرَّةً انتهى...

قال الباقر عليه السلام: من إغْتَيبَ عنده اخوه المؤمن فنصُرَه واعانه نصُرَه الله في الدنيا والآخرة ومن لم ينصُرَه ولم يدفع عنه، وهو يقدر على نصرته وعونه خَفَضَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ انتهى «جامع السعادات ج ٢ ص ٢٩٤ الى ص ٢٩٥»...

والسرُّ في كون المُستمع احد المُغتائبين هو ان الغيبة من المنكرات ودفع المنكر واجب عقلاً وشرعاً في صورة القدرة عليه ومن لم يدفعه وهو قادر

عليه فكأنه اعان الفاعل لِلْمُنْكَرِ ومن اعان الفاعل سواء كان في خيرٍ ام في شرٍ فهو شريكه في المقام كأنَّ المُسْتَمِعَ ايضاً فاعلٌ لِلْمُنْكَرِ وهو اعظم.

وثانياً: السُّكُوتُ مع القُدرة على المَنع يكشف عن رضاه به ومن رَضِيَ بفعل قومٍ فهو مِنْهُمْ.

وثالثاً: سكوت المُسْتَمِعِ مع القُدرة على المَنع يُوجب تَجَرِّي المَغْتَابِ في غيبته كما ان رَدَعَهُ إِيَّاهُ يُوجب إِعْرَاضَهُ عن الغيبة بِالْمَرَّةِ وعليه فَالسَّاكِتُ صار باعثاً بِسُكُوتِهِ إِشَاعَةً الفَحْشَاءِ وإِجْرَاءَ المَغْتَابِ ومن المَعْلُومِ انَّ الباعثَ على إِشَاعَةِ الفَحْشَاءِ ذَنْبُهُ اعْظَمُ واشدُّ من المُبَاشِرِ لها لكونه سَبَباً وَعِلَّةً لها فَتَحْصُلُ ممَّا ذَكَرْنَاهُ انَّ المَسْتَمِعَ احدَ المَغْتَابِيْنَ بل اشدُّ واعظم منه وهو المطلوب.

### الفصل الرَّابِعُ في الاسباب الباعثة على الغيبة:

قال الغزالي في الاحياء اعلم ان البواعث على الغيبة كثيرة يجمعها احد عشر سبباً ثمانية منها تطرد في حق العامة وثلاثة تختص باهل الدين والخاصة. اما الثمانية:

فالأول: تَشْفِي الغيظ وذلك إذا جَرى سبب يغضب به عليه فإنه إذا هاج غضبه يشفي الغيظ بذكر مساوئه فيسبق اللسان إليه بالطبع إن لم يكن ثم دين رادع وقد يمنع عن تَشْفِي الغيظ عند الغضب فيتحقق الغضب في الباطن ويصير حِقْداً ثابتاً ويكون سبباً دائماً لذكر المَسَاوِي فَالحِقْدُ والغضب من البواعث العظيمة عليها.

الثاني: مُوَافَقَةُ الأقران ومجاملة الرِّفقاء ومساعدتهم على الكلام فيرى أنه لو ينكر عليهم نفروا عنه وإستثقلوه فيساعدتهم عليها ويرى ذلك من حُسن المُعَاشِرَةِ والحاصل أنه يُسَاعِدُهُم في السَّرَاءِ والضَّرَاءِ ويخوض معهم في ذكر العيوب والمَسَاوِي.

الثالث: ان يستشعر من إنسان أنه سيقصده ويطول لسانه فيه او يقبح حاله عند مُحْتَشَمٍ او يشهد عليه بشهادة فيبادره قبل ان يُقْبِحَ هو حاله ويطعن فيه

ليسقط اثر شهادته او يبتدئ بذكر ما منه صادقاً ليكذب عليه بعده فيروج كذبه بالصدق الأول ويستشهد به ويقول ما من عادتني الكذب فإني اخبركم بكذا وكذا من احواله فكان كما قلت.

**الرابع:** ان ينسب إلى شيء فيريد ان يتبرأ منه فيذكر الذي فعله وكان من حقه ان يبرئ نفسه ولا يذكر الذي فعله فلا ينسب غيره إليه او يذكر غيره بأنه كان مشاركاً له في العمل ليمهد بذلك عذره.

**الخامس:** إرادة التصنع والمباهاة وهو ان يرفع نفسه بتنقيص غيره فيقول: فلان جاهل، وفهمه ركيك، وكلامه ضعيف، وغرضه ان يثبت في ضمن ذلك فضل نفسه ويريهم انه اعلم منه.

**السادس:** الحسد وهو انه ربما يحسد من يثني الناس عليه ويحبونه ويكرمونه فيريد زوال تلك النعمة عنه فلا يجد سبيلاً إليه إلا بالقدح فيه فيريد ان يسقط ماء وجهه عند الناس حتى يكفوا عن إكرامه والثناء عليه لأنه يثقل عليه ان يسمع ثناء الناس عليه وإكرامهم له، وهذا هو عين الحسد وهو غير الغضب والحقد فإن ذلك يستدعي جنابة من المغضوب عليه، والحسد قد يكون مع الصديق المحسن والقريب الموافق.

**السابع:** اللب والهزل والمطايبة وتزجية الوقت بالضحك، فيذكر عيوب غيره بما يضحك الناس ومنشأ التكبر والتعجب.

**الثامن:** السخرية والإستهزاء إستحقاراً له فإن ذلك قد يجري في الحضور ويجري ايضاً في الغيبة ومنشأ التكبر وإستحقار المُستهزأ به انتهى كلامه في الأمور الثمانية ثم قال:

واما الأسباب الثلاثة التي في الخاصة فهي اغمضها وأدقها لأنها شُرور خبأها الشيطان في معرض الخيرات.

**الأول:** ان ينبعث من الدين داعية التعجب من إنكار المنكر والخطا في الدين فيقول: ما اعجب ما رايت من فلان فإنه قد يكون به صادقاً ويكون

تعجبه من المنكر ولكن كان حقه ان يتعجب ولا يذكر اسمه فيسهل الشيطان عليه ذكر اسمه في اظهار تعجبه فصار به مغتاباً وأثماً من حيث لا يدري ومن ذلك قول الرجل تعجبت من فلان كيف يجلس بين يدي فلان وهو جاهل.

الثاني: الرحمة وهو ان يغتم بسبب ما يبئلي به فيقول: مسكين فلان قد غمني امره وما إبتلى به فيكون صادقاً في إغتمامه ويلهيه الغم عن الحذر عن ذكر اسمه فيذكره فيصير به مغتاباً الخ.

الثالث: الغضب لله تعالى فإنه قد يغضب على منكرٍ فارقه إنسان إذا رآه او سمعه فيظهر غضبه ويذكر اسمه وكان الواجب ان يظهر غضبه عليه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولا يظهر على غيره او يستر اسمه ولا يذكره بالسوء، فهذه الثلاثة مما يغمض دركها على العلماء فضلاً عن العوام فإنهم يظنون ان التعجب والرحمة والغضب إذا كان لله تعالى كان عذراً في ذكر الاسم وهو خطأ.

اقول: هذا ما ذكره الغزالي في الباب وانت ترى انه من مستخرجات نفسه فيمكن ان يزداد عليه او ينقص منه إذ لم يساعد على حصره دليل من العقل والنقل ولو لا خوف الإطالة لزدنا على ما قال أموراً كثيرة فإن اسباب الغيبة لا تنحصر بل تختلف باختلاف الدواعي والأميال والذي يجمع الكل هو عدم المبالاة في الدين او قلتها الذي يحصل للإنسان بسبب غلبة الهواء على العقل.

#### الفصل الخامس. في المستثنيات:

وهي ستة على رأي الغزالي وثمانية على رأي غيره قال الغزالي:  
الأول: التظلم عند من له رتبة الحكم وإحقاق الحقوق كالقضاة والمفتين والسلاطين فإن نسبة الظلم والسوء إلى الغير عندهم لإستيفاء الحق جائز لقول النبي ﷺ لصاحب الحق مقال. وقوله ﷺ: لِيُ الْوَاجِدُ يَحِلُّ عَرْضُهُ وَعَقُوبَتُهُ.

الثاني: الإستعانة على رفع المنكر ورد العاصي إلى الصلاح وإنما يستباح



بها ذكر مسائته بالقصد الصحيح.

**الثالث:** الإستفتاء كما يقول للمفتي ظلمني ابي وزوجتي او اخي وغير ذلك.  
**الرابع:** تحذير المسلم من الشر فإذا رايت متفقها يتردد إلى مبتدع او فاسق وخفت ان تتعدى إليه بدعته وفسقه فلك ان تكشف له بدعته وفسقه مهما كان الباعث لك خوف عليه.

**الخامس:** ان يكون الإنسان معروفاً بلقب يعرف عن عيبه كالأعرج والأعمش.

**السادس:** ان يكون مجاهراً بالفسق كالمجاهر بشرب الخمر والقمار وغيرهما بحيث لا يستنكف من ان يذكر له لقوله ﷺ من القنى جلباب الحياء عن وجهه فلا غيبة له، فهذه الستة قد ذكرها الغزالي في الأحياء بتلخيص منا وغيره من علماء الأخلاق زاد عليه أموراً.

**منها:** نصح المستشار في التزويج وإيداع الأمانة وامثالهما وكذلك جرح الشاهد والمفتي والقاضي إذا سال عنهم فله ان يذكر ما يعرفه من عدم العدالة والأهلية للإفتاء والقضاء.

**منها:** رد من ادعى نسباً ليس له، ومنها: القدح في مقالة او دعوى باطله في الدين.

**منها:** الشهادة على فاعل المحرم حسبة، وقد ذكر بعض العلماء موضعين آخرين ايضاً.

**احدهما:** ان يكون إثنان او اكثر مُطلعين على عيب رجل فيقع تحاكيه بينهم من غير ان يظهره لغيرهم ممن لم يطلع عليه وفي بعض الأخبار دلالة عليه. **وثانيهما:** ان يكون متعلقها اعني المقول فيه غير محصور كان يقال كذا او اهل البلد الفلاني كذا هذا إذا لم يكن من الكلام او الحال قرينة على إرادة المقصود وإلا يحرم.

**اقول:** هذه الوجوه المذكورة قد عدوها من المستثنيات وهذا الحصر ليس

بإستقراءٍ ولو كان فهو ناقص غير تامّ كما قلنا في البواعث للغيبة بل ما نحن فيه فعلاً أو لئى بالاستقراء والدقة لأنّ المُستثنى لا بدّ من ان يكون بإجازة الشّارع وما لم يرخص فيه فهو باق على المنع ومع ذلك كلّه لا ننكر ان يكون موضعاً لم يحدّوه بل مواضع ولكن الأصل حرمة الغيبة إلا ما خرج عنه بالدليل والمظنون والمَشكوك باقيا على الحرمة كما هو مقتضى الأصل في جميع الموارد.

### الفصل السادس في بيان علاج الغيبة الذي به يمنع اللسان عنها:

قال الثّراقي رحمه الله في المقام ما حاصله ان الطّريق في علاجها هو ان يتذكّر مفسادها الأخروية أولاً ومفسادها في الدّنيا ثانياً ثمّ يتذكّر فوائد اضدادها وبعد ذلك فليراقب لسانه في كلّ كلام يريد ان يتكلّم به فإن تَضَمَّن غيبته سَكَت عنه إلى ان قال رحمه الله:

والعمدة في العلاج ان يقطع اسبابها المذكورة وقد تقدّم علاج الغضب والحقّد والحسد والإستهزاء والسّخرية ويأتي طريق العلاج في الهزل والمطايبة والإفتخار والمباهات ثمّ قال:

أما تنزيه النّفس بنسبة ما نسب إليه من الجناية إلى الغير فمعالجته ان يعلم انّ التّعريض لمقت الخالق اشدّ من التّعريض لمقت المخلوق ومن إغتاب تعرّض لمقت الله وسخطه قطعاً إلى آخر ما قال.

وانا اقول: ما ذكروه في علاجها ووجه الخلاص عنها لا باس به إلا انه ليس من العلة والسبب بشي بل الحقّ ان يقال إنّ علاج الغيبة بعد الوقوف على مضارّها الدّنيوية والأخروية أولاً الإستمداد من الله تعالى بان يجعله مَوْفَقاً مؤيِّداً لتركها كما هو الشّان في ترك المعاصي كلّها، وثانياً التّصميم والعزم الجازم الثّابت على تركها وعدم ترثم اللسان والأفعال بها إذا لو لا العزم والإرادة القويّة لا يمكن ترك العصيان وثالثاً تقوية الإيمان في القلب فإنّ الأصل في ترك المحرمات والباعث عليها هو المعرفة بالله والإيمان به، ورابعاً عدم المجالسة والمعاشرة مع المتّصف بها فإنّ المجالسة مؤثّرة وهكذا كلّ ما يراه مؤثّراً في الإعانة على تركها وإلا فمجرد العلم بمضارّها لا ينفع في المقصود

فإن الغيبة في العلماء مثلها في غيرهم لو لا أنها أكثر فيهم منها في غيرهم مع  
إنهم يعلمون منها ما لا يعلمه غيرهم.

### الفصل السابع في كفارة الغيبة:

قالوا كفارة الغيبة بعد التوبة والنَّدَم للخروج عن حقِّ الله ان يخرج من حقِّ  
من إغتابه وطريق الخروج من حقه إن كان ميتاً أو غائباً لا يمكن له الوصول إليه  
كثرة الإستغفار والدُّعاء له ليحسب ذلك يوم القيمة من حسناته ويقابل بها  
سيئة الغيبة وإن كان ممكن الوصول فليستحله مُعتذراً متأسفاً مبالغاً في الثناء  
عليه والتودد إليه حتى يطيب قلبه ويحلّه.

قال الصادق عليه السلام: وإن إغْتَبْت فَبَلِّغِ الْمُغْتَابِ فَأَسْتَجِلَّ مِنْهُ فَإِنْ لَمْ تُبَلِّغْهُ وَلَمْ  
تَلْحَقْهُ فَاِسْتَغْفِرِ اللَّهَ...

وقال النبي صلى الله عليه وآله: كفارة من إغْتَبْتَهُ ان تَسْتَغْفِرَ لَهُ (محمول على صورة  
عدم إمكان الوصول إليه هذا تمام الكلام في بحث الغيبة وتفصيل الكلام  
يطلب من المفصلات إذا عرفت هذا فنقول.

□ قوله عليه السلام: وَإِنَّمَا يَنْبَغِي لِأَهْلِ الْعِصْمَةِ وَالْمَصْنُوعِ إِلَيْهِمْ فِي السَّلَامَةِ أَنْ يَرْحَمُوا  
أَهْلَ الذُّنُوبِ وَالْمَعْصِيَةِ...

إشارة إلى أن من عصمهم الله من المعاصي ووفَّقهم في تركها وتمكَّنوا بعون  
الله وتوفيقه ان يجعلوا نفوسهم الأمارة مقهورة تحت قوتهم العقلية فحصلت  
لهم ملكة الإرتداع عن الوقوع فيها فصاروا بذلك سالمين عن الإنحرافات  
الأخلاقية ان ترحموا اهل الذنوب والمعصية، والغرض من رَحْمَتِهِمْ عَلَيْهِمْ  
أنهم يَسْعَوْنَ فِي إِنْقَاذِ أَهْلِ الْمَعْصِيَةِ مِنْهَا كَمَا يَجِبُ عَلَى الْإِنْسَانِ إِنْقَاذَ الْغَرِيقِ  
عَنِ الْمَاءِ.

وفي قوله عليه السلام هذا إيماء إلى وجوب النهي عن المنكر مهما امكن ولنعم ما  
قيل بالفارسية:

اگر بینی که نابینا و چاه است      اگر خاموش بنشینی گناه است

□ قوله ﷺ: وَيَكُونُ الشُّكْرُ هُوَ الْغَالِبُ عَلَيْهِمْ وَالْحَاجِزَ لَهُمْ عَنْهُمْ...

اي وينبغي ان يكونوا شاكرين ساجدين له تعالى على هذه النعمة التي انعم الله بها عليهم من العصمة عن الذنب والسلامة عن المعصية والانحرافات الأخلاقية لقوله تعالى: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ (١)

واية نعمة تكون اعظم من السلامة عن العصيان.

ثم إن في كلامه ﷺ إشعار بأن اهل العصمة والسلامة ينبغي لهم ان يعلموا ان هذه الموفقية إنما هي من عند الله لا من عند انفسهم ولهذا ينبغي لهم الشكر له تعالى. وقوله ﷺ: والحاجز لهم عنهم) معناه ان الشكر لله تعالى ينبغي ان يكون حاجزاً ومانعاً لأهل العصمة والسلامة عن اهل المعصية في كشف سواتهم وعوراتهم او في عدم إتصافهم بالعصيان.

□ قوله ﷺ: فَكَيْفَ بِالْعَائِبِ الَّذِي عَابَ أَخَاهُ وَغَيْرَهُ بِلُؤَاهُ...

اي إذا كان اهل العصمة والسلامة حالهم كذلك مع عدم إتصافهم بها فما ظنك بغيرهم ممن لا يكون كذلك من اهل الغفلة والمتورطين في الجرائم وموبقات العظائم فهم اولئ بالمنع عن كشف السوء لغيرهم.

□ قوله ﷺ: أَمَّا ذَكَرَ مَوْضِعَ سِتْرِ اللَّهِ عَلَيْهِ مِنْ ذُنُوبِهِ مِمَّا هُوَ أَعْظَمُ مِنَ الذَّنْبِ الَّذِي عَابَهُ...

اي اما ذكر الله العائب الذي عاب اخاه وغيّره ببلواه، موضع ستر الله عليه من ذنوبه التي ارتكبها في الخلوة والجلوة وقد ستر الله عليه ولم يعلم احداً بقبائحه وسيئاته مع ان ما فعله وارتكبه اعظم مما عاب اخاه فإذا كان الله تعالى قد ستر عليه الأعظم فكيف لا يستر هو على غيره ما هو اصغر واطرف.

□ قوله ﷺ: بِهِ وَكَيْفَ يَذُمَّهُ بِذَنْبٍ قَدْ رَكِبَ مِثْلَهُ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ رَكِبَ ذَلِكَ الذَّنْبَ بِعَيْنِهِ فَقَدْ عَصَى اللَّهَ فِيمَا سِوَاهُ مِمَّا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ...

اي كيف يذم اخاه مثلاً على الغيبة او الكذب او الظلم وامثالها مع انه ايضاً قد ركب وفعل مثل ما فعله اخوه وإن لم يفعل مثله بعينه فقد عصى الله فيما

سوى ذلك الذنب مما هو اعظم منه، فإن اخاه لو ظلم على شخص وبذلك عابه العائب فهو قتل مؤمناً مثلاً وهو اعظم، وإن نظر اخوه إلى من يحرم عليه نظره كالمرأة الأجنبية وبذلك لامه وعابه فقد ارتكب العائب الزنا مثلاً وهكذا والحاصل ان الذام كيف يذم غيره على الذنب الذي فعله مع انه ايضاً فعل مثله او ما هو اعظم منه.

□ قوله ﷺ: **وَإِيمُ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَكُنْ عَصَاهُ فِي الْكَبِيرِ وَعَصَاهُ فِي الصَّغِيرِ لَجَرَاءُ تُهُ عَلَيَّ عَيْبِ النَّاسِ أَكْبَرُ...**

حيث إن الذنب على قسمين صغير وكبير فقال ﷺ أقسم بالله لأن لم يكن العائب عصي الله في الكبير اي في الذنب الكبير وعصاه في الصغير وبذلك صار متجرباً على عيب الناس، فهو افحش واقبح وحاصل الكلام ان العائب يمكن ان لا يكون عاصياً له تعالى في الكبائر إلا انه لا يتخلو من الصغائر وهو يكفي في ردعه ومنعه عن ذكر عيوب غيره إذ لا يبعد ان لا يكون صاحب الكبيرة الذي عابه العائب قد غفر له بسبب التوبة والعائب الذي اتى بالصغيرة لم يغفر له وإنما قال ﷺ هذا اكبر لأنه يوجب العجب في عمله فكأنه لا يبالي بما فعله من الصغائر ولم يعلم ان الله تعالى ياخذه عليها وبعبارة أخرى صاحب الكبيرة إذا كانت متوجهاً إلى ذنبه غير غافل منه فهو احسن من صاحب الصغيرة التي لا يتوجه ولا يعبا بما فعله وذلك لأن الأول غير غافل والثاني غافل او ان الأول يعترف بتقصيره وذنبه والثاني لا يعترف به ولأجل هذا قال ﷺ ليجراته على عيب الناس اكبر.

□ قوله ﷺ: **يَا عَبْدَ اللَّهِ لَا تَعْجَلْ فِي عَيْبِ أَحَدٍ بِذَنْبِهِ فَلَعَلَّهُ مَغْفُورٌ لَهُ...**

اي لعل صاحب الذنب تاب ورجع إلى الله تعالى فصار مغفوراً له وانت لا تعلم بذلك فإن التوبة بين العبد وخالقه وإذا كان كذلك فلا يبعد ان يكون الغيبة في الحقيقة من قبيل التهمة لأن المفروض انه تاب واقعاً ومن تاب عن معصية فكأنه لم يفعلها وانت إذا نسبت إليه العيب فقد إتهمته من حيث لا تدري.

□ قوله ﷺ: **وَلَا تَأْمَنُ عَلَيَّ نَفْسِكَ صَغِيرَ مَعْصِيَةٍ فَلَعَلَّكَ مُعَذَّبٌ عَلَيْهِ...**

اي لا تامن من عذاب الله تعالى لأجل معصيتك الصغيرة إذ لا يبعد ان تكون  
انت مُعذَّباً عليه والذي تعيبه مع انه فعل كبيرة لا يكون مُعذَّباً عليها لأنه تاب  
عَمَّا فعل وانت ما ثبتَ مِمَّا فعلت.

□ قوله ﷺ: فَلْيَكْفُفْ مَنْ عَلِمَ مِنْكُمْ عَيْبَ غَيْرِهِ لِمَا يَعْلَمُ مِنْ عَيْبِ نَفْسِهِ...

اي فليمنع من عِلْمِ منكم عيب غيره عن الإشتغال به لكونه اي العائب يعلم  
بعيب نفسه ومن كان كذلك فكيف يشتغل بعيوب غيره وإنما قال ﷺ ذلك لأن  
الإنسان لا يَخْلُو من عيبٍ ونقصٍ ومن كان كذلك فلا يعيب من هو مثله او  
اخف ذنباً.

إن قلت - قوله ﷺ ناظر إلى من علم عيب نفسه ومفهومه ان من لا عيب له  
او كان ولم يعلم به فهو خارج عن حريم النزاع فيجوز له الإشتغال بعيوب غيره.  
قلت - اما أولاً في صحّة الأخذ بهذا المفهوم وإعتباره نظر بل منع كما حقق  
في محلّه، وثانياً انه لا يوجد إنسان لا يكون له عيب ولا اقل من عيب الإمكانية  
ونقص المخلوقيّة، وثالثاً مع قطع النظر عن هذا العيب فهذا الإنسان الذي لا  
يكون له عيب في ظاهر الأمر هو معصوم إما نبيّ او وصي ولا شك ان  
المعصوم لا يكون عائباً لكون منافياً لعصمته وحاصل الكلام ان البحث في غير  
المعصومين وهؤلاء اعني غير من له العصمة لا يخلو من عيب بل ومن عُيُوب  
وهو ظاهر.

□ قوله ﷺ: وَلْيَكُنِ الشُّكْرُ شَاغِلاً لَهُ عَلَى مُعَافَاتِهِ مِمَّا ابْتُلِيَ بِهِ غَيْرُهُ...

اي ينبغي ان يكون الشكر على العافية شاغلاً له مما ابتلي به غيره من  
المعاصي وغيرها ولنعم ما قيل:

لنفسى ابكى لست ابكى لغيرها      لنفسى من نفسي عن الناس شاغل

قيل إنه عاب رجل رجلاً عند بعض الأشراف فقال له قد إستدللت على

كثرة عُيُوبك بما تكثر عن عُيُوب الناس لأن طالب العيوب إنما يطلبها بقدر ما

فيه منها اما سمعت قول الشاعر:

لا تهتكن من مساويئ الناس ما ستروا

فيهتك الله ستراً من مساويك

وإذكر محاسن ما فيهم إذا ذكروا

ولا تعب احداً منهم بما فيك

وقال الآخر:

لا تنه عن خلقٍ وتأتي مثله عار عليك إذا فعلت عظيم

وإبدأ بنفسك فإنها عن غيها فإذا إنتهيت عنه فانت حكيم

وقال محمد بن السماك تجنب القول في اخيك لخلتين، أما واحدة فلعلك

تعيبه بشئ هو فيك وأما الأخرى فإن يكن الله عافاك مما ابتلاه به كان شكرك  
الله على العافية تعبيراً لأخيك على البلاء انتهى.

اقول: وانت ترى أنه اخذ كلامه هذا من امير المؤمنين عليه السلام فلا تغفل.

وقيل لبوزرجمهر هل تعلم احداً لا عيب فيه قال إن الذي لا عيب فيه لا

يموت.

وقيل لعمر و ابن عبيد لقد وقع فيك ايوب السجستاني حتى رحمنك قال

إياه فأرحموا.

وقال ابن عباس: إذكر اخاك إذا غاب عنك بما تحب ان يذكرك به ودع منه

ما تحب ان يدع منك.

وقدم العلاء ابن الحضرمي على النبي صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم له هل ترى من

الشعر شيئاً قال نعم قال صلى الله عليه وسلم فانشدني فانشده صلى الله عليه وسلم.

تَحَبَّ ذَوِي الْأَضْغَانِ نَسَبَ نَفُوسِهِمْ تُحِبُّكَ الْقُرْبَىٰ فَقَدْ تَرَفَعِ النَّعْلُ

وَإِنْ دَحَسُوا بِالْكُرْهِ فَأَعْفُ تَكْرَمًا وَإِنْ غَيَّبُوا عَنْكَ الْحَدِيثَ فَلَا تَسَلْ

فَإِنَّ الَّذِي يُؤْذِيكَ مِنْهُ سَمَاعُهُ وَإِنَّ الَّذِي قَالُوا وَرَاءَكَ لَمْ يُقَلْ

ولنختم الكلام في الغيبة فإن الكلام فيها وتبعاتها كثير طويل وفيما ذكرناه

كفاية لأولي الدراية والحمد لله.

## ومن كلام له عليه السلام (١٤١)

□ قوله عليه السلام: أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ عَرَفَ مِنْ أَخِيهِ وَثِيقَةَ دِينٍ وَسَدَادَ طَرِيقٍ فَلَا يَسْمَعَنَّ فِيهِ أَقَاوِيلَ الرَّجَالِ أَمَا إِنَّهُ قَدْ يَزِمِي الرَّامِي وَتُخْطِي السَّهَامُ وَيَحِيلُ الْكَلَامُ وَبَاطِلُ ذَلِكَ يَبُورُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ وَشَهِيدٌ أَمَا إِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ إِلَّا أَرْبَعُ أَصَابِعَ.

فَسُئِلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، عَنْ مَعْنَى قَوْلِهِ هَذَا، فَجَمَعَ أَصَابِعَهُ وَوَضَعَهَا بَيْنَ أُذُنَيْهِ وَعَيْنَيْهِ ثُمَّ قَالَ:

الْبَاطِلُ أَنْ تَقُولَ سَمِعْتُ وَالْحَقُّ أَنْ تَقُولَ رَأَيْتُ.

### ◁ اللُّغَةُ

(وَوَثِيقَةٌ) بفتح الواو مؤنث الوثيق ما يُعْتَمَدُ بِهِ، الإِحْكَامُ فِي الْأَمْرِ (أَقَاوِيلٌ) جمع اقوال (يَبُورُ) اي يهلك من باراي هلك.

### ◁ الْمَعْنَى

(أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ عَرَفَ مِنْ أَخِيهِ) الْمُؤْمِنِ فَإِنَّ الْمُؤْمِنِينَ إِخْوَةٌ (وَوَثِيقَةٌ) اي ما يُعْتَمَدُ بِهِ (وَسَدَادَ طَرِيقٍ) اي صِلَاحُ طَرِيقٍ وَهُوَ الطَّرِيقُ الْمُسْتَقِيمُ (فَلَا يَسْمَعَنَّ فِيهِ) اي فِي إِخِيهِ (أَقَاوِيلَ الرَّجَالِ) بل يُعْتَمَدُ فِيهِ عَلَى عِلْمِهِ وَتَجْرِبَتِهِ (أَمَا إِنَّهُ قَدْ يَزِمِي الرَّامِي) بِرَمِيهِ (وَتُخْطِي السَّهَامُ) اي لَيْسَ كَلِمًا يَقُولُونَ فِيهِ حَقًّا (وَبَاطِلُ ذَلِكَ يَبُورُ) الْكَلَامُ وَيُهْلِكُ (وَاللَّهُ سَمِيعٌ وَشَهِيدٌ) أَمَا إِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَ



الْحَقُّ وَالْبَاطِلُ إِلَّا أَرْبَعُ أَصَابِعَ فَسُئِلَ ﷺ عَنْ مَعْنَى قَوْلِهِ هَذَا ( أَي عَالَمٍ  
بِالْمَسْمُوعَاتِ وَنَاطِرٍ إِلَى الْأَشْيَاءِ أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ عَرَفَ مِنْ أَخِيهِ أَقَاوِيلَ الرِّجَالِ  
وَتَخَطَا السَّهَامَ وَيَحِيلُ الْكَلَامَ يَبُورُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ شَهِيدٌ مَا إِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَ الْبَاطِلِ  
وَالْحَقِّ إِلَّا أَرْبَعُ أَصَابِعَ فَسُئِلَ ﷺ عَنْ مَعْنَى قَوْلِهِ هَذَا فَجَمَعَ أَصَابِعَهُ وَوَضَعَهَا) أَي  
الأصابع (بَيْنَ أذُنِهِ وَعَيْنِهِ ثُمَّ قَالَ الْبَاطِلُ أَنْ تَقُولَ سَمِعْتُ) بِسَمْعِي (وَالْحَقُّ أَنْ  
تَقُولَ رَأَيْتُ). بِعَيْنِي.

### ◀ الشرح

□ قوله ﷺ: أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ عَرَفَ مِنْ أَخِيهِ وَثِيقَةَ دِينٍ وَسَدَادَ طَرِيقٍ فَلَا يَسْمَعَنَّ  
فِيهِ أَقَاوِيلَ الرِّجَالِ...

إِعلم: أَنَّ هَذَا الْكَلَامَ إِنَّمَا صَدَرَ عَنْهُ لِبَيَانِ أَنَّ كُلَّ مَا قَالَ أَوْ يَقُولُ شَخْصٌ  
بِالنِّسْبَةِ إِلَى شَخْصٍ آخَرَ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُعْتَمَدَ عَلَيْهِ فَإِنَّ الْأَقَاوِيلَ فِي الْأَشْخَاصِ  
كثيرة والأغراض متفاوتة والآراء مشتتة والإنسان لا يخلو عن السِّنة النَّاسِ كائناً  
مَنْ كَانَ حَتَّى الْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْصِيَاءِ وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ، فَيَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ الْعَاقِلِ أَنْ لَا  
يَعْتَنِي بِأَقْوَالِهِمْ فِي النَّاسِ بَعْدَ أَنْ عَرَفَ مِنْ أَخِيهِ الْوَثِيقَةَ وَالسَّدَادَ فَقَالَ ﷺ:  
أَيُّهَا النَّاسُ الْخِ كَلَامُهُ وَحَاصِلُهُ أَنَّ الْأَخَ فِي الدِّينِ اعْنِي الْمُؤْمِنَ لَا يَخْلُو حَالَهُ إِمَّا  
أَنْ يَكُونَ مَوْثُوقاً بِهِ وَإِمَّا أَنْ لَا يَكُونَ كَذَلِكَ فَإِنْ كَانَ الْأَوَّلَ فَلَا مَعْنَى لِاسْتِمَاعِ  
الْكَلَامِ فِيهِ إِذَا الْمَقْرُوضُ أَنَّهُ مِنَ الْمَوْثُوقِينَ الْمُسَدَّدِينَ عِنْدَهُ وَمَعْنَى قَبُولِ كَلَامِ  
الْعَائِبِ فِيهِ هُوَ عَدَمُ الْوَثُوقِ بِهِ وَجَمْعُهَا مِنَ الْمَحَالَاتِ، وَإِنْ كَانَ الثَّانِي فَهُوَ  
خَارِجٌ عَنْ مَوْرَدِ الْبَحْثِ كَمَا هُوَ ظَاهِرٌ.

وَإِنَّمَا قَيْدُ ﷺ الْوَثِيقَةَ بِالَّذِينَ وَبَعْدَهُ سَدَادَ الطَّرِيقِ لِنِكْتَةِ وَهِيَ أَنَّ الْوَثُوقَ إِذَا  
لَمْ يَكُنْ عَنْ دِينٍ فَلَا يَعْجَبُ بِهِ ثُمَّ إِنْ كَانَ عَنْ دِينٍ وَلَا يَكُونُ عَنْ سَدَادِ طَرِيقٍ فَهُوَ  
أَيْضاً لَا فَائِدَةَ فِيهِ.

وَتَوْضِيحُهُ أَنَّ الدِّينَ أَعْمٌ مِنْ سَدَادِ الطَّرِيقِ وَذَلِكَ لِأَنَّ الطَّرِيقَ الْمُسَدَّدَ عِبَارَةً  
عَنِ الدِّينِ الصَّحِيحِ وَأَمَّا الدِّينُ بِمَا هُوَ هُوَ يُطْلَقُ عَلَى الصَّحِيحِ وَالْفَاسِدِ فَإِنَّ

الَّذِينَ عِبَارَةٌ عَنِ الْإِلتِزَامِ بِالْأَحْكَامِ أَوْ الْعَمَلِ بِهَا سِوَاءَ كَانَتْ حَقًّا أَوْ بَاطِلًا وَأَمَّا  
الطَّرِيقُ الْمُسَدَّدُ عِبَارَةٌ عَنِ الْإِلتِزَامِ كَذَلِكَ إِذَا كَانَتْ الْأَحْكَامُ صَحِيحَةً مُطَابِقَةً  
لِلْوَاقِعِ مَجْعُولَةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَعَالَى وَمَرْضِيَّةً لَهُ إِذَا عُرِفَتْ هَذَا فَتَقُولُ:

المراد بالوثيقة في الدين هو الإسلام والمراد بقوله (وسداد طريق) الإيمان،  
فإنَّ الْمُسْلِمَ عِبَارَةٌ عَنْ كُلِّ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالْمُؤْمِنُ عِبَارَةٌ  
عَنِ الْقَائِلِ بِهَا لَفْظًا وَالْمُعْتَقِدِ بِهَا قَلْبًا وَالْعَامِلِ بِهَا أَرْكَانًا فَهَذَا هُوَ الطَّرِيقُ الْمُسَدَّدُ  
وَعَلَيْهِ فَالْمَعْنَى إِذَا عُرِفَتْ مِنْ أَخِيكَ الْإِيمَانَ فَلَا تَسْمَعَنَّ فِيهِ أَقَاوِيلَ الرِّجَالِ وَأَمَّا  
مَجْرَدُ الْإِسْلَامِ فَلَا بَلَّ كَثِيرٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَجُوزُ لِعَنَتِهِمْ فَضْلًا عَنْ ذَلِكَ.  
□ قَوْلُهُ ﷺ: أَمَّا إِنَّهُ قَدْ يَرْمِي الرَّامِيَ وَتُخْطِي السَّهَامُ وَيَحِيلُ الْكَلَامُ وَبَاطِلُ  
ذَلِكَ يُبَوَّرُ...

قالوا يُحِيلُ الْكَلَامُ أَي يَكُونُ بَاطِلًا يُقَالُ أَحَالَ الرَّجُلُ فِي مَنْطِقِهِ إِذَا تَكَلَّمَ  
بِالْمَحَالِّ الَّذِي لَا حَقِيقَةَ لَهُ أَنْتَهَى وَقَالَ الْخَوَثِيُّ بَعْدَ نَقْلِهِ مَا نَقَلْنَاهُ: وَفِي بَعْضِ  
النَّسَخِ بِالْكَافِ مَضَارِعُ حَاكٍ أَوْ أَحَاكَ أَي أَخَذَ أَنْتَهَى أَقُولُ مَا نَقَلَهُ عَنْ بَعْضِ  
النَّسَخِ مَا رَأَيْتَاهُ فِي النَّسَخِ الْمَوْجُودَةِ عِنْدَنَا وَلَعَلَّةَ كَانَتْ عِنْدَهُ نَسْخَةٌ مَا وَصَلَتْ  
إِلَيْنَا وَالنَّسَخُ الْمَوْجُودَةُ عِنْدَنَا ضَبَطَتْهُ بِاللَّامِ.

وكيف كان فيما ذكره في معنى الكلام لا يستفاد من هذا اللفظ إذ لا يقال  
فيمن تكلم بالمحال أنه يحيل الكلام ولم نسمع هذا التعبير من أحد واطن أنه  
لا يوافق البلاغة في الكلام بل هو خارج عنها وقولهم أحال الرجل في منطقه  
إذا تكلم بالمحال، هو أول الكلام فإنَّ الاحالة في الأصل الحوالة والإرجاع هذا  
أولاً، وثانياً نقول على فرض التسليم وكون اللفظ بهذا المعنى فما اراد ﷺ به  
وما معنا كون الكلام محاله، فإن قالوا التلقظ به محال، فهو غلط إذ تلفظ به كما  
هو المفروض فكيف يكون محالاً وإن اراد أن المعنى الذي اراده من الكلام  
محال فهذا أيضاً لا معنى له بل الحق أن يقال إنه كذب وفرق بين الكذب  
والمحال فإنَّ الكذب ما لا يطابق الواقع والمحال ما لا يوجد في الخارج فقوله

وَيَحِيلُ الْكَلَامَ أَيَّ شَيْءٍ مَعْنَاهُ إِذَا عَرَفْتَ وَجْهَ الْخَلَلِ فِيمَا قَالُوهُ فَتَقُولُ يُمْكِنُ التَّخَلُّصَ عَنْ هَذَا الْإِشْكَالِ بَوَجْهِينَ.

أحدهما: أن يكون الكلام على ما ضبطوه أعني يحيل بالياء والحاء من أحال ولكن لا بالمعنى الذي ذكروه أعني الكلام محال بل يكون المقصود أن المتكلم أحال الكلام الذي قاله إلى غيره أي غير نفسه بأن قال مثلاً فلان يقول كذا وبعبارة أخرى ما قاله في حق أخيه المؤمن أسنده إلى غيره لا إلى نفسه وكثيراً ما نشاهد هذا الحال في الناس فيقولون ما يقولون في غيرهم ثم إذا سأل منهم لم قلت كذا يقولون قال الناس كذا فنحن أيضاً قلنا كذا حكاية عنهم وعليه فالعائب ليس هو نفسه بل العائب غيره وإنما هو نقله من غيره وأسنده إلى المؤمن من غير تدبّر وتفحص فيه وحيث إن الإنسان إذا عرف أخيه بما ذكره لا ينبغي أن يسمع كل كلام فيه فإذا سمع لا بد له من التحقيق والتفتيش ثم التّقول به وحيث لم يفعل ذلك فهو مطعون مذمومٌ هذا.

وثانيهما: أن يُقرَّ الكلام بالجيم من أجل يجيل من الجولان يقال جال الفرس وإجاله في الميدان إذا سَرَعَ في المشي بحيث لا يمكن ضبطه أنا والكلام أيضاً كذلك فتارة يتكلم الإنسان عن فكرٍ وتَدبُّرٍ فهو يفهم ما يقول ولا يقول شططاً وأخرى يتكلم مع عدم توجهه إلى ما يقول ويعبر عنه بجولان الكلام وإجالته كما نرى في كثير من العائبين أنهم كذلك ففي الحقيقة كلامهم من قبيل سبق اللسان ويؤيد هذا المعنى قوله ﷺ: **أَمَّا إِنَّهُ قَدْ يَرْمِي الرَّامِيَ وَتُخْطِئُ السَّهَامُ وَذَلِكَ لِأَنَّهُ ﷺ شَبَّهَ الْكَلَامَ بِالسَّهْمِ وَالْمُتَكَلِّمَ بِالرَّامِي فَكَمَا أَنَّ الرَّامِيَ قَدْ يَخْطَأُ فِي سَهَامِهِ الْمَرْمِيَّةَ بِهَا كَذَلِكَ الْمُتَكَلِّمُ قَدْ يَخْطَأُ فِي كَلَامِهِ أَيْ يَقُولُ مَا لَا يَقْصِدُهُ فَهَذَا مِنْ إِجَالَةِ الْكَلَامِ أَيْ إْتْيَانِهِ سَرِيعاً غَيْرَ مَسْبُوقٍ بِالتَّفَكُّرِ وَالتَّدبُّرِ فَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَتَرْتَّبَ عَلَيْهِ الْأَثَرُ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ مَحَلَّ الْخَطَا وَالنَّسْيَانِ وَفِي قَوْلِهِ ﷺ: **وَبَاطِلٌ ذَلِكَ يَبُورُ** إشارة إلى بطلان أحد القسمين من الكلام وهو الذي لم يخرج عن لسانه عن فهمٍ وعقلٍ.**

فهذين المَعْنِيَيْنِ ممَّا خطر بالبال في المقام ولست اقول إن ما ذكرناه حق وغيره باطل فإن الأفهام متفاوتة والإدراكات متغايرة: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾<sup>(١)</sup> ولنعم ما قيل في المقام في آفات اللسان:

وما احد من السن الناس سالماً ولو أنه ذاك النبي المُطَهَّر  
 فإن كان مقداماً يقولون أهوج وإن كان مفضلاً يقولون مُبذر  
 وإن كان سَكَيْتاً يقولون ابكم وإن كان منطقيّاً يقولون مهذر  
 وإن كان صَوَاماً وبالليل قائماً يقولون زَرَّاقُ يُرَائِي وَيَمَكُرُ  
 فلا تكثر في الناس بالمدح والثناء ولا تخش غير الله فالله اكبر  
 ولاخر بالفارسية:

جمعند ز سفله گان بعالم مشتی عاقل ننه بخرفشان انگشتی  
 خالی شده دیر وکعبه از مردم اهل در آن نه خلیلی نه در این زردشتی

وفي قوله ﷺ: وَاللَّهِ سَمِيعٌ وَشَهِيدٌ، إشارة إلى أنه تعالى لا يخفى عليه شيء لا في الأرض ولا في السماء لكونه عالماً بالمسموعات اعني ما قال الإنسان في حق غيره وشاهد على كل شيء إذ المعلول لا يمكن له الغيبة عن علته كما قال تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾<sup>(٢)</sup>

والحاصل أن القائل في حق الغير ينبغي ان يتوجه إنه اي الغير وإن لم يكن حاضراً فلا يسمع الكلام ولا يرى المتكلم فهو يقول ما شاء إلا ان الله تعالى سميع وشهيد وكفى به وكيلاً.

□ قوله ﷺ: وَاللَّهِ سَمِيعٌ وَشَهِيدٌ أَمَا إِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ إِلَّا أَرْبَعُ أَصَابِعَ فَسُئِلَ ﷺ عَنْ مَعْنَى قَوْلِهِ هَذَا فَجَمَعَ أَصَابِعَهُ وَوَضَعَهَا بَيْنَ أُذُنِهِ وَعَيْنِهِ ثُمَّ قَالَ الْبَاطِلُ أَنْ تَقُولَ سَمِعْتُ وَالْحَقُّ أَنْ تَقُولَ رَأَيْتُ...

افاد ﷺ في كلامه هذا انه ليس بين الحق والباطل في عالم الحس إلا اربع اصابع ثم اوضح كلامه حيث سئل عن معناه فجمع اصابعه ووضعها بين اذنه

وعينه ثم قال ﷺ الباطل ان تقول سمعت والحق ان تقول رايت والسر فيه ان المسموع من حيث إنه كلام يحتمل الصدق والكذب واما المرئي فليس بكلام حتى يحتمل فيه ما يحتمل في المسموع بل هو مشهود محسوس وما كان كذلك لا خطأ فيه فهو حق ومن هذا صح لنا ان نقول الأصل في المسموع الكذب إلا ان يقوم الدليل على صدقه ولأجل هذا قال ﷺ: الباطل ان تقول سمعت، ضرورة ان المسموع كله ليس كذلك بل بعضه صدق وبعضه كذب فقوله ﷺ إشارة إلى ما اصلناه واسنناه من ان الأصل فيه كذلك.

ثم ان قوله ﷺ هذا لا يكون على إطلاقه بل ما من عام إلا وقد خص وعليه فهو مخصص بما سمعه من الأنبياء والأوصياء والصلحاء الذين نزههم الله تعالى عن الكذب والباطل فقول الرسول والوصي مثلاً حق لا يحتمل الباطل فضلاً عن ثبوته فيه هذا بناء التخصيص.

ويمكن ان يقال ان الكلام في غيرهم من الأفراد لا في المعصومين وذلك لأن المعصوم خارج عن مورد البحث وخروجه منه بالتخصيص لا بالتخصيص، وكيف كان لا شك في عدم شمول الكلام لهم.

قل للذي لست ادري من تلونه	انا صح ام على غش يناجيني
اني لأكثر مما سمّني عجباً	يد بشخ وأخرى منك تاسوني
تغتابني عند اقوام وتمدحني	في آخرين وكلّ عنك ياتيني
هذان شيان قد نافيت بينهما	فاكف لسانك عن شتمي وتزييني

ولبّ الكلام ان الأقوال من الناس للناس كثيرة لا ينبغي للعاقل الإعتماد عليها بعد علمه فإن اكثر الناس يغتابون ويتهمون ويقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم بل يقولون بخلاف ما في قلوبهم لغلبة الآراء والأهواء على عقولهم فكيف يمكن الإعتماد على هذه الأقوال ولو جعل الإنسان في مسموعات ما ذكره ﷺ من الفرق بين الحق والباطل معتمداً ودستوراً في جميع الموارد فهو في فسحة من الخلط والإشتباه وبمعزل عن الوقوع في التهلكة في الدارين والحمد لله رب العالمين.

﴿ومن كلام له ﷺ (١٤٢)﴾

□ قوله ﷺ: وَلَيْسَ لِرَاحِلِ الْمَعْرُوفِ فِي غَيْرِ حَقِّهِ وَعِنْدَ غَيْرِ أَهْلِهِ مِنَ الْحِظِّ فِيمَا  
اتَى إِلَّا مَحْمَدَةُ اللَّثَامِ وَثَنَاءُ الْأَشْرَارِ وَمَقَالَةُ الْجُهَّالِ مَا دَامَ مُنْعِمًا عَلَيْهِمْ مَا أَجُودَ  
يَدُهُ وَهُوَ عَنِ ذَاتِ اللَّهِ بِخَيْلٍ!

فَمَنْ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَلْيَصِلْ بِهِ الْقَرَابَةَ وَلْيُحْسِنْ مِنْهُ الصِّيَافَةَ وَلْيُنْفِكْ بِهَا الْأَسِيرَ  
وَالْعَانِيَّ وَلْيُعْطِ مِنْهُ الْفَقِيرَ وَالْغَارِمَ وَلْيُضَبِّرْ نَفْسَهُ عَلَى الْحُقُوقِ وَالنَّوَائِبِ ابْتِغَاءً  
الثَّوَابِ فَإِنَّ فَوْزًا بِهَذِهِ الْخِصَالِ شَرَفٌ مَكَارِمِ الدُّنْيَا وَدَرْكٌ فَضَائِلِ الْآخِرَةِ إِنْ  
شَاءَ اللَّهُ.

◀ اللغة

(الْحِظُّ) النصب (مَحْمَدَةُ) نقيض المذمة (اللثام) جمع لئيم (وَالنَّوَائِبِ)

جمع النائية.

◀ المعنى

(وَلَيْسَ لِرَاحِلِ الْمَعْرُوفِ وَلَيْسَ لِرَاحِلِ الْمَعْرُوفِ) أَي مِنْ بَضْعِهِ (فِي غَيْرِ حَقِّهِ وَعِنْدَ غَيْرِ أَهْلِهِ) أَي مِنْ وَضْعِ الْمَعْرُوفِ فِي مَا لَا يَنْبَغِي وَضْعُهُ فِيهِ وَعِنْدَ مَنْ لَا يَجُوزُ الْإِحْسَانُ إِلَيْهِ لِغَدَمِ اسْتِحْقَاقِهِ بِهِ (مِنَ الْحِظِّ) وَالنَّصِيبِ فِي الدَّارَيْنِ (إِلَّا مَحْمَدَةُ اللَّثَامِ وَثَنَاءُ الْأَشْرَارِ) لَا غَيْرَهُمْ مِنَ الْأَخْيَارِ وَالْأَبْرَارِ إِذَا الْمَفْرُوضُ وَضَعَهُ الْمَعْرُوفُ فِي الْأَشْرَارِ (وَمَقَالَةُ الْجُهَّالِ) الْمُنْعَمُونَ عَلَيْهِمْ (مَا دَامَ مُنْعِمًا

عَلَيْهِمْ ) فَإِذَا قُطِعَ الْإِحْسَانُ تَقَطَّعَ الْمَحْمَدَةُ وَالثَّنَاءُ (مَا أَجُودَ يَدُهُ ) أَي يَقُولُونَ فِيهِ كَذَلِكَ ( وَهُوَ عَنْ ذَاتِ اللَّهِ بِخَيْلٍ ) أَي وَالْحَالُ أَنَّهُ بِخَيْلٍ فِيمَا أَمَرَهُ اللَّهُ بِهِ ( فَمَنْ آتَاهُ اللَّهُ مَالاً ) فِي الدُّنْيَا ( فَلْيَصِلْ بِهِ ) أَي بِالْمَالِ ( الْقَرَابَةَ ) لِأَنَّهُ مِنْ صِلَةِ رَحْمٍ ( وَلْيُحْسِنْ مِنْهُ ) الْمَالِ ( الضِّيَافَةَ ) لِلأَقْرَبَاءِ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْأَخْيَارِ ( وَلْيُفَكِّ بِهِ ) مِنَ الْمَالِ ( الْأَسِيرَ وَالْعَانِي ) أَي الْمَحْبُوسَ وَشَبَّهَهُ ( وَلْيُعْطِ مِنْهُ الْفَقِيرَ وَالْعَارِمَ ) أَي مَنْ كَانَ غَرِيماً ( وَلْيَضْبِرْ نَفْسَهُ عَلَى الْحُقُوقِ ) الْإِلَهِيَّةِ ( وَالنَّوَابِ ) النَّازِلَةِ فِي عِنْدِهِ تَعَالَى ( ابْتِغَاءَ الثَّوَابِ ) وَرَجَائِهِ ( فَإِنَّ قَوْزاً بِهَذِهِ الْخِصَالِ ) أَي الْوَصُولِ إِلَيْهَا ( شَرَفٌ مَكَارِمِ الدُّنْيَا وَدَرَكٌ فَضَائِلِ الْآخِرَةِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ).

### ◁ الشرح

□ قوله ﷺ: وَلَيْسَ لِوَاضِعِ الْمَعْرُوفِ فِي غَيْرِ حَقِّهِ وَعِنْدَ غَيْرِ أَهْلِهِ...

المعروف إسمٌ لكلِّ فعلٍ يُعْرَفُ بِالْعَقْلِ أَوْ الشَّرْعِ حُسْنُهُ وَالْمُنْكَرُ مَا يَنْكُرُ

بِهِمَا، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾<sup>(١)</sup>

و: ﴿وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾<sup>(٢)</sup>

و: ﴿وَقُلْنَا قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾<sup>(٣)</sup> وَلَا شَكَّ أَنَّ الْإِحْسَانَ إِلَى الْغَيْرِ بِالْمَالِ مِنْ

الْمَعْرُوفِ هُوَ أَكْمَلُ مَصَادِقِهِ وَهَذَا الْكَلَامُ مِنْهُ ﷺ فِي هَذَا الْمَقَامِ إِنَّمَا صَدَرَ

لِيُبَيِّنَ صَرْفَ الْمَالِ وَأَنَّهُ كَيْفَ يَنْبَغِي أَنْ يُصْرَفَ فَنَقُولُ:

صَرَفَ الْمَالِ لَا يَخْلُو إِذَا انْ يُعْرَفُ بِالْعَقْلِ وَالشَّرْعِ حُسْنُهُ أَوْ لَا يُعْرَفُ فَإِنْ

كَانَ الْأَوَّلُ فَهُوَ الْمَعْرُوفُ وَإِنْ كَانَ الثَّانِي فَهُوَ غَيْرُ الْمَعْرُوفِ وَلَا كَلَامٌ لَنَا فَعَلًا

فِيهِ.

ثُمَّ الْأَوَّلُ اعْنِي الْمَعْرُوفَ تَارَةً يَقَعُ فِي حَقِّهِ وَعِنْدَ أَهْلِهِ أَي يَقَعُ فِي مَوْرَدِهِ

الَّذِي يَلِيْقُ بِهِ وَأُخْرَى يَقَعُ لَا كَذَلِكَ وَالأَوَّلُ هُوَ الَّذِي يَسْتَحِقُّ صَاحِبَهُ الْمَحْمَدَةَ

مِنَ الْأَخْيَارِ وَالْأَبْرَارِ، وَالثَّانِي مِنَ اللَّئَامِ وَالْأَشْرَارِ وَالْجُهَّالِ وَالْعَوَامِ كَالْأَنْعَامِ وَهَذَا

القسم هو الذي صدر ﷺ كلامه به وقال ليس لِيُوضَعِ الْمَعْرُوفِ فِي غَيْرِ حَقِّهِ إِلَى قَوْلِهِ وَمَقَالَةُ الْجُهَّالِ وَهُوَ الَّذِي عَلَيْهِ مَدَارُ الْبَحْثِ فَعَلًا فَقَوْلُهُ ﷺ: وَلَيْسَ لِيُوضَعِ الْمَعْرُوفِ فِي غَيْرِ حَقِّهِ إِلَى قَوْلِهِ وَمَقَالَةُ الْجُهَّالِ مُطَابِقٌ لِلأَصْلِ الثَّابِتِ بَيْنَ النَّاسِ عَقْلًا مِنْ أَنَّ الثَّنَاءَ وَالْمَدْحَ عَلَى الْإِحْسَانِ وَالْأَنْعَامِ يَخْتَصُّ بِالْمُنْعِمِ وَالْمُحْسِنِ إِلَيْهِ فَإِنْ كَانَ الْمُنْعِمُ مِنْ أَهْلِ اللَّهِ وَأَرْبَابِ الْفَضِيلَةِ وَالْإِيمَانِ فَلَا مَحَالَةَ يَكُونُ الْمَدْحُ وَالثَّنَاءُ مِنْهُ وَإِنْ كَانَ مِنَ الْأَشْرَارِ وَاللَّثَامِ فَهُوَ لَهُ أَيْضًا وَهَذَا مِمَّا لَا كَلَامَ فِيهِ.

ثُمَّ إِنْ وَاضَعَ الْمَعْرُوفِ فِي غَيْرِ حَقِّهِ وَعِنْدَ غَيْرِ أَهْلِهِ حَيْثُ وَضَعَهُ فِي غَيْرِ أَهْلِهِ فَلَا يَحْمَدُهُ وَلَا يَثْنِي عَلَيْهِ إِلَّا غَيْرَ أَهْلِهِ الَّذِي وَضَعَ الْمَعْرُوفَ فِيهِ وَقَوْلُهُ ﷺ: مَا دَامَ مُنْعِمًا عَلَيْهِمْ، إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ الْمَحْمَدَةَ وَالثَّنَاءَ مِنْهُمْ لَا تَكُونُ دَائِمًا بَلْ مَا دَامَ كَوْنُ الْمُنْعِمِ مُنْعِمًا عَلَيْهِمْ وَإِلَى هَذَا إِشَارَةُ ﷺ بِقَوْلِهِ.

□ قَوْلُهُ ﷺ: مِنْ الْحَظِّ فِيمَا آتَى إِلَّا مَحْمَدَةَ اللَّثَامِ وَثَّنَاءَ الْأَشْرَارِ وَمَقَالَةَ الْجُهَّالِ مَا دَامَ مُنْعِمًا عَلَيْهِمْ مَا أَجُودَ يَدُهُ...

أَيُّ لَا حَظٌّ وَلَا نَصِيبٌ لِمَا حَبِيبَ الْمَالِ الَّذِي وَضَعَهُ فِي غَيْرِ حَقِّهِ وَعِنْدَ غَيْرِ أَهْلِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ إِلَّا مَحْمَدَةَ اللَّثَامِ وَثَّنَاءَ الْأَشْرَارِ وَمَقَالَةَ الْجُهَّالِ، أَيُّ هَؤُلَاءِ يَحْمَدُونَهُ وَيَثْنُونَ عَلَيْهِ وَيَقُولُونَ فِيهِ مِنَ الْأَقْوَالِ مَا يَشَاؤُنَ مَا دَامَ كَوْنُهُ مُنْعِمًا عَلَيْهِمْ فَإِذَا انْقَطَعَتِ النِّعْمَةُ انْقَطَعَ الْحَمْدُ وَالثَّنَاءُ وَيَقُولُونَ مَا أَجُودَ يَدُهُ، كَلِمَةٌ (مَا) لِلتَّعَجُّبِ أَيُّ اتَّعَجَّبَ مِنْ جُودِهِ بِيَدِهِ هَذَا وَأَنْتَ إِذَا نَظَرْتَ إِلَى أِبْنَاءِ زَمَانِكَ وَمِنْ مَضَى مِنْهُمْ فِي طُولِ الْقُرُونِ وَالْأَعْصَارِ لِذُرِّيَّتِكَ أَنْ مَا ذَكَرَهُ ﷺ حَقٌّ لَا مَرِيَّةَ فِيهِ وَصِدْقٌ لَا شُبُهَةَ فِيهِ بَلْ هَذَا هُوَ الْأَصْلُ فِي رَوَاجِ الْمُنْكَرَاتِ فِي الْإِجْتِمَاعِ وَصَرَفِ الْأَمْوَالِ فِي تَحْصِيلِ الْمَقَامِ وَالرِّئَاسَةِ وَالْوَصُولِ إِلَى الْمُسْتَهْيَاتِ فَتَرَى النَّاسَ حَوْلَ هَذِهِ الطَّوَاغِيتِ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارٍ وَلَكِنْ حُبُّهُمْ لِلدُّنْيَا لِشَدِيدِ فَيَقُولُونَ فِيهِمْ مَا لَا يَلِيقُ بِهِمْ إِلَّا تَرَى أَنَّ الشُّعْرَاءَ فِي عَهْدِ الْخُلَفَاءِ الْغَاصِبِينَ الظَّالِمِينَ كَيْفَ مَدَّحُوهُمْ وَاثْنُوا عَلَيْهِمْ بِمَا لَا يَتَصَوَّرُ فَوْقَهُ فِي أَشْعَارِهِمْ وَغَيْرِهِمْ



في اقولهم مع أنهم كانوا من اراذل الناس واخبثهم واطلمهم بشهادة التاريخ ثم  
عبر عن هذه الروية الخبيثة والسيرة والكثيفة من لا خبرة له وهو اكثر  
المؤرخين وارياب السير بالجود والسخاء مثلاً فيقولون ان عثمان ابن عفان  
ومعاوية وغيرهما من بني أمية كانوا اسخياء بل قالوا ان بني أمية اسخى من بني  
هاشم وهم اشجع منهم، ثم وصلت التوبة إلى اولاد العباس لا رحمهم الله  
تعالى فاعطوا من اموال الناس إلى هذه الأراذل والأشرار امثال ابي العتاهية  
وغيره من المدلسين المتملقين ما لا يعلم مقداره إلا الله تعالى ونحن نشير إلى  
شرذمة قليلة منهم وتفصيل الكلام فيه موكول إلى غير هذا الكتاب.

١- دخل سوار القاضي على عبد الله ابن طاهر صاحب خراسان فقال اصلح  
الله الأمير.

لنا حاجة والعدر فيها مقدم خفيف معناها مضاعفة الأجر  
فإن تقضها فالحمد لله وحده وإن عاق مقدور ففى اوسع العذر  
قال له ما حاجتك يا ابا عبد الله قال كتاب لي ان رأى الأمير اكرمه الله ان  
يُنْفِذَه في خاصة كتبه إلى موسى ابن عبد الملك في تعجيل ارزاقى قال او غير  
ذلك ابا عبد الله نَعَجِّلْهَا لك من مالنا وإذا وددت كنت مُخَيَّرًا بين ان تاخذ او ترد  
فانشد سوار يقول:

فبأبك أيمن ابوابهم ودارك مأهولة هامرة  
وكفك حين ترى المُجْتَدِين اندى من الليلة الماطرة  
وكلبك أنس بالمُضِيفِينَ من الأم باينتها الزامرة  
وقال الوطواط في مدح بعضهم:  
ما نوال الغمام فصل ربيع كنوال الأمير يوم سخاء  
فنوال الأمير بدرة عين ونوال الغمام قطرة ماء  
وقال الآخر لخالد ابن وسيم:  
ا خالد إن الرّي قد احجفت بنا وضاق علينا رحبها ومعاشها

وقد اطمعنا فيك يوماً سحابة أضائت لنا يوماً وكف رشاشها  
 فلا غيمها يصحو فيئس طامعاً ولا ماؤها ياتي فتروي عطاشها  
 ٢- وقال مروان ابن ابي حفصة لقيت يزيد ابن يزيد وهو خارج من عند  
 المهدي العباسي فاخذت بعنان دابته وقلت له اني قلت فيك ثلاثة ابيات اريد  
 لكل بيت منها مائة الف بيت قال هات قال:

يا اكرم الناس من عجم ومن عرب بعد الخليفة يا ضرغامه العرب  
 افنسيت مالك تعطيه وتهبه يا آفة الفضة البيضاء والذهب  
 ان السنان وحده السيف لو نطقا لأخبرا عنك في الهيجاء بالعجب

٣- اقبل اعرابي إلى داود ابن المهلب فقال له اني مدحتك فاستمع قال علي  
 رسلك ثم دخل بيته وتقلد سيفه وخرج فقال قل فإن احسنت حكمناك وإن  
 اسات قتلناك فانشا يقول:

أمنتُ بـداوِدِ وجُودِ يمينه

من الحدّث المَخشي والبؤس والفقر

فاصبحتُ لا اخشى بـداوِدِ نبوة

من الحدّثان إذ شدتُ به أزرِي

له حُكم لُقمان وصوره يوسف

ومُلك سليمان وعدل ابي بكر

فتى تفرق الأموال من جُود كفه

كما يُفرّق الشيطان من ليلة القدر

فقال داود قد حكمناك فإن شئت على قدرك وإن شئت على قدرِي قال بل

على قدرِي فاعطاه خمسين الفاً فقال له جُلسائه هلاً احتكمت على قدر الأمير

قال لم يك في ماله ما يفي بقدره، قال له داود انت في هذه اشعر منك في

شِعرك وامر له بمثل ما اعطاه.

٤- قال الأصمعي: كنت عند الرّشيد لَعنه الله إذ دخل عليه إسحاق ابن

إبراهيم الموصلي فانشده:

وَأَمِيرَةٌ بِالْبُخْلِ قَلَّتْ لَهَا إِقْصَرَى

فَلَيْسَ إِلَى مَا تَأْمُرِينَ سَبِيلُ

فَعَالِي فَعَالٍ الْمَكْثَرِينَ تَحْمِلًا

وَمَالِي كَمَا قَدْ تَعْلِمَانِ قَلِيلُ

فَكَيْفَ أَخَافُ الْفَقْرَ أَوْ أَحْرَمَ الْغَنَى

وَرَأَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ جَمِيلُ

فَقَالَ لَهُ الرَّشِيدُ اللَّهُ دَرَّ آيَاتٍ تَاتِينَا بِهَا مَا أَحْسَنَ أَصُولَهَا وَأَبِينَ فِضُولَهَا وَأَقْلَ فِضُولَهَا يَا غُلَامَ اعْطِهِ عَشْرِينَ الْفَأُ قَالَ وَاللَّهِ لَا أَخَذْتُ مِنْهَا دِرْهَمًا وَاحِدًا قَالَ وَلَيْمَ، قَالَ لِأَنَّ كَلَامَكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ خَيْرٌ مِنْ شِعْرِي قَالَ الرَّشِيدُ اعْطُوهُ أَرْبَعِينَ الْفَأُ قَالَ الْأَصْمَعِيُّ فَعَلِمْتُ وَاللَّهِ أَنَّهُ أَصِيلٌ لِدِرَاهِمِ الْمَلُوكِ مِنِّي.

5- وَقَالُوا قَدِمَ زَيْدُ ابْنِ مَنبَةَ مِنَ الْبَصْرَةِ عَلَى مَعَاوِيَةَ، وَهُوَ أَخُو يَعْلَى ابْنِ مَنبَةَ صَاحِبِ جَمَلٍ عَائِشَةٌ وَمُتَوَلِّي تِلْكَ الْحُرُوبِ وَرَأَسَ أَهْلَ الْبَصْرَةِ وَكَانَتْ ابْنَتَهُ يَعْلَى عِنْدَ عْتَبَةَ ابْنِ أَبِي سَفْيَانَ فَلَمَّا دَخَلَ عَلَى مَعَاوِيَةَ شَكَا دَيْنَهُ فَقَالَ يَا كَعْبُ اعْطِهِ ثَلَاثِينَ الْفَأُ، فَلَمَّا وُلِّي قَالَ وَلِيَوْمِ الْجَمَلِ ثَلَاثِينَ الْفَأُ أُخْرَى ثُمَّ قَالَ لَهُ الْإِخْوَانُ بِصَهْرِكَ يَعْنِي عْتَبَةَ فَقَدِمَ عَلَيْهِ قَصْرَهُ وَقَالَ لَهُ مَا قَالَ مِنَ الْأَكَاذِيبِ فَأَعْطَاهُ سِتِّينَ الْفَأُ كَمَا اعْطَاهُ مَعَاوِيَةَ.

6- وَقِيلَ وُلِدَتْ لِأَبِي دَلَامَةَ ابْنَتُهُ لَيْلًا فَاوْقَدَ السَّرَاجَ وَجَعَلَ يُخَيِّطُ خَرِيطَةً مِنْ شَقَقٍ فَلَمَّا أَصْبَحَ طَوَاهَا بَيْنَ أَصَابِعِهِ وَغَدَا بِهَا إِلَى الْمَهْدِيِّ الْعَبَّاسِيِّ فَاسْتَاذَنَ عَلَيْهِ وَكَانَ لَا يُحْجَبُ عَنْهُ فَاَنْشَدَهُ.

لَوْ كَانَ يَقْعُدُ فَوْقَ الشَّمْسِ مِنْ كَرَمٍ

قَوْمٌ لَقِيلَ إِقْعُدُوا يَا آلَ عَبَّاسٍ

ثُمَّ ارْتَقُوا مِنْ شَعَاعِ الشَّمْسِ فِي دُرْجٍ

إِلَى السَّمَاءِ فَانْتُمْ أَكْرَمُ النَّاسِ

قال له المهدي احسنت يا ابا دلامة فما الذي غدا بك علينا قال وُلدت لي  
جارية قال فهل قلتَ فيها شعراً قال نَعَمْ قلت:

فما وُلدتك مريم أم عيسى      ولم يكفك لقمان الحكيم  
ولكن قد تَضُمك أم سَوءٍ      إلى لَبَّاتِها وابُّ لَسِيْمٍ

فَضَحك المهدي وقال فما تُريد ان أُعِيْنك به في تربيتها يا ابا دلامة قال تملأ  
هذه يا امير المؤمنين وَاشار بالخريطة بين اِصْبِيعه فقال المَهدي وما عسى ان  
تحمل هذه قال من لم يَقْنَع بالقليل لم يَقْنَع بالكثير فامر ان تُملأ مالا فلما  
نُشرت اخذت عليهم صحن الدار فدخل فيها اربعة آلاف درهم.

٧- وكتب ابو دلامة إلى عيسى ابن موسى وهو والي الكوفة رَقعة فيها هذه

الآيات:

إذا جِئتَ الأمير فقل سلام      عليك ورحمة الله الرحيم  
فأما بعد ذاك فلي نريم      من الأنصار قَبَّح من غريم  
لُزومٌ ما علمت لباب داري      لُزوم الكلب اصحاب الرقيم  
له مائة عَلَيَّ ونِصف أخرى      ونِصف النِصف في صكِّ قديم  
إلى آخر ما قال من الأكاذيب والموهومات فبعث إليه بمائة الف درهم.

٨- ودخل ابو دلامة على المَهدي فانشده ابيات اعجب بها فقال له سلني ابا  
دلامة وأحتكم وأفرط ما شئت فقال يا امير المؤمنين كلب أَصْطادُ به قال قد  
امرنا لك بكلبٍ وهاهنا بلغت هِمَّتكَ وإلى هاهنا إنتهت امْنِيَّتكَ قال لا تعجل  
عليّ يا امير المؤمنين فإنه بقي عَلَيَّ قال وما بقي عليك قال غلام يَقُود الكلب  
قال وغلام يَقُود الكلب، قال وخادم يطبخ الصّيد، قال وخادم يطبخ الصّيد، قال  
ودار نَسْكُنْها قال ودار نَسْكُنْها قال وجارية ناوي إليها قال وجارية تاوي إليها  
قال قد بقي الآن المعاش قال قد اقطعناك الفَي جريب عامرة والفَي جريب  
غامرة قال وما الغامرة قال التي لا تُعمر قال انا اقطع امير المؤمنين خمسين الفاً  
من مُنافي بني اسد قال قد جعلتها كلها لك عامرة قال فياذن لي امير المؤمنين

ففي تقبيل يده قال أما هذه فدعها قال فأمنعتني شيئاً يسر هي أم ولدي فقدأ منه.

٩- ودخل رجل من الشعراء على يحيى ابن خالد ابن برمك فأنشده:

سالت الندا هل انت حرُّ فقال لا      ولكنني عبدٌ ليحيى بن خالد  
فقلت شراءً قال لا بل وراثَةٌ      توارثني عن والد بعد والد  
فامر له بعشرة آلاف درهم.

١٠- ودخل اعرابي على خالد ابن عبد الله القصري فأنشده.

اخالد اني لم ازرك لخلد      سوى أنني عاف وأنت جواد  
اخالد بين الخمد والأجر حاجتي      فايهما تاتي فانت عماد  
فامر له بخمسة آلاف درهم.

١١- وقال الآخر في مدح ابي العباس القائد:

الله جَرْدٌ لَلندى والباس      سيفاً فصلاًء ابا العباس  
ملك إذا استقبلت غرة وجهه      قبض الرجاء إليك روح الياس  
وجد عليه من الحياء سكينه      ومحبة تجري مع الأنفاس

اقول: والحكايات في الباب كثيرة فانظر إلى هؤلاء القوم كيف اعطوا اموال المسلمين وصرفوها في غير حقها ووضعوها في غير اهلها لأجل المحمّدة والثناء من هؤلاء اللئام الأشرار امثال ابي دلامة الخبيث ولعلهم ظنوا انهم يحسنون صنعا إذ قد سمعوا ان الجود من اشرف الفضائل والسخاء من افضل المكارم ولم يعلموا ان الجود والسخاء إذا كان في حقّه وعند اهله فهو ممدوح وأما إذا كان في غير حقّه بان يجود بـمال غيره وعند غير اهله امثال ابي دلامة فلا يستحق صاحبه إلا هذه المحامد الكاذبة في الدنيا مادام الجود باقياً وأما الآخرة فليس له فيها من نصيب، ولنعم ما قال البشار العقيلي في ابن يقطين.

حتي متى ليت شعري يا بن يقطين      انني عليك بما لا منك توليني  
أما علمت جزاك الله صالحه      عني وزادك خيراً يا بن يقطين  
إنني أريدك للدنيا وزينتها      ولا أريدك يوم الدين للدين

□ قوله ﷺ: وَهُوَ عَن ذَاتِ اللَّهِ بِخَيْلٍ...

اي وهو اعني واضع المعروف في غير حقه وعند غير اهله، عن ذات الله بخيل، اي ليس جوده وسخائه في طريق مَرَضَاةِ اللَّهِ بل هو من هذه الجهة بخيل ليس بجواد اصلاً وبعبارة أخرى جوده وسخائه لأجل الدنيا ومحمدة اللثام إياه لا لأجل الآخرة ولذلك تراه يجود على مَنْ يَعْلَمُ أَنَّهُ يُثْنِي عَلَيْهِ وَيَحْمِدُهُ وَأَمَّا مَنْ لَيْسَ كَذَلِكَ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ فَهُوَ لَا يَعْرِفُهُ أَصْلًا وَقَدْ ذَمَّهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ حَيْثُ قَالَ: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ (١)

و: ﴿فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخُلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ (٢)

و: ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى﴾ (٣)

وقد مرّ منا الكلام في ذمّ البخل وذكرنا الآيات والأخبار فيه.

□ قوله ﷺ: فَمَنْ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَلْيَصِلْ بِهِ الْقَرَابَةَ...

ثم بعد ما ذكر ﷺ أن واضع المعروف في غير حقه وعند غير اهله حاله كذا الدال بالمفهوم على أنه ينبغي ان يوضع المعروف في حقه وعند اهله وإنما قلنا ذلك لأن وضع المعروف لا يخلوا من الحالين اعني وضعه في غير الحق وعند غير اهله ووضع في الحق وعند اهله فإذا كان الأول مذموماً فلا محالة يكون الثاني ممدوحاً لإستحالة إجتماع النقيضين وإرتفاعهما وعليه فكأنه قيل له ﷺ إذا كان وضع المعروف في غير حقه مذموم عقلاً مطروداً شرعاً فأي شيء يصنع صاحب المعروف في ماله فقال ﷺ في الجواب أمور احدها، صلة الرّحم، وثانيها، حسن الضيافة، وثالثها، فكّ الأسير، ورابعها إعطاء الفقير والغارم فهذه هي الأمور التي لا بد لكل مكلف ممن آتاه الله من فضله ان يراعيها حق الرعاية، فقوله ﷺ: فَمَنْ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَلْيَصِلْ بِهِ الْقَرَابَةَ، إشارة إلى

الأول منها وقد دلت الآيات والأخبار، والعقل على حُسنها وكونها مرضية فيها.  
فمن الآيات الدالة عليها قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ  
وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾ (١)

و: ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ  
الْحِسَابِ﴾ (٢)

و: ﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ  
وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ (٣)

ومن الأخبار ما رواه في مشكاة الأنوار من كتاب المحاسن عن الباقر عليه السلام  
قال قال رسول الله ﷺ أوصي الشاهد من أمتي والغائب منهم ومن في  
اصلاب الرجال وراحام النساء إلى يوم القيمة ان يصل الرّحم وإن كانت منه  
على مسيرة سنة فإنّ ذلك من الدين انتهى «ص ١٦٥»...

وما رواه فيها عن ابي عبد الله عليه السلام قال إتقوا الحالقة فإنها تميت الرجال قلت  
وما الحالقة قال قطيعة الرّحم انتهى «ص ١٦٥»...

وقال رسول الله ﷺ ما من ذنب اجدر ان يعجل الله لصاحبه العقوبة في  
الدنيا مع ما ادخره في الآخرة من البغي وقطيعة الرّحم انتهى «ص ١٦٥»...  
وقال عليه السلام أول ناطق من الجوارح يوم القيمة الرّحم يقول يا ربّ من  
وصلني في الدنيا فصل اليوم ما بينك وبينه ومن قطعني في الدنيا فاقطع  
اليوم ما بينك وبينه انتهى «ص ١٦٥»...

وقال الباقر عليه السلام صلة الأرحام تزكي الأعمال وتُدفع البلوى وتنمي الأموال  
وتيسر الحساب وتنسي في الأجل انتهى «ص ١٦٥»...

وعنه عليه السلام قال قال رسول الله ﷺ: برّ الوالدين وصلة الرّحم يهونان  
الحساب ثمّ تلى ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾ (٤) «ص ١٦٥»...

وعن ابي عبدالله عليه السلام قال صلة الرَّحْمِ وِبِرِّ الوالدين يَمُدُّ اللهُ بهما في العمر  
ويزيد في المَعِشِيَةِ انتهى «ص ١٦٦»...

وعن عليّ ابن الحسين عليه السلام قال عليه السلام من رَوَّحَ اللهُ ووَصَلَ الرَّحْمَ تَوَجَّهَ اللهُ  
بتاج الملك يوم القيامة انتهى «ص ١٦٦»...

وعن ابي عبدالله عليه السلام صِلْ رَحِمَكَ ولو بشربةٍ من ماءٍ وافضل ما تُوصِلُ به  
الأرحام كَفَّ الأذى عنها انتهى «ص ١٦٦»...

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله من احبَّ ان يُوسَّعَ له في رزقه ويُنسَى له في اجَله  
فليَصِلْ رَحِمَه انتهى «ص ١٦٦»...

وعن مسالمة مولاة ابي عبد الله عليه السلام قالت كنت عند ابي عبد الله عليه السلام حين  
حضرتة الوفاة فأغمي عليه فلما افاق قال أعطوا الحسن ابن علي ابن الحسين  
وهو الأفتس سبعين ديناراً وأعطوا فلاناً كذا وفلاناً كذا فقلت اتعطي رجلاً  
حمل عليك بالشفرة فقال عليه السلام وَيْحَكَ اما تقران القرآن قلت بلى قال اما  
سمعت قول الله عزَّ وجلَّ ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾<sup>(١)</sup> انتهى «  
ص ١٦٦»...

وعنه عليه السلام ثلاثة من مكارم الدنيا والآخرة ان تعفو عمَّن ظَلَمَكَ، وتَصِلَ من  
قَطَعَكَ وتَحِلِمَ إذا جهل عليك انتهى...

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله عن جبرئيل عن الله عزَّ وجلَّ قال تعالى: انا الرَّحْمَنُ  
شَقَقْتُ الرَّحِمَ من اِسْمِي فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته انتهى «ص  
١٦٦»...

وقال عليه السلام صِلُوا ارحامكم ولو بالسَّلام انتهى «ص ١٦٦»...

وقال عليه السلام لا تَنْزِلُ الرَّحْمَةَ على قومٍ فيهم قاطع رحمٍ (قاطع الرَّحْمِ) انتهى «  
ص ١٦٦»...

وعن الصادق عليه السلام قال عليه السلام إن رجلاً من خَنَعَمِ جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال



يا رسول الله ما افضل الإسلام قال الإيمان بالله قال ثم ماذا قال صلة الرّحم  
ثم ماذا قال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقال الرجل اي الأعمال  
ابغض إلى الله عز وجل قال الشّيرك بالله قال ثم ماذا قال قطيعة الرّحم قال ثم  
ماذا قال الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف انتهى» ص ١٦٧... والأحاديث  
في الباب كثيرة.

وامّا العقل: فلا شك في كونه حاكماً بحسنها بل كادت ان تعدّ من  
المستقلّات العقليّة والدليل عليه انّ العقلاء يُرّجِحون اقربائهم على الأغيار في  
جميع الموارد سواء في الحكومات ام في الأمور الماليّة حتّى انّ الشّارع جعل  
القدر المخرج من المال من الزكوة والخمس والصدقات المُستحبّة وغيرها في  
الأقرباء أولاً وفي غيرهم ثانياً حتّى افتوا في الكتب الفقهيّة بعدم جواز صرفها  
في غير الأقرباء لو كانوا موجودين مُستحقّين اللّهم إلّا انّ يكون مورداً هو اهمّ  
والزم وهو نادر والحاصل انّ الموضوع ممّا يساعده العقل ويوافقهُ العرف بل  
الفطرة والغريزة تستدعي كذلك.

□ قوله ﷺ: وَلِيُحْسِنِ مِنْهُ الضِّيَافَةَ...

وهذا هو الثاني من الموارد الذي ينبغي التوجّه من صاحب المال إليه وهو  
اعني حسن الضيافة ايضاً ممدوحٌ مرغّبٌ فيه كتاباً وسنةً وعقلاً.

فمن الآيات قوله تعالى: ﴿وَنَبِّئُهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ﴾<sup>(١)</sup>

و: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾<sup>(٢)</sup>

و: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ﴾<sup>(٣)</sup>

و: ﴿قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ﴾<sup>(٤)</sup>

دلّت الآيات على فضل الضيف وشرفه وإذا كان كذلك فالضيافة ممدوحة  
وهو المطلوب.

وأما الأخبار في فضلها فكثيرة جداً.

منها: قال رسول الله ﷺ الضيف إذا جاء فنزل بالقوم جاء برزقه معه من السماء فإذا أكل غفر الله لهم بنزوله انتهى).

وقال ﷺ ما من ضيف حلّ بقوم إلا ورزقه في حجره انتهى وقال ﷺ لا خير فيمن لا يضيف انتهى...

وقال ﷺ من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه انتهى وقال ﷺ الضيف دليل الجنة انتهى...

وقال ﷺ لا تزال أمتي بخير ما تحابوا وأدوا الأمانة وإجتنبوا الحرام وأقروا الضيف...

وقال ﷺ إذا أراد الله بعبد خيراً أهدى إليهم هدية قالوا وما تلك الهدية قال ﷺ الضيف ينزل برزقه ويرتحل بذنوب أهل البيت انتهى...

وقال ﷺ كل بيت لا يدخل فيه الضيف لا تدخله الملائكة انتهى...

وقال أمير المؤمنين عليه السلام ما من مؤمن يحب الضيف إلا ويقوم من قبره ووجهه كالقمر ليلة البدر فينظر جميع، (أهل الجمع) فيقولون ما هذا إلا نبى مرسل فيقول ملك هذا مؤمن يحب الضيف ويكرم الضيف ولا سبيل له إلا أن ادخل الجنة انتهى) والأحاديث كلها نقلناه عن جامع السعادات «ج ٢ ص ١٤٩ و ص ١٥٠»...

وقد ذكر ﷺ في كتابه هذا كثيراً منها لم نذكرها مخافة التّطويل والأخبار في البحار والكافي وغيرهما من المفضلات أيضاً كثيرة إذا عرفت هذا يعني فضيلة الضيافة بالكتاب والسنة فلا بأس بالإشارة إلى بعض ما ينبغي ذكره في المقام تكميلاً للبحث وهو امران.

أحدهما: ما ينبغي أن يقصد بالضيافة وهو التّقرب إلى الله تعالى والتّسنن بسنة رسول الله وإستمالة قلوب الإخوان وإدخال السرور على قلوب المؤمنين ولا يقصد به الرياء والمفاخرة والمباهاة والأضاع عمله وإن يدعو الفقراء

والأتقياء وإن كان في ضيافة الأغنياء ومطلق الناس فضيلة أيضاً وينبغي أن لا يهمل في ضيافة الأقارب والجيران إذ إهمالهم قطع رَحِم وإيحاشٍ وان لا يعلم ولا يدعوا من يعلم أنه تشق عليه الإجابة وينبغي أن يعجل في إحضار الطعام لأنه في إكرام الضيف من طلاقة الوجه وطيب الكلام معه عند دخوله وخروجه وعلى المائدة والخروج معه إلى باب الدار إذا خرج (قال رسول الله ﷺ إن من سنة الضيف أن يشيعة إلى باب الدار ومما ينبغي أن لا يستخدم الضيف قال الباقر عليه السلام من الجفاء استخدام الضيف).

وثانيهما: في آداب الضيافة، وهو أنه ينبغي لكل مؤمن أن يجيب دعوة أخيه إلى الضيافة من غير أن يفرق بين الغني والفقير بل يكون أسرع إجابة إلى دعوة الفقير.

(قال رسول الله ﷺ: أوصي الشاهد من أمتي الغائب وأن يجيب دعوة المسلم ولو على خمسة أميال ولا يمنعه صوم التطوع عن الإجابة بل يحضر فإن علم سرور أخيه بالأفطار فليفطر ويحتسب في إفطاره أفضل ما يحتسب في صومه (قال الصادق عليه السلام: من دخل على أخيه وهو صائم فافطر عنده ولم يعلمه بصوم فيمن عليه كتب الله له صوم سنة وإن علم أنه متكلف ولا يسر بإفطاره فليتعلم).

وينبغي أن لا يقصد بالإجابة قضاء شهوة البطن ليدخل عمله في أمور الدنيا بل ينوي الإقتداء بسنة رسول الله ﷺ وإكرام أخيه المؤمن ليكون في عمله مطيعاً لله مثاباً في الآخرة وأن يحترز عن الإجابة إذا كان الداعي من الظلمة أو الفساق أو كانت ضيافته للفخر والمباهات ومن كان طعامه حراماً أو شبهة أو لم يكن موضعه أو بساطه المفروش حلالاً أو كان في الموضع شيء من المنكرات فكل ذلك مما يمنع الإجابة (قال الصادق عليه السلام: لا ينبغي للمؤمن أن يجلس مجلساً يعصى الله تعالى فيه ولا يقدر على تغييره ومن ابتلى بحضور طعام ظالم إكراهاً وتقيةً فليقلل الأكل ولا ياكل أطائب الأطعمة).

أما العقل فواضح وذلك لأن فيها تحبيب القلوب وتاليف النفوس ولا شك  
 أنها من المستحسنات العقلية مضافاً إلى أن إشباع الجائع أيضاً ممدوح عقلاً  
 وكذلك ترى الناس كلهم متفقون على حسن الضيافة ومدح من إتصف بها  
 وذم من انكرها بالقول والعمل بل لا يبعد عداها من المستقلات العقلية  
 كالشجاعة والعدالة وامثالهما ولا تجد عاقلاً يقول بقبح الضيافة وإن لم يتصف  
 بها في نفسه وهذا مما لا يشك فيه احد.

□ قوله **الأسير**: **وَلَيْفَكَ بِهِ الْأَسِيرَ وَالْعَانِي...**

وهذا هو الثالث من الأمور التي ينبغي لصاحب المال التوجه إليه اعني فك  
 الأسير والعاني قال الخوئي في شرحه تبعاً لغيره من الشراح إن عطف العاني  
 على الأسير للتفسير بمعنى أن المقصود بهما واحد إلا أن الثاني يفسر الأول  
 فكأنه قيل ما الأسير قال هو العاني.

**اقول:** ما ذكره لا بأس به ونحن نشير إلى بعض ما قاله اهل اللغة في هذه  
 الكلمة.

قال في لسان العرب، قال الأخفش في قوله تعالى وَعَسَىٰ أَن يَرَاهَا فِي سَبْحٍ مَّنْقُوعَةٍ  
 إستاسرت، وقال العاني الأسير، وقال ابو الهيثم، العاني الخاضع، والعاني العبد،  
 والعاني السائل من ماءٍ او دمٍ، يقال عَنَّت القربة تعنوا إذا سال ماءها قال الشاعر:  
 تعنو بمخروت له ناضح      ذُو رِيْقٍ يَغْدُو وَذُو شَلْشَلٍ

وقال ابو الهيثم أيضاً، العناء الحبس في شدة وذلل، وفي الحديث إتقوا الله  
 في النساء فإنهن عندكم عوان اي أسرى او كالأسرى واحدة العواني في عانية  
 وهي الأسيرة قال والعواني النساء لأنهن يظلمن فلا ينصرن وفي حديث  
 المقدم، الخال وارث من لا وارث له يفك عانه اي عانيه فحذف الياء ومنه  
 قوله **عَوَّدُوا الْمَرْضَىٰ وَفُكُّوا الْعَانِي**، يعني الأسير، وفي حديث آخر  
 اطعموا الجائع وفكوا العاني، قال ولا اراه إلا ماخوذاً من الذل والخضوع وكل  
 من ذل واستكان وخضع فقد عنا والإسم منه العنوة انتهى ما اردنا ذكره.

اقول: على ما ذكره لا يبعد ان يكون المراد بالعاني المحبوس وعليه فهو من ذكر الخاص بعد العام فإنَّ المَحْبُوس ايضاً نوع من الأسير واقعاً وإن كان مغايراً له ظاهراً وهذا القدر كاف في المقام وإنما قلنا ذلك لأنَّ الأسير معناه معلوم فلا يحتاج إلى التفسير حتى يقال بانَّ العاني يفسره كما تخيلوا في المقام فالأولى حملة على ما ذكرناه.

وأما الأسير: يقال اسر فلان اساراً، واسر بالأمسار، والأمسار الرِّباط، وقيل هو القيد ويكون حبل الكتاف ومنه سمّي الأسير وكانوا يشدونه بالقيد (بالقد) فسمي كلُّ حينئذ اسيراً وإن لم يُشدَّ به والجمع منه، أسرى وأسارى انتهى. هذا كله في اصل اللّغة.

وأما في الإصطلاح: فهو يطلق عادةً على الماخوذ في الحرب وهذا هو المراد في المقام وقد حثَّ الشارع على فك الأسير بما لا مزيد عليه.

قال في دائرة المعارف، الأسير لدى الأمم المْتُوحِشَة لا يستوجب الرّحمة ولا يستنزل الشّفقة فهو جديرٌ بكلِّ انواع التّعذيب خليق بكلِّ الإفراطات الإنتقاميّة فيضرب ويضرب على جسمه القطران ويؤخذ بالسّيّاخ المحمّاة ويمثّل بجسمه وهو حيّ او يصلب او يحرق ولا كرامة ومن الأمم الوحشيّة من تستحلّ اكل لحم الأسير فهذه أمة النّيام نيام وكثير غيرها من قبائل السّودان والأقيانوسيّة ياكلون لحم اسراهم من البيض والسّود معاً وكان الأسير عند اليونانيّين والرومانيّين يعتبر إنساناً مجرداً من الحقوق الإنسانيّة يضرب ويهان ويستخدم كالبهائم ويقتل ولا يطالب بدمه احد حتّى ولا الحكومة ثم صدرت في الأزمنة الأخيرة من عهد الرّومانيّين شرائع خففت قليلاً من وطأة الأسر على الأسير ولكنها لم تبلغ به إلى درجة الإنسانيّة فهو دائماً في نظرها شخص مجرد من الحقوق بإزاء سيّده والهيئة الإجتماعيّة وقد كان هذا شأن الأروبيّين فكان الأسير لديهم مهذّور الدّم هين الخطر اللّهم إلا إذا صلح لأن يبادل به اسير آخر من بني جلدتهم وكانوا في العادة يجبرون الأسرى على إعتناق دينهم كما

فعلت أسبانيا بأسراهم من العرب عند طردهم من الأندلس في القرن الخامس عشر فإنها اجبرتهم على التَّنَصُّر بالسَّيف والنَّار ولم يعهد هذا الضَّرب من المعاملة في تاريخ المسلمين في أيِّ زمن من أزمانهم وفي أيِّ بلد من بلدانهم لا لشيء غير ما ورد في القرآن الكريم من الحضُّ على إكرام الأسراء والإحسان إليهم قال تعالى في آية الأسير: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثَخَّنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوُثَاقَ فَمَا مَنَّا بَعْدُ وَإِنَّا فِدَاءٌ حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَأُنْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾<sup>(١)</sup> ثم قال: المراد هنا بالَّذين اشركوا (كفروا) مشركي العرب فإن الآية نزلت في حقهم لقوله تعالى إذا لقيتم المشركين في الحرب فأضربوا رقابهم حتى إذا قهرتموهم فاسروهم وشدوا وثقهم (وثاقهم)، لكيلا يكرروا عليكم فيقتلوكم أو يهربوا منكم فإذا فعلتم ذلك وعدتم بهم عن محال الحرب فإما ان تمنوا عليهم، بإطلاق سراحهم بغير عوض ولا فدية وإما ان يفادوكم فداء بان يعطوكم عوضاً فالآية صريحة في ان الأسير إما ان يمنَّ عليه فيطلق سراحه ويذهب حيث شاء وإما ان يُفدى بالمال او بغيره وقد قبل رسول الله ﷺ التعلُّم فدية عن الأسير فقبل ان يُعلِّم بعض أسرى بدر بعض المسلمين الكتابة في مُقابله فكَّه من الأسر ولا يخفى ان ذكر المَنِّ في هذا الموطن وبالنسبة للمُشركين الذين كانوا يغمرون للمسلمين اشدَّ الأحقاد في انفسهم لأكبر دافع للمُسلمين على الشَّفقة باسراهم والإحسان إليهم فإذا اضفت هذا إلى ما ذكره الله عن الصَّالحين من عباده في سورة الذَّهر من قوله تعالى: ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مَشَكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾<sup>(٢)</sup> علمت السَّبب في مُخالفة المُسلمين لِمن سواهم من الأمم في مُعاملة الأسير ثم قال:

وزد على ذلك ان النَّبي ﷺ امر بالإحسان إلى الأسرى حتى كان الذي

عنده اسير منهم يُطعمه الخُبز ويكتفي هو بالتمر غداءً، ثم نقل عن الطبري ما هذا لفظه.

قال الإمام الطبري في تفسيره: حدثنا بشر قال حدثنا سعيد عن قتادة في قوله تعالى: ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾<sup>(١)</sup> قال لقد امر الله بالأشراء ان يُحسن إليهم وان اشراهم يومئذ لأهل الشُّرك وهذه الآية نزلت في اهل بيت النبي ﷺ روي عن ابن عباس ان الحسن والحسين مرضا فعادَهُما رسول الله ﷺ في ناسٍ معه فقال يا ابا الحسن لو نذرت عليّ ولَدك فَتَظَر عليّ وفاطمة وفضة (جارية لهما) إن ابراهما الله ان يَصُومُوا ثلاثة ايام فشفيا وما معهما شيء فاستقرض عليّ من شَمْعُونِ الْيَهُودِي الْخَبِيرِي ثلاث اَصُوعٍ من شَعِير فَطَحَنَتْ منها فاطمة صاعاً واختَبِزَتْ خَمسة اقراص عليّ عددهم فوضَعوها بين ايديهم ليفطروا فوقف عليهم سائل فقال السلام عليكم يا اهل مُحَمَّدٍ مِسْكِينٍ من مَسَاكِينِ الْمُسْلِمِينَ اطْعَمُونِي اطْعَمَكُمُ اللهُ من عوائد الجنة فاثروه وباتوا ولم يَذُوقُوا إِلَّا المَاءَ واصْبَحُوا صِياماً فلَمَّا امْسُوا ووضعوا الطَّعام بين ايديهم وقَف عليهم يتيم فاثروه ووقف عليهم في الثالثة اسير ففعلوا مثل ذلك فلَمَّا اصبحوا اخذ عليّ ﷺ بيد الحسن والحسين إلى رسول الله فلَمَّا ابصرهم وهم يَرْتَعِشُونَ كالْفَرَاخِ من شِدَّةِ الْجُوعِ قال ﷺ ما اشد ما يسوئني ما ارى بكم فقام وانطلق معهم فرأى فاطمة في محرابها قد لصق ظهرها ببطنها وغارت عيناها فساء ذلك فنزل جبرئيل وقال خذها يا محمد اي خذا السورة التي نزلت في حق اهل بيتك هناك الله في اهل بيتك إنتهى كلام الطبري قال صاحب الكتاب.

يقول: السورة هي سورة الدهر التي اولها ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَّذْكُوراً﴾<sup>(٢)</sup> الخ إنتهى دائرة المعارف فريد وجدي ج ١ ص ٢٧٧ الى ص ٢٨٠.

اقول: والذي حصل لنا في المقام هو ان الإسلام قد منّ على الأسير وخلّصه  
 عمّا كان عليه في القرون الماضية وجعله إنساناً كسائر ابناء نوعه وقد تواترت  
 الأخبار من الفريقين على الرّحم والإرفاق له وكلامه ﷺ هذا الذي نحن بصدد  
 شرحه ادلّ دليل على المدّعى مُضافاً إلى ما عرفت من حثّ الرسول ﷺ على  
 فكّه والشفقة له وانت إذا راجعت التواريخ لعلمت ما قدّمناه لك ولا سيّما ما  
 فعله الرسول ﷺ بهم في غزوة بدر وفتح مكة حيث قال لهم اذهبوا انتم  
 الطلقاء.

□ قوله ﷺ: وَيُعْطِ مِنْهُ الْفَقِيرَ وَالْغَارِمَ...

وهذا هو الرابع ممّا ينبغي التوجه به لصاحب المال وهو إعطاء الفقير  
 والغارم ممّا انعم الله عليه والمراد بالفقير في المقام المحتاج وبالغارم المديون  
 على قول الشراح.

قال الراغب في المفردات، الغرم ما ينوب الإنسان في ماله من ضرر لغير  
 جناية منه او خيانة والغريم يقال لمن له الدين ولمن عليه الدين إنتهى.

اقول: على ما ذكره الراغب فالغارم اعني من له الغرم عبارة عن كل من  
 تضرر في ماله بحيث يحتاج إلى غيره، واما مطلق المديون فلا، إذ لا يبعد ان  
 يكون مديوناً وهو مع ذلك غير محتاج لكونه قادراً على اداء دينه فعلى قولهم  
 هو الغارم وعلى قولنا ليس به نعم لو فسّر الكلام بالمديون الذي لا يقدر على  
 اداء دينه ولم يكن دينه عن خيانة وجناية لكان له وجه واما المديون مطلقاً فلا  
 وجه للإنفاق عليه إلا بقدر الضرورة كالمديون عن خيانة وجناية هذا ثم إن  
 إعطاء الفقير والغارم ايضاً ممدوح منصوص به في الكتاب والسنة.

اما الكتاب ففي الفقير قوله تعالى: ﴿فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِعُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾ (١)

و: ﴿وَإِنْ تَخَفُوهَا وَتَوْتُوها الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ (٢)



و: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْغَامِلِينَ عَلَيْهَا﴾ (١)

ومما ورد في الغارم قوله تعالى: ﴿وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ﴾ (٢)

ومن الأخبار: ما رواه في البحار بأسناده عن أبي عبد الله عليه السلام قال اربع من اتى بواحدة منهن دخل الجنة من سقى هامة ظامنة، او اشبع كبداً جائعة او كسى جلد عارية او اعتق رقبة عانية إنتهى «ج ١٦ ص ١٠٢»....

وبأسناده عن أبي عبد الله (أبي جعفر عليه السلام) قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله أحب أعمال إلى الله ثلاثة، إشباع جوعة المسلم وقضاء دينه وتنقيس كربتة إنتهى «ص ١٠٢»....

وبأسناده عن أبي عبد الله عليه السلام قال المنجيات إطعام الطعام وإفشاء السلام والصلوة بالليل والناس نيام إنتهى «ص ١٠٢»....

وبأسناده عنه عليه السلام أنه قال تقربوا إلى الله بمواساة إخوانكم إنتهى «ص ١١١»....

وبأسناده عنه عليه السلام أنه قال من نفّس عن مؤمن كربة نفّس الله عنه كرب الآخرة وخرج من قبره وهو تلج الفؤاد ومن اطعمه من جوع اطعمه الله من ثمار الجنة ومن سقاه شربة سقاه الله من الرّحيق المختوم إنتهى «ص ١١٠»....

اقول: الأحاديث في فضل الإعطاء والإنفاق على الفقراء والمساكين وابن السبيل وامثالهم من الفقراء كثيرة جداً ذكر كثيراً منها في البحار والكافي وغيرهما من المطولات إن شئت فراجعها.

روي أنّ رجلاً جاء إلى امير المؤمنين فقال له عليه السلام إنّ لي إليك حاجة فقال عليه السلام إكتبها في الأرض فأبى لا ارى الضرّ فيك بيّنا فكتب في الأرض انا فقير محتاج فقال عليه السلام يا قنبر إكسه حلّتين فانشا الرجل يقول:

كسوتني حلة تبلى محاسنها

فسوف اكسوك من حسن الثناء حللا

إن نلت حسن ثنائي نلت مكرمة

ولست تبقي بما قد نلته بدلا

إن الثناء ليحيي ذكر صاحبه

كالغيث يحيي نداء السهل والجبلا

لا تزهد الدهر في عُرف بدات به

فكلَّ عبد سيجزى بالذي فعلا

فقال ﷺ إعطوه مائة دينار فقبل له يا امير المؤمنين لقد اغنيته فقال إنني

سمعت رسول الله يقول انزل الناس منازلهم ثم قال ﷺ إلا (علي) إنني لأعجب

من اقوام يشترون الممالك باموالهم ولا يشترون الأحرار بمعروفهم انتهى

بحار الأنوار ج ١٦ ص ١١٥.

□ قوله ﷺ: وَلْيَصْبِرْ نَفْسُهُ عَلَى الْحُقُوقِ وَالنَّوَائِبِ ائْتِغَاءَ الثَّوَابِ ...

وهذا هو الخامس مما امرهم وامرنا به وهو الصبر على الحقوق والنوائب

والمراد بالحقوق في المقام إمّا الواجبات والمندوبات منها كالزكاة والصدقات

مثلاً كما فسّر الخوئي رحمه الله كلامه ﷺ بها.

اقول: الأولى حمل كلامه ﷺ على الأعم مما ذكره ﷺ ليشمل الحقوق الإلهية

وحقوق الناس وذلك لأن صبر النفس على أداء الحق واجب سواء كان حقاً لله

تعالى ام للناس بل والحقوق الغير الواجبة كعيادة المريض وتشيع الجنائز

وامثالهما والحاصل ان الله تعالى على العبد حقوقاً وللناس من إخوانه المؤمنين

ايضاً عليه حقوق والحقان اعني حق الله وحق الناس ينقسمان إلى الواجب

والمندوب فحق الله واجب ومستحب وحق الناس ايضاً واجب ومستحب

وينبغي للإنسان ان يواظب على اقسامها وحيث إن المواظبة عليها لا تخلو عن

المشقة والصعوبة عبّر ﷺ عنها بصبر النفس عليها لكونها على خلاف ميل

النفس.

فحقّ الله الواجب ان لا نشرك به شيئاً وان تعبدّه مُخلصاً وبالجملة إتيان المأمور به وترك المنهي عنه على ما ورد في الشريعة المقدسة من الواجبات والمستحبات.

وحقّ الرسول والأئمة داخل في حقّ الله تعالى في الحقيقة لأنّ الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾<sup>(١)</sup> فمن اطاع الرسول فقد اطاع الله ومن عصاه فقد عصاه كما قال تعالى في كتابه: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾<sup>(٢)</sup> وغيرها من الآيات وحقّ الأئمة ايضاً كذلك كما هو ظاهر.

وامّا حقّ الناس فهو على اقسام شتى من حقّ الأبوين وحقّ الجوار وحقّ المعلم على المتعلم وحقّ الفقير على الغني وحقّ العالم على الجاهل وحقّ المظلوم على الظالم وامثال ذلك من الحقوق الواجبة والمستحبة وإنّما قسّمناها إلى الواجب والنّدب لأنّ حقّ المسلم على المسلم تارة يكون مُستحباً كالسّلام وأخرى واجباً كجوابه.

فمن الواجب حفظ مال المسلم وعرضه واداء حقّه ومن المُستحب عيادته في مرضه وتشيع جنازته والأمثلة كثيرة وانت تقدر على إستخراجها ولا سيّما بعد المراجعة إلى رسالة الحقوق لإمامنا السّجاد عليه السلام فإنّ الإمام عليه السلام قد فصل فيها الحقوق على اقسامها وانواعها بما لا مزيد عليه إن شئت فراجعها إذا عرفت هذا فاعلم انّ قوله عليه السلام: (وَلْيَصْبِرْ نَفْسَهُ عَلَى الْحُقُوقِ) يشمل الكلّ على تفاوت مراتبها فكما انّ حقّ الله يجب مراعاته والمُواظبة عليه كذلك حقّ الناس والمؤمن ينبغي له ان يواظب على الكلّ وإنّما عبّر عليه بالصبر وقال (وَلْيَصْبِرْ) لأنّه من الصّبر على الطاعة وقد ثبت انّ الصّبر على اقسام ثلاثة: احدها الصّبر على المعصية، وثانيها الصّبر على الطاعة، وثالثها الصّبر على المُصيبة وقد مرّ الكلام في الصّبر واقسامه مفصّلاً وسياتي الكلام فيه ايضاً في

مقام آخر وحيث إن المواظبة على الطاعات على خلاف ميل النفس فعَبَّرَ اللهُ عنها بالصبر هذا كله في الحقوق وأما النوائب، فهي جمع نائبة وهي في الأصل على ما فسروها في اللغة النازلة، المُصِيبَةُ، وقيل الحوادث خيراً كانت أو شراً، وقال الراغب في المفردات نائبة أي حادثة من شأنها ان تنوب دائماً انتهى.

وكيف كان فالمراد بالصبر عليها هو الصبر على المُصِيبَةِ الذي قلنا إنها من الأقسام الثلاثة وقد مدح الله تعالى الصابرين في كتابه كما قال: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِيرِ الصَّابِرِينَ﴾ (١)

و: ﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ﴾ (٢)

و: ﴿وَلَمَّا صَبَرْتُمْ لَهَوِ خَيْرٍ لِلصَّابِرِينَ﴾ (٣)

و: ﴿وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (٤)

و: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ أَلَمْ جَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ﴾ (٥) والآيات الكثيرة.

قال المولوي بالفارسية:

صبر تلخ آمد و لیکن عاقبت

میوه شیرین دهد پُر مَنفَعَت

هر که ماند از کاهلی بی شکر و صبر

او همی داند که گیرد پای جبر

صبر باشد مُشْتَهَى زبیرکان

هست حلوا آرزوی کبودکان

هر که صبر آورد گردون بر رود

هر که حلوا خورد و پس تر رود

صبر آرد آرزو را نسی شتاب

صبر کن والله أعلم بالصواب

صبر مفتاح الفرج نشنیده‌ای

کاندین تعجیل در پیچیده‌ای

صبر آمد عاشقان را کام دل

بیدلان را صبر شد آرام دل

هیچ گنجی بی دد و بی دام نیست

جز بخلوتگاه حق آرام نیست

وفي قوله عليه السلام (إبتغاء الثواب) إشارة إلى ما ورد في الشريعة المقدسة من الأجر والثواب عليه.

قال الباقر عليه السلام إذا كان يوم القيمة يقوم عنق من الناس فياتون باب الجنة فيقربونه فيقال لهم من انتم فيقولون نحن اهل الصبر فيقال لهم على ما صبرتم فيقولون كنا نصبر على طاعة الله ونصبر عن معصية الله (معاصي الله) فيقول الله تعالى صدقوا ادخلوهم الجنة وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾<sup>(١)</sup> انتهى «جامع السعادات ج ٣ ص ٢٨٧»...  
وقال عليه السلام من إبتلى من المؤمنين ببلاءٍ فصبر عليه كان له مثل اجر الف شهيد انتهى «ص ٢٨٨»...

وقال عليه السلام إن الله عز وجل أنعم على قوم فلم يشكروا فصارت عليهم وبالاً، وإبتلى قوماً بالمصائب فصبروا فصارت عليهم نعمة انتهى...

وقال عليه السلام من لا يعد الصبر لنوائب الدهر يعجز انتهى «ص ٢٨٨»...

وقال عليه السلام الجنة محفوفة بالمكاره والصبر فمن صبر على المكاره في الدنيا دخل الجنة، وجهنم محفوفة باللذات والشهوات فمن اعطى نفسه لذتها وشهوتها دخل النار انتهى «ص ٢٨٧»...

وقال امير المؤمنين عليه السلام وحسن الخلق والبرّ والجلم من اخلاق  
الأنبياء انتهى «ص ٢٨٦»...

والأخبار في مدحه والثواب عليه كثيرة في المطولات كالبحار والكافي  
وغيرها من الكتب.

□ قوله عليه السلام: فَإِنَّ فَوْزاً يَهْدِيهِ الْخِصَالِ شَرَفٌ مَكَارِمِ الدُّنْيَا وَدَرَكٌ فَضَائِلِ الآخِرَةِ  
إِنْ شَاءَ اللهُ...

الفوز مصدر فاز يفوز فوزاً وهو الظفر بالخير مع حصول السلامة قال الله  
تعالى: ﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾<sup>(١)</sup>

و: ﴿ذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ﴾<sup>(٢)</sup>

و: ﴿قَآوِلُكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾<sup>(٣)</sup>

و: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازاً﴾<sup>(٤)</sup> وغيرها من الآيات والمقصود ان الظفر بهذه  
الخيرات من صلة رحم والضيافة وفك الأسير وإعطاء الفقير والصبر على  
الحقوق والمصائب والوصول إليها شرفٌ وعزٌ ومكرمة في الدنيا ودرك فضائل  
الآخرة وهذا ممّا لا شك فيه.

أما كون الفوز بها شرفٌ مكارم الدنيا فلأن الموصوف بالصفات المذكورة  
يكون عند الناس عزيزاً محبوباً كما ان الموصوف بضدّها يكون مبغوضاً  
مطروداً وهذا ممّا يشهد به عرف العقلاء ولا يحتاج إلى دليل خاص الا ترى ان  
الناس يحبّون الصّابر والسّخي والعادل وغيرها ممّن يتّصف بالكمالات  
الإنسانية ولو كان كافراً فضلاً عن كونه مؤمناً ويُبغضون البخيل والظالم ولو كان  
مسلماً مؤمناً ولأجل هذا لا يبعد ان يقال ان هذا امر مركوز في الأذهان ومربوط  
بالفطرة وما كان كذلك لا يحتاج إلى دليل وبرهان.

وأما ان الفوز بها يوجب درك فضائل الآخرة فهو ايضاً ممّا لا ريب فيه وقد

ذكرنا الآيات والأخبار والواردة في مدحها والثواب عليها ومن اراد الإطلاع  
على الأخبار اكثر ممّا ذكرناه فعليه بكتب القوم ولا سيّما المفصّلات منها  
والحمد لله ربّ العالمين.

## ﴿ومن خطبة له﴾ (١٤٣) ﴿﴾

### في الإستسقاء

○ قوله ﴿﴾: **أَلَا وَإِنَّ الْأَرْضَ الَّتِي تُقَلُّكُمْ وَالسَّمَاءَ الَّتِي تُظَلُّكُمْ مُطِيعَتَانِ لِرَبِّكُمْ وَمَا أَصْبَحْنَا تَجُودَانِ لَكُمْ بِبَرَكَتَيْهِمَا تَوْجَعاً لَكُمْ وَلَا زُلْفَةً إِلَيْكُمْ وَلَا لَخِيرٍ تَرْجُوَانِهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ أَمْرًا بِمَنَافِعِكُمْ فَاطَاعَتَا وَأَقِيمَتَا عَلَى حُدُودِ مَصَالِحِكُمْ فَقَامَتَا. إِنَّ اللَّهَ يَبْتَلِي عِبَادَهُ عِنْدَ الْأَعْمَالِ السَّيِّئَةِ بِنَقْصِ الثَّمَرَاتِ وَحَبْسِ الْبَرَكَاتِ وَإِعْلَاقِ خَزَائِنِ الْخَيْرَاتِ لِتُؤَبَّ تَائِبٌ وَيُقْلَعُ مُقْلَعٌ وَيَتَذَكَّرُ مُتَذَكَّرٌ وَيَزْدَجِرُ مُزْدَجِرٌ وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ الْإِسْتِغْفَارَ سَبَباً لِدُرُورِ الرِّزْقِ وَرَحْمَةً الْخَلْقِ فَقَالَ سُبْحَانَهُ: (اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً. وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ) فَرَجِمَ اللَّهُ أَمْرًا اسْتَقْبَلَ تَوْبَتَهُ وَاسْتَقَالَ خَطِيئَتَهُ وَبَادَرَ مَنِيئَتَهُ.**

**اللَّهُمَّ إِنَّا خَرَجْنَا إِلَيْكَ مِنْ تَحْتِ الْأَسْتَارِ وَالْأَكُنَانِ وَبَعْدَ عَجِيجِ الْبَهَائِمِ وَالْوِلْدَانِ رَاغِبِينَ فِي رَحْمَتِكَ وَرَاجِينَ فَضْلَ نِعْمَتِكَ وَخَائِفِينَ مِنْ عَذَابِكَ وَنِقْمَتِكَ اللَّهُمَّ فَاسْقِنَا غَيْثَكَ وَلَا تَجْعَلْنَا مِنَ الْقَانِطِينَ وَلَا تُهْلِكْنَا بِالسُّنِينِ وَلَا تُؤَاخِذْنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ اللَّهُمَّ إِنَّا خَرَجْنَا إِلَيْكَ نَشْكُو إِلَيْكَ مَا لَا يَخْفَى عَلَيْكَ حِينَ الْجَائِئَاتِ الْمَضَائِقِ الْوَعْرَةِ وَأَجَاءَتْنَا الْمَقَاحِطُ الْمُجْدِبَةُ وَأَعْيَتْنَا الْمَطَالِبُ الْمُتَعَسِّرَةُ وَتَلَاخَمَتْ عَلَيْنَا الْفِتْنُ الْمُسْتَضْعَبَةُ اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ إِلَّا تَرُدَّنَا خَائِبِينَ وَلَا تَقْلِبْنَا وَاجِمِينَ وَلَا تُخَاطِبْنَا بِذُنُوبِنَا وَلَا تُقَاسِنَا بِأَعْمَالِنَا اللَّهُمَّ انشُرْ عَلَيْنَا غَيْثَكَ وَبَرَكَتَكَ وَرِزْقَكَ وَرَحْمَتَكَ وَاسْقِنَا سُقْيَا نَاقِعَةً مُرْوِيَةً**



مُعْشِبَةٌ تُنْبِتُ بِهَا مَا قَدْ فَاتَ وَتُحْيِي بِهَا مَا قَدْ مَاتَ نَافِعَةٌ الْحَيَا كَثِيرَةٌ الْمُجْتَنَى  
تُرْوَى بِهَا الْقِيَعَانُ وَتُسِيلُ الْبُطْنَانَ وَتَسْتَوْرِقُ الْأَشْجَارَ وَتُرْخِصُ الْأَسْعَارَ إِنَّكَ  
عَلَى مَا تَشَاءُ قَدِيرٌ.

### ◀ اللّغة

(تَجُودَان) اي تبدلان من جاد بالمال اي بَدَلَهُ (تَوَجُّعاً) اي رثاءً (زُلْفَةً) اي  
تقريباً (يَبْتَلِي) اي يختبر (إِغْلَاقِي) من اغلق الباب سدّه (يُقْلَعُ) تركه من اقلع  
الشيء اي تركه (الدُّرُور) بضمّ الدال والراء الأول وسكون الواو والراء الثاني،  
الدوام والكثرة (اسْتَقَالَ) طلب الإقالة (بَادَرَ مَنِيتَهُ) المنيّة الموت (وَالْأَكْمَان)  
جمع الكن وهو ما ستر من الحرّ والبرد (غَيْثِكَ) الغيث المَطْر، (السَّيْنِيْنَ) القحط  
(الْجَاتِنَا) اي اضطرنا (الْمَضَائِقُ الْوَعْرَةُ) اي الصعبة (الْمَقَاحِطُ) اماكن القحط  
(تَلَاخَمَتْ) اي تظافرت (خَائِبِيْنَ) اي يائسين (وَأَجْمِيْنَ) الوجم والواجم  
العَبُوس المَطْرَق لشدة الحزن (الْقِيَعَانُ) جمع القاع وهو المُسْتَوِي من الأرض  
(الْبُطْنَانَ) المُنخَفَض منها.

### ◀ المعنى

(أَلَا وَإِنَّ الْأَرْضَ الَّتِي تُقْلِكُمْ) وَتَسْكُنُونَ فِيهَا (وَالسَّمَاءَ الَّتِي تُظْلِكُمْ) بان  
جعلت فوق رؤسكم، (مُطِيعَتَانِ) اي انهما مطيعتان ومُنْقَادَان (لِرَبِّكُمْ) الذي  
خلقكم وخلق كل شيء (وَمَا أَصْبَحْنَا) اعني الأرض والسّماء (تَجُودَانِ لَكُمْ)  
وتبدلان (بِزَكَّتَيْهِمَا) التي جعلها الله فيها (تَوَجُّعاً) اي تأسفاً ورثاءً (لَكُمْ وَلَا  
زُلْفَةً) وتقريباً (إِلَيْكُمْ وَلَا لِيُخَيْرِ تَرْجُوَانِيهِ مِنْكُمْ) كل ذلك لم يكن، بل لأمر آخر  
(وَلَكِنْ أُمِرْتَا) اي الأرض والسّماء بالأمر التكويني (بِمَنَافِعِكُمْ) اي أمرتا من  
عند الله تعالى بإيصالهما المنافع إليكم (فَأَطَاعْنَا) لرب العالمين (وَأَقِيمَتَا) أي  
الأرض والسّماء (عَلَى حُدُودٍ مَّصَالِحِكُمْ فِقَامَتَا) بما أمرابه (إِنَّ اللَّهَ يَبْتَلِي)  
ويختبر (عِبَادَهُ عِنْدَ الْأَعْمَالِ السَّيِّئَةِ) والمعاصي (بِنَقْصِ الثَّمَرَاتِ وَحَبْسِ

الْبَرَكَاتِ وَإِغْلَاقِ خَزَائِنِ الْخَيْرَاتِ ( وَإِسْدَادِهَا (لِيُتَوَبَ ) عن المعاصي ( تَائِبٌ  
 وَيُقْلَعُ ) وَيَتْرَكَ ( مُقْلَعٌ ) وَتَارِكٌ ( وَيَتَذَكَّرُ مُتَذَكَّرٌ وَيَزِدْجِرَ مُزْدَجِرٌ وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ  
 الْإِسْتِغْفَارَ عَنِ الذَّنْبِ ( سَبَبًا لِذُرُورِ الرِّزْقِ ) وَكَثْرَتِهَا ( وَرَحْمَةً الْخَلْقِ فَقَالَ  
 سُبْحَانَهِ: ( اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا. وَيُمْدِدْكُمْ  
 بِأَمْوَالٍ وَيَبِينِ ) الْآيَاتِ ( فَرَحِمَ اللَّهُ أَمْرًا اسْتَقْبَلَ تَوْبَتَهُ وَاسْتَقَالَ خَطِيئَتَهُ وَبَادَرَ  
 مَنِيئَتَهُ. ) لقوله ﷺ: موتوا قبل ان تموتوا والمعنى سارع إلى الموت بالأعمال  
 الصالحة وترك السيئات (اللَّهُمَّ إِنَّا خَرَجْنَا إِلَيْكَ مِنْ تَحْتِ الْأَسْتَارِ وَالْأَكُنَانِ )  
 اعني الفرش والبيوت ( وَبَعْدَ عَجِيجِ الْبَهَائِمِ ) واصواتها ( وَالْوِلْدَانَ ) الصغار من  
 البهائم وغيرها ( رَاغِبِينَ فِي رَحْمَتِكَ ) الواسعة ( وَرَاجِينَ فَضْلَ نِعْمَتِكَ ) الشاملة  
 الدائمة ( وَخَائِفِينَ مِنْ عَذَابِكَ وَنِقْمَتِكَ ) وَسَخِطِكَ ( اللَّهُمَّ فَاسْقِنَا غَيْثَكَ ) وامطر  
 علينا من رحمتك ( وَلَا تَجْعَلْنَا مِنَ الْقَانِطِينَ ) اليائسين ( وَلَا تُهْلِكْنَا بِالسِّنِينَ )  
 وَالْفَحْطِ ( وَلَا تُؤَاخِذْنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا ) من المعاصي الموجبة لسخطك  
 ( يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ اللَّهُمَّ إِنَّا خَرَجْنَا ) من بيوتنا ( إِلَيْكَ نَشْكُو إِلَيْكَ مَا لَا يَخْفَى  
 عَلَيْكَ ) فَإِنَّكَ تَعْلَمُ السِّرَّ وَمَا يَخْفَى ( حِينَ الْجَائِنَا ) واضطرتنا ( الْمَضَاقِقُ  
 الْوَعْرَةُ ) الصَّعْبَةُ ( وَأَجَاءَنَا الْمَقَاحِطُ الْمُجْدِبَةُ ) اي اماكن الفحط المهلكة  
 ( وَأَغَيْتَنَا الْمَطَالِبُ الْمُتَعَسِّرَةُ ) اي المشكلة المعضلة ( وَتَلَاخَمَتْ ) وَتَظَافَرَتْ  
 ( عَلَيْنَا الْفِتْنُ الْمُسْتَضْعَبَةُ ) من الفحط وحبس البركات ( اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الْآ  
 تْرِدَانَا ) من بابك ( خَائِبِينَ وَلَا تَقْلِبْنَا وَاجِمِينَ ) محزونين مهمومين ( وَلَا  
 تُخَاطِبْنَا ) اي ولا تؤاخذنا ( بِذُنُوبِنَا وَلَا تُقَاسِنَا بِأَعْمَالِنَا ) التي اتينا بها ( اللَّهُمَّ  
 انشُرْ عَلَيْنَا غَيْثَكَ ) ومطرَكَ ( وَبَرَكَتَكَ وَرِزْقَكَ وَرَحْمَتَكَ ) فَإِنَّكَ اهل لها ( وَاسْقِنَا  
 سُقْيَا نَاقِعَةً ) غير مُضِرَّة ( مُرْوِيَةً مُعْشِبَةً ) غير ناقصة حتى ( تُنْبِتُ بِهَا مَا قَدْ قَاتَ )  
 مِنَّا بسبب حبسها ( وَتُحْيِي بِهَا مَا قَدْ مَاتَ ) بِفَقْدِهَا ( نَافِعَةً أَحْيَا كَثِيرَةَ الْمُجْتَنَى )  
 وَالنَّمْرَةَ ( تُرْوِي بِهَا الْقَيْعَانَ ) الأراضى المستوية ( وَتُسِيلُ الْبُطْنَانَ ) اعني  
 الأراضى المنخفضة ( وَتَسْتَوِرُقُ الْأَشْجَارَ وَتُرْخِصُ الْأَسْعَارَ ) بسبب نزول  
 الرَّحْمَةِ وَكَثْرَةِ النِّعْمَةِ ( إِنَّكَ عَلَى مَا تَشَاءُ قَدِيرٌ )

□ قوله ﷻ: **أَلَا وَإِنَّ الْأَرْضَ الَّتِي تُقَلِّكُمُ وَالسَّمَاءَ الَّتِي تُظِلُّكُمُ مُطِيعَتَانِ لِرَبِّكُمُ...**  
 أعلم: أنّ هذه الخطبة وَرَدَتْ مِنْهُ ﷻ فِي الْإِسْتِسْقَاءِ كَمَا يَظْهَرُ ذَلِكَ مِنْ  
 الْفَاطِظَاتِ وَالْإِسْتِسْقَاءِ طَلَبِ السَّقْيِ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى اعْنِي تَزُولُ الْمَطَرُ وَقَدْ بَيَّنَّ ﷻ  
 فِيهَا الْوَجْهَ فِي حَبْسِ الْمَطَرِ وَبَيَّنَّ أَيْضاً كَيْفِيَةَ الدُّعَاءِ فِي الْإِسْتِسْقَاءِ عَلَى أَحْسَنِ  
 وَجْهِ كَمَا سَتَعْرِفُهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

قد مرّ منا الكلام في معنى الأرض والسّماء بحسب اللّغة والإصطلاح وقلنا  
 هناك إنّ الأرض في الأصل تُقال لما تحت الأقدام كما أنّ السّماء تُقال لما هو  
 فوق الرّاس فالسّماء هي جهة الفوق والأرض جهة التّحت وكلمة (ألا) للدّلالة  
 على التّنبيه كقول الشّاعر الاكل شيء ما خلا الله باطل، اي إعلموا كذلك وقوله  
 (تُقَلِّكُمُ) و في بعض النّسخ (تَحْمِلِكُمُ) بالحاء المّهمله من الحمل وفي بعض  
 آخر بالجيم فعلى الأوّل معناه أنّ الأرض تحملكم وهو كناية عن كون الإنسان  
 عليها كما أنّ المركّب يحمل الرّاكب، وعلى الثّاني معناه إنّها تصير سبباً  
 لِتَجْمَلِكُمْ وَتَزِينِكُمْ بما تستفيدون منها والقرآن يدلّ على كلا المعنيين.

### فمن الأوّل:

- قوله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَاءً﴾ (١)  
 و: ﴿اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفاً﴾ (٢)  
 و: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِنَّا يُرْجَعُونَ﴾ (٣)  
 و: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَوَّلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾ (٤)  
 و: ﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾ (٥)  
 و: ﴿وَالْأَرْضَ قَرَشْنَاهَا فَغَنَمَ الْمَاهِدُونَ﴾ (٦)

و: «الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا»<sup>(١)</sup>  
 و: «وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا»<sup>(٢)</sup> وامثال ذلك من الآيات.  
 ومن الثاني:

قوله تعالى: «الَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً»<sup>(٣)</sup>  
 و: «وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رِوَادًا وَأَنْهَارًا»<sup>(٤)</sup> وغيرها من الآيات  
 التي دلّت على كونها سبباً وموجباً للزينة والجمال بالنسبة إلى نفسها وساكنها  
 وكيف كان فالمقصود ثابت والمعنى إعلموا أيها الناس أنّ الأرض التي  
 تسكنون فيها وتمشون عليها والسّماء التي تظلكم بان جعلت فوق رؤوسكم  
 كما قال تعالى: «وَوَضَعْنَا عَنَّا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَالسُّلُوفَ»<sup>(٥)</sup> إنّما هما  
 مُطيعتان لربكم وفيه إشارة إلى قوله تعالى حيث قال: «فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا  
 طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ»<sup>(٦)</sup> ومن المعلوم أنّ هذه الإطاعة تكوينيّة لا  
 تشريعيّة إراديّة.

□ قوله ﷻ: «وَمَا أَصْبَحْتَ تُجُودَانِ لَكُمْ بِبَرَكَتَيْهِمَا تَوْجَعًا لَكُمْ وَلَا زُلْفَةً إِلَيْكُمْ وَلَا  
 لِيخَيْرٍ تَرْجُوَانِيهِ مِنْكُمْ...»

اي ما اصبحت الأرض والسّماء تجودان وتبذلان لكم ببركتيهما وتوجعاً  
 وتأثراً لكم ولا تقرباً إليكم ولا لخير ترجوانه منكم والحاصل أنّ كل ذلك لم  
 يكن وإنّما قال ﷻ ذلك لأنّ كلّ جواد إنّما يجود في الدنيا لواحدة من هذه  
 الأمور او لجميعها فإنّ المعطي إمّا ان يعطي لغيره ترحمّاً عليه كما إذا كان  
 المعطي له فقيراً مسكيناً مريضاً فيتأثر المعطي من حال المعطي له ويعطيه،  
 وإمّا ان يعطيه زلفَةً وتقرباً إليه كما في الهدايا فإنّ الإنسان كثيراً ما يهدي إلى  
 غيره بهديّة مع علمه بعدم احتياجه ولكنّ المعطي يُريد به التقرب إلى المعطي  
 له ، والثالث ان يكون الإعطاء لما يرجو منه من الخير الذي يصل إلى المعطي

□ قوله ﷺ: **أَلَا وَإِنَّ الْأَرْضَ الَّتِي تُقَلِّكُمْ وَالسَّمَاءَ الَّتِي تُظِلُّكُمْ مُطِيعَتَانِ لِرَبِّكُمْ...**  
 أعلم: إن هذه الخطبة وَرَدَتْ مِنْهُ ﷺ فِي الْإِسْتِسْقَاءِ كَمَا يَظْهَرُ ذَلِكَ مِنْ  
 الْفَاطِظِهَا وَالْإِسْتِسْقَاءِ طَلِبَ السَّقْيِ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى اعْنِي تَزُولُ الْمَطَرُ وَقَدْ بَيَّنَّ ﷺ  
 فِيهَا الْوَجْهَ فِي حَبْسِ الْمَطَرِ وَبَيَّنَّ أَيْضاً كَيْفِيَةَ الدُّعَاءِ فِي الْإِسْتِسْقَاءِ عَلَى أَحْسَنِ  
 وَجْهِ كَمَا سَتَعْرِفُهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

قد مرّ منا الكلام في معنى الأرض والسّماء بحسب اللّغة والإصطلاح وقلنا  
 هناك إنّ الأرض في الأصل تُقال لما تحت الأقدام كما أنّ السّماء تُقال لما هو  
 فوق الرّاس فالسّماء هي جهة الفوق والأرض جهة التّحت وكلمة (ألا) للدّلالة  
 على التّنبيه كقول الشّاعر **الكلّ شيء ما خلا الله باطل**، اي إعلموا كذلك وقوله  
**(تُقَلِّكُمْ)** و في بعض النسخ **(تَحْمِلُكُمْ)** بالحاء المُهملة من الحمل وفي بعض  
 آخر بالجيم فعلى الأوّل معناه أنّ الأرض تحملكم وهو كناية عن كون الإنسان  
 عليها كما أنّ المَرَكَبَ يحمِل الرّاكِبَ، وعلى الثّاني معناه إنّها تُصير سَبَباً  
 لِتَجْمَلُكُمْ وَتَزَيِّنُكُمْ بما تَسْتَفِيدُونَ مِنْهَا وَالْقُرْآنَ يَدُلُّ عَلَى كِلَا الْمَعْنِيَيْنِ.

فمن الأوّل:

- قوله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَاءً﴾ (١)  
 و: ﴿اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفاً﴾ (٢)  
 و: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِنَّا يُرْجَعُونَ﴾ (٣)  
 و: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾ (٤)  
 و: ﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾ (٥)  
 و: ﴿وَالْأَرْضَ قَرَشْنَاهَا فَغَنَمَ الْمَاهِدُونَ﴾ (٦)

و: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا﴾<sup>(١)</sup>  
 و: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا﴾<sup>(٢)</sup> وامثال ذلك من الآيات.

ومن الثاني:

قوله تعالى: ﴿الَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾<sup>(٣)</sup>  
 و: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رِوَادًا وَأَنْهَارًا﴾<sup>(٤)</sup> وغيرها من الآيات التي دلت على كونها سبباً وموجباً للزينة والجمال بالنسبة إلى نفسها وساكنها وكيف كان فالمقصود ثابت والمعنى إعلموا أيها الناس ان الأرض التي تسكنون فيها وتمشون عليها والسماء التي تظلكم بان جعلت فوق رؤوسكم كما قال تعالى: ﴿وَوَضَّلْنَا عَلَيْكُمْ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى﴾<sup>(٥)</sup> إنما هما مطيعتان لربكم وفيه إشارة إلى قوله تعالى حيث قال: ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِينَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾<sup>(٦)</sup> و من المعلوم ان هذه الإطاعة تكويينية لا تشريعية إرادية.

□ قوله ﷻ: وَمَا أَصْبَحَتْ تُجُودَانِ لَكُمْ بِبَرَكَتَيْهِمَا تَوْجَعًا لَكُمْ وَلَا زُلْفَةً إِلَيْكُمْ وَلَا لِخَيْرٍ تَرْجُوَانِهِ مِنْكُمْ...

اي ما اصبحت الأرض والسماء تجودان وتبذلان لكم ببركتهما وتوجعاً وتأثراً لكم ولا تقرباً إليكم ولا لخير ترجوانه منكم والحاصل ان كل ذلك لم يكن وإنما قال ﷻ ذلك لأن كل جواد إنما يجود في الدنيا لواحدة من هذه الأمور او لجميعها فإن المعطي إما ان يعطي لغيره ترحماً عليه كما إذا كان المعطي له فقيراً مسكيناً مريضاً فيتأثر المعطي من حال المعطي له ويعطيه، وإما ان يعطيه زلفَةً وتقرباً إليه كما في الهدايا فإن الإنسان كثيراً ما يهدي إلى غيره بهديّة مع علمه بعدم احتياجه ولكن المعطي يريد به التقرب إلى المعطي له ، والثالث ان يكون الإعطاء لما يرجو منه من الخير الذي يصل إلى المعطي

سواء كان الخير في الدنيا ام في الآخرة فالأول كما إذا كان الإعطاء لأجل الدنيا فقط والثاني كما إذا كان لأجل الآخرة وانت إذا فتشت الأمور لا تجد شقاً رابعاً في جميع موارد الجود والعطاء إذا عرفت هذا فنقول:

جود الأرض لساكنيها بما يخرج منها وجود السماء لما تحتها بما ينزل عنها من المطر وغيره خارج عن الموارد كلها إذ لا تأثر لهما لغيرهما ولا تقرب ولا خير في المقام.

أما الأول: فلأن التوجع والتأثر من لوازم الإدراك والشعور وما لا درك ولا شعور له كيف يتوجع ويتأثر على غيره وفيه رد على الفلاسفة الأقدمين حيث زعموا أن للسماء نفس سماوي وإدراك وشعور قال ابن سينا على ما نسب إليه.

جعل خنفسانة وموران همه با جان واين فلک بی جان

والفلك هو السماء بزعمهم فاثبتوا له جسماً غير قابل للخرق والإلتيام وغير ذلك مما تفوهوا به والحاصل أنه بعد ما ثبت أن السماء هي جهة العلو وأنه لا جسم لها فلا شعور لها، فالتأثر والتوجع بالنسبة إليها لا معنى له وهو المطلوب. وأما الثاني: فهو ايضاً واضح لما ذكرناه في الوجه الأول إذ التقرب إلى الغير فرع على الشعور والإرادة.

وأما الثالث: فلأنه أي خير بالنسبة إليهما بيد الإنسان مثلاً حتى ترجوانه منه فيبقى في المقام احتمال خارج عن الموارد وهو أنهما مطيعان لغير الإنسان ويبدلان ويجودان بامرهم تفضلاً منه ورحمة وهو المطلوب.

□ قوله ﷺ: وَلَكِنْ أَمْرًا يَمَنَّا فَعَيْكُمْ فَأَطَاعَتَا وَأَقِيمَتَا عَلَى حُدُودٍ مَصَالِحِكُمْ فَقَامَتَا...

أي إذا لم يكن جودهما بالوجوه الثلاثة المذكورة فلا جرم أمرتا بذلك فأطاعتا إذا أوامر التكوينية لا تخلف فيها عن المأمور به بخلاف التشريعات الا ترى أن الإنسان يكون مأموراً بالصلوة والصوم والزكاة وغيرها وهو إن شاء فعلها وإن لم يشأ لم يفعلها وأما السماء والأرض والجماد والنبات وامثالها

فالتخلف فيها مُحال لكونها مقهورة تحت الأوامر.

وفى قوله ﷺ: وَأَقِيمَتَا عَلَى حُدُودِ مَصَالِحِكُمْ فَقَامَتَا، إشارة إلى أنهما جُعِلتا كذلك بحسب قاعدة التكوين فقامتا بما أُقيمتا عليه والغرض من هذه الكلمات كلها أن الأرض والسَّماء في أصل وجودهما وجميع شئونها تحت قدرة الخالق وإرادته ولا تقدران على شيء مع قطع النظر عن مشيئته تعالى فينبغي لمن اراد جلب المنافع المترتبة عليهما والمنافع المتوقعة على وجودهما وجُودهما ان يتوسل إلى خالقهما وهذا هو المطلوب.

□ قوله ﷺ: إِنَّ اللَّهَ يَبْتَلِي عِبَادَهُ عِنْدَ الْأَعْمَالِ السَّيِّئَةِ بِنَقْصِ الثَّمَرَاتِ وَحَبْسِ الْبَرَكَاتِ وَإِعْلَاقِ خَزَائِنِ الْخَيْرَاتِ...

بعد ما اشار ﷺ في صدر الخطبة إلى هنا أن الأرض والسَّماء مخلوقتان له تعالى فنزول بركاتهما بإذنه ومشيئته اشار ﷺ إلى علة القحط وانها تكوينية بمعنى انه تعالى ليس بيخيل ولا مُمسِك على عباده فحبس البركات إنما هو معلول للخطيئات والسيئات التي يفعلها العبد فقال ﷺ: إِنَّ اللَّهَ يَبْتَلِي عِبَادَهُ إِلَى آخِرِ كَلَامِهِ وَالْقُرْآنَ اِيضاً نَاطِقٌ بِهِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ﴾ (١)

و: ﴿كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ (٢)

و: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾ (٣)

و: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ (٤)

و: ﴿فَأَخَذْتَهُمْ ضَاعِقَةً الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (٥)

و: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ

وَالْأَرْضِ﴾ (٦)



و: ﴿ وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا ﴾<sup>(١)</sup> وغيرها من الآيات.

والحاصل ان الله تعالى جواد وليس بِبَخِيل لأنَّ البخل نقص وهو مُنَزَّه عنه وفَيْضه لا ينقطع ورحمته وسعت كلَّ شيءٍ وخزائن رحمته لا تنفذ فكلَّ ما اصابنا من الحوادث إنما هو مسبَّب عن الأسباب التي اوجدناها بايدينا على سبيل الإختيار كما قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا ﴾<sup>(٢)</sup>

و: ﴿ مَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾<sup>(٣)</sup> فكلَّ سيئة بعد بعث الرسول لا تخلو عن التمرُّد والعُصيان وإنما يفعل الله ذلك وابتلي العبد به ليرجع عما كان عليه ويتوب كما قال ﷻ.

□ قوله ﷻ: لِيَتُوبَ تَائِبٌ وَيُقْلِعَ مُقْلِعٌ وَيَتَذَكَّرَ مُتَذَكِّرٌ وَيُزْذَجِرَ مُزْذَجِرٌ...

واللَّام في قوله ﷻ: لِيَتُوبَ، للتعليل او للغاية والمقصود ان الله يفعل ذلك بهم لأجل هذه الأمور.

احدها: ان يتوب اي يرجع عما كان عليه فإن اصل التوبة الرجوع يقال تاب عنه اي رجع ومرَّ الكلام في معنى التوبة لغة واصطلاحاً وبيننا هناك شرائط التوبة وكيفيتها بما لا مزيد عليه وقد حثَّ الله تعالى عباده العاصين على التوبة في كثير من الآيات كما هو واضح.

وثانيها: ان يُقْلِعَ مُقْلِعٌ بضمَّ الياء في المضارع من اقلع الشيء عن مكانه اي إنزعجه والمقصود ان يَنْتَزِعَ الذَّنْبَ والخطيئة عن اصله كان لم يكن شيئاً مذكوراً والفرق بينه وبين التوبة هو ان التوبة هي الرجوع عما فعله أولاً وأما ان المُكْلِفَ تَرَكَ العَمَلَ بالمرَّة بحيث لا يفعلُه اصلاً او لا كذلك فهو امر خارج عن حقيقة التوبة ونحن نرى ان كثيراً من التائبين يرتكبون المعاصي التي تابوا عنها ثانياً وثالثاً فالتائب بهذا المعنى ليس بِمُقْلِعٍ واقعاً فكلَّ مُقْلِعٍ يكون تائباً ولا عكس وعليه فبينهما عموم وخصوص مُطلق فظهر الفرق.

وثالثها: قوله ﷺ: وَيَتَذَكَّرُ مُتَذَكِّرًا، قال الخوئي وغيره من الشراح اي يتذكر المتذكر بما اعد الله سبحانه من العَمِّ في دار القرار للمتقين الأبرار إنتهى.

اقول: لا بأس بما ذكروه والأولى حمل التذکر على معناه العام الشامل الكامل اعني اليقظة عن نوم الغفلة ولا شك ان الغفلة تكون منشأ للشقاوة كما ان اليقظة موجبة للسعادة ولأجل هذا قال بعض العرفاء منشأ المعاصي لا يكون إلا الغفلة الا ترى ان الله تعالى امر نبيه ﷺ بالتذكير حيث قال في كتابه: ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعَبِيدٌ﴾ (١)

و: ﴿وَذَكِّرْ أَنْ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٢)

و: ﴿فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى﴾ (٣)

اي قد نفعت الذكرى . وقال: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾ (٤)

﴿أَنْ أَخْرِجَ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكَرَهُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ (٥)

ومن المعلوم انه لولا ان التذکر يوجب الصلاح والسداد والهداية والرشاد لما امر الله انبيائه ورسله به ولهذا ترى ان القرآن ذم الناس على عدم تذکر الناس وكونهم على غفلة من ربهم قال تعالى: ﴿وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ (٦)

و: ﴿مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ (٧)

و: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ (٨)

و: ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّ أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ الْحَقَّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَنْتَظِرُ أَوْ لَوْ الْأَلْبَابِ﴾ (٩)

ورابعها: ويزدجر مزدجر، اصل الإزدجار الطرد والمنع عن ارتكاب المآثم وفيه إشارة إلى قوله تعالى حيث قال: ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾ (١٠)

و: ﴿فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ﴾<sup>(١)</sup>

و: ﴿فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا﴾<sup>(٢)</sup> اي الملائكة التي تزجر السحاب اي تطردها

بصوت.

□ قوله ﷺ: وَقَدْ جَعَلَ اللهُ الإِسْتِغْفَارَ سَبَبًا لِدُرُورِ الرِّزْقِ وَرَحْمَةً الخَلْقِ فَقَالَ  
سُبْحَانَهُ: (اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا. وَيُمْدِدْكُمْ  
بِأَمْوَالٍ وَيَبِينُ)...

الإستغفار طلب المغفرة عن الرب والدور بضم الدال والراء الأول  
وسكون الواو والراء الثاني مصدر قولك دَرَّ يَدْرُ دَرًّا ودروراً، يقال دَرَّ الحليب  
اي كثر واصله من الدرّ والدرّة اي اللبن ثم إستعار ذلك للمطر إستعارة اسماء  
البعير واوصافه وكيف كان دُرُور الرزق كثرته ودوامه فجعل ﷺ الإستغفار سَبَبًا  
لِدُرُورِ الرزق ورحمة الخلق وأستدلّ على الأول:

بقوله تعالى: ﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾<sup>(٣)</sup>

وعلى الثاني: بقوله تعالى: ﴿وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَبِينُ﴾<sup>(٤)</sup> وحيث إنجرّ الكلام  
إلى الإستغفار فلا باس بصرف عنان الكلام إليه لكونه ومن اهمّ المسائل للعبد  
في الترقّي إلى ذروة الكمال فنقول:

إعلم: أنّ الإستغفار هو طلب المغفرة وهو السّتر والتّغطية فالعبد يستغفر الله  
لذنبه ومن ذنبه لنفسه اي يطلب من الله ان يغطي عليه ولا يخزيه ولا يفضحه  
على رؤس الأشهاد ولا يحشره متلبساً بذنوبه متصفاً بها وإنما قلنا لذنبه إشعاراً  
بانّ من منع من الإستغفار للذنب وزعم أنّه غلط والصّواب الإستغفار من الذنب  
فقط فقد اخطأ لما روي عن الأئمة ﷺ في ادّعتهم الإستغفار للذنب كثيراً هذا  
بل يظهر من كلام امير المؤمنين ﷺ في هذا المقام أنّ الإستغفار قد لا يكون  
للذنب بل يكون سبباً للدور الرزق وكثرته ورحمة الخلق والعناية إليه كما  
علمت فجعل ﷺ الإستغفار تارة للرحمة على الخلق وإستدلّ عليه بقوله

تعالى: ﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً﴾<sup>(١)</sup> أي غفّاراً من الذنوب وأخرى سبباً  
لدرور الرزق واستدل عليه بقوله تعالى: ﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ  
مِذْرَاراً﴾<sup>(٢)</sup> وبينهما بون بعيد فالإستغفار من أجل نزول الرّحمة من عند الله  
تعالى: لأنه طلب المغفرة للذنوب وأما من الأنبياء والأوصياء فيحمل إتما على  
المعنى الذي نقلناه وهو أنه للذنوب لا من الذنب وإتما على المعنى الذي ذكره  
عليه في المقام اعني درور الرزق وكثرته، وإتما ما ذكره بعض آخر من أنه لأجل  
ترك الأولى، ورابعاً أنه لترفيع المقام عند ربّ الأرباب وخامساً أنه لنقص  
الإمكانية وغيرها من الوجوه وكيف كان فهو ممدوح مُرغَّب فيه قد أمرنا  
الشارع به كتاباً وسنة وإجماعاً وعقلاً.

أما الكتاب: فقوله تعالى: ﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾<sup>(٣)</sup> وقد ذكرت في المتن .

و: ﴿وَإِنْ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعاً حَسِناً﴾<sup>(٤)</sup>

و: ﴿يَا قَوْمِ وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾<sup>(٥)</sup>

و: ﴿وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾<sup>(٦)</sup>

و: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاجِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا  
لِذُنُوبِهِمْ﴾<sup>(٧)</sup>

وقوله تعالى حكاية عن يعقوب النّبي: ﴿قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ  
الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾<sup>(٨)</sup>

و: ﴿وَاسْتَغْفِرِ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً﴾<sup>(٩)</sup> والآيات في الأمر به كثيرة.

ومن الأخبار: (قال النبي ﷺ: لكل داء دواء ودواء الذنوب الإستغفار  
انتهى).

وعن الباقر عليه السلام: قال كان رسول الله والإستغفار لكم حصنين حصينين  
من العذاب فمضى أكبر الحصنين وبقي الإستغفار فاكثروا منه فإنه ممحاة

١- نوح - ٦٨

٢- هود - ٣

٣- المزمل - ٢٠

٤- يوسف - ٩٨

٥- نوح - ١٠

٦- نوح - ١٠

٧- هود - ٥٢

٨- آل عمران - ١٣٥

٩- النساء - ١٠٦

لِلذَّنُوبِ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ...

وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ  
انتهى...

وقال امير المؤمنين عليه السلام: تَعَطَّرُوا بِالِاسْتِغْفَارِ لَا تَفْضَحْنَكُمْ رَوَائِحَ الذَّنُوبِ  
انتهى...

وقال عليه السلام: العجب ممن يُقَيِّظُ وَمَعَهُ الْمُحَامَاةُ قِيلَ وَمَا الْمُحَامَاةُ قَالَ عليه السلام  
الِاسْتِغْفَارِ (انتهى) وَالْأَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ...

وَأَمَّا الْإِجْمَاعُ: فَمَعْلُومٌ فَإِنَّ الْأُمَّةَ قَدْ اجْتَمَعَتْ عَلَى حَسَنِهِ وَلِزُومِهِ لِكُلِّ عَبْدٍ  
كَائناً مِنْ كَانَ

وَأَمَّا الْعَقْلُ: فَلَأَنَّ الْعَبْدَ الْمُذْنِبَ إِذَا أَرَادَ التَّوْبَةَ فَلَا مَحِيصَ لَهُ عَنْهُ فَإِنَّ اللَّهَ  
تَعَالَى هُوَ غَفَّارُ الذَّنُوبِ لَا غَيْرَهُ وَحَيْثُ قَدْ ثَبَتَ حَسَنُ الْعِبَادَةِ وَالتَّوَجُّهُ إِلَى  
المعبود عقلاً فالرجوع عن المعصية إلى العبادة ايضاً بالعقل والاسْتِغْفَارُ هُوَ  
الواسطة والسبب في الرجوع فالعقل يحكم به وهو المطلوب.

□ قوله عليه السلام: فَرَحِمَ اللَّهُ أَمْرًا اسْتَقْبَلَ تَوْبَتَهُ وَاسْتَقَالَ خَطِيئَتَهُ وَبَادَرَ مَنِيئَتَهُ...

ثم بعد أمره عليه السلام أصحابه وشيعته بالاسْتِغْفَارِ تَرَحُّمًا وَطَلَبِ الرَّحْمَةِ مِنَ اللَّهِ  
تَعَالَى لِعَبْدٍ اسْتَدْرَكَ تَوْبَتَهُ أَوَّلًا وَاسْتَقَالَ خَطِيئَتَهُ ثَانِيًا وَبَادَرَ مَنِيئَتَهُ وَمَوْتَهُ ثَالِثًا  
فقوله عليه السلام: اسْتَقْبَلَ تَوْبَتَهُ أَي اسْتَانَفَهَا وَسَارَعَ إِلَيْهَا فَهُوَ إِشَارَةٌ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى:  
﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾<sup>(١)</sup>

و: ﴿أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾<sup>(٢)</sup>

و: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾<sup>(٣)</sup>

وفي قوله عليه السلام وَاسْتَقَالَ خَطِيئَتَهُ إِشَارَةٌ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى حَيْثُ قَالَ: ﴿وَالَّذِي  
أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾<sup>(٤)</sup>

مفتاح السعادة في شرح نهج البلاغة

و: ﴿إِنَّا أَمْنَا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا﴾ (١)

و: ﴿إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا﴾ (٢)

و: ﴿بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (٣)

وقوله ﷺ: وَبَادَرَ مَنِيَّتَهُ كناية عن التوجُّه إلى الموت وعدم الغفلة عنه ومن كان كذلك فلا محالة يتوب ويهيئ نفسه للموت فإن أصل المبادرة المسارعة قال الله تعالى: ﴿فَتَمَتَّنُوا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٤)

□ قوله ﷺ: اللَّهُمَّ إِنَّا خَرَجْنَا إِلَيْكَ مِنْ تَحْتِ الْأَسْتَارِ وَالْأَكْتَانِ وَبَعْدَ عَجِيجِ الْبَهَائِمِ وَالْوُلْدَانِ...

بعد فراغه ﷺ عما ذكر من تمهيد مقدمات الدعاء بالإستغفار والتوبة وإستقالة الخطيئة شرع في أصل الدعاء وقال ﷺ: اللَّهُمَّ إِنَّا خَرَجْنَا إِلَيْكَ مِنْ تَحْتِ الْأَسْتَارِ وَالْأَكْتَانِ بَعْدَ عَجِيجِ الْبَهَائِمِ وَالْوُلْدَانِ وَأَصْوَاتِهَا الْمَرْتَفَعَةَ بِالْبُكَاءِ وَالتَّخَيُّبِ طَلِباً لِلسَّقْيِ وَالْمَطَرِ وَإِنَّمَا قَالَ ﷺ ذَلِكَ إِشْعَاراً بِأَنَّ الْبَهَائِمَ وَالْوُلْدَانَ لَا ذَنْبَ لَهُمْ فَكَانَهُ ﷺ قَالَ اللَّهُمَّ إِنَّا خَرَجْنَا إِلَيْكَ كَذَلِكَ فَإِنْ كَانَ لَنَا ذَنْبٌ أَوْ ذُنُوبٌ وَلَسْنَا بِذَلِكَ أَهْلاً لِلرَّحْمَةِ وَالْعِنَايَةِ فَالْبَهَائِمِ وَالْوُلْدَانَ لَا ذَنْبَ لَهُمْ فَارْحَمِهِمْ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

□ قوله ﷺ: رَاغِبِينَ فِي رَحْمَتِكَ وَرَاجِينَ فَضْلَ نِعْمَتِكَ وَخَائِفِينَ مِنْ عَذَابِكَ وَنِقْمَتِكَ...

قوله ﷺ: رَاغِبِينَ حَالٍ مِنَ الْفَاعِلِ اعْنِي (نا) فِي قَوْلِهِ خَرَجْنَا وَالْمَعْنَى إِنَّا خَرَجْنَا إِلَيْكَ بِهَذِهِ الْحَالَةِ حَالٍ كَوْنَنَا رَاغِبِينَ فِي رَحْمَتِكَ الْوَاسِعَةِ وَحَالٍ كَوْنَنَا رَاجِينَ فَضْلَ نِعْمَتِكَ الشَّامِلَةِ وَخَائِفِينَ مِنْ عَذَابِكَ وَنِقْمَتِكَ وَفِي الْمَقَامِ إِشَارَ بِالرَّجَاءِ وَالْخَوْفِ مَعاً وَإِنَّ الْمُؤْمِنَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ رَاجِئاً خَائِئِفاً بِمَعْنَى كَوْنِهِ

دائماً بين الخوف والرّجاء وهذا المقام للعبد من اعلى المقامات وافضل الدرجات.

□ قوله ﷺ: اللَّهُمَّ فَاسِقِنَا غَيْثَكَ وَلَا تَجْعَلْنَا مِنَ الْقَانِطِينَ وَلَا تُهْلِكْنَا بِالسِّنِينَ وَلَا تُؤَاخِذْنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ...

اللهم فاسقنا غيثك ومطرّك ولا تجعلنا من القانطين الخائبين ولا تهلكنا بالسنين والقحط بسبب ما فعله السفهاء العاصين منا يا ارحم الراحمين وفيه إشارة إلى ان العاقل لا يعصي لعلمه بعواقب العصيان في الدارين وخذلانه في الشّاتين بخلاف السّفيه لجهله وعدم توجهه وغفلته.

□ قوله ﷺ: اللَّهُمَّ إِنَّا خَرَجْنَا إِلَيْكَ نَشْكُو إِلَيْكَ مَا لَا يَخْفَى عَلَيْكَ حِينَ الْجَائِنَا الْمَضَائِقُ الْوَعْرَةَ وَأَجَاءْنَا الْمَقَاحِطُ الْمُجْدِبَةُ وَأَعْيَيْنَا الْمَطَالِبُ الْمُتَعَسِّرَةَ وَتَلَاخَمَتْ عَلَيْنَا الْفِتْنُ الْمُسْتَضْعَبَةُ...

دعا ﷺ ثالثاً وقال اللهم إنا نشكو إليك ما لا يخفي عليك فإنك عالم السر والخفيات وإنما قال ﷺ ذلك لئلا يتوهم متوهم ان الله تعالى لا يعلم ما في ضمائر العباد من الحوائج بل هو يعلم كلّها ومع ذلك وظيفة العبد الدعاء كما قال تعالى: «أُدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ»<sup>(١)</sup> وهو لا ينافي علمه فإن في الدعاء مصلحة وفي تركه منقصة.

ثم افاد ﷺ بان الدعاء إنما وقع بعد أمور اربعة حدثت لنا. احدها: إنا وقعنا في المضائق الوعرة الصعبة وهي التي اضطرتنا إلى الخروج من البيوت إلى الصحراء.

وثانيها: وقوع القحط بسبب حبس البركات السماوية التي تكاد تهلكنا وتهلك مواشينا.

وثالثها: تراحم الأمور من الجوع والعري وسائر المسببات التي صارت علينا متعسرة.

ورابعها: وقوع الفتن المُستصعبة فهذه الأمور صارت باعثة موجبة للإستسقاء.

□ قوله ﷺ: اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ إِلَّا تَرُدُّنَا خَائِبِينَ وَلَا تَقْلِبْنَا وَاجِمِينَ وَلَا تُخَاطِبَنَا بِذُنُوبِنَا وَلَا تُقَايِسْنَا بِأَعْمَالِنَا...

دعا ﷺ رابعاً وإستدعى منه تعالى الإجابة فقال لا تردنا خائبين اي آيسين من رحمتك ولا تقلبنا، واجمين محزونين بسبب عدم إستجابة الدعاء ولا تخاطبنا بذنوبنا التي فعلناها ولا تقايسنا باعمالنا التي عملنا بها إذ لو نؤخذ بها لصرنا محزونين مهمومين.

□ قوله ﷺ: اللَّهُمَّ أَنْشُرْ عَلَيْنَا غَيْثَكَ وَبَرِّكْ لَكَ وَرِزْقَكَ وَرَحْمَتَكَ...

دعا ﷺ خامساً بنشر الغيث والبركة والرزق والرحمة واصل النسر هو التفرق وفيه إيماء بأن طلب السقي لم يكن للحاضرين فقط او لبلدهم فحسب بل إستسقى ﷺ لجميع الأفراد والبلدان او ان المقصود نشر الغيث في جميع ارضهم لا في مكان خاص وكيف كان فالمقصود واضح.

□ قوله ﷺ: وَأَسْقِنَا سُقِيًّا نَاقِعَةً مَرُويَةً مُعْشِبَةً تُنْبِتُ بِهَا مَا قَدَفَاتٍ وَتُحْيِي بِهَا مَا قَدَمَاتٍ...

ثم شرع ﷺ في بيان اوصاف الغيث المطلوب وعد منها أصولها إذ ليس كل غيث مطلوباً نافعاً فقال ﷺ: وَأَسْقِنَا سُقِيًّا نَاقِعَةً غَيْرَ مُضِرَّةٍ مَرُويَةً مُعْشِبَةً لاقيلة ناقصة بحيث لا يكون وافياً بالمقصود بل كان بحيث تنبت بها ما قد فات من الناس بسبب عدم نزوله ويحيى بها ما قد فات من الاشجار والنبات والحيوان والجامع كان مدركاً لما فات وجابراً لما مضى في القحط ومعلوم ان الغيث كما ان قليله لا ينفع ولا يفي بالمراد كذلك كثيره لا ينفع بل يضر فقوله ﷺ نافعة يشمل القليل والكثير ويبقى في المقام المتوسط بينهما وهو المطلوب.

□ قوله ﷺ: نَافِعَةً أَحْيَا كَثِيرَةً الْمُجْتَنِي تَرْوِي بِهَا الْقِيَعَانَ وَتُسِيلُ الْبُطْنَانَ وَتَسْتَوْرِقُ الْأَشْجَارَ وَتُرْخِصُ الْأَسْعَارَ إِنَّكَ عَلَى مَا تَشَاءُ قَدِيرٌ...



فقوله عليه السلام: نَافِعَةُ الْحَيَاءِ إشارة إلى ما ذكرناه من كون المطر نافعاً وقوله كثيرة المجتنى، اي كثيرة الثمر فإن كثرة الثمر كناية عن كون المطر نافعاً كما يقال زيد كثير الرماد الدال على كونه جواداً وقوله تروي بها القيعان اعني بها الأراضي المستوية كالصّحاري والبراري وقوله تسيل به البطنان المقصود به الأراضي المنخفضة وإسناد السيلان إلى البطنان من المجاز العقلي وهو ظاهر وقوله تستورق الأشجار ايضاً مجازاً لكونه من ذكر المسبب وإرادة السبب وترخص الأسعار ايضاً كذلك إذ المَطْر إذا كان نافعاً يوجب كثرة النعمة وهي توجب ترخّص الأسعار لا محالة ثم ضمّ عليه السلام كلامه بقوله إنك على ما تشاء قدير للإشارة إلى أن الله تعالى ليس بعاجز بل هو قادر على كل شيء نعم إعمال القدرة موقوف على تحقّق المشيئة وهو ممّا لا كلام فيه.

ثم إن الشارح الخوئي رحمته الله بعد شرحه للكلمات ذكر في المقام تنبيهاً ونقل عن بعض شراح الصّحيفة الكاملة أنّه قال اختلف في التّسعير فقيل هو من فعل الله سبحانه وإليه ذهب الأشاعرة بناءً على أصلهم من أنّه لا فاعل إلا الله إلى أن قال واختلف المعتزلة في هذه المسئلة فقال بعضهم هو فعل المباشر من العبد وقال آخرون هو متولّد من فعل الله وهو تقليل الأجناس إلى أن قال عليه السلام والذي تذهب إليه معشر الإمامية أن خروج السّعر عن مجرى عادته ترقياً أو نزولاً أن إستند إلى اسباب غير مستندة إلى العبد واختياره نسب إلى الله وإلا نسب إلى العبد كجبر السلطان الرّعية على سعر مخصوص ثم إستند ما ذكره إلى الرواية التي رواها عن عليّ ابن الحسين عليه السلام إن الله وكل ملكاً بالسّعر يدبّر بامرّه وروى بهذا المضمون عن ابي عبد الله عليه السلام ايضاً إن شئت فراجع.

اقول: هذا البحث ممّا لا طائل تحته اصلاً فإنّ السّعر امرٌ سوقيّ مرّتبٌ بكثرة الأجناس وقتّها او بإنصاف البايعين وليس هو من الأفعال حتّى يقال إنّه فعل الله او فعل العبد بل هو امرٌ إنتزاعيّ إضافيّ نعم منشأ الإنتزاع اعني الأجناس التي تقوم بها الأسعار من نعم الله ومواهبه.

## ﴿ وَمَنْ خُطِبَ لَهُ ﴾ (١٤٤)

### الفصل الأول:

□ قوله ﷺ: بَعَثَ رَسُولُهُ بِمَا خَصَّهُمْ بِهِ مِنْ وَحْيِهِ وَجَعَلَهُمْ حُجَّةً لَهُ عَلَى خَلْقِهِ لِئَلَّا تَجِبَ الْحُجَّةُ لَهُمْ بِتَرْكِ الْأَعْذَارِ إِلَيْهِمْ فَدَعَاَهُمْ بِلسَانِ الصِّدْقِ إِلَى سَبِيلِ الْحَقِّ أَلَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ كَشَفَ الْخَلْقَ كَشْفَةً لَا أَنَّهُ جَهْلَ مَا أَخْفَوَهُ مِنْ مَصُونِ أَسْرَارِهِمْ وَمَكْنُونِ ضَمَائِرِهِمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا فَيَكُونَ الثَّوَابُ جَزَاءً وَالْعِقَابُ بَوَاءً أَيَّنَ الَّذِينَ زَعَمُوا أَنَّهُمُ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ دُونَنَا كَذِبًا وَبَغْيًا عَلَيْنَا أَنْ رَفَعْنَا اللَّهَ وَوَضَعَهُمْ وَأَعْطَانَا وَحَرَمَهُمْ وَأَدْخَلْنَا وَأَخْرَجَهُمْ بِنَا يُسْتَعطَى الْهُدَى وَيُسْتَجَلَى الْعَمَى إِنَّ الْأَيْمَةَ مِنْ قُرَيْشٍ غُرِسُوا فِي هَذَا الْبَطْنِ مِنْ هَاشِمٍ لَا تَصْلُحُ عَلَى سِوَاهُمْ وَلَا تَصْلُحُ الْوَلَاةُ مِنْ غَيْرِهِمْ.

### الفصل الثاني:

قوله ﷺ: آثَرُوا عَاجِلًا وَأَخَّرُوا آجِلًا وَتَرَكَوا صَافِيًا وَشَرِبُوا آجِنًا كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى فَاسِقِهِمْ وَقَدْ صَحِبَ الْمُنْكَرَ فَالْفُهُ وَبَسِيَ بِهِ وَوَاقَفَهُ حَتَّى شَابَتْ عَلَيْهِ مَفَارِقُهُ وَصَبِغَتْ بِهِ خَلَائِقُهُ ثُمَّ أَقْبَلَ مُزِيدًا كَالثِّيَارِ لَا يَبَالِي مَا غَرَّقَ أَوْ كَوَّعَ النَّارِ فِي الْهَشِيمِ لَا يَحْفِلُ مَا حَرَّقَ أَيَّنَ الْعُقُولُ الْمُسْتَضْبِحَةُ بِمَصَابِيحِ الْهُدَى وَالْأَبْصَارُ اللَّامِحَةُ إِلَى مَنَارِ التَّقْوَى أَيَّنَ الْقُلُوبُ الَّتِي وَهَبَتْ لِلَّهِ وَعُوقِدَتْ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ أزدَحَمُوا عَلَى الْحُطَامِ وَتَشَاخَوْا عَلَى الْحَرَامِ وَرُفِعَ لَهُمْ عِلْمُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ فَصَرَفُوا عَنِ الْجَنَّةِ وَجُوهَهُمْ وَأَقْبَلُوا إِلَى النَّارِ بِأَعْمَالِهِمْ وَدَعَاَهُمْ رَبُّهُمْ فَانْفَرُوا وَوَلَّوْا وَدَعَاَهُمُ الشَّيْطَانُ فَاسْتَجَابُوا وَأَقْبَلُوا.

(الْأَعْدَارِ) مصدر باب أَعَدَرَ التَّخْوِيفَ والوَعِيدَ (كَشَفَ) أَي ظَهَرَ (بَوَاءً) أَي كَفَرُوا (بَغِيًّا) البَغْيُ الظُّلْمُ والتَّعَدِّي (وَضَعَهُمْ) أَي خَذَلَهُمْ (آجِنًا آجِنًا) الأَجْنُ الماءُ المتغَيَّرُ (بَسِيًّا بِهِ) أَي انسَ بِهِ (مَفَارِقُهُ) مَفَارِقُ جَمْعُ مَفْرَقٍ وَسَطُ الرَّاسِ (صُيِّغَتْ صَبَغَتْ) الصَّبِغُ اللَّوْنُ (خَلَائِقُهُ) الخَلَائِقُ جَمْعُ خَلِيقَةٍ كَطَبَائِعُ جَمْعُ طَبِيعَةٍ (مُزْبِدًا) مَن أَزْبَدَ يُزْبَدُ أَي صَارَ ذَا زَبَدٍ (التِّيَّارِ) بالتَّشْدِيدِ مَوْجُ البَحْرِ (الْهَشِيمِ) اليَابِسُ مِن كُلِّ كَلَاءٍ (يَحْفِلُ) حَفْلُ المَاءِ أَي إِجْتِمَاعُ والبَاقِي وَاضِحٌ.

◀ المعنى

(بَعَثَ) اللهُ تَعَالَى (رُسُلَهُ) إِلَى الخَلْقِ (بِمَا خَصَّصَهُمْ بِهِ مِنْ وَحْيِهِ) إِذَا الوَحْيُ مَخْتَصَّ بِهِمْ (وَجَعَلَهُمْ) أَي جَعَلَ اللهُ الرَّسُلَ (حُجَّةً لَهُ) أَي لِنَفْسِهِ (عَلَى خَلْقِهِ) وَمَخْلُوقِهِ (لِنَلَا تَجِبَ الحُجَّةُ لَهُمْ) أَي لِلخَلْقِ (بِتَرْكِ الأَعْدَارِ) اعْنِي الإِنذَارَ وَالتَّخْوِيفَ (إِلَيْهِمْ) أَي إِلَى النَّاسِ (فَدَعَاهُمْ) الرَّسُولُ (بِلِسَانِ الصِّدْقِ إِلَى سَبِيلِ الحَقِّ) وَمَرْضَاتِهِ فَإِنَّ شَانَ الرَّسُولِ الدَّعْوَةُ إِلَى الحَقِّ (أَلَا إِنَّ اللهَ قَدْ كَشَفَ) وَظَهَرَ (الخَلْقَ كَشْفَةً لَا أَنَّهُ) تَعَالَى (جَهْلٌ) وَلَمْ يَعْلَمْ (مَا أَخْفَوهُ) النَّاسُ (مِنْ مَصُونِ أَسْرَارِهِمْ وَمَكْنُونِ ضَمَائِرِهِمْ) فَإِنَّهُ تَعَالَى عَالِمُ السِّرِّ وَالخَفِيَّاتِ (وَلَكِنْ لِيَبْلُوَهُمْ) وَيَخْتَبِرَهُمْ (أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا فَيَكُونُ الثَّوَابُ) لَهُمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ (جَزَاءً) وَاجِرًا (وَالْعِقَابُ) عَلَى السَّيِّئَاتِ (بَوَاءً) وَكَفَرُوا أَيَّنَ الَّذِينَ زَعَمُوا أَنَّهُمُ الرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ دُونَنَا أَهْلَ البَيْتِ (كذِبًا) مِنْهُمْ (وَبَغِيًّا) وَظُلْمًا (عَلَيْنَا) (أَنْ رَفَعْنَا اللهُ) بِالعِلْمِ وَالعَمَلِ (وَوَضَعَهُمْ) فِيهِمَا (وَأَعْطَانَا) مَا أَعْطَانَا مِنَ الشَّانِ وَالرَّفْعَةِ (وَحَرَمَهُمْ) مِنْهُ (وَأَدْخَلْنَا) فِي جَوَارِ قَرْبِهِ (وَأَخْرَجَهُمْ) مِنْهُ لِعَدَمِ صِلَاتِهِمْ (بِنَا يُسْتَعطَى الهُدَى وَيُسْتَجَلَى العَمَى) فَإِنَّ الرِّشْدَ وَالسَّعَادَةَ فِي مِتَابَعَتِنَا وَالعَبْيِ وَالضَّلَالَةَ فِي مِخَالَفَتِنَا (إِنَّ الأَئِمَّةَ مِنْ قُرَيْشٍ غُرِسُوا فِي هَذَا البَطْنِ مِنْ هَاشِمٍ) لَا مَطْلُقَ قُرَيْشٍ (وَلَا تَصْلُحُ) الإِمَامَةَ (لَا تَصْلُحُ عَلَى سِوَاهُمْ

وَلَا تَصْلُحُ الْوُلَاةُ ) من غيرهم منها ( آثُرُوا عَاجِلًا ) اي الدنيا ( وَأَخْرُوا آجِلًا ) اعني الآخرة ( وَتَرَكُوا صَافِيًا ) اي اللذات الصافية الأخروية ( وَشَرِبُوا آجِنًا ) اعني اللذات الفانية القدرة الدنيوية ( كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى فَاسِقِهِمْ ) اي فاسق بني أمية او فاسق بني العباس ( وَقَدْ صَحِبَ الْمُنْكَرَ ) ولازمه ( قَالِفُهُ ) اي فالف الفاسق المنكر ( وَبَسِيَ بِهِ وَوَأَفَقَهُ ) اي إستانس به ووجده موافقاً لطبعه ( حَتَّى شَابَتْ عَلَيْهِ مَفَارِقُهُ ) وهو كناية عن طول عهده به فإن شيب المفارق بياضها ( وَصَبَغَتْ بِهِ خَلَائِقُهُ ) اي صار طبعه مَصْبُوغًا مُلَوَّنًا به بالمنكر برسوخ المنكر في جبلته ( ثُمَّ أَقْبَلَ مُزِيدًا كَالْتِيَارِ ) وهو كناية عن إنهماكه في الشهوات وإنغماره في المعاصي بحيث لا يبالي بما يفعله ( لَا يُبَالِي مَا غَرَّقَ ) لشدة قساوته ( أَوْ كَوَفِعَ النَّارِ فِي الْهَشِيمِ ) إستعارة أخرى حيث شَبَّهه في حركاته بوقوع النار في الثبت اليابس كما قال عليه السلام ( لَا يَحْفَلُ ) ولا يبالي ( مَا حَرَّقَ ) بها أين العُقُولُ الْمُسْتَضِيحَةُ بِمَصَابِيحِ الْهُدَى ) وسبل الرشد ( وَالْأَبْصَارُ الْأَلَامِحَةُ إِلَى مَنَارِ التَّقْوَى ) أين القلوب التي وَهَبَتْ لِلَّهِ وَعُوقِدَتْ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ ) من الصلحاء والأخيار الذين مَضُوا وَإِرْتَحَلُوا عن دار الدنيا ثم قال عليه السلام ( اَزْدَحَمُوا ) واجتمعوا ( عَلَى الْحُطَامِ ) الدنيوية ( وَتَشَاحُوا ) وتنازعوا على الحرام ( وَرَفَعَ لَهُمْ عِلْمَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ) اي سبل الجنة والنار وطريقهما ( فَصَرَفُوا ) واعرضوا ( عَنِ الْجَنَّةِ وَجُوهَهُمْ ) وأقبلوا إلى النار ( بِأَعْمَالِهِمْ ) فغرقوا في بحر المعصية ( وَدَعَاهُمْ رَبُّهُمْ ) إلى طريق الهدى ( فَتَقَرَّوْا وَوَلَّوْا ) عنه ( وَدَعَاهُمْ الشَّيْطَانُ ) إلى طاعته ( فَاسْتَجَابُوا ) الشيطان ( وَأَقْبَلُوا ) إليه.

### ◀ الشرح

□ قوله عليه السلام: بَعَثَ رَسُولَهُ بِمَا خَصَّهُمْ بِهِ مِنْ وَحْيِهِ وَجَعَلَهُمْ حُجَّةً لَهُ عَلَى خَلْقِهِ...

افاد عليه السلام في المقام امرين، احدهما كون الرسل مبعوثين من عنده تعالى مخصوصين بوحيه، وثانيهما كونهم حُججاً على خلقه والأمران مؤيدان بالعقل والنقل.

أما العقل: فلأن الرسول لو لم يكن مخصوصاً بوحيه إماماً بان لا يكون هناك وحي أصلاً أو كان ولكن لا يختص به بل يشمل غيره لا يمكن الاعتماد عليه وإن ما يقول، إخبار عن الله تعالى لعدم الوحي كما هو المفروض وعليه فقوله وإخبار مستند إلى نفسه فهو ليس برسول، وفي الفرض الثاني اعني صورة الشمول يلزم الترجيح من غير مرجح إذ المفروض أن الوحي لا يختص به وهو أيضاً قبيح وفي كل الفرضين يلزم من وجوده عدمه وقد فرضناه رسولاً مبعوثاً من عند الله هف (هذا خلف).

وأما كونه حجة على خلقه فهو أيضاً مما يؤيد العقل ويحكم به لأنه إذا ثبت كونه رسولاً إلى الخلق فلا محالة هو حجة عليهم وإلا لا معنى لرسالته وبعثته وقد تكلمنا في أوائل الكتاب في النبوة والرسالة مفصلاً واثبتناها بالأدلة العقلية والنقلية بما لا مزيد عليه.

وأما النقل: فبعد ما ذكرناه هناك قوله تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ (١)

و: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَبَاءَ وَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ (٢)

و: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ (٣) وغيرها من الآيات.

وفي الوحي، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾ (٤)

و: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَسَلُّوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾ (٥)

و: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ (٦)

و: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾ (٧)

و: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ﴾ (٨)

١- البقرة - ٢١٣

٢- يونس، - ٧٤

٣- النحل - ٣٦

٤- يوسف - ١٠٩

٥- النحل - ٤٣ والأنبياء ٧

٦- الأنبياء - ٢٥

٧- آل عمران - ٤٤

٨- هود - ٤٩

و: ﴿كَذَلِكَ يُوجِي إِلَيْكَ وَالِي الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾<sup>(١)</sup>

و: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ﴾<sup>(٢)</sup> وغيرها من الآيات.

□ قوله ﷺ: لِنَلَّا تَجِبَ الْحُجَّةُ لَهُمْ بِتَرْكِ الْأَعْذَارِ إِلَيْهِمْ...

إشارة إلى قوله تعالى: ﴿لِنَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾<sup>(٣)</sup>

وقوله تعالى: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْكُمْ أَجْمَعِينَ﴾<sup>(٤)</sup>

وفي قوله ﷺ: بترك الأعذار إشارة إلى إن الأعذار من وظائف النبي بحيث

لولاها لا يكون تعالى على الناس حجة فقالوا مثلاً لم يكن في الدنيا من اعذرنا

ولذلك ترى الإشارة إلى هذا الوصف في الآيات قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ

قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ﴾<sup>(٥)</sup>

و: ﴿وَنَفِخْ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ﴾<sup>(٦)</sup>

و: ﴿لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيْهِ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ﴾<sup>(٧)</sup>

و: ﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾<sup>(٨)</sup>

و: ﴿كُلُّ كَذَّبٍ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ﴾<sup>(٩)</sup> والآيات في الوعد والوعيد كثيرة لا

يظّل الكلام بذكرها فإن العاقل تكفيه الإشارة.

□ قوله ﷺ: فَدَعَاهُمْ بِلِسَانِ الصِّدْقِ إِلَى سَبِيلِ الْحَقِّ...

او دعا إليه الناس بلسان الصّدق اعني لسان الأنبياء وما ذكره ﷺ في المقام

هو خلاصة الدّعوة والعلة الغائية لبعث الأنبياء والرّسل وبيان وظيفتهم والجامع

هو الأمران المذكوران قال الله تعالى: ﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ

الرُّسُلُونَ﴾<sup>(١٠)</sup>

و: ﴿هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾<sup>(١١)</sup>

٢- الأنعام - ٨٣

٤- الأنعام - ١٤٩

٦- ق - ٢٠

٨- إبراهيم - ١٤

١٠- يس - ٥٢

١- الشورى - ٣

٣- النساء - ١٦٥

٥- طه - ١١٣

٧- ق - ٢٨

٩- ق - ١٤

١١- الأحزاب - ٢٢

و: ﴿بَلْ جَاءَ الْحَقُّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ﴾<sup>(١)</sup>

و: ﴿رَبِّ انْخَلِنِي مَدْخَلَ صِدْقٍ﴾<sup>(٢)</sup>

و: ﴿مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾<sup>(٣)</sup>

و: ﴿يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾<sup>(٤)</sup>

و: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾<sup>(٥)</sup> الآيات.

وفي قوله ﷺ: بِلِسَانِ الصِّدْقِ إشارة إلى أن الأنبياء كانوا صادقين في دعوتهم ومعنى الصِّدْقِ فيهم إنهم لم يكذبوا على الله شيئاً أصلاً وإلى هذا المعنى أشير في الكتاب حيث قال: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾<sup>(٦)</sup>

و: ﴿مَا تَأْتِيكُمُ الرَّسُولُ فَقُدُوهُ وَمَا يَنْهَيْكُمُ عَنْهُ فَأَنْتَهُوا صُمُّ بُحْمٍ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾<sup>(٧)</sup> من الآيات.

وفي قوله ﷺ: إِلَىٰ سَبِيلِ الْحَقِّ إشارة إلى إنهم لم يدعواهم إلى غيره تعالى إذ كل سبيل غير سبيله فهو باطل عاطل ولا شك إن الدعوة إذا كانت إلى الحق والداعي كان صادقاً مخلصاً في قوله فهي لا محالة تؤثر في قلوب المخاطبين تأثيراً كاملاً فإن الكلام إذا خرج عن القلب دخل في القلب وإذا خرج عن اللسان لم يتجاوز الأذان وحيث (إن الأنبياء كانوا صادقين في دعوتهم مخلصين فيها وكان مقصدهم منها الحق صارت دعوتهم) مقبولة عند العقلاء فتلقوها باحسن القبول.

□ قوله ﷺ: أَلَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ كَشَفَ الْخَلْقَ كَشْفَةً...

الكشف الظهور والمراد بكشف الخلق ظهور بواطنهم بسبب الأعمال والأقوال ولأجل هذا قال ﷺ كَشْفَةً أَي إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى كَشَفَهُمْ نَوْعَ كَشْفَةٍ بِسَبَبِ جَعْلِهِ الْأَحْكَامَ لَهُمْ حَتَّى يَمْنِيَ الْخَبِيثُ مِنْهُمْ عَنِ الطَّيِّبِ وَالصَّالِحِ عَنِ الْمُسِيءِ إِذْ

٢- الأسراء - ٨٠

٤- الفرقان - ٢٧

٦- النجم - ٤٣ و٤٤

١- الضافات - ٣٧

٢- الغافر - ٢٩

٥- يوسف - ١٠٨

٧- البقرة - ١٧١

لولا الذين لما علم منهم هذا وليس المراد بالكشف إن يعلم الله تعالى حالهم فإنه عارف بهم حق المعرفة كيف لا وهو خالقهم وموجدهم وإنما المراد به كشف حالهم على أنفسهم إتماماً للحجة عليهم كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ أَحْسَبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾<sup>(١)</sup> ولهذا قال ﷺ

□ قوله ﷺ: لَا أَنَّهُ جَهْلَ مَا أَخْفَوَهُ مِنْ مَصُونِ أَسْرَارِهِمْ وَمَكْنُونِ ضَمَائِرِهِمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا...

فقوله ﷺ هذا في الحقيقة جواب عن سؤال مقدر وهو إنه أي حاجة إلى هذا الكشف والمفروض إنه تعالى عالم السرّ والخفيات اليس هذا من تحصيل الحاصل الذي عدّ من العبث.

فقال ﷺ في الجواب ليس الكشف لأجل جهله تعالى بما أخفوه من مَصُونِ أَسْرَارِهِمْ وَمَكْنُونِ ضَمَائِرِهِمْ وقلوبهم كما هو كذلك بيننا بالنسبة إلى غيرنا ولكن لِيَبْلُوَهُمْ وَيَخْتَبِرَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا كما قال في كتابه: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾<sup>(٢)</sup>

و: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾<sup>(٣)</sup>

و: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾<sup>(٤)</sup>

و: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾<sup>(٥)</sup>

و: ﴿لِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾<sup>(٦)</sup>

□ قوله ﷺ: فَيَكُونُ الثَّوَابُ جَزَاءً وَالْعِقَابُ بَوَاءً...

الفاء للتفريع أي إذا كان الأمر على هذا المنوال من إن الغرض من بعث الرسل وإنزال الكتب هو إختيار الناس وإمتحانهم فيكون الثواب المترتب على أعمالهم جزاء لهم والعقاب المترتب على السيئات بواء وكفوفاً وإنما عبّر ﷺ عما يترتب على الحسنات بالجزاء وعن الآخر بالبواء لئلا تكون النكتة وهي إن العمل

٢- الكهف - ٧

٤- هود - ٧

٦- آل عمران - ١٥٤

١- العنكبوت - ٢

٣- الملك - ٢

٥- المائدة - ٤٨



الصَّالِحِ يَسْتَدْعِي الثَّوَابَ شَرْعاً وَعَقْلاً وَعِرْفَاناً فَالثَّوَابُ جَزَاءُ عَمَلِهِ إِذَا لَا تُعْنَى بِالْجَزَاءِ إِلَّا هَذَا وَأَمَّا الْمَعْصِيَةُ فَلَيْتَ كَذَلِكَ إِذَا لَا ثَوَابَ فِيهَا فَلَا يَعْبُرُ عَمَّا يَتَرْتَبُ عَلَيْهَا بِالْجَزَاءِ.

ويمكن ان يكون قوله ﷺ هذا إشارة إلى قوله تعالى حيث قال في كتابه: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (١)

و: ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا﴾ (٢)

و: ﴿وَمَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا﴾ (٣)

و: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةً مِثْلَهَا﴾ (٤) وجه الاستدلال هو أنه تعالى جعل جزاء السيئة مثلها ولم يجعل جزاء الحسنة كذلك بل جعله عشر أمثالها وحيث إن المثل عبارة عن الكفو فعبر ﷺ عنه بالبواء وأما الحسنة فحيث إن جزائها ليس مثلها بل أكثر فلا يصح التعبير عند البواء وهو ظاهر وعليه فالتقدير في كلامه ﷺ والعقاب جزاء بواء أي كفو ومثلاً لما عمل به من السيئة هذا.

وأما الشارح الخوئي فقال في شرح العبارة فيكون الثواب منه تعالى جزاء للحسنات بمقتضى فضله والعقاب بواء للسيئات بمقتضى عدله انتهى.

□ قوله ﷺ: أَيْنَ الَّذِينَ زَعَمُوا أَنَّهُمُ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ دُونَنَا كَذِباً وَبَغِيّاً...

كلمة (اين) للإستفهام إلا أنها ليست على سبيل الحقيقة بل على طريق الإنكار والتوبيخ لمن زعم إن الراسخين في العلم غير اهل البيت على حدو قوله تعالى اين شركائى ﴿الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ (٥) اي ليس لي شريك ففي المقام معنى الجملة إن الراسخين في العلم هم اهل البيت لا غيرهم وفي قوله ﷺ كذباً وبغياً إشارة إلى إن زعمهم كذب وإفتراء وظلم وجور علينا وهو كذلك اما كون ما زعموه كذباً فهو معلوم واما إنه من البغي لأنه من وضع الشيء

٢- يونس - ٢٧

٤- الشورى - ٤٠

١- الأنعام - ١٦٠

٢- الغافر - ٤٠

٥- القصص - ٦٢

في غير محلّه ولا نعني بالظلم والتعدّي إلا هذا.

ثمّ إنّ كلامه ﷺ هذا إشارة بل نصّ في أنّ الرّاسخين في العلم هم اهل البيت : و من إدعى هذا المقام غيرهم فهو كاذب في قوله ظالمّ عليهم وهو حق لا مرية فيه إذ هو إشارة إلى قوله تعالى في كتابه حيث قال: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (١)

وقوله تعالى: ﴿لَكِنَّ الرّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ﴾ (٢) فنقول: لاشكّ بصريح الآية أنّ الرّاسخين في العلم قد اخبر الله تعالى بوجودهم في الدّين فوجودهم ممّا لا ينكر إذ إنكاره إنكار القرآن وهو كما ترى والخلاف في أنّهم من هم، اهل البيت او غيرهم ولا بدّ لنا أولاً من بيان ماهيّة الرّسوخ أنّه ما هو ثمّ تعيين مصداقه.

قال الراغب في المفردات مادة رَسَخَ، رَسَخَ الشّيء ثباته ثباتاً متمكناً إلى أنّ قال والراسخ في العلم المتحقّق به الذي لا يعرضه شبهة فالرّاسخون في العلم هم الموصوفون بقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾ (٣) وكذا قوله لَكِنَّ الرّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ﴾ (٤) انتهى.

إذا عرفت معنى الرّسوخ في العلم وأنّ الرّاسخ فيه هو الذي لا يعرضه شبهة فمَنْ هو الرّاسخ في العلم بعد النبي ﷺ غير امير المؤمنين عليّ ابن ابيطالب ﷺ فإن كان هو فثبت المطلوب وان لم يكن فمَنْ هو وعليّ المدّعي أنّه غيره بيانه وإثباته وإذ ليس فليس وإذا ثبت المدّعي في حقه ﷺ فقد ثبت في حقّ أولاده المعصومين بعدم القول بالفصل وشهادة علماء الفريقين فيهم ايضاً ونحن نشير إلى بعض ما ورد في الباب.

فمن طرق العامة: ما رواه سفيان عن ابن جريح عن عطاء عن ابن عباس في قوله تعالى والَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ قَالَ قَدْ يَكُونُ مُؤْمِنًا وَلَا يَكُونُ عَالِمًا فَوَاللَّهِ لَقَدْ جَمَعَ لِعَلِيِّ كِلَاهُمَا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ أَنْتَهَى...

وعن الصفواني في الأحن والمحن عن الكلبي عن ابن عباس قال (حم) إسم من أسماء الله (عسق) علم عليّ سبق كل جماعة وتعالى عن كل فرقة انتهى...

وعن عبادة ابن الصامت قال عمر كنا امرنا إذا اختلفنا في شيء ان نحكم علياً الحديث...

وعن النقاش في تفسيره قال ابن عباس عليّ علم علما علمه رسول الله ورَسُولُ اللَّهِ عَلَّمَهُ اللَّهُ فَعَلِمَ النَّبِيُّ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ وَعِلْمِ عَلِيٍّ مِنْ عِلْمِ النَّبِيِّ وَعِلْمِي مِنْ عِلْمِ عَلِيٍّ وَمَا عِلْمِي وَعِلْمُ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ فِي عِلْمِ عَلِيٍّ إِلَّا كَقَطْرَةٍ مِنْ سَبْعَةِ أَبْحُرٍ أَنْتَهَى...

وعن يحيى ابن معين بأسناده عن عطاء ابن ابي رباح انه سئل هل تعلم احداً بعد رسول الله أعلم من عليّ فقال لا والله ما أعلمه انتهى...

وعن الخطيب في الأربعين قال عمر العلم ستة أسداس، لعليّ من ذلك خمسة أسداس وللناس سدس ولقد شاركنا في السدس حتى لهُوَ أَعْلَمُ بِهِ مِنَّا انتهى...

وعن عكرمة عن ابن عباس انّ عمر ابن الخطاب قال له يا أبا الحسن إنك لتعجل في الحكم والفصل للشيء إذا سئلت عنه قال فابرز عليّ كفه وقال له كم هذا فقال عمر، خمسة فقال ﷺ عجلت يا أبا حفص، قال لم يخف عليّ فقال عليّ انا أسرع فيما لا يخفى عليّ انتهى) والأحاديث كلها منقولة عن المناقب ج ٢ ص ٣٠ و ٣١»...

وقد نُقِلَ فِيهَا كَثِيرًا مِنْهَا لَمْ نَذْكُرْهَا مَخَافَةَ الْأَطْنَابِ أَنْ شَتَّتَ فَرَاغِعُهَا.

ومن طرق الخاصة: ما رواه في البحار بأسناده عن ابي جعفر ﷺ في قوله

عزَّ وجلَّ «وَالَّذِينَ اتَّيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ»<sup>(١)</sup> قال ﷺ هم آل محمد الحديث  
«ج ٧ ص ٢٨ ط كمباني»...

وبأسناده عنه ﷺ في قوله تعالى «وَالَّذِينَ اتَّيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ»<sup>(٢)</sup>  
قال ﷺ هم آل محمد انتهى «ص ٣٨»...

وبأسناده عنه ﷺ في قوله عزَّ وجلَّ «بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ  
أُوتُوا الْعِلْمَ»<sup>(٣)</sup> فقلت انتم هم فقال ابو جعفر من عسى ان يكونوا ونحن  
الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ انتهى «ص ٣٨»...

وبأسناده عن ابي عبدالله ﷺ قال ﷺ انَّ الْقُرْآنَ زَاجِرٌ وَأَمْرٌ يَأْمُرُ بِالْحَبَّةِ  
وَيُزْجِرُ عَنِ النَّارِ وَفِيهِ مُحْكَمٌ وَمُتَشَابِهٌ وَسَاقُ الْحَدِيثِ إِلَيَّ أَنْ قَالَ ﷺ «وَمَا  
يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا»<sup>(٤)</sup> آل  
محمد انتهى «ص ٣٩»...

وبأسناده عن ابي جعفر ﷺ قال ﷺ انَّ رَسُولَ اللَّهِ أَفْضَلُ الرَّاسِخِينَ فِي  
الْعِلْمِ فَقَدْ عِلْمَ جَمِيعِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنَ التَّنْزِيلِ وَالتَّأْوِيلِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَنْزِلَ  
عَلَيْهِ شَيْئاً لَمْ يَعْلَمْهُ التَّأْوِيلَ وَأَوْصِيَاءَهُ مِنْ بَعْدِهِ يَعْلمُونَ كُلَّهُ الْحَدِيثُ «ص  
٣٩»...

وبأسناده قال ابو عبدالله ﷺ يا ابا الصباح نحن قوم فرض الله طاعتنا، لنا  
الأنفال ولنا صفوا المال ونحن الراسخون في العلم ونحن المحسودون  
الذين قال الله ام يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله الآية «ص ٣٩»...  
وبأسناده عن ابي بصير عن ابي عبدالله قال نحن الراسخون في العلم  
ونحن نعلم تأويله انتهى «ص ٤٠»...

اقول: الأحاديث من طريقنا كثيرة ذكرها في البحار وذكرها غيره في غيره  
وفيما ذكرناه كفاية لأولي الدراية ولنعم ما قاله الرضي منهم:  
يا بني احمد أناديكم اليوم وانتم غداً لردّ جوابي

الف باب أُعْطِيتُمْ ثُمَّ أَفْضَى كُلُّ بَابٍ مِنْهَا إِلَى الْفِ بَابٍ لَكُمْ الْأَمْرُ كُتِبَ وَإِلَيْكُمْ وَلَدَيْكُمْ يَأْتِي فَصَلِّ الْخُطَابِ وَاطْنَنَّ الْأَمْرَ أَوْضَحَ مِنْ أَنْ يَخْفَى عَلَى أَحَدٍ فَإِنَّ كَوْنَهُمْ هُمُ الرَّاكِبُونَ فِي الْعِلْمِ كَالشَّمْسِ فِي رَابِعَةِ النَّهَارِ وَقَدْ ثَبَتَ أَنَّ جَمِيعَ الْعُلُومِ مُسْتَنْدٌ إِلَيْهِمْ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

□ قوله ﷺ: أَنْ رَفَعْنَا اللَّهَ وَوَضَعَهُمْ وَأَعْطَانَا وَحَرَمَهُمْ وَأَدْخَلْنَا وَأَخْرَجَهُمْ...

ثُمَّ أَنَّهُ ﷺ بَيَّنَّ عِلَّةَ كَذِبِهِمْ وَبَغْيِهِمْ عَلَى أَهْلِ الْبَيْتِ فَقَالَ الْوَجْهَ فِيهِ هُوَ أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِمَنَّةٍ وَكَرَمَةٍ رَفَعَنَا اللَّهُ فِي جَمِيعِ الشُّنُونِ عَلَى غَيْرِنَا عِلْمًا بِسَبَبِ الْعِبُودِيَّةِ وَالْإِخْلَاصِ الْمُسَبَّبِ عَنْ تَوْفِيقِهِ إِيَّانَا بِلُطْفِهِ وَكَرَمِهِ وَوَضَعَ غَيْرِنَا مِنَ النَّاسِ فِي مَوَاضِعِهِمُ الَّتِي كَانُوا مُسْتَعْدِّينَ لَهَا فَنَحْنُ الْعُلَمَاءُ وَهُمْ الْجُهَالُ وَنَحْنُ الْأَمْرَاءُ وَهُمْ الْمَأْمُورُونَ وَأَعْطَانَا الْعِلْمَ وَالْحِكْمَةَ وَسَائِرَ الْكَمَالَاتِ النَّفْسَانِيَّةِ بِتَمَامِهَا وَكَمَالِهَا وَحَرَمَهُمْ عَنْهَا أَوْ أَعْطَانَا النَّبُوَّةَ وَالْإِمَامَةَ وَالْخِلَافَةَ دُونَ غَيْرِنَا، وَأَدْخَلْنَا اللَّهَ تَعَالَى فِي مَقَامِ قَرِيبِهِ وَأَخْرَجَهُمْ عَنْهُ لِعَدَمِ لِيَاقَتِهِمْ لَهُ وَالْجَامِعِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَعْطَانَا مَا لَيْسَ لَغَيْرِنَا فَصَارَ هَذَا أَوْ هَذِهِ الْأَوْصَافُ بَاعِثَةً عَلَى حِقْدِهِمْ وَحَسَدِهِمْ عَلَيْنَا.

فقوله ﷺ: رَفَعْنَا اللَّهَ، إِشَارَةٌ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تَرْفَعَ وَيُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾ (١).

و: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ (٢)

و: ﴿تَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ (٣)

و: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ﴾ (٤)

و: ﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ (٥) وغيرها من الآيات.

وفي وقوله ﷺ: وَأَعْطَانَا إِشَارَةٌ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكُوثَرَ﴾ (٦)

ولا شك ان ما اعطاه الله النبي فقد اعطاه الأوصياء بعده.

و: ﴿هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْتَنُ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾<sup>(١)</sup>

و: ﴿جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِسَاباً﴾<sup>(٢)</sup>

وقوله ﷺ: أدخلنا إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَأَدْخَلْنَا فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنْ

الصَّالِحِينَ﴾<sup>(٣)</sup>

و: ﴿وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾<sup>(٤)</sup>

و: ﴿وَلَكِنْ يَدْخُلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ﴾<sup>(٥)</sup>

و: ﴿يَدْخُلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً﴾<sup>(٦)</sup>

و: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ

وَفَضْلٍ﴾<sup>(٧)</sup> وقد ورد في الجامعة الكبيرة: السلام عليكم يا اهل بيت النبوة

وموضع الرسالة ومختلف الملائكة ومهبط الوحي ومعدن الرحمة وخزان

العلم ومتهى الحلم وأصول الكرم وقادة الأمم واولياء النعم وعناصر الأبرار

ودعائم الأخيار وساسة العباد واركاب البلاد وأبواب الإيمان وأمناء الرحمن

وسلالة النبيين وصفوة المرسلين وعتره خيرة رب العالمين ورحمة الله

وبركاته.

السلام على ائمة الهدى ومصايح الدجى واعلام التقى وذوي النهى وأولي

الحجى وكهف الورى وورثة الأنبياء والمثل الأعلى والدعوة الحسنى وحجج

الله على اهل الدنيا والآخرة والأولى ورحمة الله وبركاته.

وهكذا سائر فقرات الجامعة فإنها دالة على المقصود وان الله تعالى اعطاهم

ما لم يعط غيرهم. ولنعم ما قيل:

ارادكم الحسود بكيد سوءٍ

يُريد ليظفي النور المصفي

فلا يك ما اراد عليه غمه

ويابى الله إلا ان يُتمه

١-النبا - ٣٦

٢-الأنبياء - ٨٦

٣-الإنسان - ٣١

١-يس - ٣٩

٢-الأنبياء - ٧٥

٣-الشورى - ٨

٤-النساء - ١٧٥

ولآخر:

عَلَيَّ وَالْأُمَّةَ مِنْ بَنِيهِ      هُمْ سَادُوا الْأَوْلَىٰ غُرْبًا وَعَجْمًا  
نُجُومٌ نُورَهَا يَهْدِي إِذَا مَا      مَضَىٰ نَجْمٌ اتَىٰ وَاللَّهُ نَجْمًا

ولآخر:

وَهُمْ مَصَابِيحُ الدُّجَىٰ لِدَوَىٰ الْجِجَىٰ

وَالْعُرُوةَ الْوَثْقَىٰ لَدَىٰ إِسْتِمْسَاكِ

وَهُمُ الصَّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ وَنُورُهُمْ

يَجْلُؤُوا عَمَىٰ الْمُتَحِيرِ الشَّكَاكِ

وَهُمُ الْأُمَّةُ لَا إِمَامَ سِوَاهُمْ

فَدَعِيَ لِتَيْمٍ وَغَيْرِهَا دَعَاكِ

ولآخر:

يَا آلَ أَحْمَدِ أَنْتُمْ خَيْرٌ مُشْتَمَلٍ      بِالْمُكْرَمَاتِ وَأَنْتُمْ خَيْرٌ مُعْتَرَفٍ  
خِلَافَةَ اللَّهِ فِيكُمْ غَيْرُ خَافِيَةٍ      يُفَضِّلُ بِهَا سَلَفٌ مِنْكُمْ إِلَىٰ خَلْفٍ  
طِبْتُمْ فَطَابَ مَوَالِيكُمْ لِطَبِيبَتِكُمْ      وَبِإِذْنِ أَعْدَائِكُمْ بِالْخُبِيثِ فِي التُّظْفِ  
رَأَيْتَ نَفْعِي وَضُرِّي عِنْدَكُمْ فَإِذَا      مَا كَانَ ذَاكَ فَعِنْدَكُمْ أَيْنَ مُنْصَرَفِي

ولآخر:

مُطَهَّرُونَ نَقِيَّاتٍ ثِيَابَهُمْ      تَجْرِي الصَّلَاةُ عَلَيْهِمْ أَيْنَمَا ذَكَرُوا  
مَنْ لَمْ يَكُنْ عَلْوِيًّا حِينَ تَنْسِبُهُ      فَمَالَهُ مِنْ قَدِيمِ الدَّهْرِ مُفْتَخِرُ  
فَاللَّهُ لَمَّا بَرَأَ خَلْقًا فَأَتَقَنَهُ      صَفَاكُمْ وَأَصْطَفِيَكُمْ أَيُّهَا الْبَشَرُ  
فَأَنْتُمْ الْمَلَأَ الْأَعْلَىٰ وَعِنْدَكُمْ      عِلْمَ الْكِتَابِ وَمَاجِئَاتِ بِهِ السُّورِ

ولآخر:

مَعَادُنُ الْعِلْمِ وَالْآيَاتِ وَالْحِكْمِ

وَمَوْضِعِ الْجُودِ وَالْأَفْضَالِ وَالكَرَمِ

قَوْمٌ بِهِمْ فَتَحَ اللَّهُ الْهُدَىٰ وَبِهِمْ

خَتَامُهُ عِنْدَ دَرَسِ الْحَقِّ فِي الْأُمَمِ

إِنْ كَانَ دِينَ إِلَهِ الْخَلْقِ أَذْلُهُمْ

سِوَالْفِ فِي الْوَرَى مِنْ خَالِصِ النَّعْمِ

كَانُوا لَدَى الْعَرْشِ أَنْوَارًا تُضِيئُ بِهِمْ

طَّرَفِ السَّمَاءِ لَمَّا فِيهَا مِنَ الظُّلْمِ

وَمَلَجًا لِأَبِينَا عِنْدَ تَوْبَتِهِ

مَنْ ذَنْبُهُ فِي قَبُولِ التَّوْبِ وَالنِّدَمِ

لَمَّا دَعَا اللَّهُ إِذْ عَانَا بِحَقِّهِمْ

أَجَابَهُ مُعْظَمًا لِيَلْحَقَ فِي الْقِسْمِ

وَلَاخِرُ، ابْنُ الْغُودِيِّ :

هُمُ التَّيْنُ وَالزَّيْتُونُ آلُ مُحَمَّدٍ

هُمُ شَجَرُ الطُّوبَى لِمَنْ يَتَفَقَّهُمْ

هُمُ جَنَّةُ الْمَاوِي هُمُ الْحَوْضُ فِي غَدٍ

هُمُ اللَّوْحُ وَالسَّقْفُ الرَّفِيعُ الْمُعْظَمُ

هُمُ آلُ عِمْرَانَ هُمُ الْحَجُّ وَالنِّسَاءُ

هُمُ سَبَا وَالذَّارِيَاتُ وَمَرْيَمُ

هُمُ آلُ يَاسِينَ وَطَاهَا وَهَلْ أَتَى

هُمُ النَّمْلُ وَالْأَنْفَالُ لَوْ كُنْتَ تَعْلَمُ

هُمُ الْآيَةُ الْكُبْرَى هُمُ الرُّكْنُ وَالصِّفَا

هُمُ الْحِجْرُ وَالْبَيْتُ الْعَتِيقُ وَرَمَزُ

هُمُ فِي غَدٍ سَفْنُ النِّجَاةِ لِمَنْ وَعَى

هُمُ الْعُرْوَةُ الْوَثْقَى الَّتِي لَيْسَ تُفْصَمُ

هُمُ الْجَنْبُ جَنْبُ اللَّهِ وَالْيَدُ فِي الْوَرَى

هُمُ الْعَيْنُ لَوْ قَدْ كُنْتَ تَدْرِي وَتَفْهَمُ

هُمُ السِّرُّ فِينَا وَالْمَعَالِي هُمُ الْأُولَى

نُمِّيْمٌ فِي مِئْهَاجِهِمْ حَيْثُ يَمَمُوا



هُمُ الْغَايَةُ الْقُصْوَى هُمُ مُنْتَهَى الْمُنَى  
سَلِ النَّص فِي الْقُرْآنِ يُخْبِرُكَ عَنْهُمْ  
هُمُ فِي غَدٍ لِلْقَادِمِينَ سُقَاتِهِمْ  
إِذَا وَرَدُوا وَالْحَوْضُ بِالْمَاءِ مُفْعَمٌ  
هُمُ شُفَعَاءُ النَّاسِ فِي يَوْمِ عَرْضِهِمْ  
إِلَى اللَّهِ فِيمَا اسْرَفُوا وَتَجَرَّمُوا  
هُمُ يُنْقَدُونَ مِنْ لَظَى النَّارِ فِي غَدٍ  
إِذَا مَا غَدَتْ فِي وَقْدِهَا تَنْضَرَمُ  
□ وقوله عليه السلام: بِنَا يُسْتَعْتَبُ الْهُدَى وَيُسْتَجَلَى الْعَمَى...

الباء في قوله عليه السلام: (بنا) لِسَبَبِيَّةٍ أَوْ الْمُصَاحِبَةِ أَيْ بِسَبَبِنَا أَوْ بِمَصَاحِبَتِنَا  
يُسْتَعْتَبُ الْهُدَى، وَالظَّاهِرُ أَنَّ الْفَعْلَيْنِ اعْنَى قَوْلُهُ عليه السلام: (يُسْتَعْتَبُ وَيُسْتَجَلَى) مَجْهُولَانِ أَيْ مِنْ أَرَادَ الْهُدَايَةَ وَالْخِلَاصَ عَنِ الضَّلَالَةِ فَلَا بَدَّ لَهُ مِنْ مَتَابَعَتِنَا  
وَالْتَّمَسَكَ بِنَا وَيُؤَيِّدُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ، وَقَدْ وَرَدَ فِي التَّفْسِيرِ أَنَّ الْمُنْذِرَ هُوَ الرَّسُولُ وَالْهَادِيَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَأَوْلَادَهُ عليهم السلام وَلَعَلَّ الْوَجْهَ فِيهِ هُوَ أَنَّ الْأَمَامَةَ مُكَمَّلَةٌ لِلنَّبُوَّةِ بِمَعْنَى أَنَّ النَّبُوَّةَ مَعَ قَطْعِ النَّظَرِ عَنِ الْأَمَامَةِ لَا خَيْرَ فِيهَا فَالْأَوْصِيَاءُ هُمُ الْهَادُونَ إِلَى التَّوْحِيدِ وَالنَّبُوَّةِ وَهَذَا هُوَ السَّرْفُ فِي قَوْلِهِ عليه السلام أَنَا مَدِينَةُ الْعِلْمِ وَعَلِيٌّ بَابِهَا، أَيْ بَابَ مَدِينَةِ النَّبُوَّةِ وَمَا فِيهَا مِنَ الْعِلْمِ وَالْحِكْمَةِ.

□ قوله عليه السلام: إِنَّ الْأُمَّةَ مِنْ قُرَيْشٍ غُرُسُوا فِي هَذَا الْبَطْنِ مِنْ هَاشِمٍ لَا تَصْلُحُ عَلَيَّ سِوَاهُمْ وَلَا تَصْلُحُ الْوَلَاةُ مِنْ غَيْرِهِمْ...

أَفَادَ عليه السلام أَنَّ الْأُمَّةَ فِي الدِّينِ مِنْ طَائِفَةِ قُرَيْشٍ مِنْ بَطْنِ هَاشِمٍ ابْنِ عَبْدِ مَنْفٍ فَلَا تَصْلُحُ الْإِمَامَةَ عَلَيَّ سِوَاهُمْ أَيْ سِوَى مَنْ كَانَ مِنْ قُرَيْشٍ مِنْ بَطْنِ هَاشِمٍ وَلَا تَصْلُحُ الْوَلَاةُ مِنْ غَيْرِهِمْ كَائِنًا مَنْ كَانَ أَقُولُ: فِي كَلَامِهِ عليه السلام هَذَا رَدٌّ عَلَيَّ مِنْ إِسْتِدْلَالٍ فِي صِحَّةِ إِمَامَتِهِ وَإِمَامَةِ غَيْرِهِ بِالْحَدِيثِ الْمَشْهُورِ النَّبَوِيِّ حَيْثُ قَالَ عليه السلام الْأُمَّةُ مِنْ قُرَيْشٍ، وَهَذَا الْحَدِيثُ مِمَّا إِسْتَدْلَوْا بِهِ فِي السَّقْفِيَّةِ لَصِحَّةِ خِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ ثُمَّ عُمَرَ ثُمَّ عُثْمَانَ فِي رَدِّ سَعْدِ بْنِ عَبْدِ الْأَنْصَارِيِّ وَغَيْرِهِ مِمَّنْ كَانَ حَاضِرًا

فيها وإدعى الإمامة.

وَجَّهَ الرَّدَّ - أَنَّ الْمَقْصُودَ مِنْ قَوْلِهِ ﷺ الْأُئِمَّةُ مِنْ قُرَيْشٍ، مِنْ بَطْنِ هَاشِمٍ مُطْلَقاً وَحَيْثُ أَنَّ الثَّلَاثَةَ لَمْ يَكُونُوا مِنْ بَطْنِ هَاشِمٍ بَطَلَتْ خِلَافَتُهُمْ وَهُوَ الْمَطْلُوبُ .

ثُمَّ أَنَّ الشَّارِحَ الْمُعْتَزَلِيَّ أَطَالَ الْكَلَامَ فِي الْمَقَامِ وَذَكَرَ أَقْوَالَ فِي إِشْتِرَاطِ النَّسَبِ فِي الْإِمَامَةِ، وَالشَّارِحَ الْخَوْثِيَّ بَعْدَ نَقْلِهِ فِي شَرْحِهِ مَا نَقَلَهُ الْمُعْتَزَلِيَّ أَطْنَبَ الْكَلَامَ فِي رَدِّهِ وَذَكَرَ الْأَخْبَارَ الدَّالَّةَ عَلَى أَنَّ الْإِمَامَ لَا يَكُونُ إِلَّا مِنْ قُرَيْشٍ عَنِ كِتَابِ غَايَةِ الْمَرَامِ بِطَرَقِ الْعَامَّةِ أَنَّهُ ﷺ قَالَ الْأُئِمَّةُ مِنْ قُرَيْشٍ أَقُولُ: لَا فَائِدَةَ فِي تَفْصِيلِ الْكَلَامِ فِي الْمَقَامِ وَذَلِكَ لِإِنَّا بَعْدَ مَا أُثْبِتْنَا أَنَّ الْإِمَامَ لَا بَدَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ مَنصُوباً مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَلَا نَحْتَاجُ فِي إِثْبَاتِ الْأُئِمَّةِ الْأَثْنَى عَشَرَ بِهَذَا الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ عَنْهُ ﷺ وَذَلِكَ لِأَنَّ النَّصَّ مُقَدَّمٌ عَلَى هَذَا الْحَدِيثِ وَامْتَالَهُ مِمَّا لَمْ يُسَمَّ فِيهِ الْإِمَامَ بِإِسْمِهِ فَإِنَّ مَجْرَدَ كَوْنِ الْإِمَامِ مِنْ قُرَيْشٍ أَوْ مِنْ بَطْنِ هَاشِمٍ لَا يَكْفِينَا فِي الْمَقَامِ إِذَا لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ نَصٌّ.

إِنْ قُلْتَ - فَمَا فَائِدَةُ قَوْلِهِ ﷺ فِي الْمَقَامِ أَنَّ الْأُئِمَّةَ مِنْ قُرَيْشٍ الْخ.

قُلْتَ - الْفَائِدَةُ فِيهِ هِيَ بَيَانُ نَسَبِهِمْ فَحُسْبُ وَامَّا إِثْبَاتُ إِمَامَتِهِمْ فَيَحْتَاجُ إِلَى دَلِيلٍ آخَرَ وَبِذَلِكَ قَدْ ظَهَرَ لَكَ أَنَّ مَا ذَكَرَهُ الْخَوْثِيُّ ﷺ وَأَتَعَبَ نَفْسَهُ فِيهِ مِنْ أَنَّ الْحَدِيثَ يَفِيدُ الْحَصْرَ عَلَى مَقَالِهِ الشَّرِيفِ وَالتَّفْتَازَانِيِّ كُلِّ ذَلِكَ لَا طَائِلَ تَحْتَهُ ضَرُورَةٌ أَنْ الْحَصْرَ وَعَدَمَهُ لَا فَائِدَةَ فِيهِ فِي مَذْهَبِنَا وَحَاصِلِ الْكَلَامِ أَنَّ الْإِمَامَ ﷺ أَفَادَ أَنَّ الْأُئِمَّةَ مِنْ قُرَيْشٍ مِنْ بَطْنِ هَاشِمٍ لَا مِنْ مُطْلَقِ قُرَيْشٍ وَامَّا أَنَّهُ أَيُّ كَوْنِ الْوَالِيِّ مِنْ قُرَيْشٍ مِنْ بَطْنِ هَاشِمٍ يَكْفِي فِي صِحَّةِ إِمَامَتِهِ فَهُوَ أَوَّلُ الْكَلَامِ بَلْ فِي حَيْزِ الْمَنْعِ وَذَلِكَ لِأَنَّ أَوْلَادَ الْعَبَّاسِ كَانُوا مِنْ قُرَيْشٍ مِنْ بَطْنِ هَاشِمٍ وَنَحْنُ لَا نَقُولُ بِصِحَّةِ إِمَامَتِهِمْ وَهُوَ ظَاهِرٌ .

الفصل الثاني منها:

□ قَوْلُهُ ﷺ: آثَرُوا عَاجِلاً وَأَخْرُوا آجِلاً وَتَرَكُوا صَافِياً وَشَرِبُوا آجِناً...

أَيُّ إِخْتَارُوا الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَقَدَمُوهَا عَلَيْهَا وَتَرَكُوا اللَّذَاتِ الصَّافِيَةَ

الأخروية وشربوا من الكدورات الفانية الدنيوية المشوبة بالآلام والأسقام. قالوا هذا الكلام إنما صدر عنه عليه السلام في ذم بني امية، وقيل أنه في ذم المعرضين عنهم عليهم السلام مطلقاً ولا يُبعد ترجيح القول الأول بقريته قوله عليه السلام بعد هذا الكلام كإني أنظر إلى فاسقهم ثم إن قوله أثروا عاجلاً وآخروا أجلاً وذمهم على إختيارهم الدنيا على الآخرة إشارة إلى أن هذا الإختيار مذموم عقلاً وشرعاً.

أما العقل: فالإن الدنيا وما فيها دائرة فانية محفوفة بالآلام والهَموم فإنها أي الدنيا دار بالبلاء محفوفة وبالغدر معروفة وهذا بخلاف الآخرة وما أعد الله فيها للأبرار فإنها باقية والعقل يحكم بترجيح ما هو الباقي على الفاني وهو ظاهر وأما الشرع: فيكفي فيه الآيات منها قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ (١)

و: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ (٢)

و: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اسْتَرَوْا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ﴾ (٣) والآيات كثيرة.

وقوله عليه السلام: وَتَرَكُوا صَافِيًا، إشارة إلى أن الآخرة التي تركوها صافية لا غبار فيها وهو كناية عن دوام لذتها وإنها ليست محفوفة بالآلام لإنسلاخها عن المادة وتجردتها عن غشاوة عالم الطبيعة كالماء الصافي الذي لا غبار فيه أصلاً، وقوله وشربوا آجناً، إشارة إلى كثافة الدنيا وما فيها ومعلوم أن العاقل لا يأخذ الآجن ويترك الصافي هذا على مسلك الشراح.

ويمكن أن يقال أن قوله عليه السلام: وَتَرَكُوا صَافِيًا، إشارة أنهم تركوا العلم الصافي اعني علوم اهل البيت التي هي خالية عن شوائب الأوهام ووساوس الشيطان، وقوله عليه السلام: وَشَرِبُوا آجِنًا، إشارة إلى اخذهم العلوم عن غير اهل البيت ولا شك أنها غير صافية، ويؤيد ما ذكرناه قوله عليه السلام في صدر الخطبة ابن الذين زعمو أنهم الراسخون إلى قوله بنا يُستعطي الهدى ويُستجلى العمى، وعليه فمن

٢- الأعلى- ١٦

١- النزاعات- ٢٧ و ٣٨ و ٣٩

٣- البقرة- ٨٦

تركهم واخذ العلم عن غيرهم فقد ترك الصافي وشرب الأجن.  
□ وقوله عليه السلام: كَانِي أَنْظِرُ إِلَى فَاسِقِهِمْ وَقَدْ صَحِبَ الْمُنْكَرَ فَأَلْفَهُ وَبَسِيَّ بِهِ  
وَوَافَقَهُ...

اختلفوا في المراد بالفاسق فقال البحراني يحتمل أن يريد فاسقاً معيناً كعبد  
الملك ابن مروان ويحتمل أن يكون مطلق الفاسق أي من يفسق من هولاء فيما  
بعده.

اقول: ما ذكروه لا باس به ولكني اظن أنه عليه السلام اراد شخصاً معيناً من بني أمية  
يسمى بهذا اللقب اعني الفاسق وهو الوليد بن يزيد ابن عبد الملك ابن مروان  
لعنهم الله تعالى المشهور بين المؤرخين بالوليد الفاسق ومعلوم أنهم اخذوا  
هذا اللقب عن شهرته به في خلافته بين الناس لا إنهم لقبوه به وذلك لأن بني  
أمية وإن كانوا كلهم موصوفين بهذا الوصف إلا أن الفسق يختلف بالشدة  
والضعف وهو كان اشدهم فسقاً وأخبثهم وأرذلهم بشهادة التاريخ.

قال السيوطي في تاريخ الخلفاء، الوليد ابن يزيد ابن عبد الملك ابن مروان  
ابن الحكم الخليفة الفاسق ابو العباس ولد سنة تسعين فلما احتضر ابوه لم  
يمكنه أن يستخلفه لأنه صبي فعقد لأخيه هشام وجعل هذا ولي العهد من بعد  
هشام فتسلم الأمر عند فوت هشام في ربيع الآخر سنة خميسن وعشرين  
ومائة وكان فاسقاً شريباً للخمر متتهكاً حرّماً الله أراد الحجاج يشرب فوق ظهر  
الكعبة فمقتته الناس لفسقه وخرجوا عليه فقتل في جمادى الآخرة سنة ست  
وعشرين ثم قال انه لما حوصر قال ألم أزد في أعطياتكم، ألم أرفع عنكم  
المئون، ألم أعط فقراءكم فقالوا ما ننقم عليك في أنفسنا لكن ننقم عليك إنتهاك  
ما حرّم الله وشرب الخمر ونكاح أمهات أولاد ابيك وإستخفافك بأمر الله ولما  
قتل وقطع رأسه وجيء به يزيد الناقص نصّبه على رُمح فنظر إليه أخوه سليمان  
ابن يزيد فقال بعداً له اشهد انه كان شروباً للخمر فاسقاً ولقد راودني على  
نفسي.

ونقل عن المعاني الحريري انه قال جمعت شيئاً من اخبار الوليد ومن

شعره الذي ضَمَنه ما فَجَّر به من خرقه وسخافته وما صرَّح به من الإلحاد في القرآن والكفر بالله إلى أن قال:

وقد ورد في مسند احمد حديث، ليكون في هذه الأمة رجل يقال له الوليد لهو أشد على هذه الأمة من فرعون لقومه وقال ابن فضل، الوليد ابن يزيد الجبار العيند لقباً فرعون ذلك العصر الذاهب والدَّهر المملوء بالمعائب يأتي يوم القيمة يُقدِّم قومه فيوردهم النار ويُرديهم العار وبئس الورد المورد والمورد المروي في ذلك الموقف المشهور رَشَق المصحف بالسهام وفَسَق ولم يخف الآثام انتهى ما ذكره.

وقال المسعودي في تاريخه المُسمَّى (بمروج الذهب ومعادن الجوهر) ما لفظه.

وكان الوليد ابن يزيد صاحب شراب ولهو وطرب وسمع للغناء وهو اول من حمل المغنين من البلدان إليه وجالس الملهين واطهر الشرب والملاهي والعزف وفي ايامه كان ابن شريح المغني ومعبد والفريض وابن عائشة وابن مُحرز وطويس ودهمان وغلبت عليه شهوة الغناء في ايامه وعلى الخاص والعام واتخذ القيان وكان متهتكاً ماجناً وطرب الوليد لليلتين خلتا من ملكه وارق وانشا يقول:

طال ليلى وبث أسقي السلافة      وأتاني نعي من الرصافة

وأتاني ببرد وقصيب      وأتاني بخاتم للخلافة

وقال عند وفاة هشام وقد أتاه البشير بذلك وسلم عليه بالخلافة.

إني سمعت خليلي نحو الرصافة رثه

أقبلت أسحب ذيلي، اقول ما بالهنة

إذا مات هشام، يندبن والدهته

يدعون ويلاً وعولاً، والويل حل بهنة

أنا المخنث حقاً أن لم آتيكهنة

وقيل للوليد ما بقي من ذاتك قال محادثة الأخوان في الليالي القمر على  
الكتبان العفر وقال في الشراب:

وصفراء في الكاس كالزعران      سبأها لنا النجر من عسقلان  
تريك القذاه وعرض الأناء      وستر لها دُون مَسِّ البنان  
لها حَبَبٌ كُلُّمَا صَفَقْت      تراها كلمعة برق اليمان  
وقال ايضاً:

إِسْقِنِي يَا يَزِيدَ بِالْقَرْقَارَةِ      قَدْ طَرَبْنَا وَحَنَّتْ الزِّيَارَةُ  
إِسْقِنِي إسْقِنِي فَإِنَّ ذَنُوبِي      قَدْ أَحَاطَتْ فَمَا لَهَا كِفَارَةُ  
وقراء وإسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عِنْدَ مَنْ وَرَاءَهُ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ  
سَدِيدٍ، فِدَعَا بِالْمُصْحَفِ فَنَصَبَهُ غَرَضاً لِلنَّشَابِ وَأَقْبَلَ بِرَمِيهِ وَهُوَ يَقُولُ:

أَتُوْعِدُ كُلَّ جَبَّارٍ عِنْدِي      فَهَا أَنَا ذَاكَ جَبَّارٌ عِنْدُ  
إِذَا مَا جِئْتَ رَبِّكَ يَوْمَ حَشْرِ      فَقُلْ يَا رَبِّ مَزْقِنِي الْوَلِيدِ  
وذكر محمد بن يزيد المبرّد أنّ الوليد الحدّ في شعره ذكر فيه النبي ﷺ

وإنّ الرّوحى لم ياتهُ عن ربّه وقال:

تَلَعَّبَ بِالْخِلَافَةِ هَاشِمِيٌّ      بَلَا وَحِيَّ اتَاهُ وَلَا كِتَابِ  
فَقُلْ لِلّهِ يَمْنَعُنِي طَعَامِي      وَقُلْ لِلّهِ يَمْنَعُنِي شَرَابِي

واوصافه كثيرة وهفواته لا تحصى ومن اراد التفصيل فيها والوقوف على  
جناياته وظلمه وكفره فعليه بكتب التواريخ الموضوعه لهذا الفن وكان قتله  
بالبحراء يوم الخميس ليلتين بقيتا من شهر جمادى الآخرة سنة ست  
وعشرين ومائة وكانت ولايته سنة وشهرين وإثنين وعشرين يوماً وقتل وهو  
ابن اربعين سنة ودفن في الموضع الذي قتل فيه وهو قرية من قرى دمشق  
تعرف بالبحراء لعنة الله وهذا هو الذي اراده عليه السلام في كلامه وسمّاه بالفاسق  
ووصفه بأنّه قد صحب المنكر إلى آخر ما قال وقد عرفت أنّه كان كذلك إلى ان  
قُتِلَ فكان مستانساً بالفسق وموافقاً له وإلى هذا المعنى اشار عليه السلام بقوله.

□ قوله عليه السلام: حَتَّى شَابَتْ عَلَيْهِ مَقَارِقُهُ وَصُبِغَتْ بِهِ خَلَائِقُهُ...

فقوله عليه السلام: حَتَّى شَابَتْ عَلَيْهِ مَفَارِقُهُ كناية عن طول عهده به إلى ان قتل فإن شيب المفارق عبارة عن بياضها وهو لا يكون إلا إذا بلغ الشيخوخة، وقوله صَبَغَتْ به خلانقه، كناية عن ملازمته للمنكرات بحيث صارت طبائعه مَصْبُوعَةً بها واصل الصبغ اللون.

□ قوله عليه السلام: ثُمَّ أَقْبَلَ مُزْبِداً كَالْتِّيَّارِ لَا يُبَالِي مَا غَرَّقَ أَوْ كَوَّعَ النَّارِ فِي الْهَشِيمِ لَا يَحْفَلُ مَا حَرَّقَ...

شَبَّهَهُ عليه السلام بالبحر المَواج ووجه الشبّه أنّه كان لا يبالي بما يفعله في الناس من القبائح، ورجلٌ مُزبِد، اي ذو زبدٍ وهو ما يخرج من الفم كالرغوة والتيار بالتشديد موج البحر فكما أنّ البحر لا يبالي ما غرق فيه هو ايضاً لا يبالي بما يفعله.

ثُمَّ شَبَّهَهُ ثانياً بالنار المَفْرَقَةُ المُلْتَهَبَةُ فقال عليه السلام او كَوَّعَ النَّارِ فِي الْهَشِيمِ، اعني وقوع النار في النَّبْتِ الْيَابِسِ ووجه الشبّه أنّه لا يحفل ولا يبالي بظلمه كما لا تحفل النار ولا تبالي في إحراقها النَّبْتِ الْيَابِسِ والكنائتان حاكيتان عن عدم مبالاته بالذين وارتكابه المعاصي.

□ قوله عليه السلام: آيْنَ الْعُقُولُ الْمُسْتَضِيحَةُ بِمَصَابِيحِ الْهُدَى وَالْأَبْصَارُ الْأَمِيحَةُ إِلَى مَنَارِ التَّقْوَى...

الإستفهام في المقام جيء به لِتَحَسُّرٍ وَالتَّاسُفِ والعقول المُسْتَضِيحَةُ بمصابيح الهدى، كناية عن اولياء الدين من الصلحاء والأخيار وفي راسهم الأئمة عليهم السلام وإنما عبّر عليه السلام عنهم بمصابيح الدين لأن المصباح يُسْتَضَاءُ به في الظلمة والولي ايضاً كذلك في الضلالة والغواية.

وقوله عليه السلام وَالْأَبْصَارُ الْأَمِيحَةُ إِلَى مَنَارِ التَّقْوَى، إشارة إلى أنّهم اعلام التّقنى التي بهم يُهْتَدَى في غياهب الدجى.

□ قوله عليه السلام: آيْنَ الْقُلُوبُ الَّتِي وَهَبَتْ لِلَّهِ وَعُوِّدَتْ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ...

اين للاستفهام والقلوب التي وَهَبَتْ لِلَّهِ وَهَبَتْ لله تعالى كناية عن إستغراقها في حُبّه ومطالعة انواره وكبريائه التي أُشِيرَ إِلَيْهَا فِي الْحَدِيثِ قَلْبُ الْمُؤْمِنِ عَرْشُ

الرَّحْمَنُ، وَقَوْلُهُ ﷺ: وَعُوقِدَتْ عَلَيَّ طَاعَةَ اللَّهِ إِشَارَةً إِلَى أَنَّهَا لَا تَعْصِيهِ طَرْفَةً عَيْنٍ ابداً فَإِنَّ هَذِهِ الْقُلُوبَ أَوْعِيَةَ فَخَيْرُهَا أَوْعَاهَا.

وحاصل الكلام أنه ﷺ أشار بهذه الكلمات الصادرة عن لسان الصدق إلى أن لله تعالى: ﴿رِجَالٌ لَاتُكَلِّمُهُمْ بِلِسَانِهِمْ وَلَا يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِهِمْ وَلَهُمْ عِلْمٌ غَيْرُ الْمَعْلُومِ﴾ (١) ولنعم ما قال الفيض رحمه الله بالفارسية:

كسی کو چشم دل بیدار دارد	زهر مُو ديدة دیدار دارد
وصالش هر که را گردد مُیسر	سَرِمَسْتُ و دِلِ هُشیار دارد
کجا بیند رُخش آنکو ز پستی	نَظَرِ پَیوسته با اغیار دارد
کسی کو بار هستی بسته بر دوش	کجا در بَزَمِ رِندان بار دارد
تو را زاهد گُل بی خار جَنَّت	که گُلهای مَحَبَّتِ خار دارد
تنی خواهد سراپا چشم باشد	که در سَرِ دیدن دلدار دارد
روان من سوی جانان روان است	گاهی شَبِگیر و گه ایوار دارد
گاهی فکر و گهی ذکر و گهی سُوز	گاهی جان سیر در اسرار دارد
نباشد لذتی از عشق خوش تر	اگر چه مِحَنَّتِ بسیار دارد
درون شاداست و خُرَمِ عاشقان را	بَرُونشان گرچه حالِ زار دارد
دلش با دوست تن با غیر عاشق	دل خُرَمِ تَنِ بیمار دارد
دو روزی فیض را مهلت ده ای عمر	دلش با عشق بازی کار دارد

□ قوله ﷺ: اَزْدَحَمُوا عَلَيَّ الْحُطَامِ وَتَشَاخَّوْا عَلَيَّ الْحَرَامِ...

ثم إنه ﷺ رجع إلى كلامه الأول ووصف أبناء الدنيا بوصفين أحدهما إزدحامهم واجتماعهم على الحطام الدنيوية، وثانيها تنازعهم على الحرام ومعلوم أن الثاني من لوازم الأول فإن الاجتماع على الحرام لازمه التنازع بينهم وهو كذلك كما نرى بالحس والعيان.

□ قوله ﷺ: وَرُفِعَ لَهُمْ عِلْمُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ فَصَرَفُوا عَنِ الْجَنَّةِ وَجُوهَهُمْ وَأَقْبَلُوا إِلَى النَّارِ بِأَعْمَالِهِمْ...



اي بَيِّنْ لَهُمْ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ طَرِيقَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾<sup>(١)</sup>

و: ﴿قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لِأَنْفُسِهِمْ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾<sup>(٢)</sup> ومع ذلك كله اعرضوا عن الجنة واقبلوا على النار باعمالهم، وإنما قال ﷺ باعمالهم للإشارة إلى أن الله تعالى ليس بظلام للعبيد، بل كل نفس بما كسبت رهنية، والناس مَجْزِيُّونَ باعمالهم إن خيراً فخييراً وإن شراً فشراً.

□ قوله ﷺ: ﴿وَدَعَاهُمْ رَبُّهُمْ فَتَنُوا وَوَلَّوْا وَدَعَاهُمُ الشَّيْطَانُ فَاسْتَجَابُوا وَأَقْبَلُوا...﴾ اي دعاهم ربهم إلى الجنة بلسان انبيائه واوصيائهم فَتَنُوا وَوَلَّوْا اي اعرضوا واستدبروا عن دعوة الله تعالى ودعاهم الشيطان إلى النار فاطاعوه وأقبلوا إليه بالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ.

فالأول: إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ﴾<sup>(٣)</sup>

و: ﴿ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ﴾<sup>(٤)</sup>

و: ﴿وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا﴾<sup>(٥)</sup>

و: ﴿وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ﴾<sup>(٦)</sup>

والثاني: إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ﴾<sup>(٧)</sup>

و: ﴿وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا﴾<sup>(٨)</sup>

٢- البقرة- ٢٥٦

٤- الغافر- ١٢

٦- الأعراف- ١٩٣

٨- النساء- ١١٩

١- الانسان ٢

٣- النور- ٤٨

٥- الأعراف- ١٩٨

٧- محمد- ٢٥

## ﴿ومن خطبة له﴾ (١٤٥)

قوله ﷺ: أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنْتُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا غَرَضٌ تَنْتَضِلُ فِيهِ الْمَنَائِمَ مَعَ كُلِّ جَزَعَةٍ شَرَقٌ، وَفِي كُلِّ أَكْلَةٍ غَصَصٌ، لَا تَنَالُونَ مِنْهَا نِعْمَةً إِلَّا بِفِرَاقِ أُخْرَى، وَلَا يُعَمَّرُ مَعَمَّرٌ مِنْكُمْ يَوْمًا مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا بِهَذَا آخَرَ مِنْ أَجَلِهِ وَلَا تُجَدِّدُ لَهُ زِيَادَةٌ فِي أَكْلَةٍ إِلَّا بِنَقَادِ مَا قَبْلَهَا مِنْ رِزْقِهِ وَلَا يَحْيَا لَهُ أَثَرٌ إِلَّا مَاتَ لَهُ أَثَرٌ وَلَا يَتَجَدَّدُ لَهُ جَدِيدٌ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَخْلُقَ لَهُ جَدِيدٌ وَلَا تَقُومُ لَهُ نَابِتَةٌ إِلَّا وَتَسْقُطُ مِنْهُ مَحْصُودَةٌ وَقَدْ مَضَتْ أَصُولُ نَحْنُ فُرُوعُهَا فَمَا بَقَاءُ فَرْعٍ بَعْدَ ذَهَابِ أَصْلِهِ.

◀ اللُّغَةُ

(الغرض) بالتحريك الهدف في الرمي (تنتضل) يقال تناضل القوم وانتضلوا إذا تراموا للسبق (شرق) مُحركة من شرق فلان بريقه إذا غص (غصص) من غصت بالطعام كتعب وغص ايضاً.

ومنها

◻ قوله ﷺ: وَمَا أُخْدِثَتْ بِدْعَةٌ إِلَّا تُرِكَ بِهَا سُنَّةٌ فَأَتَقُوا الْبِدْعَ وَالزَّمُوا الْمَهْيَعَ إِنَّ عَوَازِمَ الْأُمُورِ أَفْضَلُهَا وَإِنَّ مُحَدَّثَاتِهَا شَرَّارُهَا.

◀ اللُّغَةُ

(المهيع) وزان مقعد الواضح البين (عوازم) جمع عزوم وهي الناقة المسنة.

(أَيُّهَا النَّاسُ) الخطاب عامّ يشمل جميع الناس (إِنَّمَا أَنْتُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا) التي تَعِيشُونَ فِيهَا (غَرَضٌ) وَهَدَفٌ (تَنْتَضِلُ فِيهِ الْمَنَائِيَا) اي ترمي فيه المَنَايا والحوادث والمقصود انكم في مَعْرَضِ الْبَلِيَّاتِ (مَعَ كُلِّ جَرَعَةٍ) من لذات الدُّنْيَا (شَرَقٌ) وَتَعَبٌ (وَفِي كُلِّ أَكْلَةٍ) من الدُّنْيَا وَحُطَامِهَا (غَصَصٌ) اعني الكدورات والآلام (لَا تَنَالُونَ) ولا تصلون (مِنْهَا) اي من الدُّنْيَا (نِعْمَةٌ إِلَّا بِفِرَاقٍ) نعمة (أُخْرَى) وَزَوَالِهَا (وَلَا يُعَمَّرُ) في الدُّنْيَا (مُعَمَّرٌ مِنْكُمْ يَوْمًا مِنْ عُمْرِهِ إِلَّا بِهَذَا آخَرَ مِنْ أَجَلِهِ) وذلك لأن وجود كل يوم يستلزم عدم يوم آخر قبله (وَلَا تُجَدِّدُ لَهُ) اي للإنسان (زِيَادَةٌ فِي أَكْلِهِ إِلَّا بِنَفَادِ مَا قَبْلَهَا مِنْ رِزْقِهِ) لأن الرِّزْقَ في كل يوم لا ياتي إلا بعد إنعدام قبله (وَلَا يَحْيَا لَهُ أَثَرٌ إِلَّا مَاتَ لَهُ أَثَرٌ) اي لا يُوجَدُ لَهُ فِعْلٌ إِلَّا بَعْدَ فِعْلٍ آخَرَ (وَلَا يَتَجَدَّدُ لَهُ جَدِيدٌ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَخْلُقَ لَهُ جَدِيدٌ) كما هو شان الحوادث (وَلَا تَقُومُ لَهُ نَابِتَةٌ إِلَّا وَتَسْقُطُ مِنْهُ مَحْصُودَةٌ) إذ لا يوجد إنسان إلا بعد مَوْتٍ آخَرَ (وَقَدْ مَضَتْ أَصُولٌ) من الآباء والأمهات (نَحْنُ فُرُوعُهُمَا) واولادها (فَمَا بَقَاءُ فَرْعٍ بَعْدَ ذَهَابِ أَصْلِهِ) اي لا يبقى احد بعد موت من كان قبله (وَمَا أُحْدِثَتْ بِدْعَةٌ إِلَّا تُرِكَ بِهَا سُنَّةٌ) أي كل بدعة وجدت في الدين قد أمتت سنة من السُّنَنِ (فَاتَّقُوا الْبِدَعَ) فإنها مُحَرَّمَةٌ مُوبِقَةٌ (وَأَلْزَمُوا الْمَهْيَعَ) اعني الطريق الواضح (إِنَّ عَوَازِمَ الْأُمُورِ) وما يقطع به (أَفْضَلُهَا وَإِنَّ مُحَدَّثَاتِهَا) اي مُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ (شَرَّارُهَا) لأنها من البدعة.

### < الشرح

□ قوله ﷺ: أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنْتُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا غَرَضٌ تَنْتَضِلُ فِيهِ الْمَنَائِيَا...

إعلم: أن هذه الخطبة إنما صدرت منه ﷺ في ذم الدنيا والركون عليها والإعتماد بها والإغترار بما فيها من النعم الفانية وقد مر الكلام في ذم الدنيا في

ما مضى عند شرحنا لبعض كلماته ﷺ وحيث إن حب الدنيا راس كل خطيئة ترى كلامه ﷺ يدور مدارها في كثير من الخطب.

ثم إنه ﷺ خاطب الناس باجمعهم وقال إنما أنتم في هذه الدنيا غرض الخ والإتيان بكلمة (إنما) للدلالة على أن الأمر كذلك قطعاً لكونها للحصر شبه ﷺ الناس بالغرض وهو الهدف والمنايا بالسهام الواقعة عليه وذكر الإنتضال تخييل والمقصود أن الإنسان في الدنيا دائماً يكون هدفاً لسهام الأمراض والحوادث الواقعة به من الغرق والحرق والمرض والفقر وغيرها ولا يمكن له الفرار منها كما قال ﷺ في بعض كلماته الدنيا دار بالبلاء محفوفة وبالغدر معروفة، وإذا كان الأمر على هذا المنوال فكيف يعتمد عليها.

□ قوله ﷺ: مَعَ كُلِّ جُرْعَةٍ شَرَقٌ، وَفِي كُلِّ أَكْلَةٍ غَصَصٌ...

اي مع كل جرعة من مائها شرق وفي كل اكلة من طعامها غصص، والتاء في قوله (جرعة واكله) للدلالة على المرة والوحدة قال في المنجد شرق شرقاً، بريقه، غصص. وقال ايضاً غصص غصصاً بالطعام والماء إعترض في حلقه شيء منه فمنعه التنفس انتهى اقول هذا إذا قرناه بفتح الغين وأما إذا قرناه بالضم فهو جمع غصصة وهي الغم والحزن على الشيء وكلاهما مُحتمل.

وكيف كان فهما كنايةتان عن كون نعيم الدنيا محفوفة بالحزن سابقاً ولاحقاً فليس في الفقر راحة ولا في الغناء ولا في العزة ولا في الذلة ولا في الصحة ولا في المرض وهكذا.

□ قوله ﷺ: لَا تَتَأَلَوْنَ مِنْهَا نِعْمَةً إِلَّا بِفِرَاقٍ أُخْرَى...

اي لا تصلون إلى نعمة من نعيم الدنيا إلا بفراق نعمة أخرى منها وزوالها وهو ايضاً ثابت بالحس والعيان فإن الإنسان مادام كونه فقيراً يقدر على اكل الغذاء، وهضمه ولا يمكن له تحصيله إلا بمسقة وتعب وإذا صار غنياً متمكناً لا يقدر على الأكل إما لأنه يكون مريضاً ممثوعاً من الأكل وإما لكثرة اشتغاله

بالدنيا وجمع المال فيها ليست له فرصة ولا راحة.

□ قوله ﷺ: وَلَا يُعَمَّرُ مُعَمَّرٌ مِنْكُمْ يَوْمًا مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا يَهْدَمِ آخِرَ مِنْ أَجَلِهِ...

وذلك لأننا إذا فرضنا عمر شخص ستين سنة او اقل او اكثر فكل يوم يعيش في الدنيا لا محاله ينقص يوم من اجله المُقدَّر له فوجود كل يوم مستلزم لهدم يوم آخر وهو المطلوب.

□ قوله ﷺ: وَلَا تُجَدِّدُ لَهُ زِيَادَةٌ فِي أَكْلِهِ إِلَّا بِنَفَادِ مَا قَبْلَهَا مِنْ رِزْقِهِ...

وهو ايضاً واضح فإن الإنسان لا ياكل لُقمة إلا بعد اللُقمة التي كانت قبلها ضرورة ما دام كونه مشتغلاً باللُقمة لا يقدر على اكل الأخرى وعليه فكل ما زاد الأكل ينفد من رزقه فإذا فرضنا ان رزقه مائة لُقمة مثلاً فنفاذ رزقه يدور مدار اكله زيادة ونقصاناً. قوله ﷺ: وَلَا يَحْيَا لَهُ أَثَرٌ إِلَّا مَاتَ لَهُ أَثَرٌ

المراد بالأثر هو الذِّكر على قول البحراني رحمه الله او الفعل وعليه فالمعنى ان ما كان يعرف به الإنسان في وقت ما من فعلٍ محمودٍ او مذمومٍ او ذكرٍ حسنٍ او قبيحٍ ويحيي له بين الناس يموت منه ما كان معروفاً به قبله من الآثار ويُنسى هكذا في شرح الخوئي فكأنه إرتضاه إذ لم يزد عليه شيئاً اقول ما ذكره لا باس به إلا ان حمل الأثر في كلامه ﷺ على الفعل أولى وارجح ضرورة ان كل فعلٍ من الأفعال يستلزم إنعدام فعل آخر قبله كما هو شأن الحوادث فوجه الذم في كلامه ﷺ هذا هو الحدوث في الأفعال الدال على حدوث العالم والحدث لا إعتبار به.

□ قوله ﷺ: وَلَا يَتَجَدَّدُ لَهُ جَدِيدٌ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَخْلَقَ لَهُ جَدِيدٌ...

حمل الشارح الخوئي هذا الكلام على الزيادات والنقصان في البدن من بدو تولده إلى شبابه ومنه إلى شيخوخته حيث إن الإنسان إلى اوان الشباب مثلاً تحصل الزيادة في بدنه وبعده يحصل النقص إلى آخر عمره وهذا الذي ذكره رحمه الله اخذه من البحراني.

والأولى حمل الكلام على المعنى الأعم أي لا يوجد له شيء إلا بعد ذهاب شيء آخر سواء كان في البدن أم في غيره فإن الدنيا بأسرها حادثة والحادث مسبوقة بالعدم لا محالة.

□ قوله عليه السلام: وَلَا تَقُومُ لَهُ نَابِتَةٌ إِلَّا وَتَسْقُطُ مِنْهُ مَحْصُودَةٌ...

قال البحراني وتبعه الخوئي قدس سرهما اراد بالنابتة الأولاد وبالمحصودة من يموت من الآباء والأجداد.

**اقول:** بناء على ما ذكرناه فالكلام من الإستعارة تشبيهاً للإنسان بالنبات حيث لا ينبت فيه ورقة إلا بعد سقوط ورقة أخرى ولا يبعد حمل الكلام على الحقيقة والمعنى أنه لا يثبت في الإنسان شيء إلا ويسقط منه شيء آخر سواء كان من الأولاد أم من غيرهم وعليه فقوله عليه السلام يدل على أن الإنسان يكون في الدنيا دائماً في معرض الحوادث والدثور فلا بقاء لما يوجد فيه أصلاً.

□ قوله عليه السلام: وَقَدْ مَضَتْ أَصُولٌ نَحْنُ فُرُوعُهَا فَمَا بَقَاءُ فَرْعٍ بَعْدَ ذَهَابِ أَصْلِهِ...

أي قد مضت الآباء والأمهات اللاتي كانت بمنزلة الأصول لشجرة الإنسان ونحن فروع عليها فإذا ذهب الأصل فلا بقاء للفرع والدليل عليه أن الفرع بما هو هو لا قوام له وإنما قوامه باصلة فبعد ذهاب الأصل كيف يعقل بقاء الفرع.

□ قوله عليه السلام: وَمَا أُحْدِثَتْ بِدْعَةٌ إِلَّا تَرَكَ بِهَا سُنَّةٌ...

البدعة إدخال ما ليس من الدين في الدين وإحداثها إيجادها ولا شك إن وجود كل بدعة يوجب ترك سنة وقد تكلمنا سابقاً في البدعة ونقلنا بعض ما ورد فيها من الذم وإن صاحبها ما في النار لكونها ضلالة وغواية.

□ قوله عليه السلام: فَاتَّقُوا الْبِدْعَ وَالزَّمُوا الْمَهْيَعَ إِنَّ عَوَازِمَ الْأُمُورِ أَفْضَلُهَا وَإِنَّ

مُحَدَّثَاتِهَا شَرَّارُهَا...

أي اجتنبوا البدع والزمو الطريق الواضح وذلك لأن عوازم الأمور اعني الأمور الثابتة في الشريعة المقدسة في عهد النبي صلى الله عليه وآله أفضلها واكملها وأما

المُحدثات منها فهي شرارها لكونها خارجة عن الدين فإن حلال محمد حلال  
إلى يوم القيمة وحرامه حرام إلى يوم القيمة.

## ومن كلام له عليه السلام (١٤٦)

وقد استشاره عمر ابن الخطاب في الشخوص لقتال الفرس بنفسه

□ قوله عليه السلام: إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ لَمْ يَكُنْ نَصْرُهُ وَلَا خِذْلَانُهُ بِكَثْرَةِ وَلَا بَقَلَّةِ وَهُوَ دِينُ اللَّهِ الَّذِي أَظْهَرَهُ وَجُنْدُهُ الَّذِي أَعَدَّهُ وَأَمَدَّهُ حَتَّى بَلَغَ مَا بَلَغَ وَطَلَعَ مَا طَلَعَ وَتَحَنُّ عَلَى مَوْعُودٍ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ مُنْجِزٌ وَعَدَّهُ وَنَاصِرٌ جُنْدُهُ وَمَكَانُ الْقِيَمِ بِالْأَمْرِ مَكَانُ النُّظَامِ مِنَ الْخَرْزِ يَجْمَعُهُ وَيَضُمُّهُ فَإِنْ انْقَطَعَ النُّظَامُ تَفَرَّقَ الْحَرَزُ وَذَهَبَ ثُمَّ لَمْ يَجْتَمِعْ بِحِذَافِيرِهِ أَبَدًا وَالْعَرَبُ الْيَوْمَ وَإِنْ كَانُوا قَلِيلًا فَهُمْ كَثِيرُونَ بِالإِسْلَامِ عَزِيزُونَ بِالإِجْتِمَاعِ فَكُنْ قُطْبًا وَاسْتَدِرِ الرَّحَا بِالْعَرَبِ وَأَصْلِهِمْ دُونَكَ نَارَ الْحَرْبِ فَإِنَّكَ إِنْ شَخَصْتَ مِنْ هَذِهِ الْأَرْضِ انْتَقَضَتْ عَلَيْكَ الْعَرَبُ مِنْ أَطْرَافِهَا وَأَقْطَارِهَا حَتَّى يَكُونَ مَا تَدْعُ وَرَاءَكَ مِنَ الْعُورَاتِ أَهَمَّ إِلَيْكَ مِمَّا بَيْنَ يَدَيْكَ إِنْ الْأَعَاجِمُ إِنْ يَنْظُرُوا إِلَيْكَ غَدًا يَقُولُوا هَذَا أَصْلُ الْعَرَبِ فَإِذَا قَطَعْتُمُوهُ اسْتَرْحِطُمْ فَيَكُونُ ذَلِكَ أَشَدَّ لِكَلْبِهِمْ عَلَيْكَ وَطَمَعِهِمْ فِيكَ فَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ مَسِيرِ الْقَوْمِ إِلَى قِتَالِ الْمُسْلِمِينَ فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ هُوَ أَكْرَهُ لِمَسِيرِهِمْ مِنْكَ وَهُوَ أَقْدَرُ عَلَى تَغْيِيرِ مَا يَكْرَهُ وَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ عَدْدِهِمْ فَإِنَّا لَمْ نَكُنْ نُقَاتِلُ فِيمَا مَضَى بِالْكَثْرَةِ وَإِنَّمَا كُنَّا نُقَاتِلُ بِالنُّصْرِ وَالْمَعُونَةِ.

◀ اللغة

(الْخَرْزِ) مُحَرَّكَةٌ مَعْرُوفٌ وَالْوَاحِدُ خَرْزَةٌ يُقَالُ نَظَّمْتُ الْخَرْزَ جَعَلْتَهُ فِي خَيْطٍ جَامِعٍ (بِحِذَافِيرِهِ) الْحِذَافِيرُ جَمْعُ حِذْفُورٍ وَزَانَ عَصْفُورٍ الْجَانِبُ أَيِّ بَاسِرِهِ



وجوانبه (أَصْلِهِمْ) اي ارمهم او ألقهم (لِكَلْبِهِمْ) اي لِبأسهم والباقي واضح.

## المعنى

(إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ) اي الدين (لَمْ يَكُنْ نَصْرُهُ وَلَا خِذْلَانُهُ بِكَثْرَةِ) الجند (وَلَا بِقِلَّةِ) وَهُوَ دِينُ اللَّهِ الَّذِي أَظْهَرَهُ) بسبب نبيّه (وَجُنْدُهُ الَّذِي أَعَدَّهُ) اي هَيَّاهُ (وَأَمَدَّهُ) اي اعطاه مدداً كثيراً (حَتَّى بَلَغَ مَا بَلَغَ) من العِزَّةِ (وَوَطَّلَعَ مَا وَطَّلَعَ) اي إنتشر في البلاد (وَنَحْنُ عَلَى مَوْعُودٍ مِنَ اللَّهِ) حيث قال ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ﴾ (وَاللَّهُ مُنْجِزُ وَعْدِهِ وَنَاصِرُ جُنْدِهِ) فإنه لا يخلف الميعاد (وَمَكَانُ الْقِيَمِ بِالْأَمْرِ) اعنى زعيم القوم والوالي عليهم (مَكَانُ النَّظَامِ مِنَ الْخَرْزِ يَجْمَعُهُ وَيَضُمُّهُ) اي مكان الوالي في الرعيّة كمكان الخيط الذي ينتظم به في جمعه وضّمه (فَإِنْ انْقَطَعَ النَّظَامُ) والنظم (تَفَرَّقَ الْخَرْزُ وَذَهَبَ ثُمَّ لَمْ يَجْتَمِعْ بِحَدَافِيرِهِ) وبتمامه (أَبْدَأُ وَالْعَرَبُ الْيَوْمَ وَإِنْ كَانُوا قَلِيلًا) من حيث العدد (فَهُمْ كَثِيرُونَ بِالإِسْلَامِ) واقعاً ومعنى (عَزِيزُونَ بِالإِجْتِمَاعِ) اي بسببه (فَكُنْ قُطْبًا) لهم (وَاسْتَدِرِ الرَّحَا بِالْعَرَبِ) واستعين بهم (وَأَصْلِهِمْ) اي ادخلهم (دُونَكَ نَارَ الْحَرْبِ) اي غيرك (فَإِنَّكَ إِنْ شَخَّصْتَ مِنْ هَذِهِ الْأَرْضِ) اعنى المدينة ومركز الخلافة (انْتَقَصْتَ عَلَيْكَ الْعَرَبُ مِنْ أَطْرَافِهَا) اي اطراف الأرض (وَأَقْطَارِهَا حَتَّى يَكُونَ مَا تَدَعُ) وتترك (وَرَاءَكَ مِنَ الْعَوْرَاتِ) واخلل الثغور (أَهْمٌ إِلَيْكَ مِمَّا بَيْنَ يَدَيْكَ) من الحرب (إِنَّ الْأَعَاجِمَ إِنْ يَنْظُرُوا إِلَيْكَ غَدًا) ان تجزع اليهم نفسك (يَقُولُوا هَذَا أَصْلُ الْعَرَبِ فَإِذَا قَطَعْتُمُوهُ) وقتلتموه (اسْتَرَحْتُمْ) منه (فَيَكُونُ ذَلِكَ) الظنّ (أَشَدَّ) لهم (لِكَلْبِهِمْ) وبأسهم (عَلَيْكَ وَطَمَعِهِمْ فِيكَ).

(فَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ مَسِيرِ الْقَوْمِ إِلَى قِتَالِ الْمُسْلِمِينَ) والمراد بالقوم هو الأعاجم (فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ هُوَ أَكْرَهُ لِمَسِيرِهِمْ مِنْكَ وَهُوَ) تعالى (أَقْدَرُ عَلَيَّ تَغْيِيرِ مَا يَكْرَهُ) منك (وَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ عَدَدِهِمْ) اي عدد المشركين (فَإِنَّا لَمْ نَكُنْ نُقَاتِلُ فِيمَا مَضَى) في صدر الإسلام (بِالْكَثْرَةِ وَإِنَّمَا كُنَّا نُقَاتِلُ بِالنُّصْرِ وَالْمَعُونَةِ) من عند الله فإنه تعالى هو الناصر والمعين.

إعلم: أن هذا الكلام إنما صدر عنه ﷺ في إستشارة عُمر إياه في الشَّخوص لقتال الفرس بنفسه وقد إستشار عُمر في ذلك المهاجر والأنصار على ما ذكره المؤرِّخون فاجابوه بما هو مسطوِّر في التواريخ إلا أنه لم يقنع بما قالوه فإستشاره ﷺ فقال له ما قال فاخذ عُمر بقوله لكونه مُطابقاً للواقع موافقاً للعقل والشَّرع بخلاف ما قاله عثمان وطلحة وغيرهما وقد ذكر هذه القضية غير واحد من ارباب السَّير وقد اشار الخوئي رحمه في شرحه وكذا غيره من الشَّراح إلى كيفيتها بما لا مزيد عليه فلا حاجة لنا بذكرها ومن اراد الإطلاع عليها مفصلاً فعليه بمراجعة التواريخ.

□ قوله ﷺ: إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ لَمْ يَكُنْ نَصْرُهُ وَلَا خِذْلَانُهُ بِكَثْرَةٍ وَلَا بِقِلَّةٍ...

اي لا يكون نصر الدين ولا خذلانه بكثرة العدد ولا بقلته فلا كثرة العدد توجب نصر الدين ولا قلته توجب خذلانه لقوله تعالى: ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً﴾ (١)

و: ﴿بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ (٢)

و: ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾ (٣)

و: ﴿وَأَنْ يَخْذُلَكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ﴾ (٤)

و: ﴿أَمْنَ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ يَنْصُرُكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ﴾ (٥) وغيرها من

الآيات.

فهذه الآيات كما ترى تنادي باعلى صوتها أن النصر من عنده تعالى لا من عند الجند.

□ قوله ﷺ: وَهُوَ دِينُ اللَّهِ الَّذِي أَظْهَرَهُ وَجُنْدُهُ الَّذِي أَعَدَّهُ وَأَمَدُّهُ حَتَّى بَلَغَ مَا بَلَغَ وَطَلَعَ مَا طَلَعَ...

٢- الروم - ٥

٤- آل عمران - ١٦٥

١- البقرة - ٢٥٠

٣- آل عمران - ١٦٠

٥- الملك - ٢٠

وهو اي الأمر الذي الخ عبارة عن دين الله الذي اظهره الله لعباده وجنده الذي اعده الله وامده اي هياه واعطاه مدداً وكثرة حتى بلغ الأمر ما بلغ من العزة وطلع منه ما طلع في اقطار الأرض.

وفي قوله ﷺ إشارة إلى قوله تعالى حيث قال: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ (١)

□ قوله ﷺ: وَتَحْنُ عَلَىٰ مَوْعُودٍ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ مُنِجُّ وَعْدُهُ وَتَأَصِّرُ جُنْدَهُ...

اشارة إلى قوله تعالى: إِنَّ مَا تُوْعَدُونَ لَآتٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ (٢)

و: ﴿وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ (٣)

و: ﴿ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ﴾ (٤)

و: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلَفًا وَعَدِيهِ﴾ (٥)

و: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ (٦)

و: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ﴾ (٧)

و: ﴿وَنَصَرْنَا هُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ﴾ (٨)

و: ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾ (٩)

و: ﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ يَنْصُرُكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ﴾ (١٠) وغيرها من

الآيات وحاصل المعنى ان الله تعالى وَعَدَنَا النَّصْرَ وَالظَّفَرَ وَلَا شَكَّ أَنَّهُ لَا يَخْلِفُ الْمِعَادَ.

□ قوله ﷺ: وَمَكَانُ الْقِيَمِ بِالْأَمْرِ مَكَانُ النِّظَامِ مِنَ الْخَرْزِ يَجْمَعُهُ وَيَضُمُّهُ...

ثم اشار ﷺ إلى مكان الوالي القائم بالأمر في الحكومة فشبهه ﷺ بالنظام من الخرز اعني الخيط الذي ينتظم به العقد فكما انه اي الخيط سبب لجمعها وضمها والآن تنقصم فكذلك الوالي وتقدير العبارة كمكان النظام فحذف حرف

- |                   |                   |
|-------------------|-------------------|
| ١- التوبة - ٣٣    | ٢- الأنعام - ١٣٤  |
| ٣- النساء - ١٢٢   | ٤- الأنبياء - ٩   |
| ٥- إبراهيم - ٤٧   | ٦- آل عمران - ١٢٣ |
| ٧- التوبة - ٢٥    | ٨- الصافات - ١١٦  |
| ٩- آل عمران - ١٦٠ | ١٠- الملك - ٢٠    |

التشبيه في اللفظ ووجه الشبه الجمع والضم وحاصل ما افاده عليه السلام هو ان الوالي لا يجوز له الخروج عن مكانه كما انه لا يجوز للخيط الخروج عن العقد لانه يوجب انفصامها كما قال عليه السلام.

□ قوله عليه السلام: فَإِنِ انْقَطَعَ النَّظَامُ تَفَرَّقَ الْحَرَزُ وَذَهَبَ ثُمَّ لَمْ يَجْتَمِعْ بِحَذَا فَيُرِيهِ أَبَدًا... وذلك لأن الذي يوجب جمع الخرز وضمه هو النظام لا غير فإنقطاعه يوجب تفرق الخرز كما ان عدم إنقطاعه يوجب اتصال الخرز وضمه والوالي في الناس هكذا حاله.

□ قوله عليه السلام: وَالْعَرَبُ الْيَوْمَ وَإِنْ كَانُوا قَلِيلًا فَهُمْ كَثِيرُونَ بِالإِسْلَامِ عَزِيزُونَ بِالإِجْتِمَاعِ... اي والعرب وان كانوا اليوم قليلاً بحسب الظاهر والعدد إلا انهم كثيرون واقعاً بسبب إسلامهم عزيزون بسبب اجتماعهم واتحادهم فإن يد الله مع الجماعة.

□ قوله عليه السلام: فَكُنْ قُطْبًا وَاسْتَدِرِ الرَّحَا بِالْعَرَبِ وَأَصْلِيهِمْ دُونَكَ نَارَ الْحَرْبِ... ثم انه عليه السلام بعد ما وعظه ونبئه على ان النصر والفتح ليس بكثرة العدد ولا بقلته بل بالتوكل على الله تعالى والإستعانة منه اجابه بما حاصله انك لا تشخص إلى العدو بنفسك بل كن في العرب قطباً واستدر الرحي بهم واوقد نار الحرب مع العدو بهم دونك والمراد بالرحى رحى الحرب شبه عليه السلام الحرب بالرحى والوالي على الناس بالقطب الذي يدور عليه الرحي وتارة أخرى بالنار والناس اعني الجند بالزياد الذي به تشتعل النار وفي هذين التشبيهين ما لا يخفى من اللطف والدقة.

□ قوله عليه السلام: فَكُنْ قُطْبًا وَاسْتَدِرِ الرَّحَا بِالْعَرَبِ وَأَصْلِيهِمْ دُونَكَ نَارَ الْحَرْبِ... ثم انه عليه السلام بعد ما وعظه ونبئه على ان النصر والفتح ليس بكثرة العدد ولا بقلته بل بالتوكل على الله تعالى والإستعانة منه اجابه بما حاصله انك لا تشخص إلى العدو بنفسك بل كن في العرب قطباً واستدر الرحي بهم واوقد نار الحرب مع العدو بهم دونك والمراد بالرحى رحى الحرب شبه عليه السلام الحرب بالرحى والوالي على الناس بالقطب الذي يدور عليه الرحي وتارة أخرى بالنار والناس اعني الجند بالزياد الذي به تشتعل النار وفي هذين التشبيهين ما لا يخفى من اللطف والدقة.

□ وقوله عليه السلام: فَإِنَّكَ إِنْ شَخَّصْتَ مِنْ هَذِهِ الأَرْضِ انْتَقَضَتْ عَلَيْكَ الْعَرَبُ مِنْ أَطْرَافِهَا وَأَقْطَارِهَا... ثم بعد تمهيد المقدمات المذكورة خاطب عليه السلام عمر ابن الخطاب وقال له فَإِنَّكَ إِنْ شَخَّصْتَ وَنَهَضْتَ مَعَهُمْ مِنْ هَذِهِ الأَرْضِ انْتَقَضَتْ عَلَيْكَ الْعَرَبُ مِنْ أَطْرَافِهَا وَأَقْطَارِهَا... ثم بعد تمهيد المقدمات المذكورة خاطب عليه السلام عمر ابن الخطاب وقال له فَإِنَّكَ إِنْ شَخَّصْتَ وَنَهَضْتَ مَعَهُمْ مِنْ هَذِهِ الأَرْضِ انْتَقَضَتْ عَلَيْكَ الْعَرَبُ مِنْ أَطْرَافِهَا وَأَقْطَارِهَا...

□ وقوله عليه السلام: فَإِنَّكَ إِنْ شَخَّصْتَ مِنْ هَذِهِ الأَرْضِ انْتَقَضَتْ عَلَيْكَ الْعَرَبُ مِنْ أَطْرَافِهَا وَأَقْطَارِهَا... ثم بعد تمهيد المقدمات المذكورة خاطب عليه السلام عمر ابن الخطاب وقال له فَإِنَّكَ إِنْ شَخَّصْتَ وَنَهَضْتَ مَعَهُمْ مِنْ هَذِهِ الأَرْضِ انْتَقَضَتْ عَلَيْكَ الْعَرَبُ مِنْ أَطْرَافِهَا وَأَقْطَارِهَا...

ثم بعد تمهيد المقدمات المذكورة خاطب عليه السلام عمر ابن الخطاب وقال له فَإِنَّكَ إِنْ شَخَّصْتَ وَنَهَضْتَ مَعَهُمْ مِنْ هَذِهِ الأَرْضِ انْتَقَضَتْ عَلَيْكَ الْعَرَبُ مِنْ أَطْرَافِهَا وَأَقْطَارِهَا...

اطرافها واقطارها وذلك لقرب عهدهم بالإسلام وعدم إستقراره في قلوبهم واقعاً وميلهم إلى الفساد إذ لا مانع لهم من إجراء مقاصدهم.

□ قوله ﷺ: حَتَّى يَكُونَ مَا تَدْعُ وَرَاءَكَ مِنَ الْعَوْرَاتِ أَهَمَّ إِلَيْكَ مِمَّا بَيْنَ يَدَيْكَ... اي إذا كان كذلك يكون ما تدع وتترك من العورات واخلل الثغور اهم إليك مما بين يديك من الفتح والظفر على الأعداء في القادسية ووجه الأهمية معلوم فإن الشُخوص من هذه الأرض اعني مركز الحكومة يهدد اصل الإسلام وقد ثبت ان في دوران الأمر بين المهتم والأهم ينبغي الأخذ بالثاني فهذا هو الوعد الأول في عدم جواز الشُخوص.

□ قوله ﷺ: إِنَّ الْأَعْجَمَ إِنْ يَنْظُرُوا إِلَيْكَ غَدًا يَقُولُوا هَذَا أَصْلُ الْعَرَبِ فَإِذَا قَطَعْتُمُوهُ اسْتَرَحْتُمْ...

وهذا هو الوجه الثاني لعدم جواز الشُخوص وحاصله ان الأعاجم ان ينظروا إليك يقولوا هذا اصل العرب وسلطانهم فإذا قطعتموه اي قطعتم الأصل إسترحتم لأن الفرع لا بقاء له مع ذهاب الأصل وإلى هذا المعنى اشار ﷺ بقوله.

□ قوله ﷺ: فَيَكُونُ ذَلِكَ أَشَدَّ لِكَلْبِهِمْ عَلَيْكَ وَطَمَعِهِمْ فِيكَ...

اي فيكون هذا الظن منهم سبباً لكلبهم وبأسهم عليك وطمعهم في قتلك وهو ظاهر لا خفاء فيه.

□ قوله ﷺ: فَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ مَسِيرِ الْقَوْمِ إِلَى قِتَالِ الْمُسْلِمِينَ فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ هُوَ أَكْرَهُهُ لِمَسِيرِهِمْ مِنْكَ وَهُوَ أَقْدَرُ عَلَيَّ تَغْيِيرِ مَا يَكْرَهُهُ...

ذكروا ان عمر قال له ﷺ ان القوم اعني الأعاجم ارادوا ان يسيروا إلى قتال المسلمين وعليه فنحن نسير إليهم قبل ان يسيروا إلينا فقال ﷺ في جواب هذا الكلام ان هذا ايضاً لا توجب سيرك إليهم بنفسك وذلك لأن الله اكره منك في مسير القوم واقدر على تغيير ما يكره منه والحاصل انه تعالى لا يكون غافلاً عما ذكرت والمفروض انه قادر على دفعهم ومنعهم لأن الله على كل شيء قدير وقد قال الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ

كِرَّةَ الْمُشْرِكُونَ ﴿

□ قوله ﷺ: وَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ عَدَدِهِمْ فَإِنَّا لَمْ نَكُنْ نُقَاتِلُ فِيمَا مَضَى بِالْكَثْرَةِ  
وَإِنَّمَا كُنَّا نُقَاتِلُ بِالنُّصْرِ وَالْمَعُونَةِ...

اي ما ذكرت من كثرة العدو فهو ايضاً ممّا لا ينبغي ان يخاف منها وذلك لأننا  
قاتلناهم اعني المشركين في صدر الإسلام بالنُّصرِ والمَعُونَةِ من عند الله تعالى  
لا بالكثرة والقِلة قال تعالى: ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً﴾ ومن المعلوم ان  
غلبة القليل على الكثير لا يكون إلا بنصر الله تعالى

قال الله تعالى: ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ (١)



## ﴿ وَمَنْ خُطِبَ لَهُ ﴾ (١٤٧)

فَبَعَثَ اللَّهُ تَعَالَى مُحَمَّدًا ﷺ بِالْحَقِّ لِيُخْرِجَ عِبَادَهُ مِنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ إِلَى عِبَادَتِهِ وَمِنْ طَاعَةِ الشَّيْطَانِ إِلَى طَاعَتِهِ بِقُرْآنٍ قَدْ بَيَّنَّهُ وَأَحْكَمَهُ لِيَعْلَمَ الْعِبَادُ رَبَّهُمْ إِذْ جَهِلُوهُ وَلِيَقْرُوا بِهِ بَعْدَ إِذْ جَحَدُوهُ وَلِيُثَبِّتُوهُ بَعْدَ إِذْ أَنْكَرُوهُ فَتَجَلَّى لَهُمْ فِي كِتَابِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونُوا رَأَوْهُ بِمَا أَرَاهُمْ مِنْ قُدْرَتِهِ وَخَوْفَهُمْ مِنْ سَطْوَتِهِ وَكَيْفَ مَحَقَّ مَنْ مَحَقَّ بِالْمَثَلَاتِ وَاخْتَصَدَ مَنْ اخْتَصَدَ بِالنَّقِمَاتِ وَإِنَّهُ سَيَأْتِي عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِي زَمَانٌ لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ أَخْفَى مِنَ الْحَقِّ وَلَا أَظْهَرَ مِنَ الْبَاطِلِ وَلَا أَكْثَرَ مِنَ الْكَذِبِ عَلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَيْسَ عِنْدَ أَهْلِ ذَلِكَ الزَّمَانِ سِلْعَةٌ أَبْوَرُ مِنَ الْكِتَابِ إِذَا تَلَى حَقًّا تِلَاوَتِهِ وَلَا أَنْفَقَ مِنْهُ إِذَا حُرِّفَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَلَا فِي الْبِلَادِ شَيْءٌ أَنْكَرَ مِنَ الْمَعْرُوفِ وَلَا أَعْرَفَ مِنَ الْمُنْكَرِ فَقَدْ نَبَذَ الْكِتَابَ حَمَلْتَهُ وَتَنَاسَاهُ حَفَظْتَهُ فَالْكِتَابُ يَوْمَئِذٍ وَأَهْلُهُ طَرِيدَانِ مَنْفِيَّانِ وَصَاحِبَانِ مُصْطَحِبَانِ فِي طَرِيقٍ وَاحِدٍ لَا يُؤْوِيهِمَا فَالْكِتَابُ وَأَهْلُهُ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ فِي النَّاسِ وَلَيْسَا فِيهِمْ وَمَعَهُمْ وَلَيْسَا مَعَهُمْ لِأَنَّ الضَّلَالَةَ لَا تُوَافِقُ الْهُدَى وَإِنْ اجْتَمَعَا فَاجْتَمَعَ الْقَوْمُ عَلَى الْفُرْقَةِ وَافْتَرَقُوا عَنِ الْجَمَاعَةِ كَانَتْهُمْ أَيْمَةُ الْكِتَابِ وَلَيْسَ الْكِتَابُ إِمَامَهُمْ فَلَمْ يَبْقَ عِنْدَهُمْ مِنْهُ إِلَّا اسْمُهُ وَلَا يَعْرِفُونَ إِلَّا خَطَّهُ وَزَبْرَهُ وَمِنْ قَبْلُ مَا مَثَلُوا بِالصَّالِحِينَ كُلِّ مُثَلَّةٍ وَسَمَّوْا صِدْقَهُمْ عَلَى اللَّهِ فَرِيَّةً وَجَعَلُوا فِي الْحَسَنَةِ عُقُوبَةَ السَّيِّئَةِ وَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِطُولِ آمَالِهِمْ وَتَغْيِبِ آجَالِهِمْ حَتَّى نَزَلَ بِهِمُ الْمَوْعُودُ الَّذِي تُرِدُّ عَنْهُ الْمَعْدِرَةُ وَتُرْفَعُ عَنْهُ التَّوْبَةُ وَتَحُلُّ مَعَهُ الْقَارِعَةُ وَالنَّقِمَةُ أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ مَنْ



اسْتَنْصَحَ اللَّهُ وَفَّقَ وَمَنِ اتَّخَذَ قَوْلَهُ دَلِيلًا هَدَىٰ لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ فَإِنَّ جَارَ اللَّهِ آمِنٌ وَعَدُوُّهُ خَائِفٌ وَإِنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِمَنْ عَرَفَ عَظَمَةَ اللَّهِ أَنْ يَتَعَظَّمَ فَإِنَّ رِفْعَةَ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ مَا عَظَمْتُهُ أَنْ يَتَوَاضَعُوا لَهُ وَسَلَامَةَ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ مَا أَنْ يُسْتَسْلِمُوا لَهُ فَلَا تَنْفِرُوا مِنَ الْحَقِّ نِفَارَ الصَّحِيحِ مِنَ الْأَجْرِبِ وَالْبَارِي مِنْ ذِي السَّقَمِ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ لَنْ تَعْرِفُوا الرُّشْدَ حَتَّىٰ تَعْرِفُوا الَّذِي تَرَكُّهُ وَلَنْ تَأْخُذُوا بِمِثَاقِ الْكِتَابِ حَتَّىٰ تَعْرِفُوا الَّذِي نَقَضَهُ وَلَنْ تَمَسَّكُوا بِهِ حَتَّىٰ تَعْرِفُوا الَّذِي نَبَذَهُ فَالْتَمِسُوا ذَلِكَ مِنْ عِنْدِ أَهْلِهِ فَإِنَّهُمْ عَيْشُ الْعِلْمِ وَمَوْتُ الْجَهْلِ هُمُ الَّذِينَ يُخْبِرُكُمْ حُكْمَهُمْ عَنْ عِلْمِهِمْ وَصَمْتُهُمْ وَظَاهِرُهُمْ عَنْ بَاطِنِهِمْ لَا يُخَالِفُونَ الدِّينَ وَلَا يَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَهُوَ بَيْنَهُمْ شَاهِدٌ صَادِقٌ وَصَامِتٌ نَاطِقٌ.

### ◁ اللغة

(جَحَدُوهُ) اي انكروه (تَجَلَّى) ظَهَرَ وَاِنْ كَشَفَ (مَحَقَّ) ابطل (مَثَلَات) جمع مثله بفتح الميم وضمها وهي العقوبة (اِحْتَصَدَ) الزرع قطعه بالمنجل وفي الناس احتصدهم استاصلهم (بِالْتِقَمَاتِ) جمع بقمة بكسر النون وفتحها وهي المكافاة بالعقوبة (أَبَوْرَ) أَفْعَلَ التَّفْضِيلَ مِنْ بَارٍ يَبُورُ إِذَا فَسَدَ أَي أَفْسَدَ (زَبْرَهُ) زَبْرَتُ الْكِتَابِ زَبْرًا كَتَبْتَهُ وَالْجَمْعُ زَبْرٌ (مَثَلُوا) اي نكلوا (الْقَارِعَةُ) الداهية.

### ◁ المعنى

(فَبَعَثَ اللَّهُ تَعَالَى مُحَمَّدًا ﷺ بِالْحَقِّ لِيُخْرِجَ) الرَّسُولَ (عِبَادَهُ مِنْ عِبَادَةِ) الْأَوْثَانِ إِلَىٰ عِبَادَتِهِ) وَيَدْلَهُمْ عَلَىٰ رَبوبيته ومعرفته (وَمِنْ طَاعَةِ الشَّيْطَانِ إِلَىٰ طَاعَتِهِ) جَلَّ وَعَلَا (بِقُرْآنِ) أَي بِسَبَبِ الْقُرْآنِ الَّذِي (قَدْ بَيَّنَّهُ) أَي الْقُرْآنَ (وَأَحْكَمَهُ) وَاثَبَتَهُ (لِيَعْلَمَ الْعِبَادُ رَبَّهُمْ) الَّذِي خَلَقَهُمْ وَرَبَّاهُمْ (إِذْ جَاهَلُوهُ) قَبْلَ الرَّسُولِ (وَلِيُقَرِّبُوا) النَّاسَ (بِهِ) بِالرَّسُولِ (بَعْدَ إِذْ جَحَدُوهُ) أَي بَعْدَ جَحْدِهِمْ وَإِنْكَارِهِمْ اللَّهُ تَعَالَى (وَلِيُشَبِّهُهُ) أَي لِيُثَبِّتُوا اللَّهُ تَعَالَى (بَعْدَ إِذْ أَنْكَرُوهُ) بِقُلُوبِهِمْ وَالسِّنْتَهُمْ (فَتَجَلَّى) اللَّهُ تَعَالَى (لَهُمْ) لِلنَّاسِ (فِي كِتَابِهِ) التَّكْوِينِي أَوْ التَّدْوِينِي (مِنْ

غَيْرِ أَنْ يَكُونُوا رَأَوْهُ) بِأَعْيُنِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ (بِمَا أَرَاهُمْ) اللَّهُ (مِنْ قُدْرَتِهِ) وَعَظْمَتِهِ  
(وَأَخَوَفَهُمْ) اللَّهُ وَحَذَّرَهُمْ (مِنْ سَطْوَتِهِ) وَهَيْبَتِهِ (وَكَيْفَ مَحَقَّ) أَي أَبْطَلَ اللَّهُ  
وَإِذْهَبَ (مَنْ مَحَقَّ بِالْمَثَلَاتِ) وَالْعُقُوبَاتِ (وَإِخْتَصَدَ) وَإِسْتَاوَلَ (مَنْ إِخْتَصَدَ  
بِالنَّقِمَاتِ) وَأَنْوَاعِ الْعَذَابِ مَكَاوِفًا لَهُمْ (وَإِنَّهُ سَيَأْتِي عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِي زَمَانٌ لَيْسَ  
فِيهِ) أَي فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ (شَيْءٌ أَخْفَى مِنَ الْحَقِّ وَلَا أَظْهَرَ مِنَ الْبَاطِلِ) لَكُنْ أَهْلُ  
الزَّمَانِ عَلَى الْبَاطِلِ وَبُعْدَهُمْ عَنِ الْحَقِّ (وَلَا) شَيْءٌ فِيهِ (أَكْثَرَ مِنَ الْكُذْبِ عَلَى اللَّهِ  
وَرَسُولِهِ وَلَيْسَ عِنْدَ أَهْلِ ذَلِكَ الزَّمَانِ سِلْعَةٌ) أَي مَتَاعٌ (أَبْوَرٌ) وَأَفْسَدٌ (مِنَ الْكِتَابِ  
إِذَا تَلَّى حَقًّا تِلَاوَتِهِ) لَكُونَهُ عَلَيْهِ خِلَافٌ أَمِيالِهِمْ وَاهْوَاتِهِمْ (وَلَا) شَيْءٌ (أَنْفَقَ  
مِنْهُ) أَي مِنَ الْكِتَابِ (إِذَا حُرِّفَ عَنْ مَوَاضِعِهِ) وَمَقَاصِدِهِ (وَلَا فِي الْبِلَادِ شَيْءٌ أَنْكَرَ  
مِنَ الْمَعْرُوفِ وَلَا أَعْرَفَ مِنَ الْمُتَكْرَرِ) لَكُنْ الْمَعْرُوفُ فِيهِ مُنْكَرًا وَالْمُنْكَرُ مَعْرُوفًا  
(فَقَدْ نَبَذَ الْكِتَابَ) وَرَاءَ ظَهْرِهِ (حَمَلْتُهُ وَتَنَاسَاهُ حَفَظْتُهُ) أَي تَقَافَلُوا عَنِ اتِّبَاعِهِ  
(فَالْكِتَابُ يَوْمَئِذٍ وَأَهْلُهُ طَرِيدَانِ مَنْفِيَّانِ) لِرَغْبَةِ النَّاسِ إِلَى الْبَاطِلِ وَعُدُولِهِمْ عَنِ  
الْحَقِّ (وَصَاحِبَانِ مُصْطَجِبَانِ فِي طَرِيقِي وَاحِدٍ) أَي مُتَلَاذِمَانِ عَلَى الدَّلَالَةِ فِي  
طَرِيقِ الْحَقِّ (لَا يُؤْوِيهِمَا) أَي الْكِتَابُ وَأَهْلُهُ (مَوْؤِي) أَي لَا يَضْمَعُهُمَا أَحَدٌ مِنْ أِبْنَاءِ  
الزَّمَانِ لِتَفَرَّتْهُمَا عَنْهُمَا (فَالْكِتَابُ وَأَهْلُهُ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ فِي النَّاسِ وَلَيْسَا فِيهِمْ)  
وَاقِعًا (وَمَعَهُمْ) أَي هُمَا مَعَهُمْ ظَاهِرًا (وَلَيْسَا مَعَهُمْ) وَاقِعًا (لِأَنَّ الضَّلَالََةَ لَا تُوَافِقُ  
الْهُدَى) فَلَا يُمْكِنُ الْجَمْعُ بَيْنَهُمَا (وَإِنْ اجْتَمَعَا) فِي الظَّاهِرِ (فَاجْتَمَعَ الْقَوْمُ عَلَى  
الْفُرْقَةِ) أَي الْإِفْتِرَاقِ وَالتَّشْتُّتِ (وَافْتَرَقُوا عَنِ الْجَمَاعَةِ) الْمَعْهُودَةِ أَعْنَى أَهْلِ  
الْكِتَابِ (كَأَنَّهُمْ أَيْمَةُ الْكِتَابِ وَلَيْسَ الْكِتَابُ إِمَامَهُمْ) وَذَلِكَ لِعَدَمِ إِقْتِدَائِهِمْ بِهِ  
(فَلَمْ يَبْقَ عِنْدَهُمْ مِنْهُ) مِنَ الْكِتَابِ (إِلَّا إِسْمُهُ وَلَا يَعْرِفُونَ إِلَّا خَطَّهُ وَزُبْرَهُ) أَي  
رِسْمَهُ وَكُتَابَتَهُ (وَمِنْ قَبْلُ) ذَلِكَ (مَا مَثَلُوا بِالصَّالِحِينَ كُلِّ مَثَلَةٍ) وَعُقُوبَةٍ (وَسَمَّوْا  
صِدْقَهُمْ عَلَى اللَّهِ فِرْيَةً) أَي سَمَّوْا صِدْقَ الصَّالِحِينَ عَلَى اللَّهِ فِرْيَةً وَإِفْتِرَاءً  
وَنَسَبُوهُمْ إِلَى الْكُذْبِ (وَجَعَلُوا فِي الْحَسَنَةِ عُقُوبَةَ السَّيِّئَةِ) لِغَلْبَةِ الشُّرُورِ عَلَى  
طِبَاعِهِمْ (وَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ) مِنَ النَّاسِ (بِطُولِ أَمَالِهِمْ وَتَغْيِبِ

أَجَالِهِمْ) واعمارهم (حَتَّى نَزَلَ بِهِمُ الْمَوْعُودُ الَّذِي تُرِدُّ عَنْهُ الْمَعْدِرَةُ) وهو الموت (وَتُرْفَعُ عَنْهُ التَّوْبَةُ) لانسداد بابها بنزول الموت (وَتَحُلُّ مَعَهُ الْقَارِعَةُ وَالنَّقِمَةُ) اي المصيبة والنكال (أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ مَنِ اسْتَنْصَحَ اللَّهَ) اي من إتخذ الله ناصحاً له (وَفَقَّ) لكل خير (وَمَنِ اتَّخَذَ قَوْلَهُ) تعالى (دَلِيلًا هُدًى لِّلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ) لقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾<sup>(١)</sup> (فَإِنَّ جَارَ اللَّهِ) والتموكل عليه (أَمِنْ) من الزلاّت (وَعَدُوَّةٌ خَائِفٌ) من كل شيء (فَإِنَّ الْخَائِنَ خَائِفٌ) وَإِنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِمَنْ عَرَفَ عَظَمَةَ اللَّهِ أَنْ يَتَعَظَّمَ) اي يُظْهِرِ الْعَظِمَةَ وَالتَّكْبِيرَ (فَإِنَّ رِفْعَةَ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ مَا) اي اي شيء (عَظَمَتُهُ أَنْ يَتَوَاضَعُوا لَهُ) فَإِنَّ كُلَّ شَيْءٍ بِالنِّسْبَةِ إِلَى عَظَمَتِهِ تَعَالَى حَقِيرٌ لَا يُعْبَاهُ (وَسَلَامَةَ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ مَا) اي شيء قدرته (أَنْ يُسْتَسْلِمُوا لَهُ) وينقادوا له إذ هو القاهر فوق عباده (فَلَا تَتَفَرُّوا مِنْ الْحَقِّ نِقَارَ الصَّحِيحِ مِنَ الْأَجْرَبِ) (وَالْبَارِي مِنْ ذِي السَّقَمِ) (وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ لَنْ تَعْرِفُوا الرُّشْدَ حَتَّى تَعْرِفُوا الَّذِي تَرَكَهُ) وهم اتباع الضلالة واهل الباطل (وَلَنْ تَأْخُذُوا بِمِيثَاقِ الْكِتَابِ حَتَّى تَعْرِفُوا الَّذِي نَقَضَهُ وَلَنْ تَمَسَّكُوا بِهِ حَتَّى تَعْرِفُوا الَّذِي تَبَدَّه) اي نبذ الكتاب وراء ظهره (فَالْتَمِسُوا ذَلِكَ) اي الحق (مِنْ عِنْدِ أَهْلِهِ فَإِنَّهُمْ) اي اهل الحق (عَيْشُ الْعِلْمِ) وحياته (وَمَوْتُ الْجَهْلِ) وفنائه (هُمُ الَّذِينَ يُخْرِكُمُ حُكْمُهُمْ عَنْ عِلْمِهِمْ) لكونهم غير جاهلين فيه (وَصَمَّتُهُمْ) اي سكوتهم عن منطقتهم (وَظَاهِرُهُمْ عَنْ بَاطِنِهِمْ) لعدم نفاقهم (لَا يُخَالِفُونَ الدِّينَ) ابداً (وَلَا يَخْتَلِفُونَ فِيهِ) اي في الدين (فَهُوَ) اي الدين (بَيْنَهُمْ شَاهِدٌ صَادِقٌ وَصَامِتٌ نَاطِقٌ).

◀ الشرح

□ قوله ﷺ: قَبَعَتْ اللَّهُ تَعَالَى مُحَمَّدًا ﷺ بِالْحَقِّ لِيُخْرِجَ عِبَادَهُ مِنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ إِلَى عِبَادَتِهِ وَمِنْ طَاعَةِ الشَّيْطَانِ إِلَى طَاعَتِهِ...

أشار ﷺ أولاً إلى كونه ﷺ مبعوثاً من عنده تعالى وثانياً إلى غاية البعثة وهي امران مآلهما إلى واحد أحدهما خروج الناس من عبادة الأوثان ودخولهم في عبادته تعالى وثانيهما خروجهم من طاعة الشيطان ودخولهم في طاعته وعليه فاللام في قوله (ليُخرج) للغاية أي غاية البعثة ما ذكرناه وفيه إشارة إلى قوله تعالى حيث قال: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ (١)

و: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ (٢)

و: ﴿إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ (٣)

و: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٤) وقد مرّ الكلام في أصل

البعثة والغرض منها في موارد كثيرة فلا نطيل الكلام بذكرها ثانياً.

□ قوله ﷺ: بِقُرْآنٍ قَدْ بَيَّنَّهُ وَأَحْكَمَهُ...

الباء للسببية أو للإستعانة والمعنى أن الدعوة إلى الله تعالى والنهي عن طاعة الشيطان ليست بمجرد القول من النبي ﷺ بل هو ﷺ مضافاً إلى دعوته الناس بالقول حيث قال: قولوا لا إله إلا الله تفلحوا وامثال ذلك مما يشعر هذا المعنى قد أتى الناس بكتاب بيّن المقصود باتم الوجوه وهو القرآن الذي أنزله الله تعالى على رسوله وإنما قال ﷺ هذا الكلام بعد قوله ﷺ فَبَعَثَ مُحَمَّدًا الْخِ ووضوح كونه ﷺ داعياً إلى الله للإشعار بأن ما قاله ﷺ لم يكن من عند نفسه بل كان بأمر من الله تعالى ووحى منه والدليل عليه هو القرآن الذي لا شك في كونه كلام الحق فكانه ﷺ جعل القرآن مؤيداً لدعوته ﷺ وإلى ما ذكره أشير في الكتاب حيث قال: ﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (٥)

و: ﴿وَأَدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٌ﴾ (١)

و: ﴿وَلَا يَصُدُّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أَنْزَلْتَ إِلَيْكَ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ

المُشْرِكِينَ﴾ (٢)

و: ﴿فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾ (٣)

و: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَىٰ اللَّهِ﴾ (٤)

و: ﴿إِلَيْهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مَابٍ﴾ (٥)

و: ﴿وَإِنَّا أَدْعُوكُمْ إِلَىٰ الْعَزِيزِ الْعَقَّارِ﴾ (٦)

و: ﴿قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ﴾ (٧) وغيرها من الآيات.

□ قوله ﷺ: لِيَعْلَمَ الْعِبَادُ رَبَّهُمْ إِذْ جَهِلُوهُ وَلِيَقْرُوا بِهِ بَعْدَ إِذْ جَحَدُوهُ وَلِيُنْبِتُوهُ بَعْدَ إِذْ أَنْكَرُوهُ...

اللام في قوله ﷺ (ليعلم) للغاية او التعليل والمآل واحد والمعنى انه تعالى بعث مُحَمَّدًا ﷺ لأمرين احدهما ليُخرج عباده من عبادة الأوثان وثانيهما ليعلم العباد ربهم إذ جهلوه إلى آخر كلامه قال الخوئي ﷺ في المقام ما هذا لفظه: والعجب من الشارح البحراني إنه قال في شرح هذا المقام ومدار هذا الفصل على بيان بعثة الرسول وبيان غاية البعثة والسبب المُعدّ للوصول إلى تلك الغاية ثم بيان غاية تلك الغاية والإشارة إلى البعثة بقوله فبعث إلى قوله بالحق وأشار إلى غايتها بقوله ليخرج إلى طاعته وأشار إلى سبب تلك الغاية بقوله بقرآن قد بيّنه وأشار إلى غاية تلك الغاية اعني غاية طاعة الله بقوله ليعلم العباد إلى قوله انكروه انتهى ثم قال:

وانت خير بان طاعة الله سبحانه وعبادته إنما تحصل بعد حصول العلم بالرب لأنها فرع الدين وهذا اصله والأصل مُقدّم على الفرع فكيف يمكن

مفتاح السعادة في شرح نهج البلاغة

٢- القصص - ٨٧

٤- يوسف - ١٠٨

٦- الغافر - ٤٢

١- الحج - ٦٧

٣- الشورى - ١٥

٥- الرعد - ٣٦

٧- الأنعام - ٥٧

جعله غاية لها وما هو إلا من مفاصد قلة التدبّر انتهى.

اقول: ما ذكره الخوئي رحمته واستشكّله من قلة التدبّر لا ما ذكره البحراني كما توهمه رحمته وذلك لأن العلم بالرّب يتصوّر على قسمين إجماليّ وتفصيليّ وإن شئت قلت إرتكازيّ فطريّ وتحصيليّ إكتسابيّ والأول منهما يحصل بسبب الوجود والآخر بعد تكامله في طريق التّحصيل والتعلّم والتدبّر في آيات الله وعجائب خلقه .

وإلى الأوّل:

أشير في الكتاب بقوله تعالى: ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ (١)

وإلى الثاني:

بقوله: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ (٢)

و: ﴿وَتَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ (٣)

و: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ (٤) وغيرها من

الآيات وقوله عليه السلام من عرف نفسه فقد عرف ربه ولا شك أن المعرفة بالرّب والعلم بصفاته تفصيلاً إنما هو بسبب التعلّم والتدبّر وليس هو من الفطريّات وإلا يلزم كون جميع الأفراد فيه على حدّ سواء وليس كذلك إذا عرفت هذا. فنقول:

العلم الذي هو مقدّم على الطاعة والإنقياد له تعالى هو العلم الإجمالي الإرتكازي الفطري وأما العلم التفصيلي الإكتسابي فهو مؤخر عن طاعة الله وعبادته الا ترى أن العبد كلما كانت طاعته أكثر واخلص كانت معرفته وعلمه بربه أشدّ وأكثر وكيف يمكن العلم به تعالى على وجه الكمال والتّمَام بدون طاعته وعبادته ولعلّ هذا هو مقصود البحراني رحمته فتأمل.

ثمّ إن في قوله عليه السلام لِيَعْلَمَ الْعِبَادُ رَبَّهُمْ إِذْ جَهَلُوهُ إشارة إلى القسم الثاني من العلم اعني العلم الإكتسابي النظري لا الإجمالي الفطري إذ هو حاصل لهم

بدون الرسول والنبي وعليه فالمعنى ان الله تعالى قد بعث محمداً ﷺ لتعليم العباد وتفهمهم التوحيد الكامل الذي لو لا ان النبي لما حصل لهم وذلك لجهلهم بالله وصفاته على وجه اللائق به فإن كل ما ميّزوه وتصوروه باوهامهم الفاسدة وعقولهم الكاسدة وظنونهم الباطلة فهو مخلوق لأنفسهم مردود إليهم وليس هو الرب الذي نحن بصدده إثباته الذي يليق بالطاعة والإنقياد له فبعث الله تعالى رسوله ليخرج الناس عن هذا الجهل بموجدهم وخالقهم لأن الجهل بالخالق يوجب الجهل بالنبي والإمام والآخرة وبالجملة ليس هو إلا الضلالة والشقاوة في الدارين اعادنا الله منها.

قوله ﷺ وَلَيَقْرُوا بِهِ بَعْدَ إِذْ جَحَدُوا بِهٖ وَإِنِّي أَنَا لَكُنَّ لَكَانَ النَّاسِ فِي الْجَحْدِ وَالْإِنكَارِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى خَالِقِهِمْ بَعْدَ كَوْنِهِمْ عَالِمِينَ بِوَجُودِهِ بِمَقْتَضَى الْفِطْرَةِ الْمَفْطُورَةِ عَلَيْهَا إِذْ لَوْ كَانُوا جَاهِلِينَ بِهِ لَمَا صَحَّ أَنْ يُقَالَ إِذْ جَحَدُوا.

وقوله ﷺ وَلَيُشَبِّهُهُ بَعْدَ إِذْ أَنْكَرُوهُ، يمكن ان يكون توضيحاً لسابقه إذ الإنكار والجحد لا فرق بينهما معنى ويمكن الفرق بأن الجحد هو الإنكار القلبي والإنكار عدم الترتيم بالتوحيد باللسان وبعبارة أخرى عدم الإقرار بوحدانيته تعالى قلباً يعبر عنه بالجحد ولساناً يعبر عنه بالإنكار وهذا هو الفرق بين الكافر والمنافق إذ الكافر عبارة عمّن لا يقرّ باللسان سواء أقرّ بالقلب ام لا والمنافق من يقرّ باللسان وأما بالقلب فلا وفي قوله ﷺ ليشبته إشارة إلى إثباته التوحيد في مقام الاستدلال والبرهان لغيره من آحاد الناس كما قال تعالى: ﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ (١)

وحاصل الكلام ان شأن النبي في مقام البعثة هو إيجاد العلم التفصيلي أولاً والإقرار القلبي ثانياً والإظهار باللسان ثالثاً فالموحد الكامل من إتصف بهذه الأوصاف.

□ قوله ﷻ: فَتَجَلَّى لَهُمْ فِي كِتَابِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونُوا رَأَوْهُ بِمَا آرَاهُمْ مِنْ قُدْرَتِهِ وَخَوْفَهُمْ مِنْ سَطْوَتِهِ...

التجلي ماخوذ من الجلو وهو الكشف الظاهر يقال اجليت القوم عن منازلهم فجلوا عنها اي ابرزتهم عنها، ويقال رجل اجلى إنكشف بعض راسه عن الشعر.

والمراد بالكتاب الذي تجلّى سبحانه فيه هو القرآن في المقام إذ الكلام في بعثته تعالى نبينا ﷺ إلى الخلق ولا شك ان كتابه المنزل عليه هو القرآن هذا هو الظاهر من كلامه ﷻ وعليه الشراح باجمعهم وعليه فالمعنى انه تعالى قد تجلّى لهم في القرآن من غير ان يكونوا راوه بالبصر الحسي بل بما اراهم الله فيه من قدرته وخوفهم من سطوته وهيبته.

اما الأول:

اعني إظهار القدرة: قال الله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَاءً وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (١)

و: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (٢)

و: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (٣)

و: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ (٤)

و: ﴿إِنْ يَشَاءُ يُهَيِّئْكُمْ آيَاتِهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ ذَلِكَ قَدِيرًا﴾ (٥)

و: ﴿وَاللَّهُمَّ إِلَهَ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ (٦)



و: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾<sup>(١)</sup>  
و: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا  
إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ  
وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾<sup>(٢)</sup>  
و: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾<sup>(٣)</sup>  
و: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ  
وَكَيلٌ﴾<sup>(٤)</sup>

وفى الثانى:

و: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمْنَ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ  
الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ) مِنَ الْحَيِّ (وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾<sup>(٥)</sup>  
و: ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ فَإِنِ اتَّخَذُوا  
إِلَٰهًا غَيْرَ اللَّهِ فَذَرُوهُنَّ أَوْ يَدَّبَّرُوا خُفْيَةً وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَنُّوا أَنَّهُمْ  
لَا تُدْرِكُهُمُ الْعِلْمُ فَهُمْ لَا يَتَّقُونَ﴾<sup>(٦)</sup>  
و: ﴿وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ﴾<sup>(٧)</sup>  
و: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾<sup>(٨)</sup>  
و: ﴿أَنْتُمْ لَنْ تَشْهَدُونَ أَنْ مَعَ اللَّهِ إِلَهَةٌ أُخْرَى﴾<sup>(٩)</sup> والآيات كثيرة جداً هذا كله  
بناء على ما هو المستفاد من ظاهر كلامه ﷺ وَعَلَيْهِ أَهْلُ الظَّاهِرِ.

وأما على مسلك أهل الكشف فالمستفاد منه شيء آخر فاستمعه إن كنت  
أهلاً له.

التَّجَلِّيُّ مِنْهُ تَعَالَى لِلْخَلْقِ يَتَّصِرُ عَلَى أَقْسَامِ التَّجَلِّيِّ بِالذَّاتِ، وَالتَّجَلِّيِّ  
بِالصِّفَاتِ، وَالتَّجَلِّيِّ بِالْأَفْعَالِ وَالْآثَارِ، وَالتَّجَلِّيِّ بِأَيْضاً عَلَى أَقْسَامِ كِتَابِ التَّكْوِينِ  
وَكِتَابِ التَّدْوِينِ، وَالْأَوَّلُ عَلَى قَسْمَيْنِ آفَاقِيٍّ وَانْفُسِيٍّ وَالْأَنْفُسِيُّ عَلَى قَسْمَيْنِ:  
عَلِّيِّينِ وَسَجِّيِّينِ، وَالرُّؤْيُوعُ أَيْضاً عَلَى أَقْسَامِ الرُّؤْيُوعِ بِالْبَصَرِ وَالرُّؤْيُوعِ بِالْقَلْبِ

٢- المائدة - ١٧  
٤- الأنعام - ١٠٢  
٦- التحل - ٥١  
٨- آل عمران - ١٠٢

١- آل عمران - ١٨  
٣- الأنعام - ١٠٣  
٥- يونس - ٣١  
٧- النحل - ٥٢  
٩- الأنعام - ١٩

والرؤية بالكشف والشهود وكلامه ﷺ يشمل الكل فهو تعالى قد تجلّى لهم ذاتاً وصفة وفعلاً في الكتاب بمعناه العام لجميع الأقسام واراهم بالرؤية القلبية والرؤية الكشفية دون البصرية الحسية المستثناة في كلامه ﷺ.

### التجلي الذاتي:

أما التجلي الذاتي في الكتب المذكورة فهو عبارة عن إيجاده الكتاب بمعناه العام فكما أنه تعالى اوجد الحروف في الكتاب التدويني الذي نسميه بالقرآن مثلاً كذلك اوجد الكائنات بالحروف التكوينية من الآفاقي والآنفسي وغيرهما إذ لا شك أنّ الموجد للكل هو لا غيره وإنما عبّرنا عن إيجاده الخلق بالتجلي الذاتي لأنه حقيقة الوجود ولبها لا أنه شيء له الوجود وبعبارة أخرى ذاته تعالى وجوده ووجوده ذاته وليس هناك شيء غير الوجود كما هو مقتضى البساطة الكاملة.

الحق ماهية إنيته إذ مقتضى العروض معلوليته  
فالتجلي الذاتي عبارة عن التجلي الوجودي بإيجاد الموجودات فهو غائب  
عن الأشياء في عين ظهوره فيها وظاهر فيها في عين غيبوته عنها.  
يا من هو إختفى لفرط نوره . الظاهر الباطن في ظهوره  
وفي دعاء عرفة لمولانا الحسين ﷺ كيف يُستدلّ عليك بما هو في وجوده  
مفتقر إليك ا يكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتّى يكون هو المظهر لك  
متى غيب حتّى تحتاج إلى دليل يدلّ عليك ومتى بعدت حتّى تكون الآثار هي  
التي توصل إليك عميت عين لا تراك عليها رقيباً وخسرت صفة عبد لم  
تجعل له من حبك نصيباً إلى آخر كلامه القدسي.

وإلى هذا المعنى أشير في الحديث القدسي حيث قال: كنت كنزاً مخفياً  
فاحببت ان أعرف فخلقت الخلق لكي أعرف فكأنه اراد بذلك ان إستتاره عين  
ظهوره بصور الموجودات وبروزه بتعبّياتهم وليس فيهم في الحقيقة غيره، ليس  
في الدار غيره ديار مثال ذلك مثال البحر مع امواجه فإنّ الموج لا ينفك عن

البحر وبالعكس فظهور البحر بالأمواج ووجود الأمواج به فلا يسأل عن وجود البحر بعد وجود الموج والمفروض أنه لا وجود له إلا به ولنعم ما قيل:

الْبَحْرُ بَحْرٌ عَلَى مَا كَانَ مِنْ قَدَمٍ      إِنَّ الْحَوَادِثَ أَمْوَاجٌ وَأَنْهَارٌ  
لَا يَحْبَبُنَاكَ أَشْكَالٌ يَشَاكِلُهَا      عَمَّنْ تَشَكَّلَ فِيهَا فَهِيَ اسْتَارٌ

فكما أنه لا يكون موجٌ إلا ويكون البحر ظاهراً فيه بصورته ومعناه فكذلك لا يكون موجود في العالم إلا ويكون الحق في ظاهره بصورته ومعناه: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾<sup>(١)</sup> ولعله هذا هو المراد من قولهم، إنه أخذ بالذات، كُـلُّ بالأسماء، وقولهم حَجَبُ الذَّاتِ بالصفات، والصفات بالأفعال والأفعال بالأكوان وغيره من الأقوال.

والى هذا الظهور اعني ظهوره بصورة الموجودات وتجليته فيها اشار تعالى بقوله العظمة إزارى والكبرياء ردائي، ليعلم أنه لا يحتجب بغيره وإن غيره ليس بموجود بالحقيقة إذ لو كان موجوداً لكان حجاباً على وجهه الكريم وقد قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾<sup>(٢)</sup>

فهو تعالى في غاية الظهور ونسبة المحجوب عنه كنسبة الخفافيش إلى الشمس حيث إن الخفّاش لعمائه يقول: إن الشمس معدومة أو مظلمة وليس كذلك.

قال بعض العرفاء إن العالم غيب لم يظهر قطّ والحق تعالى هو الظاهر ما غاب قطّ والناس في هذه المسئلة على عكس الصواب فيقولون العالم ظاهر والحق غائب كما قيل بالفارسية:

جهان جمله فروغ نور حق دان

حق اندر وی ز پیدائى ست پنهان

خرد را نيست تاب نور آن روى

بُـرَوِ از بَهرِ او چشَمِ دگر جوى

ظهور جمله اشیاء بضد است  
 ولی حق را نه مانند ونه ند است  
 چه نبود ذات حق را ضد و همتا  
 نمیدانم چگونه دانی او را  
 اگر خورشید بر یک حال بودی  
 شعاع او بیک منوال بودی  
 ندانستی کسی کین پرتو او است  
 نبودى هیچ فرق از مغز تا پوست  
 چه نور حق ندارد نقل و تحویل  
 نباشد اندر او تغیر و تبدیل  
 تو پنداری جهان خود هست دائم  
 بذات خویشتن پیوسته قائم  
 قال الآخر:

هر که شد جوای دیدار خدا  
 چون خدا آمد شود جوینده لا  
 گرچه آن وصلت بقا اندر بقا است  
 لیک اول آن بقاء اندر فنا است  
 سایه هائی کان بود جوای نور  
 نیست گردد چون کند نورش ظهور  
 هالک آمد پیش و جهش هست و نیست  
 هستی اندر نیستی خود طرفه ای است

ولآخر:

بَدَتْ بِإِحْتِجَابٍ وَإِحْتَفَّتْ بِمُظَاهِرٍ عَلَى صَيْغِ التَّكْوِينِ فِي كُلِّ بَرَزَةٍ

وقال الآخر:

ظَهَرَتْ فَلَا تَخْفَى عَلَى أَحَدٍ  
لَكِنْ بَطَّنَتْ بِمَا أَظْهَرَتْ مُحْتَجِبًا  
وَالْآخَرُ:

وَالْخَلْقُ كُلُّهُمْ اسْتَارَ طَلَعَتْهَا  
مَا فِي التَّسْتُرِ فِي الْأَكْوَانِ مِنْ عَجَبٍ  
وَالْآخَرُ:

سُبْحَانَ مَنْ أَظْهَرَ نَاسُوتَهُ  
ثُمَّ بَدَأَ فِي خَلْقِهِ ظَاهِرًا  
وَالْآخَرُ:

تَوَهَّمْتُ قَدَمًا إِنْ لَيْلِي تَبَرَّقَعَتْ  
وَإِنْ لَثَامًا دُونَهَا يَمْنَعُ اللَّثْمَا  
فَلَا حَتَّ فَلَ وَاللَّهِ مَا كَانَ حَاجِبَهَا  
سِوَى أَنْ طَرَفِي كَانَ عَنْ حُسْنِهَا أَعْمَى

والذي هذا المعنى اشار علي عليه السلام في بعض كلماته حيث قال عليه السلام:

وَلَا يَجْنَهُ الْبَطُونُ عَنِ الظُّهُورِ وَلَا يَقْطَعُهُ الظُّهُورُ عَنِ الْبَطُونِ، قَرَّبَ فَنَائِي،  
وَعَلَا فَدْنَا وَظَهَرَ قَبْطَنَ وَبَطَّنَ فَعَلَنَ دَانَ وَلَمْ يَدْنِ.

والكلام في المقام طويل جداً لا يسعه المقام بل الأفهام ثم التَّجَلِّي الذَّاتِي  
في الكتاب التدويني فهو عبارة عن إيجاده تعالى الحُرُوف والكلمات فيه وقد  
اشار الله تعالى إلى هذا المعنى بقوله: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا  
آيَاتِهِ﴾ (١)

و: ﴿اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ﴾ (٢)

و: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ (١)

و: ﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ﴾ (٢)

وَأَمَّا فِي الْكِتَابِ التَّكْوِينِ الْأَفَاقِي فَيَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿سَنُفِّرُهُمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ (٣)

وَفِي الْأَنْفُسَىٰ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ (٤)

وَإِنْ عَبَّرْنَا عَنِ الْأَفَاقِي بِالْكِتَابِ الْمُبِينِ وَأَمَّ الْكِتَابَ وَكِتَابَ الْمَحْوِ وَالْإِثْبَاتِ كَمَا عَلَيْهِ بَعْضُ الْعُرَفَاءِ فَهُوَ أَيْضاً صَحِيحٌ قَالَ تَعَالَى: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ (٥)

و: ﴿وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ (٦)

وَعَنِ الْأَنْفُسَىٰ بِالْعَلِيِّنَىٰ قَالَ تَعَالَى: ﴿كَذَلِكُنَّ الْأَمْزَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ﴾ (٧)

وَالسَّجِّينَىٰ قَالَ تَعَالَى: ﴿كَذَلِكَ الْفُجَّارِ لَفِي سَجِّينَ﴾ (٨) قَالَ الْغَزَالِيُّ فِي

التَّكْوِينِ الْأَفَاقِي:

به نزد آنکه جانش در تجلی است

همه عالم کتاب حق تعالی است

عَرَضُ أَعْرَابٍ وَجَوْهَرٍ چُونِ حُرُوفِ اسْت

مَرَاتِبِ هَمْ چُو آيَاتِ وَقُوفِ اسْت

از او هر ذره ای چون سوره خاص

يَكِي زَان فَاتِحِهِ وَآن دِيگَرِ اِخْلَاصِ

وَأَمَّا التَّجَلِّي الصِّفَاتِي:

مَعْنَاهُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَىٰ أَوْجَدَ صِفَاتِهِ مِنَ الْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ وَالْإِرَادَةِ وَالْجُودِ وَالْعَدْلِ

وغيرها من الموجودات ولا سيما في الإنسان الذي يكون في الجامعة اكمل

واتمّ فالعالم مظهر علمه والقادر مظهر قدرته والمريد مظهر إرادته والعاقل مظهر عدله وهكذا ولأجل هذه الدقّيقة ترى كلّ من كان في الإتّصاف بهذه الأوصاف اكمل واتمّ فهو اقرب إليه تعالى وبالعكس بالعكس وبعبارة أخرى الملاك في القرب والبعد إليه تعالى مظهرية العبد لأوصافه الكمالية شدّة وضعفاً ونقصاً وكمالاً وحيث إنّ المدار في اوصافه الكمالية على العلم كما ثبت في الفلسفة بل كلّها يرجع إليه لدى التّحقيق فالعلماء اقرب الناس إليه. وحاصل الكلام أنّ الله تعالى قد تجلّى بصفاته لعباده ولا سيّما الإنسان الكامل الذي هو مرآة الحقّ كما قال ﷺ: من راني فقد راي الحقّ ومعلوم أنّ هذه الرّؤية في قالب الصّفات.

### وامّا التّجلي الأفعالي:

فالمراد به أنّ المخلوق يصدر عنه الفعل كما يصدر عن الخالق وإن كان الفرق بين الفعلين كثيراً ولا بحث فيه وإتّما الكلام في اصل الفعل بما هو هو من حيث الصّدور عن الفاعل وهو من هذه الجهة في الخالق والمخلوق سيّان ولا سيّما الإنسان حيث إنّهُ مضافاً إلى فاعليّته في فعله مختار فيه ايضاً بحيث إن شاء فعل وإن لم يشأ لم يفعل كما أنّه تعالى فاعل مختار ونعني بالإختيار كون الفعل مسبوقاً بالمبادئي الأربعة وبالأخصّ نفس الناطقة الإنسانيّة في خالقيتها لما يصدر عنها على ما حقّقناه في الفلسفة ولأجل هذه الدقّيقة قال رسول الله ﷺ: من عرف نفسه فقد عرف ربّه وقال بعض الفلاسفة إنّهُ من تعليق الأمر على المحال وفي المقام ابحت كثيرة لا يسعها المقام وقد إذعنوا بالعجز عن معرفتها كما هو حقّها.

□ قوله ﷺ: وَكَيْفَ مَحَقَّ مَنْ مَحَقَّ بِالْمَثَلَاتِ وَاحْتَصَدَ مَنْ احْتَصَدَ بِالنَّقِمَاتِ... الواو للعطف والجملة عاطفة على ما قبلها اعني قوله ﷺ: وَخَوْفَهُمْ مِنْ سَطْوَتِهِ أَي إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى كَيْفَ مَحَقَّ وَاهْلَكَ مِنْ اهْلَكَ مِنَ الطَّاغِينَ الْعَصَاةِ بِالْمَثَلَاتِ وَالْعُقُوبَاتِ النَّازِلَةَ عَلَيْهِمْ كاصحاب الفيل وقوم لوط وقوم ثمود وقوم

عاد وغيرهم وقوله ﷺ وإحتصد الخ اي إستاصل الله تعالى من إستاصل منهم بالنقمات اعني العذاب والتعبير بالإحتصاد للدلالة على ان ما اصابهم من النعمة والعذاب فهو بما كسبت ايديهم قبله فإن الله ليس لظلام للعبيد وإنما قلنا ذلك لأن الإحتصاد ماخوذ من حصد الزرع ومعلوم إن الزرع إن كان شعيراً فهو حاصده وإن كان غيره فكذلك كما قيل بالفارسيّة:

از مكافات عمل غافل مشو

گندم از گندم بروید جو ز جو

□ قوله ﷺ: وَإِنَّهُ سَيَأْتِي عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِي زَمَانٌ لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ أَخْفَى مِنَ الْحَقِّ وَلَا أَظْهَرَ مِنَ الْبَاطِلِ وَلَا أَكْثَرَ مِنَ الْكُذْبِ عَلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ...

بعد ذكره البعثة وما يترتب عليها من التوحيد والمعرفة والخوف عن الله تعالى اخبرهم بما ياتي عليهم من بعده من رواج المنكر وخفاء المعروف فقال إنه سيأتي عليكم من بعدي زمان يكون الحق فيه اخفي من كل شيء والباطل اظهر من كل شيء اي يكون الباطل غالباً والحق مغلوباً والكذب على الله ورسوله شائعاً ذائعاً.

اقول: لعله اشار ﷺ بقوله هذا ما وقع في عصر الأمويين وبني العباس بل وبعدهم حتى في زماننا هذا وما اخبر ﷺ به لا خلاف فيه كما نرى الآن وإنما اساس هذا الكذب والإفتراء على الله ورسوله قد بُني في عصر الأمويين ثم صار رائجاً بعدهم كما هو غير خفي على الممارس في خلال هذه الديار وقد إعترفت العامة ايضاً بذلك ونحن نشير إلى شردمة منه قال رسول الله ﷺ: من كذب عليّ فهو في النار وقال ﷺ: من قال عليّ ما لم اقل فقد تبوا مقعده من النار وقال ﷺ: من كذب عليّ فليتبوا مقعده من النار والأحاديث بهذه المضامين كثيرة روتها العامة والخاصة والوجه فيه ان الكذب مضافاً إلى كونه قبيحاً في حدّ نفسه محرماً في الشريعة المطهرة بالكتاب والسنة والإجماع والعقل بالنسبة إلى الكل فهو في حق الرسول اقبح واعظم ذنباً وذلك لأن



الكذب عليه ﷺ بعينه الكذب على الله وهو يوجب تغيير الأحكام وتبديل الحق بالباطل والباطل بالحق وأما الكذب على غير الرسول فليس كذلك كما هو واضح ولأجل هذا، الكذب على الله ورسوله يوجب بطلان الصوم دون غير وقد مرّ من الكلام في قبح الكذب وحرمة تفصيلاً ففي المقام بطريق أولى فنقول إعلم أنه قد أتت الرسالة المحمدية بأصول في العقائد ليس لإنسان مهما بلغ من العلم أن يغيّر أصلاً من أصولها، وجاءت بأحكام في العبادات لا يجوز لأحد أن يزيد فيها أو ينقص منها أو يبدل شيئاً من صورها وازمانها وذلك لأن الأعمال الدينية على قسمين أحدهما أن لا يعبد إلا الله والثانية أن يعبد بما شرعه، وما عداهما من نظم العمران وقواعد الاجتماع وغيرهما فقد وضع له الدين أسساً عامة من العدل والرّحمة والخير والمصلحة والمساواة والحرية وعدم الضرر الصدق والأمانة والإحسان وامثالها من أمهات الفضائل ولما كان القرآن الكريم مَصُوناً بالتدوين والحفظ واحاديث الرسول لم تُدَوَّن فقد كان أشد ما يخشاه ﷺ أن يكذب أحد عليه وخصوصاً بعد أن ترك حديثه بغير تدوين محفوظ وقد شدد ﷺ في هذا الأمر تشديداً عظيماً حتى جعل جزاءه القتل في الدنيا وعذاب النار في الآخرة كما علمت من الروايات الواردة في الباب وكان من آثار تاخير تدوين الحديث وربط الفاظه بالكتابة إلى ما بعد كمائة الأولى من الهجرة واوائل المائة الثانية إن اتسعت ابواب الرواية وفاضت انهار الوضع حتى لقد بلغ ما روى من الأحاديث الموضوعية عشرات الألوف لا يزال اكثرها منبثاً بين تضاعيف الكتب المنتشرة بين المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها.

وأما نشأة الإختراع في الرواية والوضع على رسول الله فقد اجمع الباحثون والعلماء المحققون على أن نشأة الإختراع في الرواية ووضع الحديث على رسول الله ﷺ إنما كان في اواخر عهد عثمان وبعد موته ثم اشتد الإختراع في عهد معاوية ومن كان بعده من الخلفاء ولو وضع الحديث والكذب على رسوله

الله ﷻ اسباباً كثيرة نشير إلى بعض منها:

أحدها: ما وضعه الزنادقة اللابسون لباس الإسلام غشاً ونفاقاً وقصدتهم بذلك إفساد الدين وإيقاع الخلاف والإفتراق بين المسلمين قال حماد بن زيد وضعت الزنادقة أربعة آلاف حديث هذا بحسب ما وصل إليه علمه والآن فقد نقل المحدثون أنّ زنديقاً واحداً وضع هذا المقدار قالوا لما أخذ ابن أبي العوجاء ليضرب عنقه قال وضعت فيكم أربعة آلاف حديث أحرم فيها الحلال وأحل الحرام.

وثانيها: الوضع لنصرة المذاهب في أصول الدين وفروعه فإن المسلمين لما تفرقوا شيعاً ومذاهب جعل كل فريق يستفرغ ما في وسعه لإثبات مذهبه لا سيما بعد ما فتح عليهم باب المجادلة والمناظرة في المذاهب ولم يكن المقصود من ذلك إلا إفحام مناظره والظهور عليه حتى أنهم جعلوا الخلاف علماً صنّفوا فيه المصنّفات مع أنّ دينهم ما عادى شيئاً كما عادى الخلاف وهذا السبب يشبه أن يكون أثراً من آثار السبب الذي قبله وقد استشهد لهذا بعض المحدثين الذين كتبوا في أسباب الوضع بقوله تاب رجل من المبتدعة فجعل يقول أنظروا عمّن تأخذون هذا الحديث فإنّا كنا إذا هويتنا امرأ صيرناه حديثاً وليس الوضع لنصرة المذاهب محصوراً في المبتدعة وأهل المذاهب في الأصول بل إنّ من أهل السنة المختلفين في الفروع من وضع أحاديث كثيرة لنصرة مذهبه أو تعظيم إمامه وإليك حديثاً واحداً وهو: يكون في أمّتي رجل يقال له محمد بن إدريس أضرب على أمّتي من إبليس ويكون في أمّتي رجل يقال له أبو حنيفة هو سراج أمّتي، قالوا وفي إسناده وضاعان أحدهما مامون ابن أحمد السلمي والآخر أحمد ابن عبد الله الخونباري وقد رواه الخطيب عن أبي هريرة مرفوعاً واقتصر على ما ذكره في أبي حنيفة وقال موضوع وضعه محمد بن سعيد المروزي البورقي إلى آخر ما قال ومع هذا تجد فقهاء العامة يذكرون في كتبهم الفقهيّة شقّ الحديث الذي يصف أبا حنيفة بأنه سراج الأمة

ويسكنون عليه بل يستدلون به على تعظيم إمامهم على سائر الأئمة وهم مع هذا قدوة الأمة الذين يؤخذ باقوالهم في الدين ويتركون لهم الكتاب والسنة.

قال ابو العباس القرطبي في شرح صحيح مسلم اجاز بعض فقهاء اهل الراي نسبة الحكم الذي دل عليه القياس الجلي إلى رسول الله نسبة قولية فيقولون في ذلك قال رسول الله كذا، ولهذا نرى كتبهم مشحونة باحاديث تشهد متونها بأنها موضوعة لأنها تشبه فتاوي الفقهاء، ولا تليق بجزالة كلام سيد المرسلين ولأنهم لا يقيمون لها اسناداً.

وقال ابو شامة في كتابه مختصر كتابه المؤمل، مما يفعله شيوخ الفقه في الأحاديث النبوية والآثار المروية كثرة استدلالهم بالأحاديث الضعيفة على ما يذهبون إليه نصره لقولهم وينقصون في الفاظ الحديث وتارة يزيدون فيه وما اكثره في كتب ابى المعالي وصاحبه ابى حامد انتهى.

اقول: ومن ذلك ما روة الشافعية في إمامهم قالوا: قال رسول الله ﷺ: اكرموا قريشاً فإنّ عالمها يملأ طباق الأرض علماً.

ومنه ما رواه اصحاب المالك فيه: قال رسول الله ﷺ: يخرج الناس من المشرق إلى المغرب فلا يجدون اعلم من عالم اهل المدينة، وامثال ذلك من الموضوعات.

وثالثها: الغفلة عن الحفظ اشتغالاً عنه بالرّهد والإنقطاع للعبادة وهؤلاء العبّاد والصوفيّة يحسنون الظنّ بالناس ويعدون الجرح من الغيبة المحرّمة ولذلك راجت عليهم الأكاذيب وحدثوا عن غير معرفة ولا بصيرة فيجب الآ يعتمد على الأحاديث التي حشيت بها كتب الوعظ والرقائق والتصوّف من غير بيان تخريجها ودرجتها ولا يختصّ هذا الحكم بالكتب التي لا يعرف لمؤلفها قدم في العلم ككتاب نزهة المجالس، المملوء بالأكاذيب في الحديث وغيره، بل إنّ كتب ائمة العلماء كالأحياء للغزالي ايضاً لا يخلوا من الموضوعات الكثيرة.

ورابعها: قصد التقرب إلى الملوك والسلاطين والامراء كما نصّ عليه غير واحد من الحفاظ وكما كذب علماء السوء على رسول الله لأجل السلاطين كذبوا كذلك في وضع الأحكام والفروع الفقهية لأجلهم ومن الأحاديث الموضوعية في هذا الباب ما إشتهل على مدح السلاطين وتعظيم شأنهم وهو ما يتعلّق به الجهال للملوك في هذا العصر كما تملّقوا لهم فيما قبله.

وخامسها: الخطأ والسّهو وقع هذا لِقومٍ ومنهم من ظهر له الصواب ولم يرجع إليه إنفةً وإستنكافاً ان ينسب إليهم الغلط ولم تعرّف رِقّة دين هؤلاء وعدم إخلاصهم في الإشتغال برواية الحديث.

وسادسها: التّحديث عن الحِفظ ممّن كانت له كُتُب يعتمد عليها فلم يَنفَع الحِفظ فضاعت الكتب.

وسابعها: إختلاطه العقل في اواخر العُمر وَقَع هذا لجماعةٍ من الثّقات فقد رَووا عَنْهم من غير تمييزٍ بين ما روي عنهم في طُور الكمال والعقل وبين ما رُوي في طُور الإختلاط والهَرَم.

وثامنها: الظُّهور على الخَصرم في المناظرة ولا سيّما إذا كانت في الملاء وهو غير الوضع لِنُصرة المذاهب قال ابن الجوزي ومن اسباب الوضع ما يَقَع ممّن لا دين له عند المناظرة في المجامع من إستدلاله على ما يقوله كما يطابق هواه تنسيقاً لجداله وتقويماً لمقاله وإستطالة على خصمه ومَحَبّة للغلب وطلباً للرئاسة وفراراً من الفُضيحة إذا ظهر عليه من يناظره.

وتاسعها: إرضاء الناس وإبتغاء القبول عندهم وإستمالتهم لحضور مجالسهم الوَعظية وتوسيع دائرة حلقاتهم وقد الصقّ المحدّثون هذا السّبب بالقصاص.

اقول: الوجوه المذكورة في اسباب الوضع إنّما ذكرها بعض المُحقّقين في كتابه الذي سمّاه بالأضواء على السّنة المُحمّدية وقد فاته من الوجوه ما لا يخفى عليك كما إعترف به هو نفسه فإنّ الإحصاء الواقعي في امثال الموضوع

المبحوث عنه لا يكاد يمكن لأحدٍ فإنَّ الدَّواعي في الوضع مختلفة كثيرة بالنسبة إلى الأفراد.

والذي هو الأصل في الباب ولم يذكره صاحب الكتاب ولا غيره ممن تَصَدَّقُوا لِذِكْرِ الْأَسْبَابِ وَالْعِلَلِ لِغَفْلَتِهِمْ أَوْ عَدَمِ تَقَطُّنِهِمْ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ، وَهُوَ عِدَاوَةُ الْوَضَاعِيِّنَ وَمَنْ أَمَرَهُمْ بِهِ مِنَ الْحُكَّامِ وَالْأُمَرَاءِ لِأَهْلِ الْبَيْتِ ﷺ لَيْسَدُوا بِذَلِكَ بَابِ مَدِينَةِ الْعِلْمِ الَّذِي قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِيهِ: أَنَا مَدِينَةُ الْعِلْمِ وَعَلِيٌّ بَابُهَا. غَيْرُهُ مِنَ الْأَحَادِيثِ الَّتِي أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ الْأُمَّةَ فِيهَا بِاتِّبَاعِ أَهْلِ الْبَيْتِ فِي حَلِّ الْمَشْكَالَاتِ وَاخْتِيارِ الْأَحْكَامِ مِنَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ لِعَلْمِهِمْ بِأَنَّ أَهْلَ الْبَيْتِ لَا سَاعِدُونَهُمْ عَلَى الظُّلْمِ وَالْجورِ وَإِتْبَاعِ الْهَوَى كَمَا رُوِيَ أَنَّ الرَّشِيدَ لَعَنَهُ اللَّهُ كَانَ يَعْجِبُهُ الْحَمَامُ وَاللَّهُوُ بِهِ فَاهْدِيَّ إِلَيْهِ حَمَامٌ وَعِنْدَهُ أَبُو الْبُخْتَرِيِّ الْقَاضِي فَقَالَ يَزِيدُ أَبُو هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ قَالَ لَا سَبْقَ إِلَّا فِي خَفٍّ أَوْ حَافِرٍ أَوْ جَنَاحٍ، فزَادَ جَنَاحٌ وَهِيَ لَفْظَةٌ وَضَعَهَا لِلرَّشِيدِ فَأَعْطَاهُ جَائِزَةً سَنِيَّةً وَلَمَّا خَرَجَ قَالَ الرَّشِيدُ وَاللَّهُ لَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّهُ كَذَّابٌ وَأَمَرَ بِالْحَمَامِ أَنْ يُذَبِّحَ فَقِيلَ وَمَا ذَنْبُ الْحَمَامِ؟ قَالَ مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ كَذَبَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَقُولُ مِنْ أَجْلِ الرَّشِيدِ كَذَبَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَا مِنْ أَجْلِ الْحَمَامِ الْآتِرِي أَنَّهُ أَعْطَاهُ جَائِزَةً سَنِيَّةً وَسَتَقَفُ عَلَى تَفْضِيلِ ذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ إِذَا عَرَفْتَ الْأَسْبَابَ الْمُقْتَضِيَةَ لِلْوَضْعِ إِجْمَالًا فَتَقُولُ:

وَضَعِ الْأَحَادِيثَ كَذِبًا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا كَانَ مُخْتَصًّا بِزَمَانِ الْخُلَفَاءِ بَعْدَ مَوْتِهِ ﷺ بَلْ كَانَ فِي حَيَاتِهِ ﷺ أَيْضًا إِلَّا أَنَّهُ كَانَ فِي حَيَاتِهِ قَلِيلًا بِالنِّسْبَةِ إِلَى بَعْدِ وَفَاتِهِ. أَمَّا فِي حَيَاتِهِ ﷺ

فَمِنْ كِتَابِ الْأَحْكَامِ فِي أُصُولِ الْأَحْكَامِ لِابْنِ حَزْمٍ ج ٢ ص ٥٨٢ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بَرِيدَةَ عَنْ ابْنِ الْخَطِيبِ الْأَسْلَمِيِّ قَالَ كَانَ حَيًّا مِنْ بَنِي لَيْثِ عَلِيِّ مَيْلِينَ مِنَ الْمَدِينَةِ فَجَاءَتْهُمْ رَجُلٌ وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ فَقَالَ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ كَسَانِي هَذِهِ الْحُلَّةَ وَأَمَرَنِي أَنْ أَحْكُمَ فِي دِمَائِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ بِمَا أَرَى وَكَانَ قَدْ خَطَبَ مِنْهُمْ إِمْرَأَةً فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَلَمْ يَزُوجُوهُ فَانْطَلَقَ حَتَّى نَزَلَ عَلَيَّ تِلْكَ الْمَرْأَةُ فَارْسَلُوا إِلَيَّ رَسُولَ اللَّهِ

فَقَالَ ﷺ كَذَبَ عَدُوُّ اللَّهِ ثُمَّ أَرْسَلَ رَجُلًا فَقَالَ: إِنْ وَجَدْتَهُ حَيًّا وَلَا أَرَاكَ تَجِدُهُ فَاضْرِبْ عُنُقَهُ وَإِنْ وَجَدْتَهُ مَيِّتًا فَاحْرِقْهُ بِالنَّارِ.

وَأَخْرَجَ ابْنَ سَعْدٍ فِي الطَّبَقَاتِ وَالطَّبْرَانِيَّ عَنِ الْمُقْنَعِ التَّمِيمِيِّ قَالَ أَتَيْتُ النَّبِيَّ بِصَدَقَةٍ إِبِلِنَا فَامَرَ بِهَا فِقْبِضَتْ فَقُلْتُ إِنَّ فِيهَا نَاقَتَيْنِ هَدِيَّةً لَكَ فَامَرَ بِعَزْلِ الْهَدِيَّةِ عَنِ الصَّدَقَةِ فَمَكَّنْتُ أَيَّامًا وَخَاضَ النَّاسُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ بَاعَتْ خَالِدُ ابْنُ الْوَلِيدِ إِلَى رَقِيقٍ مُضَرٍّ فَمُصَدِّقَهُمْ فَقُلْتُ وَاللَّهِ مَا عِنْدَ أَهْلِنَا مِنْ مَالٍ فَاتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَقُلْتُ لَهُ إِنَّ النَّاسَ خَاضُوا فِي كَذَا وَكَذَا فَرَفَعَ النَّبِيُّ يَدَيْهِ حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى بَيَاضِ إِبْطِهِ وَقَالَ اللَّهُمَّ لَا أَجَلَ لَهُمْ إِنْ يَكْذِبُوا عَلَيَّ قَالَ الْمُقْنَعُ فَلَمْ أَحَدِّثْ بِحَدِيثٍ عَنِ النَّبِيِّ إِلَّا حَدِيثًا نَطَقَ بِهِ كِتَابٌ أَوْ جَرَتْ بِهِ سُنَّةٌ إِنْتَهَى قَالَ صَاحِبُ الْكِتَابِ بَعْدَ نَقْلِهِ هَذَا مَا لَفْظُهُ:

وَهَذَا لِمَنْ يَكْذِبُ عَلَيْهِ فِي حَيَاتِهِ فَكَيْفَ بَعْدَ مَوْتِهِ وَالْأَخْبَارُ فِي ذَلِكَ كَثِيرَةٌ. وَإِذَا كَانَ قَدْ كَذَبَ عَلَيْهِ فِي حَيَاتِهِ فَإِنَّ الْكُذْبَ قَدْ كَثُرَ عَلَيْهِ وَنَشَأَ بَعْدَ وَفَاتِهِ كَمَا رَوَى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ: إِنَّا كُنَّا نَحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ إِذْ لَمْ يَكُنْ يَكْذِبُ عَلَيْهِ فَلَمَّا رَكِبَ النَّاسُ الصَّعْبَةَ وَالذَّلُولَ تَرَكْنَا الْحَدِيثَ عَنْهُ.

وَجَاءَ بِشِيرِ ابْنِ كَعْبِ الْعَدَوِيِّ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ فَجَعَلَ يُحَدِّثُ وَيَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ قَالَ: قَالَ: فَجَعَلَ ابْنُ عَبَّاسٍ لَا يَأْذَنُ لِحَدِيثِهِ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِ فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ مَالِي أَرَاكَ لَا تَسْمَعُ لِحَدِيثِي أُحَدِّثُكَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا تَسْمَعُ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ إِنَّا كُنَّا مَدَّةً، إِذَا سَمِعْنَا رَجُلًا يَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ابْتَدَرْنَا أَبْصَارَنَا وَأَصْغَيْنَا بِأَذَانِنَا فَلَمَّا رَكِبَ النَّاسُ الصَّعْبَةَ وَالذَّلُولَ لَمْ نَأْخُذْ مِنَ النَّاسِ إِلَّا مَا نَعْرِفُ.

وَالْأَخْبَارُ بِذَلِكَ كَثِيرَةٌ كُلُّهَا قَدْ دَلَّتْ عَلَيَّ أَنَّ بَعْضَ النَّاسِ قَدْ كَذَبَ عَلَيْهِ ﷺ فِي حَيَاتِهِ وَبَعْدَ مَمَاتِهِ وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ مِنْ أَهْلِ الْبِدْعِ وَالْأَهْوَاءِ وَأَعْدَاءِ الدِّينِ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَغَيْرِهِمْ وَإِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ مِنَ الْمُدَّعِينَ لِلْإِسْلَامِ وَسَتَقْفُ عَلَيَّ ذَلِكَ إِِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى وَيَكْفِيكَ فِي ذَلِكَ حَدِيثُ الْمَشْهُورِ مِنْ أَنَّهُ ﷺ قَالَ:

نحن معاشر الأنبياء لا نُورَث ما تركناه صدقة فهذا الحديث قد رواه ابو بكر عن الرسول ﷺ ووافقه عليه من وافقه ولم ينقله احد من الثقات من المهاجرين والأنصار وهو مخالف للكتاب والسنة والعقل وقد انكره امير المؤمنين وسلمان وابو ذر وغيرهم من الأكارب وردته إبنته ﷺ فاطمة الزهراء كما في خطبتيها المشهورة ومع ذلك كله لم يُسمع منها ومنهم فاخذوا حَقَّها وحَقَّه وفعلوا ما فعلوا بالإسلام والمسلمين وهذا أوّل الكذب على رسول الله بعد مماته ثم بعد ذلك صار هذا رائجاً شائعاً بين الخلفاء وغيرهم في الوصول إلى مقاصدهم والبلوغ إلى آمالهم ولسنا فعلاً بصدد بيان ما صدر عن الخلفاء الثلاثة في ذلك ويكفيك في هذا أنهم كانوا قد استسوا هذا الأساس والذي نحن بصددده وهو كثرة الكذب على رسول الله بعد شهادة امير المؤمنين ﷺ فإن مدار البحث هو هذا فنقول.

إعلم: ان السياسة الأموية دخلت في هذا الأمر بعد شهادة امير المؤمنين ﷺ وأثرت فيه تأثيراً بالغاً فسخرته ليؤيد ما في حكمها وجعلته من اقوى الدعائم لإقامة بنائها وقد علا موج هذا الوضع السياسي وطغى ماؤه في عهد معاوية الذي اعان عليه وساعده بنفوذ وماله فلم يقف وضاع الحديث عند بيان فضله والإشارة بذكره بل امضوا في مناصرته والتعصّب له حتى رفعوا مقام الشام الذي يحكمه إلى درجة لم تبلغها مدينة الرسول ولا البلد الحرام التي وُلد فيه واسرفوا في ذلك إسرافاً كثيراً واكثروا حتى ألفت في ذلك مُصنّفات خاصة ومن امثلة هذا الوضع.

ما وضعته البكرية واخرجه ابن عساكر عن ابي هريرة قال: تباشرت الملائكة يوم بدر فقالوا اما ترون الصديق مع رسول الله في العريش.

واخرج الخطيب عن ابن عباس عن النبي ﷺ هبط عليّ جبرئيل ﷺ وعليه طنفسة وهو يتخلّل فقلت له يا جبرئيل ما هذا؟ قال إنّ الله امر الملائكة ان تتخلّل في السماء كتخلّل ابي بكر في الأرض...

واخرج ابو يعلى عن ابي هريرة قال رسول الله عرج بي إلى السماء فما مررتُ بسماء إلا وجدتُ فيها إسمي (محمد رسول الله) و ابو بكر الصديق خلفي...

واخرج ايضاً عن ابن عمر ان النبي قال إن الملائكة لتستحي من عثمان كما تستحي من الله ورسوله...

وفي حديث إن رسول الله ﷺ فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام...

وفي حديث ان صورتها قد جاءت النبي في سرقة من حرير مع جبرئيل وقال له هذه زوجتك في الدنيا والآخرة...

وفي حديث آخر خذوا نصف دينكم عن هذه الحميراء وفي آخر خذوا شطر دينكم منها...

اقول: ما نقلناه نقلناه عن كتاب الأضواء على السنة المحمدية ص ١٢٦ .  
ورؤي السيوطي في تاريخ الخلفاء احاديث كثيرة في فضائل الخلفاء كلها من الموضوعات...

منها: ما رواه عن الترمذي عن جابر ابن عبد الله انه قال: قال عمر لأبي بكر يا خير الناس بعد رسول الله ﷺ فقال ابو بكر اما إنك إن قلت ذلك فلقد سمعته ﷺ يقول ما طلعت الشمس على رجل خير من عمر إنتهى اقول يلزم منه ان يكون عمر افضل من الأنبياء والمرسلين من الأولين والآخرين كما هو ظاهر إطلاق الحديث وهو كما ترى دليل على كذب الحديث...

واخرج البخاري عن محمد ابن علي ابن ابي طالب قال قلت لأبي اي الناس خير بعد رسول الله ﷺ قال ابو بكر قلت ثم من قال عمر وخشيت ان يقول عثمان فقلت ثم انت قال ما انا إلا رجل من المسلمين إنتهى...

اقول: وجه كذب الحديث كونه منافياً لإجماع المسلمين على خلافه ولا سيما علماء الإسلام، وكونه على خلاف العقل والنقل وضرورة المذهب وقوله



❦ في الخُطبة الشَّقَشَقِيَّةِ اِما وَاللهُ لَقَدْ تَقَمَّصَهَا اِبْنُ اَبِي قِحاْفَةِ وَاِنَّهٗ لَيَعْلَمُ اَنَّ  
مَحَلِّيَّ مِنْهَا مَحَلَّ القُطْبِ مِنَ الرَّحَى الخِ وَقَدْ مَرَّ الكَلَامُ فِيهِ مَفْصَلًا.

واخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ وَالْحَاكِمُ عَنِ عُمَرَ اِبْنِ الخَطَّابِ قَالِ ابُو بَكْرٍ سَيِّدُنَا  
وَخَيْرُنَا وَاَحَبُّنَا اِلَى رَسُوْلِ اللهِ اِنْتَهَى...

واخْرَجَ اِبْنُ عَسَاكِرٍ عَنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ اِبْنِ اَبِي لَيْلَى اِنَّ عُمَرَ صَعِدَ المِنْبَرَ ثُمَّ  
قَالَ اِلَّا اِنَّ اَفْضَلَ هَذِهِ الِأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا ابُو بَكْرٍ فَمَنْ قَالَ غَيْرَ هَذَا فَهُوَ مُفْتَرٍ عَلَيْهِ  
مَا عَلَيَّ المُّفْتَرِي اِنْتَهَى...

واخْرَجَ اَيْضًا عَنِ اِبْنِ اَبِي لَيْلَى قَالِ: قَالَ عَلِيٌّ لَا يُفْضَلُنِي اِحْدٌ عَنِ ابِي بَكْرٍ  
وَعُمُرٍ اِلَّا جَلَدْتَهُ حَذَّ المُّفْتَرِي اِنْتَهَى...

واخْرَجَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ اِبْنُ حَمِيْدٍ فِي مَسْنَدِهِ وَاَبُو نَعِيْمٍ وَغَيْرُهُمَا مِنْ طَرُقِ  
عَنِ ابِي الدَّرْدَاءِ اَنَّ الرَّسُوْلَ اللهِ ﷺ قَالَ: مَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ وَلَا غَرَبَتْ عَلَيَّ  
اِحْدٌ اَفْضَلَ مِنْ ابِي بَكْرٍ الحَدِيْثِ...

وَقَدْ وَرَدَ اَيْضًا مِنْ حَدِيْثِ جَابِرٍ وَلَفْظُهُ مَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ عَلَيَّ اِحْدٍ مِنْكُمْ  
اَفْضَلَ مِنْهُ الحَدِيْثِ...

واخْرَجَ الطَّبْرَانِيُّ عَنِ سَلْمَةَ اِبْنِ الْاَكْوَعِ قَالِ: قَالَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ ابُو بَكْرٍ  
الصَّدِيْقُ خَيْرُ النَّاسِ...

وَفِي الْاَوْسَطِ عَنِ سَعْدِ اِبْنِ زُرَّارَةَ قَالِ رَسُوْلُ اللهِ اِنَّ رُوْحَ القُدُّسِ جِبْرِئِيْلُ  
اَخْبَرَنِي اَنَّ خَيْرَ اُمَّتِكَ بَعْدَكَ ابُو بَكْرٍ اِنْتَهَى...

واخْرَجَ الشَّيْخَانُ عَنِ عَمْرُو اِبْنِ الْعَاصِ قَالِ قُلْتُ يَا رَسُوْلَ اللهِ ﷺ اَيُّ  
النَّاسِ اَحَبُّ اِلَيْكَ قَالَ: عَائِشَةُ قُلْتُ مِنَ الرَّجَالِ قَالِ ابُوها قُلْتُ ثُمَّ مَنْ قَالَ ثُمَّ  
عُمُرُ اِبْنِ الخَطَّابِ...

واخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُ عَنِ اَنْسِ قَالِ قَالِ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ لِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ  
هَذَانِ سَيِّدَا كَهُوْلِ اَهْلِ الجَنَّةِ مِنَ الْاَوَّلِيْنَ وَالْآخِرِيْنَ اِلَّا التَّبِيِيْنَ وَالْمُرْسَلِيْنَ  
واخْرَجَ مِثْلَهُ عَنِ عَلِيٍّ اِنْتَهَى...

واخرج ابن سعيد عن الزهري قال قال رسول الله ﷺ لِحَسَّانِ بْنِ ثَابِتٍ  
 هَلْ قُلْتَ فِي أَبِي بَكْرٍ شَيْئاً قَالَ نَعَمْ فَقَالَ قُلْ وَأَنَا أَسْمَعُ فَقَالَ:  
 وَالثَّانِي إِثْنَيْنِ فِي الْغَارِ الْمُنِيفِ وَقَدْ  
 طَافَ الْعَدُوُّ بِهِ إِذْ صَعَدَ الْجَبَلَ  
 وَكَانَ حُبُّ رَسُولِ اللَّهِ قَدْ عَلِمُوا  
 مِنَ الْبَرِيَّةِ لَمْ يَعْدِلْ بِهِ رَجُلًا  
 فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ ثُمَّ قَالَ صَدَقْتَ يَا حَسَّانُ هُوَ  
 كَمَا قُلْتَ إِنْتَهَى...

اقول: من كان له أنس بشعر حَسَّانِ يَعْلَمُ قَطْعاً أَنَّ هَذَا لَيْسَ مِنْهُ بَلْ هُوَ كَذِبٌ  
 عَلَى رَسُولِ اللَّهِ وَعَلَى حَسَّانِ.

رَوَى أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَرْحَمُ أُمَّتِي  
 بِأُمَّتِي أَبُو بَكْرٍ، وَاشْتَدَّ هُمْ فِي أَمْرِ اللَّهِ عُمَرُ وَأَصْدَقَهُمْ حُبُّ عَثْمَانَ وَاعْلَمَهُمْ  
 بِالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ مَعَاذُ بَنِ جَبَلٍ، وَأَفْرَضَهُمْ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ وَأَقْرَاهُمْ أَبِي إِبْنِ  
 كَعْبٍ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينٌ وَأَمِينُ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَبُو عُبَيْدَةَ الْجَرَّاحُ وَسَاقَ الْحَدِيثَ إِلَى أَنْ  
 قَالَ وَمَعَاوِيَةَ إِبْنِ أَبِي سُفْيَانَ أَحْلَمُ أُمَّتِي وَأَجْوَدُهَا إِنْتَهَى تَارِيخُ الْخُلَفَاءِ ص  
 ...٤٥

اقول: هذا الذي ذكرناه ونقلناه عنه بعض ما ذكره في كتابه وإلا ففضائل أبي  
 بكر فيه كثيرة على لسان رسول الله وحيث إنجر الكلام إلى هذا المقام اعني  
 الكذب على الرسول فلا بأس بالإشارة إلى بعض ما ورد عنهم في الكذب على  
 الله أيضاً في أبي بكر.

قال صاحب تاريخ الخلفاء: فصل فيما انزل من الآيات في مدحه او  
 تصديقه او امر من شأنه، قال: أعلم أنني رأيت لبعضهم كتاباً في أسماء من نزل  
 فيهم القرآن غير محرر ولا مستوعب وقد ألف في ذلك كتاباً حافلاً مستوعباً  
 محرراً وأنا ألخص ما يتعلّق منه بالصديق ثم قال:

قال تعالى: (ثاني إثنتين في الغار) إلى قوله تعالى: (فانزل الله سكينته عليه) اجمع المسلمون على أن الصاحب أبو بكر وسياتي فيه اثر عنه واخرج ابن ابي حاتم عن ابن عباس من قوله تعالى (فانزل الله سكينته عليه) قال: علي ابي بكر إن النبي ﷺ لم تزل السكينة عليه إنتهى.

واخرج ابن ابي حاتم عن ابن مسعود أن ابا بكر إشتري بلالاً من امية ابن خلف وابن ابي خلف ببردة وعشرة اواق فاعتقه لله فانزل الله تعالى ﴿وَالْقِيلَ إِذَا يَفْشَى﴾<sup>(١)</sup> إلى قوله ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَى﴾<sup>(٢)</sup> إنتهى.

واخرج ابن جرير عن عامر ابن عبد الله ابن الزبير قال كان ابو بكر يعتق على الإسلام بمكة فكان يعتق عجائز ونساء إذا اسلمن فقال ابوه: اي بني اراك تعتق أناساً ضعافاً فلو أنك تعتق رجالاً جلدأ يقومون معك ويمنعون ويدفعون عنك قال اي ابي انا أريد ما عند الله قال فحدثني بعض أهل بيتي أن هذه الآية نزلت فيه (فأما من اعطى واتقى) إلى آخرها إنتهى.

واخرج ابن ابي حاتم والطبراني عن عروة أن ابا بكر الصديق اعتق سبعة كلهم يعذب في الله وفيه نزلت ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى﴾<sup>(٣)</sup> إلى آخر السورة إنتهى. واخرج البزاز عن عبد الله ابن الزبير قال نزلت هذه الآية ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى﴾<sup>(٤)</sup> إلى آخر السورة في ابي بكر إنتهى.

واخرج البزاز وابن عساكر عن اسيد ابن صفوان وكان له صحبة قال قال علي: (والذي جاء بالحق) هو محمد ﷺ (وصدق به) هو ابو بكر الصديق، قال ابن عساكر هكذا الرواية (بالحق) ولعلها قراءة لعلي إنتهى.

واخرج الحاكم عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾<sup>(٥)</sup> قال نزلت في ابي بكر وعمر إنتهى.

واخرج ابن ابي حاتم عن ابن شوذب قال نزلت ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ

٢- الليل - ٤

٤- الليل - ١٩

١- الليل - ١

٢- الليل - ١٧

٥- آل عمران - ١٥٩

جنتان» (١) في ابي بكر إنتهى.

واخرج الطبراني في الأوسط عن ابن عمر وابن عباس في قوله تعالى: (وصالح المؤمنين) نزلت في ابي بكر وعمر إنتهى.

واخرج عبد الله ابي حميد في تفسيره عن مجاهد قال لما نزلت ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ (٢) قال ابو بكر يا رسول الله ما انزل الله عليك خيراً إلا اشركتنا فيه فنزلت هذه الآية ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ﴾ (٣) إنتهى.

واخرج ابن عساكر عن علي بن الحسين ان هذه الآية نزلت في ابي بكر وعمر (ونزعنا ما في صدورهم من غل إخواناً على شُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ).

واخرج ابن عساكر عن ابن عباس قال نزلت في ابي بكر الصديق (ووصينا الإنسان بالديه إحساناً) إلى قوله: ﴿وَعَدَّ الصَّدِيقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ (٤) إنتهى.

واخرج ابن عساكر ابن عينة قال عاتب الله المسلمين كلهم في رسول الله ﷺ إلا ابا بكر وحده فإنه خرج من المعاتبه ثم قرأ ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ﴾ (٥) إلى قوله (في الغار) إنتهى.

اقول: الكلام فيه طويل والموضوعات اكثر من ان تحصى وسياتي بعض فضائله في البحث عن فضائل عمر هذا كله في ما وضعوه لأبي بكر في عهد معاوية وبعده تقرباً إليه.

واما الكذب على الرسول في ما ورد في عمر بزعمهم فهو ايضاً كثير ونحن نشير إلى بعضه.

اخرج الشيخان عن ابي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ بينا انا نائم رايتني في الجنة فإذا امرأة تتوضأ إلى جانب قصرٍ قلت لمن هذا القصر قالوا لعمر فذكرت غيرتك فوليت مدبراً فبكتي عمر وقال عليك اغار يا رسول الله إنتهى...

اقول: إنظروا يا اهل الإنصاف إلى هذا الحديث القبيح المَلْحُون فكان  
الواضع له لم يكن من اهل العلم والأدب فضلاً من ان يكون له حَظٌّ في الدين.  
واخرج الشيخان عن ابن عمر ان رسول الله ﷺ قال بيّنا انا نائم شربت  
يعني اللبن حتّى انظر الرّي في اظفاري ثمّ ناولته عمر قالوا فما اولته يا  
رسول الله قال ﷺ العلم انتهى...

واخرج الشيخان عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال سمعتُ رسول الله ﷺ يقول  
يقول بيّنا انا نائم رايت الناس عَرَضُوا عَلَيَّ وعلیهم قَمُصٌ فمنها ما يبلغ التّدي  
ومنها ما يبلغ دون ذلك وعَرَضَ عَلَيَّ عُمر وعلیه قَمِيصٌ قالوا فما اولته يا  
رسول الله قال ﷺ الدين انتهى...

واخرج الشّیخان عن سعد ابن ابي وقاص قال قال رسول الله ﷺ يا ابن  
الخطاب والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان سالكاً فجاً قط إلا سلّك فجاً غير  
فجك انتهى...

واخرج البخاري عن ابي هريرة قال قال رسول الله ﷺ لقد كان فيما  
قبلكم أمم (من الأمم) مُحدّثون فإن يكن في أمتي احد فإنه عُمر قال صاحب  
الكتاب اي مُلهمون انتهى...

واخرج الترمذي عن ابن عمر ان رسول الله ﷺ قال إنّ الله جعل الحقّ  
على لسان عمر وقلبه قال ابن عمر ما نزل بالناس امرٌ قطّ فقالوا وقال إلا نزل  
القرآن على نحو ما قال عُمر انتهى...

اقول: ولعلّ قول عُمر الذي نزل القرآن عليه قوله كلّ الناس أفقه من عُمر  
حتّى المُحدّرات في الحجال.

واخرج الترمذي والحاكم وصحّحه عن عقبه ابن عامر قال رسول الله  
ﷺ لو كان بعدي نبيّ لكان عُمر ابن خطاب واخرجه الطبراني عن ابي  
سعيد وعصمة ابن مالك واخرجه ابن عساكر عن ابن عمر انتهى...

واخرج الترمذي عن عائشة قالت قال رسول الله ﷺ إنّي لأنظر إلى

شياطين الجنّ والانس قد قرؤوا من عمر انتهى...

واخرج ابن ماجة والحاكم عن أبي ابن كعب قال قال رسول الله ﷺ أوّل من يصافحه الحقّ عُمر وأوّل من يُسَلِّم عليه وأوّل من يأخذ بيده فيدخل الجنّة انتهى...

واخرج ابن ماجة والحاكم عن ابي ذرّ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول إنّ الله وضع الحقّ على لسان عُمر يقول به انتهى...  
واخرج ابن فيسع في مسنده عن عليّ قال كنتا اصحاب محمد لا نشك انّ السكينة تنطق على لسان عمر انتهى...

واخرج البرزّاز عن قدامة ابن مظعون عن عمّه عثمان ابن مظعون قال قال رسول الله ﷺ هذا غلق الفتنة وأشار بيده إلى عُمر لا يزال بينكم وبين الفتنة باب شديد الغلق ما عاش هذا بين أظهركم انتهى...

واخرج البرزّاز عن ابن عمر قال رسول الله ﷺ عمر سراج اهل الجنّة، واخرجه ابن عساكر عن ابي هريرة انتهى...

واخرج الطبراني في الأوسط عن ابن عباس قال جاء جبرئيل إلى النبي ﷺ فقال اقرأ عُمر السّلام واخبره انّ غضبه عزّ ورضاه حكم انتهى...  
واخرج ابن عساكر عن عائشة انّ النبي ﷺ قال إنّ الشيطان يفرق من عمر انتهى وفي آخر ليفرق منك يا عمر...

واخرج ابن عساكر عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ ما في السّماء ملك إلّا وهو يؤقّر عُمر ولا في الأرض شيطان إلّا وهو يفرق من عُمر انتهى...  
واخرج الطبراني في الأوسط عن ابي هريرة قال رسول الله ﷺ إنّ الله باهى باهل عرّفة عامّة وباهى بعُمر خاصّة انتهى...

واخرج الطبراني والديلمي عن الفضل ابن عباس قال رسول الله ﷺ الحقّ بعدي مع عُمر حيث كان انتهى...

واخرج الطبراني عن سديسة قالت قال رسول الله ﷺ إنّ الشيطان لم

يلق عُمر منذ اسلم إلا خَرَّ لوجهه انتهى...

واخرج الطبراني عن ابي ابن كعب قال رسول الله قال لي جبرئيل ليبيك الإسلام على موت عُمر انتهى...

واخرج ايضاً في الأوسط عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله ﷺ من ابغض عمر فقد ابغضني ومن احبَّ عمر فقد احببني وانَّ الله باهى بالناس عشية عَرَفة عامَّة وباهى بعُمر خاصَّة وانَّه لم يبعث الله نبياً إلا كان في أمته مُحَدَّث وإن يكن في أمتي منهم احد فهو عُمر قالوا يا رسول الله كيف مُحَدَّث قال ﷺ يتكلم الملائكة على لسانه، قال إسناده حسن انتهى تاريخ الخلفاء ص ١١٦ الى ص ١٢٠....

اقول: المَجْعُولَات بهذه المضامين كثيرة في كتب القوم وفيما ذكرناه في عمر كفاية والتفصيل يطلب منها واما الموضوعات في عثمان ابن عفان:

اخرج الشيخان عن عائشة انَّ النبي ﷺ جمع ثيابه حين دَخَلَ عثمان وقال ﷺ الا استحي من رجلٍ تَسْتَحِي منه الملائكة انتهى...

واخرج الترمذي والحاكم عن عائشة انَّ النبي ﷺ قال يا عثمان إنَّه لعلَّ الله يَقْمُصُك قميصاً فإن ارادك المُنافقون على خلعه فلا تخلعه حتَّى تلقاني انتهى...

واخرج الحاكم عن ابي هريرة قال إشتري عثمان الجنة من النبي ﷺ مرَّتين حيث حَفَر بئر رومة وحيث جَهَّز جيش العُسرة انتهى اقول يظهر منه انَّ النبي ﷺ كان يبيع الجنة وهو عجيب...

واخرج ابن عساكر عن ابي هريرة انَّ النبي قال عثمان من اشبه اصحابي بي خَلَقاً انتهى...

واخرج الطبراني عن عصمة ابن مالك قال لما ماتت بنت رسول الله ﷺ تحت عثمان قال رسول الله ﷺ زوّجوا عثمان لو كان لي ثالثة لزوَّجته وما زوّجته إلا بالوحي من الله انتهى...

واخرج ابن عساكر عن علي قال سمعتُ النبي ﷺ يقول لعثمان لو ان لي اربعين ابنة زوجتك واحدة بعد واحدة حتى لا يبقى من هنّ واحدة انتهى...  
اقول: يظهر من هذا الحديث ان رسول الله ﷺ كان كاذباً في قوله حيث لم يزوج ابنتها فاطمة ﷺ إياه مضافاً إلى ان اصل القضية اعني كون عثمان جَهَّز لرسول الله محلّ إشكال بل منع إذ لم نجد بعد الفحص الكامل ما يدلّ إثباتها وللکلام فيها موضع آخر.

واخرج ابن عساكر عن زيد ابن ثابت قال سمعتُ رسول الله ﷺ يقول مرّ بي عثمان وعندي ملك من الملائكة فقال شهيد يقتله قومه إنا نستحي منه انتهى...

واخرج ابو يعلى عن ابن عمر ان النبي ﷺ قال إن الملائكة لتستحي من عثمان كما تستحي من الله ورسوله انتهى...

واخرج ابن عساكر عن أسامة ابن زيد قال بعثني رسول الله إلى منزل عثمان بصحفة فيها لحم فدخلت فإذا رقية ﷺ جالسة فجعلت مرّة انظر إلى وجه رقية ومرّة انظر إلى وجه عثمان فلما رجعت سألني رسول الله ﷺ قال لي دخلت عليهما قلت نعم قال ﷺ فهل رايت زوجاً احسن منها قلت لا انتهى...

اقول: أنظروا معاشر المسلمين إلى هذه المجعولات التي يستحي الإنسان عن نقلها وذكرها والتلفظ بها ولست ادري من لَفَّقَهَا ألم يكن مانوساً بلغة العرب وقواعد الأدب فضلاً عن بُعدهِ عن الدين والعقل والإنسانيّة ولو لا مخافة الإطناب وتضييع الوقت لنقلنا في هذا الكتاب من مصادره ما اوجب لك الدهشة والوحشة ولكنّ السكوت اولي.

وامّا ما وضعوه في معاوية.

اخرج الترمذي ان النبي قال لمعاوية اللهم اجعله هادياً مهدياً انتهى...

وفي حديث آخر قال ﷺ اللهم علمه الكتاب والحساب وقه العذاب



وَادْخُلْهُ الْجَنَّةَ أَنْتَهَى...

وَأَمَّا مَا وَضَعُوهُ فِي الشَّامِ:

رَوَى أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ وَالْبَغْوِيُّ وَالطَّبْرَانِيُّ وَغَيْرُهُمْ: عَلَيْكُمْ بِالشَّامِ فَإِنَّهَا خَيْرَةٌ لِلَّهِ فِي أَرْضِهِ يُجْتَبَى إِلَيْهَا خَيْرَتُهُ مِنْ عِبَادِهِ إِنَّ اللَّهَ قَدْ تَوَكَّلَ بِالشَّامِ وَاهْلِهِ...

وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ الشَّامِ صَفْوَةٌ لِلَّهِ فِي بِلَادِهِ يُجْتَبَى إِلَيْهَا صَفْوَتُهُ مِنْ عِبَادِهِ فَمَنْ خَرَجَ مِنَ الشَّامِ إِلَى غَيْرِهَا فَبَسْخَطَهُ وَمَنْ دَخَلَهَا مِنْ غَيْرِهَا فَبِرَحْمَتِهِ... وَرَوَى الْبَهَيْقِيُّ فِي الدَّلَائِلِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ مَرْفُوعًا: الْخِلَافَةُ بِالْمَدِينَةِ وَالْمَلِكُ بِالشَّامِ...

وَعَنْ كَعْبِ الْأَحْبَارِ أَهْلَ الشَّامِ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ يَنْتَقِمُ اللَّهُ بِهِمْ مِمَّنْ عَصَاهُ...

وَفِي حَدِيثٍ سَتَفْتَحُ عَلَيْكُمْ الشَّامَ فَإِذَا خَيْرْتُمُ الْمَنَازِلَ فِيهَا فَعَلَيْكُمْ بِمَدِينَةِ يُقَالُ لَهَا دِمَشْقٌ وَهِيَ حَاضِرَةُ الْأُمَوِيِّينَ فَإِنَّهَا مَعْقَلُ الْمُسْلِمِينَ فِي الْمَلْحَمِ وَفَسْطَاطُهَا مِنْهَا بَارِضٌ يُقَالُ لَهَا الْغُوطَةُ...

وَقَدْ جَعَلُوا دِمَشْقَ هَذِهِ هِيَ الرَّبْوَةُ الَّتِي ذَكَرْتَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ: ﴿وَأَوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾<sup>(١)</sup> وَقَدْ جَعَلَهَا أَبُو هُرَيْرَةَ مِنْ مَدَائِنِ الْجَنَّةِ فِي حَدِيثٍ رَفَعَهُ إِلَى النَّبِيِّ هَذَا نَصُّهُ:

أَرْبَعُ مَدَائِنَ مِنْ مَدَائِنِ الْجَنَّةِ مَكَّةُ وَمَدِينَةُ وَبَيْتُ الْمَقْدَسِ وَدِمَشْقُ، وَأَمَّا مَدَائِنُ النَّارِ فَالْقُسْطَنْطِينِيَّةُ وَطَبْرِيَّةُ وَأَنْطَاكِيَّةُ وَصَنْعَاءُ.

وَرَوَى الْوَاقِدِيُّ أَنَّ مُعَاوِيَةَ لَمَّا عَادَ مِنَ الْعِرَاقِ إِلَى الشَّامِ بَعْدَ صَلَاحِ الْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ خَطَبَ فَقَالَ أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ إِنَّكَ سَتَلِي الْخِلَافَةَ مِنْ بَعْدِي فَاخْتَرِ الْأَرْضَ الْمَقْدَسَةَ فَإِنَّ فِيهَا الْأَبْدَالَ وَقَدْ أَخْبَرْتُكُمْ فَاذْعَبُوا أَمَا تَرَابُ أَيُّ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ.

فلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ كَتَبَ كِتَابًا ثُمَّ جَمَعَهُمْ وَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ وَفِيهِ هَذَا كِتَابٌ كَتَبَهُ  
أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مَعَاوِيَةَ صَاحِبَ وَحْيِ اللَّهِ الَّذِي بَعَثَ مُحَمَّدًا نَبِيًّا وَكَانَ أَمِيًّا لَا  
يَقْرَأُ وَلَا يَكْتُبُ فَاِصْطَفَى لَهُ مِنْ أَهْلِهِ وَزِيرًا كَاتِبًا أَمِينًا فَكَانَ الْوَحْيُ يَنْزِلُ عَلَى  
مُحَمَّدٍ وَأَنَا أَكْتُبُهُ وَهُوَ لَا يَعْلَمُ مَا أَكْتُبُ فَلَمْ يَكُنْ بَيْنِي وَبَيْنَ اللَّهِ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِهِ  
فَقَالَ الْحَاضِرُونَ صَدَقْتَ أَنْتَهَى

اقول: لم يكن معاوية في كتاب الوحي ولا خط بقلمه لفظة واحدة من  
القرآن كما عليه اهل التحقيق فلَعَنَهُ اللهُ عليه وعلى مُحبيهِ مؤلف.  
ومما وضعوه في بني العباس رسولتهم:

وروى البرزّان عن ابي هريرة انّ رسول الله ﷺ قال للعبّاس فيكم البتوة  
والمملكة...

وروى الترمذي عن ابن عبّاس انّ رسول الله ﷺ دعا للعبّاس بدعاء قال  
فيه وإجعل الخلافة باقية في عقبه...

وروى الطبراني قال رسول الله ﷺ الخلافة في وُدِّ عَمِّي وصَبُو ابي  
حَتَّى يُسَلِّمُوا إِلَيَّ الْمَسِيحَ...

وروى احمد عن ابي سعيد الخدري قال رسول الله ﷺ يخرج رجل من  
اهل بيتي عند إنقطاع الزّمان وظهور الفتن يقال له السّفاح انتهى الأضواء على  
السّنة المحمّدية ص ١٣٥...

اقول: الأحاديث الموضوعية في الباب كثيرة إن شئت الإطلاع على كثير منها  
فعليك بالكتاب المذكور اعني الأضواء على السّنة المحمّدية فإنك تجده  
مَشْحُونًا بِهَا ضَاعَفَ اللَّهُ أَجْرَ مُؤَلِّفِهِ.

هذا كلّهُ في الأكاذيب الواردة في غير الأحكام الشرعية وأما الموضوعات  
فيها فلا تُحصَى جَدًّا وَذَلِكَ لِأَنَّ الدَّوَاعِيَ فِي إِدْخَالِ مَا لَيْسَ مِنَ الدِّينِ فِي  
الدِّينِ كَانَتْ أَكْثَرَ مِنْ جَعْلِ الْفَضَائِلِ لِلْأَمْرَاءِ وَالْحُكَّامِ وَحَيْثُ إِنَّ الْكَلَامَ بِذِكْرِهَا  
يُوجِبُ الْأَطْنَابَ الْمَمِيلَ فَلَا مَحَالَةَ اعْرَاضَنَا عَنِ التَّعَرُّضِ لَهَا وَأَمَّا الْكُذْبُ عَلَى اللَّهِ

فالتفاسير المَجْعولة من اقوى الشواهد عليه وبالجملة هذه السيرة السياسية قد  
 استمرت إلى زماننا هذا فنسمع بأذانا الكذب على الله ورسوله وإن البدع التي  
 أحدثوها هي الإسلام الواقعي الذي أمر الله رسوله به اعادنا الله من هذه  
 الوساس الشيطانية ولعنة الله على من أسس هذا الأساس ومن تابعه إلى يوم  
 القيمة أمين يا رب العالمين.

□ قوله ﷺ: وَلَيْسَ عِنْدَ أَهْلِ ذَلِكَ الزَّمَانِ سِلْعَةٌ أَبْوَرُ مِنَ الْكِتَابِ إِذَا تُلِيَ حَقٌّ  
 تِلَاوَتِهِ...

اي ليس عند اهل ذلك الزمان الذي كثر فيه الكذب على الله ورسوله سلعة  
 ومتاع ابور وأكسد وأفسد من كتاب الله إذا تلي الكتاب حق تلاوته وذلك لأن  
 أهل الزمان يقولون هذا ليس من الكتاب بشئ يكون الكتاب عندهم غير ما هو  
 عند غيرهم او لأن الكتاب إذا تلي حق تلاوته وفسر بما هو الحق واقعاً لا  
 ينفعهم بل يضرهم لكونه على خلاف مقصدهم ومرامهم.

□ قوله ﷺ: وَلَا أَنْفَقَ مِنْهُ إِذَا حُرِّفَ عَنْ مَوَاضِعِهِ...

وذلك لأن تحريف الكتاب وتطبيقه على مقاصدهم الكثيفة يوجب تشييد  
 مبانيهم وتحكيم مقاصدهم فيقول الظالم ما نقول إلا ما قال الله تعالى في كتابه  
 ومن خالفنا فقد خالف القرآن ومن خالف القرآن فهو غير مسلم يجب قتله  
 لكونه مفسداً في الأرض مخالفاً للدين وهذا المنطق يؤثر في إفهام العوام أثراً  
 بليغاً وإذا تفحصنا وتتبعنا التواريخ نعلم علماً قطعياً بأن هذا الأصل صار موجباً  
 وسبباً لقتل الأخيار وحبس الصلحاء، والأبرار.

□ قوله ﷺ: وَلَا فِي الْبِلَادِ شَيْءٌ أَنْكَرَ مِنَ الْمَعْرُوفِ وَلَا أَعْرَفَ مِنَ الْمُنْكَرِ...

اي في ذلك الزمان يصير المعروف منكراً والمنكر معروفاً وهو ايضاً حق لا  
 مرية فيه فإن الكتاب إذا حُرِّفَ عن مواضعه وشاع الكذب على الله ورسوله فلا  
 محالة يصير المعروف منكراً والمنكر معروفاً إذ لا نعني بالمعروف إلا ما قال  
 الله ورسوله وبالمُنكر خلافه ومع تحريف الكتاب والكذب على الله ورسوله  
 يتقلب الأمر.

□ قوله ﷺ: فَقَدْ نَبَذَ الْكِتَابَ حَمَلْتُهُ وَتَنَاسَاهُ حَفِظْتُهُ...

اي فقد نبذوا الكتاب وراء ظهورهم بإعراضهم عنه وغفلوا عن إتباعه بإمتثال اوامره ونواهيه.

□ قوله ﷺ: فَالْكِتَابُ يَوْمِيذٍ وَأَهْلُهُ طَرِيدَانِ مَنْفِيَّانِ وَصَاحِبَانِ مُصْطَحِبَانِ فِي طَرِيقٍ وَاحِدٍ لَا يُؤْوِيهِمَا...

الفاء للتفريع اي إذا كان الأمر على هذا المنوال فلا محالة يكون الكتاب واهله طريدان عن الاجتماع منفيان عن البلاد بالعمل بل هما يقعان في طريق آخر غير طريق الناس لا ينصرهما أحد ولا يكون لهما ملجأ ولا ملاذ وهو كناية عن كونهما غريبين بلا معين ولا ناصر كما قال ﷺ بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً.

□ قوله ﷺ: فَالْكِتَابُ وَأَهْلُهُ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ فِي النَّاسِ وَلَيْسَا فِيهِمْ وَمَعَهُمْ وَلَيْسَا مَعَهُمْ...

وهذه نتيجة أخرى مترتبة على ما قبلها اي إذا كان الكتاب واهله طريدان إلى آخر ما قال ﷺ فيكونان في الناس بحسب الظاهر وليسا فيهم واقعاً ومع الناس ظاهراً ولا معهم واقعاً.

أما كونهما في الناس ومع الناس ظاهراً فهو واضح وأما أنهم ليسا فيهم ومعهم واقعاً لأن الكتاب للعمل به واهل الكتاب ينبغي ان يؤخذ بقولهم فإذا فرضنا كون الكتاب موجوداً في الناس ولا يعملون به واهل الكتاب ايضاً موجودون ولا يعمل بقولهم فكأنما ليسا فيهم ومعهم لعدم ترتب الأثر على وجودهما وبعبارة أخرى ما الفرق بين الشيء مع عدم الاستفادة منه وعدمه بل الوجود إذا كان بلا اثر فعدمه أولى ولهذا قال ﷺ.

□ قوله ﷺ: لِأَنَّ الضَّلَالََةَ لَا تُوَافِقُ الْهُدَى وَإِنْ اجْتَمَعَا...

ثم علل ﷺ ما ذكره بما حاصله ان الضلالة لا توافق الهدى وإن اجتمعا ظاهراً وجه الإستدلال ان المخالف للكتاب على طريق الضلالة وموافقه على

الهداية وهما اعني المخالف والموافق لا يمكن توافقهما في امر الدين وإن  
اجتمعا ظاهراً في مكان واحد فإن الاجتماع البدني غير الموافقة القلبية التي  
هي الملاك في الإعتصام بحبل الله تعالى.

□ قوله عليه السلام: فَاجْتَمَعَ الْقَوْمُ عَلَى الْفُرْقَةِ وَافْتَرَقُوا عَنِ الْجَمَاعَةِ...

المراد بالقوم هو معاوية واصحابه او كل من خالفه والمقصود بالجماعة هو  
عليه السلام واصحابه والمعنى ان المخالفين اجتمعوا واتفقوا على الفرقة وافترقوا عن  
حزب الله فسلكوا مسلكاً آخر غير مسلك اهل الحق وليس المراد بالفرقة  
الفرقة بينهم وبالافتراق افتراقهم عن كل جماعة ضرورة انهم لم يكونوا كذلك  
بل المراد انهم اختلفوا على الباطل وافترقوا على الحق.

□ قوله عليه السلام: كَانَتْهُمْ اَئِمَّةُ الْكِتَابِ وَلَيْسَ الْكِتَابُ اِمَامَهُمْ...

اي كان القوم ائمة الكتاب وذلك لأن الإمام عبارة عما يقتدى به في العلم  
والعمل فلو كان الكتاب إمامهم لينبغي الاقتداء منهم به في دينهم ودنياهم  
وحيث إن الأمر كان بالعكس فلم يقتدوا به بل جعلوا الكتاب تابعاً لأرائهم  
ومقاصدهم فصاروا كأنهم ائمة الكتاب.

□ قوله عليه السلام: فَلَمْ يَبْقَ عِنْدَهُمْ مِنْهُ إِلَّا اِسْمُهُ وَلَا يَعْرِفُونَ إِلَّا خَطَّهُ وَزَبْرَهُ...

اي لم يبق عند هؤلاء المنافقين من القرآن إلا اسمه ولا يعرفون إلا خطه  
وزبره من الفتح والكسر والضّم وغيرها مما يتعلّق بإعراب الكلمات والوقف  
والحركة وامثالها ولا شك ان هذه الأمور متعلّق بالألفاظ وكيفية القراءة وأما  
المقصود والمراد من الآية فشيء آخر ومعلوم ان اللفظ إنما جيء به ليدرك المعنى  
فهو غير مقصود بذاته.

□ قوله عليه السلام: وَمِنْ قَبْلُ مَا مَثَلُوا بِالصَّالِحِينَ كُلِّ مَثَلَةٍ وَسَمَّوْا صِدْقَهُمْ عَلَى اللَّهِ  
فُرْيَةً وَجَعَلُوا فِي الْحَسَنَةِ عُقُوبَةَ السَّيِّئَةِ...

كلمة ما مصدرية والتقدير من قبل ذلك يمثلهم بالصالحين وتشنيعهم عباده  
الأخيار كل تمثيل وشنعة وكلمة ذلك المقدرة إما إشارة إلى زمان التكلم وإما

إشارة إلى الزمان المستقبل الذي أخبر ﷺ به والثاني أولى فإن كلمة (ذلك) للإشارة إلى البعيد وقد يشار بها إلى القريب تنزيلاً لها منزلة البعيد كقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾<sup>(١)</sup> والحاصل أن المعنى على الأول هو أنهم قبل ذلك الزمان الذي نحن فيه قد تمثلوا بالصالحين كل مثله وعليه فهو اعني التمثيل إشارة إلى عهد الخلفاء الثلاثة حيث شنعوا على الصحابة بما لا يخفى على احد.

وعلى الثاني فالمعنى أن قبل زمان الذي اخبرت عنه في المستقبل كعهد بني العباس وبعدهم كانوا كذلك وعليه فهو إشارة إلى حكومة بني أمية التي كانت قبل بني العباس وخلاصة الكلام أن ما ذكرناه واخبرناه من أنه سيأتي عليكم كذا وكذا لا يختص بذلك الزمان بل قبل ذلك الزمان ايضاً كانوا كذلك ففعلوا بالصالحاء والأخيار ما فعلوا من التشنيعات والعقوبات من صدر الخلافة فكانه ﷺ أخبر به للدلالة على أن ما سيفعلون في المستقبل إنما هو من فروع هذا الأصل فإن الكتاب من يوم السقيفة صار مهجوراً متروكاً ودماء المؤمنين واعراضهم واموالهم مهدوراً هذا واما قوله ﷺ: وَسَمَّوْا صِدْقَهُمْ عَلَى اللَّهِ فِرْيَةً، اي سَمَّوْا هولاء المنافقون صدق اولياء الله فريّة وكذباً فلم يقبلوا قولهم كما هو واضح الا ترى ان عثمان رمى عمّاراً وابدأ بالكذب والبّهتان وفعل بهما ما فعل من نفي ابادر عن المدينة وضرب عمّار حتى حدث به الفتق مع انهما من خيار الأصحاب وصدقهم بشهادة النبي وهكذا ابن مسعود وامثالهم واما معاوية لعنه الله فلا حاجة إلى ذكر افعاله الشنيعة في حكومته الطاغوتية و.

وقوله ﷺ: فِي الْحَسَنَةِ عُقُوبَةُ السَّيِّئَةِ، إشارة إلى أنهم بغلبة الشرور على طبايعهم جازوا صفات الصالحين جزاء السيئات فعاقبواهم عليها وعذبواهم بها مع عدم إستحقاقهم له وذلك لأن الحسنات من الأعمال التي تصدر عن المحسنين تعدّ عند الأشرار من السيئات لكونها على خلاف مصالحهم

وآمالهم وسياساتهم كما أنّ السيئات منها من الكذب والخيانة والظلم وامثالهم تعدّ عندهم من الحسنات لكونها موافقة لمآرائهم واميالهم وعليه فيكون جزاء الحسنات السيئات وجزاء السيئات الحسنات وهذا هو الأصل في اساس الحكومة الشيطانية كما نرى في زماننا هذا.

□ قوله ﷺ: وَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِطُولِ آمَالِهِمْ وَتَغْيِبِ آجَالِهِمْ...

والمقصود أنّ منشا الهلاكة في الأمم الماضية امثال قوم عاد وقوم لوط كان طول الأمل وتغيّب الأجل أما طول الأمل فينسي الآخرة وإذا كان الإنسان غافلاً عنها فلا يعمل لها وأما تغيّب الأجل اعني الغفلة عن الموت فيوجب الركون على الدنيا وما فيها والإعتماد على حوادثها الفانية الدائرة من المال والمقام وغيرهما ولازم هذين الأصليين عدم التوجه بالمبدء والمعاد ومن المعلوم أنّ هذا يوجب خسران الدنيا والآخرة.

وأما إذا كان الأمل قصيراً والأجل في مدّ نظره فلا يغفل عن عمله وقوله طرفة عين ابداً لأنه يرى نفسه مُشرفاً على الموت ومن كان كذلك يكون عمله مضبوطاً لا يفعل ما يشاء بل يفعل ما شاء الله ولا يقول إلا الحق فيعيش سعيداً ويموت سعيداً.

□ قوله ﷺ: حَتَّى نَزَلَ بِهِمُ الْمَوْعُودُ الَّذِي تُرَدُّ عَنْهُ الْمَعْدِرَةُ وَتُرْفَعُ عَنْهُ التَّوْبَةُ وَتَحُلُّ مَعَهُ الْقَارِعَةُ وَالنَّقِمَةُ...

اي لما كانت الأمم الماضية موصوفين بالوصفين المذكورين اعني طول الأمل وتغيّب الأجل نزل بهم من عند الله تعالى العذاب الموعود الذي لا يقبل العذر والتوبة وتحلّ معه القارعة والنقمة وقد حملوا الموعود على الموت في شروحههم ولا مشاخة فيه والأحسن ما ذكرناه والحاصل أنّ الموعود اعني العذاب او الموت إذا انزل يسند به باب الإعتذار والتوبة وتحلّ معه المصيبة والفرع وتبتعها النقمة والنكال بعد الموت.

فقوله ﷺ: الَّذِي تُرَدُّ عَنْهُ الْمَعْدِرَةُ إشارة إلى قوله تعالى: ﴿هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ

وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿١﴾

و: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ﴾ (٢)

و: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ (٣)

وقوله ﷻ: وَتُرْفَعُ عَنْهُ التَّوْبَةُ إِشَارَةً إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى حَيْث قَالَ: ﴿وَلَيْسَتْ

التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا

الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (٤)

و: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أزدَادُوا كُفْرًا لَن نَقْبَلَ تَوْبَتَهُمْ﴾ (٥)

وقوله ﷻ: وَتَحُلُّ مَعَهُ الْقَارِعَةُ وَالنَّقِمَةُ إِشَارَةً إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿الْقَارِعَةُ مَا

الْقَارِعَةُ وَمَا أَزْرِكُهَا مَا الْقَارِعَةُ﴾ (٦)

و: ﴿فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ﴾ (٧)

و: ﴿هُم عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ﴾ (٨)

و: ﴿إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ (٩) وغيرها من الآيات.

□ قوله ﷻ: أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ مَنِ اسْتَصْحَحَ اللَّهُ وَفَّقَ وَمَنِ اتَّخَذَ قَوْلُهُ دَلِيلًا هُدًى  
لِلَّتِي هِيَ آقَوْمٌ...

والتاء في قوله ﷻ استصحح للقبول اي من إتخذ الله ناصحاً له وقبل نصيحته

ثم عمل بمقتضاها وَفَّقَ لكل خيرٍ ورشد ومن إتخذ قوله تعالى دليلاً وهادياً في

اعماله واقواله فقد هدى للتي هي اقوم ولا شك ان الله تعالى ناصح على لسان

انبيائه وقائل على ما في كتابه الكريم فقبول النصيحة منه تعالى قبول النصيحة

من انبيائه ورسله قال الله تعالى حكاية عن نبيه: ﴿أَبْلَغُكُمْ رَسُولَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ

نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ (١٠)



و: «وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ»<sup>(١)</sup>

و: «إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ»<sup>(٢)</sup>

و: «وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا»<sup>(٣)</sup>

□ قوله ﷺ: فَإِنَّ جَارَ اللَّهِ آمِنٌ وَعَدُوُّهُ خَائِفٌ...

هذا تعليل لما ذكره ﷺ من التوفيق الحاصل بسبب الإستنصاح فكانه قيل له وكيف يكون كذلك قال فإن جار الله آمينٌ وذلك لأن جار الله هو الموفق والموفق هو جار الله وليس المراد بالجوار الجوار بحسب المكان بل بحسب التقرب المعنوي ومن المعلوم أن الانسان مادام كونه غير موفقٍ من الله تعالى لا يكون متقرباً إليه فالجار كناية عن القرب المعنوي.

وأما كونه آمناً فالوجه فيه أن من كان مَسْمُولاً لعنايته الربانية والطاقه الرحمانية فهو آمينٌ من العذاب في الدارين فإن من كان لله كان الله له وأما قوله ﷺ وَعَدُوُّ اللَّهِ خَائِفٌ أَي خَائِفٌ مِنَ اللَّهِ لِسُوءِ عَمَلِهِ.

□ قوله ﷺ: وَإِنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِمَنْ عَرَفَ عَظَمَةَ اللَّهِ أَنْ يَتَعَظَّمَ...

وذلك لأن من عرف عظمة الله سبحانه يعلم قطعاً بان لا عظمة لغيره فكيف يَتَعَظَّم.

□ قوله ﷺ: فَإِنَّ رِفْعَةَ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ مَا عَظَمْتُهُ أَنْ يَتَوَاضَعُوا لَهُ...

وذلك لأن العارف بعظمته يحكم بحقارة كل عظمة غيرها وهذا هو التواضع في جنب عظمته وكيف لا يكون كذلك وقد ثبت بالأدلة العقلية والنقلية إن الله تبارك وتعالى كما أنه غير متناه في ذاته فكذلك في صفاته فهو عظيم لا نهاية لعظمته وعليم لا نهاية لعلمه وقدير لا نهاية لقدرته وهكذا وما سواه محدودٌ مُتَنَاهٍ ذاتاً وصفةً كائناً من كان وعليه فالتواضع له تعالى يحصل بادننى توجه للمخلوق وهذا هو السر في ذم التكبر في حق غيره تعالى فإن

الحقارة والذلة من لوازم الإمكانية والعظمة من لوازم الواجبية فالواجب عظيم والممكن حقير.

□ قوله ﷺ: «وَسَلَامَةٌ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ مَا أَنْ يُسْتَسْلِمُوا لَهُ...»

اي من علم ان قدرته تعالى فوق كل قدرة فهو لا محالة تسليم منقاد بجنب قدرته فلا يقول انا قادر على كذا مثلاً إلا ان يقول ان شاء الله.

ثم إن القدرة على ما عرّفوها في حقّه تعالى كون الفاعل بحيث إن شاء فعل وإن لم يشاء لم يفعل والقدرة بهذا المعنى لا توجد في غيره تعالى اصلاً وأما تعريف القدرة فيه تعالى بصحة الفعل والتّرك فلا معنى له إذا الصّحة هي الإمكان وواجب بالذات واجب الوجود من جميع الجهات.

□ قوله ﷺ: «فَلَا تَنْفِرُوا مِنَ الْحَقِّ نِفَارَ الصَّحِيحِ مِنَ الْأَجْرَبِ وَالْبَارِي مِنْ ذِي السَّقَمِ...»

اي إذا كانت عظمته تعالى وقدرته فوق كل شيء واكبر من كل شيء فلا تنفروا من الحق كنفار الصحيح إلى آخره وذلك لأن الفرار لا ينفع بل لا يمكن لأحد واقعاً وإذا كان الفرار غير ممكن فالنفار بطريقي أولى.

□ قوله ﷺ: «وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ لَنْ تَعْرِفُوا الرُّشْدَ حَتَّى تَعْرِفُوا الَّذِي تَرَكَهُ...»

كلمة (لن) لنفي الأبد والمعنى انكم لن تعرفوا الرّشد والحق ابداً حتى تعرفوا من تركه وبعبارة أخرى لن تعرفوا الحق ابداً حتى تعرفوا الباطل فإن ترك الرّشد باطل وإنما قال ﷺ ذلك لأن الأشياء تعرف باضدادها فمن لم يعرف الباطل واهله لا يعرف الحق واهله.

□ قوله ﷺ: «وَلَنْ تَأْخُذُوا بِمِيثَاقِ الْكِتَابِ حَتَّى تَعْرِفُوا الَّذِي نَقَضَهُ...»

إشارة إلى قوله تعالى حيث قال: «الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ»<sup>(١)</sup> والمعنى إنكم لن تأخذوا بميثاق الكتاب إلا بعد معرفتكم الناقضين له وهذا الكلام ايضاً من قبيل تعرف الأشياء

باضدادها وذلك لأن ناقض الميثاق ضد الأخذ به فمعرفة الأخذ به لا تمكن إلا بعد معرفة الناقض له.

□ قوله ﷺ: وَلَنْ تَمْسُكُوا بِهِ حَتَّى تَعْرِفُوا الَّذِي نَبَذَهُ...

وهذا أيضاً على وتيرة ما سبق والمعنى أن التمسك بالكتاب لا يمكن إلا بعد معرفة من نبذته ورآه ظهره واعرض عنه وعن العمل به وفي قوله ﷺ نبذته إشارة إلى قوله تعالى حيث قال: ﴿فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾<sup>(١)</sup>

و: ﴿أَوْ كَلَّمَا غَاهِدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ﴾<sup>(٢)</sup>

□ قوله ﷺ: فَالْتَمِسُوا ذَلِكَ مِنْ عِنْدِ أَهْلِهَا فَإِنَّهُمْ عَيْشُ الْعِلْمِ وَمَوْتُ الْجَهْلِ...

أي فالتمسوا وإطلبوا ما ذكرناه من الرشد والهداية والأخذ بميثاق الكتاب وكل ما هو موجب للتعاداة الأبدية في الدارين من عند أهله أعني الأئمة المعصومين ومتابعيهم الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً فإنهم هم المعصومون من الذنب والخطا والمبرؤون عن متابعة النفس والهوى والرأسخون في العلم أنهم عيش العلم وحياته وموت الجهل وفناءه.

ثم إن قوله ﷺ: فَإِنَّهُمْ عَيْشُ الْعِلْمِ وَمَوْتُ الْجَهْلِ من باب الكناية والاستعارة وذلك لأنهم من الأسباب الموجبة لعيش العلم وموت الجهل لا نفس العيش والموت كما هو واضح فالتعبير عنهم بنفس العيش والموت من باب المبالغة كقولهم زيد عدل حيث إن زيدا ليس نفس العدل بل هو متصف بالعدالة إلا أنه لكثرة عدالته فكانه صار نفس العدل وهذا شائع في كلمات البلغاء.

ولب الكلام أن لكل علم رجال فمن اراد العلم فعليه برجاله واخذه عنهم ولأجل هذا قال ﷺ.

□ قوله ﷺ: هُمُ الَّذِينَ يُخْبِرُكُمْ حُكْمَهُمْ عَنِ عِلْمِهِمْ وَصَمْتُهُمْ وَظَاهِرُهُمْ عَنِ بَاطِنِهِمْ...

اي اهل الكتاب هُم الَّذِينَ يُخْبِرُكُمْ حُكْمُهُمْ فِي الْقَضَايَا عَنْ عِلْمِهِمْ وَذَلِكَ لِأَنَّهُمْ لَا يَحْكُمُونَ إِلَّا بِالْحَقِّ مُوَافِقًا لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَمَنْ حَكَمَ عَلَيَّ طَبَقَ الْكِتَابَ فَلَا مَحَالَةَ يَكُونُ عَالِمًا بِهِ كَمَا أَنَّ مَنْ لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ فَهُوَ لَا يَكُونُ عَالِمًا بِهِ وَبِعِبَارَةٍ أُخْرَى الْإِخْبَارُ عَنِ الْوَاقِعِ دَلِيلٌ عَلَى الْعِلْمِ بِهِ.

وَأَمَّا كَوْنُ صِمْتِهِمْ يُخْبِرُ عَنْ مَنطِقِهِمْ فَهُوَ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ الْعَالَمَ كَثِيرًا مَا يَكُونُ صَامِتًا وَلَيْسَ هَذَا دَلِيلًا عَلَى أَنَّهُ لَا يَقْدِرُ عَلَى النَّطْقِ بَلْ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ لَا يَنْطِقُ إِلَّا بِالْحَقِّ إِذْ لَيْسَ النَّطْقُ بِمَا هُوَ هُوَ مَمْدُوحًا فِي كُلِّ الْمَوَارِدِ وَعَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ فَالْمُرَادُ بِالْمَنطِقِ فِي قَوْلِهِ (عَنْ مَنطِقِهِمْ) الْمَنطِقُ الْحَقُّ لَا غَيْرُهُ وَبِالصَّمْتِ فِي الْبَاطِلِ ضَرُورَةٌ أَنَّ كُلَّ صَمْتٍ بِمَا هُوَ هُوَ لَا يُخْبِرُ عَنِ الْمَنطِقِ إِلَّا تَرَى أَنَّ الْأَخْرَسَ وَالْأَبْكَمَ يَكُونُ صَامِتًا وَلَيْسَ صِمْتُهُ دَلِيلًا عَلَى مَنطِقِهِ.

وقوله ﷺ: وَظَاهِرُهُمْ عَنْ بَاطِنِهِمْ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ الْمُؤْمِنَ وَالْعَالَمَ ظَاهِرَهُمَا لَا يَغَايِرُ بَاطِنَهُمَا بَلِ الظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ فِي الْإِنْسَانِ الْكَامِلِ سَيَّانٌ وَإِلَّا يَكُونُ مُنَافِقًا وَقَدْ فَرَضْنَاهُ مُؤْمِنًا هَفَ (هَذَا خَلْفٌ) وَبِعِبَارَةٍ أُخْرَى الظَّاهِرُ عِنْوَانُ الْبَاطِنِ فِي غَيْرِ الْمُنَافِقِ وَأَمَّا فِيهِ فَلَيْسَ كَذَلِكَ وَحَيْثُ إِنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ الَّذِي هُوَ مُورِدُ الْبَحْثِ فِي الْمَقَامِ عِبَارَةٌ عَنِ الْمُؤْمِنِ بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَبِجَمِيعِ مَا جَاءَ ﷺ بِهِ وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ الْإِعْتِقَادَ الصَّحِيحَ عَامِلٌ بِمَا عَلِمَ مِنَ الدِّينِ غَيْرَ مُسْتَنكِفٍ وَلَا مُتَمَرِّدٍ فَلَا مَحَالَةَ يَكُونُ ظَاهِرَهُ حَاكِيًا عَنِ بَاطِنِهِ وَهُوَ الْمَطْلُوبُ.

□ قَوْلُهُ ﷺ: لَا يُخَالِفُونَ الدِّينَ وَلَا يَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَهُوَ بَيْنَهُمْ شَاهِدٌ صَادِقٌ وَصَامِتٌ نَاطِقٌ...

ثُمَّ وَصَفَ ﷺ الْعَامِلِينَ بِالْكِتَابِ الثَّابِعِينَ لَهُ بِأُمُورٍ كُلِّهَا حَقٌّ وَصَدَقَ أَحَدُهَا إِنَّهُمْ لَا يَخَالِفُونَ الدِّينَ إِذْ لَوْ كَانُوا مُخَالِفِينَ لَهُ لَا يَكُونُ لَهُمْ دِينٌ وَهُوَ خِلَافُ الْفَرَضِ وَثَانِيهَا أَنَّهُمْ لَا يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَذَلِكَ لِأَنَّ الْإِخْتِلَافَ دَلِيلٌ عَلَى عَدَمِ الْعِلْمِ وَقَدْ فَرَضْنَاهُمْ عُلَمَاءَ أَوْ عَلَى عَدَمِ الْإِيمَانِ الْوَاقِعِيِّ وَقَدْ فَرَضْنَاهُمْ مُؤْمِنِينَ أَوْ عَلَى مُتَابَعَتِهِمْ لِأَهْوَائِهِمْ وَقَدْ فَرَضْنَاهُمْ مُتَابِعِينَ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَإِذَا كَانَ الْإِنْسَانُ

مؤمناً عالماً مخالفاً لهواه مطيعاً لأمر مولاه فالإختلاف لا مورد له والظاهر عدم  
إختلافهم في الأصول وأما الإختلاف في الفروع الفقهيّة فلا إشكال فيه أو أنّ  
المراد بالعلماء في المقام الأئمة سلام الله عليهم الذين لا إختلاف بينهم لا في  
الأصول ولا في الفروع لكونهم معصومين عن السهو والنسيان والخطا  
والعصيان.

وأما قوله عليه السلام: **فَهُوَ بَيْنَهُمْ شَاهِدٌ صَادِقٌ** الخ اي فالدين بينهم كذلك او الكتاب  
كذلك والمآل واحد وكيف كان فالدين او الكتاب بينهم شاهد صادق اي لا  
كذب فيه وصامت ناطق اي في عين كونه صامتاً ظاهراً فهو ناطق معنئ لمن  
كان له قلب.

## ومن كلام له عليه السلام (١٤٨)

### في ذكر اهل البصرة

قوله عليه السلام: كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَرْجُوا الْأَمْرَ لَهُ وَيَعْطِفُهُ عَلَيْهِ دُونَ صَاحِبِهِ لَا يَمْتَنَانِ إِلَى اللَّهِ بِحَبْلِ وَلَا يَمُدَّانِ إِلَيْهِ بِسَبَبٍ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا حَامِلٌ ضَبٌّ لِصَاحِبِهِ وَعَمَّا قَلِيلٍ يُكْشَفُ قِنَاعُهُ بِهِ وَاللَّهِ لَئِنْ أَصَابُوا الَّذِي يُرِيدُونَ لَيَنْتَزِعَنَّ هَذَا نَفْسَ هَذَا وَلَيَأْتِيَنَّ هَذَا عَلَى هَذَا قَدْ قَامَتِ الْفِتْنَةُ الْبَاغِيَّةُ فَأَيْنَ الْمُحْتَسِبُونَ فَقَدْ سُئِلَتْ لَهُمُ السُّنَنُ وَقُدِّمَ لَهُمُ الْخَبْرُ وَلِكُلِّ ضَلَّةٍ عِلَّةٌ وَلِكُلِّ نَاكِثٍ شُبْهَةٌ وَاللَّهِ لَا أَكُونُ كَمُسْتَمِعِ اللَّدْمِ يَسْمَعُ النَّاعِيَ وَيَحْضُرُ الْبَاكِيَ.

#### ◀ اللغة

(يَمْتَنَانِ) من مَتَّ يَمْتُّ لَمْتٌ لغةٌ في المَدِّ وقيل هو التَّوَسُّلُ بِحُرْمَةٍ أَوْ قَرَابَةٍ (ضَبٌّ) بفتح الضاد الغيظ والجحد ويكسر في لغة (المُحْتَسِبُونَ) احتسب فلان عليه أي انكَرَ (السُّنَنُ) جمع سَنَةٍ وهي الطريقة وفي المقام المراد بها طرق الشريعة (اللَّدْمُ) كهدم ضرب الوجه والصدر والباقي واضح.

#### ◀ المعنى

(كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا) أي الزبير وطلحة (يَرْجُوا الْأَمْرَ لَهُ) أي لنفسه من صاحبه (وَيَعْطِفُهُ عَلَيْهِ) أي يجذبه لزعمه أنه أولى به (دُونَ صَاحِبِهِ لَا يَمْتَنَانِ) أي لا يتوسلان (إِلَى اللَّهِ بِحَبْلِ) وقد قال الله تعالى: وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا

تَفَرَّقُوا<sup>(١)</sup> (وَلَا يَمُدَّانِ إِلَيْهِ) تعالَى (بِسَبَبٍ) لعدم حجةٍ لهما (كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا حَامِلٌ ضَبٌّ) اي حقدٍ وحسدٍ (إِصَاحِيهِ وَعَمَّا قَلِيلٍ يُكْشَفُ) كلٌ واحد منهما (قِنَاعُهُ بِهِ) اي الذي استتر به واضمره في نفسه (وَاللَّهُ لَئِنْ أَصَابُوا الَّذِي يُرِيدُونَ) وهو الوصول إلى الإمارة والحكومة (لَيَنْتَزِعَنَّ هَذَا نَفْسَ هَذَا) اي يقتل هذا هذا لو قدر عليه (وَلَيَأْتِيَنَّ هَذَا عَلَى هَذَا) بما يكرهه (قَدْ قَامَتِ الْفِئَةُ الْبَاغِيَّةُ) التي اخبر بها الرسول ﷺ (فَأَيْنَ الْمُحْتَسِبُونَ) الطالبون للأجر (فَقَدْ سُنَّتْ لَهُمُ السُّنَنُ) اي بينت لهم الطرق الواضحة التي لا خفاء فيها (وَقُدِّمَ لَهُمُ الْخَيْرُ) فقد قال رسول الله ﷺ بخروج الناكثين (وَلِكُلِّ ضَلَّةٍ) اي غواية (عِلَّةٌ) وسبب (وَلِكُلِّ نَاكِثٍ شُبْهَةٌ) اوجبت النكث (وَاللَّهُ لَا أَكُونُ كَمُسْتَمِعِ الدَّمِ) اي القتل والضرب (يَسْمَعُ النَّاعِيَ وَيَحْضُرُ الْبَاكِئِ).

### ◀ الشرح

قوله ﷺ: كَلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَرْجُوا الْأَمْرَ لَهُ وَيَعْطِفُهُ عَلَيْهِ دُونَ صَاحِبِهِ...

إعلم: ان هذه الخطبة الشريفة قد وردت لبيان حال الزبير وطلحة ومقاصدهما في قيامهما عليه وانهما قد نكثا بيعته وضلّا عن الطريق وقد مرّ الكلام منّا في نسبهما وعلة قيامهما بما لا مزيد عليه فقوله ﷺ: كَلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَرْجُوا لِلَّهِ الْأَمْرَ لَهُ الخ.

المقصود من هذا الكلام إثبات نفاقهما وانّ كل واحد منهما يريد ويرجو الحكومة والإمارة لنفسه ويجذبه ويشنيه عليه دون صاحبه وذلك لزعمه انه اولى بالإمارة من غيره.

اقول: والدليل على ذلك ان عائشة قد امرت ابن اختها عبد الله ابن الزبير للصلاة واقتدائهم به، مع ان الزبير كان حياً موجوداً ولم يكن هذا إلا لأجل العداوة الباطنية الموجودة لكل واحد منهما بالنسبة إلى الآخر وان كل واحد

منهما كان يرى الأمر لنفسه دون صاحبه.

□ قوله ﷺ: لَا يَمْتَنَانِ إِلَى اللَّهِ بِحَبْلِ وَلَا يَمُدَّانِ إِلَيْهِ بِسَبَبٍ...

اي لا يتوسلان في حربهم هذه إلى الله تعالى بحبل ولا يمدان إليه بسبب من الأسباب الموجبة للأمن من الفرع يوم القيمة والحاصل انه لا حجة لهما ولا عذر في هذه الفتنة عند الله تعالى وقد ورد في الكتاب الأمر بالاعتصام بحبل الله تعالى حيث قال: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾<sup>(١)</sup> والدليل على كونهما كذلك عقلاً أنهما قد بايعاه ونكث البيعة لا يجوز عقلاً.

واما شرعاً فلأن امير المؤمنين ﷺ كان إماماً مفترض الطاعة من الله ورسوله بل هو الحبل بعد الرسول الذي يجب ان يعتصم به فكيف يجوز البغي عليه.

□ قوله ﷺ: كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا حَامِلٌ ضَبٌّ لِصَاحِبِهِ وَعَمَّا قَلِيلٍ يُكْشَفُ قِنَاعُهُ بِهِ...

اي انهما مع كونهما بظاهر الأمر متفقين متحدين ففي الواقع ليسا كذلك بل كل واحد منهما حامل ضب وجحد لصاحبه اي الحسد مستتر في قلبهما وعمما قليل يكشف ويظهر المستور.

□ قوله ﷺ: وَاللَّهِ لَئِنْ أَصَابُوا الَّذِي يُرِيدُونَ لَيَنْتَزِعَنَّ هَذَا نَفْسَ هَذَا وَلَيَأْتِيَنَّ هَذَا عَلَى هَذَا...

ثم اقسم ﷺ بالله على صدق المدعى اعني كون كل واحد منهما حامل ضب لصاحبه وقال لأن اصابوا الذي يريدون وهو الأمانة والحكومة لينتزعن اي ليقتلن هذا نفس هذا وليأتين هذا على هذا بما يكرهه ويسؤه وبعبارة أخرى يقع بينهما الجدل والقتال.

□ قوله ﷺ: قَدْ قَامَتِ الْفِتْنَةُ الْبَاغِيَّةُ...

البغي الظلم والعدول عن الحق الفتنه الباغية اصحاب الجمل فانهم قد بغوا عليه.

□ قوله ﷺ: فَأَيْنَ الْمُحْتَسِبُونَ فَقَدْ سُنَّتْ لَهُمُ السُّنَنُ وَقَدَّمَ لَهُمُ الْخَبَرُ...



تَفَرَّقُوا<sup>(١)</sup> (وَلَا يَمُدَّانِ إِلَيْهِ) تعالَى (بِسَبَبٍ) لعدم حِجَّةٍ لهما (كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا حَامِلٌ ضَبٌّ) اي حِقْدٍ وَحَسَدٍ (لِصَاحِبِهِ وَعَمَّا قَلِيلٍ يُكْشَفُ) كَلٌّ وَاحِدٌ مِنْهُمَا (قِتَاعُهُ بِهِ) اي الَّذِي اسْتَرَّ بِهِ وَاضْمَرَهُ فِي نَفْسِهِ (وَاللَّهُ لَئِنْ أَصَابُوا الَّذِي يُرِيدُونَ) وَهُوَ الْوَصُولُ إِلَى الْإِمَارَةِ وَالْحُكُومَةِ (لَيَنْتَزِعَنَّ هَذَا نَفْسَ هَذَا) اي يَقْتُلُ هَذَا هَذَا لَوْ قَدَرَ عَلَيْهِ (وَلَيَأْتِيَنَّ هَذَا عَلَى هَذَا) بِمَا يَكْرَهُهُ (قَدْ قَامَتِ الْفِئَةُ الْبَاغِيَّةُ) الَّتِي اخْبَرَ بِهَا الرَّسُولُ ﷺ (فَأَيْنَ الْمُحْتَسِبُونَ) الطَّالِبُونَ لِلْأَجْرِ (فَقَدْ سُنَّتْ لَهُمُ السُّنَنُ) اي بَيَّنَّتْ لَهُمُ الطَّرِيقَ الْوَاضِحَةَ الَّتِي لَا خِفَاءَ فِيهَا (وَقُدِّمَ لَهُمُ الْخَبْرُ) فَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِخُرُوجِ النَّاكِثِينَ (وَلِكُلِّ ضَلَّةٍ) اي غَوَايَةِ (عِلَّةٌ) وَسَبَبٌ (وَلِكُلِّ نَاكِثٍ شُبْهَةٌ) اَوْجَبَتِ النَّكَثَ (وَاللَّهُ لَا أَكُونُ كَمُسْتَمِعِ اللَّذَمِّ) اي الْقَتْلِ وَالضَّرْبِ (يَسْمَعُ النَّاعِيَ وَيَحْضُرُ الْبَاكِيَ).

### ◀ الشرح

قوله ﷺ: كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَرْجُوا الْأَمْرَ لَهُ وَيَعْطِفُهُ عَلَيْهِ دُونَ صَاحِبِهِ...

إعلم: أن هذه الخطبة الشريفة قد وردت لبيان حال الزبير وطلحة ومقاصدهما في قيامهما عليه وأنهما قد نكثا بيعته وضلّا عن الطريق وقد مرّ الكلام منّا في نسبهما وعلة قيامهما بما لا مزيد عليه فقوله ﷺ: كَلٌّ وَاحِدٌ مِنْهُمَا يَرْجُوا لِلَّهِ الْأَمْرَ لَهُ الْخ.

المقصود من هذا الكلام إثبات نفاقهما وأنّ كلّ واحد منهما يريد ويرجو الحكومة والإمارة لنفسه ويجذبه ويشنيه عليه دون صاحبه وذلك لزعمه أنه أولي بالإمارة من غيره.

اقول: والدليل على ذلك أن عائشة قد امرت ابن اختها عبد الله ابن الزبير للصلاة وإقتدائهم به، مع أن الزبير كان حياً موجوداً ولم يكن هذا إلا لأجل العداوة الباطنية الموجودة لكل واحد منهما بالنسبة إلى الآخر وأنّ كلّ واحد

منهما كان يرى الأمر لنفسه دون صاحبه.

□ قوله ﷺ: لَا يَمْتَنَانِ إِلَى اللَّهِ بِحَبْلِ وَلَا يَمُدَّانِ إِلَيْهِ بِسَبَبٍ...

اي لا يتوسلان في حربهم هذه إلى الله تعالى بحبل ولا يمدان إليه بسبب من الأسباب الموجبة للأمن من الفرع يوم القيمة والحاصل أنه لا حجة لهما ولا عذر في هذه الفتنة عند الله تعالى وقد ورد في الكتاب الأمر بالإعتصام بحبل الله تعالى حيث قال: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾<sup>(١)</sup> والدليل على كونهما كذلك عقلاً أنهما قد بايعاه ونكث البيعة لا يجوز عقلاً.

وأما شرعاً فلأن أمير المؤمنين ﷺ كان إماماً مفترض الطاعة من الله ورسوله بل هو الحبل بعد الرسول الذي يجب ان يعتصم به فكيف يجوز البغي عليه.

□ قوله ﷺ: كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا حَامِلٌ ضَبٌّ لِصَاحِبِهِ وَعَمَّا قَلِيلٍ يُكْشَفُ قِنَاعُهُ بِهِ... اي انهما مع كونهما بظاهر الأمر متفقين متحدين ففي الواقع ليسا كذلك بل كل واحد منهما حامل ضب وحقد لصاحبه اي الحسد مستتر في قلبهما وعمّا قليل يكشف ويظهر المستور.

□ قوله ﷺ: وَاللَّهِ لَئِنْ أَصَابُوا الَّذِي يُرِيدُونَ لَيَسْتَرِعَنَّ هَذَا نَفْسَ هَذَا وَلَيَأْتِيَنَّ هَذَا عَلَيَّ هَذَا...

ثم أقسم ﷺ بالله على صدق المدعى اعني كون كل واحد منهما حامل ضب لصاحبه وقال لأن اصابوا الذي يريدون وهو الأمانة والحكومة ليستزعن اي ليقتلن هذا نفس هذا وليأتين هذا على هذا بما يكرهه ويسؤه وبعبارة أخرى يقع بينهما الجدل والقتال.

□ قوله ﷺ: قَدْ قَامَتِ الْفِتْنَةُ الْبَاغِيَّةُ...

البغي الظلم والعدول عن الحق الفتنه الباغية اصحاب الجمل فانهم قد بغوا عليه.

□ قوله ﷺ: فَأَيْنَ الْمُحْتَسِبُونَ فَقَدْ سُنَّتْ لَهُمُ السُّنَنُ وَقُدِّمَ لَهُمُ الْخَيْرُ...

كلمة (اين) للإستفهام المفيد للتُحشُر والتُحزُن والمعنى اين الذين يطلبون الأجر والثواب بسبب دفع الظلم والفساد والعناد والطغيان في الفئة الباغية وقد سَنَت لهم السُنن والطرق الواضحة الشرعية التي لا خفاء فيها قدّم لهم الخبر عن النبي ﷺ في حياته.

قال في مناقب وقرا امير المؤمنين يوم البصرة: ﴿وَأَنْ نَكْتُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَيْمَةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ﴾<sup>(١)</sup>

ثم قال ﷺ لقد عهد إلي رسول الله ﷺ وقال ﷺ يا علي لتقاتلن الفئة الناكثة والفئة الباغية والفرقة المارقة ﴿إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ﴾

عمّار وحذيفة وابن عبّاس والباقر والصادق ﷺ انه نزلت في علي ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ﴾<sup>(٢)</sup> وروي عن علي ﷺ يوم البصرة والله ما قُوبل علي هذه الآية حتى اليوم.

ابن عبّاس في قوله تعالى ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾<sup>(٣)</sup> في حربها مع علي ﷺ انتهى المناقب لأبن شهر آشوب ج ٣ ص ١٤٧ و ١٤٨ .

اقول: قد مرّت الأخبار الواردة عن النبي ﷺ في الباب وانه ﷺ قد امره بحرب الناكثين والقاسطين والمارقين وتحذيره ﷺ عائشة بكونها صاحبة الجمل الأديب فتنبجها كلاب الحوثب كما قيل:

كم نُهِيتَ عن تبرّج فَعَصت      واصبَحْتَ للخلاف مُتَّبِعة  
قال لها في البُيوت قَرِي      فخالفته العَفيفة الورعة  
ولآخر:

جاءت مع الأشقين في هودج      تُزجي إلى البَصرة اجنادها  
كانها في فعلها هِرّة      تريد ان تاكل اولادها

والى هذا المعنى اعني تحذير الرسول إياها عن حرب الجمل اشار  
الحميري في قوله:

اعائش ما دعاك إلى قتال  
الم يَعهَد إليك الله الآ  
وان ترخي الحجاب وان تقرّي  
وقال لك النبي ايا حميراء  
وقال ستنبحين كلاب قوم  
وقال ستركبين على خدب  
فخنت مُحمداً في اقربيه  
ولآخر:

واقبلت في بقايا السيف يقدمها  
يقودها عسكر حتى إذا قربت  
ونبتحت كلبها بالحوثب أذكرت  
يا طلع إن رسول الله اخبرني  
وإنني لعليّ فيه ظالمة  
فأقسما قسماً بالله أنهما  
وطاطات راسها عمداً وقد علمت

قال في المناقب قد تظاهرت الروايات أنه قال عليه السلام مخاطباً لزبير يوم الجمل  
إن النبي صلى الله عليه وآله قال لك يا زبير تقاتله ظلماً وضرب كتفك قال اللهم نعم.  
□ قوله عليه السلام: وَلِكُلِّ ضَلَّةٍ عِلَّةٌ وَلِكُلِّ نَاكِثٍ شُبُهَةٌ...

وذلك لأن المعلول لا يوجد بدون العلة وحيث إن الضلالة اعني الانحراف  
عن طريق المستقيم فعل من افعال المكلف او وصف من اوصافه بعد وضوح  
الطريق فلا محالة له علة.

واما إن لكل ناكثٍ شبهة فالوجه فيه ان النكث هو النقض فناكث البيعة  
ناقضها بعد وجودها أولاً وهو لا يكون إلا لشبهة حصلت له وإن شئت الفرق

بين المقامين حيث إن الضلّة مُستندة إلى العلة والنكث إلى الشبهة فنقول:  
 الضلّة امرٌ بدويّ وبعبارةٍ أخرى الإنسان إما أن يكون على الهداية او على  
 الضلّة وهما متناقضان فكما أن الهداية مُستندة إلى العلة والسبب كذلك الضلّة  
 مستندة إلى العلة والسبب الموجودة لها ضرورة عدم إمكان تحقّق المعلول  
 بدون العلة.

إن قلت - الضلّة امرٌ عدميّ بناء على أنها عدم الهداية والأعدام لا تستند إلى  
 العلل كما تقرّر في الفلسفة فكيف تكون لها علة والمفروض أنها عدميّة.  
 قلت - العدم على قسمين: عدم محض، وعدم ملكة، والأوّل ما لا حظّ له من  
 الوجود والثاني ما له حظّ منه والأوّل مثل شريك الباري وإجتماع النقيضين  
 والضدّين في الخارج، والثاني كعدم البصر وعدم السمع وعدم المال وعدم  
 الأولاد في الإنسان ونظائرها، والأوّل لا وجود له أصلاً والثاني له وجود  
 ضعيف يشبه العدم وليس بعدم محض إذ له شانية الوجود ولهذا يقال له العدم  
 والملكة وخلاصة الكلام أن العدم ما ليس له شانية الوجود أصلاً وأما عدم  
 الملكة ما له شانية الوجود فإنه عدم الشئ عمّا من شأنه ان يكون موجوداً  
 ولأجل هذا لا يصدق عدم البصر على الجدار مثلاً وهكذا عدم المال والأولاد  
 إذا عرفت هذا.

فإعلم: أن الضلالة ليست من الأعدام المَحْضَة المُمْتَنَعَة الوجود حتى لا  
 تكون لها علة بل هي القسم الثاني اعني العدم والملكة كعدم البصر مثلاً  
 فالضال يقال لمن له شانية الهداية وهو الإنسان البالغ العاقل ولا يقال على  
 الجدار والجماد والنبات وغيرها وعليه فله علة كما أن للأعمى والأصم علة  
 وهذا هو السرّ في قوله ﷺ ولكل ضلّة علة فافهم واغتنم.

وأما أن النكث لا علة له فالوجه فيه أن النكث في البيعة عبارة عن قطعها  
 وعدم إستمرارها وهو يحصل بالشبهة الحاصلة للنكث فإذا ارتفعت الشبهة  
 يرتفع النكث نعم اصل البيعة تحتاج إلى العلة الموجودة لها.

ويمكن ان يكون قوله ﷺ هذا إشارة إلى أنهم لم يجدوا في نكثهم البيعة  
 علة ليكونوا معذورين فيه بل كان النكث لشبهة حصلت لهم والحاصل أن

نكثهم البيعة إماماً مستند إلى الشبهة الحاصلة وإماماً إلى العلة الموجدة له والثاني لم يوجد فالأول ثابت وهو المطلوب.

□ قوله ﷺ: وَاللَّهِ لَا أَكُونُ كَمُسْتَمِعِ اللَّذْمِ يَسْمَعُ النَّاعِيَ وَيَحْضُرُ الْبَاكِيَ...

ثم أقسم ﷺ بعد ما بين حال الناكثين وشوء عاقبتهم وخبث سريرتهم بما حاصله إنني لا اغترّ ولا اغفل عن كيد الخائنين فاسمع الناعي واحضر الباكي على قتلاهم ولا أقاتلهم بما فعلوا من الظلم على المسلمين وذلك لأنهم اعني اصحاب الجمل قد ارتكبوا من الأفعال الشنيعة ما لا يفعله مسلم قط فقد نقل ابن قتيبة في كتابه الإمامة والسياسة ما لفظه.

وذكروا أنّ طلحة والزبير لما نزلوا البصرة قال عثمان ابن جنيّف نعذر إليهما برجلين، فدعا عمران ابن الحصين صاحب رسول الله ﷺ وأبا الأسود الدؤلي فإرسلهما إلى طلحة والزبير فذهبا إليهما فناديا يا طلحة فاجابهما فتكلّم ابو الأسود وقال يا ابا محمّد إنكم قتلتم عثمان غير مؤامرين لنا في قتله وبايعتم علياً غير مؤامرين في بيعته فلم تغضب لعثمان إذ قُتل ولم تغضب لعلي إذ بويع ثم بدا لكم فاردتم خلع علي ونحن على الأمر الأوّل فعليكم المخرج فما دخلتم فيه.

ثم تكلم عمران: فقال يا طلحة إنكم قتلتم عثمان ولم تغضب له إذ لم تغضبوا ثم بايعتم علياً وبايعنا من بايعتم فإن كان قتل عثمان صواباً فمسيركم لماذا وإن كان خطأ فحظكم منه الأوفر ونصيبكم منه الأوفى، فقال طلحة يا هذان إن صاحبكما لا يرى إن معه في هذا الأمر غيره وليس علي هذا بايعناه وإيم الله لنسفكن دمه فقال ابو الأسود يا عمران أمّا هذا فقد صرّح أنّه إنّما غَضِبَ لِلْمَلِكِ.

ثم اتيا الزبير فقالا يا ابا عبد الله إنّنا آتينا طلحة قال الزبير إنّ طلحة وإيّاي كروح في جسدين وأنه والله يا هذان قد كانت منّا في عثمان فليات إحتجنا فيه إلى المعاذير ولو استقبلنا من امرنا ما استدبرنا نصرناه.

وتمّ اتيا فدخلا على عائشة فقالا يا أم المؤمنين ما هذا المسير أمّك من رسول الله به عهد، قالت قُتِلَ عُثْمَانُ مَظْلُوماً غَضِبْنَا لَكُمْ مِنَ السُّوْطِ وَالْعَصَا وَلَا

نَغَضِبُ لِعُثْمَانَ مِنْ الْقَتْلِ فَقَالَ أَبُو الْأَسْوَدِ مَا أَنْتَ وَالْعَصَا وَالسَّيْفُ وَالسُّوْطُ  
فَقَالَتْ يَا أَبَا الْأَسْوَدِ بَلَّغْنِي أَنَّ عُثْمَانَ ابْنَ حُنَيْفٍ يُرِيدُ قِتَالِي فَقَالَ أَبُو الْأَسْوَدِ نَعَمْ  
وَاللَّهِ قِتَالًا أَهْوَنَ تَذَرُ مِنْهُ الرَّؤُوسُ فَقَالَ أَبُو الْأَسْوَدِ:

آتِينَا الزَّبِيرَ فِدَانَ الْكَلَامِ	وَطَلْحَةَ كَالنَّجْمِ أَوْ أَبَعْدَ
وَاحْتَسَنَ قَوْلِيهِمَا فَادِحَ	يُضِيقُ بِهِ الْخَطْبُ مُسْتَنَكِدَ
وَقَدْ أَوْ عَدُونَا بِجُهْدِ الْوَعِيدِ	فَاهُونَ عَلَيْنَا بِمَا أَوْ عَدُوا
فَقَلْنَا رَكَضْتُمْ وَلَا تَرْمَلُوا	وَاصْدَرْتُمْ قَبْلَ أَنْ تُورِدُوا
وَإِنْ تَلَقَمُوا الْحَرْبَ بَيْنَ الرَّجَالِ	فَمَلَقْهَا جَدَّهُ الْأَنْكَدَ
وَإِنَّ عَلِيًّا لَكُمْ مُضْجِرٌ	الْإِنِّيهِ الْأَسَدُ الْأَسْوَدُ
الْإِنِّيهِ ثَالِثُ الْعَابِدِينَ	بِمَكَّةَ وَاللَّهُ لَا يَعْْبُدُ
فَرَوْحُوا الْخَنَاقَ وَلَا تَعْجَلُوا	فَإِنَّ غَدًا لَكُمْ مَوْعِدُ

وملخص الكلام ان اصحاب الجمل بعد دخولهم البصرة وأستيلائهم عليها  
قتلوا كثيراً من المسلمين الذين لم يجيبوهم على الفساد ونكث البيعة واخذوا  
اموالهم وخربوا دورهم وفعلوا بعثمان ابن حنيف ما فعلوا وأرتكبوا من قبائح  
الأفعال وشنائع الأعمال ما أرتكبوا على ما هو مسطور في التواريخ ومعلوم ان  
امير المؤمنين عليه السلام بعد إرتكابهم هذه الأعمال اخذهم باعمالهم اخذ عزيز  
مقتدر وهذا معنى قوله عليه السلام: وَاللَّهِ لَا أَكُونُ كَمُسْتَمِعِ الدَّمِ إِلَى آخِرِ مَا قَالَ عليه السلام  
فَقَتَلَ مَنْ قَتَلَ فِيهَا كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَقَطِّعْ ذَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾<sup>(١)</sup> والحمد لله  
رب العالمين وقد مضى تفصيل الكلام في قصة الجمل.

﴿ وَمَنْ كَلَامَ لَهُ ﴾ (١٤٩)

□ قوله ﷺ: أَيُّهَا النَّاسُ كُلُّ أَمْرٍ لِيَ لَاقِي مَا يَفِرُّ مِنْهُ فِي فِرَارِهِ الْأَجَلُ مَسَاقُ النَّفْسِ وَالْهَرَبُ مِنْهُ مُوَافَاتُهُ كَمْ أَطْرَدْتُ الْأَيَّامَ أَبْحَثُهَا عَنْ مَكُونِ هَذَا الْأَمْرِ فَأَبَى اللَّهُ إِلَّا إِخْفَاءَهُ هَيْهَاتَ عِلْمٍ مَخْزُونٍ أَمَّا وَصِيَّتِي فَاللَّهُ لَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَمُحَمَّدًا ﷺ فَلَا تُضَيِّعُوا سُنَّتَهُ أَقِيمُوا هَذَيْنِ الْعُمُودَيْنِ وَأَوْقِدُوا هَذَيْنِ الْمِصْبَاحَيْنِ وَخَلَاكُمْ ذَمٌّ مَا لَمْ تُشْرُدُوا حُمْلَ كُلِّ أَمْرٍ مِنْكُمْ مَجْهُودَةٌ وَخُفِّفَ عَنِ الْجَهْلَةِ رَبُّ رَحِيمٌ وَدَيْنٌ قَوِيمٌ وَإِمَامٌ عَلِيمٌ أَنَا بِالْأَمْسِ صَاحِبِكُمْ وَأَنَا الْيَوْمَ عِبْرَةٌ لَكُمْ وَعَدَا مُفَارِقُكُمْ غَفَرَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ إِنْ تَثَبَّتِ الْوَطْأَةُ فِي هَذِهِ الْمَزَلَّةِ فَذَاكَ وَإِنْ تَدْحَضِ الْقَدَمُ فَإِنَّا كُنَّا فِي أَقْيَاءِ أَعْصَانٍ وَمَهَابِّ رِيَّاحٍ وَتَحْتِ ظِلِّ غِمَامٍ اضمحلَّ فِي الْجَوِّ مُتَلَفِّقَهَا وَعَفَا فِي الْأَرْضِ مَخْطُطَهَا وَإِنَّمَا كُنْتُ جَاراً جَاوَرَكُمُ بَدَنِي أَيَّاماً وَسَتَعْقِبُونَ مِنِّي جُنَّةً خَلَاءَ سَاكِنَةٍ بَعْدَ حَرَكَ وَصَامِتَةٍ بَعْدَ نُطْقٍ لِيَعْظُمَ هُدُوءِي وَخُفُوتُ إِطْرَاقِي وَسُكُونُ أَطْرَاقِي فَإِنَّهُ أَوْعَظُ لِلْمُعْتَبِرِينَ مِنَ الْمَنْطِقِ السَّبِيحِ وَالْقَوْلِ الْمَسْمُوعِ وَدَاعِي لَكُمْ وَدَاعُ أَمْرِي مُرْصِدٌ لِلتَّلَاقِي عَدَا تَرُونَ أَيَّامِي وَيُكْشَفُ لَكُمْ عَنْ سَرَائِرِي وَتَعْرِفُونَنِي بَعْدَ خُلُوعِ مَكَانِي وَقِيَامِ غَيْرِي مَقَامِي.

◀ اللُّغَةُ

(أَطْرَدْتُ) الطَّرْدُ النَّفْيُ يُقَالُ طَرَدْتُهُ أَي نَفَيْتُهُ وَالطَّرِيدَانِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ (مَخْزُونٌ) أَي مَسْتُورٌ (خَلَاكُمْ) خَلَا عَنْ الشَّيْءِ أَي أَرْسَلَهُ (تُشْرُدُوا) شَرَّدَ الْبَعِيرَ إِذَا نَفَرَ وَالتَّشْرِيدُ التَّنْفِيرُ وَالتَّبْعِيدُ (مَجْهُودَةٌ) الْجُهْدُ بِالضَّمِّ الطَّاقَةُ (الْوَطْأَةُ) مَوْضِعُ



القدم (تَدْحَضِ) دَحَضَ الرَّجُلُ زَلَّ قَدَمَهُ (أَفْيَاءٍ) جمع فَيْي (اضْمَحَلُّ) اي فَنِي  
 (الْجَوُّ) الفضاء الواسع (عَفَى) يقال عَفَى امره إذا لم يسبق (مَخْطُهَا) المَخْطُ الأثر  
 (حَرَكَ) الحركة (هُدُوِي) اي قوتي (خُفُوتُ) السكون.

### ◀ المعنى

(أَيُّهَا النَّاسُ كُلُّ أَمْرِي لَاقٍ) لا محالة (مَا يَفِرُّ مِنْهُ فِي فِرَارِهِ) اعني الموت  
 (الْأَجَلُ مَسَاقُ النَّفْسِ) إلى غايتها اي مفارقتها عن البدن (وَالْهَرَبُ مِنْهُ) اي من  
 الأجل (مُؤَافَاتُهُ) والوصول إليه (كَمْ أَطْرَدْتُ الْأَيَّامَ) اي مضيت عنها (أَبْحَثُهَا)  
 وأفتشها اي الأيام (عَنْ مَكُونِ هَذَا الْأَمْرِ) وهو الموت (فَأَبَى اللَّهُ إِلَّا إِخْفَاءَهُ)  
 عن غيره (هَيْهَاتَ عِلْمٌ مَخْزُونٌ) عنده لا يعلمه إلا هو (أَمَّا وَصِيَّتِي) اليكم (قَالَتْ  
 لَا تُشْرِكُوا بِي) بالله تعالى (شَيْئاً وَمُحَمَّدًا ﷺ) فَلَا تُضِيعُوا سُنَّتَهُ) بترك العمل بها  
 (أَقِيمُوا هَذَيْنِ الْعَمُودَيْنِ) التوحيد به والإعتقاد برسالة الرسول والعمل بما جاء  
 به (وَأَوْقِدُوا هَذَيْنِ الْمِصْبَاحَيْنِ) مصباح التوحيد ومصباح الرسالة (وَخَلَاكُمْ ذَمًّا)  
 اي سقط عنكم الذم (مَا لَمْ تُشْرُدُوا) اي ما لم تنفروا (حُمِّلَ كُلُّ أَمْرٍ مِنْكُمْ  
 مَجْهُودَةً) اي كلف كل امرئ منكم بما في وسعه وطاقته (وَخُفِّفَ) التكليف  
 (عَنِ الْجَهْلَةِ) من الناس (رَبُّ رَحِيمٌ) عالم بالمصلحة (وَدِينٌ قَوِيمٌ) لا عوج فيه  
 (وَأَمَامٌ عَلِيمٌ) بالأحكام وغيرها (أَنَا بِالْأَمْسِ صَاحِبُكُمْ وَأَنَا الْيَوْمَ عِبْرَةٌ  
 لَكُمْ) باشرافي على الموت (وَعَدًّا مُفَارِقُكُمْ) بسبب الموت (غَفَرَ اللَّهُ لِي  
 وَلَكُمْ) فإنه غفور رحيم (إِنْ تَثَبَّتِ الْوُطْأَةُ) اي القدم (فِي هَذِهِ الْمَزَلَّةِ فَذَلِكَ) اي  
 فهو (وَإِنْ تَدْحَضِ الْقَدَمُ) وتزل فيها (فَأَنَا كُنَّا فِي أَفْيَاءِ أَغْصَانٍ وَمَهَابٍ رِيَّاحٍ) اي  
 في ظلال الأغصان ومحل هبوب الرياح (وَتَحْتِ ظِلِّ غِمَامٍ اِضْمَحَلُّ) وفني (فِي  
 الْجَوِّ مُتَلَفِّقُهَا) وملتنمها (وَعَفَا) وإندرس (فِي الْأَرْضِ مَخْطُهَا) واثرها (وَأِنَّمَا  
 كُنْتُ جَاراً جَاوَرَكُمْ بَدَنِي أَيَّاماً) اي كان بدني مجاوراً لكم في شطر من الزمان  
 (وَسَتُعَقَّبُونَ مِنِّي جُنَّةً خَلَاءَ سَاكِنَةٍ بَعْدَ حَرَكَ) اي ستجدون عقيب فقدي جسداً  
 خالياً من الروح (وَصَامِتَةً بَعْدَ نَطْقٍ) فلا يقدر على النطق بعد ما كان قادراً عليه

(لِيَعْظَمَكُمْ هُدُوِي) وموتي (وَحُفُوْتُ اِطْرَاقِي) وسكونها (وَسُكُونُ اطْرَاقِي فَانَّهُ اَوْعَظُ لِلْمُعْتَبِرِينَ) اي السكوت او عظ لهم (مِنَ الْمَنْطِقِ الْبَلِيغِ وَالْقَوْلِ الْمَسْمُوعِ) وذلك لوقوعه بعد النطق (وَدَاعِي لَكُمْ وَدَاعُ امْرِي مُرْصِدٍ لِلتَّلَاقِي) ومنتظر للملاقات من ربه تعالى (غَدَا تَرَوْنَ اَيَّامِي وَيُكْشَفُ لَكُمْ عَنْ سَرَائِرِي) بعد وقوفكم على الخبيثين من بني أمية وغيرهم (وَتَعْرِفُونَنِي بَعْدَ خُلُوءِ مَكَانِي) اي بعد موتي (وَقِيَامِ غَيْرِي) من الأشقياء (مَقَامِي) في الحكومة.

## ◀ الشرح

□ قوله ﷺ: أَيُّهَا النَّاسُ كُلُّ امْرِي لَاقٍ مَا يَفِرُّ مِنْهُ فِي فِرَارِهِ...

خاطب ﷺ الناس خطاباً عاماً لا يستثني منه احد بان كل امري لاقٍ لا محالة ما يفر منه اعني الموت وفي قوله ﷺ: فِي فِرَارِهِ اِشَارَةٌ اِلَى اَنْ هَذِهِ الْمَلِاقَةُ تَتَحَقَّقُ فِي الْفِرَارِ عَنْهَا.

اما الأول: اعني نفس اللقاء فلقوله تعالى في كتابه حيث قال: ﴿قُلْ اِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَاِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ اِلَىٰ غَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (١)

و: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا اَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ﴾ (٢)

و: ﴿قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ اِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ اَوْ الْقَتْلِ﴾ (٣)

واما الثاني: اعني ان الملاقاة في الفرار فهو من لطيف الكلام وذلك لأن الفار من الموت تمضي عليه السنة والشهر والأيام لا محالة ونفس مضيها عليه يقربه إلى الموت إذ كلما مضى عليه زمان مثلاً ينقص من عمره ولازم ذلك ما ذكره ﷺ ولعل هذا المعنى هو المراد بقوله تعالى حيث قال: ﴿قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ اِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ﴾ (٤) الخ فإن الفرار إذا كان مقرباً إلى الموت فاي نفع فيه مع انه كثر على ما فرّ وإقبال على ما ادبر وهو واضح هذا بظاهره ولا يبعد حمل

الكلام على المعنى الأعم من الموت وغيره وعليه فالمعنى ان الإنسان لا يحصل له ما اراده واحبّه غالباً بل الأكثر فيه بخلاف ميله وطبعه وهذا المعنى وإن كان صحيحاً في حدّ نفسه إلا ان ظاهر الكلام هو الأول بالقرائن الموجودة وكيف كان المقصود منه ان الإنسان لا بد له من الموت شاء ام لم يشا وقد مرّ منا البحث في حقيقة الموت وما يناسبه تفضيلاً.

□ قوله ﷻ: **الْأَجَلُ مَسَاقُ النَّفْسِ وَالْهَرَبُ مِنْهُ مُوَافَاتُهُ...**

الأجل بفتح الهمزة والجيم المدّة المَضْرُوبَةُ للشئ قال الله تعالى: ﴿لِتَبْلُغُوا أَجَلاً مُّسَمًّى﴾ (١)

و: ﴿ثُمَّ قَضَى أَجَلاً وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ﴾ (٢)

و: ﴿بَلَّغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتْ لَنَا﴾ (٣) وغيره فيها.

والمساق مصدر ميمي من ساق يسوق سوقاً وسوق الإبل جلبها وطردها يقال سقته فانساق قال الله تعالى: ﴿إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ﴾ (٤) اي المقصد والمتتهى كما قال تعالى: ﴿وَأَنْ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى﴾ (٥)

و النَّفْسُ بفتح النون وسكون الفاء والسّين الرّوح في المخلوق والذات في الخالق.

فعلى الأول:

قال تعالى: ﴿أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ﴾

و: ﴿يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ (٦)

و: ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ (٧)

وعلى الثاني:

قوله تعالى: ﴿وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ (٨) وقال تعالى: يُحَذِّرُكُمْ اللَّهُ

٢- الأنعام - ٢

٤- القيامة - ١٢

٦- البقرة - ٢٣٥

٨- المائدة - ١١٦

١- الغافر - ٦٧

٣- الأنعام - ١٢٨

٥- النجم - ٤٢

٧- الفجر - ٣٠=٢٧

نَفْسُهُ<sup>(١)</sup> اي ذاته والمعنى ان النفس تساق بامر الله تعالى إلى مساقها ومنتهاها وهو الأجل اعني المدة المَضْرُوبَة لمفارقتها عن البدن العُنْصَرِي المَعْبَرَة عنها بالموت فإنه ليس إلا مفارقتها عنه وسوق النفس عبارة عن تحصيلها كما لها الذي تستكمل به بسبب البدن وفي كلامه عليه السلام إشارة إلى امرين:

احدهما: ان حقيقة الإنسان هي نفسها لا جسدها ويؤيده قوله تعالى: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ﴾<sup>(٢)</sup> حيث يكون المخاطب بالخطاب هو النفس فلو كان الإنسان عبارة عن البدن او عن كليهما لما قال ذلك وهو معلوم. وثانيهما: تَجَرُّدُهَا عن المادّة وانّ علاقتها بالبدن تدبيري لا غير إذ لو لا ذلك فحقّ العبارة ان يقال والأجل مساق البدن او مساق الإنسان وحيث خصّت العبارة بذكرها فالمراد ما ذكرناه وانها حقيقة الإنسان المخاطب بالخطابات الشرعيّة والتكوينيّة ويؤيده قول الفلاسفة انّ شيئيّة الشّيء بصورته لا بمادّته وقد ثبت انّ النفس في الإنسان بمنزلة الصُّورة والبدن مادّة فشيئيّة الإنسان بها وهو المطلوب كيف وهي فصله الأخير الذي لا كلام فيه في كونه صورة. وقوله عليه السلام: وَالْهَرَبُ مِنْهُ أَي مِنَ الْأَجَلِ موافاته اي ملاقاته.

إن قلت - ما الفرق بين قوله عليه السلام هذا وقوله عليه السلام في أوّل الخطبة كلّ إمري لاق ما يفرّ منه في فراره من حيث المعنى فإنّ مفاد الكلامين هو انّ الفرار من الموت في الحقيقة لقاءه ليس هذا من التكرار في الكلام المُسْتَهْجَن عند البلغاء قلت يمكن الفرق بينهما بعد التعمق والتدبّر وحاصله انّ الفرار والهرب وإن كان المآل فيهما واحد إلا انّ الدّقة فيهما تحكّم بثبوت الفرق وذلك لأنّ الهرب عبارة عن سرعة المشي في الأرض والفرار لا يعتبر فيه ذلك قال في المنجد هرب هرباً وهروباً ومهرباً وهرباناً، فرّ في مَشِيهِ، أسرع في الأرض، ابعث في الأمر.

وقال بعضهم إنّ الفرار إذا كان عن خوف وإضطراب يُعَبَّر عنه بالهَرَبِ وإلا

بالفرار كما يقال ابعث في الأرض فلان فلاناً إضطره إلى الهرب إذا عرفت هذا  
 فعرفت الفرق بين المقامين وعليه فالمقصود أن الموت لا ينفع الفرار منه سواء  
 كان بغير سرعة أم بسرعة وبغير خوف منه أم بسبب الخوف وبالإضطرار أم  
 بغير الإضطرار كل ذلك لا نفع فيه ولأجل هذه الدقيقة عبّر عليه السلام في المقام  
 بالموافاة التي اخذت في مفهومها الفجأة يقال وافى موافاة فلاناً حقه بمعنى  
 وفاه الرجل ولهذا قيل الموت يأتي بغتة والفرق بين مطلق الملافة وهي إذا  
 كانت بغتة مما لا يخفى على المتدبر والحاصل أن الفار من الموت يلاقيه لا  
 محالة والهارب فيه يلاقيه فجأة فتأمل.

□ قوله عليه السلام: كَمْ أَطْرَدْتُ الْأَيَّامَ أَبْحَثُهَا عَنْ مَكُونِ هَذَا الْأَمْرِ فَأَبَى اللَّهُ إِلَّا إِخْفَاءَهُ  
 هَيْهَاتَ عِلْمٍ مَخْزُونٌ...

إضطربت كلمات الشراح حول هذه العبارة واختلفوا فيها إختلافاً شديداً  
 وتحيروا فيها من حيث إن المراد منه ماذا ووجه الإختلاف أنهم فسروا الأمر في  
 قوله عليه السلام: (عَنْ مَكُونِ هَذَا الْأَمْرِ) بشهادته عليه السلام وموته والمعنى على ما ذهبوا  
 إليه، كم اطردت اي صيرتها طريدةً ابحتها وأفتشها عن مَكُونِ هذا الأمر اي ما  
 زلت ابحت عن كيفية قتلي واي وقت يكون بعينه وفي اي ارض يكون يوماً  
 يوماً فإذا لم اجده في اليوم اطردته واستقبلت يوماً آخر فابحت فيه ايضاً فلا  
 اعلم فأبعده واطرده واستأنف يوماً آخر وهكذا حتى وقع المقدور فهذا ما  
 ذكره الشارح المعتزلي في شرحه ثم قال:

وهذا الكلام يدل على أنه لم يكن يعرف حال قتله مفصلةً من جميع  
 الوجوه وأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اعلمه بذلك مُجْمَلاً لأنه قد ثبت أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال له:  
 ستضرب على هذه وأشار إلى هامته فتخضب منها هذه وأشار إلى لحيته ونقل  
 حديثاً آخر ثم قال وكلام امير المؤمنين يدل على أنه بعد ضرب ابن ملجم له لا  
 يقطع أنه يموت من ضربته الا تراه يقول إن ثبت الوطاة في هذه المزلّة فذاك آه.

قال الخوئي رحمته الله بعد نقله ما نقلناه عنه ما لفظه:

ويظهر منه ان الشارح زعم ان مراده عليه السلام بمكنون هذا الأمر وقت قتله ومكانه المعينان ثم قال وحذا حدوه الشارح البحراني حيث قال وذلك المكنون هو وقته المعين بالتفصيل ومكانه فإن ذلك مما استأثر الله بعلمه كقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾<sup>(١)</sup> و: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾<sup>(٢)</sup> وإن كان قد اخبره الرسول بكيفية قتله مجملاً إلى ان قال وأما بحثه هو فعن تفصيل الوقت والمكان ونحوهما من القرائن المشخصة إلى آخر ما قال. ثم قال الخوئي رحمته الله بعد نقله هذين التفسيرين اللذين مرجعهما إلى واحد ما لفظه:

ولا يكاد ينقضى عجبى من هذين الفاضلين كيف توهمنا ان امير المؤمنين عليه السلام لم يكن عالماً بزمان موته ولا مكانه إلا إجمالاً وأنه لم يكن يعرفهما تفصيلاً إن هذا الأمر زعم فاسد وراي كاسد وذكر رحمته الله بعد ذلك ما حاصله: ان المعتزلي مع روايته الأخبار الغيبية له عليه السلام وإذعانه على صحتها حسبما تقدمت في التنبية الثاني من شرح الخطبة الثانية والتسعين كيف خفي عليه وجه الحق إلى آخر ما قال وأما الشارح البحراني فمع كونه من فضلاء علماء الإمامية كيف قصرت (والنسخة مبيضة إلى قوله لعلم الأئمة بما كان وما يكون وما هو كائن إلى يوم القيمة ولمعرفتهم بوقت موتهم وموت شيعتهم الخ.

ثم ذكر رحمته الله ان الكليني؛ قد عقد في الكافي باباً على ذلك وان الأئمة يعلمون متى يموتون وأنهم لا يموتون إلا بإختيارهم واطال الكلام في المقام ونقل عن المجلسي رحمته الله في شرحه على الكافي ما يطول ذكره مع كونه ايضاً مخدوشاً بل ممنوعاً إن اردت الإطلاع عليه فأنظر إلى شرحه، وبعد ذلك كله استظهر رحمته الله انه عليه السلام كان يعرف تفصيلاً زمان قتله ومكانه كما ظهر دفع الإمكان فيه ووجه كلامه عليه السلام بان المراد بهذا الأمر خفاء الحق ومظلومية اهله وظهور الباطل وغلبة اصحابه وكثرة اعوانه إلى ان قال في آخر كلامه فظهر لي وابى الله إلا إخفائه

عنكم لضعف عقولكم عن فهمه إذ هي من غوامض مسائل القضاء والقدر إلى آخر ما قال ونقل عن المجلسي انتهى.

وانا أقول: فعلى ما ذكره عليه السلام تبعاً للمجلسي عليه السلام أن المراد بالأمر المكنون في كلامه عليه السلام سرّ غلبة الباطل على الحقّ وعلة مظلومية أهل الحقّ والمراد بإخفائه إياه إخفائه منهم لا منه عليه السلام هذا.

إعلم: أن التحقيق حسبما يودّي إليه النظر الدقيق هو أن ما ذكره في شرح كلامه عليه السلام خارج عن الموضوع لا كلام له عليه السلام فيه ولست ادري لم حملوا كلامه عليه السلام على ما حملوه وأي دليل لهم على صحّة حملهم مع أن الكلام خال بالكلية عن موته وقتله فضلاً عن العلم به نعم صدر عليه السلام الخطبة بذكر الموت والأجل وأنه لا بدّ لكلّ أحد من الموت وأن الفرار منه لا ينفع وليس في كلامه عليه السلام غير هذا وأما موته وقتله عليه السلام فليس في صدر الخطبة منه عين ولا أثر فحمل قوله عليه السلام: (عَنْ مَكْنُونِ هَذَا الْأَمْرِ) على قتله كما عليه المعتزلي والبحراني وعلى خفاء الحقّ ومظلومية أهله كما عليه الخوئي لا دليل عليه وهل هذا إلا من حمل الكلام على ما لا يرضى به صاحبه وأوهن من هذا كلّ قول الخوئي عليه السلام في أواخر كلامه أن المراد بإخفائه إخفائه منهم لا منه، فهذه التّقديرات والتّلفيقات من قلة التّدبر في كلامه عليه السلام واضنّ أن الذي أوقعهم في هذه الورطة هو قوله عليه السلام بعد هذا وأما وصيّتي الخ فظنّوا أنه عليه السلام أراد أن موته وقتله كذا وكذا ولم يعلموا أن قوله عليه السلام أما وصيّتي فهو أول الكلام إلا أن الخطبة إنّما صدرت بذكر الموت لأجل المناسبة إذا عرفت هذا فنقول:

مراده (بمَكْنُونِ هَذَا الْأَمْرِ) مكنون الموت الذي مرّ ذكره ويقول عليه السلام (فابني الله إلا إخفائه) أي إخفاء مكنون الموت وسرّه وأن هذا من علم المخزون.

وعليه فمعنى الجملة أنّي اطردت الأيام ابحثها وأفتشها عن مكنون الموت وسرّه فابني الله تعالى إلا إخفائه أي إخفاء سرّ جعل الموت في الموجودات وقوله هيهات الخ أي العلم به بعيد غاية البعد لأنّه علم مخزون عند خالقه

وبارءه هذا هو الذي يقتضيه ظاهر العبارة بقرينة السياق وأما موته ﷺ وقتله وأنه كان عالماً به إجمالاً أو تفصيلاً فهو امر آخر لا بحث لنا فيه في المقام لعدم دلالة العبارة عليه وللبحث فيه مقام آخر.

إن قلت - ملاك البحث على هذا أيضاً موجود إذ يلزم على ما ذكرت عدم علمه ﷺ بالموت ووقته بمعناه العام ومن المعلوم أن الخاص اعني علمه ﷺ بموته وعدمه داخل تحت العام فالبحث بحاله.

قلت - ليس الأمر كما توهمت ضرورة وجود الفرق بين العلم باصل الموت من جهة وقته ومكانه وغير ذلك والعلم بعلة جعله وأنه لم جعل في الموجودات وعبارة أخرى الفرق بين الموت والمصلحة الباعثة على جعله من الحكيم والذي ابى الله إلا إخفائه وجعله من العلم المكنون هو الثاني وأما الأول فلا خفاء فيه بالنسبة إلى الأنبياء والأوصياء وذلك لأن العلم بالمصالح المقتضية لجعل الأحكام وغيرها من اسرار الخلقة مختص به تعالى قال الله تعالى: ﴿ غَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ﴾ (١) و: ﴿ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ﴾ (٢)

وقد حققنا ذلك بما لا مزيد عليه عند قوله ﷺ سلوني قبل ان تفقدوني، وغيره من الموارد وقلنا إن العلم علمان مخزون وغير مخزون والأول مختص به تعالى والثاني اعلمه تعالى غيره ممن إرتضاه وهذا اصل يعتمد عليه في جميع الموارد وينطبق عليه ما ورد في علمهم بما كان وما يكون وما هو كائن إلى يوم القيمة وأما أنهم يعلمون جميع ما يعلمه الله تعالى فلا يقول به احد فتأمل.

□ قوله ﷺ: **أَمَّا وَصِيَّتِي فَاللَّهُ لَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَمُحَمَّدًا ﷺ فَلَا تُضِعُّوا سُنَّتَهُ...**

بعد ما ذكر ﷺ فيما تقدم ذكره أن الموت لابد منه والأجل مساق النفس



وهكذا شرع ﷺ في الوصية لأولاده واصحابه ومتابعيه إلى يوم القيمة وإنما قال ﷺ ذلك بعد ان ضربه ابن ملجم لعنه الله واشرف ﷺ على الموت فإن الوصية مأمورة بها في الشرع المقدس.

فاول ما اشار ﷺ به التوحيد بالله وانه لا شريك له في الملك والثاني ان محمداً ﷺ عبده ورسوله اما الأول اعني عدم الشرك به تعالى فقد قال الله في كتابه: ﴿قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ﴾ (١)

و: ﴿لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ (٢)

و: ﴿وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ (٣)

و: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا﴾ (٤)

و: ﴿أَلَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا﴾ (٥)

و: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ (٦)

و: ﴿عَالِمٌ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٧)

و: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ﴾ (٨)

وفي كون محمداً ﷺ رسولا قال: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ (٩)

و: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولٌ وَخَاتِمَ النَّبِيِّينَ﴾ (١٠)

و: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ (١١) وإنما

خَصَّ ﷺ هذين الأصليين اعني التوحيد والرسالة بالذكر وبدء وصيته بهما لأنهما ركنا الدين واصلاه إذ بهما يتحقق الإسلام وقد مرّ البحث في التوحيد والرسالة مفصلاً.

٢- الكهف - ٢٨  
٤- الجن - ٢٠  
٦- النساء - ١١٦  
٨- المؤمنون - ٥٩  
١٠- الاحزاب - ٤٠

١- الزعد - ٣٦  
٣- الكهف - ٤٢  
٥- آل عمران - ٦٤  
٧- التمل - ٦٣  
٩- آل عمران - ١٤٤  
١١- الفتح - ٢٩

ثُمَّ قَالَ ﷺ فَلَا تَضَيِّعُوا سُنَّتَهُ أَي سُنَّةَ الرَّسُولِ وَفِيهِ إِيمَاءٌ إِلَى أَنَّ مَجْرَدَ الْإِقْرَارِ بِالرَّسَالَةِ بَعْدَ التَّوْحِيدِ لَا يَكْفِي فِي حَصُولِ السَّعَادَةِ فِي الدَّارَيْنِ بَلْ لَا بُدَّ لِلْمُسْلِمِ مِنْ اتِّبَاعِ سُنَّتِهِ وَاصِلِ السَّنَةِ الطَّرِيقَةِ وَفِي الْإِصْطِلَاحِ عِبَارَةٌ عَنْ مَجْمُوعِ الْأَحْكَامِ وَكُلِّ مَا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ وَإِنْ شِئْتَ قَلْتَ الْأَخْذَ بِقَوْلِهِ وَفِعْلُهُ وَتَقْرِيرُهُ وَتَضْيِيعُهَا تَرْكُهَا فِي الْعَمَلِ.

□ قَوْلُهُ ﷺ: أَقِيمُوا هَذَيْنِ الْعَمُودَيْنِ وَأَوْقِدُوا هَذَيْنِ الْمِصْبَاحَيْنِ...

الْعَمْدُ فِي الْأَصْلِ قَصْدُ الشَّيْءِ وَالِاسْتِنَادُ إِلَيْهِ وَالْعَمُودُ خَشَبٌ تَعْتَمِدُ عَلَيْهِ الْخَيْمُ وَجَمْعُهُ عُمْدٌ وَعَمْدٌ وَكَذَلِكَ يُقَالُ عَلَيَّ مَا يَأْخُذُهُ الْإِنْسَانُ بِيَدِهِ مُعْتَمِداً عَلَيْهِ مِنْ حَدِيدٍ أَوْ خَشَبٍ كَالْعَصَا مِثْلاً.

فِاسْتِعَارِ الْعَمُودِ لِمَا يُعْتَمَدُ عَلَيْهِ فِي الدِّينِ وَوَجْهَ الشَّبْهِ مَعْلُومٌ فَإِنَّ الْخَيْمَةَ تُعْتَمَدُ عَلَى عَمُودِهَا وَالدِّينَ يُعْتَمَدُ عَلَى التَّوْحِيدِ وَالرَّسَالَةِ فَكَمَا أَنَّهُ لَا قِوَامَ لَهَا بَدُونَهُ فَكَذَلِكَ لَا قِوَامَ لَهُ بَدُونَهُمَا إِلَّا أَنَّ الْخَيْمَةَ لَهَا عَمُودٌ وَاحِدٌ وَلِلدِّينِ عَمُودَانِ وَإِنَّمَا قَلْنَا لَا قِوَامَ لِلدِّينِ بَدُونَهُمَا لِأَنَّ الدِّينَ لَا وَجُودَ لَهُ إِلَّا بِهِمَا ضَرُورَةٌ إِنَّ الدِّينَ بغيرِ التَّوْحِيدِ وَالرَّسَالَةِ مَجْرَدُ لَفْظٍ لَا مُصْدَقٌ وَلَا مَعْنَى لَهُ.

ثُمَّ اسْتِعَارَ ثَانِياً وَعَبَّرَ عَنْهُمَا بِالْمِصْبَاحَيْنِ لِأَنَّ الْمِصْبَاحَ يُسْتَصْبَحُ بِهِ فِي رَفْعِ الظُّلْمَةِ وَالتَّوْحِيدِ وَالرَّسَالَةِ يُسْتَصْبَحُ بِهِمَا فِي رَفْعِ الشُّكُوكِ وَالْكَفْرِ وَأَمْثَالِهَا مِنَ الظُّلْمَاتِ الْمَعْنَوِيَّةِ وَكَمَا أَنَّ الْمِصْبَاحَ دَلِيلٌ فِي الظُّلْمَةِ فَالَّذِينَ أَيْضاً كَذَلِكَ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ بِالْفَارْسِيَّةِ:

چندين چراغ دارد و بی‌راه می‌رود

بگذار تا بیفتد و بیند سزای خویش

فَقَوْلُهُ ﷺ: أَقِيمُوا هَذَيْنِ الْعَمُودَيْنِ إِشَارَةٌ إِلَى حِفْظِ الدِّينِ وَمَلَاذِمَتِهِ فِي جَمِيعِ الشُّؤْنِ قَوْلاً وَفِعْلاً وَقَوْلُهُ ﷺ وَأَوْقِدُوا هَذَيْنِ الْمِصْبَاحَيْنِ إِشَارَةٌ إِلَى إِيجَادِهِمَا فِي أَعْمَالِهِ وَأَقْوَالِهِ وَإِنَّمَا قَالَ فِي الْأَوَّلِ أَقِيمُوا وَفِي الثَّانِي أَوْقِدُوا لِأَنَّ

المناسب للعمود إقامته وللمصباح إيقاده وهو ظاهر ولا يبعد ان يكون الإيقاد إشارة إلى ترويضهما وبسطهما في الناس.

□ قوله ﷺ: «وَحَلَاكُمُ ذَمُّ مَا لَمْ تُشْرُدُوا...»

أي برئتم من الذم ما لم تنفردوا وتميلوا عن الحق وبعبارة أخرى لا يتوجه الذم إليكم إن كنتم متفقيين معتصمين بحبل الله فإن العزة والشوكة في الإتحاد كما أن الذلة والحقارة في الاختلاف.

□ قوله ﷺ: «حُمِّلَ كُلُّ امْرِئٍ مِنْكُمْ مَجْهُودَهُ وَخُفِّفَ عَنِ الْجَهْلَةِ رَبُّ رَحِيمٌ وَدَيْنٌ قَوِيمٌ وَإِمَامٌ عَلِيمٌ...»

قال الله تعالى: «لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا»<sup>(١)</sup> والمقصود أن الله تعالى كلف كل أحد منكم مبلغ وسعه وطاقته هكذا قالوا في شرح العبارة.

والذي يختلج بالبال هو غير ما ذكره وحاصله أن المراد حمل كل إنسان ما كسبه وعمل به في الدنيا من الأجر والثواب المترتب عليه إن كان خيراً والوزر والوبال والنكال إن كان شراً وإنما قلنا ذلك لأن المجهود عبارة عما يجهد به في الدنيا من الأعمال الناشئة من الإنسان الواقعة منه في الخارج ومن المعلوم أن العمل ما لم يقع في الخارج لا يسمى مجهداً كما أن زيداً مثلاً ما لم يضرب لا يسمى مضروباً فإذا قلنا حمل كل إنسان مضروباً معناه حمله وزره المترتب عليه لا قدرته على الضرب.

ففي المقام قال ﷺ: «حُمِّلَ كُلُّ امْرِئٍ مِنْكُمْ مَجْهُودَهُ وَلَمْ يَقْلْ جِهْدَهُ فَلَوْ كَانَ الْمُرَادُ مَا ذَكَرُوهُ لَيَنْبَغِي أَنْ يَقَالَ جِهْدَهُ وَطَاقَتَهُ مَثَلًا وَهَذَا ظَاهِرٌ لَا خَفَاءَ فِيهِ فَقَوْلُهُ ﷺ عِبَارَةٌ أُخْرَى لِقَوْلِهِ تَعَالَى: «لَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى»<sup>(٢)</sup>

و: «لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ»<sup>(٣)</sup> وأمثال ذلك من الآيات فتأمل.

وأما قوله ﷺ وَخُفِّفَ عَنِ الْجَهْلَةِ فهو إشارة إلى أن الله تعالى لم يكلف الجهال بما كلف به العلماء إذ الجاهل معذور في كثير من الموارد في الفروع الفقهية من حيث جهله بالأحكام والموضوعات كما هو مقرر في كتب الفقهاء وأما الأصول فلا، إلا أن يكون قاصراً في بعض الموارد.

□ قوله ﷺ: رَبُّ رَحِيمٌ وَدِينٌ قَوِيمٌ وَإِمَامٌ عَلِيمٌ...

قال الخوئي رحمه الله في إعراب هذه الكلمات وتركيبها ما لفظه: برفع الجميع على الخبر أي ربكم رحيمٌ ودينكم قويمٌ وهكذا على الابتداء والخبر محذوف أي لكم رب رحيم ودين قويم آه ثم قال: قال الشارح المعتزلي ومن الناس من يجعل رب رحيم فاعل خفف على رواية من رواه فعلاً معلوماً وليس بمُستحسن لأن عطف الدين عليه يقتضي أن يكون الدين أيضاً مخففاً وهذا لا يصح انتهى.

وقال المجلسي رحمه الله أن في أكثر النسخ خفف على بناء المعلوم فقوله رب فاعله ولا يضر عطف الدين والإمام عليه لشيوع التجوز في الإسناد انتهى.

اقول: لكل هذه الوجوه وجه وظاهر الكلام يقتضي الأخير وهو الأنسب بسياق العبارة وعليه فالمعنى أن المخفف لكم هو الرب الرحيم آه ويؤيده قوله ﷺ: بُعِثْتُ إِلَى الشَّرِيعَةِ السَّمْحَةِ السَّهْلَةِ وَمَعْلُومٌ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى رَحِيمٌ بِعِبَادِهِ فَلَا يَكْلَفُهُمْ مَا لَا طَاقَةَ لَهُمْ بِهِ وَحَدِيثُ الرَّفْعِ أَيْضاً يُؤَيِّدُهُ.

□ قوله ﷺ: أَنَا بِالْأَمْسِ صَاحِبِكُمْ وَأَنَا الْيَوْمَ عِبْرَةٌ لَكُمْ وَغَدًا مُفَارِقُكُمْ غَفَرَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ...

ثم قال أنا بالأمس صاحبكم أي كنت صحيحاً مثلكم مانوساً بكم وأنا اليوم عبرة لكم تعتبرون بي فإني مضرّوب مجرّوح مشرف على الموت الذي لا بد منه وغداً مفارقكم فإني أموت والموت هو الفراق بين الأحبة وتكرار المسند إليه أعني قوله ﷺ: (أنا) للتأكيد والتثبيت غفر الله لي ولكم فإن الله تعالى هو

المناسب للعمود إقامته وللمصباح إيقاده وهو ظاهر ولا يبعد ان يكون الإيقاد إشارة إلى ترويجهما وبسطهما في الناس.

□ قوله ﷺ: «وَخَلَاكُمْ ذَمٌّ مَا لَمْ تُشْرُدُوا...»

أي برئتم من الذم ما لم تنفردوا وتميلوا عن الحق وبعبارة أخرى لا يتوجه الذم إليكم إن كنتم متفقين معتصمين بحبل الله فإن العزة والشوكة في الإتحاد كما أن الذلة والحقارة في الاختلاف.

□ قوله ﷺ: «حُمِّلَ كُلُّ امْرِئٍ مِنْكُمْ مَجْهُودَهُ وَخُفِّفَ عَنِ الْجَهْلَةِ رَبُّ رَحِيمٌ وَدَيْنٌ قَوِيمٌ وَإِمَامٌ عَلِيمٌ...»

قال الله تعالى: «لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا»<sup>(١)</sup> والمقصود أن الله تعالى كلف كل أحد منكم مبلغ وسعه وطاقته هكذا قالوا في شرح العبارة.

والذي يختلج بالبال هو غير ما ذكروه وحاصله أن المراد حمل كل إنسان ما كسبه وعمل به في الدنيا من الأجر والثواب المترتب عليه إن كان خيراً والوزر والوبال والنكال إن كان شراً وإثما قلنا ذلك لأن المجهود عبارة عما يجهد به في الدنيا من الأعمال الناشئة من الإنسان الواقعة منه في الخارج ومن المعلوم أن العمل ما لم يقع في الخارج لا يسمى مجهوداً كما أن زيداً مثلاً ما لم يضرب لا يسمى مضروباً فإذا قلنا حمل كل إنسان مضروباً معناه حمله وزره المترتب عليه لا قدرته على الضرب.

ففي المقام قال ﷺ: «حُمِّلَ كُلُّ امْرِئٍ مِنْكُمْ مَجْهُودَهُ وَلَمْ يَقُلْ جِهْدَهُ فَلَوْ كَانَ الْمُرَادُ مَا ذَكَرُوهُ لَيَنْبَغِي أَنْ يَقَالَ جِهْدَهُ وَطَاقَتَهُ مِثْلًا وَهَذَا ظَاهِرٌ لَا خَفَاءَ فِيهِ فَقَوْلُهُ ﷺ عِبَارَةٌ أُخْرَى لِقَوْلِهِ تَعَالَى: «لَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى»<sup>(٢)</sup>

و: «لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ»<sup>(٣)</sup> وأمثال ذلك من الآيات فتأمل.

وأما قوله ﷺ وَخُفِّفَ عَنِ الْجَهْلَةِ فهو إشارة إلى أن الله تعالى لم يكلف الجهال بما كلف به العلماء إذ الجاهل معذور في كثير من الموارد في الفروع الفقهية من حيث جهله بالأحكام والموضوعات كما هو مقرر في كتب الفقهاء وأما الأصول فلا، إلا أن يكون قاصراً في بعض الموارد.

□ قوله ﷺ: رَبُّ رَحِيمٌ وَدِينٌ قَوِيمٌ وَإِمَامٌ عَلِيمٌ...

قال الخوئي رحمه الله في إعراب هذه الكلمات وتركيبها ما لفظه: برفع الجميع على الخبر أي ربكم رحيمٌ ودينكم قويمٌ وهكذا على الابتداء والخبر محذوف أي لكم رب رحيم ودين قويم آه ثم قال: قال الشارح المعتزلي ومن الناس من يجعل رب رحيم فاعل خفف على رواية من رواه فعلاً معلوماً وليس بمُستحسنٍ لأن عطف الدين عليه يقتضي أن يكون الدين أيضاً مخففاً وهذا لا يصح انتهى.

وقال المجلسي رحمه الله أن في أكثر النسخ خفف على بناء المعلوم فقوله رب فاعله ولا يضر عطف الدين والإمام عليه لشيوع التجوز في الإسناد انتهى.

اقول: لكل هذه الوجوه وجه وظاهر الكلام يقتضي الأخير وهو الأنسب بسياق العبارة وعليه فالمعنى أن المخفف لكم هو الرب الرحيم آه ويؤيده قوله ﷺ: بُعِثْتُ إِلَى الشَّرِيعَةِ السَّمْحَةِ السَّهْلَةِ ومعلوم أن الله تعالى رحيم بعباده فلا يكلفهم ما لا طاقة لهم به وحديث الرفع أيضاً يؤيده.

□ قوله ﷺ: أَنَا بِالْأَمْسِ صَاحِبِكُمْ وَأَنَا الْيَوْمَ عِبْرَةٌ لَكُمْ وَغَدًا مُفَارِقُكُمْ غَفَرَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ...

ثم قال أنا بالأمس صاحبكم أي كنت صحيحاً مثلكم مانوساً بكم وأنا اليوم عبرة لكم تعتبرون بي فإني مضروب مجروح مشرق على الموت الذي لا بد منه وغداً مفارقكم فإني أموت والموت هو الفراق بين الأحبة وتكرار المسند إليه أعني قوله ﷺ: (أنا) للتأكيد والتثبيت غفر الله لي ولكم فإن الله تعالى هو

الغفور الرحيم يغفر لمن يشاء.

وإنما قَدَّمَ ﷺ نفسه الشريفة على غيره في الدعاء وقال (لي ولكم) ولم يقل (لكم ولي) للدلالة على أنه ﷺ كان واسطة بين الخالق والمخلوق من جهة الإفاضات الربانية لكونه ﷺ إماماً لهم بعد الرسول ﷺ وعليه فوصول العنايات وشمول الإفاضات للناس بسببه لكونه أقرب الناس إلى الرب قريباً معنوياً ولأجل هذه الدقيقة كان الرسول ﷺ إذا دعاء بدء بنفسه الشريفة وقد ورد في الزيارة الجامعة الكبيرة المروية عن المعصوم ما يدل عليه.

قال ﷺ ومن أراد الله بدء بكم ومن وحده قبل عنكم ومن قصده توجه بكم موالى لا أحصي ثناءكم ولا أبلغ من المدح كنهكم ومن الوصف قدركم وأنتم نور الأخيار وهداة الأبرار وحجج الجبار بكم فتح الله وبكم يختم الله وبكم ينزل الغيث وبكم يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه وبكم ينفس الهمم ويكشف الضرّ وعندكم ما نزلت به رسله وهبطت به ملائكته الخ.

□ قوله ﷺ: **أَنْ ثَبَّتِ الْوَطْأَةَ فِي هَذِهِ الْمَزَلَّةِ فَذَاكَ...**

قد اضطربت كلمات الشراح في المقام في المقصود بالمزلة فقال المعتزلي المراد بها الموت ويظهر منه عدم علمه ﷺ بموته قطعاً وأنا أذكر ما ذكره بألفاظه وعباراته قال:

وكلام أمير المؤمنين يدل على أنه بعد ضرب ابن ملجم له لا يقطع على أنه يموت من ضربته، ألا تراه يقول إن ثبت الوطأة في هذه المزلة فذاك وإن تدحض فإنما كنا في أفياء أغصان الخ أي إن أسلمت فذاك الذي يطلبونه يخاطب أهله وأولاده إلى آخر ما قال انتهى.

وقال البحراني رحمه الله وأراد بعداً إما حقيقة إن كان قد غلب على ظنه الموت في تلك الواقعة أو ما يسقبل من الزمان وإن بعد وهذا أرجح لقوله ﷺ ثَبَّتِ الْوَطْأَةَ فِي هَذِهِ الْمَزَلَّةِ أَي إِنْ يَكُنْ لِي شَكٌّ فِي الدُّنْيَا وَيَقَاءُ فِي هَذِهِ الْمَزَلَّةِ أَي مَحَلِّ الزَّوَالِ عَنِ الْحَيَاةِ فَذَاكَ الْمَرْجُوُّ وَكُنْتُ بِثَبَاتِ الْوَطْأَةِ عَمَّا ذَكَرْنَاهُ وَيَدْحُضُ

القدم عن عدم ذلك بالموت انتهى ما أردنا نقله وقال الخوئي رحمته هذا الكلام من قبيل تصوير العالم نفسه بصورة الشاك لبعض المصالح على حدّ قوله تعالى: أَفَأَيْنُّ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ <sup>(١)</sup> قال:

وكيف كان فمقصوده عليه السلام أنه إن ثبت القدم بالبقاء في هذه الدّنيا بأن لا يؤدّي الجرح إلى الهلاك فذاك المراد أي مرادكم إلى آخر ما قال انتهى.

وأنا أقول: ما ذكره الخوئي رحمته في المقام أحسن الأقوال وأما ما ذكره المعتزلي وكذا البحراني فهو خارج عن حريم النزاع بعيد عن سياق العبارة ولا فائدة لنا في البحث والتحقيق عمّا ذكره صحّة وسقماً بعد وضوح المراد.

وهنا شقّ آخر وهو أن يكون المراد بالمزلة في كلامه عليه السلام الدّنيا ولا سيّما حين الخروج عنها بالموت فإنّ الدّنيا مزرعة الآخرة، وهي التي تغتريّ الناس بزخارفها ونعمها الفانية وقلّما يتفق سلامة الإنسان عن آفاتنا وبلباتها والخروج عنها مؤمناً برّبّه معرضاً عنها فإنّ حبّ الدّنيا رأس كلّ خطيئة والحاصل أنّه لا شكّ في كونها مزلة إذا عرفت هذا فنقول:

لعلّ المراد أن ثبت الرطأة أي موضع قدم الإيمان بعدم الإضطراب في الدّنيا فذاك أي فذاك المرجو أي أرجو من الله تعالى ثبات القدم والإخلاص له علماً وعملاً.

□ قوله عليه السلام: وَإِن تَدَخَضِ الْقَدَمُ فَإِنَّا كُنَّا فِي أَفْيَاءِ أَغْصَانٍ، وَ مَهَبِّ رِيّاحٍ، وَ تَحْتَ ظِلِّ غَمَامٍ...

أي وإن تزلق القدم وتضطرب فلا عجب وذلك لأننا كنا في أفياء أغصان وظلالها ومهبّ رياح ومحلّ هبوبها وتحت ظلّ غمام وفي هذه الإستعارات أفاد عليه السلام عدم إعتبار الدّنيا وبقائها وأنّ الحياة فيها كالحيّة في فئ الغصن وظله أو في محلّ هبوب الرّياح وتحت ظلّ الغمام والحاصل أنّنا لا بقاء لنا ومن لا



بقاء ولا ثبات له فإن اضطرب وزلق فلا عجب والحاصل إن للإنسان في الدنيا وما فيها حالتين ولا ثالث لهما إحداهما الثبات والاستقامة في إيمانه والعمل بمقتضاه وعدم العلاقة بالدنيا وما فيها وحب الآخرة ونعيمها.

وثانيهما: الإضطراب وعدم الثبات وحب الدنيا وأمثال ذلك.

فإن كان الأول فذاك المرجو للمؤمن وإن كان الثاني فهو أيضاً ممّالاً عجب فيه بالنسبة إلى الإنسان الذي كان كذا وكذا فإن الفطرة والغريزة الإنسانية تقتضي الإنحراف كما أن العقل والدين يقتضيان الثبات والاستقامة على الطريق المستقيم هذا.

وأنت ترى أن هذا الكلام بناء على ما شرحناه أجنبى عمّا قالوه فيه بالكليّة من أنه ﷺ كان عالماً بموته أو لا بل المراد ما ذكرناه فإن تذكّية المرء نفسه فبيح، وإلا فمن المعلوم أنه لم تدحض قدمه في الدنيا أصلاً لكونه معصوماً منزهاً عن الزلّة فما ذكره إنما هو بحسب التقسيم العقلي الدائر بين كذا وكذا هذا ما فهمناه من كلامه ولعلك تفهم منه ما لم تفهمه.

□ قوله ﷺ: **إِضْمَحَلَّ فِي الْجَوْ مُتَلَفِّقُهَا وَعَفَى فِي الْأَرْضِ مَخْطُهَا...**

ثم عقب ﷺ كلامه بأن الإنسان بعد موته لا يبقى منه عين ولا أثر وذلك لأن ملتَمَّاتِها تَضْمَحَلُّ فِي الْجَوْ وَتَفْنِي بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ فَلَا يَبْقَى مِنْهَا شَيْءٌ أَصْلًا وَعَفَى فِي الْأَرْضِ مَخْطُهَا وَأَثَرُهَا.

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفاء

أنيس ولم يسمر بمكة سامر

وفي وقوله ﷺ: **مُتَلَفِّقُهَا** إشارة إلى بقاء الروح بعد مفارقة البدن وذلك لأن الحكم بالإضمحلال قد خصّ بالملتَمَّاتِ أعني البدن وأما الرُّوحُ فلا وبعبارة أخرى ما يكون مُتَلَفِّقاً مُلْتَمَّاتاً من الأجزاء فهو محكوم بالإضمحلال وما لا يكون كذلك فالحكم لا يشملُه وحيث قد ثبت تلفيق البدن وتركيبه عقلاً ونقلًا وجسناً فهو مشمول له وأما الرُّوحُ فلا تركيب فيه فهو خارج عن الحكم.

وإشارة أخرى وهي أن الجسد محكوم بالإضمحلال وهو تفرق الأجزاء  
وتشتتها ولازم ذلك أن لا تكون الأجزاء معدومة ضروره وجود الفرق بين  
الإفتراق في الأجزاء وعدمها.

وإنما إستظهرنا من كلامه عليه السلام ذلك لأن المعدوم لا يعاد وقد مرّ الكلام منه  
في بحث المعاد الجسماني بما لا مزيد عليه وأقمنا هناك الدلائل العقلية عليه  
وأما الإضمحلال في المركب فلا تنافي العود لبقاء المادة وزوال الصورة وقد  
ثبت أن المادة في قبولها الصورة تكون غير مشروطة ولا مقيدة بصورة معينة  
مُشَخَّصة ولنعم ما قاله السعدي بالفارسية:

بسیار سألها بسر خاک ما رود

کاین آب چشمه آید وباد صبا رود

این پنج روزه مهلت ایام آدمی

بر خاک دیگران به تکبر چرا رود

ای دوست بر جنازه دشمن چه بگذری

شادی مکن که بر تو همین ماجرا رود

دامن کشان که می رود امروز بر زمین

فردا غبار کالبدش در هوا رود

خاکت در استخوان رود ای نفس شوخ چشم

مانند سُرمه دان که در او توتیا رود

دنیا حریف سفله و معشوق بی وفاست

چون می رود هر آینه بگذار تا رود

اینست حال تن که تو بینی بزیر خاک

تا جان نازنین که بر آید کجا رود

بر سایبان حسن عمل اعتماد نیست

سعدی مگر بسایه لطف خدا رود

يا رب مغير بنده مسكين و دست گير

کز تو حرم بر آيد و بر ما خطا رود

□ قوله ﷺ: وَإِنَّمَا كُنْتُ جَاراً جَاوَرَ كُمْ بَدَنِي أَيَّاماً...

كلمة إنما تفيد الحصر والمقصود أن مجاورتي إياكم كانت من جهة الجسد والبدن فقط في أيام عمري وفيه إشعار بأن المجاورة لم تكن بالنسبة إلى الأرواح بل كانت في الأبدان العنصرية، وتوضيحه أن الإنسان بحسب الخلق في عالم الخارج مركب من شيئين أحدهما مادي عنصري، والآخر تجردي ملكوتي وعن الأول يعبر بالبدن والجسد والجسم وأمثال ذلك وعن الثاني بالروح والنفس الناطقة الإنسانية وغيرهما من التعابير عند الفلاسفة والعرفاء. ثم إن هذين الموجودين أعني الروح والبدن يفترق كل واحد منهما عن الآخر بحسب ذاته وماهيته بالتجرد وعدمه ويشتركان في الوجود الخارجي لا أن وجود أحدهما عين وجود الآخر في الواقع ونفس الأمر ضرورة وجود الفرق بين الوجود المادي والوجود التجردي بل لهما في الخارج وجود واحد بمعنى أن المشار إليه بهما واحد وعليه فالتركيب بينهما إنضمامي لا إتحادي بحسب الواقع وإن قلنا بكونه إتحادياً بحسب الخارج وكيف كان لا إشكال في تغايرهما وكونها شيئين إذا عرفت هذا.

فإعلم: أن قانون السنخية ثابت بين الموجودات سواء كان الوجود مادياً أم مجرداً أما المادي فمعلوم وأما التجردي فلقوله ﷺ الأرواح جنود مجتدة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف فهذا الحديث يدل على أن الأرواح قبل تعلقها بالأجساد لها إئتلاف واختلاف والوجه ما ذكرناه ثم إن الأرواح بعد تعلقها بالأجساد أيضاً كذلك ومجرد تعلقها بها لا يوجب خروجها عن القاعدة كما هو المستفاد من الحديث فإن قوله ﷺ فما تعارف، أي ما تعارف منها في عالم الأرواح، ائتلف أي ائتلف بعد تعلقه بالبدن وما تناكر منها هناك اختلف هي هنا.

فَقَوْلُهُ ﷺ: جَاوَرَ كُمْ بَدَنِي أَيَّامًا، إِشَارَةٌ إِلَى رُوحِهِ الْمُقَدَّسَةِ النَّوْرِيَّةِ لَمْ تَعْرِفِ  
 الْأَرْوَاحَ الْخَبِيثَةَ الْكَثِيفَةَ هُنَاكَ فِي هَذَا الْعَالَمِ أَيْضًا كَذَلِكَ هَذَا إِذَا قُلْنَا إِنَّ  
 الْخَطَابَ فِي قَوْلِهِ ﷺ: (جَاوَرَ كُمْ) لِلْمُنَافِقِينَ مِنْ أَصْحَابِهِ لَا الْخَوَاصِّ مِنْهُمْ وَأَمَّا  
 إِذَا قُلْنَا بِعَمُومِ الْخَطَابِ كَمَا هُوَ ظَاهِرُ الْعِبَارَةِ مِضَافًا إِلَى أَصَالَةِ الْإِطْلَاقِ فَالْكَلَامُ  
 يَدُلُّ عَلَيَّ أَنَّ رُوحَهُ الْمُقَدَّسَةَ غَيْرَ سَائِرِ الْأَرْوَاحِ بِحَسَبِ الْحَقِيقَةِ وَالْمَاهِيَةِ  
 وَالْمَرَادِ بِسَائِرِ الْأَرْوَاحِ أَرْوَاحَ غَيْرِ الْمُعْصُومِينَ مِنَ النَّاسِ أَجْمَعِينَ وَهَذَا الْمَعْنَى  
 أَيْضًا مُؤَيَّدٌ بِالزَّوَايَاتِ الْكَثِيرَةِ الدَّالَّةِ عَلَيَّ أَنَّ أَرْوَاحَهُمُ نُورِيَّةٌ وَهُوَ الدَّلِيلُ عَلَيَّ  
 عَدَمِ الْمَجَاوِرَةِ فَإِنَّ الْمَجَاوِرَةَ فِرْعُ الْمَجَانِسَةِ وَحَيْثُ قَدْ ثَبَتَ كَوْنُ الْأَرْوَاحِ فِيهِمْ  
 أَنْوَارًا وَفِي غَيْرِهِمْ ظُلُمَاتٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِمْ فَالْمَجَانِسَةُ بَيْنَ أَرْوَاحِهِمْ وَأَرْوَاحِ  
 غَيْرِهِمْ مُتَّفِقَةٌ كَمَا أَنَّ التَّجَانِسَ بَيْنَ النُّورِ وَالظُّلْمَةِ غَيْرُ مَوْجُودٍ وَإِذَا ارْتَفَعَ  
 التَّجَانِسُ ارْتَفَعَتِ الْمَجَاوِرَةُ وَهَذِينَ الْإِحْتِمَالِينَ لَا بَأْسَ بِهِمَا إِلَّا أَنَّ الثَّانِي أَقْوَى  
 نَظْرًا إِلَى الْعَمُومِ وَالْأَوَّلُ نَظْرًا إِلَى الْخِصُوصِ وَنَحْنُ نَشِيرُ إِلَى بَعْضِ مَا وَرَدَ فِي  
 الْبَابِ تَأْيِيدًا لِمَا اسْتَظْهَرْنَا.

مِنْهَا مَا رَوَاهُ فِي الْبَحَارِ بِإِسْنَادِهِ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ ﷺ قَالَ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ  
 أَرْبَعَةَ عَشَرَ نُورًا مِنْ نُورِ عَظْمَتِهِ قَبْلَ خَلْقِ آدَمَ أَرْبَعَةَ عَشَرَ أَلْفَ عَامٍ فَهِيَ  
 أَرْوَاحُنَا فَقِيلَ يَا بَنَ رَسُولَ اللَّهِ عَدَّهِمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَمَنْ هُوَ لِأَرْبَعَةِ عَشَرَ فَقَالَ  
 هُوَ مُحَمَّدٌ وَعَلِيٌّ وَفَاطِمَةُ وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ وَتِسْعَةٌ مِنْ وَلَدِ الْحَسَنِ  
 وَتَاسِعٌ قَائِمُهُمُ الْحَدِيثُ «ص ١٨٠ ج ٧»...

وَبِإِسْنَادِهِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ وَهُوَ يَخَاطِبُ  
 عَلِيًّا يَا عَلِيُّ إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى كَانَ وَلَا شَيْءَ مَعَهُ فَخَلَقَنِي وَخَلَقَكَ رُوحَيْنِ  
 مِنْ نُورِ جَلَالِهِ فَكُنَّا أَمَامَ عَرْشِ رَبِّ الْعَالَمِينَ نُسَبِّحُ اللَّهَ وَنُقَدِّسُهُ وَنُحَمِّدُهُ  
 وَنُهَلِّلُهُ بِطَوْلِهِ وَتَفْصِيلِهِ «ج ٧ ط كَمْبَانِي ص ١٨٠»...

وَبِإِسْنَادِهِ عَنْ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ قَالَ دَخَلْتُ عَلَيَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَسَاقَ  
 الْحَدِيثَ إِلَيَّ أَنْ قَالَ ﷺ يَا سَلْمَانَ خَلَقَنِي اللَّهُ مِنْ صَفْوَةِ نُورِهِ وَدَعَانِي فَاطِعْتُهُ

وَخَلَقَ مِنْ نُورِي نُورَ عَلِيٍّ عليه السلام فَدَعَاهُ إِلَى طَاعَتِهِ فَاطَاعَهُ وَخَلَقَ مِنْ نُورِي  
وَنُورِ عَلِيٍّ فَاطِمَةَ فَدَعَاها فَاطَاعَتَهُ وَخَلَقَ مِنِّي وَمِنْ عَلِيٍّ وَفَاطِمَةَ الْحَسَنَ  
وَالْحُسَيْنَ فَدَعَاهُمَا فَاطَاعَاهُ فَسَمَّانَا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِخَمْسَةِ أَسْمَاءٍ مِنْ أَسْمَائِهِ  
فَاللهُ مُحَمَّدٌ وَأَنَا مُحَمَّدٌ وَاللهُ الْعَلِيُّ وَهَذَا عَلِيٌّ وَاللهُ فَاطِرٌ وَهَذِهِ فَاطِمَةُ وَاللهُ ذُو  
الْإِحْسَانِ وَهَذَا الْحَسَنُ وَاللهُ الْمُحْسِنُ وَهَذَا الْحُسَيْنُ ثُمَّ خَلَقَ مِنَّا وَمِنْ نُورِ  
الْحُسَيْنِ تِسْعَةَ أُنْمَةِ فَدَعَاهُمْ فَاطَاعُوهُ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ اللهُ سَمَاءً مَبْنِيَّةً وَأَرْضاً  
مَدْحِيَّةً وَهَوَاءً وَمَاءً وَمَلَكاً وَبَشِراً وَكُنَّا بِعِلْمِهِ أَنْوَاراً نَسْبَحُهُ وَنَسْمَعُ لَهُ  
الْحَدِيثُ «ج ٧ ص ١٨١»...

وَبِإِسْنَادِهِ عَنْ أَبِي حَمْرَةَ قَالَ سَمِعْتُ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ عليهما السلام يَقُولُ إِنَّ اللهَ عَزَّ  
وَجَلَّ خَلَقَ مُحَمَّدًا وَعَلِيًّا وَالْأُنْمَةَ الْأَحَدَ عَشَرَ مِنْ نُورِ عَظْمَتِهِ أَرْوَاحًا فِي ضِيَاءِ  
نُورِهِ يَعْبُدُونَهُ قَبْلَ خَلْقِ الْخَلْقِ الْحَدِيثُ «ج ٧ ص ١٨٢»...

وَبِإِسْنَادِهِ عَنِ الْمَفْضَلِ قَالَ الصَّادِقُ عليه السلام إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى خَلَقَ أَرْبَعَةَ  
عَشَرَ نُورًا قَبْلَ خَلْقِ الْخَلْقِ بِأَرْبَعَةِ عَشَرَ أَلْفَ عَامٍ فَهِيَ أَرْوَاحُنَا فَاقِيلُ لَهُ يَا ابْنَ  
رَسُولِ اللهِ وَمِنَ الْأَرْبَعَةِ عَشَرَ؟ فَقَالَ مُحَمَّدٌ وَعَلِيٌّ وَفَاطِمَةُ وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ  
وَالْأُنْمَةُ مِنْ وَلَدِ الْحُسَيْنِ الْحَدِيثُ «ج ٧ ص ١٨٣»...

أقول: والأحاديث بهذا المضامين كثيرة ويظهر منها أن أرواحهم عليهم السلام غير  
سائر الأرواح وذلك لأنها خلقت من نور عظمتها فلا ظلمة فيها أصلاً بخلاف  
سائر الأرواح وعليه فلا سنجية بينها وبين غيرها وهو المطلوب ولعل هذا هو  
السّر في تخصيصه عليه السلام البدن بالذكر الدال بمفهومه المخالف أن روحه عليه السلام لم  
يكن مجاورة لأرواحهم فتأمل.

□ قوله عليه السلام: «وَسَتُعْقَبُونَ مِنِّي جُثَّةً خَلَاءً سَاكِنَةً بَعْدَ حَرَائِكِ وَصَامِتَةً بَعْدَ نُطُوقِي...»  
أي وستجدون بعد رحلتي ومفارقة رُوحِي عن بدني مِنِّي جُثَّةً وَجَسَداً  
خَالِيَةً عَنِ الرُّوحِ وَسَاكِنَةً بَعْدَ الحَرَكَةِ وَصَامِتَةً بَعْدَ النُّطُوقِ.

وفي وقوله عليه السلام هذا إشارة إلى مُفَارَقَةِ الرُّوحِ عَنِ البَدَنِ بِسَبَبِ المَوْتِ وَأَنَّهَا

لا ترى بل ترجع إلى أصلها وهو عالم المُجَرَّدات والذي يبقى هو البدن وقوله ﷺ: سَاكِنَةٌ بَعْدَ حَزَاكِ الْخِإِشَارَةُ إِلَى أَنْ الْحَرَكَةَ وَالنُّطْقَ مِنْ آثَارِ الرُّوحِ فَإِذَا فَارَقْتَ الرُّوحَ الْبَدْنَ لَا يَبْقَى لهُمَا وَجُودٌ فِيهِ وَبِهَذَا يَظْهَرُ أَنَّ الْمُنْشَأَ فِي الْآثَارِ الْوُجُودِيَّةِ هُوَ الرُّوحُ وَأَمَّا الْبَدْنَ فَلَا أَثَرَ لَهُ مِنْ هَذِهِ الْجِهَةِ نَعَمْ لَهُ دَخَلَ فِي تَرْتُّبِ الْآثَارِ الْخَارِجِيَّةِ عَلَى الرُّوحِ مِنْ جِهَةِ كَوْنِهِ مُرَكَّباً لَهَا.

□ قوله ﷺ: لِيَعْظَمَكُمْ هُدُوءِي وَخَفُوتُ إِطْرَاقِي وَسُكُونُ أَطْرَاقِي ...

واللام للغاية أي غاية ما ذكرناه الموعظة والمعنى ليعظكم هدؤي وعدم تحرّكي وخفوت إطراقي أي سكون إرخاء عيني إلى الأرض بعدم تحريك الأجناف، وسكون أطراقي من الرأس واليّد والرّجل وغيرها من الجوارح والأعضاء.

□ قوله ﷺ: فَإِنَّهُ أَوْعَظُ لِلْمُعْتَبِرِينَ مِنَ الْمُنْطِقِ الْبَلِيغِ وَالْقَوْلِ الْمَسْمُوعِ ...

فإنه أي الموت وسكون الحواسّ أو عظم أي أبلغ موعظة لمن إعتبر من الواعظ بسبب النطق والقول المسّموع من الواعظ ووجه كونه أو عظم هو كونه حسيّاً والنطق عقليّ والجسّ مقدّم على العقل، لأنّ المحسوس مَصُونٌ عن الخطأ بخلاف المعقول والمسّموع ولهذا قال ﷺ: كَفَى بِالْمَوْتِ وَاعِظاً وَ قَدْ سَبَقَ الْكَلَامُ فِي الْمَوْتِ وَحَقِيقَتِهِ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهِ عِنْدَ شَرْحِنَا لِبَعْضِ كَلِمَاتِهِ ﷺ فِيمَا مَضَى تَفْصِيلاً.

□ قوله ﷺ: وَدَاعِي لَكُمْ وَدَاعُ إِمْرِي مُرْصَدٌ لِّلْتَّلَاقِي، غَدَاً تَرَوْنَ أَيَّامِي، وَ يُكْشَفُ لَكُمْ عَنْ سَرَائِرِي ...

أي أنا داعيكم إلى الحقّ وأودعكم وداع إمرؤ للملاقات من ربّه وهو كناية عن إشرافه ﷺ على الموت غداً ترون أيامي، قالوا في شرح العبارة أي بعد مفارقتي أياكم وتولّي بني أمية أمركم تعرفون فضلي وفضل أيام خلافتي وإني كنت باراً بكم عطفواً عليكم وكنت على الحقّ انتهى.

أقول: و يمكن أن يكون المراد بالغد يوم القيمة والمعنى يوم القيمة ترون

أَيَّامِي فِي الدُّنْيَا وَبِعِبَارَةٍ أُخْرَى الأَعْمَالُ الصَّالِحَةُ فِي الدُّنْيَا يَثَابُ عَلَيْهَا فِي الأَخْرَةِ لَا فِي الدُّنْيَا فَإِنَّ الأَخْرَةَ هِيَ دَارُ الْجَزَاءِ وَيُؤَيَّدُ هَذَا الْمَعْنَى قَوْلُهُ ﷺ: وَ يُكْشَفُ لَكُمْ عَنْ سَرَائِرِي، فَإِنَّ الأَخْرَةَ كَاشِفَةٌ عَنْهَا أَلَا تَرَى أَنَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَوْمُ تَبْلَى السَّرَائِرِ.

□ قَوْلُهُ ﷺ: وَتَعْرِفُونَنِي بَعْدَ خُلُوعِ مَكَانِي، وَقِيَامِ غَيْرِي مَقَامِي...

أَيُّ وَتَعْرِفُونَنِي بِالْعَدَالَةِ وَإِتِّبَاعِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ بَعْدَ خُلُوعِ مَكَانِي عَنِّي وَهُوَ كِنَايَةٌ عَنِ مَوْتِهِ ﷺ: وَقِيَامِ غَيْرِي مِنَ الْخُلَفَاءِ الظَّالِمِينَ مَقَامِي فِي الْحُكُومَةِ عَلَيْكُمْ فَإِنَّ الأَشْيَاءَ، تَعْرِفُ بِأَضْدَادِهَا، وَفِيمَا ذَكَرَهُ ﷺ إِيمَاءٌ إِلَى أَنَّ الْإِنْسَانَ مَا دَامَ كَوْنُهُ مُتَنَعِّمًا بِالنِّعَمِ الإِلَهِيَّةِ يَكُونُ غَافِلًا فَإِذَا زَالَتِ النِّعْمَةُ يَصِيرُ مُتَوَجِّهًا وَلَا فَائِدَةَ فِيهِ غَيْرَ التَّحَسُّرِ وَالتَّنَدُّمِ.

وَفِي الْمُنَاقِبِ عَنِ الصَّفْوَانِي فِي الأَحْنِ وَالْمَحْنِ وَالْكَلْبِي فِي الْكَافِي أَنَّهُ لَمَّا تَوَفَّى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ﷺ جَاءَ شَيْخٌ يَبْكِي وَهُوَ يَقُولُ: الْيَوْمَ انْقَطَعَتْ عِلَاقَةُ النَّبُوَّةِ حَتَّى أَخَذَ (وَقَفَ) بِيَابِ الْبَيْتِ الَّذِي فِيهِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ﷺ فَأَخَذَ بَعْضَادَتِي الْبَابَ فَقَالَ:

رَحِمَكَ اللهُ فَلَقَدْ كُنْتُ أَوَّلَ النَّاسِ إِسْلَامًا، وَأَخْلَصَهُمْ إِيمَانًا وَأَشَدَّهُمْ يَقِينًا، وَأَخَوْفَهُمْ مِنَ اللهِ، وَأَطْوَعَهُمْ لِنَبِيِّ اللهِ وَآمَنَهُمْ عَلَيَّ أَصْحَابَهُ أَفْضَلَهُمْ مَنَاقِبًا وَأَكْثَرَهُمْ سَوَابِقًا وَأَشْبَهَهُمْ بِهِ خَلْقًا وَخُلُقًا وَسِيمَاءً وَفَضْلًا وَكُنْتُ أَخْفَضَهُمْ صَوْتًا وَأَعْلَاهُمْ طَوْدًا وَأَقْلَهُمْ كَلَامًا وَأَصْوَبَهُمْ مَنَظِقًا وَأَشَجَعَهُمْ قَلْبًا وَأَحْسَنَهُمْ عَمَلًا وَأَقْوَاهُمْ يَقِينًا حَفِظْتُ مَا ضَيَّعُوا وَرَعَيْتُ مَا أَهْمَلُوا وَشَمَّرْتُ إِذَا اجْتَمَعُوا، وَعَلَوْتُ إِذَا هَلَعُوا وَوَقَفْتُ إِذَا شَرَعُوا وَأَدْرَكْتُ أَوْتَارَ مَا ظَلَمُوا كُنْتُ عَلَى الْكَافِرِينَ عَذَابًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ كَهْفًا وَحِصْنًا كُنْتُ كَالْجِبَلِ الرَّاسِخِ لَا تَحْرُكُكَ الْعَوَاصِفُ وَلَا تُزِيلُكَ الْقَوَاصِفُ، كُنْتُ لِلطِّفْلِ كَالْأَبِ الشَّفِيقِ وَلِلْأَرَامِلِ كَالْبَعْلِ الْعَطُوفِ، قَسَمْتُ بِالسُّوِيَّةِ، وَعَدَلْتُ فِي الرُّعْيَةِ وَأَطْفَأْتُ النَّيِّرَانَ وَكَسَّرْتُ الأَصْنَامَ وَأَذَلَّتْ الأَوْثَانَ وَعَبَدْتُ الرَّحْمَنَ فِي كَلَامٍ لَهُ كَثِيرٌ فَالْتَفَتُوا فَلَمْ يَرَوْا

أحداً فَسُئِلَ الْحَسَنُ عليه السلام من كان الرَّجُلُ؟ فقال الخضر عليه السلام انتهى المناقب لابن شهر آشوب ج ٢ ص ٣٧٤

أقول: أنظر إلى هذا الحديث وأمثاله وما قال الخضر عليه السلام في حقّه وهو من الأنبياء لتعلم سرّ كلامه عليه السلام: ( وَتَعْرِفُونِي بَعْدَ خُلُوقِ مَكَانِي، ) ومناقبه كثيرة جداً ونعم ما قيل في حقّه عليه السلام:

جسَدُ طَهَّرَهُ رَبُّ الْبَرَايَا  
وإِرْتَضَاهُ وَحَبَاهُ لِمَعَانِ  
وَصَفِيٌّ وَوَصِيٌّ وَإِمَامٌ  
وَهُوَ فِي الْبَاطِنِ مِنْ  
أَوَّلِ فِي الْكَوْنِ مِنْ قَبْلِ الْبَرَا  
فَهُوَ فِي الظَّاهِرِ شَخْصٌ بَشَرِي  
وَهُوَ فِي الْبَاطِنِ جِسْمٌ مَلَكِي  
وَلَاخِر:

وَهَلْ تَنَاقَرَتِ الْأَحْلَامُ وَإِنْقَلَبَتِ  
إِلَّا أَضَاءَ لَهُمْ عَنْهَا أَبُو حَسَنِ  
وَهَلْ نَظِيرٌ لَهُ فِي الزُّهْدِ بَيْنَهُمْ  
وَهَلْ أَطَاعَ النَّبِيَّ الْمُصْطَفَى بَشَرٌ  
وَلَاخِر:

عَلِيٌّ الَّذِي لَمَّا تَشَوَّقَ فِي السَّمَاءِ  
عَلَى خَلْقِهِ ذُو الْعَرْشِ صَوَّرَ مَلَكاً  
وَلَاخِر:

أَلَا إِنَّهُ طَهَّرَ زَكِيٍّ مُطَهَّرٌ  
غُلَاماً وَكَهْلاً خَيْرَ كَهْلٍ وَيَافِعٍ  
وَأَشَجَعَهُمْ قَلْباً وَأَصْدَقَهُمْ أَخاً

وَاجْتَبَاهُ وَإِصْطَفَاهُ مِنْ عَلِيٍّ  
لَطُفَتْ عَنْ كُلِّ مَعْنَى مَعْنَوِي  
عَادِلٌ فِي حُكْمِهِ بَعْدَ النَّبِيِّ  
مَكْنُونٌ سِرٌّ أَوْحَدِي  
يَا آخِرُ فِي الْآخِرِي  
نَاطِقٌ مِنْ جِسْمِ رَبِّ آدَمِي  
أَبْطَحِي قُرْشِي هَاشِمِي وَوَلِي

فِيهِمْ فَأَصْبَحَ نُورَ اللَّهِ مُنْكَشِفاً  
بِعِلْمِهِ وَكِفَاهِهِ حَرَّهَا وَشَفِي  
وَلَوْ أَضْحَاحَ لِدُنْيَا أَوْ بِهَا كَلْفَا  
مِنْ قَبْلِهِ وَحَذَا آثَارَهُ وَقَفَا

إِلَى وَجْهِهِ سُكَّانَهَا شَوْقٌ مُحْرَمٌ  
وَقَالَ لَهُمْ زُورُوا الْوَلِيَّ الْمُطَهَّمُ

سَرِيعٌ إِلَى الْخَيْرَاتِ وَالْبَرَكَاتِ  
وَأَبْسَطَهُمْ كَفْأً إِلَى الْكُرْبَاتِ  
وَأَعْظَمَهُمْ فِي الْمَجْدِ وَالْقُرْبَاتِ



أخو المصطفى بل صهره ووصيته من القوم والسنار للعتورات  
كهرورن من موسى على رغم معشر سيفال لئام شفق البشرات  
وحيث إنجز الكلام إلى هذا المقام وأشار عليه السلام بقتله وموته فلا بأس بصرف  
الكلام إلى ما يناسبه إجمالاً فنقول: لما فرغ أمير المؤمنين عليه السلام من قتل الخوارج  
وأخذ في الرجوع إلى الكوفة سبقه عبد الرحمن ابن ملجم إلى الكوفة يبشر  
أهلها بهلاك الشراة الخوارج فمرّ بدار من دور الكوفة فيها جمع فخرجت منها  
نسوة فرأى فيهن امرأة يقال لها قطام بنت الأصبع التميمي بها مسحة من حسن  
فأحبها حباً شديداً فلما خطبها لنفسه أجابته بمهر ذكره العبد في شعره حيث  
قال:

فلم أر مهراً ساقه ذو سماحة كمهراً قطام من فصيح وأعجم  
ثلاثة آلاف وعبيد وفتية وضرب على بالجسام المسمس  
فلا مهر أغلى من علي وإن علا ولا قتل إلا دون قتل ابن ملجم

فقبل ابن ملجم ذلك فقالت ويحك من يقدر علي قتل علي وهو فارس  
الفرسان ومغالب الأقران والسباق إلى الطعان قال فأقبل، فبعثت إلى وردان ابن  
مجالد التميمي وسألته معونة ابن ملجم وإستعان ابن ملجم بشبيب بن بجرة  
فأعانه وأعانه رجل من وكلاء عمرو بن العاص بخط فيه مائة ألف درهم  
فجعله مهرها فأطعمت لها اللوزينج والجوزينق وسقتهما الخمر العكبري فنام  
شبيب وتمتع ابن ملجم معها ثم قامت فأيقظتهما وعصبت صدورهم بحريز  
وتقلدوا أسيافهم وكمنوا له مقابل السدة وحضر الأشعث بن قيس لمعونتهم  
فقال لابن ملجم النجا النجا لحاجتك فقد ضحك الصبح فأحس حجر ابن  
عدي بما أراد الأشعث وخرج مبادراً ليمضي إلى أمير المؤمنين فدخل  
المسجد فسبقه ابن ملجم فضربه بالسيف .

وقال محمد ابن عبد الله الأزدي أقبل أمير المؤمنين ينادي الصلوة الصلوة  
فإذا هو مضروب وسمعت قائلاً يقول الحكيم لله لا لك يا علي ولا لأصحابك،

وسمعتُ علياً يقول: فزت وربّ الكعبة ثمّ يقول لا يَفُوتنكم الرّجل وكان قد ضربه شبيب فأخطأه وَوَقَعَت ضَرْبته في الطّاق ومضى هارباً حتّى دخل منزله ودخل عليه ابن عمّ له فراه يحلّ الحرير عن صدره فقال ما هذا لعلك قتلت أمير المؤمنين فأراد أن يقول له لا فقال نعم فقتله الأزدي وأما ابن ملجم فإنّ رجلاً من همدان لحقه وطرح عليه قطيفة وصرعه فقال ابن ملجم لقد إبتعته بألف وسَمَمْتُهُ بألف فإنّ خاني فأبعده الله ولقد ضربته ضربة لو قسمتها بين أهل الأرض لأهلكتهم .

وروي أنّه قال ﷺ أطعموه وإسقوه وأحسنوا إساره ثمّ قال ﷺ يا بني عبد المطلب لا ألفينكم تخوضون دماء المسلمين خوفاً تقولون قتل أمير المؤمنين ألا لا تقتلنّ بي إلا قاتلي ونهي عن المثلة وقد وقعت البلية في التاسع عشر من شهر رمضان سنة أربعين من الهجرة وقت فريضة الصّبح ومات في ليلة الإحدى وعشرين ودفن بالغرّي ومزاره مشهور الآن سلام الله عليه وكان عمره ﷺ خمساً وستين سنة هذا هو المشهور وكان ﷺ بمكة مع رسول الله ﷺ من أوّل عمره خمساً وعشرين، إثني عشرة سنة قبل المبعث وثلاث عشرة سنة بعدها ثمّ هاجر ﷺ وأقام مع النّبي بالمدينة إلى أن توفّي ﷺ عشر سنين ثمّ بقي بعد رسول الله ﷺ ثلاثين سنة فذلك خمس وستون سنة وأما مدّة خلافته فكانت قريبة من خمس سنين .

وقال المفيد ؛ أولاد أمير المؤمنين سبعة وعشرون ولداً ذكراً وأنثى وقيل أولاده الذكور أربعة عشر وأولاده الإناث تسعة عشر وقيل غير ذلك . وكان يوم قتله ﷺ عنده أربع حرائر في نكاح وثمانية عشر من أمّهات الأولاد وتفصيلها يطلب من كتب التواريخ والسير .

وقيل في رثائه ﷺ ونسب إلى ابنه الحسن ﷺ

أَيَنْ مَنْ كَانَ لِعِلْمِ الْمُصْطَفَى فِي النَّاسِ بَاباً

أخو المصطفى بل صهره ووصيته من القوم والستار للعورات  
كهبون من موسى على رغم معشر سيفال لثام شفق البشرات  
وحيث إنجز الكلام إلى هذا المقام وأشار عليه السلام بقتله وموته فلا بأس بصرف  
الكلام إلى ما يناسبه إجمالاً فنقول: لما فرغ أمير المؤمنين عليه السلام من قتل الخوارج  
وأخذ في الرجوع إلى الكوفة سبقه عبد الرحمن ابن ملجم إلى الكوفة يبشر  
أهلها بهلاك الشراة الخوارج فمرّ بدار من دور الكوفة فيها جمع فخرجت منها  
نسوة فرأى فيهنّ امرأة يقال لها قطّام بنت الأصبغ التميمي بها مسحة من حسن  
فأحبّها حبّاً شديداً فلما خطبها لنفسه أجابته بمهر ذكره العبد في شعره حيث  
قال:

فلم أر مهراً ساقه ذو سماحة كمهراً قطّام من فصيح وأعجم  
ثلاثة آلاف وعبيد وفتية وضرب على بالحسام المسّمسم  
فلا مهر أغلى من علي وإن علاً ولا قتل إلا دون قتل ابن ملجم

فقبل ابن ملجم ذلك فقالت ويحك من يقدر على قتل علي وهو فارس  
الفرسان ومُغالب الأقران والسباق إلى الطعان قال فأقبل، فبعثت إلى وردان ابن  
مجالد التميمي وسألته معونة ابن ملجم وإستعان ابن ملجم بشبيب بن بجرة  
فأعانه وأعانه رجل من وكلاء عمرو بن العاص بخطّ فيه مائة ألف درهم  
فجعله مهرها فأطعمت لها اللوزينج والجوزينق وسقتهما الخمر العكبري فنام  
شبيب وتمتّع ابن ملجم معها ثم قامت فأيقظتهما وعصبت صدورهم بحريز  
وتقلّدوا أسيافهم وكمنوا له مقابل السدة وحضر الأشعث بن قيس لمعونتهم  
فقال لابن ملجم النجا النجا لحاجتك فقد ضحك الصبح فأحسّ حجر ابن  
عدي بما أراد الأشعث وخرج مبادراً ليمضي إلى أمير المؤمنين فدخل  
المسجد فسبقه ابن ملجم فضربه بالسيف .

وقال محمد ابن عبد الله الأزدي أقبل أمير المؤمنين ينادي الصلوة الصلوة  
فإذا هو مضروب وسمعت قائلاً يقول الحكيم لله لا لك يا علي ولا لأصحابك،

وسمعتُ علياً يقول: فزت وربّ الكعبة ثمّ يقول لا يَفُوتَنَّكم الرّجل وكان قد ضربه شبيب فأخطأه وَوَقَعَتْ ضَرْبته في الطّاق ومضى هارباً حتّى دخل منزله ودخل عليه ابن عمّ له فرآه يحلّ الحرير عن صدره فقال ما هذا لعلّك قتلت أمير المؤمنين فأراد أن يقول له لا فقال نعم فقتله الأزدي وأما ابن ملجم فإنّ رجلاً من همدان لحقه وطرح عليه قطيفة وصّره فقال ابن ملجم لقد إبتعته بألف وسَمَّمْتُهُ بألف فإنّ خاني فأبعده الله ولقد ضربته ضربة لو قسمتها بين أهل الأرض لأهلكتهم .

وروي أنّه قال ﷺ أطعموه واسقوه وأحسنوا إساره ثمّ قال ﷺ يا بني عبد المطلب لا ألفينكم تخوضون دماء المسلمين خوفاً تقولون قتل أمير المؤمنين ألا لا تقتلنّ بي إلا قاتلي ونهي عن المثلة وقد وقعت البلية في التاسع عشر من شهر رمضان سنة أربعين من الهجرة وقت فريضة الصبح ومات في ليلة الإحدى وعشرين ودفن بالغرّي ومزاره مشهور الآن سلام الله عليه وكان عمره ﷺ خمساً وستين سنة هذا هو المشهور وكان ﷺ بمكة مع رسول الله ﷺ من أوّل عمره خمساً وعشرين، إثني عشرة سنة قبل المبعث وثلاث عشرة سنة بعدها ثمّ هاجر ﷺ وأقام مع النبي بالمدينة إلى أن توفّي ﷺ عشر سنين ثمّ بقي بعد رسول الله ﷺ ثلاثين سنة فذلك خمس وستون سنة وأما مدّة خلافته فكانت قريبة من خمس سنين .

وقال المفيد ؛ أولاد أمير المؤمنين سبعة وعشرون ولداً ذكراً وأنثى وقيل أولاده الذكور أربعة عشر وأولاده الإناث تسعة عشر وقيل غير ذلك . وكان يوم قتله ﷺ عنده أربع حرائر في نكاح وثمانية عشر من أمّهات الأولاد وتفصيلها يطلب من كتب التواريخ والسير .

وقيل في رثائه ﷺ ونسب إلى ابنه الحسن ﷺ

أَيَنْ مَنْ كَانَ لِعِلْمِ الْمُصْطَفَى فِي النَّاسِ بَاباً

أَيِّنَ مَن كَانَ إِذَا مَا  
أَيِّنَ مَن كَانَ إِذَا نُو  
أَيِّنَ مَن كَانَ دُعَاهُ  
وَلَا أُخْرَى:

قَحَطَ النَّاسَ سَحَاباً  
دِي فِي الْحَرْبِ أَجَاباً  
مُسْتَجَاباً وَمُجَاباً

خَلَّ الْعُيُونُ وَمَا أَرَدَنَ  
لَا تَقْبَلَنَّ مِنَ الْخَلِي  
لِلَّهِ أَنْتَ إِذَا الرَّجَالِ  
فَرَجَّتْ غُمَّتَهُ وَلَمْ تَرَ  
وَلَا أُخْرَى:

مِنَ الْبُكَاءِ عَلَيَّ عَلِيٍّ  
فَلَيْسَ قَلْبِكَ بِالْخَلِي  
تَضَعَضَعْتَ وَسَطَ النَّدِيِّ  
كُنْ إِلَى قُشَلٍ وَعَيٍّ

يَا مَنْ يَوْمُ إِلَى الْمَدِينَةِ قاصِداً  
قَتَلْتَ شَرَارَ بَنِي أُمَيَّةٍ سَيِّداً  
رَبِّ الْمَفْضَلِ فِي السَّمَاءِ وَأَرْضِهَا  
بَكَتِ الْمَشَاعِرُ وَالْمَسَاجِدُ بَعْدَ مَا  
وَلَا أُخْرَى:

أَدِ الرَّسَالَةَ غَيْرَ مَا مَتَوَانٍ  
خَيْرَ الْبَرِيَّةِ مَا جَدَّ ذَا شَأْنٍ  
سَيْفِ التَّبِيِّ وَهَادِمِ الْأَوْثَانِ  
بَكَتِ الْأَنْسَامُ لَهُ بِكُلِّ مَكَانٍ

لَقَدْ مَاتَ خَيْرَ النَّاسِ بَعْدَ مُحَمَّدٍ  
وَأَضْرَبَهُمْ سَيْفاً فِي مُهْجِ الْعَدِيِّ  
الْحَمِيرِيِّ:

وَأَكْرَمَهُمْ فَضْلاً وَأَوْفَاهُمْ عَهْداً  
وَأَصْدَقَهُمْ قَيْلاً وَأَنْجَزَهُمْ وَعْداً

لَا دَرَّ دَرَّ الْمَرَادِيِّ الَّذِي سَفَكَتَ  
وَقَالَ صَعْصَعَةُ بْنُ صَوْحَانَ:

كَفَّاهُ مُهْجَةَ خَيْرِ الْخَلْقِ إِنْسَاناً

إِلَى مَنْ لِي بِأَنْسِكَ يَا أُخْتِيَا  
طَوْتُكَ خَطُوبٌ دَهْرٍ قَدْ تَوَالِي  
فَلَوْ نَشَرْتَ قُؤَاكِ إِلَى الْمَنَايَا  
بَكَيْتُكَ يَا عَلِيٍّ لَدَّرَ عَيْنِي

وَمَنْ لِي أَنْ أَبْتُكَ مَا لَدَيْتَا  
لِذَلِكَ خَطُوبُهُ نَشْراً وَطَيّاً  
شَكُوتِ إِلَيْكَ مَا صَنَعْتَ إِلَيَّا  
فَلَمْ يُغْنِ الْبُكَاءُ عَلَيْكَ شَيْئاً

كفى حُزناً بَدَفنك ثمَّ إني  
وكانت في حياتك لي عِظَات  
فيا أسفا عليك وطُول شوقي  
وله أيضاً:

هَلْ حَبَّرَ القبر سائِليه  
أم هَلْ تَراه أَحاطَ عِلماً  
لو عَلمَ القبر من يوارِي  
يا مَوت ماذا أَرَدتَ مِنِّي  
يا مَوت لو تَقبلَ إفتداء  
دهر رمانِي بفقَدِ إلفي  
ولآخر:

نعم الشَّهيد أنَّ ربَّ الخلق يشهد لي

والخلق أنَّهما نعم الشَّهيدان

من ذا يُعزِّي النَّبي المُصطفى بهما

من ذا يُعزِّيهِ من قاصِّ ومن داني

من ذا لفاطمة اللِّهفاء يَنبئها

عن بعلها وإينها إنهاء لَهفان

من قابض النفس في المحراب مُنتصباً

وقابض النفس في الهيجاء عطشان

وقال دعبل:

علني جَدتِ بأكناف الغريِّ

سَلامٌ بِالغداةِ وبالعَشِيِّ

إليه صِباة المزن الرّوي

ولا زالت غزال النُّور ترجي

وقبرِ ضَمِّ أوصال الوَصِي

ألا يا حَبِداً تَربِّ به نجدِ

وَأَكْرَمَ مَنْ مَشَى بَعْدَ النَّبِيِّ  
فَحَجَّيْ مَا حَبِيبْتُ إِلَى عَلِيِّ  
عَلِيًّا بِالْغَدَاةِ وَبِالْعَشِيِّ

وَصَّي مُحَمَّدٍ بِأَبِي وَأُمِّي  
لَأَنْ حَجَّوْا إِلَى الْبَلَدِ الْقُصِيِّ  
وَإِنْ زَارُوهُمْ الشَّيْخِينَ زَرْنَا

## ﴿ وَمَنْ خُطِبَ لَهُ ﴾ (١٥٠)

### في الملاحم

قوله ﷺ: وَأَخَذُوا يَمِينًا وَشِمَالًا: طَعْنًا فِي مَسَالِكِ الْغَيِّ، وَتَرْكَاً لِمَذَاهِبِ الرُّشْدِ، فَلَا تَسْتَعْجِلُوا مَا هُوَ كَائِنٌ مُرْصَدٌ، وَلَا تَسْتَبْطِئُوا مَا يَجِيءُ بِهِ الْغَدُ، فَكَمْ مَنِ مُسْتَعْجِلٍ بِمَا إِنْ أَدْرَكَهُ وَدَّ أَنْهُ لَمْ يَدْرِكْهُ، وَمَا أَقْرَبَ الْيَوْمَ مِنْ تَبَاشِيرِ غَدٍ، يَا قَوْمَ هَذَا إِبَانٌ وَرُودٌ كُلُّ مَوْعُودٍ، وَدُنُوبٌ مِنْ طَلْعَةِ مَا لَا تَعْرِفُونَ، أَلَا وَإِنَّ مَنْ أَدْرَاكَهَا مِنَّا يَسْرِي فِيهَا بِسِرَاجٍ مُنِيرٍ، وَيَحْذُو فِيهَا عَلَى مِثَالِ الصَّالِحِينَ، لِيَحُلَّ فِيهَا رَبِقًا، وَيُعْتَقَ فِيهَا رِقًا، وَيَصْدَعَ شَعْبًا، وَيَشْعَبَ صَدْعًا، فِي سُرْتَةِ عَنِ النَّاسِ لَا يُبْصِرُ الْقَائِفُ أَثَرَهُ وَ لَوْ تَابَعَ نَظْرَهُ، ثُمَّ لِيُشْحَذَنَّ فِيهَا قَوْمٌ شَحَذَ الْقَيْنِ النَّصْلَ، تُجَلِي بِالتَّنْزِيلِ أَبْصَارَهُمْ، وَيُرْمِي بِالتَّفْسِيرِ فِي مَسَامِعِهِمْ، وَيُغَبِّقُونَ كَأَسِّ الْحِكْمَةِ بَعْدَ الصُّبُوحِ.

### منها

وَطَالَ الْأَمَدُ بِهِمْ لِيَسْتَكْمِلُوا الْخِزْيَ، وَيَسْتَوْجِبُوا الْغَيْرَ، حَتَّى إِذَا اخْلَوْ لَقَّ الْأَجَلَ، وَاشْتَرَّاحَ قَوْمٌ إِلَى الْفِتَنِ، وَاشْتَالُوا عَنْ لِقَاحِ حَرِّبِهِمْ، لَمْ يَمُنُّوا عَلَى اللَّهِ بِالصَّبْرِ، وَلَمْ يَسْتَعْظِمُوا بَدَلَ أَنْفُسِهِمْ فِي الْحَقِّ، حَتَّى إِذَا وَاْفَقَ وَارِدُ الْقَضَاءِ انْقِطَاعَ مُدَّةِ الْبَلَاءِ، حَمَلُوا بِصَائِرِهِمْ عَلَى أَسْيَافِهِمْ، وَذَانُوا لِرَيْبِهِمْ بِأَمْرِ وَأَعْظِيمِهِمْ، حَتَّى إِذَا قَبَضَ اللَّهُ رَسُولَهُ ﷺ رَجَعَ قَوْمٌ عَلَى الْأَعْقَابِ، وَغَالَتْهُمْ السُّبُلُ، وَاتَّكَلُوا عَلَى الْوَلَائِحِ، وَوَصَلُوا غَيْرَ الرَّحِمِ، وَهَجَرُوا السَّبَبَ الَّذِي أَمَرُوا



بِمَوَدَّتِهِ، وَنَقَلُوا الْبِنَاءَ عَنْ رِصِّ أَسَابِيهِ، فَبَنَوْهُ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ، مَعَادِنُ كُلِّ  
خَطِيئَةٍ، وَأَبْوَابُ كُلِّ ضَارِبٍ فِي غَمْرَةٍ، قَدْ مَارُوا فِي الْحَيْرَةِ، وَذَهَلُوا فِي  
السُّكْرَةِ عَلَى سُنَّةٍ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ مِنْ مُنْقَطِعِ إِلَى الدُّنْيَا زَاكِنٍ أَوْ مُفَارِقٍ لِلدِّينِ  
مُبَايِنٍ.

### ◀ اللُّغَةُ

(تباشير) أوائل الصُّبْح (أَبَان) بتشديد الباء وكسر الهمزة وقته في زمانه  
(الرَّبِيق) الحبل (يصدع) الصَّدْع التَّفَرُّق (شعباً) الشَّعْب جماعة الضَّلَال  
(ويشعب صدعاً) أي يجمع ما تفرَّق من كلمة أهل الهدى (القائف) الذي  
يعرف الآثار (ليشحذن) الشَّحْذ التَّحْدِيد (القين) الحَدَاد (النَّصْل) حديدة الرُّمَح  
(الصَّبُوح) الشَّرْب بالغداة (الغَيْر) بكسر الغين وفتح الياء كعنب تغيَّر الحال من  
الصَّلاح إلى الفساد (غالتهم) أي أهلكتهم (الولايح) جمع وليجة وهي خاصَّة  
الرَّجُل (رِصٌّ) أي ضَمٌّ.

### ◀ المعنى

(وَ أَخَذُوا) وشرعوا (يَمِيناً وَ شِمَالاً: طَعْنًا) وارتحالاً (فِي مَسَالِكِ  
الْغَيِّ) والضَّلَال (وَتَزَكَا لِمَذَاهِبِ الرُّشْدِ) والسَّدَاد (فَلَا تَسْتَعْجِلُوا مَا هُوَ كَائِنُ  
مُرْصَدٌ) أي مترقَّب ومُعَدِّ (وَ لَا تَسْتَبْطِئُوا مَا يَجِيءُ بِهِ الْعَدُوُّ) فإنه يأتي سريعاً  
(فَكَمْ مِّنْ مُّسْتَعْجِلٍ بِمَا إِنِ ادَّرَكَهُ وَدَّ أَنَّهُ لَمْ يُدْرِكْهُ) لكونه على ضرره (وَمَا  
أَقْرَبَ الْيَوْمَ مِنْ تَبَاشِيرِ عَدِي) وأوله (يَا قَوْمَ هَذَا ابْنُ وُرُودٍ كُلِّ مَوْعُودٍ) أي وقته  
وزمانه (وَ دُنُوءٍ مِّنْ طَلْعَةِ مَا لَا تَعْرِفُونَ) أي هذا وقت قرب ظهور ما لا تعرفون  
(أَلَا وَإِنَّ مَنِ ادَّرَاكَهَا مِنَّا) أهل البيت (يَسْرِي فِيهَا) أي في الظُّلُمَاتِ (بِسِرَاجِ  
مُنِيرٍ) وهو نور الإمامة (وَ يَخْذُو فِيهَا عَلَى مِثَالِ الصَّالِحِينَ) من أسلافه (لِيَحُلَّ  
فِيهَا رِبْقًا) أي مظلوماً أو شكاً من أعناقهم (وَ يُعْتَقَ فِيهَا رِقًا، وَيَصْدَعُ شَعْبًا) أي  
يفرِّق ما اجتمع من الضَّلَال (وَ يَشْعَبُ صَدْعًا) ويصلح ما تَشَتَّت من الهدى (

فِي سُرَّةِ عَنِ النَّاسِ) وَغَيْبَتِهِ عَنْهُمْ (لَا يُبْصِرُ الْقَائِفُ) الَّذِي يَعْرِفُ الْآثَارَ (أَثَرُهُ وَ  
 لَوْ تَابَعَ نَظْرَهُ)، أَي وَإِنْ بَالِغٌ فِي الْفَحْصِ (ثُمَّ لِيُشْحَذَنَّ) وَلِيَحْرَضَنَّ (فِيهَا قَوْمٌ  
 شَحَذَ الْقَتِينِ النَّصْلَ) أَي كَمَا يَشْحَذُ الْحَدَّادُ النَّصْلَ (تُجْلَى بِالتَّزْيِيلِ) أَعْنَى الْقِرَانِ  
 (أَبْصَارُهُمْ، وَيُؤْمَى بِالتَّفْسِيرِ) أَي تَفْسِيرِ الْكِتَابِ الْإِلَهِيِّ (فِي مَسَامِعِهِمْ) وَأَذَانِهِمْ  
 (وَيُعْبَقُونَ كَأَسِّ الْحِكْمَةِ بَعْدَ الصُّبُوحِ). شَبَّهَ ﷺ الْحِكْمَةَ بِالشَّرَابِ وَالْمَقْصُودَ  
 مَعْرِفَتَهُمْ بِهَا (وَطَالَ الْأَمْدُ) وَالْمُدَّةُ (بِهِمْ لِيَسْتَكْمِلُوا الْخِزْيَ) وَالْحَقَارَةَ  
 (وَيَسْتَوْجِبُوا الْغَيْرَ) أَي تَغْيِيرَ النِّعْمَةِ بِسُوءِ الْأَعْمَالِ (حَتَّى إِذَا اخْلَوْ لِقَ الْأَجَلِ)  
 وَقَرُبَ الْمَوْتِ (وَاسْتَرَاخَ) أَي مَالَ (قَوْمٌ إِلَى الْفِتَنِ) الضَّالَّةُ (وَاشْتَالُوا)  
 وَاسْتَرَاخُوا (عَنْ لِقَاحِ حَزْبِهِمْ) بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ هَذِهِ الْفِتْنَةِ الضَّالَّةِ (لَمْ يَمْنُوا عَلَى اللَّهِ  
 بِالصَّبْرِ) عَلَى مِشَاقِّ الْقِتَالِ (وَلَمْ يَسْتَعْظِمُوا بَدَلَ أَنْفُسِهِمْ فِي الْحَقِّ) وَطَلَبَهُ (حَتَّى  
 إِذَا وَافَقَ وَارِدُ الْقَضَاءِ) الْإِلَهِيِّ (انْقِطَاعَ مُدَّةِ الْبَلَاءِ) بظُهُورِ الْفَرَجِ (حَمَلُوا  
 بَصَائِرَهُمْ عَلَى أَسْيَافِهِمْ) لِحَرْبِ أَهْلِ الضَّلَالِ (وَدَاثُوا لِرَبِّهِمْ بِأَمْرِ وَأَعْظَمِهِمْ) وَهُوَ  
 الْإِمَامُ (حَتَّى إِذَا قَبِضَ اللَّهُ رَسُولَهُ ﷺ رَجَعَ قَوْمٌ عَلَى الْأَعْقَابِ) إِشَارَةٌ إِلَى  
 غَضَبِ الْخِلَافَةِ بَعْدَ مَوْتِ الرَّسُولِ (وَوَاثَمْتُهُمْ) أَي أَهْلَكْتَهُمْ (السُّبُلُ) أَي سَبَلَ  
 الضَّلَالِ (وَأَتَكَلَّوْا) وَاعْتَمَدُوا (عَلَى الْوَلَايِحِ) أَي الْأَرَاءِ الْفَاسِدَةِ (وَ وَصَلُوا غَيْرَ  
 الرَّحِمِ) أَعْنَى بِهِ رَحِمَ الرَّسُولِ (وَ هَجَرُوا) وَتَرَكَوْا (السَّبَبَ الَّذِي أَمَرُوا) مِنْ اللَّهِ  
 وَرَسُولِهِ (بِمَوَدَّتِهِ) وَمَحَبَّتِهِ (وَنَقَلُوا الْبِنَاءَ) أَي بِنَاءَ الدِّينِ (عَنْ رِصِّ أَسَاسِهِ،  
 فَبَتَّوْهُ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ) أَي غَيْرِ بِنَاءِ الدِّينِ (مَعَادِنُ كُلِّ خَطِيئَةٍ) وَذَنْبٍ (وَ أَبْوَابُ  
 كُلِّ ضَارِبٍ فِي غَمْرَةٍ) وَغَفْلَةٍ (قَدْ مَارُوا) وَتَوَدَّدُوا (فِي الْحَيْرَةِ، وَذَهَلُوا) وَغَابُوا  
 (فِي السَّكْرَةِ) أَي سَكْرَةِ الْجَهْلِ (عَلَى سُنَّةٍ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ) وَطَرِيقَتِهِمْ (مِنْ  
 مُنْقَطِعٍ إِلَى الدُّنْيَا رَاكِبِينَ) أَي بَعْضُ النَّاسِ كَذَلِكَ (أَوْ مُفَارِقِينَ لِلدِّينِ مُبَايِنِينَ) أَي  
 مَزَائِلَ لَهُ انْتَهَى .

قوله ﷺ وَأَخَذُوا يَمِيناً وَشِمَالاً: طَعْنًا فِي مَسَالِكِ الْغَيِّ، وَتَرْكَاً لِمَذَاهِبِ الرُّشْدِ،...

أشار ﷺ بذلك إلى إقبال المُسلمين بعد موت النبي ﷺ إلى ما وقع في السَّقِيفَة من تعيين الخليفة وتغيير مسير الإسلام والمسلمين وإعراضهم عما هو الواجب عليهم من إتباع أهل البيت وتركهم الكتاب والسنة واقعاً فقوله ﷺ: يَمِيناً وَشِمَالاً إمَّا كناية عن الإفراط والتفريط في الأحكام وتركهم الطريق الوُسْطَى التي هي الجادة لكون الأمة أمة الوَسْط بنص الكتاب وهذا المعنى هو الذي ذكروه في شروحاتهم - ويمكن أن تكون العبارة إشارة إلى شيء آخر وكناية عنه وهو الطريق المذمومة المُخالفة لطريق أهل البيت أي ما كان والحاصل أن الطريق طريق أهل البيت في الدين والدنيا هذا كله بناء على كون الظعن بالطاء بمعنى الإرتحال ورأيت في بعض النسخ (طَعْنًا) بالطاء المهملة وعليه فالمعنى أنهم أخذوا أي شرعوا يَمِيناً وَشِمَالاً أي في جميع الموارد طعنًا في مسالك الغي فيقولون فيها كذا كذا مع أنهم تركوا المذاهب الرُّشْد أيضاً أي كان مذهب الغي مطعوناً مذموماً كما تقولون به فلماذا (أخذتم به ولم لا تتركونه ولا تأخذون بالحق وإن كان صحيحاً فلا شيء تقولون فيه كذا كذا ولبّ الكلام أنهم يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم ومن كان كذلك فهو منافق وهو المطلوب وهذا المعنى أصح وأوفق بالمقام من الأول إذ على الأول ينبغي أن يقال إلى مسالك الغي كما هو ظاهر ضرورة أن الإرتحال في المسالك لا معنى له بل الإرتحال دائماً يكون من شيء إلى شيء آخر اللهم إلا أن يقال إن كلمة (في) في المقام بمعنى (إلى) وهو كما ترى مُضَافاً إلى أن سياق العبارة ينادي بما ذكرناه فتأمل.

ثم إن المراد بمسالك الغي هو الطريق المؤدية إلى الفساد والضلالة والخزي في الدارين وبمذهب الرُّشْد ما يُؤدِّي إلى السعادة والصّلاح ولا شك أن هذا طريق أهل البيت والأول طريق مخالفيهم كائناً من كان فإن الطريق إلى الجنة

منحصر فيما ذكرناه.

□ قوله ﷺ: **فَلَا تَسْتَعْجِلُوا مَا هُوَ كَائِنٌ مُرْصَدٌ، وَلَا تَسْتَبْطِئُوا مَا يَجِيءُ بِهِ الْغَدُ...**  
المرصد هو المترقب المنتظر من أرصد يرصد إرصاداً قال تعالى: **وَإِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَاتِ** (١)

**﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ﴾** (٢) ومعنى العبارة أن ما هو كائن ثابت في علم الله تعالى فهو آتٍ لا محالة فلا تستعجلوا فيه ولا تستبطنوا أي لا تقولوا إنه بطيء أو لا تحكموا ببطؤ ما يجيء به الغد فإن العجلة من الشيطان وحاصل الكلام إن الأمور مرهونة بأوقاتها وأزمانها إذ المصلحة في مجيئها في وقتها وأما قبله وبعده فلا مصلحة فيه فإن الحوادث الواقعة في كل عصرٍ وزمانٍ يكون الزمان طرفاً لها ولا شك أن تحقق المظروف قبل وجود الطرف من المحالات العقلية ضرورة استحالة وجود أحد المضافين بدون الآخر نعم ما يكون خارجاً عن الطرف أعني الزمان لا يكون وجوده مشروطاً بوجوده كالعقول المجردة فإنها فوق الزمان ومُتسلخة عن الزمانيات ولا كلام لنا في المجردات بل كلامه ﷺ في الكائن الذي لا بد في تحققه من الزمان الذي هو ظرف له.

□ قوله ﷺ: **فَكَمْ مِّنْ مُّسْتَعْجِلٍ بِمَا إِنِ أَدْرَكَهُ وَدَّ أَنْهُ لَمْ يُدْرِكْهُ..**

لما أفاد ﷺ في الجملة السابقة ما أفاد من النهي عن الاستعجال بالنسبة إلى الكائن أفاد في المقام وجه النهي عنه وإن شئت قلت هذه الجملة بمنزلة العلة لما أفاده ﷺ أولاً فكأنه قيل له ﷺ لم لا نستعجل؟ فقال ﷺ فكم من مستعجلٍ الخ وحاصله أن المستعجل لا ينفع في استعجاله في أكثر الموارد إذ ربما يستعجل ثم بعد وصوله إلى المقصد ندم وودَّ أنه لم يدركه وكلامه ﷺ هذا مقتبس من القرآن قال الله تعالى: **﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى**

أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ ﴿١﴾ وموارده كثيرة كما لا يخفى والوجه فيه أن الإنسان مضافاً إلى جهله بالمصالح والمعاسد عَجُولٌ في حد ذاته فيلزمه الندم لا محالة.

□ قوله ﷺ: وَمَا أَقْرَبَ الْيَوْمَ مِنْ تَبَاشِيرِ غَدٍ...

والمقصود أن اليوم الحاضر بالنسبة إلى الغد ليس ببعيد وليس المراد من اليوم والغد في قوله ﷺ هذا اليوم والغد الحقيقيان بل المراد معناه الإضافيان أو أن المراد باليوم معناه الحقيقي وبالغد معناه الإضافي ولعله لأجل هذه الدقيقة أتى ﷺ الأول معرفة وبالتالي نكرة ولم يقل تبشير الغد والمعنى الثاني أوفق بسياق العبارة من غير تصرف فيها وعليه فأريد بالغد كل يوم بعد اليوم الحاضر إلى آخر الدهر وعلى الأول كل يوم بالنسبة إلى غده قريب.

وخلاصة الكلام أنه إذا كان لكل يوم غد يأتي بعده لا محالة فلا معنى للإستعجال فإنه عبث لا نفع فيه ولا تأثير له في مجيء الغد وما كان كذلك فالإستعجال فيه غير معقول.

□ قوله ﷺ: يَا قَوْمَ هَذَا إِبَانٌ وَرُودٌ كُلِّ مَوْعُودٍ، وَدُنُوءٌ مِّنْ طَلْعَةِ مَا لَا تَعْرِفُونَ...

ثم قال يا قوم أصله يا قومي حذف الياء لكون القوم في الكلام منادى وكلمة (هذا) إشارة إلى الموعود من الفتن كما عليه البحراني رحمته وإلى القيامة كما احتمله المعتزلي وعلى كل حال المقصود أن الموعود قد قرب وقته أو أن هذا الوقت والزمان هو وقت ورود كل موعود ودنو من طلعة ما لا تعرفون أي قرب طلوع ما لا تعرفونه من تلك الملاحم والفتن الحادثة في المستقبل.

□ قوله ﷺ: أَلَا وَإِنَّ مَنَ أَدْرَاكَهَا مِنَّا يَسْرِي فِيهَا بِسِرَاجٍ مُنِيرٍ، وَيَحْذُو فِيهَا عَلَى مِثَالِ الصَّالِحِينَ...

ثم أشار ﷺ إلى طريقة أهل البيت عند ظهور الفتن الحادثة فقال: ألا ومن أدرك تلك الملاحم منا أهل البيت يسري فيها أي في ظلماتها بسراج منير أي

بسبب نور الإيمان الكامل أعني نور الإمامة والولاية ويحدو أي يسلك فيها على مثال الصالحين من أسلافه.

□ قوله عليه السلام: لِيَحُلَّ فِيهَا رِبْقًا، وَيُعْتَقَ فِيهَا رِقًا، وَيَصْدَعُ شَعْبًا، وَيَشَعَبُ صَدْعًا، اللام للتعليل أو الغاية فكأنه قيل له عليه السلام ولم يسري كذلك قال عليه السلام: ليحلَّ فيها أي ليفك في الظلمات الناشئة عن الفتن ربقاً وحبلاً أعني قيوداً من قيود الظلم عن عتق المظلوم ويعتق ربقاً من الناس والمراد بالرق إمّا معناه الحقيقي أو معناه المجازي فعلى الأول معناه واضح وعلى الثاني فالمراد به الجاهل الذي لجهله صار كالعبد للظالمين من جهة الإنقياد والطاعة وهو لا يعلم أنه على الخطأ وعليه فإعتاقه إخراجاً من الجهل ويصدع شعباً أي يفرق ما اجتمع ويشعب صدعاً ويصلح ما تشّتت وتفرّق من الهدى وحاصل هذه الكلمات هو أنه بحسن سياسته ونور إيمانه يفعل كذلك لعلمه بأن القيام لا ينفع لعدم وجود شرائطه فالتقية أولى وأصلح له ولهم هذا والمقصود من كونه يصدع شعباً هو أنه يفرق ما اجتمع منهم على الباطل فإن تفريق الباطل وتشتت شمله من الوظائف الشرعية وقوله عليه السلام: ويشعب صدعاً، أي يصلح ما تشّتت وتفرّق من أمور المسلمين إلى الوحدة وإتفاق الكلمة.

□ قوله عليه السلام: فِي سِتْرَةٍ عَنِ النَّاسِ لَا يُبْصِرُ الْقَائِفُ أَثَرَهُ وَ لَوْ تَابَعَ نَظْرَهُ...

إضطربت كلمات الشراح في شرح هذه العبارة، فقال المعتزلي: إن المراد هو المهدي من آل محمد عليه السلام بناء على أن المراد من الموصول في قوله عليه السلام: (من أدركها) المهدي عليه السلام وعليه فالمعنى أن من أدرك الفتن أعني المهدي عليه السلام يكون في سترة عن الناس.

وأما الشارح البحراني رحمته الله فقد جعل الموصول أعم منه عليه السلام وغيره من الأئمة وقال: وما زالت أئمة أهل البيت مغمورين في الناس لا يعرفهم إلا من عرفوه أنفسهم، إلى أن قال: ولست أقول لم يعرف أشخاصهم بل لا يعرف أنهم أهل الحق واللاحقون بالأمر انتهى.

ويظهر من كلام الخوئي رحمته ما ذهب إليه المعتزلي من أن المراد به هو المهدي عليه السلام وإن نقل ما نقلناه عن البحراني ولم يقل في جوابه شيئاً وكيف كان فهو عليه السلام إما على الأول أو الترديد بينهما هذا.

**وأنا أقول:** ما ذكروه في تفسير كلامه عليه السلام من أن المراد بقوله عليه السلام: (في سترة عن الناس) هو المهدي عليه السلام لا دليل عليه وهكذا الكلام في إرادة العموم أعني الأئمة المعصومين وليت شعري من أين أخذوا هذا المعنى.

والذي يقوي في النظر هو أن الجارَ والمجرور في قوله عليه السلام: (في سترة عن الناس) لا يتعلّق بالموصول أعني قوله عليه السلام: (من أدركها) بل متعلّق بالأعمال الصادرة منه أعني إعتاقه الرّق وصدّعه الشّعب وشعبه الصّدع وهكذا ليس المراد بالموصول أعني (من) شخصاً معيّناً بقوله عليه السلام: (منّا أهل البيت: من المعصومين كلّ ذلك لم يكن بل المراد بالموصول معناه العامّ بقوله عليه السلام: (منّا) شيعة وأتباعه وإن شئت قلت: علماء الشيعة وعليه فالمعنى يصير هكذا:

(ألا ومن أدركها) أي الفتن الحادثة المضلّة (منّا) أي من الشيعة (يسري فيها) أي في الفتن (بسراج منير) أعني الكتاب والسنة (ويحذو فيها على مثال الصّالحين) من أسلافه من الأخيار والأبرار (ليحلّ فيها ربّقاً) أي ليحلّ في الفتن حبل التقليد من أعناقهم أي من أعناق الجهال الذين صاروا تابعين لأهوائهم وآرائهم الفاسدة أو للعلماء المخالفين (ويصدع شعباً ويشعب صدعاً) أي يفرّق إجتماعهم الفاسد ويصلح ما تشّتت وتفرّق من الهدى، والحاصل أنه يدعوهم إلى وحدة الكلمة وإتباع الكتاب والسنة (في سترة عن الناس) أي هذه المذكورات تصدر عنه في الخفاء والسترة تقيّة (لا يبصر القائف أثره ولو تابع نظره) إشارة إلى أن المخالف لا يمكن له الوقوف على ما فعله ولو كان مجدداً فيه إلى آخر كلامه عليه السلام.

وأنت ترى أن هذا المعنى ممّا لا ريب فيه بل هو الحقّ الحقيق بالإتباع، فما ذكره عليه السلام إشارة إلى وظيفة المؤمن في ظلمات الفتن وأنه ينبغي له أن يكون

كذلك لعلمه بتكليفه ووظيفته فإنَّ المؤمن العالم بوظيفته يفعل ما يفعل ويقول من غير أن يكون متجاهراً مفتخراً به.

□ قوله عليه السلام: **ثُمَّ لِيُشْحَذَنَّ فِيهَا قَوْمٌ شَحَذَ الْقَيْنِ النَّصْلَ...**

قال المعتزلي أي ليحرضن في هذه الملاحم قوم على الحرب وقتل أهل الضلال وقال البحراني أي في أثناء ما يأتي من الفتن تشحذ أذهان قوم وتعد لقبول الحكمة كما يشحذ الحداد النصل.

وقال الخوئي: فعلى الأول المراد به أنصار إمام زمان عليه السلام وعلى الثاني علماء الأمة إلى آخر ما قال.

وأنا أقول: ما ذكره مبني على أصلهم وإستنباطهم الذي مر ذكره وأما على المختار فالمعنى ثم بعد ذلك أي في آخر الزمان مثلاً ليشحذن أي ليحددن فيها أي في ظلمات الفتن قوم في أمر الدين كما شحذ القين النصل أي كما حدّد الحداد السيف وغيره شبه عليه السلام القوم في بصارتهم وحادقتهم لأمر الدين بالحداد الخبير البصير في صنعته وهو من أحسن الإستعارات ثم وصفهم عليه السلام بقوله:

□ قوله عليه السلام: **تُجْلَى بِالتَّنْزِيلِ أَبْصَارُهُمْ، وَيُرْمَى بِالتَّفْسِيرِ فِي مَسَامِعِهِمْ، وَيُعْبَقُونَ كَأْسَ الْحِكْمَةِ بَعْدَ الصُّبُوحِ...**

وصفهم عليه السلام أما أولاً بأن أبصارهم تجلى بالتنزيل وهو القرآن وهو كناية عن تلاوتهم القرآن حق تلاوته وثانياً بأن التفسير يرمى في مسامعهم وهو كناية عن كونهم عالمين بتفسير القرآن وأنهم لا يقنعون بالتلاوة فقط من غير أن يتدبروا في معاني الآيات، وثالثاً بأنهم يعقبون كأس الحكمة بعد الصُّبُوح أي يسقون كأس الحكمة والمعرفة بالماء بعد ما شربوه بالصباح فإنَّ الصُّبُوح ما يشرب وقت الصباح والمراد إفاضة الحكم الإلهية في حركاتهم وسكونهم وسرهم وأعلانهم عليهم من الله تعالى ومن يؤتى الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً.



ففي المقام أشار ﷺ بتلاوة القرآن أولاً وبالتدبر في معانيه ثانياً وبالاستعداد لقبول الحكمة ثالثاً وما ذكره بحسب الترتيب اللفظي هو الذي يقتضيه الترتيب المعنوي أيضاً فتأمل.

□ قوله ﷺ: «وَطَالَ الْأَمَدُ بِهِمْ لِيَسْتَكْمِلُوا الْخِزْيَ، وَيَسْتَوْجِبُوا الْغَيْرَ،

أقول: هذا الكلام منه ﷺ يتصل بكلام قبله الذي لم يذكره الرضي ولا يتصل بما قبله الذي نحن بصدد شرحه من الخطبة فإنه ﷺ ذكر في هذا الفصل أوصاف الفرق الضالة فقال ﷺ: «وَطَالَ بِهِمُ الْأَمَدُ وَمُدَّةُ الْحَيَاةِ وَأَمَهْلُهُمْ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا لِيَسْتَكْمِلُوا بِهَا الْخِزْيَ وَالشَّقَاوَةَ بِسَبَبِ أَعْمَالِهِمْ وَيَسْتَوْجِبُوا بِهَا أَحْدَاثَ الدَّهْرِ وَنَوَائِبَهُ وَذَلِكَ لِأَنَّ الشَّقِيَّ حَالَهُ كَذَلِكَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَأُولَئِكَ يَخْسِبُونَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَلَمْ يَكْفُرُوا أَنَّمَا نُكَلِّمُهُمْ خَيْرٌ لَّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نَكَلِّمُهُمْ لِيَزِدَادُوا أَثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ (١)

و: «أَيَخْسِبُونَ أَنَّمَا نُكَلِّمُهُمْ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ، تُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ (٢)

و: «فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ» (٣)

و: «فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا» (٤)

و: «لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ» (٥)

و: «فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ» (٦) والحاصل أن طول

الأمَد في الدنيا والتَّعَمُّعُ بنعمها والإلتداد بها لا يدلُّ على كون المُتَّعَمِّعِ موردًا لعنايته تعالى في جميع الموارد بل قد يكون كذلك وقد لا يكون كذلك ففي المؤمن يوجب الوصول إلى كمال السعادة وفي المنافق الشُّقِّي يوجب الوصول إلى كمال الشقاوة وقد مرَّ الكلام فيه.

□ قوله ﷺ: «حَتَّى إِذَا اخْلَوْ لِقَى الْأَجَلِ، وَاسْتَرَاخَ قَوْمٌ إِلَى الْفِتَنِ، وَاشْتَالُوا عَنْ لِقَاحِ حَزْبِهِمْ...»

٢- المؤمنون - ٥٥  
٤- البقرة - ٨٥  
٦- التوبة - ٢

١- آل عمران - ١٧٨  
٣- هود - ٣٩  
٥- البقرة - ١١٤

قال الخوئي رحمه الله بعد نقله عن البحراني أنه قال أي صار خليقاً ما هذا لفظه:  
وليس بشيء لأن إخلولق لم يذكر له إلا الفاعل فهو فعل تام بمعنى قرب  
انتهى.

أقول: ما ذكره الخوئي رحمه الله حَقَّ فَإِنْ هَذَا الْفِعْلُ أَعْنِي إِخْلَوْلُق تارة يستعمل وله  
إسم وخبر فهو إذا ناقص كما يقال إِخْلَوْلُق السَّحَابُ أَنْ تَمَطَّرَ أَي صَارَ خَلِيقاً  
أَنْ تَمَطَّرَ، وَأُخْرَى لَا كَذَلِكَ فَهُوَ التَّامُ وَمَا ذَكَرْنَاهُ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ:

والحاصل أنهم أي أهل الدنيا على ما وصفناهم حتى قرب أجلهم وأشرفوا  
على الموت فهو إشارة إلى غفلتهم ماداموا في الدنيا فإنَّ حَبَّ الشَّيْءِ يَعْمَى  
وَيَصْمُ وَأَمَّا قَوْلُهُ رحمه الله: وَإِسْتِرَاحَ قَوْمٍ إِلَى الْفِتْنِ أَي مَالُوا إِلَيْهَا وَوَجَدُوا الرَّاحَةَ  
لأنفسهم في تَوَجُّهِهِمْ إِلَيْهَا وَقَوْلُهُ رحمه الله: وَإِشْتَالُوا عَنْ لِقَاحِ حَرْبِهِمْ، يُقَالُ أَشَالَتْ  
النَّاقَةُ ذَنْبَهَا رَفَعْتَهُ، وَالْمَعْنَى أَنَّهُمْ رَفَعُوا أَيْدِيَهُمْ بِسُيُوفِهِمْ لِيَلْفَحُوا حُرُوبَهُمْ عَلَى  
غَيْرِهِمْ أَي يَسْعُرُوهَا عَلَيْهِمْ إِمَّا بِعَجْزِهِمْ أَوْ لَغَيْرِ ذَلِكَ.

□ قَوْلُهُ رحمه الله: لَمْ يَمُنُّوا عَلَى اللَّهِ بِالصَّبْرِ، وَلَمْ يَسْتَعْظِمُوا بَذَلْ أَنْفُسِهِمْ فِي الْحَقِّ...  
أي ليست لهم مئة على الله تعالى بسبب صبرهم ولا أنهم يستعظمون بذل  
أنفسهم في طريق الحق بل يستحقروه.

□ قَوْلُهُ رحمه الله: حَتَّى إِذَا وَاَفَقَ وَارِدُ الْقَضَاءِ انْقِطَاعَ مُدَّةِ الْبَلَاءِ...

أي ما زال الأمر كذلك حتى وَرَدَ الْقَضَاءُ الْإِلَهِيُّ بِانْقِطَاعِ الْفِتْنَةِ وَإِنْقِضَائِهَا  
بظهور من يقوم بنصر الحق ودعوته فيحصل الفرج به لهم.

□ قَوْلُهُ رحمه الله: حَمَلُوا بَصَائِرَهُمْ عَلَى أَسْيَافِهِمْ، وَذَانُوا لِرَبِّهِمْ بِأَمْرٍ وَأَعِظِهِمْ...

أي كانوا كذلك لحرب أهل الضلال قاله الخوئي وقال المعتزلي أي أظهروا  
بصائرهم وعقائد قلوبهم للناس وكشفوها وجرّدوها من أجفانها مع تجريد  
السُّيُوفِ مِنْ أَجْفَانِهَا إِلَى آخِرِ مَا قَال، أَقُولُ وَلَا يَبْعُدُ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ رحمه الله: (حَمَلُوا  
بَصَائِرَهُمْ عَلَى أَسْيَافِهِمْ) كِنَايَةً عَنْ شِدَّةِ إِهْتِمَامِهِمْ بِالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنَّ  
الْبَصَائِرَ جَمْعَ الْبَصِيرَةِ وَهِيَ الْمَعْرِفَةُ وَالْمَعْنَى أَنَّ بَصِيرَتَهُمْ فِي أَمْرِ دِينِهِمْ تَعْلَمُ

ففي المقام أشار ﷺ بتلاوة القرآن أولاً وبالتدبر في معانيه ثانياً وبالاستعداد لقبول الحكمة ثالثاً وما ذكره بحسب الترتيب اللفظي هو الذي يقتضيه الترتيب المعنوي أيضاً فتأمل.

□ قوله ﷺ: **وَطَالَ الْأَمَدُ بِهِمْ لِيَسْتَكْمِلُوا الْخِزْيَ، وَيَسْتَوْجِبُوا الْغَيْرَ،**

**أقول:** هذا الكلام منه ﷺ يتصل بكلام قبله الذي لم يذكره الرضي ولا يتصل بما قبله الذي نحن بصدد شرحه من الخطبة فإنه ﷺ ذكر في هذا الفصل أوصاف الفرق الضالة فقال ﷺ: **وَطَالَ بِهِمُ الْأَمَدُ وَمُدَّةُ الْحَيَاةِ وَأَمَهْلُهُمْ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا لِيَسْتَكْمِلُوا بِهَا الْخِزْيَ وَالشَّقَاوَةَ بِسَبَبِ أَعْمَالِهِمْ وَيَسْتَوْجِبُوا بِهَا أَحْدَاثَ الدَّهْرِ وَنَوَائِبَهُ وَذَلِكَ لِأَنَّ الشَّقِيَّ حَالَهُ كَذَلِكَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَأُولَٰئِكَ يَخْسِبُنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُفِلِيَ لَهُمْ خَيْرٌ لَّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُنْفِلِي لَهُمُ لِيَظُنُّوْا أَنَّهُمْ لِيَزِدَادُوا أَنفُسَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ (١)**

و: **﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ مِنْ مَّالٍ وَبَنِينَ، نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ (٢)**

و: **﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾ (٣)**

و: **﴿فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ (٤)**

و: **﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (٥)**

و: **﴿فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِداً فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ﴾ (٦)** والحاصل أنّ طول

الأمَد في الدنيا والتَّنعُّمُ بنعمها والإلتداد بها لا يدلُّ على كون المُتَّنعِّمِ مورداً لعنايته تعالى في جميع الموارد بل قد يكون كذلك وقد لا يكون كذلك ففي المؤمن يوجب الوصول إلى كمال السَّعادة وفي المنافق الشَّقِيَّ يوجب الوصول إلى كمال الشَّقَاوَةِ وقد مرَّ الكلام فيه.

□ قوله ﷺ: **حَتَّىٰ إِذَا اخْلَوْ لِقَى الْأَجَلِ، وَاسْتَرَاخَ قَوْمٌ إِلَى الْفِتَنِ، وَاشْتَالُوا عَن لِقَاحِ خَرْبِهِمْ...**

٢- المؤمنون - ٥٥

٤- البقرة - ٨٥

٦- التوبة - ٢

١- آل عمران - ١٧٨

٣- هود - ٣٩

٥- البقرة - ١١٤

قال الخوئي رحمه الله بعد نقله عن البحراني أنه قال أي صار خليقاً ما هذا لفظه:  
وليس بشيء لأن إخلولق لم يذكر له إلا الفاعل فهو فعل تام بمعنى قرب  
انتهى.

أقول: ما ذكره الخوئي رحمه الله حَقَّ فَإِنْ هَذَا الْفِعْلُ أَعْنِي إِخْلَوْلُق تارة يستعمل وله  
إسم وخبر فهو إذا ناقص كما يقال إخلولق السحاب أن تمطر أي صار خليقاً  
أن تمطر، وأخرى لا كذلك فهو التام وما ذكرناه من هذا القبيل:

والحاصل أنهم أي أهل الدنيا على ما وصفناهم حتى قرب أجلهم وأشرفوا  
على الموت فهو إشارة إلى غفلتهم ماداموا في الدنيا فإن حب الشيء يعمي  
ويصم وأما قوله عليه السلام: وإستراح قوم إلى الفتن أي مالوا إليها ووجدوا الراحة  
لأنفسهم في توجُّههم إليها وقوله عليه السلام: وإشتالوا عن لقاح حربهم، يقال أشالت  
الناقة ذنبها رفعته، والمعنى أنهم رفعوا أيديهم بسيوفهم ليلفحوا حروبهم على  
غيرهم أي يسعروها عليهم إما بعجزهم أو لغير ذلك.

□ قوله عليه السلام: لَمْ يَمُنُّوا عَلَى اللَّهِ بِالصَّبْرِ، وَلَمْ يَسْتَعْظِمُوا بَدَلْ أَنْفُسِهِمْ فِي الْحَقِّ...  
أي ليست لهم مئة على الله تعالى بسبب صبرهم ولا أنهم يستعظمون بدل  
أنفسهم في طريق الحق بل يستحقروه.

□ قوله عليه السلام: حَتَّى إِذَا وُافِقَ وَارِدُ الْقَضَاءِ انْقِطَاعَ مُدَّةِ الْبَلَاءِ...

أي ما زال الأمر كذلك حتى ورد القضاء الإلهي بانقطاع الفتنة وانقضائها  
بظهور من يقوم بنصر الحق ودعوته فيحصل الفرج به لهم.

□ قوله عليه السلام: حَمَلُوا بَصَائِرَهُمْ عَلَى أَسْيَافِهِمْ، وَدَانُوا لِرَبِّهِمْ بِأَمْرِ وَأَعِظِهِمْ...

أي كانوا كذلك لحرب أهل الضلال قاله الخوئي وقال المعتزلي أي أظهروا  
بصائرهم وعقائد قلوبهم للناس وكشفوها وجردوها من أجفانها مع تجريد  
السيوف من أجفانها إلى آخر ما قال، أقول ولا يبعد أن يكون قوله عليه السلام: (حملوا  
بصائرهم على أسيافهم) كناية عن شدة إهتمامهم بالجهاد في سبيل الله فإن  
البصائر جمع البصيرة وهي المعرفة والمعنى أن بصيرتهم في أمر دينهم تعلم

من جهادهم وحرصهم عليه وهذا أوفق مما ذكروه.  
 وأما قوله ﷺ: ودانوا لربهم بأمر واعظهم، إشارة إلى إنقيادهم وإطاعتهم له  
 لحصول التقرب إلى الله تعالى به و أما أن المراد بالوعظ في المقام هو الإمام  
 القائم ﷺ كما قاله الخوئي فلا أعلم من أين أخذه.  
 □ قوله ﷺ: حَتَّى إِذَا قَبِضَ اللَّهُ رَسُولَهُ ﷺ رَجَعَ قَوْمٌ عَلَى الْأَعْقَابِ، وَغَالَتْهُمْ...  
 هذا الكلام أيضاً منقطع عما قبله غير مربوط به ولا يبعد أن يكون قبله قد  
 أسقطه الرضي رحمه الله أو لم يظفر به والعلم عند الله تعالى.

وكيف كان فقد أشار ﷺ في هذه الكلمات إلى ما جرى بعد النبي ﷺ من  
 الحوادث والفتن المضلة فقال ﷺ رَجَعَ قَوْمٌ عَلَى الْأَعْقَابِ بعد موته ﷺ وهو  
 إشارة إلى قوله تعالى حيث قال في كتابه: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ  
 الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾<sup>(١)</sup> والمراد برجعهم على أعقابهم  
 تركهم ما كانوا عليه ظاهراً من الإنقياد للشريعة وإمثال أوامر الله ورسوله.  
 وقوله ﷺ وغالتهم السُّبُلُ أي أهلكتهم سُبُل الضلال قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا  
 السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾<sup>(٢)</sup>

وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾<sup>(٣)</sup>

وخلاصة الكلام أنهم بعد غضبهم الخلافة وإعراضهم عن أهل بيت النبي  
 وأخذهم أحكام دينهم ممن لم يكن لهم دين أصلاً أمثال أبي هريرة وأنس  
 وكعب الأحبار وغيرهم فقد رجعوا على أعقابهم أعني عصر الجاهلية وذلك  
 لأن الدين الفاسد وعدمه سيان.

وتوضيح الكلام أن الدين عبارة عن مجموع القوانين التي أتى بها النبي من  
 عند الله تعالى من الحلال والحرام والمستحب والمكروه والمباح والولاية  
 وهي الأصل بل هي في الدين كالروح من الجسد وإلى هذا المعنى أشير بقوله

ﷺ: بني الإسلام على خمس: على الصلوة والزكوة والصوم والحج والولاية وما نودي بشي فيها كما نودي بالولاية فأخذوا بالأربع وتركوها، رواه في الوسائل ورواه غير واحد في كتب الأحاديث - والأصل فيه قوله تعالى ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَاطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾<sup>(١)</sup> وقد مرّ الكلام في هذا البحث مفصلاً عند بحثنا في الإمامة هذا بحسب الواقع والاعتقاد.

وأما بحسب الظاهر فنرى أنهم ارتكبوا بعد النبي كل ما ارتكبه في جاهليتهم من الذنوب والمعاصي وترك الواجب وقتل النفس المحترمة والكذب والخيانة والزنا وبالجملة تركهم ما أمر الله به وفعلهم ما نهاهم عنه وقد سرت هذه الرواية الخبيثة إلى من بعدهم أيضاً حتى وصلت إلينا في هذا العصر والزمان في جميع الحكومات الإسلامية فشاخ الكذب والخيانة والسرقه والظلم والقتل والزنا والزبا وغيرها وهل يعقل كونها في الجاهلية أكثر منها في الإسلام.

ومعلوم أن هذه الطرق مهلكة في الدنيا والآخرة أما في الدنيا فتوجب الخزي والذلة والحقارة كما نرى وأما في الآخرة فلا يحتاج إلى البيان بعد صراحة الآيات والأخبار به.

وإنما قال ﷺ: (رَجِعْ قَوْم) ولم يقل (رجعوا) مثلاً لعدم رجوع الكل على أعقابهم وهو ظاهر.

□ قوله ﷺ: وَاتَّكَلُوا عَلَى الْوَلَائِحِ، وَوَصَلُوا غَيْرَ الرَّحِمِ، وَهَجَرُوا السَّبَبَ الَّذِي أَمَرُوا بِمَوَدَّتِهِ...

الولائح بفتح الواو جمع وليجة وهي الدخلية بطانة الإنسان وخاصته أو من يتخذه معتمداً عليه من غير أهله والمعنى أنهم إعتمدوا في أمورهم على خواصهم من عشيرتهم وأقربائهم أو غيرهم من المعتمدين.

وقوله ﷺ: وَوَصَلُوا غَيْرَ الرَّحِمِ قالوا في شرحه أي غير الرحم من آل محمد

فإنهم قَطَعُوا رَحِمَهُ ﷺ وقد أمروا بوصله وقطع الرحم هو تركهم متابعتهم في أمور دينهم ودنياهم.

وقوله ﷺ: وَهَجَرُوا السَّبَبَ الَّذِي أَمَرُوا بِمَوَدَّتِهِ، معناه أنهم تركوا آل محمد الذين كانوا سبباً لإهتدائهم ولأجل هذا صاروا مأمورين بمودتهم من الله ورسوله.

□ قوله ﷺ: وَنَقَلُوا الْبِنَاءَ عَنْ رِصِّ أَسَاسِهِ، فَبَنَوْهُ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ...

المراد بالبناء هو بناء الإمامة والخلافة وإن شئت قلت بناء الدين ونقلهم إياه غضبهم الخلافة إنتقالها عن محلها إلى غير محلها والتعبير بالنقل إشارة إلى دققة وهي أن الله تبارك وتعالى جعلها في آل محمد ﷺ فجعلوها بعد موت النبي ﷺ في تميم وعدي ثم في بني أمية وبني العباس وهكذا وفي هذا الكلام إشارة إلى غضبهم الخلافة وإلى هذا المعنى أشير في قوله تعالى حيث قال:

﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٍ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَآتَمَّتْهَا رَبِّهِ فِي نَارٍ جَهَنَّمَ﴾<sup>(١)</sup>

□ قوله ﷺ: مَعَادِنُ كُلِّ خَطِيئَةٍ، وَ أَبْوَابُ كُلِّ ضَارِبٍ فِي غَمْرَةٍ، قَدْ مَارُوا فِي الْحَيْرَةِ، وَ ذَهَلُوا فِي السَّكْرَةِ...

أي أنهم كانوا معادن كل خطيئة وذنوب والتعبير عنهم بالمعادن للإشارة إلى أن الخطايا والذنوب التي وجدت بعدهم في الإسلام كلها مستندة إليهم كما أن الأحجار المُستخرجة من المعادن تستند إليها فإن المعدن هو الأصل لما يستخرج منه وعليه فالكلام إنما خرج على سبيل الإستعارة حيث شبه ﷺ هؤلاء بالمعادن وأعمالهم بما يستخرج من المعادن.

وأما قول البحراني رحمه الله حيث قال: أي أنهم مُستعدون لفعل كل خطيئة ومهيئون لها فهم مظانها ولفظ المعادن إستعارة انتهى.

فهذا كلام بلا محصل خارج عن تفسير العبارة وذلك لأنه ﷺ قال معادن

كُلَّ خَطِيئَةٍ أَيْ أَنَّهُمْ كَانُوا أَسْلُوبَ الْخَطَايَا وَهُوَ ظَاهِرٌ فِي الْفِعْلِيَّةِ فَحَمَلَ الْكَلَامَ عَلَى الْقُوَّةِ وَالتَّهْيُؤِ غَلَطٌ فَاحْشٌ خَرُوجٌ عَنِ ظَاهِرِ اللَّفْظِ مُضَافاً إِلَى أَنْ مَا ذَكَرَهُ الْبَحْرَانِيُّ لَا يَخْتَصُّ بِهِمْ بَلْ هُوَ شَامِلٌ لِكُلِّ الْآحَادِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَائِناً مَنْ كَانَ يَكُونُ مُسْتَعِداً لِفِعْلِ الْخَطِيئَةِ مُهَيَّئاً لَهَا وَفِي مِثْلِهَا إِلَّا الْأَنْبِيَاءَ وَالْأَوْصِيَاءَ وَعَلَيْهِ فَقَوْلُهُ ﷺ لَا يَكُونُ مُخْتَصِصاً بِهِمْ فِي صَدْرِ الْإِسْلَامِ أَعْنِي بِالْغَاصِبِينَ الظَّالِمِينَ وَلَيْتَ شِعْرِي مَا الَّذِي حَمَلَهُ عَلَى هَذَا التَّفْسِيرِ الْخَارِجِ عَنِ إِسْلُوبِ الْكَلَامِ وَهُوَ مِنَ الْمُحَقِّقِينَ وَلَا سِيَّمَا فِي الْإِطْلَاعِ عَلَى قَوَاعِدِ الْفَلَسَفَةِ فَكَيْفَ غَفَلَ عَنِ الْفَرْقِ بَيْنَ الْقُوَّةِ وَالْفِعْلِ وَهُوَ مِنَ الثَّرَى إِلَى الثَّرِيَا وَحَمَلَ الْكَلَامَ عَلَى الْقُوَّةِ دُونَ الْفِعْلِ وَهُوَ لَا مُحَالَةَ كَانَ يَعْلَمُ أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ﷺ فِي كَلَامِهِ هَذَا بِصَدَدِ ذَمِّ هَؤُلَاءِ مِنْ قَوْلِهِ ﷺ: حَتَّى إِذَا قَبِضَ اللَّهُ رَسُولَهُ ﷺ إِلَى آخِرِ الْخُطْبَةِ وَأَنَّهُمْ رَجَعُوا عَلَى الْأَعْقَابِ وَاتَّكَلُوا عَلَى الْوَلَائِحِ وَهَكَذَا حَتَّى وَصَلَ إِلَى الْكَلَامِ الْمُبْحُوثِ عَنْهُ فِي الْمَقَامِ وَمَنْ الْمَعْلُومُ أَنَّ كُونَ الْإِنْسَانَ مُسْتَعِداً لِمَا ذَكَرَهُ الْبَحْرَانِيُّ لَا يَعْدُ ذَمّاً إِذَا الْقَبُولِ وَالتَّهْيُؤِ فِي جَمِيعِ الْأَفْرَادِ وَالْمَذْمُومِ عَقْلاً وَشُرْعاً فِعْلِيَّةً الذَّنْبِ لَا قَبُولِهِ بِحَسَبِ الذَّاتِ وَالْفِطْرَةِ وَكَيْفَ كَانَ فَكَلَامِهِ مَنْظُورٌ فِيهِ مِنْ جِهَاتٍ:

**الجهة الأولى:** أَنَّ لَازِمَ كَلَامِ الشَّارِحِ أَنَّهُمْ أَيِ الْغَاصِبِينَ لَمْ يَكُونُوا مُتَّصِفِينَ بِالذَّنْبِ وَالْخَطَاءِ فِي أَعْمَالِهِمْ ظَاهِراً وَإِنَّمَا كَانُوا مُسْتَعِدِّينَ لِقَبُولِهِ بِحَسَبِ الْغَرِيزَةِ وَهَذَا كَمَا تَرَى.

**وثانيها:** أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ﷺ قَدْ ذَمَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ لَمْ يَصْدُرْ عَنْهُمْ بِالْفِعْلِ وَهُوَ مِنَ الْقِصَاصِ قَبْلَ الْجَنَائَةِ.

**وثالثها:** أَنَّ سَلْمَانَ وَأَبَا ذَرٍّ وَمُقَدَّادَ وَغَيْرَهُمْ مِنَ الْأَخْيَارِ أَيْضاً كَانُوا مُسْتَعِدِّينَ لِقَبُولِ الْخَطَا فَيَلْزَمُ أَنْ يَكُونُوا دَاخِلِينَ تَحْتَ قَوْلِهِ ﷺ: مُعَادِنَ كُلِّ خَطِيئَةٍ.

**رابعها:** أَنَّ غَضَبَهُمُ الْخِلَافَةَ لَمْ يَكُنْ عَنْهُمْ بِالْفِعْلِ وَإِنَّمَا كَانُوا مُسْتَعِدِّينَ لِعُصْبِهَا مُهَيَّئِينَ لَهَا وَالْقُوَّةَ لَا وَجُودَ لَهَا فِي الْخَارِجِ مَا لَمْ تَنْصُرْ إِلَى الْفِعْلِيَّةِ



فغصب الخلافة لا معنى له حيث لم يوجد في الخارج فرضاً فبما ذكرناه وغيره مما لم نذكره مخافة الأطناب قد عرفت أن تفسيره لا يناسب مقامه.

وأما قوله ﷺ (وأبواب كل ضارب في غمرة) .

أصل الغمر إزالة أثر الشيء والغمرة بفتح الغين وسكون الميم وفتح الراء معظم الماء السائرة لمقرها وجعل مثلاً للجهالة التي تغمر صاحبها قاله الراغب في المفردات.

أقول: وإلى ذلك أشار الله تعالى بقوله حيث قال: ﴿بَلْ قَلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَذَا وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِّنْ دُونِ ذَلِكَ﴾ (١)

و: ﴿قَتَلَ الْخَرَّاصُونَ، الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ﴾ (٢)

و: ﴿فَدَرَهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ (٣)

و: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمْرَاتِ الْمَوْتِ﴾ (٤)

وعليه فالمعنى أنهم أعني الغاصبين للخلافة والمعرضين عن أهل البيت أبواب كل ضارب في الجهالة والضلالة أي كل من أراد الجهل والغواية في الدنيا والدين فعليه بالتمسك بهم والتوسل إليهم شبه الضلالة بالبيت وهؤلاء بأبوابه فكأنه ﷺ جعلهم مقابلاً لباب بيت علم النبي أعني نفسه ﷺ حيث قال رسول الله ﷺ أنا مدينة العلم وعلي بابها ولا شك أن لكل مدينة باب فمدينة علم النبي بابها علي وبعده أوصيائه ومدينة الجهل والضلالة بابها هؤلاء المذكورين بالكناية وهذا أيضاً يؤيد ما ذكرناه في تفسير الجملة السابقة ويبطل ما ذكره البحراني ﷺ إذ لو كان الأمر كما ذكره فيلزم أن يكونوا أبواب كل ضارب في غمرة بالقوة والإستعداد لا بالفعل وهو كما ترى قوله ﷺ: قد مارو في الحيرة، أي حاروا وترددوا في أمرهم فيهم فيه تائهون لا يعرفون الحق وقد جعل الله تعالى لهم أئمة يهدونهم بأمره تعالى فحيرتهم وترددهم بإختيارهم

٢- الذاريات - ١١

٤- الأنعام - ٩٣

١- المؤمنون - ٦٣

٣- المؤمنون - ٥٤

وسوء سريرتهم فذرهم في خوضهم يلعبون وما على الرسول إلا البلاغ.  
 وقوله ﷺ: وذهلوا في السكر، أي غابوا عن الحق أو غابت أذهانهم منه في  
 سكرة الجهل أو سكرة المقام والشهوة وفي تعبيره ﷺ بالسكر إشارة إلى قوله  
 تعالى حيث قال: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ (١)  
 و: ﴿إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ﴾ (٢)  
 □ قوله ﷺ: عَلَى سُنَّةٍ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ مِنْ مَّنْقَطِعٍ إِلَى الدُّنْيَا زَاكِنٍ أَوْ مُفَارِقٍ  
 لِلدِّينِ مُبَايِنٍ...

أي أن سنتهم وطريقتهم ليست سنة النبي ﷺ وأنهم ليسوا على سنته بل  
 أنهم على سنة آل فرعون ثم قسمهم ﷺ قسمين أحدهما من إنقطع إلى الدنيا  
 وإنهمك في لذاتها معتمداً عليها، وثانيهما مفارق للدين مزايل له كما ترى في  
 كثير من أحبار النصارى والحاصل أنه منهم من إعتد على الدنيا ومنهم من  
 فارق الدين وهو لا يعلم أن لا دين له هذا.  
 تذييب:

إعلم: أن الشارح المعتزلي اضطرب كلامه في المقام فلم يدر ما يقول  
 وذلك لأنه رأى كلمات الخطبة على خلاف ميله ومذهبه ولا سيما من قوله  
 ﷺ: حَتَّى إِذَا قَبِضَ اللَّهُ رَسُولَهُ رَجَعَ قَوْمٌ عَلَى الْأَعْقَابِ إِلَى آخِرِ الْخُطْبَةِ الشَّرِيفَةِ  
 فَقَدْ وَصَفَ ﷺ هَؤُلَاءِ بِأُمُورٍ كَلَّهَا صَادِقَةٌ مَّانِعَةٌ عَنِ الْإِمَامَةِ.

أحدها: أنهم رجعوا على الأعقاب ومعلوم أن المراد بهم غير شيعته من  
 أمثال أبي ذر وعمار وسلمان ومن حذا حذوهم ويدخل في هذا الغير أبو بكر  
 وعمر وعثمان ومن تابعهم وإنما قلنا ذلك لأن أصحاب النبي كانوا على صنفين  
 صنف رجع على الأعقاب وصنف لم يرجع فإما أن نقول بأن الرجاعين على  
 ومتابعوه وأن المؤمنين غيرهم كائناً من كان، وإما أن نقول بالعكس فإن قلنا  
 بالأول فقد كفرنا بالله وبرسوله لكونه ﷺ أولهم إسلاماً وأقدمهم إيماناً

والخصم أيضاً لا يقول به وإن قلنا بالثاني فقد حصل المطلوب وهكذا غيره من الأوصاف التي مر ذكرها وشرحها ولا سيما قوله عليه السلام: ونقلوا البناء عن رَضَّ أساسه فَبُتُوهُ في غير موضعه فإنَّ كلامه عليه السلام هذا صريح في المدعى وإن الناقل له غيره وقد مر الكلام فيه سابقاً عند بحث الإمامة قال الشارح المعتزلي في هذا المقام ما هذا لفظه:

فإن قلت - أليس هذا الفصل صريحاً في تحقيق مذهب الإمامية؟ قلت لا بل نحمله على أنه عليه السلام عنى أعداءه الذين حاربوه من قريش وغيرهم من أئمة العرب في أيام صفين وهم الذين نقلوا البناء وهجروا السبب ووصلوا غير الرّحم وإتكلوا على الولايج وغالتهم السبيل ورجعوا على الأعقاب كعمرو وابن العاص والمغيرة ابن شعبة ومروان ابن الحكم والوليد ابن عقبة وحبيب ابن مسلمة وبسر ابن أرطاة وعبدالله ابن الزبير وسعيد ابن العاص وجوشب وذو الطلاع وشرجيل ابن الصّمت وابن الأعور السلمي وغيرهم ممن تقدّم ذكرنا لهم في الفصول المتعلقة بصفين وأخبارها فإنّ هؤلاء نقلوا الإمامة عنه إلى معاوية فنقلوا البناء عن رَضَّ أصله إلى غير موضعه إلى آخر ما ذكره.

أقول: لا نحتاج إلى ذكر جميع الملتفات التي لفقها وسمّاها تحقيقاً وذلك لأنّ الشارح الخوئي رحمته الله قد نقل في شرحه ما ذكره بتمامه وكمالها وأجاب عنه بما لا مزيد عليه شكر الله سعيه ونور الله تعالى مضجعه فمن أراد الإطلاع عليه فعليه بشرح المعتزلي والخوئي ولكننا نزيد عليه ما سنح لنا فنقول: ما ذكره المعتزلي منظور فيه من وجوه:

أحدها: ما ذكرناه وإستنبطناه من قوله عليه السلام رجع قوم على الأعقاب بعد موت النبي صلى الله عليه وآله وقد مرّ.

وثانيها: قوله عليه السلام: وهَجَرُوا السَّبَبَ الَّذِي أَمَرُوا بِمَوَدَّتِهِ، فيقال له ما هذا السبب فلا محالة يقول هو أهل البيت لقوله تعالى ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا

الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى»<sup>(١)</sup> وغيرها من الآيات والأخبار، كقوله ﷺ إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسكتُم بهما لن تضلوا أبداً.

ثم نقول من هَجَرَ السَّبَبَ المذكور بعد موت النبي ﷺ أولاً أليس هو أبو بكر وعمر وعثمان ومن تبعهم فإن قال لا فنقول أليس غصب الخلافة وغصب فدك وضرب فاطمة وإحراق بيتها وسقط جنينها وغير ذلك من الأمور الشنيعة هجراً للسَّبَبِ الذي قد أمرُوا بِمَوَدَّتِهِ فإن لم يكن فما معنى السَّبَبِ وهَجْرِهِ وإن كان فالمطلوب ثابت.

وثالثها: قوله ﷺ: ونقلوا البناء عن رَضِّ أساسه فَبَنَوْهُ في غير موضعه، فإن هذه العبارة صريحة في المدعى وأن الناقلين لهذا البناء بعد النبي ﷺ من جمع في السَّقِيفَةِ لنقل الخلافة عن موضعها إلى غيره أعني من علي وأهل بيته إلى أبي بكر ومنه إلى عمر وهكذا وقوله أن الناقلين لهذا البناء وغيره من الأوصاف أعداءه في أيام صفين أعني معاوية وأصحابه مما لا يقول به أحد إلا المتعصب العنيد، وذلك لأن معاوية وأمثاله من الأراذل لم يكن لهم موقع في الإسلام قبل موت النبي وبعده لو لا إنتصابهم بالحكومة من قبل الخلفاء الثلاثة وتأيدهم إياهم فمعاوية هو الذي أثبتته في شام بعنوان الحكومة عمر ابن الخطاب بعد موت أخيه يزيد ابن أبي سفيان الذي كان والياً عليه بحكم أبي بكر وعليه فأول من غرس هذه الشجرة الملعونة وسلطها على رقاب المسلمين هو أبو بكر ثم إقتدى به عمر وبعده عثمان وهذا أعني إستيلاء معاوية على الشام في مدة عشرين سنة تقريباً بأمر الخلفاء هو الذي صار سبباً لقدرته وشوكته ونفوذه حتى فعل ما فعل ولا سيما عثمان الذي كان فيه من الضعف والغفلة ما لا ينكره الخصم أيضاً وهذا الذي ذكرناه في معاوية ليس مختصاً به ضرورة أنه كان أحد الأثمار من هذه الشجرة الخبيثة أعني شجرة الظلم التي حصلت لنا بعد غصبهم الخلافة وإنما تعرّضنا له تبعاً لشارح المعتزلي حيث إنه خص أعدائه ﷺ

بأصحاب صفين وحمل قوله ﷺ: ورجع قوم على الأعقاب عليهم وإلا فمعاوية كغيره من الغاصبين ولا فرق عندنا بينهم من هذه الجهة بل وزره على غيره فإن من أسس أساس الظلم والجور والبدعة هو المدار.

**ورابعها:** لو كان المراد بهم ما ذكره المعتزلي أعني بهم معاوية وأصحابه لقال ﷺ حتى إذا قبض عثمان رجع قوم على الأعقاب وحيث لم يقل ذلك بل قال حتى إذا قبض الله رسوله رجع قوم على الأعقاب فالمراد بهم أصحاب السقيفة قطعاً.

والعجب من المعتزلي حيث عدّ من أعداء عليّ ﷺ من كان ذنبه أحقر وأسهل بمراتب ممّن لم يذكره من رؤساء المهاجرين والأنصار من صدر الإسلام الذين بايعوا أبا بكر أولاً وعمر وعثمان ثانياً وثالثاً وذلك لأن أمثال حبيب ابن مسلمة وبسر ابن أرطاة وجوشب وذي الكلاع وشرحبيل وأبي الأعور وغيرهم من أصحاب معاوية في وقعة صفين ممّن أسلم بعد موت النبي ﷺ ولم يشهد قصة غدیر خم وغيرها من الموارد التي نصّ الرسول ﷺ على وصاية عليّ وخلافته بعده ولم يسمعوا من عليّ إلا اسمه بل سبّه ولعنه من أميرهم بالشام، كيف يترقب منهم حبّ أهل البيت ونصرتهم في أمر الخلافة ومتابعتهم قولاً وفعلاً والمفروض أنّهم أخذوا إسلامهم عن أعداء النبي وأهل بيته.

وأما رؤساء المهاجرين والأنصار الذين سمعوا من النبي ﷺ في عليّ ما سمعوا في مواطن كثيرة أحدها غدیر خم الذي قال ﷺ فيه من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه، وقصة تبوك حيث قال ﷺ لعليّ: أما ترضين أن تكون منّي بمنزلة هرون من موسى إلا أنّه لا نبيّ بعدي وغيرهما من الموارد المسطورة في كتب التواريخ والسّير ممّا هو كالشمس في رابعة النهار فهؤلاء ذنبهم أعظم وأشدّ ممّن ذكره الشارح والوجه واضح فإنّ الحاضر يرى ما لا يراه الغائب

والحجة على العالم أتم منها على الجاهل.

فما بال شارح المعتزلي حيث لم يحمل كلامه عليه السلام على هؤلاء المرتدين عن علم وفهم وحمله على من أسلم على يدي يزيد ابن أبي سفيان ومعاوية وأمثالهما من الأوباش والمنافقين.

أليس معاذ ابن جبل من كبار الأصحاب بزعمهم وأعلمهم بالفقه وأحكام الحلال والحرام كما إدّعاه غير واحد من أعيان العامة فيقال لهم ما الذي حمّله على ترك أهل البيت والبيعة لأبي بكر ثم بعده لغيره أليست فاطمة بنت رسول الله إستنصرت وإستمدت منه في غضبهم حقها وهو لم ينصرها وأمثاله كثيرة ثم إنه أليس أمير المؤمنين إستمدّ عن المهاجر والأنصار إتماماً للحجة فلم يجيئوه فهؤلاء هم الذين كانوا في صدر أعدائه بل هم الذين فتحوا باب الظلم إلى يوم القيمة لا مسلم وذو الكلاع وجوشب وأمثالهم وأظنّ أنّ الشارح المعتزلي ظلم عليهم حيث أسند ذنب غيرهم إليهم ولنعم ما قيل:

غَيْرِي جَنَى وَأَنَا الْمَعَاقِبُ فِيكُمْ فَكَأَنِّي سَبَّابَةُ الْمُتَنَدِّمِ

وحاصل الكلام أنّ قول أمير المؤمنين عليه السلام في المقام بالنسبة إلى الغاصبين للخلافة والراجعين إلى الأعقاب في عهد الجاهلية في نهاية الأحكام والإتقان ولا يشمل غيرهم إلا تبعاً لهؤلاء فهم أعني أهل الشام وغيرهم إلى زماننا هذا من قبيل قوله تعالى حيث قال: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَائِنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ (١)

وأما قوله: ليس يمتنع أن يكون هؤلاء المذكورون رجعوا على الأعقاب لما مات رسول الله وأضمرُوا في أنفسهم مشاققة أمير المؤمنين عليه السلام وأذاه إلى آخر ما قال فهو أوهن من بيت العنكبوت.

أما أولاً: لو كان الأمر كما ذكره فكان حقّ العبارة أن يقال رجع قوم على

الأعقاب بقلوبهم مثلاً وحيث لم يقيد عليه السلام كلامه فالتمسك بالإطلاق على حاله. وثانيهما: الرجوع بهذا المعنى لمعاويه وأمثاله على زعم الشارح لم يكن بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم بل هو كان ثابتاً لكثير من الأصحاب من أول إسلامهم في عهد النبي وعليه فقوله عليه السلام: رجع قوم على الأعقاب بعد موته صلى الله عليه وسلم لا معنى له وبعبارة أخرى الرجوع القلبي لم يوجد بعد موت النبي لهم فإن المؤمن كان مؤمناً من أول الأمر والمنافق أيضاً كذلك فما وجه قوله عليه السلام: بعد موت النبي: فلا بد لنا من حمل الرجوع على ما هو الظاهر منه من الرجوع الحادث بعده صلى الله عليه وسلم بالقلب والفعل وهو المطلوب فكلام أمير المؤمنين عليه السلام في المقام ظاهر لا خفاء فيه ولا يحتاج إلى هذه التأويلات السخيفة الباردة التي يشمئز عنها الطبع ويستكرهها العقل السليم مع كونها مخالفة للقواعد فهو كقول الصادق عليه السلام: إرتدّ الناس بعد النبي إلا ثلاثة أو سبعة ولا غرو فيه لقوله تعالى في كتابه: ﴿قَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ <sup>(١)</sup> هذا.

وقول المعتزلي في آخر كلامه حيث قال وإعلم أنا نحمل كلام أمير المؤمنين على ما يقتضيه سودده الجليل ومنصبه ودينه القويم من الأغضاء عما سلف ممن سلف فقد صاحبهم بالمعروف برهه من الدهر إلى آخر ما قال فالجواب عنه أما أولاً فبأن السؤدد والمنصب والدين وأمثالها لا يقتضي السكوت في قبال الظلم والظالم بل يقتضي خلافه فإن السكوت في أمثال هذه الموارد من أعظم الظلم.

قال الله تعالى: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَن ظَلَمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعاً عَلِيماً﴾ <sup>(٢)</sup>

دلّت الآية بمنطوقها على أن الله تعالى لا يحب الجهر بالسوء إلا لمن كان مظلوماً والمفهوم أن المظلوم لو أجهر بالسوء فهو محبوب له تعالى وحيث إن

أمير المؤمنين عليه السلام كان مظلوماً بلا كلام فإجهاره بالقول لا إشكال فيه بل هو محبوب ممدوح وإذا كان ممدوحاً فذكره أولى من تركه هذا بحسب الشرع. وأما بحسب العقل فلائه يحكم حكماً بطياً بقبح الظلم وذنم الظالم وهو مقدم على حكم الشرع لأنه من المستقلات العقلية فحكم الشرع مؤيد له وإذا كان كذلك فيجب عقلاً إظهار الظلم فإن أمكن بالفعل بمعنى دفع الظلم عن نفسه فهو وإن لم يمكن كذلك فيجب بالقول وفائدته معرفة الناس الظالم وأنه ينبغي أن لا يعتمد عليه ولا يقتدى به وبالجملة عدم صلاحيته للحكومة لو كان حاكماً وتفسيقه وعدم لياقته في الأمور الاجتماعية لو كان معاوناً وناصرأ على تأسيس الظلم.

فقول الشارح المعتزلي إننا نحمل كلامه عليه السلام على ما يقتضيه سُودده الخ لا معنى له بل السُودد يقتضي الإجهار بهذا الفعل الشنيع الذي صدر عنهم بعد موت النبي وصار سبباً لهلاك الأمة.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا ظهرت البدع فعلى العالم أن يظهر علمه وإلا فعليه لغته الله الحديث.

ولا شك أن إظهار العلم في الحديث عبارة عن إظهار العالم حقيقة الحال وهي لا تتحقق إلا بذكر عُيُوبُ البدعة وفسق المبدع وكشف خيائنه في الدين فهذا هو السُودد لمن له علم ودين كما قيل بالفارسية:

اگر بینی که نابینا وچاه است      اگر خاموش بنشینی گناه است

وقال أيضاً: إذا رأيت العالم مكباً على دنياه فإتهموه على دينه وأمثال هذا كثيرة في الأخبار والآثار وأما ما زعمه الشارح من أن السُودد يقتضي السكوت فهو على مذهبه ومسلكه لا على مذهبنا فإن السُودد في مذهب الشيعة لا يقتضي السكوت في هذه الموارد كما عرفت من نص الرسول.

كيف لا وقد ثبت أن السكوت في غير موضعه يوجب تقوية الظالم وشد



عضده وتسلطه على ضعفاء الناس وإشاعة الظلم والفساد وإماتة المعروف  
وأحياء المنكر وإراقة الدماء وهتك النواميس وغيرها من الفجائع والفظائع  
وبالجملة هو إمضاء الظلم والإعانة عليه والحمد لله رب العالمين.

## ومن خطبة له عليه السلام (١٥١)

□ قوله عليه السلام: وَأَسْتَعِينُهُ عَلَى مَدَاجِرِ الشَّيْطَانِ وَمَزَاجِرِهِ، وَالْإِعْتِصَامِ مِنْ حَبَائِلِهِ وَمَخَاتِلِهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَتَجِيبُهُ وَصَفْوَتُهُ، لَا يُوَازِي فَضْلُهُ، وَلَا يُجْبِرُ قَدْرُهُ، أَضَاءَتْ بِهِ الْبِلَادُ بَعْدَ الضَّلَالَةِ الْمُظْلِمَةِ، وَالْجَهَالَةِ الْغَالِبَةِ، وَالْجَفْوَةِ الْجَافِيَةِ، وَالنَّاسُ يَسْتَجِلُّونَ الْحَرِيمَ، وَيَسْتَذِلُّونَ الْحَكِيمَ، يَخْيُونَ عَلَى فِتْرَةٍ، وَيَمُوتُونَ عَلَى كَفْرَةٍ.

ثُمَّ إِنَّكُمْ مَعْشَرَ الْعَرَبِ أَغْرَاضُ بَلَايَا قَدْ اقْتَرَبَتْ، فَاتَّقُوا سَكَرَاتِ النِّعْمَةِ، وَاحْذَرُوا بَوَاقِ النِّقْمَةِ، وَتَثَبُّوا فِي قِتَامِ الْعِشْوَةِ وَأَعْوَجَاجِ الْفِتْنَةِ، عِنْدَ طُلُوعِ جَنِينِهَا، وَظُهُورِ كَمِينِهَا، وَأَنْتِصَابِ قُطْبِهَا، وَمَدَارِ رَحَاهَا: تَبْدُو فِي مَدَارِجِ خَفِيَّتِهَا، وَتَوَوَّلُ إِلَى فِطَاعَةِ جَلِيَّتِهَا، شَبَابُهَا كَشِبَابِ الْعَلَامِ، وَأَثَارُهَا كَأَثَارِ السَّلَامِ، تَتَوَارَثُهَا الظُّلْمَةُ بِالْعَهْودِ، أَوْلَهُمْ قَائِدٌ لِأَخْرِهِمْ، وَأَخْرَهُمْ مُقْتَدٍ بِأَوْلِهِمْ، يَتَنَافَسُونَ فِي دُنْيَا دَنِيَّةٍ، وَيَتَكَالَبُونَ عَلَى جِيْفَةِ مُرِيحَةٍ، وَعَنْ قَلِيلٍ يَتَبَرَّأَ التَّابِعُ مِنَ الْمَتَّبِعِ، وَالْقَائِدُ مِنَ الْمُقَوِّدِ، فَيَتَزَايِلُونَ بِالْبَعْضَاءِ، وَيَتَلَاعَنُونَ عِنْدَ الْإِلْقَاءِ، ثُمَّ يَأْتِي بَعْدَ ذَلِكَ طَالِعُ الْفِتْنَةِ الرَّجُوفِ، وَالْقَاصِمَةُ الرَّحُوفِ، فَتَزِيغُ قُلُوبَ بَعْدِ سِتْقَامَةٍ، وَتَضِلُّ رِجَالَ بَعْدَ سَلَامَةٍ، وَتَخْتَلِفُ الْأَهْوَاءُ عِنْدَ هُجُومِهَا، وَتَلْتَبِسُ الْأَرَءَاءُ عِنْدَ نُجُومِهَا، مَنْ أَشْرَفَ لَهَا قَصَمَتْهُ، وَمَنْ سَعَى فِيهَا حَطَمَتْهُ، يَتَكَادَمُونَ فِيهَا تَكَادَمَ الْحُمْرِ فِي الْعَانَةِ، قَدْ اضْطَرَبَ مَعْقُودُ الْحَبْلِ، وَعَمِيَ وَجْهُ الْأَمْرِ، تَغِيضُ فِيهَا الْحِكْمَةَ، وَتَنْطِقُ فِيهَا الظُّلْمَةَ، وَتَدُقُّ أَهْلَ الْبَدْوِ بِمِسْحَلِهَا، وَتُرَضُّهُمْ بِكَلْكَلِهَا.

يَضِيعُ فِي غَبَارِهَا الْوُحْدَانُ، وَيَهْلِكُ فِي طَرِيقِهَا الرُّكْبَانُ، تَرِدُ بِمِرِّ الْقَضَاءِ،  
وَتَحْلُبُ عَيْطِ الدِّمَاءِ، وَتَثْلِمُ مَنَارَ الدِّينِ: وَتَنْقُضُ عَقْدَ الْيَقِينِ، تَهْرُبُ مِنْهَا  
الْأَكْيَاسُ، وَتُدْبِرُهَا الْأَرْجَاسُ، مِرْعَادُ مَبْرَاقٍ، كَاشِفَةٌ عَن سَاقٍ، تُقْطَعُ فِيهَا  
الْأَرْحَامُ، وَيُفَارِقُ عَلَيْهَا الْإِسْلَامُ، بَرِيئُهَا سَقِيمٌ، وَظَاعِنُهَا مُقِيمٌ.

مِنْهَا

بَيْنَ قَتِيلٍ مَطْلُولٍ، وَخَائِفٍ مُسْتَجِيرٍ، يُخْتَلُونَ بِعُقْدِ الْإِيمَانِ وَيَغْرُورِ الْإِيمَانِ،  
فَلَا تَكُونُوا أَنْصَابَ الْفِتَنِ وَأَعْلَامَ الْبِدْعِ، وَالزَّمُوا مَا عُقِدَ عَلَيْهِ حَبْلُ الْجَمَاعَةِ،  
وُبَيِّنَتْ عَلَيْهِ أَرْكَانُ الطَّاعَةِ، وَأَقْدَمُوا عَلَى اللَّهِ مَظْلُومِينَ، وَلَا تَقْدَمُوا عَلَيْهِ  
ظَالِمِينَ، وَاتَّقُوا مَدَارِجَ الشَّيْطَانِ، وَمَهَابِطَ الْعُدْوَانِ، وَلَا تُدْخِلُوا بُطُونَكُمْ لِعَقِّ  
الْحَرَامِ، فَإِنَّكُمْ بَعِينٌ مَن حَرَّمَ عَلَيْكُمْ الْمَعْصِيَةَ، وَسَهْلٌ لَكُمْ سَبِيلَ الطَّاعَةِ.

◀ اللُّغَةُ

(مَدَا حِرٍ) جمع مدحَر وهو محل الطرد والبعد (مَزَا حِرِهِ) ما يزرجه به أي يمنع  
(حَبَائِلِهِ) مكائده (مخاتله) ما يخدع به (يُوَازِي) أي يساوي (الْجَفْوَةُ الْجَافِيَّةُ)  
غلظ الطبع وبلادة الفهم (فَتْرَةٌ) إنقطاع الوحي (أَغْرَاضُ) جمع غرض وهو  
الهدف (بَوَاقٍ) الدواهي (قَتَامِ الْعِشْوَةِ) القَتَامُ الغبار والعِشْوَةُ ركوب الأمر على  
غير بنية (الْإِعْوَجَاجُ) العُدُولُ عن الْحَقِّ (كَشِبَابِ الْعُلَامِ) شباب الغلام بكسر  
السين لعه ومزحه (السِّلَامُ) جمع سلمة بكسر السين الحجارة (مُرِيحَةٌ) أي  
فتنة قد ظهر ريحها (رَجُوفُ) مرتجفة أي مُضْطَرِبَةٌ (الْقَاصِمَةُ) المحطمة  
(الرَّحُوفِ) زَحَفَ إِلَيْهِ مَشَى (نُجُومِهَا) ظهورها (يَتَكَادَمُونَ) الكدم العَضُّ  
(الْعَانَةُ) القطيع (تَغِيضُ) أي تنقص (بِمِسْحَلِهَا) المسجل المبرد (بِكَلْكَلِهَا)  
الكلكل الصُّدر (الْوُحْدَانُ) جمع واحد (مِرْعَادُ مَبْرَاقٍ) بكسر اليم فيها أي ذات  
تهديد ووعيد (عَن سَاقٍ) أي الشدة والمَشَقَّةُ (مَطْلُولٍ) يقال دم مطلول أي  
مَهْدُور (الْإِيمَانِ) بفتح الألف الأقسام جمع يمين وهو الْقَسَمُ (الْإِيمَانِ) بكسر  
الألف الإقرار باللسان والإعتقاد بالجنان والعمل بالأركان (الْأَنْصَابُ) ما ينصب

ليتصيد (لَعَقَ الْحَرَامِ) لَعَقَ بضم اللام وفتح العين جمع لَعَقَةٌ وهي ما تؤخذ بالملعقة.

### ◀ المعنى

(وَأَسْتَعِينُهُ) أي أستعين الله (عَلَى مَدَاحِرِ الشَّيْطَانِ مَزَاجِرِهِ) أي ما يدحر بها ويطرده وما يمنع (وَالْإِعْتِصَامِ مِنْ حَبَائِلِهِ) أي مكائده (وَمَخَاتِيلِهِ) ومخادعه (وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ) بالقلب واللسان (وَنَجِيئُهُ وَصَفْوَتُهُ) أي أن محمداً ﷺ نجيب الله وصفوته من الخلق أجمعين (لَا يُوَازِي) ولا يساوي (فَضْلُهُ) أحد (وَلَا يُجْبِرُ فَقْدُهُ) أي لا ينجر موته (أَضَاءَتْ) واستشرقت (بِهِ) أي بسبب ما جاء به (الْبِلَادُ) والأمصار (بَعْدَ الضَّلَالَةِ الْمُظْلِمَةِ) أي بعد كون البلاد كذلك (وَالْجَهَالَةَ الْعَالِيَةَ) على أهلها (وَالْجَفْوَةَ الْجَافِيَةَ) أي غلظ الطبع وبلادة الفهم أي كانوا كذلك قبل البعثة (وَالنَّاسُ يَسْتَحِلُّونَ الْحَرِيمَ) أي حرمت الله (وَيَسْتَذِلُّونَ الْحَكِيمَ) أي العالم به تعالى (يَحْيُونَ عَلَى فِتْرَةٍ) وانقطاع الوحي (وَيَمُوتُونَ عَلَى كَفْرَةٍ) أي زندقة والحاد (ثُمَّ إِنَّكُمْ مَعَشَرَ الْعَرَبِ أَعْرَاضُ بَلَايَا) وأهدافها (قَدْ اقْتَرَبَتْ) البلايا (فَاتَّقُوا سَكَرَاتِ النَّعْمَةِ) من الغفلات المشابهة للسكر (وَاحْذَرُوا بَوَاقِ النَّقْمَةِ) ودواهيها (وَ تَثَبُّوا فِي قَتَامِ الْعِشْوَةِ) أي استقيموا في غبارها فلا تركبوا الأمر على غير بينة (وَاعْوَجَّاجِ الْفِتْنَةِ، عِنْدَ طُلُوعِ جَنِينِهَا) أي عدولها عن المنهج عند ظهور أولاد الفتن (وُظْهُورِ كَمِينِهَا) أي ما كان مستوراً فيها (وَأَنْتِصَابِ قُطْبِهَا) أي قطب الفتن (وَمَدَارِ رَحَاهَا) أي رحي الفتن (تَبْدُو) الفتن (فِي مَدَارِجِ خَفِيَّتِ) أولاً (وَأَتَوُّوْا) أي ترجع (إِلَى قِطَاعَةِ جَلِيَّتِ) بيئة (شِبَابِهَا كَسِبَابِ الْغَلَامِ، وَآثَارُهَا كَأَثَارِ السَّلَامِ) في عدم القرار والثبات (تَتَوَارَثُهَا الظُّلْمَةُ بِالْعَهْودِ) بعهد من الأول منهم للثاني (أَوَّلُهُمْ قَائِدٌ لِآخِرِهِمْ) يقوده إلى الظلم والضلال (وَآخِرُهُمْ مُقْتَدٍ بِأَوَّلِهِمْ) في الجور وإثارة الفتن (يَتَنَافَسُونَ) ويتعارضون (فِي دُنْيَا دَنِيَّةٍ) التي لا قدر لها عند العقلاء (وَيَتَكَابَرُونَ) أي يتواثبون (عَلَى جِيْفَةٍ

مُرِيحَةٍ) فتنه (وَعَنْ قَلِيلٍ يَتَّبِعُ) ويتنفر (التَّابِعُ مِنَ الْمَتَّبِعِ، وَالْقَائِدُ مِنَ الْمَقُودِ) بعد موتهم (فَيَتَزَايِلُونَ) أي يفرقون (بِالْبَعْضَاءِ، وَيَتَلَاعَنُونَ عِنْدَ الْإِلْقَاءِ) يوم القيمة ( ثُمَّ يَأْتِي بَعْدَ ذَلِكَ طَالِعُ الْفِتْنَةِ الرَّجُوفِ) أي يأتي بعد هؤلاء الظلمة ظلمة أخرى متصفة بالرجف والإضطراب (وَالْقَاصِمَةُ الرَّحُوفِ) أي الكاسرة الكثيرة الزحف ( فَتَزِيغُ قُلُوبَ بَعْدِ سِتْقَامَةٍ) على سبيل الله (وَأُتْصِلُ رِجَالُ بَعْدَ سَلَامَةٍ) في دين الله (وَتَخْتَلِفُ الْأَهْوَاءُ) والآراء (عِنْدَ هُجُومِهِ، وَتَلْتَبِسُ الْأَرَاءُ) وتشتبه (عِنْدَ نُجُومِهَا) وظهورها (مَنْ أَشْرَفَ لَهَا) أي من صادم الفتنة (قَصَمَتْهُ) أي هلكته (وَمَنْ سَعَى فِيهَا حَطَمَتْهُ) وكسرتة (يَتَكَادِمُونَ فِيهَا تَكَادِمَ الْحُمْرِ فِي الْعَانَةِ) في قطيعها (قَدْ اضْطَرَبَ مَعْقُودُ الْحَبْلِ) وقواعد الدين (وَعَمِيَ وَجْهُ الْأَمْرِ، كِنَايَةٌ عَنِ خِفَائِهِ وَسْتَرِهِ) (تَغِيضُ فِيهَا الْحِكْمَةَ) أي تنقض وتغور (وَتَنْطِقُ فِيهَا الظَّلْمَةُ) على طبق أهوائهم وأميلهم (وَتَدُقُّ أَهْلَ الْبَدْوِ) والبادية (بِمَسْحَلِهَا) أي يفعل بهم ما يفعل المسحل بالحديد أو الخشب (وَتَرْضُهُمْ) أي تدقهم (بِكُلِّكَلِهَا) وصدورها (يَضِيغُ فِي غُبَارِهَا الْوُحْدَانُ، وَيَهْلِكُ فِي طَرِيقِهَا الرُّكْبَانُ) أي لا يخلص منها أحد (تَرِدُ بِمِرِّ الْقَضَاءِ) أي بالهلاك والبوار (وَتَحْلُبُ عَيْطِ الدِّمَاءِ) أي الطرى الخالص منها (وَتَثْلِمُ مَنَارَ الدِّينِ: وَتَنْقُضُ عَقْدَ الْيَقِينِ) أي تهدم منار الدين وقواعده وتغيّر عقد اليقين أعني العقائد الحقّة (تَهْرَبُ) وتفرّ (مِنْهَا الْأَكْيَاسُ) أي ذوو العقول السليمة (وَتُدْبِرُهَا الْأَرْجَاسُ) والأنجاس (مِرْعَادُ مِبْرَاقٍ) أي كثيرة الرعد والبرق (كَاشِفَةٌ عَنِ سَاقٍ) أي عن الشدة (تُقَطِّعُ فِيهَا الْأَرْحَامُ، وَيُفَارِقُ عَلَيْهَا الْإِسْلَامُ، بَرِيئُهَا سَقِيمٌ، وَظَاعِنُهَا مُقِيمٌ.) كما هو الشأن في تلك الحكومة الفاسدة.

(مِنْهَا بَيْنَ قَتِيلٍ مَطْلُولٍ) مهذور الدم لا يطلب به (وَوَخَائِفٍ مُسْتَجِيرٍ) مستأمن يطلب الأمان (يُخْتَلُونَ بِعَقْدِ الْإِيمَانِ) والأقسام (وَبِغُرُورِ الْإِيمَانِ) والاعتقاد (فَلَا تَكُونُوا أَنْصَابَ الْفِتَنِ) ورؤسائها (وَأَعْلَامَ الْبِدْعِ) التي يقتدى بها (وَالزُّمُومَا مَا عَقِدَ عَلَيْهِ حَبْلُ الْجَمَاعَةِ) أعني حبل الدين (وَيُنِيَّتْ عَلَيْهِ أَرْكَانُ الطَّاعَةِ) وهو

الإيمان الواقعي (وَاقْدُمُوا عَلَى اللَّهِ مَظْلُومِينَ، وَلَا تَقْدَمُوا عَلَيْهِ ظَالِمِينَ) أي وليكن ورودكم على الله هكذا (وَآتَقُوا مَدَارِجَ الشَّيْطَانِ، وَمَهَابِطَ الْعُدْوَانِ، وَلَا تُدْخِلُوا بُطُونَكُمْ لُغَعَ الْحَرَامِ، فَإِنَّكُمْ بَعَيْنٍ مِنْ حَرَمٍ عَلَيْكُمْ الْمَعْصِيَةَ) وهو الله تعالى (وَسَهَّلَ لَكُمْ سَبِيلَ الطَّاعَةِ) وهو أيضاً الله تعالى.

## ◀ الشرح

□ قوله ﷺ: وَأَسْتَعِينُهُ عَلَى مَدَاجِرِ الشَّيْطَانِ وَمَزَاجِرِهِ، وَالْإِعْتِصَامِ مِنْ حَبَائِلِهِ وَمَخَاتِلِهِ...

الظاهر أن صدر الخطبة قد سقط وقوله ﷺ: وَأَسْتَعِينُهُ عطف على ما سبق منه وكيف كان فالمعنى أستعين الله تبارك وتعالى وأستمدّه على مدارج الشيطان أي ما يوجب الطرد والإبعاد ومزاجره أي ما يزرجه ويمنع والتمسك به تعالى من حبال الشيطان أعني مكائده ومن مخاتله أي ما يخدع به. وقد مرّ البحث في معنى الشيطان وبيان حقيقته بما لا مزيد عليه وأنه عدونا ولا يمكن الفرار من كيده ومكره إلا بالإستعانة منه تعالى وقد دلت الآيات والأخبار عليه والكلام في مقامين:

أحدهما: في كون الشيطان عدواً لنا.

والثاني: في الإستعانة والإستعاذة بالله من شره ومكره.

أما الأول:

فقوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ (١)

و: ﴿وَأَقْلُ لَكُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ (٢)

و: ﴿تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ (٣)

و: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ (٤)

مُرِيحَةٍ) فِتْنَةٌ (وَعَنْ قَلِيلٍ يَتَّبِعُونَ) وَيَتَّبِعُونَ (التَّابِعُ مِنَ الْمَتَّبِعِينَ، وَالْقَائِدُ مِنَ الْمُتَقِدِّينَ) بعد موتهم (فَيَتَزَايَلُونَ) أي يفرقون (بِالْبَعْضَاءِ، وَيَتَلَاعَنُونَ عِنْدَ الْإِلْقَاءِ) يوم القيمة (ثُمَّ يَأْتِي بَعْدَ ذَلِكَ طَالِعُ الْفِتْنَةِ الرَّجُوفِ) أي يأتي بعد هؤلاء الظلمة ظلمة أخرى متصفة بالرجف والاضطراب (وَالْقَاصِمَةُ الرَّجُوفِ) أي الكاسرة الكثيرة الزحف (فَتَزِيغُ قُلُوبَ بَعْدَ سِقَامَةٍ) على سبيل الله (وَأَتَّضِلُّ رِجَالٌ بَعْدَ سَلَامَةٍ) في دين الله (وَأَتَّخِذُوا الْأَهْوَاءَ) والآراء (عِنْدَ هُجُومِهِ، وَتَلْتَبِسُ الْأَرْاءُ) وتتشبه (عِنْدَ نُجُومِهَا) وظهورها (مَنْ أَشْرَفَ لَهَا) أي من صادم الفتنة (قَصَمَتْهُ) أي هلكته (وَمَنْ سَعَى فِيهَا حَطَمَتْهُ) وكسرتة (يَتَكَادِمُونَ فِيهَا تَكَادِمَ الْحُمْرِ فِي الْعَانَةِ) في قطعها (قَدْ اضْطَرَبَ مَعْقُودُ الْحَبْلِ) وقواعد الدين (وَعَمِيَ وَجْهُ الْأَمْرِ، كِنَايَةٌ عَنِ خِفَائِهِ وَسْتَرِهِ) (تَغِيضُ فِيهَا الْحِكْمَةَ) أي تنقض وتغور (وَتَنْطِقُ فِيهَا الظُّلْمَةَ) على طبق أهوائهم وأميالهم (وَتَدُقُّ أَهْلَ السُّبُورِ) والبادية (بِمَسْحَلِهَا) أي يفعل بهم ما يفعل المسحل بالحديد أو الخشب (وَتَرْضُهُمْ) أي تدقهم (بِكُلِّكَلِهَا) وصدورها (يَضِيغُ فِي غُبَارِهَا الْوُحْدَانُ، وَيَهْلِكُ فِي طَرِيقِهَا الرُّكْبَانُ) أي لا يخلص منها أحد (تَرِدُ بِمِرِّ الْقَضَاءِ) أي بالهلاك والبوار (وَتَحْلُبُ عَيْطِ الدِّمَاءِ) أي الطرى الخالص منها (وَتَثْلِمُ مَنَارَ الدِّينِ: وَتَنْقُضُ عَقْدَ الْيَقِينِ) أي تهدم منار الدين وقواعده وتغيّر عقد اليقين أعني العقائد الحقّة (تَهْرُبُ) وتفرّ (مِنْهَا الْأَكْيَاسُ) أي ذوو العقول السليمة (وَتُدْبِرُهَا الْأَرْجَاسُ) والأنجاس (مِرْعَادٌ مَبْرَاقٌ) أي كثيرة الرعد والبرق (كَاشِفَةٌ عَنِ السَّاقِ) أي عن الشدة (تُقَطِّعُ فِيهَا الْأَرْحَامَ، وَيُفَارِقُ عَلَيْهَا الْإِسْلَامَ، بَرِيئًا سَقِيمًا، وَظَائِعًا مُقِيمًا). كما هو الشأن في تلك الحكومة الفاسدة.

(مِنْهَا بَيْنَ قَتِيلٍ مَطْلُولٍ) مهذور الدم لا يطلب به (وَأَخَائِفٍ مُسْتَجِيرٍ) مستأمن يطلب الأمان (يُخْتَلُونَ بِعَقْدِ الْإِيمَانِ) والأقسام (وَيَغْرُورُ الْإِيمَانِ) والإعتقاد (فَلَا تَكُونُوا أَنْصَابَ الْفِتَنِ) ورؤسائها (وَأَعْلَامَ الْبِدْعِ) التي يقتدى بها (وَالزُّمُومَا) عَقْدٌ عَلَيْهِ حَبْلُ الْجَمَاعَةِ) أعني حبل الدين (وَبُنِيَتْ عَلَيْهِ أَرْكَانُ الطَّاعَةِ) وهو

الإيمان الواقعي (واقدموا على الله مظلومين، ولا تقدموا عليه ظالمين) أي وليكن ورودكم على الله هكذا (واتقوا مدارج الشيطان، ومهايط العذوان، ولا تدخلوا بطونكم لعق الحرام، فإنكم بعين من حرم عليكم المعصية) وهو الله تعالى (وسهل لكم سبيل الطاعة) وهو أيضاً الله تعالى.

## ◀ الشرح

□ قوله ﷺ: وَأَسْتَعِينُهُ عَلَىٰ مَدَاجِرِ الشَّيْطَانِ وَمَزَاجِرِهِ، وَالْإِعْتِصَامِ مِنْ حَبَائِلِهِ وَمَخَاتِلِهِ...

الظاهر أن صدر الخطبة قد سقط وقوله ﷺ: وَأَسْتَعِينُهُ عطف على ما سبق منه وكيف كان فالمعنى أستعين الله تبارك وتعالى وأستمدّه على مدارج الشيطان أي ما يوجب الطرد والإبعاد ومزاجره أي ما يزرجه ويمنع والتمسك به تعالى من حبال الشيطان أعني مكائده ومن مخاتله أي ما يخدع به.

وقد مرّ البحث في معنى الشيطان وبيان حقيقته بما لا مزيد عليه وأنه عدونا ولا يمكن الفرار من كيده ومكره إلا بالإستعانة منه تعالى وقد دلت الآيات والأخبار عليه والكلام في مقامين:

أحدهما: في كون الشيطان عدواً لنا.

والثاني: في الإستعانة والإستعاذة بالله من شره ومكره.

أما الأول:

فقوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ (١)

و: ﴿وَأَقْلُ لَكُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ (٢)

و: ﴿تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ (٣)

و: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ (٤)



- و : ﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ﴾ (١)  
 و : ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ (٢)  
 و : ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا﴾ (٣)

ومن الثاني:

- قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ (٤)  
 و : ﴿وَأَمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ﴾ (٥)  
 و : ﴿وَإِنِّي أَعِيبُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ (٦)  
 و : ﴿وَقُلْ رَبِّ إِنِّي وَاعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ﴾ (٧) وغيرها من الآيات.

وإنما قال ﷺ في الأولين أعني مداحره ومزاجره (أستعين) وفي الحبائل والمخاتل بقوله ﷺ: (والإعتصام) وبعبارة أخرى إستعان ﷺ عليها واعتصم به تعالى من الأخيرين لنكته وهي أن مداحر الشيطان ومزاجره مما يمكن التخلص منها بسبب الإستعانة منه تعالى والإهتمام من نفسه وأما التخلص من حبائله ومخاتله فهو أمر أشكل من الأول فلا يمكن التحرز منها إلا بالاعتصام به تعالى والتوكل عليه.

وتوضيحه أن المداحر على ما فسروها في اللغة جمع مدحر وهو إسم مكان من دحر يدحر والدحر في أصل اللغة الطرد والمنع ومنه قوله تعالى مخاطباً للشيطان: ﴿أَخْرِجْ مِنْهَا مَذْمُومًا مَذْحُورًا﴾ (٨) أي مطروداً متبعداً ومنه إدحر عني الشيطان أي إبعده عني وقيل الذحور الدفع بعنف على سبيل الإهانة ومنه الشهادة مدحرة للشيطان، أي محلّ لطرده وإبعاده ولعله لهذا عقب ﷺ كلامه بالشهادة والمزاجر، جمع مزجر وهو أيضاً إسم مكان وأصل الزجر أيضاً المنع قال تعالى: ﴿فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا﴾<sup>١</sup> يعني الملائكة تزجر السحاب وقوله تعالى:

٢- فاطر - ٦  
 ٤- التحل - ٩٨  
 ٦- آل عمران - ٣٦  
 ٨- الاعراف - ١٨

١- طه - ١١٧  
 ٢- الإسراء - ٥٢  
 ٥- فصلت - ٣٦  
 ٧- المؤمنون - ٩٧  
 ١- الصافات - ٢

﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾<sup>(١)</sup> يعني نفخة الصُّور والزَّجْرَةُ الصَّيْحَةُ بِشِدَّةٍ وَإِنْتِهَارٍ  
ويقال أَزَجَرَ الشَّيْطَانُ عُنْكَ أَي إِمْنَعَهُ مِنَ التَّسَلُّطِ عَلَيْكَ كَمَا تَزْجُرُ الْكَلْبَ حِينَ  
يَطْلُبُكَ لِتَمْنَعَهُ عُنْكَ وَعَلَيْهِ فَالْمَالَ فِيهِمَا وَاحِدٌ.

ويمكن الفرق بين الدُّحْرِ والزَّجْرِ بِأَنَّ الدُّحْرَ هُوَ الطَّرْدُ وَالْمَنْعُ وَالزَّجْرُ هُوَ  
الْمَنْعُ بِشِدَّةٍ وَعَنْفٍ أَوْ أَنَّ الزَّجْرَ هُوَ إِعْمَالُ الشَّدَّةِ وَالْقَهْرِ عَلَى تَحْصِيلِ الْمَدْعَى  
أَعْنِي مَا يَدْعِيهِ الزَّاجِرُ وَإِنْ كَانَ خِلَافَ مِيلِ الْمَرْجُورِ بَلْ لِأَبَدٍ أَنْ يَكُونَ كَذَلِكَ إِذْ  
لَوْ لَاهُ لَمَا يَصْدُقُ الزَّجْرُ هَذَا.

وَأَمَّا الْحَبَائِلُ فَهِيَ جَمْعُ حِبَالَةٍ بِالْكَسْرِ وَهِيَ مَا يَصَادُ بِهَا مِنْ أَي شَيْءٍ كَانَ  
وَمِنْهُ الْحَدِيثُ: النَّسَاءُ حِبَالَةُ الشَّيْطَانِ وَالْمَخَاتِلُ الْمَخَادِعُ يُقَالُ خَتَلَهُ وَيَخْتَلُهُ  
إِذَا خَدَعَهُ وَرَاوَعَهُ وَالْمَخَاتِلَةُ الْمَخَادِعَةُ وَمِنْهُ الْحَدِيثُ فِي طَلِبَةِ الْعِلْمِ: وَمِنْهُمْ  
مَنْ يَطْلُبُهُ لِلْإِسْتِطَالَةِ وَالْخِتْلُ، وَقِيلَ الْمَخَاتِلَةُ الْمَشْيُ إِلَى الصَّيْدِ قَلِيلًا قَلِيلًا فِي  
خَفِيَّةٍ لئَلَّا يَسْمَعَ حِسًّا فَيَنْفِرَ وَفِي الْحَدِيثِ: الْعَالَمُ يَخْتَلُ الدُّنْيَا بِالَّذِينَ أَي يَطْلُبُ  
الدُّنْيَا بِعَمَلِ الْآخِرَةِ.

إِذَا عَرَفْتَ هَذَا فَقَدْ عَلِمْتَ الْفَرْقَ بَيْنَ الْمَعْنِيَيْنِ أَعْنِي مُدَاخِرَهُ وَمَزَاجِرَهُ،  
وَحَبَائِلَهُ وَمَخَاتِلَهُ وَأَنَّ الْفِرَارَ مِنَ الْأَوَّلِ أَسْهَلُ مِنَ الثَّانِي فَإِنَّ حَبَائِلَهُ وَمَخَاتِلَهُ  
كَثِيرَةٌ مُخْتَلِفَةٌ بَلْ مُتَنَوِّعَةٌ تَتَفَاوَتُ بِتَفَاوُتِ الْأَشْخَاصِ مِنَ الْعَالَمِ وَالْجَاهِلِ  
وَالتَّاجِرِ وَالزَّارِعِ وَالْفَقِيرِ وَالغَنِيِّ وَهَكَذَا فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ حَبْلٌ مَخْصُوصٌ  
وَخِتْلٌ مَعْيَنٌ فَحَبْلُ الْعَالَمِ أَوْ خِتْلُهُ غَيْرُ حَبْلِ الْجَاهِلِ وَخِتْلُهُ وَهَكَذَا ثُمَّ إِنَّهُ مَعَ  
ذَلِكَ سِرِّيَّةٌ خَفِيَّةٌ لَا يُمْكِنُ الْفِرَارُ مِنْهُ إِلَّا بِالْإِعْتِصَامِ وَالتَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى لِأَنَّهُ  
فَوْقَ الطَّاقَةِ الْبَشَرِيَّةِ إِنْ لَمْ يَكُنِ الْإِنْسَانُ مُؤَيَّدًا مِنْصُورًا وَلِهَذَا تَرَى التَّعْبِيرَ  
بِالْإِسْتِعَاذَةِ فِي الْآيَاتِ حَيْثُ قَالَ تَعَالَى اسْتَعِذْ بِاللَّهِ أَوْ أَعُوذْ بِاللَّهِ وَأَمْثَالُ ذَلِكَ وَلَمْ  
يَقُلْ اسْتَعِينِ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ فَظَهَرَ الْفَرْقُ وَهُوَ الْمَطْلُوبُ.

□ قَوْلُهُ ﷻ: وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ  
وَرَسُولُهُ...

قَدَمَ ﷺ الإِسْتِعَانَةَ وَالْإِعْتِصَامَ بِاللَّهِ تَعَالَى مِنَ الشَّيْطَانِ وَمَكَائِدِهِ عَلَى الشَّهَادَتَيْنِ أَمَّا أَوَّلًا فَلَمَّا وَرَدَ أَنَّ الشَّهَادَةَ مَدْحَرَةٌ لِلشَّيْطَانِ فَلابدٌ فِيهَا مِنَ الإِسْتِعَانَةِ لَهُ تَعَالَى.

وِثَانِيًا لِأَنَّ الإِسْتِعَاذَةَ وَالْإِسْتِعَانَةَ مِنْهُ بِهِ تَعَالَى قَدْ وَرَدَ النَّصُّ بِهِ قَالَ تَعَالَى:  
﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾<sup>(١)</sup>  
وَقَالَ ﴿وَقُلْ رَبِّ إِنِّي وَاعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ﴾<sup>(٢)</sup>

وَحَيْثُ إِنَّ الشَّهَادَتَيْنِ مِمَّا بِهِ يَتَحَقَّقُ الإِسْلَامُ وَيَصْحَحُ الإِعْتِقَادُ فَيَجِبُ قَبْلَهَا الإِسْتِعَانَةُ بِهِ تَعَالَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِتَقَاعَا عَلَى خُلُوصِ وَقُرْبَةٍ وَلَا يَكُونُ لِلشَّيْطَانِ فِي الشَّهَادَةِ حَظٌّ وَلَا نَصِيبٌ، وَأَمَّا الْبَحْثُ فِي أَصْلِ الشَّهَادَتَيْنِ وَمَنْزِلَتَهُمَا فِي الدِّينِ وَمَا وَرَدَ فِي مَدْحِهِمَا فَقَدْ مَرَّ الْكَلَامُ فِيهِ.

□ قَوْلُهُ ﷺ: وَنَجِيبُهُ وَصَفْوَتُهُ، لَا يُوَازِي قُضْلُهُ، وَلَا يُجْبِرُ قَقْدُهُ...

هَذِهِ الْأَوْصَافُ الْأَرْبَعَةُ قَدْ ذَكَرَهَا ﷺ لِلنَّبِيِّ ﷺ أَحَدَهَا أَنَّهُ ﷺ نَجِيبُ اللَّهِ تَعَالَى أَي كَرِيمِ الْحَسَبِ وَقِيلَ فِي مَعْنَاهُ كَرِيمِ الْحَسَبِ وَالْقَوْلُ وَالْفِعْلُ وَكَيْفَ كَانَ فَهُوَ ﷺ كَانَ كَذَلِكَ وَقَالَ الْعَبَّاسُ فِيهِ ﷺ:

من قبلها طيب في الظلال وفي	مستودع حيث يخصف الورق
ثم هبطت البلاد لا بشر	أنت ولا مضغة ولا علق
بل نطفة تركب السفير وقد	أجسم نسرأ وأهله الغرق
تنقل من صاحب إلى رحم	إذا مضى عالم بذا طبق
حتى احتوى بيتك المهيمن من	خندف علياء نحلتهما النطق
وأنت لما ولدت أشرق الأرض	وضائت بنورك الأفق
فنحن في ذلك الضياء وفي	النور وسبل الرشاد نحترق
ولآخر:	

لقد طابت الدنيا بطيب محمدٍ وزيدت به الأيام حسناً على حسنٍ

لقد فَكَّ أَغْلالَ العِتاةِ مُحَمَّدٌ وَأَنْزَلَ أَهْلَ الخِوفِ فِي كِنْفِ الأَمَنِ  
وَلآخِرُ:

من دوحه بسقت لا الفرع مؤتشب

منها ولا عرقها في الحي مدخول

أتى بـمكة إبراهيم والده

قـرم على كرم الأخلاق مجبول

وثانيها: أنه ﷺ صفوته وأصل الصفاء على قول الراغب في المفردات  
خلوص الشيء من الشوب ومنه المُنَا للحجارة الصافية انتهى. ثم إن إصطفاء  
الله بعض عباده معناه إيجاده صافياً عن الشوب الموجود في غيره من رذائل  
الأخلاق وسوء الاعتقاد وخبث اللذات وسوء المولد وغيرها كما قال تعالى  
في كتابه: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ﴾<sup>(١)</sup>

و: ﴿يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ﴾<sup>(٢)</sup>

و: ﴿إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلامِي﴾<sup>(٣)</sup>

و: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾<sup>(٤)</sup> وغيرها من

الآيات.

ولا شك في كونه ﷺ صفوة الله تعالى كيف هو أشرف المخلوقات من  
الأولين والآخرين وخاتم الأنبياء والمرسلين وهو الذي قال: أنا سيّد ولد آدم  
ولا فخر، وقال: كنت نبياً و آدم بين الماء والطين وقد مرّ الكلام فيه مفصلاً في  
المجلّد الأول من كتابنا هذا في شرح الخطبة الأولى.

وثالثها: قوله ﷺ: لا يوازي فضله، الموازنة المحاذاة والمساواة والمعنى أنه  
ﷺ أفضل الناس من الأولين والآخرين فلو كان في الناس من يوازي فضله  
فضله فليس هو أفضل الناس وقد فرضناه كذلك هـ (هذا خلف).

ويمكن أن يستدل به عقلاً ونقلاً أما النقل فلا كلام لنا فيه لتواتر الآيات والأخبار به ولم يخالف فيه أحد من المسلمين بل ولا غيرهم من أهل الإنصاف.

وأما العقل فلأنه ﷺ كان خاتم النبيين ولازم ذلك أفضليته على الكل وهو المطلوب.

أما أنه ﷺ كان خاتم الأنبياء فلقوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولٌ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾<sup>(١)</sup> وأما أن لازمه أفضليته على غيره كائناً من كان فالوجه فيه أن النبي في كل عصر وزمان لا بد من أن يكون أفضل أهل زمانه وإلا يلزم تقديم المفضول على الفاضل الذي يحكم العقل بقبحه والحكيم لا يفعل القبيح إلا على مسلك الشارح المعتزلي وغيره من الجهال وعليه فكل نبي من الأنبياء كان أفضل أهل زمانه وهو المطلوب.

ثم إن نبينا ﷺ كان أشرف الأنبياء ولأجل هذا كان خاتمهم الذي بوجوده وشريعته قد تمت البعثة والنبوّة ويدل على ما ذكرناه كثير من النصوص تأييداً للأدلة العقلية كقوله ﷺ: لو أدركني أخي موسى ما وسعه إلا إتباعي وغيره مما هو مسطور في الكتب وقد أثبتنا أفضليته ﷺ على غيره من الأنبياء في المجلد الأول وأن دينه أكمل الأديان وأفضلها ولا شك أن أفضلية الدين تدل على أفضلية النبي الذي جاء به قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَنْ يُبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾<sup>(٢)</sup>

ورابعها: قوله ﷺ: ولا يُجبر فقده، أي موته.

وذلك لأنه إذا ثبت كونه أفضل من غيره فموته وفقده أدهى وأمر من موت غيره وهو واضح ضرورة أن فقد كل شيء إنما يقاس بوجوده لأنه فقد الموجود لا مطلق فقد وبعبارة أخرى ليس الكلام في فقد بما هو بل الكلام في فقد شيء كان موجوداً فهو بعد الوجود متفرع عليه فكلما كان الوجود أكمل

وأشرف كان فقداه أصعب وحيث قد ثبت في العقليات أن أشرف الموجودات وأفضلها أكملها وأكثرها آثاراً ألا ترى أن وجود الواجب أشرف من وجود غيره لكونه علّة ومنشأً لغيره من الموجودات وهو مع ذلك أكثرهم وأكملهم آثاراً بل الآثار إنما تؤخذ من آثاره تعالى كما أن الوجودات الإمكانية توجد وتنشأ من وجوده وهذا في الواجب لا كلام فيه.

ثم بعد الواجب تصل النبوة إلى الصّادر الأوّل أعني أوّل ما خلق الله تعالى وهو العقل الكلّي المعبر عنه في لسان الأخبار بالروح الكلّي الذي قال ﷺ: أوّل ما خلق الله رُوحِي.

فهو أعني الصّادر الأوّل والروح المحمّدية أشرف الموجودات بعد وجود علته أعني وجود الواجب تعالى لكثرة ما تترتب عليه من الآثار الخيرية ومن المعلوم أن فقداه فقد الآثار والخيرات التي لا توجد في غيره من الموجودات كما هو المفروض وهذا معني قوله ﷺ: وفقداه لا يُجبر فتأمل.

□ قوله ﷺ: أضاءت به البلاد بعد الضلالة المظلمة، والجهالة الغالبة، والجفوة الجافية...

أي إهتدى بسببه أهل البلاد بعد الضلالة المظلمة من الشرك والكفر وبعد الجهالة الغالبة على العلم وبعد الغفلة المستولية على طباعهم والحاصل أن أهل البلاد قبل بعثته ﷺ كانوا متّصفين بهذه الأوصاف أعني الضلالة والجهالة والغفلة.

قال الله تعالى حكاية عن نبيه: ﴿قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَائُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (١)

و: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (٢)

و: ﴿فَوَيْلٌ لِلنَّاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مَنْ ذَكَرَ اللَّهَ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (٣) ولنعم ما قيل

مُحَمَّدُ خَاتَمِ الرُّسُلِ الَّذِي سَبَقَتْ

بِهِ بَشَارَةُ قِسِّ وَإِبْنِ ذِي يَزْنَ

وَأَنْذَرَ النُّطْقَاءَ الصَّادِقُونَ بِمَا

يَكُونُ مِنْ أَمْرِهِ وَالطُّهْرَ لَمْ يَكُنْ

الْكَامِلَ الْوَصْفِ فِي حِلْمٍ وَفِي كَرَمٍ

وَالطَّاهِرَ الْأَصْلَ مِنْ دَامٍ وَمَنْ دَرَنْ

ظَلَّ الْإِلَهَ وَمِفْتَاحَ النَّجَاةِ وَيَنْبُو

عَ الْحَيَاةِ وَغَيْثَ الْفَارِضِ الْهَتَنِ

فِيَجْعَلُهُ دُخْرَكَ فِي الدَّارَيْنِ مُعْتَصِمًا

بِهِ وَبِالْمُرْتَضَى الْهَادِي أَبِي الْحَسَنِ

وَلَاخِرُ:

وَالصَّادِقَ الْقَوْلَ لَا لَهْوٌ وَلَا لَعِبٌ

أَنْتَ الْأَمِينُ أَمِينُ اللَّهِ لَا كَذِبَ

عَلَيْكَ تَنْزَلُ مِنْ ذِي الْعِزَّةِ الْكُتُبَ

أَنْتَ الرَّسُولُ رُسُولُ اللَّهِ نَعْلَمُهُ

وَلَاخِرُ:

مِنْ اللَّهِ وَالْأَوْثَانَ فِي الْأَرْضِ تَعْبُدُ

أَتَانَا نَبِيِّ بَعْدَ يَأْسٍ وَفِتْرَةٍ

فَذُو الْعَرْشِ مَحْمُودٌ وَهَذَا مُحَمَّدٌ

وَشَقَّ لَهُ مِنْ إِسْمِهِ لَجَلَالِهِ

تَخْلُدُ فِي الْجَنَّاتِ فَيَمُنُ تَخْلُدُوا

وَأَشْرَكَهُ فِي ذِكْرِهِ جَلَّ ذِكْرُهُ

مِنْ اللَّهِ مَشْهُودٌ يَلُوحُ وَيَشْهَدُ

أَغْرَ عَلَيْهِ لِلثَّبُوتِ خَاتَمُ

وَلَاخِرُ:

فَبُورَكَتَ مَهْدِيًا وَبُورَكَتَ هَادِيًا

أَلَا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّكَ صَادِقٌ

عَبَدْنَا كَأَمْثَالِ الْحَمِيرِ الطَّوَاغِيَا

شَرَعْتَ لَنَا دِينَ الْحَنِيفِيِّ بَعْدَمَا

إِلَى الْإِنْسِ ثُمَّ الْجَنِّ لَبِيكَ دَاعِيَا

فِيَاخَيْرَ مَدْعُوٍّ وَيَا خَيْرَ مُرْسَلٍ

فَأَصْبَحْتَ فَيُنَاصِدُ الْقَوْلَ رَاضِيَا

أَتَيْتَ بُبْرَهَانَ مِنْ اللَّهِ وَاضِحٌ

فُبوركتَ في الأَقومِ حَيًّا وَمَيِّتًا وبوركتَ مولوداً وبوركتَ ناشياً  
 ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ  
 الْمُشْرِكُونَ﴾ (١)

□ قوله ﷺ: وَالنَّاسُ يَسْتَحِلُّونَ الْحَرِيمَ، وَيَسْتَذِلُّونَ الْحَكِيمَ، يَحْيَوْنَ عَلَى فِتْرَةٍ،  
 وَيَمُوتُونَ عَلَى كَفْرَةٍ،

الواو للحال أي بعثه الله تعالى والحال أن الناس كانوا يستحلون حُرُمات الله  
 تعالى من الكذب والقتل والزنا والزبا وغيرها فكانوا يرتكبونها من غير مانع  
 ولا رادع ويستذلون الحكيم أي العالم بقبح هذه الأفعال وأنها مَبغوضة له  
 تعالى ويحيون على فِتْرَةٍ من الرِّسْلِ وإِنقِطاع الوحي أي كانوا يَعِيشُونَ فِي زَمَانِ  
 الْفِتْرَةِ وَيَمُوتُونَ عَلَى كَفْرَةٍ لِعَدَمِ وَجُودِ مَنْ يَهْدِيهِمْ إِلَى النَّهْجِ الْقَوِيمِ وَالصَّرَاطِ  
 الْمُسْتَقِيمِ وَهَذِهِ كَلِمَاتُ أَوْصَافِ النَّاسِ فِي عَهْدِ الْجَاهِلِيَّةِ وَإِلَى هَذَا الْمَوْتِ إِشَارَةٌ  
 بِقَوْلِهِ ﷺ: مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَعْرِفْ إِمَامَ زَمَانِهِ مَاتَ مَيِّتَةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَكَانَتِ الْبَعْثَةُ  
 لَازِمَةً لَطْفًا مِنْهُ تَعَالَى عَلَى عِبَادِهِ وَإِلَى هَذَا الْمَعْنَى أَشَارَ حَمِزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَطْلُبِ  
 بِقَوْلِهِ:

لقد عجبْتُ لأَقومِ ذوي سفه	من القبيلين من سَهَمٍ وَمَخْرُومِ
القائلين لِمَا جَاءَ النَّبِيَّ بِهِ	هذا حديث أَتَانَا غَيْرَ مَلْزُومِ
فقد أَنَاهُم بِحَقِّ ذِي عِوَجِ	وَمُنْزَلِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَعْلُومِ
من العزير الَّذِي لَا شَيْءَ يَعدله	فيه مصاديق مِنْ حَقِّ وَتَعْظِيمِ
فَأَمِنُوا بِنَبِيِّ لَا أَبَا لَكُمْ	ذِي خَاتَمِ صَاغِهِ الرَّحْمَنُ مَخْتُومِ

وقال الفرزدق:

جُعِلَتْ لِأَهْلِ الْعَدْلِ عَدْلًا وَرَحْمَةً

وَبُرءٌ لِأَثَارِ الْجُرُوحِ الْكُوتَامِ



كَمَا بَعَثَ اللَّهُ النَّبِيَّ مُحَمَّدًا

عَلَى فِتْرَةٍ وَالنَّاسِ مِثْلَ الْبَهَائِمِ

وَلَا أُخْرَى:

اللَّهُ قَدْ أَيَّدَ بِالْوَحْيِ مُحَمَّدًا ذَا الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ

يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ

□ قوله ﷺ: ثُمَّ إِنَّكُمْ مَعَشَرَ الْعَرَبِ أَغْرَاضُ بَلَايَا قَدْ اقْتَرَبَتْ...

ثم بعد الشهادتين وذكر نبذة من أوصاف النبي ﷺ أشار ﷺ إلى الحوادث الواقعة في المستقبل وأخبرهم عنها إيقاظاً لهم عن نوم الغفلة وإرشاداً إلى دخولهم في طريق الحقيقة فقال ﷺ:

ثُمَّ إِنَّكُمْ مَعَشَرَ الْعَرَبِ وَالتَّقْدِيرِ يَا مَعَشَرَ الْعَرَبِ وَإِخْتِصَاصِهِم بِالذِّكْرِ

لكونهم المخاطبين لخطابه ﷺ أغراض بلايا وأهدافها قد إقتربت البلايا

وليست ببعيدة جداً كما قال تعالى في كتابه: «اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ» (١)

والبلايا جمع بليّة وهي الحادثة.

□ قوله ﷺ: فَاتَّقُوا سَكَرَاتِ النِّعْمَةِ، وَاحْذَرُوا بَوَائِقَ النِّقْمَةِ...

بعد ما خوفهم بأنهم أغراض بلايا قد إقتربت، فكأنه قيل له ﷺ فما نفعل؟

فقال ﷺ: فَاتَّقُوا الخ وحاصله أنه ﷺ أمرهم بأمور: أحدها قوله ﷺ: فَاتَّقُوا

سَكَرَاتِ النِّعْمَةِ، أثبت ﷺ للنعمة سكرات على سبيل الاستعارة شبه ﷺ النعمة

بالمسكر وأثبت لها السكر تخيلاً وفيه إشارة إلى أن النعمة توجب السكر أعني

الغفلة عن المنعم وقوله ﷺ: وَبَوَائِقَ النِّقْمَةِ أي دواهي العقوبات والمواخذات

فأمرهم بالحدز عنها وقال ﷺ في الأول فإتقوا وفي الثاني وإحذروا لأن

المواظبة على النعمة والإجتناب عن سكرها عبارة عن صرف العبد جميع ما

أنعمه الله في مورده ومحله وقد يعبر عنه بالشكر العملي فإذا كان كذلك فقد

أدى شكره وإجتناب سكرها ولا شك أن هذا من علائم التقوى ولهذا قال ﷺ

مفتاح السعادة في شرح نهج البلاغة

فَاتَّقُوا.

وأما النِّعمَات فهو موجبة للخزي والنكبة والخلود في نار جهنم ولا شك أنها ينبغي أن يخاف منها فالتعبير بالحذر عنها أولى ولذا قال واحذروا وبعبارة أخرى الخوف من النعمة لا من النعمة وسكراتها ولهذا يقال إتقوا الله ولا يقال إحذروا الله قال تعالى: ﴿فَاتَّقُونَ يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾

أقول: هذا الإستدلال أعني لا يقال إحذروا الله ليس بشيء فإن الله تعالى حذر الناس عن نفسه في كثير من الآيات قال تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (١)

و: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ (٢)

و: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ﴾ (٣)

اللهم إلا أن يقال إن التقدير في هذه الآيات يثبت المدعى وهو شيء آخر. والذي عليه المعتمد في الباب هو ما ذكرناه من إعتبارية الفرق وأن اختلاف التعبير باختلاف المتعلق فحيث إن المتعلق في الأول النعمة عبّر عبر في الإحتراز عن سكرها بالتقوى وفي الثاني العذاب فعبر عبر عنه بقوله فاحذروا وهذا هو المطابق بقواعد الفن في علم البلاغة.

وحيث إن النعمة كثيراً ما توجب غفلة المنعم عليه وطغيانه على الله فلا بأس بالإشارة إلى بعض ما ورد فيه قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾ (٤)

و: ﴿كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾ (٥)

و: ﴿وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (٦)

و: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ (٧)

٢- آل عمران - ٣٠

٤- النمل - ١٩

٦- المائدة - ٦

١- آل عمران - ٢٨

٣- البقرة - ٢٣٥

٥- التحل - ٨١

٧- البقرة - ٤٠ و ٤٧

﴿ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ ﴾<sup>(١)</sup>

﴿ شَاكِرًا لِالْأَنْعَمِ اجْتِنَابًا وَهُدَاهُ ﴾<sup>(٢)</sup>

وفي الكفران قال تعالى: ﴿ فَكَفَرْتَ بِالْنِعْمِ اللهُ فَادَّاقَهَا اللهُ لِبَاسِ الْجُوعِ وَالْخُوفِ ﴾<sup>(٣)</sup>

﴿ لِأَنَّ شَكَرْتُمْ لِأَزِيدَنَّكُمْ وَلِأَنَّ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾<sup>(٤)</sup>

﴿ فَادْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾<sup>(٥)</sup> والآيات كثيرة.

وجه الإستدلال بها أنه لو لم تكن النعمة في بعض الأفراد توجب الكفران والطغيان كما قال تعالى في هذه الآيات .

ما قال من أمره بالشكر عليها ونهيه عن الكفران بها والكفران بها هو الشكر أو معلول له وقد ثبت بالتجربة أن الطغيان والعصيان في أولياء النعم أكثر منها في غيرهم قال الله تعالى: ﴿ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظِرٌ ﴾<sup>(٦)</sup> وإني أظن أن الصبر على النعمة أشد من الصبر على النقمة والدليل عليه أنا نرى الفقير الصابر أكثر من غني الصابر والطغيان في صاحب المقام أكثر منه في غيره وفي الصحيح أكثر من المريض وهكذا.

فإن قلت - لعل الوجه فيه هو أن الفقير مثلاً لا يقدر على كثير من المعاصي فلو قدر لفعل.

قلت - لا ننكره وهو يؤيد ما ذكرناه فنحن أيضاً نقول رأس الطغيان فراغ البال.

□ قوله ﷺ: ﴿ وَتَثَبَّتُوا فِي قِتَامِ الْعِشْوَةِ وَأَعْوَجَّاجِ الْفِتْنَةِ، عِنْدَ طُلُوعِ جَنِينِهَا، وَظُهُورِ كَمِينِهَا، وَأَنْتِصَابِ قُطْبِهَا، وَمَدَارِ رَحَاهَا... ﴾

بعد ما أمرهم بالإتقاء عند سكرات النعمة والحذر عن بوائق النعمة أمرهم بالتثبت والإستقامة في قِتَامِ الْعِشْوَةِ وهي على ما قيل ركوب الأمر على غير بيان

٢- النحل - ١٢١

٤- إبراهيم - ٧

٦- العلق - ٦٧

١- المائدة - ١١٠

٣- النحل - ١١٢

٥- البقرة - ١٥٢

هذا إذا كانت تبثليث العين وإن قرأت بفتح العين فقط فليل هي الظلمة وكيف كان المقصود من قتام العِشوة السلوك في الطريق بلا بيّنة وبرهان وأصل القتام الغبار فالكلام خرج مخرج الإستعارة شبهه ﷺ بركوب الأمر على غير بيان وبعبارة أخرى شبه السلوك فيما أخبر به بالسلوك في غبار الظلمة أو بالسلوك على غير بيان ووجه الإشتراك فيها هو عدم الإهتمام إلى الطريق الواقعي ووجوب الثبوت والإستقامة فيها فكأنه ﷺ قال قف عند هذه الشبهة، ويمكن أن يكون المراد عدم الإعتناء بهذه الفتنة فإن المؤمن كالجبل الراسخ لا تحركه العواصف والدليل عليه قوله ﷺ بعد ذلك الكلام وإعوجاج الفتنة الخ

والحاصل أمرهم بعد ذلك بالثبوت عند الظلمات المُستحدثة بخلط الباطل بالحق وإعوجاج الفتنة أي إتيانها على غير وجهها وإنحرافها عن النهج القويم عند طلوع جنينها وظهور كمينها أي ظهور المَستور في تلك الفتنة شبهه ﷺ الفتنة بالنّاقة أو مطلق الحيوان الذي له جنين وقال ما قال، وقوله ﷺ: وإنتصاب قطبها ومدار رحاها، أيضاً كناية عن إستحكام أمرها وإنتظامها بتشبيهه ﷺ حكومتهم الفاسدة بالرحى والحاكم فيها بالقطب الذي تدور الرحى عليه كما أنه ﷺ شبه نفسه الشريفة أيضاً بالقطب في الخطبة الشَّقشقيّة حيث قال: وهو يعلم أن محلي منها محلّ القطب من الرّحى، ولا إشكال فيه فإنّ الحاكم في كلّ حكومة حقاً كانت أو باطلاً بمنزلة القطب فكما أنه ﷺ كان قطباً للحكومة الحقّة، كذلك معاوية كان قطباً للحكومة الباطلة.

□ قوله ﷺ: تَبَدُّوا فِي مَدَارِجِ خَفِيَّةٍ، وَتَوَوُّوا إِلَى فِطَاعَةِ جَلِيَّةٍ...

أي تَبَدُّوا مَلَكَ الْفِتْنَةِ فِي بَدْوِ الْأَمْرِ فِي مَدَارِجِ خَفِيَّةٍ ثُمَّ تَرَجَعَ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى فِطَاعَةِ وَشِنَاعَةِ جَلِيَّةٍ وَإِنْ شِئْتَ قُلْتَ تَكُونُ مَسْتَوْرًا أَوْلَا ثُمَّ تَظْهَرُ مَعَ الْفِطَاعَةِ وَالشِّنَاعَةِ.

□ قوله ﷺ: شِبَابُهَا كَشِبَابِ الْغُلَامِ، وَأَثَارُهَا كَأَثَارِ السَّلَامِ...

أي نشاطها كنشاط الغلام وأثارها كأثار السلام وقال الخوئي

أي أن أربابها يَمرحون في أول الأمر كما يَمرح الغلام ثم تؤل إلى أن تعقب فيهم أو في الإسلام آثارها كآثار الحجارة في الأبدان انتهى.

أقول: ما ذكره الخوئي من شرح العبارة لا يرجع إلى محصل حتى يعتمد

عليه:

أما أولاً: فلأن السِّلام بكسر السين على ما ضبطه بمعنى الحجارة لا تساعده اللُّغة نعم قال في لسان العرب السِّلام بفتح السين الحجارة وبه قال الراغب في المفردات.

وثانياً: أن النُّسخ الموجودة عندنا بفتح السين لا بكسرها وعليه فما ذكره رحمته لا يصحّ وبعبارة أخرى إن كان اللفظ بفتح السين فما ذكره في معناه يستقيم وإن كان بكسرها فلا.

وثالثاً: على فرض كون السين مفتوحاً كما يقول به غيره من الشراح وقلنا إن السِّلام الحجارة الصُّلبة أيضاً لا نفهم معنى العبارة وذلك لأن المعنى على هذا الفرض أن شباب الفتنة ونشاطها كنشاط الغلام وآثارها كآثار السِّلام أعني الحجارة الصُّلبة وهو ضدُّ مراده عليه إذ الآثار فيها ثابتة باقية والمقصود من العبارة عدم بقاء الآثار الفتنية فإنَّ للحقِّ دولة وللباطل جولة فكيف يمكن تشبيه آثار الفتنة بالآثار الموجودة المتنقِّشة في الحجارة الصُّلبة هذا كله مع أنه لا يساعد قوله عليه: وشبابها كشباب الغلام فإنَّ الشِّباب بكسر الشين هو النِّشاط ولا شك أن نشاط الغلام ومراحه لا يدوم وآثار الحَجَر تدوم والجمع بينهما مشكل اللهم إلا أن يقال إنَّ المراد بالآثار الباقية هي البدع التي أبدعوها في الدِّين فإنَّها باقية وعليه فالمعنى أن تلك الفتنة لا دوام لها بظواهرها كما أن نشاط الغلام كذلك وأما في الباطن تدوم كالنَّقش في الحَجَر من حيث البدع الموجودة فيها هذا هو الذي إختلج بالبال في تصحيح كلامهم.

ولنا في المقام تحقيق آخر:

وحاصله أن حقَّ العبارة السِّلام بفتح السين لا بكسرها كما ضبطوها وهو

على ما قاله في المنجد شجر مُرّ الطعم والواحدة سَلامَة وسِلامَة قال في لسان  
العرب: السَّلام شجر واحدته سَلامَة وقال ابن بري السَّلم شجر وجمعه السَّلام  
قال ومن رواه السَّلام بالكسر فهو جمع سلمة ومن رواه بفتح السَّين فهو جمع  
سلامة وهي نبت آخر غير السَّلمة وأنشد بيت الطرماح:

حذراً والسَّرب أكنافها      مستظلّ في أصول السَّلام  
وقال امرؤ القيس:

حور يُعلّن العبير روادعاً      كمها الشَّائق أو ظباء سلام

ثم نقل عن ابن دريد أن السَّلام والسَّلم الحجارة وعن ابن شميل السَّلام  
جماعة الحجارة الصَّغيرة منها والكبير لا يُؤخِّدونها انتهى، وأنت ترى أن أهل  
اللغة كأنهم إتفقوا على أن السَّلام بفتح السَّين قد جاء بمعنى الحجارة والشَّجر  
وأما كون السَّلام بكسرها بمعنى الحجارة فما أدري من أين أخذه الشَّارح رحمه الله  
ولعله كان عنده من المأخذ ما ليس عندنا إذا عرفت هذا فنقول:

شبهه عليه السلام شباب الفتنة التي أخبر عليه السلام بها بشباب الغلام ونشاطه الذي لازمه  
المرح واللَّعب وشبهه آثار الفتنة بآثار السَّلام أعني مرارة الشَّجرة وعليه فالمعنى  
أن الفتنة التي أخبرتكم بوقوعها لئِن وياطنها مُرّ وبعبارةٍ أُخرى ظاهرها يشبه  
نشاط الغلام ولعبه ومرحه وباطنها يشبه مُرّ الشَّجر وذلك لأن الآثار المترتبة  
على تلك الفتنة الخبيثة الشَّبيهة بالسَّلام ليست إلا أوهام وخرافات لكونها  
منبعثة عن الوسوس الشَّيطانية فمن دخل فيها وأتبع آثارها ضلَّ وهلك هذا.  
□ قوله عليه السلام: تَتَوَارَثُهَا الظُّلْمَةُ بِالْعُهُودِ...

المراد بالظُّلْمَة الضَّلالة والمقصود أن كلَّ واحدٍ من هؤلاء الظُّلْمَة كأنه وارث  
الظُّلم عمَّن كان قبله بسبب العَهْد والميثاق الذي ثبت له منه هذا إذا كانت  
الظُّلْمَة بفتح الظَّاء واللام جمع ظالم كما هو الظَّاهر وعليه الشَّراح ولا يبعد أن  
تكون العبارة الظُّلْمَة بضمِّ الظَّاء وسكون اللام وهي ضدُّ النور لتكون كناية عن  
الضَّلالة والغواية وعليه فالمعنى كلَّ واحدٍ منهم يرث الضَّلالة عمَّن كان قبله

عهداً منه وكيف كان غرضه ﷺ إثبات الظلم أو الضلالة لمن أسس هذا الأساس أعني أساس الجور والعدوان وكون الظلم ثابتاً فيهم على سبيل التوارث بسبب العهد من السابق إلى اللاحق وفيه إيماء إلى أنه لو لم يكن العهد فيهم لما كان الظلم أو الظلمة دائماً بل يموت وينقطع بموت الظالم الأول وهو ظاهر كما أن التوارث لا بد له من وجود شخصين، المورث والوارث فإذا فرضنا عدم وجود الوارث فلا توارث أصلاً فكما أن الإرث ينقطع بموت الوارث أو عدمه فكذلك الظلم ينقطع بموت الظالم وهذا أمر لا يحتاج إلى بيان أكثر مما ذكرناه ألا لعنة الله على الظالمين.

□ قوله ﷺ: **أَوْلَهُمْ قَائِدٌ لَّا خِرَهُمْ، وَآخِرُهُمْ مُّقْتَدٍ بِأَوْلِهِمْ...**

أوضح ﷺ بيانه السابق بما حاصله أن الظالم الأول المؤسس قائد لآخرهم وذلك لأنه عهد إلى من بعده وهو إلى من بعده وهكذا وبذلك استمر الظلم إلى آخرهم وحيث إن الأول كان باعناً على أصل الظلم وعهد إلى غيره فهو القائد لا محالة لما ذكرناه من أنه لو لم يعهد إلى غيره كان الظلم منقطعاً. وأما أن آخرهم مقتد بأولهم فهو أيضاً واضح.

□ قوله ﷺ: **يَتَنَافِسُونَ فِي دُنْيَا دَنِيَّةٍ، وَ يَتَكَابِرُونَ عَلَى جِيْفَةٍ مُرِيحَةٍ...**

أي يتنافسون ويتعاضون هؤلاء الظلمة في دنيا لا قيمة لها ويتواثبون على جيفة مريحة أي فتنة عند العقلاء والمقصود أنهم يرتكبون ما يرتكبون من الظلم والمُنكرات لأجل هذه الدنيا الدنيّة التي لا بقاء لها وذلك هو الخسران المبين.

ففي قوله ﷺ: يتنافسون إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾<sup>(١)</sup> وفي الجملة الثانية شبه ﷺ الدنيا ومتاعها بالجيفة المنتنة التي لا رغبة إليها من العاقل الذي له شامة فكما أن الجيفة يأكل منها بعض الحيوانات كذلك الدنيا يعتمد عليها بعض الأفراد وكما أن طباع بعض

الحيوانات تشمئز عنها كذلك بالنسبة إلى بعض الأفراد في الإعتماد على الدنيا ولنعم ما قيل بالفارسية:

به مهمانخانهی آز وهوی جز لاشه چیزی نیست  
برای لاشه خواران واگذار این میهمانی را  
هزاران دانه افشاندم یک گل زان میان نشگفت  
بشورستان تبه کردیم رنج باغبانی را  
وقال النظامی:

این جهان بر مثال مرداری است      گر گسان آندر او هزار هزار  
این مر او را همی زند میخلب      او مر این را همی دهد آزار  
عاقبت میروند از این دنیا      و از همه باز ماند این مردار

□ قوله ﷺ: وَعَنْ قَلِيلٍ يَتَّبِرًا التَّابِعُ مِنَ الْمَتَّبِعِ، وَالْقَائِدُ مِنَ الْمَقُودِ...

أي عن قليل يتبرأ التابع من المتبوع ويعرض عنه وهكذا حال القائد أعني الغاصب المؤسس للظلم بالنسبة إلى مقوده الذي عهد إليه والمقصود أن بعد الموت حالهم كذلك.

وإنما عبر ﷺ عن الحياة في الدنيا بالقلّة تأسياً بالقرآن الكريم حيث عبر الله تعالى عنها كذلك:

قال تعالى: ﴿قُلْ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى﴾ (١)

و: ﴿فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ (٢)

و: ﴿مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٣)

وفي قوله ﷺ يتبرأ التابع إلى آخر ما قال إشارة إلى قوله تعالى في وصفهم يوم القيامة.

﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ



لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا آذَرَكُوا فِيهَا جَمِيعاً قَالَتْ أُخْرِيَهُمْ لِأُولِيهِمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِيَهُمْ عَذَاباً ضِعْفاً مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٍ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ، وَقَالَتْ أُولِيهِمْ لِأَخْرِيَهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ فذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ<sup>(١)</sup>

□ قوله ﷺ: فَيَتْرَافِلُونَ بِالْبَغْضَاءِ، وَيَتَلَاعَنُونَ عِنْدَ اللَّقَاءِ...

أي ويفرقون بسبب البغضاء ويتلاعنون عند اللقاء في الآخرة كما أخبر الله تعالى عنهم في كتابه.

قال تعالى: ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضاً﴾<sup>(٢)</sup>

و: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ﴾<sup>(٣)</sup>

و: ﴿فَاعْتَرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾<sup>(٤)</sup>

□ قوله ﷺ: ثُمَّ يَأْتِي بَعْدَ ذَلِكَ طَالِعُ الْفِتْنَةِ الرَّجُوفِ، وَالْقَاصِمَةُ الرَّحُوفِ...

إعلم: أن الشراح اختلفت كلماتهم واضطربت أرائهم في هذا المقام من جهة ربط هذا الكلام بما قبله وأنه كيف التوفيق بين قوله ﷺ: عن قليل يتبرأ التابع إلى آخر ما قال في القيامة وبين قوله ﷺ: ثم يأتي بعد ذلك الخ وهو في الدنيا ولذلك حمل بعضهم كلامه ﷺ في تبرأ التابع عن المتبوع عند ظهور الدولة العباسية حيث إن الولاة فيها كانوا يتبرؤن عن ولاة بني أمية مع أنهم كانوا ولاة لهم في دولتهم أو أن المراد تبرأ الناس عن الولاة الأموية بعد ظهور العباسية وغير ذلك من المحامل والحق في المقام أننا لا نحتاج إلى هذه التأويلات والتكلفات فإن ما ذكره ﷺ سابقاً من قوله ﷺ: وعن قليل تسيبرأ التابع إلى آخر كلامه ظاهر في أحوال الظالمين يوم القيامة فإننا لم نسمع من خلفاء العباسيين ولا من وولاتهم من تبرأ عمّن كان قبله من الأمويين بل كانوا تابعين لهم في جميع أعمالهم الشنيعة وأفعالهم القبيحة من الظلم والقتل والهتك والعداوة لأهل البيت بشهادة التواريخ ولهذا ترى المحققين من

العلماء لم يشكوا فيما ذكرناه بل كثيراً منهم يقول إنهم أعني بني العباس كانوا أظلم وأخبث من بني أمية فكيف يمكن أن يقال إنهم تبرأوا منهم.

والذي نقول ونذهب إليه في المقام في حل الإشكال هو أنه سلام الله عليه لما بين في صدر الخطبة ما بين وأخبر بوقوع الفتنة وما يتبعها من طلوع جنينها وظهور كمينها والآثار المترتبة عليها عقب كلامه بوقوع الندم لهم يوم القيمة ثم شرع ﷺ في بيان فصل آخر من كلامه وأخبر بزوال الأول وقيام الثاني مقامه وهذا واضح لا خفاء فيه، والمناسبة والربط بين الكلامين إنما هي في أصل الموضوع لا في آحاد الكلام وبعبارة أخرى قوله ﷺ: (ثم يأتي) ليس معناه ثم يأتي بعد القيامة بل معناه ثم يأتي بعد هؤلاء الظلمة فرقة أخرى إذا عرفت هذا فلنرجع إلى شرح المتن.

فنقول: وصف ﷺ الفتنة الثانية بعد الأولى بالزحوف إشعاراً بأنها يكون مضطربة ومترجفة كقوله تعالى ﴿يَوْمَ تَزْجُفُ الرَّاجِفَةُ﴾<sup>(١)</sup>، وقوله تعالى ﴿فَأَخَذْتُهُمُ الرَّجْفَةَ﴾<sup>(٢)</sup> وغيرها من الآيات.

ثم عبر ﷺ عن الفتنة بالقاصمة ووصفها بالزحوف من الزحف تشبيهاً لها بزحف الدبى على الزرع.

والمعنى: ثم يأتي بعد الفتنة الأولى فتنة أخرى لها وصفان، أحدهما أنها مضطربة، وثانيهما أنها كاسرة كثيرة الزحف وأظن أنها فتنة بني العباس ودولتهم المنحوسة والمراد بطالع الفتنة هو أبو العباس السفاح الذي كان مؤسساً لدولة العباسية.

ثم إن كونها مضطربة فلأن الفتنة شأنها كذلك أي تكون مضطربة دائماً كما قال ﷺ: للباطل جولة كما أن الحق دائماً يكون ثابتاً مستقراً وإليه الإشارة بقوله ﷺ: للحق دولة.

ويمكن أن يكون الاضطراب فيها إشارة إلى أول ظهورها وطلوعها فإن

دولتهم كانت كذلك في بدو الأمر في حكومة السفاح وأوائل حكومة المنصور. وأما كونها قاصمة فهو ظاهر بطول مدتها وكثرة سَطْوَةِ العباسيين وقدرتهم وشوكتهم بحيث لم يقدر أحد على مخالفتهم إلى إنقضاء دولتهم وهو أيضاً واضح.

وحمل بعض الشارحين تلك الفتنة على فتنة التتار أعني المغول التي ظهرت بعد ضعف العباسيين واستأصلهم وأهلكتهم وأرسلتهم إلى دار البوار والعلم عند الله.

□ قوله ﷺ: فَتَزِيغُ قُلُوبٍ بَعْدَ إِسْتِقَامَةٍ، وَتَضِلُّ رِجَالٌ بَعْدَ سَلَامَةٍ، وَتَخْتَلِفُ الْأَهْوَاءُ عِنْدَ هُجُومِهَا، وَتَلْتَبِسُ الْأَرْاءُ عِنْدَ نُجُومِهَا...

بعد إخباره ﷺ بوقوع الفتنة شرع في بيان أحوال الناس فيها وذكر منها أموراً أربعة.

أحدها قوله ﷺ: (فتزيغ قلوب بعد إستقامة).

قال الخوئي أي فتميل قلوب بعد إستقامة على سبيل الله انتهى والظاهر أن مراده ﷺ ميل القلوب إلى الباطل بعد كونها على الحق وهو كذلك فإن الزيغ هو الميل عن الإستقامة، والتزيغ التمايل.

قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ﴾ (١)

و: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ (٢)

وقوله: ﴿زَبْنًا لَا تَزِعُ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ (٣)

وثانيها قوله ﷺ: (وتضل رجال بعد سلامة).

أي تضل رجال في طريق دينهم بعد كونهم على سلامة منه.

وثالثها قوله ﷺ: (وتختلف الأهواء عند هجومها) أي تختلف أهواء الناس

وأرائهم عند هجُوم تلك الفتنة.

ورابعها قوله عليه السلام: (وتلتبس الآراء عند نجومها) أصل الإلتباس الإشتباه والمقصود أن الآراء تشبه بعضها ببعض أو تشبه من حيث الحق والباطل عند نجومها أي ظهور الفتنة.

وحاصل هذه الأوصاف المذكورة أن الفتنة التي أخبر عليه السلام بها لكونها مشتبهة مُلتبسة حقاً وباطلاً فظاهرها الإسلام وباطنها الكفر وهي مع ذلك مُتنعمة بأنواع النعم الدنيوية والمُشتبهات النفسانية وأكثر الناس لا يكون لهم إيمان واقعي بل الدين يكون وسيلة لهم إلى الوصول والبلوغ إلى الأميال والمقاصد فلا جرم صارت الفتنة موجبة لإنحرافهم وإعراضهم عما كانوا فيه.

□ قوله عليه السلام: مَنْ أَشْرَفَ لَهَا قَصَمَتْهُ، وَمَنْ سَعَى فِيهَا حَطَمَتْهُ...

أي من أشرف أي قابل وصادم الفتنة هلكته الفتنة ومن سعى فيها كسرتة الفتنة هكذا قالوا في شرح العبارة فكأنهم أخذوا الإشراف لها كناية عن مقابلتها ومصادمتها بالحرب والقتال وإلا فالإشراف في الأصل الإطلاع يقال أشرفت عليه أي إطلعت عليه من فوق ومشارف الأرض أعاليها.

والأحسن أن يقال من أشرف لها أي من إطلع عليها بالقرب منها والدخول فيها قصمته الفتنة ومن سعى فيها أي سعى في إيجادها وإظهارها حطمته الفتنة وكسرتة وما ذكرناه أوفق بسياق العبارة أمّا أولاً فلأن الإشراف لها بمعنى المقابلة لها بعيد عن الصواب وثانياً قوله عليه السلام: مَنْ سَعَى فِيهَا أَي أَسْرَعَ فِي إِطْفَائِهَا وَإِسْكَاتِهَا كَمَا صرَّحَ بِهِ الخوئي أبعد من الأوّل فإنّ السّعي في الشّيء غير السّعي في إطفائه فلو كان الأمر كما ذكره فحقّ العبارة أن يقال سعى في إطفائها مثلاً لا سعى فيها والفرق بين قول القائل فلأن سعى فيه وقوله سعى في إطفائه هو الفرق بين قولنا فلان سعى في إيجاد الشّيء وفلان سعى في إعدامه والجمع بين المعنيين محال لأنهما من التقيضين.

فعلى ما ذكرناه وحققناه المقصود أن من قرب بها ليطلع على حقيقتها

فالفتنة تهلكه فلا يجوز الدخول فيها ومن سعى فيها أي في إيجادها فالفتنة تكسره فينبغي للعاقل أن يحترز ألا ترى أن أبا مسلم الخراساني سعى في الفتنة حتى أوجدها كيف قتله المنصور بعد إستيلائه وغلبته على الحكومة وهكذا فعل بالنسبة إلى غيره من الرجال الذين سعوا في الفساد وطمغوا في البلاد.

□ قوله ﷺ: يَتَكَادِمُونَ فِيهَا تَكَادِمَ الْحُمْرِ فِي الْعَانَةِ...

أصل الكدم في اللغة العَضُّ بأدنى الفم كما يكدم الحمار يقال كدِمَ الحمار إذا عَضَّ بأدنى فمه وفي حديث الجهاد وَطِنُوا أَنْفُسَكُمْ عَلَى الْمَكَادِمَةِ، وَالْحُمْرُ بضمِّين جمع حمار والعانة القطيع من حمر الوحش جمعها عون.

والمعنى أَنَّهُمْ يَتَكَادِمُونَ فِي تِلْكَ الْفِتْنَةِ أَي يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ وَيَعْضُونَهَا كَمَا تَعْضُ الْحُمْرُ الْوَحْشِيَّةَ قَطْعِيهَا عِنْدَ الْأَكْلِ شَبَّهَ بِالْحُمْرِ الْوَحْشِيَّةِ وَأَكْلَهُمْ بِأَكْلِهَا لِكُونِهِمْ فِي عَدَمِ مَبَالَاتِهِمْ بِدِينِهِمْ وَأَكْلَهُمْ أَمْوَالَ النَّاسِ مِنْ إِعْتِنَائِهِمْ بِحَلَّتِيهَا وَحَرَمَتِهَا كَالْحُمْرِ الْوَحْشِيَّةِ الَّتِي أَخْبَثَ وَأَرَذَلَ مِنَ الْأَهْلِيَّةِ وَهُوَ نَظِيرُ قَوْلِهِ ﷺ فِي الْخُطْبَةِ الشَّقْشَقِيَّةِ يَخْضَمُونَ مَالِ اللَّهِ خَضَمَ الْأَبْلُ نَيْبَةَ الرَّبِيعِ.

□ قوله ﷺ: قَدْ اضْطَرَبَ مَعْقُودُ الْحَبْلِ، وَعَمِيَ وَجْهُ الْأَمْرِ...

ثم شرع ﷺ في بيان أوصاف تلك الفتنة وآثارها المترتبة عليها وَعَدَّ مِنْهَا أَمْوَرًا:

أحدها: قوله قَدْ اضْطَرَبَ مَعْقُودُ الْحَبْلِ، المراد بمعقود الحبل قواعد الدين والأحكام الشرعية والمراد بإضطرابها تزلزلها بعدم العمل بها وذلك لأن ترك الواجبات والإتيان بالمُحَرَّمَاتِ يوجب الإضطراب في أركان الدين كما أن العمل بأحكامه يوجب قراره وثباته.

وثانيها: قوله ﷺ وَعَمِيَ وَجْهُ الْأَمْرِ، إسناد العمي إلى وجه الأمر تجوُّز شبه طرق الصَّلاح والفلاح بالوجه ثم أسند العمي إليها والمعنى أَنَّهُمْ لَمْ يَهْتَدُوا إِلَى وَجْهِ الْخَيْرِ لِعَدَمِ وَضُوحِهَا بِسَبَبِ الْفِتْنَةِ وَالتَّبَاسِ الْحَقِّ فِيهَا بِالْبَاطِلِ.

□ قوله ﷺ: تَغِيضُ فِيهَا الْحِكْمَةَ، وَتَنْطِقُ فِيهَا الظُّلْمَةَ...

وثالثها: قوله وتغيض فيها الحكمة، أي تنقص فيها الحكمة لقلّة أهلها أو لسكوت الحكماء وعدم قدرتهم على الكلام.

ورابعها: قوله وتنطق فيها الظلمة، والمراد بها الجهل والضلالة والمقصود أن في ذلك الزمان تنطق الظلمة أي الجاهل فإسناداً إلى الظلمة تجوز كقوله تعالى: ﴿وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ﴾ أي أهلها والتقدير في المقام تنطق من له الظلمة والجهل.

□ قوله ﷺ: وَتَدُقُّ أَهْلَ الْبَدْوِ بِمَسْحَلِهَا، وَتَرْضُهُمْ بِكَلْكَلِهَا...

وخامسها: أن تلك الفتنة تدق أهل البادية بمسحلها أي منحتها أي تفعل بهم ما يفعل المنحت بالخشب أو ما يفعل الحديد بالمسمار وهو كناية عن إستئصالهم ومظلوميّتهم ومقهوريتهم بأيدي الظلمة وعمّالهم وإنما خص ﷺ الدق بأهل البادية لجهلهم وضعفهم بالنسبة إلى أهل البلدان والأمصار.

وسادسها: قوله ﷺ: وَتَرْضُهُمْ الخ يقال رضضت الشيء أي كسرتة والرضض الدق الجريش، والكلكل بفتحيتين وكذا الكلكال قيل إنه الصدر وقيل ما بين الترقوتين وقيل باطن الزور والمعنى أن الفتنة أي صاحبها يكسر أهل البادية ويستأصلهم بصدرها أو بالقهر والغلبة شبه ﷺ الفتنة بالنّاقة التي تبرك على الشيء فتسحقه بصدرها على سبيل الإستعارة وإثبات الكلكل لها تخييل والرضض ترشيح.

□ قوله ﷺ: يَضِيْعُ فِي غُبَارِهَا الْوُحْدَانُ، وَيَهْلِكُ فِي طَرِيقِهَا الرُّكْبَانُ...

وسابعها: الوُحْدَانُ بضم الواو جمع واحد الذي هو أول الأعداد وقد يجمع على أحيان بضم الهمزة والمعنى أنه يضيع في غبار تلك الفتنة كل واحد واحد من الناس وبعبارة أخرى لا يخلص منها أحد لشدتها وبأسها.

وثامنها: أنه يهلك في طريق الفتنّة الرّكبان أي الجماعة هكذا قالوا في شرح العبارة وحاصله أنه لا نجاة لأحد من الأفراد جماعة كانوا أو فرادى وعليه فالرّكبان كناية عن الجماعة.

□ قوله ﷺ: تَرِدُ بُمُرِّ الْقَضَاءِ، وَتَحْلُبُ عَيْطِ الدِّمَاءِ، وَتَتَلِمُ مَنَارَ الدِّينِ: وَتَنْقُضُ عَقْدَ الْيَقِينِ...

وتاسعها: قوله ﷺ: ترد بمرّ القضاء، أي ترد الفتنة بمرّ القضاء أي الهلاك والبلايا الصعبة.

وعاشرها: قوله ﷺ: وتحلب عيط الدماء، أي الطري الخالص منها وهو كناية عن سفك الدماء فيها وذلك لأن أصل الحلب إخراج ما في صرع الشاة من اللبن فشبهه الأفراد في تلك الفتنة بالشاة التي لها لبن وشبهه دم الإنسان باللبن الموجود في صرع الشاة والفتنة بالحالب والمعنى أنها تُخرج الدماء عن أبدانهم بالقتل.

الحادي عشر: قوله ﷺ: وتثلّم منار الدين، أي تثلّم الفتنة وتهدم منار الدين وهو أيضاً على سبيل الإستعارة شبهه ﷺ القواعد والأحكام بالمنار والفتنة بهادم المنار ومخرّبها والمراد عدم العمل بها.

الثاني عشر: وقوله ﷺ: وتنقض عقد اليقين، أي وتنقض الفتنة عقد اليقين فيصير الإنسان شاكاً في دينه وعقيدته بعد كونه مُتيقناً منه.

□ قوله ﷺ: تَهْرُبُ مِنْهَا الْأَكْيَاسُ، وَتُدْبِرُهَا الْأَرْجَاسُ، مِرْعَادُ مِيزَاقٍ، كَاشِفَةٌ عَنِ سَاقٍ...

الثالث عشر: أي تفرّ من تلك الفتنة الأكياس من الناس فإنّ المؤمن كئس فطن وإنّما يفرّ منها حفظاً لدينه.

الرابع عشر: وتدبرها الأرجاس أي الأنجاس أعني النفوس الخبيثة لكونها موافقة لها.

الخامس عشر: وقوله ﷺ: مِرْعَادُ مِيزَاقٍ، بكسر الميم فيهما أي كثيرة الرعد والبرق ذات وعد ووعد وتهديد وتخويف.

السادس عشر: قوله ﷺ: كَاشِفَةٌ عَنِ سَاقٍ، قالوا كشف الساق مثل في شدة الأمر وأصله من كشف الإنسان عن ساقه فقوله ﷺ كناية عن شدة بأسها قال الله

تعالى في وصف القيامة ﴿وَيَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ (١)

قوله ﷺ: تُقَطَّعُ فِيهَا الْأَرْحَامُ، وَيُفَارَقُ عَلَيْهَا الْإِسْلَامُ، بَرِيئُهَا سَقِيمٌ، وَظَاعِنُهَا مُقِيمٌ...

السابع عشر: أي وتقطع في تلك الفتنة الأرحام التي أمر الله تعالى بوصلها وهو إشعار بقساوة قلوب الناس في ذلك الزمان وإنغمارهم في الدنيا وحطامها.

الثامن عشر: وقوله ﷺ: وَيُفَارَقُ عَلَيْهَا الْإِسْلَامُ، معناه أن الدين يجري على خلاف الواقع بإدخال ما ليس منه فيه.

التاسع عشر: وقوله ﷺ: بَرِيئُهَا سَقِيمٌ، أي من كان بريئاً من تلك الفتنة فهو أيضاً مبتلى بها أو من إعتقد الخلاص عنها فهو أيضاً داخل فيها من حيث لا يحتسب لكثرة الشبه والشكوك المضلة.

العشرون: وقوله ﷺ: وَظَاعِنُهَا مُقِيمٌ، أي المرتحل عنها لا يمكنه الخروج فيها والحاصل أنه لا ينجو منها أحد.

□ قوله ﷺ: مِنْهَا بَيْنَ قَتِيلٍ مَطْلُولٍ، وَخَائِفٍ مُسْتَجِيرٍ، يُخْتَلُونَ بِعَقْدِ الْإِيمَانِ وَبِغُرُورِ الْإِيمَانِ...

والمقصود أن الناس في تلك الفتنة بين قتيل مظلول لا يطلب بدمه بعد قتله، وخائف مستجير يطلب الأمان من الظلمة والإستجارة بهم يختلون هؤلاء المظلومين بعقد الأيمان فيقسم الظالم له ليخدعه به وقوله ﷺ: وَبِغُرُورِ الْإِيمَانِ بكسر الهمزة عطف على الجملة السابقة والتقدير ويخدعون أيضاً هؤلاء بغرور الأيمان أي بالإيمان الذي يظهره الظالم الخادع لهم مكرأ وخدعة. وحاصل هذه الكلمات هو أن الناس لا يخلو حالهم من هذه الأمور الدالة على مقهوريتهم وأنه لا ملجاء لهم في تلك الشدة والمحنة.

□ قوله ﷺ: فَلَا تَكُونُوا أَنْصَابَ الْفِتَنِ وَأَعْلَامَ الْبِدَعِ...



كأنه قيل له ﷺ فما نفع في تلك الفتنة؟ فقال ﷺ: فلا تكونوا أنصاب الفتن أي لا تكونوا رأس الفتنة ليشار إليكم بها ولا تكونوا أيضاً أعلام البدع أي المقتدى بها وحاصله لا تكونوا رؤساً لها.

□ قوله ﷺ: وَالزُّمُوا مَا عُقِدَ عَلَيْهِ حَبْلُ الْجَمَاعَةِ، وَبُنِيَتْ عَلَيْهِ أَرْكَانُ الطَّاعَةِ... أي خذوا به ولا تتركوه فإن ما عقد عليه حبل الجماعة أعني القوانين المدونة المنتظمة في الشريعة المقدسة هي التي قال الله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا﴾<sup>(١)</sup> وإنما قال ﷺ وألزموا ما عقد عليه حبل الجماعة ولم يقل وإلزموا الجماعة مثلاً لأن الجماعة بما هي هي مع قطع النظر عن كونها كذلك أي معقودة على الدين والكمالات الإنسانية لا نفع فيها بل هي توجب الإضرار على الدين فلا يجوز التمسك بها والإتياع لها وعلى هذا المعنى حمل قوله ﷺ: يد الله مع الجماعة أي يد الله مع الجماعة الصالحة المتصفة على الفضيلة والشرف ولأجل هذا قال ﷺ وبنيت عليه أركان الطاعة فإن الذي عقد عليه حبل الجماعة بالمعنى الذي ذكرناه هو الذي بنيت عليه أركان الطاعة والعبادة بعينه وهذا مما لا خفاء فيه ولو كان الدخول في الجماعة والمشي معها مطلوباً كيف إتفق حقاً كانت الجماعة أو باطلاً للزم أن يكون الموافق للجماعة في صدر الإسلام بعد غضب الخلافة معذوراً إذ لا شك في كون الجماعة على خلاف أهل البيت موجودة وهكذا إلى زماننا هذا فإن المؤمنين بالنسبة إلى المخالفين دائماً كانوا أقل وأندر.

□ قوله ﷺ: وَأَقْدَمُوا عَلَى اللَّهِ مَظْلُومِينَ، وَلَا تَقْدَمُوا عَلَيْهِ ظَالِمِينَ... رُبَّمَا يَسْتَفَادُ مِنْ ظَاهِرِ الْكَلَامِ أَنَّهُ ﷺ أَمَرَهُمْ بِالْوَرُودِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى حَالِ كَوْنِهِمْ مَظْلُومِينَ وَنَهَاہُمْ عَنْ كَوْنِهِمْ ظَالِمِينَ وَعَلَيْهِ فَالْمَظْلُومِيَّةُ مُسْتَحْسَنَةٌ شَرْعاً لِتَعَلُّقِ الْأَمْرِ بِهَا هَذَا.

والحق أن الكلام إنما صدر منه ﷺ لا على إطلاقه بل على وجه التبريد

مفتاح السعادة في شرح نهج البلاغة

ومعناه إذا دار الأمر بين المَظْلُومِية والظلم فالمؤمن ينبغي أن يكون مظلوماً لا ظالماً إذ الورد على الله مظلوماً أولى منه ظالماً.

مثلاً إذا فرضنا أن الظالم أمرنا بقتل مؤمن ونحن نعلم بالقتل في صورة التمرّد بعدم قتل المؤمن ففي المقام إن قتلنا المؤمن فالقاتل ظالم وإن لم نقتله نُقتل والمقتول مظلوم فالأمر يدور بين إتصاف الشخص بالظلم والمظلومية ولا شك أن المَظْلُومِية أولى لقبح الظلم عقلاً وشرعاً وكتاباً وسنة وإجماعاً وحسن المظلومية عقلاً وشرعاً في هذه الموارد ولأجل هذا نهى الشارع في المثال المذكور عن قتل المؤمن وإن كان المأمور مقتولاً بعدم قتله إياه وليست له معذورية في إجراء الأمر أبداً إلا في دين العوام كالأنعام الذين يقولون المأمور معذور.

وحاصل الكلام أن المؤمن ينبغي له الإحتراز عن الظلم مُطلقاً وإن كان عدم ظلمه على الغير موجباً للظلم على نفسه وصورته مظلوماً فإن هذه المظلومية أحسن وأولى من الظلم وحيث إنجرّ الكلام إلى هنا لا بأس بالإشارة إلى بعض ماورد في مدح المَظْلُومِين وذمّ الظالمين من الآيات والأخبار:

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ قَتَلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطٰنًا﴾ (١)

و: ﴿لَا يُحِبُّ اللهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلِمَ﴾ (٢)

و: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ (٣)

و: ﴿أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا﴾ (٤)

و: ﴿وَذَكَرُوا اللهُ كَثِيراً وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا﴾ (٥)

وقال تعالى في الظالم: ﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ

جَمِيعاً﴾ (٦)

- و: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ﴾ (١)
- و: ﴿فَقَطَّعَ ذَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٢)
- و: ﴿وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَنِيْسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ (٣)
- و: ﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ﴾ (٤)
- و: ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾ (٥)
- و: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ (٦) والآيات كثيرة ومن الأخبار الواردة في الباب:

ما رواه في البحار بإسناده عن أبي جعفر عليه السلام قال عليه السلام: لما حضرت علي بن الحسين الوفاة ضممني إلى صدره ثم قال يا بني أوصيك بما أوصاني به أبي حين حضرته الوفاة ومما ذكر أن أباه أوصاه به قال يا بني إياك وظلم من لا يجد عليك ناصرًا إلا الله تعالى انتهى «ج ١٥ ص ٢٠٢ ط كمياني»...

وإسناده عنه عليه السلام عن أبيه قال أمير المؤمنين: بنس الزاد إلى المعاد العدوان على العباد انتهى «ص ٢٠٢»...

وإسناده عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ مُسْتَجَابَةٌ وَإِنْ كَانَتْ مِنْ فَاجِرٍ مَحْجُوبٍ عَلَى نَفْسِهِ الْحَدِيثُ ص ٢٠٢.

وإسناده عن علي عليه السلام قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يقول الله عز وجل إشتد غضبي على من ظلم من لا يجد ناصرًا غيري انتهى «ص ٢٠٢»...

وإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل: (إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمُرْصَادِ) قال عليه السلام: فَتَنْظَرُهُ عَلَى الصَّرَاطِ لَا يَجُوزُهَا عَبْدٌ بِمَظْلَمَةٍ أَنْتَهَى «ص ٢٠٦»...

وإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام قال: مَا مِنْ مَظْلَمَةٍ أَشَدَّ مِنْ مَظْلَمَةٍ لَا يَجِدُ صَاحِبَهَا عَلَيْهَا عَوْنًا إِلَّا اللَّهُ أَنْتَهَى «ص ٢٠٧»...

وإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله ٩ إتَّقُوا الظُّلْمَ فَإِنَّهُ ظُلُمَاتٌ

أقول: والأحاديث في الباب كثيرة وقد أشرنا إلى كثير منها في ما مضى.

□ قوله ﷺ: «وَاتَّقُوا مَدَارِجَ الشَّيْطَانِ، وَمَهَابِطَ الْعُدْوَانِ...»

المدارج المسالك أمرهم بالإتقاء عن مسالكه التي توجب ظلالتهم وغوايتهم ومهابطه أي محالته التي يهبط صاحبها فيها والآيات الواردة في ذم الشيطان وأنه عدو للإنسان كثيرة ذكرنا غير واحد منها في الأبواب الماضية، وإنما قال ﷺ: «مَدَارِجَ الشَّيْطَانِ، بصيغة الجمع للدلالة على أن طرق الخذلان له كثيرة تختلف باختلاف الأشخاص والأوصاف وهو ظاهر.

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ (١)

و: ﴿ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ (٢)

□ قوله ﷺ: «وَلَا تُدْخِلُوا بُطُونَكُمْ لُعْقَ الْحَرَامِ، فَإِنَّكُمْ بَعَيْنٍ مِّنْ حَرَمٍ عَلَيْكُمْ الْمَعْصِيَةَ، وَسَهْلَ لَكُمْ سَبِيلَ الطَّاعَةِ...»

لعق جمع لعقة إسم لما يلعق بالإصبع أو بالمعلقة واللعقة بالفتح المرّة منه. نهاهم ﷺ عن أكل الحرام وإستدال عليه بقوله فإنكم الخ وحاصل الإستدلال هو أنكم في مرآي ومنظر من حرم عليكم المعصية الخ وهو الله تعالى فهو يريكم ومن كان كذلك فينبغي له الإحتراز عما يسخطه ويغضبه والحرام كذلك والآيات والأخبار في ذم أكل الحرام كثيرة. قال الله تعالى:

﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾ (٣)

و: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَ سَيَصْلُونَ سَعِيرًا﴾ (٤)

و: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾ (٥)

إعلم: أن الإجتناح عن الحرام ممدوح عقلاً وشرعاً وقد يُعبر عنه بالورع

سواء قلنا بأن الورع عبارة عن ملكة التَنَزُّه والإجتناب عن مال الحرام أكلاً وطلباً وأخذاً وإستعمالاً، أم قلنا بأنه كَفُّ النَّفْسِ عن مطلق المعاصي ومنعها عملاً لا ينبغي إلا أنه على الأول من رذائل قوَّة الشَّهْوَةِ وعلى الثاني من رذائل القوَّة الغضبيَّة والشَّهْوِيَّة جميعاً.

وحيث إنَّ طلب الحرام وعدم الإجتنب عنه يكون باعثاً للهلاك وتوقف النَّجاة والسَّعادة في الآخرة على الورع عن المُحرِّمات مع إفتقار النَّاس إلى المطاعم والملابس في الدُّنيا، ورد في فضيلة كسب الحلال ومدحه ما ورد:

قال رسول الله ﷺ: طلب الحلال فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ...

وقال ﷺ: من بات كالأمن طلب الحلال بات مَغْفُوراً له...

وقال ﷺ: العبادة سبعون جزءاً أفضلها طلب الحلال...

وقال ﷺ: العبادة عشرة أجزاء تسعة أجزاء في طلب الحلال...

وقال ﷺ: من أكل من كَدِّ يَدِهِ حَلالاً فَتَحَ اللهُ لَهُ أَبْوابَ الْجَنَّةِ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا

شَاءَ...

وقال ﷺ: من سَعَى عَلَى عِيَالِهِ مِنْ جِلَّةٍ فَهُوَ كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللهِ...

وقال ﷺ: من طلب الدُّنيا حلالاً في عَفَافٍ كَانَ فِي دَرَجَةِ الشُّهَدَاءِ...

وقال ﷺ: من أكل الحلال أربعين يوماً نَوَّرَ اللهُ قَلْبَهُ وَأَجْرِي يَنْبِيعُ الْحِكْمَةِ

من قلبه على لسانه...

وقال ﷺ: أَطْيَبُ طَعْمُكَ تَسْتَجِبُ دَعْوَتَكَ، وَغَيْرُهَا مِنَ الْأَحَادِيثِ «جَامِعِ

السَّعَادَاتِ ج ٢ ص ١٧٤»...

وفي قوله ﷺ: وَسَهَّلَ لَكُمْ سَبِيلَ الطَّاعَةِ إِشَارَةٌ إِلَى قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ حَيْثُ قَالَ:

بَعَثْتُ إِلَى الشَّرِيعَةِ السَّمْحَةَ السَّهْلَةَ.

ومِن خطبة له عليه السلام (١٥٢)

□ قوله عليه السلام: الْحَمْدُ لِلَّهِ الدَّالُّ عَلَى وُجُودِهِ بِخَلْقِهِ، وَيُمُحَدِّثُ خَلْقِهِ عَلَى أَرْزَاقِهِ، وَبِاشْتِبَاهِهِمْ عَلَى أَنْ لَا شِبْهَ لَهُ، لَا تَسْتَلِمُهُ الْمَشَاعِرُ، وَلَا تَحْجُبُهُ السَّوَابِرُ، لَا فِتْرَاقِ الصَّانِعِ وَالْمَصْنُوعِ، وَالْحَادِّ وَالْمَحْدُودِ، وَالرَّبِّ وَالْمَرْبُوبِ، الْأَحَدِ لِابْتِأْوِيلِ عَدَدِهِ، وَالْخَالِقِ لِإِبْمَعْنَى حَرَكَةٍ وَنَصْبٍ، وَالسَّمِيعِ لِإِبَادَاةٍ، وَالْبَصِيرِ لِإِبْتَفْرِيقِ آلَةٍ، وَالشَّاهِدِ لِإِبْمُنَاسَةِ، وَالْبَائِنِ لِإِبْتِرَاحِي مَسَافَةٍ، وَالظَّاهِرِ لِإِبْرُؤِيَّةٍ، وَالْبَاطِنِ لِإِبِلْطَافَةٍ، بَانَ مِنَ الْأَشْيَاءِ بِالْقَهْرِ لَهَا وَالْقُدْرَةَ عَلَيْهَا، وَبَانَتِ الْأَشْيَاءُ مِنْهُ بِالْخُضُوعِ لَهُ وَالرُّجُوعِ إِلَيْهِ، مَنْ وَصَفَهُ فَقَدْ حَدَّهُ، وَمَنْ حَدَّهُ فَقَدْ عَدَّهُ، وَمَنْ عَدَّهُ فَقَدْ أَبْطَلَ أَرْزَلَهُ، وَمَنْ قَالَ كَيْفَ؟ فَقَدْ اسْتَوْصَفَهُ، وَمَنْ قَالَ أَيْنَ؟ فَقَدْ حَيَّرَهُ، وَعَالِمٌ إِذْ لَا مَعْلُومَ، وَرَبٌّ إِذْ لَا مَرْبُوبَ، وَقَادِرٌ إِذْ لَا مَقْدُورَ.

منها

قَدْ طَلَعَ طَالِعٌ، وَوَلِمَعَ لَامِعٌ، وَوَلَّاحَ لَائِحٌ، وَاعْتَدَلَ مَائِلٌ، وَاسْتَبَدَلَ اللَّهُ بِقَوْمٍ قَوْمًا، وَبِيَوْمٍ يَوْمًا، وَانْتَبَرْنَا الْغَيْرَ انْتِظَارَ الْمُجْدِبِ الْمَطَرِ، وَإِنَّمَا الْأَيْمَةُ قَوْمٌ اللَّهُ عَلَى خَلْقِهِ، وَعُرْفَاؤُهُ عَلَى عِبَادِهِ، لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ عَرَفَهُمْ وَعَرَفُوهُ، وَلَا يَدْخُلُ النَّارَ إِلَّا مَنْ أَنْكَرَهُمْ وَأَنْكَرُوهُ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ خَصَّكُمْ بِالْإِسْلَامِ، وَاسْتَخْلَصَكُمْ لَهُ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُ اسْمُ سَلَامَةٍ وَجِمَاعُ كَرَامَةٍ، اصْطَفَى اللَّهُ تَعَالَى مِنْهُجَهُ، وَبَيَّنَّ حُجَجَهُ، مِنْ ظَاهِرِ عِلْمٍ وَبَاطِنِ حُكْمٍ، لَا تُفْنِي غَرَائِبُهُ، وَلَا تَنْقُضِي عَجَائِبُهُ، فِيهِ مَرَايِعُ النِّعَمِ، وَمَصَابِيحُ الظُّلْمِ، لَا تُفْتَحُ الْخَيْرَاتُ إِلَّا بِمِفَاتِيحِهِ، وَلَا تُكْشَفُ الظُّلْمَاتُ، إِلَّا بِمَصَابِيحِهِ، قَدْ أَحْمَى جِمَاهُ، وَأَرْعَى مَرْعَاهُ، فِيهِ شِفَاءُ الْمُشْتَفَى، وَكَفَايَةُ الْمُكْتَفَى.

منها:

وَهُوَ فِي مُهَلَّةٍ مِنَ اللَّهِ يَهْوَى مَعَ الْغَافِلِينَ، وَيَعْدُو مَعَ الْمُذْنِبِينَ، بِأَسْبِيلِ  
قَاصِدٍ، وَلَا إِمَامٍ قَائِدٍ.

منها:

حَتَّى إِذَا كَشَفَ لَهُمْ عَنْ جَزَاءِ مَعْصِيَتِهِمْ، وَاسْتَخْرَجَهُمْ مِنْ جَلَابِيبِ غَفْلَتِهِمْ،  
اسْتَقْبَلُوا مُدْبِرًا، وَاسْتَدْبَرُوا مُقْبَلًا، فَلَمْ يَنْتَفِعُوا بِمَا أُذْرِكُوا مِنْ طَلَبَتِهِمْ، وَلَا بِمَا  
قَضَوْا مِنْ وَطَرِهِمْ!!

وَإِنِّي أَحْذِرُكُمْ وَنَفْسِي هَذِهِ الْمَنْزِلَةَ فَلَيْتَنَفَعَ امْرُؤٌ بِنَفْسِهِ، فَإِنَّمَا الْبَصِيرُ مَنْ  
سَمِعَ وَتَفَكَّرَ (فَتَفَكَّرَ)، وَنَظَرَ فَأَبْصَرَ، وَانْتَفَعَ بِالْعِبَرِ، ثُمَّ سَلَكَ جَدَدًا وَأَضْحًا يَتَجَنَّبُ  
فِيهِ الصَّرْعَةَ فِي الْمَهَاوِي، وَالضَّلَالَ فِي الْمَعَاوِي، وَلَا يُعِينُ عَلَى نَفْسِهِ الْغَوَاةَ  
بِتَعَسُّفٍ فِي حَقِّ، أَوْ تَحْرِيفٍ فِي نُطْقٍ، أَوْ تَخَوُّفٍ مِنْ صِدْقٍ.

فَأَفْقَ أَيُّهَا السَّامِعُ مِنْ سَكْرَتِكَ، وَاسْتَيْقِظْ مِنْ غَفْلَتِكَ! وَاخْتَصِرْ مِنْ عَجَلَتِكَ،  
وَآنِعِ الْفِكْرَ فِيمَا جَاءَكَ عَلَى لِسَانِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ ﷺ مِمَّا لَا يَدُّ مِنْهُ، وَلَا مَحِيصَ  
عَنْهُ، وَخَالَفَ مَنْ خَالَفَ فِي ذَلِكَ إِلَى غَيْرِهِ، وَدَعَا وَمَا رَضِيَ لِنَفْسِهِ، وَضَعَّ  
فَخَرَّكَ، وَاحْطُطْ كِبْرَكَ، وَاذْكُرْ قَبْرَكَ، فَإِنَّ عَلَيْهِ مَمْرَكَ، وَكَمَا تَدِينُ تُدَانُ، وَكَمَا  
تَزْرَعُ تَحْصُدُ، وَمَا قَدَّمْتَ الْيَوْمَ تَقْدِمُ عَلَيْهِ عَدَاً، فَاْمَهْدُ لِقَدَمِكَ، وَقَدِّمَ لِيَوْمِكَ،  
فَالْحَذَرَ الْحَذَرَ أَيُّهَا الْمُسْتَمِعُ، وَالْجِدَّ الْجِدَّ أَيُّهَا الْغَافِلُ، وَلَا يُنْبِتُكَ مِثْلُ خَيْرٍ:

إِنَّ مِنْ عَزَائِمِ اللَّهِ فِي الذِّكْرِ الْحَكِيمِ الَّتِي عَلَيْهَا يُثِيبُ وَيُعَاقِبُ، وَلَهَا يَرْضَى  
وَيَسْخَطُ، أَنَّهُ لَا يَنْفَعُ عَبْدًا - وَإِنْ أَجْهَدَ نَفْسَهُ وَأَخْلَصَ فِعْلَهُ - أَنْ يَخْرُجَ مِنَ الدُّنْيَا  
لأَقْبَا رَبَّهُ بِخِصْلَةٍ مِّنْ هَذِهِ الْخِصَالِ لَمْ يُتَبَّ مِنْهَا: أَنْ يُشْرِكَ بِاللَّهِ فِيمَا افْتَرَضَ  
عَلَيْهِ مِنْ عِبَادَتِهِ، أَوْ يَشْفِيَ بِهَلَاكِ نَفْسٍ، أَوْ يُعَرِّ بِأَمْرٍ فَعَلَهُ غَيْرُهُ، أَوْ يَسْتَنْجِحَ  
حَاجَةً إِلَى النَّاسِ بِإِظْهَارِ بِدْعَةٍ فِي دِينِهِ، أَوْ يَلْقَى النَّاسَ بِوَجْهَيْنِ، أَوْ يَمْشِي فِيهِمْ  
بِلِسَانَيْنِ، اعْقِلْ ذَلِكَ فَإِنَّ الْمَثَلَ دَلِيلٌ عَلَى شَبْهِهِ:

إِنَّ الْبُهَائِمَ هَمُّهَا بَطُونُهَا، وَإِنَّ السِّبَاعَ هَمُّهَا الْعُدْوَانُ عَلَى غَيْرِهَا، وَإِنَّ النِّسَاءَ  
هَمُّهُنَّ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْفُسَادُ فِيهَا، إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ مُسْتَكِينُونَ، إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ  
مُشْفِقُونَ، إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ خَائِفُونَ.

(الْمَشَاعِرُ) جمع مَشْعَرٍ وهو الْحِسُّ (السَّوَاتِرُ) جمع سَاطِرٍ، الْحُجْبُ (الْحَادِ) بتشديد الدال فاعل من حَدَّ يَحْدُّ فهو حَدٌّ حَادٌّ محدود (نَصَبٌ) محرَّكَةٌ التَّعَبُ (حَيْزُهُ) أي جعله في حَيْزٍ ومكانٍ (طَلَعٌ) ظَهَرَ (مَنْهَجُهُ) الْمَنْهَجُ الطَّرِيقُ الواضح (حِكْمٌ) بكسر الحاء وفتح الكاف جمع حكمة (النِّعَمُ) الأمطار في أول الربيع (أَحْمَى) منع (جلايب) جمع جلاب (وِطْرَهُمْ) أي حاجتهم (الصَّرْعَةُ) الطَّرْحُ على الأرض (المهاوي) المهالك (المغاوي) جمع مغواة وهي الشبهة (يعرّ) من عرّ يعرّ عرّاً أي يصيبه والباقي واضح.

◀ المعنى

(الْحَمْدُ لِلَّهِ الدُّالُّ عَلَى وُجُودِهِ بِخَلْقِهِ ،) وهو العلم من المعلول بالعلّة والخلق بمعنى المخلوق (وَيَمْحُذُ خَلْقِهِ) أي كون مخلوقه حادثاً (عَلَى أَزَلِّيَّتِهِ) أي أزليّة ذاته وأنّه ليس بحادث (وَيَأْتِيهِمْ) أي كون أحدهم مُشْتَبِهاً بالآخر من حيث الخلقة (عَلَى أَنْ لَا شِبْهَ لَهُ) أي لا شبه له تعالى (لَا تَسْتَلِمُهُ الْمَشَاعِرُ) أي لا تلمسه الحواس (وَلَا تَخْجُبُهُ) ولا تمنعه (السَّوَاتِرُ) والحُجْبُ (لِافْتِرَاقِ الصَّانِعِ وَالْمَصْنُوعِ، وَالْحَادِ وَالْمَحْدُودِ، وَالرَّبِّ وَالْمَرْبُوبِ) فلو كان الربّ تعالى مُشْتَبِهاً بغيره مملوساً بالمشاعر محجوباً بالسَّوَاتِرِ كما هو شأن المخلوق لما كان بين الخالق والمخلوق فرق (الْأَحَدِ) أي الذي هو أحد (لَا يَتَأْوِيلُ عَدَدِهِ) أي ليس كونه أحداً أنّه أحد بالعدد (وَالْخَالِقِ لَا يَمَعْنَى حَرَكَةٍ وَنَصَبٍ) أي ليس كونه خالقاً أنّه خالق بالحركة والتعب كما هو شأن غيره (وَالسَّمِيعِ لَا بِأَدَاةٍ) أي أنّه تعالى يَسْمَعُ لا بِسَبَبِ السَّمْعِ (وَالْبَصِيرِ لَا بِتَفْرِيقِ آلَةٍ) أي أنّه تعالى بصير لا بالأجفان وتفريقها فإنّه شأن المخلوق (وَالشَّاهِدِ لَا بِمُتَمَسِّةٍ) أي هو حاضر في كلّ مكان لا كحضور شيء في شيء (وَالْبَائِنِ) المنفصل عن الأشياء (لَا يَتَرَاخَى مَسَافَةً) إذ بعده ليس مكانياً (وَالظَّاهِرِ) على الأشياء (لَا بِرُؤْيِيَةٍ) حسية



(وَالْبَاطِنِ) لها (لَا بِلَطَافَةٍ) أعني صِغَرٍ وَدِقَّةٍ (بَانَ مِنَ الْأَشْيَاءِ بِالتَّهَرُّ لَهَا) للأشياء (وَالْقُدْرَةَ عَلَيْهَا، وَبَانَتِ الْأَشْيَاءُ) أعني المخلوق (منه) تعالى (بِالْخُضُوعِ) والإستكانة (لَهُ وَالرُّجُوعِ إِلَيْهِ)، تعالى في جميع الشُّون (مَنْ وَصَفَهُ) بوصف زائد على ذاته (فَقَدْ حَدَّهُ) وعرفه (وَمَنْ حَدَّهُ) كذلك (فَقَدْ عَدَّهُ)، تعالى بالعدد (وَمَنْ عَدَّهُ) تعالى (فَقَدْ أَبْطَلَ أَرْزَلَهُ) إذ العدد لا يكون أزلتياً (وَمَنْ قَالَ كَيْفَ؟) أي كيف هو (فَقَدْ اسْتَوْصَفَهُ) أي فقد طلب وصفه تعالى بصفة الخلق فإنَّ الكيف من صفة المخلوق (وَمَنْ قَالَ أَيْنَ؟) أي طلب مكانه تعالى (فَقَدْ حَيَّرَهُ) أي جعله في حَيْرٍ ومكانٍ (وَعَالِمٍ إِذْ لَا مَعْلُومَ) خارجاً (وَرَبُّ إِذْ لَا مَرْبُوبَ) كذلك (وَقَادِرٌ إِذْ لَا مَقْدُورَ) في الخارج فهو كان عالماً ورباً وقادراً قبل الخلق كما سيجي بيانه.

(مِنْهَا) أي من هذه الخطبة (قَدْ طَلِعَ) أي ظهر (وَلَمِعَ لِأَمْعٍ، وَوَلَّاحَ لِأَلْحِ، وَاعْتَدَلَ) أي إستقام (مَائِلٌ) أي ما أعوج (وَاسْتَبَدَلَ اللهُ بِقَوْمٍ قَوْمًا) أي ذهب بأهل الضلال وأتى بأهل الصلاح (وَوَيْوَمَ) سوء (يوماً) آخر (وَأَنْتَظَرْنَا الْغَيْرَ) أي تغيرات الدهر (إِنْتِظَارَ الْمُجْدِبِ الْمَطَرِ) أي كإنتظار المُشتاق إلى المَطَرِ في فصله (وَإِنَّمَا الْأَئِمَّةُ) من آل محمد ﷺ (قَوْمًا اللهُ عَلَى خَلْقِهِ) يقومون بمصالحهم ويدبرون بأمرهم (وَعُرْفَاؤُهُ عَلَى عِبَادِهِ) إذ بهم يعرف الناس ربهم ودينهم (لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ عَرَفَهُمْ وَعَرَفُوهُ) أي من عرفهم بالإمامة وعرفوه بالطاعة (لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ عَرَفَهُمْ وَعَرَفُوهُ) أي أنكر إمامتهم وأنكروا طاعته (إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ خَصَّكُمْ بِالْإِسْلَامِ، وَاسْتَخْلَصَكُمْ لَهُ) فقال: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ (وَذَلِكَ) أي تخصيصكم به (لِأَنَّهُ) أعني الإسلام (اسْمٌ سَلَامَةٌ وَجَمَاعٌ كَرَامَةٌ) لكونه ضامناً لسعادة الدارين وسلامة النَّشَأَتَيْنِ (اصْطَفَى اللهُ) واختار (مَنْهَجَهُ) وطريقه الواضح (وَيَبِّئُ) لكم (حُجَجَهُ) وبراهينه (مِنْ ظَاهِرِ عِلْمٍ وَبَاطِنِ حُكْمٍ) فإنه تعالى قد بيّن لكم بسبب أوليائه ما تحتاجون إليه ظاهراً وباطناً (لَا تُفْنِي غَرَابَتُهُ، وَلَا تُنْقِضِي عَجَابَتُهُ) لكون الإسلام بحراً لا ينفذ ففيه

جميع ما يحتاج إليه البشر (فيه) في الإسلام (مَرَابِيعُ النِّعَمِ) والأمطار التي تأتي في أول الربيع وهو كناية عن حقائقه ودقائقه (وَمَصَابِيحُ الظُّلْمِ) التي بها يهتدي الناس في ظلمات الغواية والجهالة (لَا تُفْتَحُ الخَيْرَاتُ إِلَّا بِمَفَاتِيحِهِ) والإتباع عن طريقه وسننه (وَلَا تُكْشَفُ الظُّلُمَاتُ، إِلَّا بِمَصَابِيحِهِ) فلا تحصل السعادة إلا به (قَدْ أَحْمَى) الله تعالى (حِمَاهُ)، أي حما الإسلام (وَأَرَعَى مَرْعَاهُ، فِيهِ شِفَاءُ الْمُشْتَفَى) أي من طلب الشفاء لجهله وضلالته (وَكِفَايَةُ الْمُكْتَفَى) فإن هذا الدين يكفيه ولا يحتاج معه إلى دين آخر.

(منها) أي من الخطبة (وَهُوَ فِي مُهَلَّةٍ مِنَ اللَّهِ) وفي المهلة (يَهْوَى مَعَ الْغَافِلِينَ، وَيَعْدُو مَعَ الْمُذْنِبِينَ) أي يسير بسيرتهم (بِلا سَبِيلٍ قَاصِدٍ، وَلَا إِمَامٍ قَائِدٍ) أي بلا حجة ولا برهان.

(منها) ومن الخطبة (حَتَّى إِذَا كَشَفَ لَهُمْ عَنْ جَزَاءِ مَعْصِيَتِهِمْ) في الدنيا والآخرة (وَاسْتَخْرَجَهُمْ مِنْ جَلَابِيبِ غَفْلَتِهِمْ، اسْتَقْبَلُوا مُدْبِرًا) استقبلوا مدبراً أي ما كان في ظنهم كذلك (وَاسْتَدْبَرُوا مُقْبَلًا) أي حولهم الله من الأموال والنعيم (فَلَمْ يَنْتَفِعُوا) هؤلاء (بِمَا أَدْرَكُوا مِنْ طَلَبَتِهِمْ، وَلَا بِمَا قَضَوْا مَنْ وَطَرِهِمْ!) وحاجتهم (وَإِنِّي أَحْذَرُكُمْ) وأخوفكم (وَنَفْسِي هَذِهِ الْمَمْرُؤَةَ) أعني الخطأ والخطل (فَلْيَنْتَفِعِ امْرُؤٌ بِنَفْسِهِ) بالعمل الصالح (فَإِنَّمَا الْبَصِيرُ مَنْ سَمِعَ) حقاً أو باطلاً (وَتَفَكَّرَ)) فيه (وَنظَرَ) إلى الأشياء (فَأَبْصَرَ) بعين البصيرة (وَأَنْتَفَعَ بِالْعَبْرِ) بعين الإنصاف إلى السلف الماضين (ثُمَّ سَلَكَ جَدَدًا) وطريقاً (وَأَضْحًا) لا خفاء فيه (يَتَجَنَّبُ فِيهِ) في الطريق المذكور (الصَّرْعَةَ فِي الْمَهَاوِي) والمهالك (وَالضَّلَالَ فِي الْمَغَاوِي) والشبهات (وَلَا يُعِينُ عَلَى نَفْسِهِ الْغَوَاةَ) الظلمة (بِتَعَسُّفٍ فِي حَقِّ، أَوْ تَحْرِيفٍ فِي نُطْقٍ) أي بسببها (أَوْ تَخَوُّفٍ مِنْ صِدْقٍ) فيكذب (فَأَفِئِقُ أَيُّهَا السَّامِعُ مِنْ سَكْرَتِكَ) فلا تكن كالسكران لا يتوجه إلى شيء (وَاسْتَيْقِظْ مِنْ غَفْلَتِكَ) فلا تكن نائماً (وَاخْتَصِرْ مِنْ عَجَلَتِكَ) فلا تكن عجولاً (وَأَنْعِمِ الْفِكْرَ فِيمَا جَاءَكَ عَلَى لِسَانِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ ٩ مِمَّا لَا يَدُّ مِنْهُ، وَلَا مَحِيصُ)

عَنهُ، وَخَالَفَ) فِيهِ (مَنْ خَالَفَ فِي ذَلِكَ إِلَى غَيْرِهِ،) فَلَا تَسْلُكُ مَسْلَكَهُ (وَدَعَاهُ وَمَا رَضِيَ لِنَفْسِهِ) كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾<sup>(١)</sup> (وَضَعُ فُخْرَكَ، وَاحْطُطْ كِبْرَكَ) فَلَا تَكُنْ فُخُورًا مُتَكَبِّرًا (وَإِذْ كُرُّ قَبْرَكَ) الَّذِي لَا بَدَّ لَكَ مِنَ الْوُرُودِ عَلَيْهِ (فَإِنَّ عَلَيْهِ مَمَرَّكَ) لَا مَحَالَةَ (وَكَمَا تَدِينُ تُدَانُ) أَي كَمَا تَجْزِي تُجْزَا (وَكَمَا تَزْرَعُ) فِي الدُّنْيَا (تَحْصُدُ) فِي الْآخِرَةِ (وَمَا قَدَّمْتَ الْيَوْمَ) مِنَ الْأَعْمَالِ (تَقْدَمُ عَلَيْهِ غَدًا) فِي الْآخِرَةِ (فَأَمْهَدُ لِقَدَمِكَ) أَي أَبْسُطْ لَهُ (وَقَدِّمُ لِيَوْمِكَ) وَأَخْرَتَكَ (فَالْحَذَرَ الْحَذَرَ أَيُّهَا الْمُسْتَمْعُ، وَالْجِدَّ الْجِدَّ أَيُّهَا الْغَافِلُ، وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ) (إِنَّ مِنْ عَزَائِمِ اللَّهِ فِي الذِّكْرِ الْحَكِيمِ) وَهُوَ الْقُرْآنُ (الَّتِي عَلَيْنَهَا) أَي عَلَى الْعَزَائِمِ (يُثِيبُ) اللَّهُ (وَيُعَاقِبُ، وَلَهَا يَرْضَى وَيَسْخَطُ، أَنَّهُ لَا يَنْفَعُ عَبْدًا) فِي الدَّارَيْنِ (وَإِنْ أَجْهَدَ الْعَبْدُ نَفْسَهُ وَأَخْلَصَ فِعْلَهُ) فِيهِ (أَنْ يَخْرُجَ) الْعَبْدُ (مِنَ الدُّنْيَا) بِالمَوْتِ (لأَقْبَارَ رَبِّهِ بِخَصْلَةٍ مِّنْ هَذِهِ الْخِصَالِ) الذَّمِيمَةَ (لَمْ يَتَّبِعْ مِنْهَا) مِنَ الْخِصَالِ (أَنْ يُشْرِكَ بِاللَّهِ فِيمَا افْتَرَضَ عَلَيْهِ مِنْ عِبَادَتِهِ) وَلَا يَخْلُصَهُ اللَّهُ تَعَالَى (أَوْ يَشْفِيَ بِهَلَاكِ نَفْسِ) الَّذِي حَرَّمَهُ اللَّهُ تَعَالَى (أَوْ يُعَرِّ) وَيَحْكِي بِأَمْرِ قَبِيحٍ (قَدْ فَعَلَهُ غَيْرُهُ، أَوْ يَسْتَنْجِحُ) وَيَبْدَعُ فِي الدِّينِ طَلْبًا (حَاجَةً إِلَى النَّاسِ) لِنَجَاحِ حَاجَتِهِ (بِإِظْهَارِ بِدْعَةٍ فِي دِينِهِ، أَوْ يَلْقَى النَّاسَ بِوَجْهَيْنِ، أَوْ يَمْشِي فِيهِمْ بِلِسَانَيْنِ) كَمَا هُوَ شَأْنُ الْمُنَافِقِ (اعْقِلْ ذَلِكَ فَإِنَّ الْمَثَلَ دَلِيلٌ عَلَى شَبْهِهِ) وَحُكْمُ الْأَمْثَالِ وَاحِدٌ (إِنَّ الْبِهَائِمَ هَمُّهَا بُطُونُهَا) لِلأَكْلِ وَالشَّرْبِ (وَإِنَّ السِّبَاعَ هَمُّهَا الْعُدْوَانُ عَلَى غَيْرِهَا،) كَمَا هُوَ مُقْتَضِي السَّبْعِيَّةِ (وَإِنَّ النِّسَاءَ هَمُّهُنَّ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْفَسَادُ فِيهَا) وَهُوَ ظَاهِرٌ (إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ مُسْتَكِينُونَ) خَاضِعُونَ لِلَّهِ تَعَالَى (إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ مُشْفِقُونَ) مِنَ عَذَابِ اللَّهِ (إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ خَائِفُونَ) مِنْ عِقَابِهِ تَعَالَى.

## ◀ الشرح

□ قوله ﷻ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الدَّالُّ عَلَى وُجُودِهِ ...

الباء للسبب والخلق مصدر من خلق يخلق خلقاً وهو هنا بمعنى المفعول أي بمخلوقه ومصنوعه.

والمعنى جنس الحمد أو كل الحمد لله أعني الذات الواجب المستجمع لجميع الصفات الكمالية الذي يدل على وجوده وجود مخلوقه وهذا أعني العلم بالعلّة بسبب المعلول يُسمى بالبرهان الإيّن فإن البرهان على قسمين لمّ وإيّن والأوّل يقال فيما إذا كان العلم من العلة بالمعلول والثاني بالعكس أي العلم من المعلول بالعلّة قال السبزواري رحمته:

بُرهاننا باللمّ والإيّن قسم علم من العلة بالمعلول لم  
وعكسه إيّن ولمّ أسبق وهو بإعطاء اليقين أوثق

وإنما قالوا بأشرفيّة برهان اللّم لأن العلم بالعلّة مستلزم للعلم بالمعلول المعيّن والعلم بالمعلول مستلزم للعلم بعلة ما وتفصيل الكلام في البرهانين في محله فإنّ البحث في حقيقتهما على ما ينبغي من وظائف الكتب العقلية.

ثم إنّ هذا البرهان الذي نحن بصدد بيانه أعني الإيّي منه الذي لازمه العلم من المعلول بالعلّة ومن المخلوق بالخالق فتوضيحه هو أن نقول:

لا شكّ لنا في وجود الأشياء بأنواعها وأصنافها وجواهرها وأعراضها من الجنّ والإنس والملائكة والجمادات والحيوانات والنباتات والسماء والأرض وغيرها من الموجودات فهذا ممّا لا ريب فيه فلو فرضنا كون الإنسان شاكاً في ما ذكرناه فلا محالة لا شكّ في وجوده بشخصه:

فهذه الموجودات لا تخلو في وجودها إمّا أن يكون الوجود فيها واجباً أو ممكناً والحصر عقلي لا ثالث له إذ الوجود إمّا أن يكون معلولاً موجوداً بغيره فهو الممكن أو لا يكون كذلك فلا تكون له علة وهو الواجب، وأمّا كونه موجوداً بغيره وموجوداً لا بغيره فهو من اجتماع النقيضين الذي إتفقوا على استحالته.

أمّا كونها واجبة فلا سبيل إليه والدليل عليه من وجوه:

أحدها: أنّها لو كانت واجبة لكانت قديمة والتالي باطل فالمقدّم مثله.

أما بطلان التالي فلأننا نعلم بالضرورة حَدُوثها ذاتاً وزماناً وما كان كذلك لا يكون قديماً فلا يكون واجباً أو نقول إنها مَسْبُوقَةٌ بالعلَّة فلا تكون واجبة فلا تكون قديمة وهو المطلوب:

وثانيها: أن الموجودات لو كانت قديمة لكانت باقية أزلاً وأبداً كما هو شأن الواجب فإن الواجب ما لا أول لوجوده ولا آخر له أيضاً ونحن نعلم بالحس والعيان فضلاً عن الدليل والبرهان خلافه فليست بقديمة.

وثالثه: أن الواجب غني ذاتاً والممكن فقير كذلك وحيث نرى فقر الموجودات في جميع شئونها حتى الوجود كما مرَّ مراراً فنكشف أنها ليست بواجبة وهو المطلوب وإذا لم تكن بواجبة فلا تخلو إما أن تكون ممكنة أو ممتنعة والثاني أعني الإمتناع مخالف لبديهة الوجدان فتكون ممكنة وإذا كانت ممكنة فليست بواجبة وهو المطلوب.

ثم إننا بعد ذلك لا نشك في أن المخلوق يدل على الخالق والمصنوع على الصانع وذلك لأن المخلوق على ما ثبت مُمكن في حد ذاته كما هو المفروض والممكن نسبه إلى الوجود والعدم سيان بمعنى كونه على حد الإستواء بالنسبة إليهما وفي فرض التساوي لا يجوز له الخروج عن الإستواء بنفسه وإلا يلزم الترجيح بلا مرجح الذي هو محال عقلاً فيحتاج في خروجه عنه إلى مرجح خارج عن ذاته وهو لا يكون إلا واجباً غير مُمكن أو مُمتنعاً وحيث إن الممتنع لا يكون علّة للموجود وإلا يلزم كون الشئ علّة لنقيضه فلا محالة علّة الخروج تكون واجبة الوجود وهو المطلوب.

□ قوله ﷻ: **وَبِمُحَدَّثِ خَلْقِهِ عَلَى أَزَلِّيَّتِهِ...**

الواو للعطف أي الحمد لله الدال بمُحَدَّثِ خلقه على أزلّيته والفرق بين الجملتين هو أن الأولى أفادت إثبات أصل وجوده تعالى بوجود مخلوقه وهذه تفيد أزلّيته تعالى بكون خلقه حادثاً ومعلوم أن الوجود شئ والأزليّة شئ آخر والمقصود بها أن لا أول لوجوده فالوجود هو الأصل والأزليّة من أوصافه

ولأجل هذا أثبت عليه السلام أولاً أصل الوجود وثانياً أزليته وإنما استدل عليه السلام على إثبات وجوده بوجود خلقه كما في الجملة الأولى وعلى إثبات أزليته بحدوث خلقه لا بوجوده لأن وجود الخلق لا يدل على أكثر من وجود الخالق فإن وجود الأثر كاشف عن وجود المؤثر وأما أن المؤثر أزلي أو غير أزلي فلا يدل عليه وبعبارة أخرى وجود المخلوق يدل إنا على وجود الخالق فحسب وهذا القدر لا يكفي في المقام فإن الخالق مضافاً إلى كونه موجوداً ينبغي أن يكون وجوده عين ذاته غير مُستندٍ إلى غيره إذ لو كان معلولاً لغيره لا محالة يكون مُمكناً ويتسلسل وإذا فرضنا أنه ليس بمعلول فيكون وجوده بذاته لذاته فلا أول له إذ كل ما له أول فهو داخل في سلسلة المُمكنات وهو كغيره وإذ لا أول له فهو أزلي وهو المطلوب.

وإنما استدل عليه السلام على المدعى بحدوث الخلق لأن الخلق الحادث لا بد له من علة غير حادث وكل ما ليس بحادث أزلي فالخالق أزلي. وتقريره أن الحادث إن كان زمانياً فهو مسبوق بالعدم وإن كان ذاتياً فمسبق بالعلة والعالم لا يخلو منهما فالمتكلمون على الأول والفلاسفة على الثاني وعلى كلا التقديرين لا بد له من علة موجدة إياه وهذا مما لا خلاف فيه عند الفريقين.

ثم إن العلة الموجدة إما أن تكون حادثة كالمعلول أو غير حادثة، فعلى الأول يلزم أن تكون معلولة لأن الحادث لا يوجد بدون العلة وهكذا الكلام في العلة ويتسلسل وهو محال باطل. وإن لم تكن العلة حادثة فلا محالة تكون واجبة لعدم الوساطة بينهما وهو المطلوب.

وإذا ثبت وجوبه فلا محالة قديم إذ الحادث لا يكون واجباً والقديم ما لا أول لوجوده لا ذاتاً بمعنى كونه مسبوقاً بوجود الغير ولا زماناً أعني كونه مسبوقاً بالعدم وإذا لم يكن مسبوقاً بهما فهو أزلي وهو المطلوب. وحاصل الكلام أنه لا شك عقلاً ونقلاً في حدوث العالم الذي هو مخلوق

له تعالى، إِمَّا الحُدُوث الزماني كما عليه المتكلمون أو الذاتِي كما عليه الفلاسفة وأما أصل الحُدُوث فَمُورِد الإِتِّفَاق وحيث إنَّ الحادِثَ يَحْتَاجُ في وجوده إلى العلة المُحدِثَة وهي لا تخلو من الوجوب والإمكان لكون الموجود منحصراً فيهما فإن كانت واجبة فبثت المطلوب وإن كانت حادثة يتسلسل وهو باطل فالحدوث باطل فتعيّن الوجوب.

ثم هذا الوجوب لازمه الأزليّة وإلا يكون حادثاً وهو خلاف الفرض هذا:  
 □ قوله ﷻ: **وَبِأَشْتِبَاهِهِمْ عَلَيَّ أَنْ لَا شِبْهَ لَهُ...**

بعد ما أثبت ﷻ كون الخالق موجوداً أزلياً أشار إلى كونه منحصراً بذاته بمعنى أنه لا شبهة له في عالم الوجود والشبه هو النّظير قال الراغب في المفردات الشّبه والشّبه والشّبيه حقيقتها في المُمَاثِلَة من جهة الكيفيّة كاللون والطّعم وكالعدالة والظلم انتهى.

أقول: وعليه فقوله تعالى: **﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾** <sup>(١)</sup> من هذا القبيل ثم إنَّ الدليل العقلي على أن لا شبهة له تعالى من وجوه:  
 أحدها: أن الواجب تعالى صرف الوجود وحقيقته وقد ثبت أن صرف الشّي لا يثنى ولا يتكرّر كما قال في المنظومة:

صرف الحقيقة التي ما كثرًا من دون مُنضّماتها العقل يرى  
 وإذا ثبت أن صرف الشّي لا تكرر فيه بمعنى كونه مُنحصراً في فرده فمن أين يوجد له مثل وشبه.

وثانيهما: أن التّكثّر في الموجودات من لوازم الماهيّة وشئونها وأطوارها كما هو ثابت في محلّه وما لا ماهيّة له لا تكثر فيه والواجب لا ماهيّة له فلا تكثر فيه وهو المطلوب.

وثالثها: لو كان له شبهة موجود فلا يخلو عن الإمكان والوجوب لعدم خلوّ الموجود عنهما وكلاهما باطلان أما كونه مُمكناً باطل فلأنّ المُمكن لا يكون شبيهاً للواجب لا ذاتاً ولا صفةً أما ذاتاً لأنّ المُمكن معلول محتاج والواجب غير

معلول وغير محتاج وهما متناقضان فلا تشابه بينهما، وأمّا كونه واجباً فهو أيضاً باطل لأدلة التوحيد ولزوم كونهما معلولين معاً وهو خلاف الفرض.

**ورابعها:** أنّ الشّبه لا يخلو حاله إمّا أن يكون علّة وإمّا أن يكون معلولاً أو لا يكون علّة ولا يكون معلولاً فإن كان علّة ليشبهه فهو الواجب والآخر ممكن مخلوق فلا شبه له لما ذكرناه من أنّ الممكن لا يكون شبيهاً للواجب لا ذاتاً ولا صفة، وإن كان معلولاً له فلا محالة يصير الآخر علّة والكلام فيه هو الكلام في سابقه وإن لم يكن علّة ولا معلولاً يلزم خلوّه عنهما وهو محال لأنّ الموجود لا يخلو عنهما فثبت أنّ لا شبه له.

ثمّ إنّ في قوله ﷺ وبإشتباههم تصريح بكون المخلوق مشتبهة وهو كذلك وهذا لا يحتاج إلى دليل إذ الحسّ أقوى شاهد عليه ولا سيّما على تفسير الرّاغب من أنّ الشّبه هو النّظير من جهة المماثلة في الكيفيات فإنّ هذه المماثلة ثابتة في جميع الموجودات بأنواعها وأصنافها.

وإذا ثبت أنّه لا شبه له فلا مثل له بطريق أولى وقد مرّ الكلام في هذا الباب في المجلّد الأوّل بما لا مزيد عليه.

قوله ﷺ: لَا تَسْتَلِمُهُ الْمَشَاعِرُ، وَلَا تُحْجِبُهُ السَّوَاتِرُ...

الإستلام طلب المَسح قال في المنجد إستلم الحجر مَسحه بالكف (من إستلمه أي الحجر) قبله وربّما إستعمل في غير الحجر فتقول إستلمت يده إذا مسحتها أو قبلتها انتهى.

والمعنى أنّ الله تعالى لا تلمسه المشاعر بالمسح والتّقبيل وغيرهما من مصاديق اللّمس ولا تُحجبه المساتر، جمع مَسْتَر والمَسْتَر كلّ ما يستر الشّيء عن الرّؤية، أي الحجابات التي تستر بها لا تحجبه فالكلام يقع في مقامين: **المقام الأوّل:** في أنّ المشاعر لا تستلمه:

**إعلم:** أنّ المشاعر جمع مَشَعْر وهو الحسّ وعليه فالمشاعر الحواسّ ظاهرة كانت أو باطنة والمقصود أنّ الحواسّ لا تدركه باللّمس والمَسح فهو على



حذو قوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ ويمكن الإستدلال عليه بوجوه من العقل:

أحدها: أنه لا بد من وجود السِّنخية بين المُدرك (بكسر الدال) والمُدرك (بفتحها) ذاتاً وحقيقتاً بمعنى أن المُدرك المادّي لا يدرك إلا ما كان مادياً وحيث إن الواجب صرف الوجود وحقيقته ولا مادة له والممكن بخلافه إذ المُمكن ولا سيّما الإنسان المادّي العُنصري لا يكون بلا مادة فهما أعني الواجب والممكن من هذه الجهة من المتناقضين فإدراكه إياه محال كما أن إجتماع المتناقضين محال وهو المطلوب.

وثانيهما: أن إدراك الشّيء يستلزم الإحاطة على المُدرك وإلا لا يتحقّق الإدراك وحيث إن المخلوق محدود متناه ذاتاً وصفةً والواجب غير محدود وغير متناه كذلك فكيف يمكن للممكن الإحاطة عليه حتى يتحقّق الإدراك فلا إدراك له بالنسبة إليه تعالى وهو المطلوب.

وثالثها: أنه قد ثبت في الفلسفة أن القوى الجِسْمانيّة متناهية التأثير والتأثر وإدراك الواجب بها يوجب كونها لا كذلك وهذين الوصفين من قبيل الجمع بين المُتناقضين فإن التناهي وعدمه لا يجتمعان فإدراك الواجب محال وهو المطلوب والفرق بين هذا الدليل وسابقه هو أن المدار في سابقه على تناهي الممكن وفيه على تناهي القوى الجِسْمانيّة فهو أخصّ من الأوّل.

ورابعها: أن الإدراك لا يكون إلا في جهة من الجهات ووضّح من الأوضاع وهكذا فكما أن المُدرك بالحواس يكون في وضع وجهة كذلك المُدرك لا بد له من كونه كذلك ألا ترى أننا لا نرى العقل والنفس والمَلَك وغيرها من المُجرّدات وليس هذا إلا لعدم كونها محدودة بالأوضاع والجهات الماديّة وإذا كان الأمر في هذه المُجرّدات الناقصة كذلك فما ظنك بالواجب الذي هو المُجرّد الكامل التام بل فوق التجرّد.

المقام الثّاني: في أن المساطر لا تحجبه، وهو أيضاً لوجوه:

أحدها: أن الواجب لو كان مَسْتَوْرًا بِالْحُجْبِ الْجِسْمَانِيَّةِ فيلزم كونه في مكان من الأمكنة وجهة من الجهات وحيث إنه قد ثبت تنزّهه عن المكان وغيره ممّا هو من لوازم الأجسام فلا يحجبه شيء من الأجسام وهو المطلوب.

وثانيها: أنه تعالى لو كان مَسْتَوْرًا مَحْجُوبًا بِهَا يلزم نقصه وكل ناقص ممكن وقد فرضناه واجباً هف (هذا خلف) أمّا لزوم النقص فلا يستمداده في كونه مَسْتَوْرًا من الحُجْبِ الْجِسْمَانِيَّةِ الْمُمَكِّنَةِ فهو محتاج إليها في ستره وكل محتاج ناقص في ذاته وكل ناقص مُمكن وكل ممكن ليس بواجب وقد فرضناه واجباً وهذا هو الخلف.

وثالثها: أن الحُجْبِ الْجِسْمَانِيَّةِ لا تستر إلا الجسم والجسماني وأما المجرّدات فلا أثر لها فيها من هذه الجهة والواجب تعالى قد ثبت تجرّده فوجود المساتر وعدمه سيان بالنسبة إليه بل وجودها لغو محض.

وإنما قال ﷺ: إن المساتر لا تحجبه ولم يقل إنه غير مَحْجُوبٍ مُطْلَقًا وبعبارة أخرى نفى ﷺ عنه الحجاب بالمسائر لا مطلقاً إشعاراً بأن الممنوع عقلاً وشرعاً هو هذا الحُجْبُ أعني المَحْجُوبِيَّةُ بسبب المسائر الجِسْمَانِيَّةِ وأما مُطْلَقِ المَحْجُوبِيَّةِ فلا ضرورة أنه تعالى مَحْجُوبٌ عن الحَوَاسِ والإدراكات إلا أنها ليست بسبب الحُجْبِ الْجِسْمَانِيَّةِ بل بشدّة النورانيّة وعدم إستلام المشاعر إيّاه وبه يظهر الفرق بين قوله ﷺ: لَا تَسْتَلِمُهُ الْمَشَاعِرُ، وقوله: وَلَا تَحْجُبُهُ السَّوَاتِرُ، قال السبزواري في منظومته:

يا من هو إختفى لفرط نوره      الظاهر الباطن في ظهوره  
□ وقوله ﷺ: لِإِفْتِرَاقِ الصَّانِعِ وَالْمَصْنُوعِ، وَالْحَادِّ وَالْمَحْدُودِ، وَالرَّبِّ  
وَالْمَرْبُوبِ...

اللام في قوله ﷺ: لِإِفْتِرَاقِ للتعليل فكأنه قيل له ﷺ ولم كان كذلك فقال  
ﷺ في الجواب بما قال:

وحاصل ما أفاده ﷺ في المقام هو أن الخالق لو كان حادثاً غير أزليّ مُشْتَبِهاً

بالمخلوق مُدْرِكاً بِالْحَوَاسِ مَحْجُوباً بِالْمَسَاطِرِ لِكَانِ مِثْلِ الْمَخْلُوقِ بِلا فَرْقٍ بَيْنَهُمَا فَإِنَّ هَذِهِ الْأُمُورَ بِأَسْرَهَا مَوْجُودَةٌ فِي الْمَخْلُوقِ مَعَ أَنَّهُ بَيْنَ الصَّانِعِ وَالْمَصْنُوعِ فَرْقٌ بَيْنَ فِي الْقَدَمِ وَالْحَدُوثِ الْخِ وَهَكَذَا بَيْنَ الْحَادِّ أَعْنِي الَّذِي يَحْدَهُ وَالْمَحْدُودِ وَهُوَ الَّذِي يَكُونُ الْحَدَّ لَهُ وَالرَّبُّ وَهُوَ اللَّهُ تَعَالَى وَالْمَرْبُوبُ وَهُوَ الْمَخْلُوقُ، وَالْفَرْقُ يَقْتَضِي الْحَكْمَ عَلَى أَحَدِهِمَا بغير مَا حَكَمَ بِهِ عَلَى الْآخَرِ فَلَوْ حَكَمْنَا لِأَحَدِهِمَا بِالْحَدُوثِ كَمَا فِي جَانِبِ الْمَخْلُوقِ فَلَا مَحَالَةَ نَحْكُمُ فِي الْآخَرِ بِالْقَدَمِ وَهَكَذَا، قَالَ الشَّارِعُ الْخَوَئِصِيُّ رحمته الله وَالْمَرَادُ بِالْحَادِّ خَالِقِ الْحُدُودِ وَالنَّهَائِيَّاتِ وَالصَّانِعِ وَالرَّبِّ بَيْنَهُمَا تَغَايِيرٌ بِحَسَبِ الْإِعْتِبَارِ وَهُوَ دُخُولُ الْمَالِكِيَّةِ فِي مَفْهُومِ الرِّبُوبِيَّةِ دُونَ الصَّنْعِ انْتَهَى.

**أقول:** قوله رحمته الله المراد بالحاد خالق الحدود والنهائيات، لا أدري من أين أخذ هذا المعنى وأي إحتياج إلى هذا التأويل البعيد الذي لا يساعده العقل واللغة وذلك لأن الحاد إسم فاعل من حدّ يحدّ فهو حدّ وذاك محدود فالحدّ بحسب اللغة هو الذي يحدّ الشئ ويعرفه فإذا قلت مثلاً الإنسان حيوان ناطق فقد حدّدت الإنسان بالحدّ التام فأنت حدّ و الإنسان في التعريف محدود وقولك حيوان ناطق، فهو الحدّ وفي المقام من عرف الله تعالى وحدّده فهو حدّ والله تعالى محدود والذي قال في التعريف يُسمّى بالحدّ تاماً كان أو ناقصاً فالحدّ والمحدود من المتضايقين كالضرب والمضروب فكما أن الضرب المصدر لا يتحقق بدون الفاعل أعني الضارب في عالم الخارج فكذلك الحدّ المصدر لا وجود له مع قطع النظر عن الفاعل أعني الحدّ إذا عرفت هذا في الحدّ والمحدود فقد عرفت الكلام في الربّ والمرئوب أيضاً.

وعليه فحمل الحدّ في كلامه رحمته الله على خالق الحدود لا معنى له بل هو من التصرف في اللغة من غير ضرورة أو جبهته وأظنّ أنّ ما دعاه إليه هو أنّه لم يقدر على فهم معنى العبارة لزعمه أنّ الحدّ والمحدود في كلامه رحمته الله لا فرق فيهما معنى إذ الحدّ هو المخلوق فإنّه هو الذي يحدّده والمحدود أيضاً هو لكونه

محدوداً واقعاً فلا معنى لقوله ﷺ في حكمه بأن الحادّ غير المحدود والصانع غير المصنوع وهكذا وهذا هو الذي ألجأه إلى هذا التأويل البارد ليصير المعنى أن خالق الحدّ أعني الله تعالى غير المحدود المخلوق هذا وقد غفل عن الإشكالات الواردة على هذا التأويل عقلاً مضافاً إلى كونه مخالفاً للغة أيضاً.

والعجب كلّ العجب من المحقق البحراني رحمه الله حيث إنّه رحمه الله سبقه بهذا التأويل وكأنّ الخوئي رحمه الله أخذ منه كما هو شأنه في شرحه عند وصوله إلى المطالب العقلية إذ لم يكن هو رحمه الله من فرسان هذا الميدان فقلّده في المقام وغير المقام من دون بصيرة وإطلاع على حقيقة الحال وإنما وقفت على قول البحراني بعد وقوفي على قول الخوئي فلو كنت رجعت إلى شرح البحراني أولاً لما نقلت من الخوئي رحمه الله ما نقلت إذ هو الذي فسّر كلامه ﷺ أولاً وقلّده الخوئي فيه وإنما قلنا قلّده فيه لأنّ عبارات الخوئي في المقام بعينها عبارات البحراني فراجعها. وحلّ الإشكال هو أنّه لا نحتاج إلى هذه التكلّفات وذلك لأنّ الحادّ في كلامه ﷺ هو الإنسان الذي يحدّ الخالق والمحدود هو الله تعالى بزعمه فلو كان الحدّ صحيحاً يلزم إتحاد الحادّ والمحدود وأن لا يكون بينهما فرق مع أنّ الحادّ في المقام من الممكنات والمحدود من الواجب ولازم ذلك ثبوت الفرق وحيث إنّ حدّه تعالى يُوجب عدم الفرق بين الحادّ والمحدود فهو أعني الحدّ باطل وهو المطلوب.

وتقريره أنّه لا شكّ في أنّ الحادّ أعني الإنسان مثلاً ممكن وهذا ممّا لا كلام فيه، وأيضاً لا شكّ في كون المحدود أعني الله تعالى واجباً كما هو المفروض فظهر الفرق بين الحادّ والمحدود وهذا الفرق هو الذي يحكم ببطلان الحدّ وإستحالة فإنّ الحادّ للشيء يلزم أن يكون مُحيطاً به عارفاً بكنه حقيقته وإلا لا يكون حادّاً له وحيث إنّ إحاطة المخلوق بالخالق محال فتحديده محال نعم تحديد الممكن ممكناً آخر مثله لا إشكال فيه لإمكان الإحاطة فقوله ﷺ في المقام إشارة بعدم صحّة الحدّ لثبوت الفرق بين الحادّ أعني الإنسان والمحدود

أعني الواجب بالوجوب والإمكان وهذا الفرق يَمْنَعُه عن تحديده وهو المطلوب.

وإن شئت قلت: المُمكن لا يقدر على حدِّ الواجب لما ذكرناه فلا حدَّ له. وأما قولهم في عدم جواز الحدِّ عليه تعالى لأنه خالق الحدِّ وخالق الحدِّ لا يحدُّ كما هو الظاهر من كلام الشارحين فلا معنى له بل هو كلام بلا محصل ضرورة أن التَّحديد للشئ من فعل المَخْلُوق وأفعال المخلوقين مخلوقة لهم لا لله تعالى كما هو ثابت في محله وإلا يلزم الجبر نعم المخلوق في المقام هو الحدَّ أعني الإنسان ولا كلام لنا فيه لا الحدَّ كما زعموه أليس الحدَّ وغيره من الألفاظ التي يتكلم بها الإنسان بإيجاده الحروف في الخارج وإنشاء النفس إياها على الترتيب الخاص فأين في المقام مخلوق لله تعالى نعم المخلوق هو المتكلم وإن شئت قلت القدرة على الكلام وهما ليسا من اللفظ بشئ.

وحاصل الكلام مع هؤلاء الأعلام هو أن الحدَّ تاماً كان أو ناقصاً ممنوع في المقام لأنه أعني الحدَّ لبيان ماهية المحدود وحيث إنه لا ماهية له تعالى بمعناها الأخص إلا ذاته وحقيقته التي هي عين وجوده ومع ذلك غير متناهٍ فلا يمكن حدّه وتعريفه وهذا هو المانع لا غير فتأمل.

وأما قول الخوئي تبعاً للبحراني (قدس سرهما) في الصانع والرّب وأن التّغابر بينهما بالإعتبار وهو دخول مفهوم المالكية في الرّبوبية دون الصّنع فهو أيضاً في حيز المنع:

أما أولاً: فإننا لا نسلم أن الفرق بينهما بالإعتبار وذلك لأن الصّانع عبارة عن الموجد والرّب عبارة عمّن يرّبي الشئ بعد وجوده في إيصالها إلى الكمال المطلوب وحيث إن الله تعالى موجد الأشياء إلى الوجود ومرّبها بعد وجودها فهو صانع وربّ فإطلاق اللفظين عليه تعالى ليس لأجل إتّحاد معنيهما كما زعموه بل لأجل أن الله تعالى له أوصاف كثيرة فلو كان مجرد صحّة الإطلاق دليلاً على عدم الفرق لكانت صفاته تعالى من العلم والقدرة والإرادة ونحوها

ممّا يتّصف الذات به واحدة من حيث المعنى والفرق بينها بالإعتبار.  
وثانياً: أنّ مفهوم المالكيّة ليس داخلاً في مفهوم الرّبوبيّة مطلقاً وغير داخل  
في مفهوم الصّانع كذلك بل هو داخل في مفهومها في بعض الموارد وخارج  
كذلك وهو أيضاً ظاهر.

□ قوله ﷺ: **الْأَحَدُ لَا يَتَأْوِيلُ عَدَدٍ، وَالْخَالِقُ لَا يَمَعْنَى حَرَكَةٍ وَنَصَبٍ...**

ثمّ وصف الله تعالى بامور أحدها أنّه تعالى أحد كما قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾<sup>(١)</sup> والأحد ما لا جزء له والواحد ما لا ثاني له فهو تعالى أحد من حيث إنّه بسيط الحقيقة وواحد من حيث إنّه لا شريك له وإنّما قال ﷺ: بلا تأويل عدد إشعاراً بأنّ أحديته ليست مأولة بالعدّد وذلك لأنّه لو كان كذلك لكان له أوّل لا محالة كما هو شأن مبدء العدّد وكلّ ما له أوّل فهو حادث وكلّ حادث ليس بقديم فهو ليس بقديم وقد فرضناه قديماً هف (هذا خلف).

وإنّما قال ﷺ: الأحد ولم يقل الواحد للدلالة على بساطته وأنّ الأحد يشمل الواحد ولا عكس وذلك لأنّ كلّ أحد فهو واحد أيضاً وليس كلّ واحد بأحد فيبينهما من النسب الأربع عموم وخصوص مطلق، وعليه فالأحد لا يطلق على غيره تعالى حقيقةً والحقّ أن يقال إنّ الأحد الذي لا يطلق على غيره تعالى هو الذي لا يأوّل بتأويل العدّد وأمّا المأوّل به فيطلق على غيره أيضاً وهذا هو السرّ في تقييده ﷺ: الأحد بقوله بلا تأويل عدد فإنّ الأحد بهذا المعنى يختصّ به تعالى وأمّا المأوّل به فهو المعبر عنه بالواحد فلأحد إطلاقان مأوّل وغير مأوّل والأوّل يطلق على كلّ بسيط لا جزء له ممّا له وحدة عددية كالبسائط فإنّها متّصفة بالوحدة العددية.

والثاني يطلق على ما ليست وحدته كذلك أي متّصفة بالعدد وهو منحصر به تعالى والوجه فيه ما ذكرناه من أنّ الوحدة لو كانت عددية فهي لا محالة حادثّة لكونها مسبّوقة بالعدم وحيث إنّه قد ثبت وجوبه بالأدلة العقلية والنقلية

فهو منزّه عن الأحد المأوّل بالعدد وبذلك قد ظهر لك أن الأحد والواحد لا فرق بينهما إلا بالاعتبار فلا معنى لقول بعضهم إن بينهما من النسب عموم وخصوص مطلق وإن كل ما يطلق عليه الأحد يُطلق عليه الواحد ولا عكس كما نقلناه عنهم وذلك لأنّ المألّ فيهما واحد كما عرفت ألا ترى أن الله تعالى كما يتّصف بالأحدية كذلك يتّصف بالوحدة فقال تعالى في كتابه: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ (١)

و: ﴿وَالْهَكْمُ لِلَّهِ وَاجِدٌ لِإِلَهِهِ الْوَاحِدِ الْغَنِيِّ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ (٢) بل الآيات في الثاني أعني إتصافه تعالى بالواحد أكثر منها في إتصافه بالأحد وهو دليل على أنه لا فرق بينهما واقعاً بحسب الإشتقاق والمعنى وإنما الفرق إعتباري فتأمل.

□ وأما قوله ﷺ: «وَالْخَالِقُ لَا بِمَعْنَى حَرَكَةٍ وَتَنْصِبٍ...»

معناه أنه تعالى خالق الأشياء وموجدتها من غير حركة ولا تعب فيه: أما كونه تعالى خالقاً لما سواه فهو مما ثبت عقلاً ونقلاً وقد فرغنا منه وقد وصف الله تعالى نفسه بالخالقية في كثير من الآيات قال تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا﴾ (٣)

و: ﴿فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ (٤)

و: ﴿عَآءَانْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ﴾ (٥)

و: ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ﴾ (٦)

و: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَالِقُ الْعَلِيمُ﴾ (٧)

و: ﴿بَلَىٰ وَهُوَ الْخَالِقُ الْعَلِيمُ﴾ (٨) وغيرها من الآيات ثم إن الخلق في أصل

اللغة هو التقدير المستقيم ويستعمل في إبداع الشيء من غير أصل ولا إحتذاء كما قال تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ أي أبداعهما بدلالة قوله تعالى: ﴿بَدِيعُ

٢- البقرة - ١٦٣

٤- المؤمنون - ١٤

٦- الصافات - ١٢٥

٨- يونس - ٨١

١- الاخلاص - ١

٣- الفرقان - ٢

٥- الواقعة - ٥٩

٧- الحجر - ١٦

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ»<sup>(١)</sup> وأيضاً يستعمل في إيجاد الشئ من الشئ نحو قوله تعالى: «خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ»<sup>١</sup>  
و: «خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْقَةٍ»<sup>(٢)</sup>

و: «خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ»<sup>(٣)</sup> وهكذا وعليه فالخلق على قسمين إبداعي وإيجادي والله تعالى خالق بالمعنيين كما عرفت من الآيات إلا أن الخلق الإبداعي لا يوجد في غيره وأما الإيجادي فقد يكون في غيره وإلى هذا الفصل أشير في الكتاب حيث قال: «أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ»<sup>(٤)</sup> أي أفمن يخلق الخلق بالإبداع كمن لا يخلق هكذا أي يخلق بالإيجاد أفلا تذكرون بالفرق بينهما وأن الأول يختص به تعالى دون الثاني وإلى ما ذكرناه من الفرق وأن الإيجادي يطلق على غيره أشار في الكتاب بقوله في عيسى: «وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي»<sup>(٥)</sup> هذا:

والحق أن الثاني أيضاً له تعالى واقعاً وإنما يتصف غيره به على سبيل المجاز من حيث السببية وهو ظاهر فإن الخالق بالخلق الإيجادي مخلوق له تعالى فمخلوقه أيضاً مخلوق له واقعاً إذا عرفت هذا فنقول:

المراد بقوله ﷻ: «وَالْخَالِقِ لَا بِمَعْنَى حَرَكَةٍ وَتَصَبٍّ» إشارة إلى كونه تعالى خالقاً بالإبداع وبعبارة أخرى أنه تعالى خلق الخلق بالخلق الإبداعي أعني إبداع الشئ من غير أصل واحتذاء وحيث إن الإبداع كما عرفت غير مشروط بمادة ومدّة فلا محالة ليست فيه حركة ولا نصب ضرورة أنهما من لوازم الجسم الذي لا يخلو عن مادة أبداً إن قلت: فعلى ما ذكرت في معنى الجملة من حملها على الخلق الإبداعي يلزم أن لا يكون خالقاً بالخلق الإيجادي مع أنه قد ثبت عقلاً ونقلًا كونه خالقاً على الإطلاق بمعنى أنه خالق سواء: قلت، ليس المراد أنه تعالى خالق بالإبداع فحسب إذ إثبات الشئ لا ينفي ما

١- النساء- ١

٣- المؤمنون- ١٢

٥- (المائدة/ ١١٠)

١- البقرة- ١١٧

٢- النحل، ٤

٤- النحل- ١٧



عداه بل المراد إثبات الخالقيّة له تعالى بالإبداع الذي لا يوجد في غيره مضافاً إلى أنّ الخالق بالإبداع يكون خالقاً بالإيجاد بطريق أولى فإنّ الإبداع هو الخلق لا من شيء والإيجاد هو الخلق من شيء والقادر عليه بالمعنى الأوّل قادر بالمعنى الثاني قطعاً مع أنّنا نقول الخلق الإيجادي من فروع الخلق الإبداعي وبسببه بمعنى أنّ الخالق فيه في الحقيقة هو الخالق المبدع فليس المخلوق خالقاً بالاستقلال بل يخلق ما يخلق بإذنه تعالى وإرادته وهو ظاهر أمّا أنّ الخلق الإبداعي ليست فيه حركة ونصب:

قال الخوئي رحمته ما هذا لفظه: لأنّ الحركة من عوارض الأجسام وهو منزّه عن الجسميّة كما لا حاجة في إيجاده إلى المباشرة والتّعمل حتّى يلحقه نصّب وتعب ﴿وَإِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾<sup>(١)</sup> انتهى

وبه قال المحقّق البحراني رحمته أيضاً وقد أخذ الخوئي منه وقال المعتزلي أيضاً ما يرجع إلى هذا المعنى فإنّه قال: والبارئ سبحانه ليس بجسم ولا يفعل بالآلة بل كونه قادراً إنّما هو لذاته المقدّسة لا لأمر زائد عليها فلم يكن فاعلاً بالحركة انتهى وأنا أقول: ما ذكروه في شرح الجملة لا يرجع إلى محصل:

وذلك لأنّ ما ذكروه لا دليل عليه بل الدليل قائم على خلافه ولا سيّما عند المتأخّرين من الفلاسفة الذين قالوا بثبوت الحركة الجوهرية تبعاً للصدر الشيرازي رحمته حيث إنّها أثبتتها بالأدلة العقلية والنقلية بما لا مزيد عليه في الأسفار وغيره من كتبه المدوّنة في هذا الفتن.

وعليه فالحركة من عوارض الجوهر بما هو هو وحيث إنّ الجسم من أقسام الجوهر فلا محالة تشمله القاعدة وتنتطبق عليه ونقول الحركة من عوارض الجسم فكون الحركة عارضاً إنّما هو لكونه من أقسام الجوهر لا بما هو هو وبعبارة أخرى إنّ تصاف الجسم بالحركة تبعي لا إستقلالي بمعنى أنّه لو لم يكن الجسم من أقسام الجوّهر لم يكن مُتصفاً بالحركة من هذه الجهة إلّا بدليل آخر

وحيث كان الأمر كذلك فالقول بأن الحركة من عوارض الأجسام لا يصح على إطلاقه بل حقّ العبارة أن يقال الجسم متّصف بالحركة دائماً والفرق واضح فإنّ لازم قول المحقّق: (الحركة من عوارض الأجسام) هو عدم وجود الحركة في غير الجسم كما هو المستفاد من العبارة نظير قولنا الأبعاد الثلاثة من لوازم الجسم، فإنّ معناه أنّها لا توجد في غيره وأما إذا قلنا كلّ جسم ذو أبعاد فمعناه أنّ الجسم كذلك وأما غير الجسم فالكلام لا يدلّ عليه إذا عرفت هذا فنقول: أليست المجرّدات كالعقول والنّفوس متّصفة بالحركة فعلى ما ذكره ﷺ ينبغي أن يقال (لا) لأنّها ليست من الأجسام والحركة من عوارض الأجسام فإذا إنتفت الجسميّة إنتفت الحركة قطعاً، وأما على ما ذكرناه وحققناه فالأمر ليس كذلك لعدم اختصاص الحركة بالأجسام وإذا كان الأمر على هذا المنوال فقوله ﷺ تبعاً للمحقّق البحراني لأنّ الحركة من عوارض الأجسام وهو تعالى منزّه عن الجسميّة لا محصل له وذلك لأنّ الله تعالى وإن كان منزّهاً إلا أنّه لا يوجب عدم إتصافه بالحركة لما ذكرناه من عدم إختصاصها بالأجسام وعليه فكلامه ﷺ من غير حركة ولا تعب، يدلّ على شيء آخر وحاصله أنّ الحركة في الموجود تدلّ على الحدوث بل الحركة نفس الحدوث إذ كلّ جزءٍ من أجزائها مسبوق بعدم السّابق ولا نعني بالحدوث إلاّ مسبوقيته بالعدم وهذا ممّا لا كلام فيه.

ثمّ إنّ الموجود المتّصف بها أيضاً يلزم أن يكون حادثاً فإنّ المعروف للحوادث لا يخلو عن الحدوث والتّغير وحيث إنّ الواجب تعالى قديم ذاتاً وصفة فلا يكون محلاً للحوادث التي منها الحركة فلا حركة فيه وهو المطلوب.

وثانياً: نقول إنّ الحركة في الموجود إنّما هي لأجل إيصاله إلى الكمال وهذا هو السرّ في كون الموجود متّصفاً بها ولازم ذلك أن يكون الموجود ناقصاً في حدّ ذاته إذ لو كان كاملاً من جميع الجّهات فلا حركة فيه لأنّها فيه من اللغو أو

من قبيل تحصيل الحاصل وحيث إن الواجب تعالى كامل من جميع الجهات فلا يتصف بالحركة وأما المخلوق فالأمر فيه بالعكس هذا كله في نفي الحركة عنه تعالى وأما قوله ﷺ ولا تعب فيه، فهو إشارة إلى بساطته تعالى وأنه منزّه عن الجسميّة ضرورة أن التعب والمشقة من لوازم الجسم الذي له أعضاء وجوارح وأما المجرّد عنها فلا:

والسير فيه هو أن المجرّد الكامل في التجرّد لا يكون محدّوداً بحد ذاتاً وصفة وإلا لا يكون مجرّداً واقعاً لأنّ المحدودية من لوازم التركيب وحيث إنه قد ثبت تجرّده تعالى فهو لا محالة غير محدّودٍ والتعب والمشقة يدلّان على محدودية القدرة فلو فرضنا وجود التعب فيه تعالى يلزم أن يكون محدّوداً في قدرته وكلّ محدودٍ متناهٍ وكلّ متناهٍ ممكنٌ فهو ممكن وقد فرضناه واجباً وهذا خلاف الفرض:

فقد ظهر ممّا ذكرناه أن خالق الأشياء وموجدّها لا حركة فيه ولا تعب في خلقه الأشياء بل إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون وهو المطلوب.

□ قوله ﷺ: وَالسَّمِيعِ لَا بِأَدَاةٍ، وَالْبَصِيرِ لَا بِتَفْرِيقِ آلَةٍ...

بعد ما أثبت ﷺ في الجملة السابقة كونه تعالى خالقاً للأشياء من غير حركة ولا تعب فيه لأنهما حادثان والله تعالى قديم فلا يكون محلاً للحوادث أشار ﷺ إلى بعض صفاته فقال ﷺ: وَالسَّمِيعِ إِلَى آخِرِ مَا قَالَ فَأَشَارَ ﷺ إِلَى كَوْنِهِ تعالى سميعاً وبصيراً وقد دلّ عليه العقل والنقل،

أما العقل فمن وجوه:

أحدها: أنه تعالى خلق السمع والبصر في الإنسان وقد ثبت أن معطي الشيء لا يكون فاقداً له فهو سميعٌ وبصيرٌ.

وثانيها: أن السمع والبصر من الكمالات بل أشرفها وأفضلها كما ثبت في محلّه وحيث إن الخالق لوجوب وجوده وإتصافه بجميع الكمالات لا يصح أن يكون فاقداً لهما وإلا يكون ناقصاً فهو سميعٌ وبصيرٌ.

وثالثها: أن العلة مُحِيطة بالمعلول ولا عكس ولازم الإحاطة الكلية هو الإِتِّصاف بهما وذلك لأنه لو كان المعلول سَمِيعاً وَبَصِيراً كما في المفروض وكانت العلة خالية عن الإِتِّصاف بهما فكيف يمكن لها الإحاطة بكل ما يقول به المعلول ويفعل فإنَّ العلة من حيث إنها سَمِيعٌ يَسْمَعُ الدَّعَوَاتِ والأقوال ومن حيث كونها بصيراً يرى أفعال المعلول وبذلك قد تَمَّت الإحاطة وهو المطلوب.

- وأما النقل: قال الله تعالى: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾<sup>(١)</sup>  
و: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾<sup>(٢)</sup>  
و: ﴿فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُدْبِرُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾<sup>(٣)</sup>  
و: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾<sup>(٤)</sup> وغيرها من الآيات:  
و: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً﴾<sup>(٥)</sup>  
و: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾<sup>(٦)</sup>  
و: ﴿إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾<sup>(٧)</sup>  
و: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ لَعَلِيمٌ﴾<sup>(٨)</sup>  
و: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ لَبَصِيرٌ﴾<sup>(٩)</sup>  
و: ﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ﴾<sup>(١٠)</sup> وغيرها من الآيات وأما السنة فكثيرة لا نحتاج إلى ذكرها بعد دلالة الآيات على المدعى فقد ثبت عقلاً ونقلاً كونه تعالى سَمِيعاً وَبَصِيراً وهذا ممَّا لا غبار عليه:  
ولمَّا كان السَمِيعُ فينا يحتاج إلى آلة يسمع بها وهي السمع والبصير أيضاً كذلك وهي البصر والواجب تعالى لا يسمع بالسمع ولا يبصر بالبصر فقال ﷺ  
والسمع لا بأداة والبصير لا بتفريق آلة وذلك لوجوه:

٢- البقرة - ١٣٧

٤- البقرة - ٢٤٤

٦- الفضل - ٤٠

٨- الحجرات - ١٨

١٠- الملك - ١٦

١- البقرة - ١٢٧

٣- البقرة - ١٨١

٥- الغافر - ٥٦

٧- الشورى - ٢٧

٩- الحديد - ٤

أحدتها: أن الله تعالى مجرد عن المادة ولو احقها فلا تركيب فيه فلا عضو له ولا جزء له المخلوق عن الخالق ومفارقته عنه أليس العقل والنقل يحكمان حكماً قطعياً بأن البيئونة والفصل في شيئين توجب عدم جواز صدور أحدهما عن الآخر والقرب المعنوي جوازه وحيث إن المفروض كونه خالقاً قاهراً والخالقية متفرعة على السنخية والعلاقة بينهما ولا نعني بالوصل إلا هذا فيلزم أن يكون الوصف مشعراً بالوصل وهو المطلوب هذا بالنسبة إلى الخالق وأما في المخلوق فالأمر أوضح إذ الوصول إلى مقام القرب لا يمكن له إلا بالعبودية وبالنتيجة الرجوع إليه والفناء فيه فإن لم يكن هذا وصلاً فما معنى الوصل في المقام ولو كان الأمر كما ذكره يلزم أن يكون المخلوق فارق وباين الخالق بسبب الخضوع له والرجوع إليه وهو كما ترى فإقض ما أنت قاض:

وعلى ما ذكرناه وحققناه فالمعنى أن الخالقية والقاهرية منه تعالى أوجبتا ربط الخالق بالمخلوق وإن شئت قلت: وصله به كما أن الخضوع منه أوجب إيصال المخلوق إلى مقام القرب والرجوع إليه أيضاً كذلك، ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ اِزْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مَّرْضِيَةً﴾<sup>(١)</sup> فإفهم وإغتم وأما على قول الراغب في المفردات في أحد تفسيريه من أن كلمة (بان) معناها ظهر بعد ما كان مستتراً فالمعنى أنه تعالى ظهر بالتجلي في الموجودات بعد كونه مستوراً قبل خلقه إياها كما يستفاد من الحديث وهذا الظهور كان بسبب القاهرية والقادرية إذ الخلق لا تحصل إلا بهما فظهوره لا محالة بهما وأما الأشياء الموجودة به تعالى فظهورها ووجودها في لباس المخلوقية إنما هو بسبب الخضوع له والرجوع إليه بالأخرة فإنهما للمخلوق تكويناً وقهراً وهو واضح هذا ما خطر ببالي في شرح كلامه ﷺ:

□ قوله ﷺ: مَنْ وَصَفَهُ فَقَدْ حَدَّهُ، وَمَنْ حَدَّهُ فَقَدْ عَدَّهُ، وَمَنْ عَدَّهُ فَقَدْ أَبْطَلَ أَزَلَّهُ...

أي من وصف الله تعالى بالصفات الزائدة على ذاته فقد حدّه وإنما فسّرناه كلامه ﷺ كذلك أعني فسّرنا الصّفة بالصفة الزائدة على ذاته لا مطلقاً لأنّ الصّفات هناك عين الذات والتي لا تليق به هي الصّفة الزائدة على ذاته وأمّا نفس الصّفة فهو ثابت له عقلاً ونقلاً وقد تكلمنا في هذا البحث بما لا مزيد عليه في شرح الخطبة الأولى عند قوله: وكمال الإخلاص له نفى الصّفات عنه الخ فلا نعيد الكلام بذكره ثانياً وذكرنا هناك أيضاً معنى الصّفة وكيفيتها في حقّه إن شئت فراجعه إذ لا شكّ أنّه تعالى مُتّصف بالعلم والقُدرة والحياة والإرادة وغيرها بصريح القرآن وإجماع العقلاء وهو ممّا لاخفاء فيه وأمّا الحدّ بحسب الإصطلاح على قسمين تامّ وناقص أمّا الحدّ التامّ فهو عبارة عن الحدّ الذي يذكر فيه الجنس القريب مع الفصل كذلك كقولنا: الإنسان حيوان ناطق فإنّ الحيوان جنس قريب للإنسان والناطق فصل قريب له والناقص بخلافه سواء كان التعريف بالفصل وحده أم كان مع الجنس البعيد فقولنا: الإنسان ناطق وقولنا: الإنسان جسم ناطق كلاهما يعدّان في الإصطلاح حدّاً ناقصاً إذا عرفت هذا فنقول:

قوله ﷺ: مَنْ وَصَفَهُ فَقَدْ حَدَّهُ مِنْ وَصَفِ اللَّهِ تَعَالَى بِصِفَةٍ زَائِدَةٍ عَلَى ذَاتِهِ كَمَا فِي غَيْرِهِ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ فَقَدْ حَدَّهُ بِذَلِكَ لِأَنَّ الْحَدَّ كَمَا مَرَّ مِنَّا مَرَاراً إِنَّمَا هُوَ لِبَيَانِ الْمَاهِيَةِ وَحَيْثُ لَا مَاهِيَةَ هُنَاكَ لِكُونِهَا تَسْتَلْزِمُ التَّرْكِيبَ الْمُسْتَحِيلَ فِي اللَّهِ تَعَالَى فَلَا حَدَّ لَهُ.

وإنما قلنا: إنّ الحدّ لبيان الماهية لأنّ الحدّ هو المعرفّ والمعرفّ على ما قيل في تعريفه هو الذي يوجب تعقل الشيء المعرفّ على وجه التفصيل كما قال السبزواري في المنظومة:

إِنَّ الْمَعْرِفَ الَّذِي قَادَ إِلَى تَعَقُّلِ الشَّيْءِ بِوَجْهِ فَضْلاً  
 مساوياً صدقاً يكون أوضحاً أَلَا تَرَى سُمِّيَ قَوْلًا شَارِحًا  
 ومعلوم أنّ تعقل الشيء تفصيلاً لا يكون إلا بعد بيان ماهيته وهذا هو

أحدهما: أن الله تعالى مجرد عن المادة ولو أحققها فلا تركيب فيه فلا عضوله ولا جزء له المخلوق عن الخالق ومفارقتة عنه أليس العقل والنقل يحكمان حكماً قطعياً بأن البيئونة والفصل في شيئين توجب عدم جواز صدور أحدهما عن الآخر والقرب المعنوي جوازه وحيث إن المفروض كونه خالقاً قاهراً والخالقية متفرعة على السُنخية والعلاقة بينهما ولا نعني بالوصل إلا هذا فيلزم أن يكون الوصف مشعراً بالوصل وهو المطلوب هذا بالنسبة إلى الخالق وأما في المخلوق فالأمر أوضح إذ الوصول إلى مقام القرب لا يمكن له إلا بالعبودية وبالنتيجة الرجوع إليه والفناء فيه فإن لم يكن هذا وصلاً فما معنى الوصل في المقام ولو كان الأمر كما ذكره يلزم أن يكون المخلوق فارق وباين الخالق بسبب الخضوع له والرجوع إليه وهو كما ترى فإقضى ما أنت قاض:

وعلى ما ذكرناه وحققناه فالمعنى أن الخالقية والقاهريّة منه تعالى أوجبنا ربط الخالق بالمخلوق وإن شئت قلت: وصله به كما أن الخضوع منه أوجب إيصال المخلوق إلى مقام القرب والرجوع إليه أيضاً كذلك، ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ اِرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مَّرْضِيَةً﴾<sup>(١)</sup> فافهم وإغتم وأما على قول الراغب في المفردات في أحد تفسيريه من أن كلمة (بان) معناها ظهر بعد ما كان مُستتراً فالمعنى أنه تعالى ظهر بالتجلي في الموجودات بعد كونه مسْتوراً قبل خلقه إياها كما يستفاد من الحديث وهذا الظهور كان بسبب القاهريّة والقادريّة إذ الخلق لا تحصل إلا بهما فظهوره لا محالة بهما وأما الأشياء الموجودة به تعالى فظهورها ووجودها في لباس المخلوقيّة إنما هو بسبب الخضوع له والرجوع إليه بالأخرة فإنهما للمخلوق تكويناً وقهراً وهو واضح هذا ما خطر ببالي في شرح كلامه ﷺ:

□ قوله ﷻ: مَنْ وَصَفَهُ فَقَدْ حَدَّهُ، وَمَنْ حَدَّهُ فَقَدْ عَدَّهُ، وَمَنْ عَدَّهُ فَقَدْ أَبْطَلَ أَرْزَلَهُ...

أي من وصف الله تعالى بالصفات الزائدة على ذاته فقد حدّه وإنما فسّرناه كلامه ﷺ كذلك أعني فسّرنا الصّفة بالصفة الزائدة على ذاته لا مطلقاً لأنّ الصّفات هناك عين الذات والتي لا تليق به هي الصّفة الزائدة على ذاته وأمّا نفس الصّفة فهو ثابت له عقلاً ونقلاً وقد تكلمنا في هذا البحث بما لا مزيد عليه في شرح الخطبة الأولى عند قوله: وكمال الإخلاص له نفى الصّفات عنه الخ فلا نعيد الكلام بذكره ثانياً وذكرنا هناك أيضاً معنى الصّفة وكيفيتها في حقّه إن شئت فراجعه إذ لا شك أنّه تعالى مُتّصف بالعلم والقُدرة والحياة والإرادة وغيرها بصريح القرآن وإجماع العقلاء وهو ممّا لاخفاء فيه وأمّا الحدّ بحسب الإصطلاح على قسمين تامّ وناقص أمّا الحدّ التام فهو عبارة عن الحدّ الذي يذكر فيه الجنس القريب مع الفصل كذلك كقولنا: الإنسان حيوان ناطق فإنّ الحيوان جنس قريب للإنسان والناطق فصل قريب له والناقص بخلافه سواء كان التعريف بالفصل وحده أم كان مع الجنس البعيد فقولنا: الإنسان ناطق وقولنا: الإنسان جسم ناطق كلاهما يعدّان في الإصطلاح حدّاً ناقصاً إذا عرفت هذا فنقول:

قوله ﷺ: مَنْ وَصَفَهُ فَقَدْ حَدَّهُ معناه من وصف الله تعالى بصفة زائدة على ذاته كما في غيره من المخلوقات فقد حدّه بذلك لأنّ الحدّ كما مرّ منا مراراً إنّما هو لبيان ماهية وحيث لا ماهية هناك لكونها تستلزم التركيب المُستحيل في الله تعالى فلا حدّ له.

وإنما قلنا: إنّ الحدّ لبيان الماهية لأنّ الحدّ هو المعرّف والمعرّف على ما قيل في تعريفه هو الذي يوجب تعقل الشئ المعرّف على وجه التفصيل كما قال السبزواري في المنظومة:

إِنَّ الْمَعْرَفَ الَّذِي قَادَ إِلَى تَعْقُلِ الشَّيْءِ بِوَجْهِ فَضْلاً

مساوياً صدقاً يكون أوضحاً أَلَا تَرَى سُمِّيَ قَوْلًا شَارِحًا

ومعلوم أنّ تعقل الشئ تفصيلاً لا يكون إلا بعد بيان ماهيته وهذا هو



المراد بأنَّ التعريف لبيان ماهية وعليه فإن كان المُعرِّف مُوجِباً لبيان الماهية تفصيلاً فهو الحدّ التام وإن كان إجمالاً فهو الحدّ الناقص وعلى الحالين يلزم أن تكون هناك ماهية وإلا فالتعريف ليس بحدّ هذا:

وأما وجه الإستحالة فظاهر فإنَّ الشئ المركّب من الوجود والماهية لا يخلو عن الإحتياج ضرورة أن الأجزاء في المركّب يحتاج أحدها إلى الآخر وإلا لا يوجد التّركيب وهذا هو المراد بقولنا، فثبت أن لا حدّ له وبذلك قد عرفت أن الحدّ الذي يستحيل في حقّه هو الحدّ المُصطلح الذي مرّ ذكره وأما الحدّ اللغوي أعني تعريف الشئ بالصفات والآثار فلا إستحالة فيه بل هو ممّا لا بدّ منه كما يقال: الله تعالى هو الذات المُستجمع لجميع الصفات الكمالية أو يقال إن الله تعالى هو العالم القادر المُريد المُتكلّم وأمثال ذلك إذ لولا هذا القدر من التعريف يلزم أن لا يُعرف الواجب أصلاً كيف وقد وصف الله ذاته الشريفة في الكتاب في موارد كثيرة بالعلم والقدرة والإرادة وغيرها من الصفات وقد فصلنا الكلام فيه في الخطبة الأولى بما لا مزيد عليه:

وأما قوله ﷻ: وَمَنْ حَدَّهُ فَقَدْ عَدَّهُ معناه أن تحديده بالحدّ المُصطلح الذي هو لبيان الماهية يوجب تعدّده أي عدّه من المعدودات وحيث إنّه لا يكون من المعدود فلا حدّ له:

وتوضيحه على ما فهمناه هو أن الحدّ تاماً كان أو ناقصاً يوجب تضيق دائرة المحدود وجوداً وماهيةً وتمييزها عن غيرها من الماهيات المشتركة لها في أصل الماهية من حيث هي مثلاً إذا قلنا: إن الإنسان حيوان ناطق أثبتنا بذلك إمتياز الإنسان عن سائر الموجودات المُشتركة له في التّركيب عنهما ولهذا قيل يشترط في التعاريف كونها أجلى وأوضح من المُعرِّف لا مساوياً له فضلاً عن كونها أخفى والوجه فيه هو أن المُعرِّف المساوي والأخفى لا يُفيدان ما ذكرناه وهو واضح إذا عرفت فقوله ﷻ: وَمَنْ حَدَّهُ فَقَدْ عَدَّهُ له وجوه من الإحتمال:

أحدها: أن يكون المراد أن تحديده بالحدّ يوجب تضيق دائرة وجوده ذاتاً

وصفةً والمفروض أن وجوده غير متناهٍ وذلك لأنَّ التَّحديد أي جعل الشَّيْ  
مَحْدُوداً بِمَحْدُودٍ مُعَيَّنَةٍ هُوَ التُّضْيِيقُ فِي وِجُودِهِ لَا غَيْرَ:

وثانيها: أنَّ التَّحديدَ يوجب إدخاله في المَحْدُودين وكلَّ محدودٍ معدودٍ لا  
محالة:

وثالثها: أنَّ التَّحديدَ الإِصْطِلَاحِي ليس إلاَّ تعريفَ الشَّيْ بِالْجِنْسِ وَالْفِصْلِ أَوْ  
بِالْفِصْلِ فَقَطْ سِوَاءَ كَانَ الْفِصْلُ مَعَ الْجِنْسِ الْبَعِيدِ أَمْ كَانَ وَحْدَهُ وَحَيْثُ إِنَّ الْحَدَّ  
الْتَامَ هُوَ الْأَوَّلُ فَيَلْزَمُ أَنْ يَكُونَ مُرَكَّباً مِنْ جِزْيَيْنِ أَحَدُهُمَا الْجِنْسُ وَالْآخَرُ الْفِصْلُ  
وَهَذَا هُوَ التَّعْدِيدُ بَعِينُهُ:

ورابعها: أنَّ يَكُونُ الْمَرَادُ أَنَّ تَحْدِيدَهُ بِالْحُدُودِ الْإِمْكَانِيَّةِ يَسْتَلْزِمُ عَدَّهُ مِنْ  
الْمُمْكِنَاتِ وَهُوَ أَيْضاً ظَاهِرٌ.

قوله ﷺ: وَمَنْ عَدَّهُ فَقَدْ أَبْطَلَ أَرْزَلَهُ، أَي مَنْ عَدَّ اللَّهَ تَعَالَى فَقَدْ أَبْطَلَ بِذَلِكَ  
أَرْزَلِيَّتَهُ لِأَنَّ الْأَرْزَلَ مَا لَا أَوَّلَ لَهُ وَكُلُّ مَعْدُودٍ لَهُ أَوَّلٌ وَمَبْدَأٌ يَكُونُ الْمَعْدُودُ يَنْشَأُ مِنْهُ  
وَهُوَ يَنْفِي الْأَرْزَلِيَّةَ:

أَوْ نَقُولُ: كُلُّ مَعْدُودٍ فَهُوَ حَادِثٌ لِكَوْنِهِ مَسْبُوقاً بِالْعَدَمِ وَالْحَادِثُ لَا يَكُونُ  
أَرْزَلِيّاً فَيَلْزَمُ كَوْنَهُ غَيْرَ أَرْزَلِيٍّ وَفِي الْمَقَامِ إِحْتِمَالٌ آخَرَ وَهُوَ أَنَّ الْوَصْفَ الزَّائِدَ عَلَى  
الذَّاتِ حَادِثٌ لَا مُحَالَةٌ وَحُدُوثُ الصِّفَةِ يَسْتَلْزِمُ حُدُوثَ الذَّاتِ وَالْمَفْرُوضُ  
خِلَافَهُ فَإِنَّ الْحَادِثَ غَيْرَ أَرْزَلِيٍّ أَوْ أَنَّ عَدَّهُ مِنَ الْمُمْكِنَاتِ يَسْتَلْزِمُ أَنْ لَا يَكُونُ  
أَرْزَلِيّاً وَالْكُلُّ مُحْتَمَلٌ وَالْحَامِعُ فِي هَذِهِ الْفَقْرَاتِ هُوَ أَنَّهُ تَعَالَى مُنَزَّهٌ عَمَّا يَجْرِي  
عَلَى غَيْرِهِ مِنَ الْمُمْكِنَاتِ مِنَ الصِّفَاتِ الزَّائِدَةِ الْمُوجِبَةِ لِهَذِهِ التَّوَالِي الْفَاسِدَةِ  
فَالصِّفَاتُ فِيهِ عَيْنُ ذَاتِهِ وَالْفَرْقُ بَيْنَ الصِّفَاتِ وَالْمَوْصُوفِ إِنَّمَا هُوَ فِي الْمَفْهُومِ  
لَا فِي الْمَصْدَاقِ فَهِيَ هُنَاكَ عَيْنُ الْمَوْصُوفِ مُصَدِّقاً وَغَيْرُهُ مَفْهُوماً لَا أَنَّهُ لَا صِفَةَ  
هُنَاكَ أَصْلاً كَمَا تَوَهَّمَهُ بَعْضُ الْجَهَّالِ:

□ قَوْلُهُ ﷺ: وَمَنْ قَالَ كَيْفَ؟ فَقَدْ اسْتَوْصَفَهُ...

أَي مَنْ قَالَ كَيْفَ يَكُونُ اللَّهُ فَقَدْ طَلَبَ فِي قَوْلِهِ هَذَا تَوْصِيْفَهُ الزَّائِدَ عَلَى ذَاتِهِ

المفيد للتركيب المَوْجِب للإحتياج الملازم للإمكان كما شرحناه في قوله ﷺ:  
 مَنْ وَصَفَهُ فَقَدْ حَدَّهُ، والوجه فيه هو أن الكيف من الأعراض التَّسْعَة وإذا ثبت له  
 تعالى الكيف فقد ثبت أنه مَعْرُوض له أي للكيف بحسب الذات والكَيْفِيَّة  
 عارضة له ومن المعلوم أن كلَّ عَرَضِي مُعَلَّلٌ فَإِنَّ العَرَضَ يَحْتَاجُ إِلَى مَعْرُوضِهِ  
 فِي بَقَائِهِ وَدَوَامِ وَجُودِهِ وَكُلُّ مُحْتَاجٍ مُمَكِّنٌ وَكُلُّ مُمَكِّنٍ يَحْتَاجُ فِي خُرُوجِهِ عَنِ  
 حَدِّ الإِسْتِوَاءِ إِلَى العِلَّةِ المَخْرُجَةِ إِيَّاهُ وَهَذَا المَعْنَى يَنَافِي الوَاجِبِيَّةَ وَعَلَيْهِ فَلازِمُ  
 الكيف فِي الوَاجِبِ خُرُوجُهُ عَنِ كَوْنِهِ وَاجِباً وَدُخُولُهُ فِي سِلْسِلَةِ المُمَكِّنَاتِ  
 وَهُوَ كَمَا تَرَى هَذَا كُلَّهُ مُضَافاً إِلَى أَنَّ اللهَ تَعَالَى خَالِقُ الكيفِ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ فُلُو  
 كَانَ مُتَّصِفاً بِهِ يَلْزَمُ كَوْنَ الكيفِ قَدِيماً كَسَائِرِ صِفَاتِهِ وَقَدْ ثَبِتَ حَدُوثُهُ:

بيان ذلك أن الكيف من الأعراض وهي من أقسام المُمكن فإنَّ المُمكن  
 يَنْقَسِمُ إِلَى الجَوْهَرِ والعَرَضِ وَكُلُّ مُمَكِّنٍ مُخْلُوقٌ وَكُلُّ مُخْلُوقٍ حَادِثٌ فَالكيفُ  
 حَادِثٌ وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِنَا قَدْ ثَبِتَ حَدُوثُهُ وَظَاهِرٌ أَنَّ الوَاجِبَ القَدِيمَ لا يَتَّصِفُ  
 بِالْحَدُوثِ فَإِنَّهُمَا مِمَّا لا يَجْتَمِعَانِ أَصْلاً لِأَنَّ القَدِيمَ غَيْرُ مُسْبِقٍ بِالْعَدَمِ وَالْعِلَّةُ  
 وَالْحَادِثُ مُسْبِقٌ بِهِمَا وَسَبِقَ العِلَّةُ وَالْعَدَمُ وَعَدَمُ السَّبِقِ مُتَنَاقِضَانِ فَكَيْفَ  
 يُمْكِنُ إِجْتِمَاعُهُمَا فِي مَوْرِدٍ وَاحِدٍ فَثَبِتَ أَنَّ اللهَ تَعَالَى لا يَتَّصِفُ بِالكيفِ وَغَيْرِهِ  
 مِنَ الأَعْرَاضِ وَهُوَ المَطْلُوبُ:

□ قَوْلُهُ ﷺ: وَمَنْ قَالَ أَيْنَ؟ فَقَدْ حَيَّزَهُ...

كَلِمَةُ (أَيْنَ) يُسْئَلُ بِهَا عَنِ المَكَانِ وَهِيَ أَيْضاً مِنَ الأَعْرَاضِ وَكَمَا أَنَّهُ تَعَالَى  
 مُنَزَّهٌ عَنِ الزَّمَانِ فَكَذَلِكَ عَنِ المَكَانِ وَهُوَ أَعْنِي المَكَانَ لَيْسَ إِلاَّ حَيَّزاً مُخْصِوفاً  
 وَالَّذِي فِي المَكَانِ هُوَ المُتَحَيِّزُ فَإِذَا قِيلَ مِثْلاً أَيْنَ اللهُ تَعَالَى فَقَدْ سُئِلَ عَنِ مَكَانِهِ  
 وَحَيَّزَهُ الَّذِي تَحَيَّزَ فِيهِ وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ ﷺ: وَمَنْ قَالَ أَيْنَ؟ فَقَدْ حَيَّزَهُ وَجِهَ المَنْعِ  
 هُوَ أَنَّ المُتَحَيِّزَ مُحْتَاجٌ إِلَى حَيَّزِهِ الَّذِي تَحَيَّزَ فِيهِ وَكُلُّ مُحْتَاجٍ مُمَكِّنٌ فَهُوَ مُمَكِّنٌ  
 وَقَدْ فَرَضْنَاهُ وَاجِباً.

وَقَانِيَا: أَنَّ المُتَحَيِّزَ الوَاقِعَ فِي المَكَانِ مَحْدُودٌ بِحُدُودِهِ وَكُلُّ مَحْدُودٍ مُمَكِّنٌ

فإنَّ الواجب ليس بمحدودٍ والممكن محدود لكونه معلولاً واقعاً في الزمان  
والمكان في غير المُجرّدات وأما فيها فالمعلوليّة تكفي في محدوديّتها وقد  
ثبت أنّ الواجب غير محدود ولازم ذلك كونه متنزّهاً عن المكان وهو  
المطلوب.

□ قوله ﷺ: وَعَالِمٌ إِذْ لَا مَعْلُومَ، وَرَبٌّ إِذْ لَا مَرْبُوبَ، وَقَادِرٌ إِذْ لَا مَقْدُورَ...

أي هو عالم هكذا والمعنى أنّ الله تعالى كان عالماً بالشيء والذي يتعلّق  
العلم به قبل وجود المعلوم وكان متّصفاً بالربوبية قبل وجود المرئوب وكان  
قادراً على كلّ شيء قبل وجود المقدور وفي المقام إشكالٌ ظاهراً.

توضيحه هو أنّ العلم والربوبية والقدرة من صفات الله تعالى وقد ثبت  
كونها من الأمور الإضافية بمعنى أنّ صدق العالم على الموجود يتوقف على  
وجود المعلوم فإذا لم يكن المعلوم فبأيّ شيء يتعلّق العلم أليس العلم عبارة  
عن تعلّق الإدراك بالشيء وبعبارة أخرى العلم علمان حصولي وحضوري  
والأول حصول الصورة الحاصلة من الشيء عند العقل والثاني حضور المدرك  
بفتح الرّاء لدى المدرك بكسرها والإضافة أعني تعلّق الإدراك بالمدرك في  
العلمين ممّا لا بدّ منها وهكذا الكلام في غيره من القدرة والرّزق والضرب  
وأمثالها:

فالمشتقّات نحو ضارب وعالم وقادر ورّازق وأمثالها حيث إنّ الفعل فيها  
أسند إلى ذواتها فصار المعنى في الضارب مثلاً من قام به الضرب وفي العالم  
من قام به العلم وفي القادر من قام به القدرة وهكذا ومعلوم أنّ من قام به  
الضرب يحتاج في ثبوت الضرب له إلى من يقع عليه الضرب وإلا كيف يصحّ  
إطلاق الضارب على زيد مثلاً والمفروض أنّه لم يوجد الضرب أصلاً أو كيف  
يصحّ إطلاق القادر على شخص مثلاً مع عدم وجود المقدور وهذا هو أصل  
الإشكال في المقام الذي تحيّر فيه عقول الرّجال وذلك لأنّهم رأوا إطلاق  
العالم والقادر والرّازق وأمثالها من الصّفات الإضافية قبل وجود المعلوم

والمقدور والمرزوق على الله تعالى:

فمنهم: من أنكر صحة إطلاق الصفات عليه تعالى قبل وجود المضاف إليه على سبيل الحقيقة وقال: إنه على طريق المجاز ولا شك أن باب المجاز واسع. ومنهم: من قال إن صحة الإطلاق من جهة كون المضاف إليه فيها مُحَقَّق الوقوع وقد ثبت أن الوجود الإستقبالي إذا كان مُحَقَّقاً فهو في حكم الماضي فكأنه وُجِدَ فيما مضى وما نحن فيه من هذا القبيل فَصَحَّ إطلاقها عليه قبل وجود الممكنات من هذه الجهة.

ومنهم: من قال بإتصافه تعالى بها قبل وجودها إجمالاً وبعد الوجود تفصيلاً فهو كان عالماً بالمعلوم قبل وجود المعلوم على سبيل الإجمال وبعده على التفصيل وهكذا في غير العلم.

ومنهم: من فرَّق بين المقامين بالقوَّة والفِعْلِيَّة فقال إتصافه بها قبل وجود المضاف إليه بالقوَّة وبعده بالفعل وغير ذلك من الأقوال والإحتمالات الكاسدة الفاسدة.

ومنهم: وقال الخوئي رحمته الله أما أنه كان عالماً بالأشياء ولا مَعلوم فلأنَّ علمه عين ذاته وتقدَّم ذاته على معلوماته الحادثة ظاهر ولا يتوقَّف وجوده على وجود المعلوم كما مرَّ تحقيقه في شرح الفصل السابع من الخطبة الأولى عند تحقيق قوله عليه السلام عالماً بها قبل ابتدائها فليتذكر انتهى.

ومنهم: وقال المحقق البحراني رحمته الله عند شرحه لهذا الكلام: وعلمت أن الإشارة بإذ إلى إعتبار تقدُّمه بذاته على معلوماته ومعلولاته وظاهر عند ذلك الإعتبار أنه لا مَعلوم في الوجود سوى ذاته لذاته ولا مرئوب ولا مقدور موجود هناك بل هي واجبة التأخر عن ذلك الإعتبار سواء كانت بعد ذلك مُحدثة كما عليه المتكلمون أو بعضها كما عليه الأوائل انتهى.

وأما الشارح المعتزلي فهو بمعزلٍ عن هذا البحث وأمثاله إذ الخوض في هذه المُعضلات من شأن الحكيم والعارف بالحقائق دون المورخ العالم بالأنساب وهو ظاهر.

وأنا أقول: أمّا الأقوال التي صَدَرنا الكلام بها فلا كلام لنا فيها في المقام وذلك لأنها مُجرّد الدَّعوى ولم يدل دليل عليها مضافاً إلى كونها مخالفة للقواعد الفلسفية ومنافية لأدلة التوحيد وللکلام فيها مقام آخر ونحن قد تكلمنا فيها في أبحاثنا العقلية وأثبتنا بطلانها بما لا مزيد عليه.

وأما الخوئي رحمته فقد ذكر أن علمه مقدّم على معلومه بدليل تقدّم ذاته والعلم عين الذات فلا محالة يكون العلم أيضاً مقدّماً وهكذا الكلام في أخويه أعني الربوبية والقدرة وهذا ممّا لا كلام فيه وإتّما البحث في كيفية تقدّم العلم والقدرة على المعلوم والمقدور فإنّ مُجرّد كون العلم الذي هو عين ذاته مقدّماً على المعلوم لا يفيدنا التصديق به ما لم يعضده الدليل العقلي.

وبعبارة أخرى: لقائل أن يقول: العلم الذي هو عين ذاته هو علمه بذاته ولا بحث لنا فيه وأمّا علمه بالأشياء الحادثة المتأخّرة عن مقام الذات فهو شيء آخر يحتاج إلى إثبات كونه أيضاً عين ذاته وهو بعينه العلم بمعلولاته وأتّى لكم بإثبات ذلك أليس العلم بالحوادث المتأخّرة عن مقام الذات المتغيرة بنفسها يستدعي كون الذات محلاً للحوادث وهو ينافي الواجبية وعبارة أخرى القديم لا يكون محلاً ومعرّوضاً للحوادث وغير ذلك من الإشكالات العويصة. والعجب من المحقّق البحراني رحمته حيث قال بما قال وأظنّ أن الخوئي رحمته أخذه منه كما هو دأبه في شرحه عند المباحث العقلية فهو فيها من تابعيه ومقلّديه ويكفيه الدليل الإجمالي وهو قول المشهور: هذا ما أفتى به المفتي وكلّ ما أفتى به المفتي فهو حكم الله (وفي المقام حكم العقل) في حقّي فهذا حكم العقل في حقّي ولا بأس به فإنّه دأب أكثر المؤلّفين والمصنّفين.

ووجه التعجب هو أن قول المحقّق لا يفيد في المقام وذلك لأنّ الكلام في كونه تعالى عالماً بالأشياء قبل وجودها وقادراً وربّاً كذلك وأيُّ ربطٍ له بما ذكره من أنّه لا معلوم هناك ولا مقدور وهو ممّا لا بحث لنا فيه وعبارة أخرى البحث في كيفية علمه تعالى وقدرته بالمعلوم والمقدور قبل وجودهما لا في

كون تأخرهما عن ذاته فإن هذا ممّا لا شك فيه.

**وأما قوله:** وعلمت أن الإشارة بإذ إلى إعتبار تقدّمه بذاته على معلوماته ومعلولاته فهو يدل على تقدّم الذات وأما أنه كان عالماً بها قبل وجودها فهو شيء آخر يحتاج إلى الإثبات هذا أولاً:

وثانياً إن إعتبار تقدّم الذات على معلوماته ومعلولاته لا نفهم معناه بل هو في حيز المنع بالنسبة إلى المعلوم وذلك لأن تقدّم الذات على المعلوم إنما يصح في العلوم الكسبية الحسولية كما في علومنا وأما العلم الحسوري الواجبي الذي هو عين الذات كما هو المفروض فالتقدّم لا معنى له اللهم إلا أن يقال إن مراده بالمعلوم هو المعلول وحينئذ فهو خارج عن مورد البحث. وحاصل الكلام هو أن ما ذكره في شرح كلامه عليه السلام لا يُسمن ولا يُغني بل هو ممّا يزيد في المرص.

والذي يوافق التحقيق ويُساعده الدليل هو أنه لا شك في أن علمه تعالى بالأشياء حضورّي بمعنى حضور المدرك والمعلوم لدى المدرك والعالم لا أنه حصولي بمعنى تحصيله بالموجودات الخارجيّة وبعبارة أخرى العلم على ضربين حضورّي وحصولي:

والأول لا يحتاج إلى الصورة الحاصلة من الشيء عند العقل والثاني يحتاج إليه والأول عين الذات والثاني زائد عليه وحيث إن الحصولي يحصل من الصورة الحاصلة فلا محالة يلزم أن تكون الصورة حاصلة موجودة قبل وجود العلم وهذا يقتضي تأخر العلم عن المعلوم وجوداً وهو ظاهر ففي هذا النوع من العلم لا يمكن أن يقال إنه عالم قبل وجود المعلوم بل هو عالم بعد وجوده فلا محالة هذا العلم يكون حادثاً أينما وجد ضرورة كونه مسبوقاً بالعدم ومعلولاً للغير أعني الصورة الحاصلة فهو حادث زماناً وذاتاً وعلمنا بالموجودات الخارجيّة من هذا القبيل:

وأما علم الواجب بالأشياء فليس كذلك بل هو حضورّي أي حضور

الأشياء لديه حُضور المعلول عند العلة وحيث إن الأشياء كلها معلولة لذاته  
والمعلول حاضر عند الذات دائماً فَعِلْمُه تعالَى بذاته هو العلم بمعلولاته لأن  
العلم بالعلّة هو بالمعلول تَفْصِيلاً وقد ثبت أن ذاته كانت قبل المعلولات كما  
هو شأن العلة فَعِلْمُه أيضاً كذلك وهو المطلوب وهكذا سائر الصفات إذ  
المفروض كونها عين الذات فتقدم الذات يستدعي تقدّمها أيضاً.

ثم إن هذا الكلام منه ﷺ رَدُّ عَلَى بعض الفلاسفة حيث زعم أن علم  
الواجب بالأشياء حُصُولِي لا حُضُورِي وأن صور الأشياء كانت مُرْتَسِمة في  
ذاته تعالَى قبل وجودها فهو كان عالماً قبل وجودها بصورها العقلية المُرْتَسِمة  
في ذاته لا بوجودها الخارجي وحيث إن الصُور لها فالعلم بها هو العلم بها  
ولازم ذلك هو ثبوت العلم الإجمالي قبل وجودها والتفصيلي بعده:

وأول من تَقَوَّل بهذا القول وإخثاره لنفسه في بحث العلم هو الشيخ الرئيس  
(ابن سينا) في كُتُبِه العقلية وأقام عليه البراهين القاطعة بزعمه وظنه ولم يعلم  
أنه أوهن البُيُوت وهو فاسد من رأسه لا يساعده العقل والنقل وتبعه عليه غير  
واحد من تلامذته ومقلديه الذين لم يَقْدِرُوا عَلَى فَكِّ أعناقهم عن رِبْقَةِ التَّقْلِيدِ  
ولم يعلموا أن التَّقْلِيدِ فِي العَقْلِيَّاتِ دليل على ضَعْفِ العَقْلِ وَقِلَّةِ التَّدَبُّرِ وقد رَدَّ  
عليه المحقق الطُّوسِي ﷺ فِي شَرْحِهِ لكلامه وبعده الصِّدْرُ الشِّيرَازِي ﷺ  
وغيرهما من المتأخرين ونحن أيضاً قد تَكَلَّمْنَا فِيهِ بما لا مزيد عليه في أبحاثنا  
العقلية وأشرنا إلى وجوه الفساد فيه وللبحث فيه مقام آخر وحيث إننا تَكَلَّمْنَا  
في بحث العلم وغيره من الصفات في شرح الخُطْبَةِ الأُولَى فلا نطول الكلام  
في المقام بقي في المقام شئ وهو أن هذه الصفات أعني العلم والقدرة  
وغيرهما من حيث إنها ذوات الإضافات فإن العلم يستدعي المعلوم والقدرة  
المقدور وهكذا والمفروض أن المعلوم والمقدور وهكذا لم يكن لها وجود  
هناك بل وجودها هو وجود الذات على ما قلت فكيف يصح إطلاقها عليه  
والجواب قد علم مما ذكرناه وحقَّقناه مضافاً إلى أن الإضافة ليست في المقام



إلا الإضافة الإِشْرَاقِيَّة التي تحصل بنفس الإضافة الإِشْرَاقِيَّة لا يشترط فيها وجود المُضَاف إليه قبل وجود المضاف وما نحن من هذا القبيل فتأمل في المَقَام.

□ قوله ﷺ: مِنْهَا قَدْ طَلَعَ طَالِعٌ، وَوَلَمِعَ لَامِعٌ...

المشهور أن هذا الفصل من الخطبة إنما صدر عنه بعد قتل عثمان حين أفضت الخلافة إليه ﷺ.

قال الشارح المُعْتزلي بعد تصريحه بما ذكرناه ما هذا لفظه: قد طَلَعَ طَالِعٌ يعني عود الخلافة إليه وكذلك قوله وَلَمِعَ لَامِعٌ وِلاخَ لائِحٌ كل هذا يراد به معنى واحد وإعتدَل مائل إشارة إلى ما كانت الأمور عليه من الإِعْجَاج في أواخر أيام عثمان وإستبدل الله بعثمان وشيعته علياً وشيعته وبأيام ذاك أيام هذا انتهى.

وقال الخوئي رحمه الله يحتمل أن يكون المراد بالجملات الثلاث واحداً أي طَلَعَ شمس الخلافة من مَطَلَعِهَا وَسَطَعَ أنوار الإمامة من منارها وظَهَرَ كوكب الولاية من أفضه وأن يكون المراد بالاولى ظَهَرَ خِلافتَه وأمارته، وبالثانية ظهورها من حيث هي حَقٌّ له وَسَطَوْع أنوار العدل بصيرورتها إليه وبالثالثة ظَهَرَ الحُروب والفتن الواقعة بعد إنتقال الأمر إليه انتهى ما أخذه عن البحراني رحمه الله.

وأنا أقول: ما ذكروه لا بأس به فإنهم فهموا من كلامه ما نقلناه عنهم وعندى فى المَقَام إحتمال آخر وهو أن قوله ﷺ: قد (طَلَعَ طَالِعٌ) إشارة إلى خلافة أبي بكر بعد الرُّشُول و(لَمِعَ لَامِعٌ) إشارة إلى خلافة عمر (وِلاخَ لائِحٌ) إشارة إلى خلافة عثمان و(إعتدَل مائل) إشارة إلى خلافته بعد قتل عثمان وهذا أيضاً ممّا لا بأس به لو لم يكن من الإحتمال القريب بالقَطْع.

وإنما عبّر عن الأوّل بقوله ﷺ: قد طَلَعَ طَالِعٌ لأنّ أبابكر كان أوّل الثلاثة وطلّيعه الجيش أوّل مَنْ يَطَّلِعُ قال الله تعالى: ﴿وَوَجَدَهَا تَطَّلِعُ عَلَى قَوْمٍ﴾<sup>(١)</sup> وعنه أستعير طلع علينا فلان وإطَّلِعَ وحيث إنّ أبابكر أولهم فهو كالطلّيعه للجيش

وفي قوله عليه السلام: (طالع) إشارة إلى عدم كون الخلافة له معهوداً من الله ورسوله إذ لو كان كذلك لينبغي أن يقول قد طلع الطالع بذكر الألف واللام الدالة على العهد وحيث لم يكن كذلك وَنَكَرَ عليه السلام الطالع وقال طالعُ ألا ترى أنك إذا قلت جاءني الرجل أو طلع الرجل أردت به الرجل المعروف والمعهود وإذا قلت جئتني رجل أو طلع رجل أردت عدم معهوديته ومعروفيته فكأنه قال عليه السلام طلع أي تصدئ للخلافة بعد رسول الله طالع لا نعرفه بهذا المقام فالتنكير تحقير له. **وعبر عن الثاني أعني عمر ابن الخطاب بقوله عليه السلام: لَمَعَ لَامِعٌ لَأَنَّ اللَّمْعَانَ مِنْ لَوَازِمِ الْبَرْقِ وَتَوَابِعِهِ يُقَالُ لَمَعَ الْبَرْقُ لَمَعًا وَلَمْعَانًا أَي أَضَاءَ وَالتَّمَعُ، وَعَلَيْهِ فَقَوْلُهُ عليه السلام إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ خِلَافَةَ عُمَرَ بَعْدَ أَبِي بَكْرٍ كَانَتْ مِنْ لَوَازِمِ خِلَافَتِهِ بِحَيْثُ لَا يَكَادُ إِفْصَالُهَا عَنْهَا إِلَّا تَرَى أَنَّ أَبِي بَكْرٍ أَفْضَى الْخِلَافَةَ إِلَى عُمَرَ بِغَيْرِ مَشُورَةٍ مِنَ النَّاسِ وَلَيْسَ هَذَا إِلَّا لِأَجْلِ تَوَافُقِهِمَا وَتَعَاقُدِهِمَا عَلَى ذَلِكَ وَهَذَا مِمَّا لَا يُنْكَرُهُ إِلَّا مُعَانِدٌ فَالْخِلَافَةُ فِيهِمَا كَالتَّابِعِ وَالمَتَّبِعِ وَالمَلْزُومِ وَالمَلْزُومِ وَأَمَّا الكَلَامُ فِي تَنْكِيرِهِ حَيْثُ قَالَ لَامِعٌ وَلَمْ يَقُلِ اللَّمْعَانَ فَلَمَّا ذَكَرْنَاهُ.**

**وعبر عن الثالث بقوله عليه السلام: وَلاَحَ لَاحٍ إِمَّا لِأَنَّ عُثْمَانَ قَدْ ظَهَرَ عَنِ الشُّورَى يُقَالُ لَاحَ النُّجْمُ إِذَا ظَهَرَ وَإِمَّا لِأَنَّ عُمَرَ قَدْ أَشَارَ إِلَى عُثْمَانَ ضِمْنًا وَإِنْ لَمْ يُصْرَحْ بِهِ وَذَلِكَ لِأَنَّهُ فَوَّضَ الْأَمْرَ إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ وَهُوَ صَهْرُهُ يُقَالُ أَلَاخَ بَسَيْفِهِ أَي أَشَارَ بِهِ،**

**وَإِمَّا لِأَنَّ عُثْمَانَ قَدْ غَيَّرَ السُّنَّةَ فَلِذَلِكَ عَبَّرَ عليه السلام عَنْهُ بِهِ يُقَالُ لَاحَتْهُ الشَّمْسُ أَي غَيَّرَتْهُ وَعَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ فَطَلَعَ أَبُو بَكْرٍ لِلْخِلَافَةِ وَلَمَعَ عُمَرُ بَعْدَهُ وَلاَحَ عُثْمَانُ بَعْدَهُمَا وَفِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ أَبِي بَكْرٍ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى عَدَمِ نَصْبِ عُمَرَ لِلْخِلَافَةِ كَمَا أَنَّ الْبَرْقَ لَا يَقْدِرُ عَلَى عَدَمِ اللَّمْعَانَ لِكُونِهِمَا مُتَلَازِمِينَ وَلَيْسَ كَذَلِكَ بِالنِّسْبَةِ إِلَى عُثْمَانَ وَفِيهِ سُرٌّ دَقِيقٌ فَافْهَمِهِ إِنْ كُنْتَ مِنْ أَهْلِهِ.**

**وعبر عن الرابع وهو خلافته عليه السلام بعد قتل عثمان بقوله: وَإِعْتَدَلْ مَائِلٌ لِأَنَّ أَمْرَ الْخِلَافَةِ وَالدِّينِ قَدْ إِسْتَقَامَ بَعْدَ إِعْوَجَاجِهِ وَإِضْطِرَابِهِ فَإِنَّ قَوْلَهُ عليه السلام مَائِلٌ**

إشارة إلى تزلزل الأمور قبله وقوله إعتدل إشارة إلى إستقامتها وعلى ما ذكرناه  
فالكلام خرج مخرج الإستعارة على طريق اللّف والنّشر هذا ما خطر ببالي في  
شرح كلامه ﷺ والعلم عند الله.

□ قوله ﷺ: **وَاسْتَبَدَلَ اللَّهُ بِقَوْمٍ قَوْمًا، وَبِيَوْمٍ يَوْمًا...**

أي واستبدل الله بقوم كانوا في عهد الخلفاء من أهل الضلال والشقاق قوماً  
من أهل الصّلاح والرّشاد وهم أمير المؤمنين وتابعوه وبيوم إنتشر فيه الجور  
والإعتساف يوماً ظهر فيه العدل والإنصاف وهو يوم خلافته ﷺ وفيه إيماء إلى  
أن الدنيا وما فيها حادثة متغيرة فلا ينبغي الإعتماد بها والركون إليها وهو  
واضح.

□ قوله ﷺ: **وَأَنْتَظِرُنَا الْغَيْرَ أَنْتَظَارَ الْمُجْدِبِ الْمَطَرِ...**

أي كنا نتظر في سالف الزّمان هذا التّغيير والتّقلّب كما ينتظر المُجدِب إلى  
الأمطار فكما أن المُجدِب مشتاق إلى المطر كذلك نحن كنا مشتاقين إلى  
ذهاب الباطل ومجئ الحق، هكذا فسروه وفي المقام إحتمال آخر لا بأس  
بالإشارة إليه:

وهو أن يكون المراد بانتظار الغير الخ أن الباطل لا دوام له فإنّ للحقّ دولة  
وللباطل جولة والتّشبيه بالمُجدِب إشارة إلى أن المؤمن في دولة الباطل يموت  
قلبه كما أن الأرض تموت بحبس الأمطار عنها وكما أن حياة الأرض بالمطر  
كذلك حياة القلب بالعدل وهو لا يكون إلا في دولة الحقّ فهذا الإنتظار وظيفة  
كلّ مؤمن وقع في دولة الجور.

□ قوله ﷺ: **وَإِنَّمَا الْأَئِمَّةُ قَوَامُ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ، وَعَرَفَاؤُهُ عَلَى عِبَادِهِ...**

كلمة (إنّما) تفيد الحصر والأئمة جمع (إمام) وهو الذي يؤتمّ به في أمر  
الدّنيا والدّين للفوز إلى السعادة والنّيل إلى الكمال والألف واللام في (الأئمة)  
للعهد الخارجي أو الذهني والمقصود في المقام هو نفسه ﷺ وأحد عشر من  
أبنائه المعصومين بدليل قوله ﷺ قوام الله على خلقه وعرفائه على عباده فإنّ

هذين الوصفين لا يوجدان في غيرهم وتوضيح ذلك أن نقول: الإمام مُشْتَقٌّ من (أَمٌّ) إذا قَصَدَ يقال أمٌّ أمٌّ وإماماً وإمامة القوم وبالقوم تقدّمهم وكان لهم إماماً فهو بحسب اللّغة يطلق على كلِّ مُقَدِّمٍ في القوم بَرّاً كان أو فاجراً فإذا كان فاجراً يقال له إمام الضلالة وإذا كان بارّاً عادلاً يقال له إمام السعادة والهداية:

فمن الأوّل:

قوله تعالى: ﴿فَقَاتِلُوا أُمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَأَيْمَانٌ لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ﴾<sup>(١)</sup>

و: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾<sup>(٢)</sup>

ومن الثّاني:

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا﴾<sup>(٣)</sup>

و: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾<sup>(٤)</sup>

و: ﴿وَنَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَنَجَعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾<sup>(٥)</sup> فقد أطلق الإمام في هذه الآيات

على الإمام الفاسق والإمام العادل هذا بحسب اللّغة:

وأما بحسب الإصطلاح عند المُتشرّعة فهو لا يطلق إلّا على من يصلح للإمامة بمعنى كونه مَعْصُوماً عن الذنب مُطلقاً مَنْصُوصاً من قبل الله ورسوله وهذا هو الذي نقول به في مذهبنا أمّا بحسب الإصطلاح العرفي فلا فرق فيه بينهم وبين أهل اللّغة ونحن قد تكلمنا في معنى الإمام وشرائطه وما ينبغي له أن يوصف به عند شرح الخطبة الشَّقْشَقِيَّة في بحث الإمامة:

والذي نقول به في المقام هو أن المراد بالأئمة في قوله ﷺ هو المراد بقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾<sup>(٦)</sup> ولا سيّما أنّه وصفهم بكونهم قوام الله وعرفائه وهو أدل دليل على المدّعى إذ لا يوصف بأمثال هذه الأوصاف إلّا أمير المؤمنين وأولاده الأئمة الأحد عشر كما وردت النصوص من الآيات والأخبار به وقد مضى الكلام فيه مُفضّلاً ونقلنا النصوص الدالات عليه من طرق العامة

٢- القصص - ٤١

٤- الأنبياء - ٧٣

٦- الأنبياء - ٧٣

١- التوبة - ١٢

٣- السجدة - ٢٤

٥- القصص - ٥

والخاصة ونذكر في المقام شطراً منها الدالّ على كونهم قوام الله وعرفائه أمّا كونهم قوام الله على خلقه فلاّتهم بالتبليغ يَقُومُونَ بمصالح النَّاسِ وَيُدَبِّرُونَ أمورهم ويحفظونهم عن الزلاّت والإنحرافات الدنيئة والدنيوية من قِبَلِ الله تعالى أو أنّهم القائمون بأمره ونهيه وأحكامه على خلقه وهذا المعنى هو الذي نصّ عليه الخوئي رحمته وغيره وظاهر الكلام يقتضيه ولا بأس به.

أقول: الأوّل حمل الكلام على معناه العامّ وهو قيام الخلق بهم في جميع الشئون حتّى المراتب الوجوديّة إذ لا شكّ أنّ إيجاد الخلق من الله تعالى إنّما هو بسبب إيجاده إيّاهم أولاً بحيث لولاه لما كان من عالم الإيجاد عين ولا أثر وهو ممّا ثبت عقلاً ونقلًا أمّا عقلاً فلقاعدّة إمكان الأشرف وأمّا نقلًا فللأدلة الدالة عليه من الكتاب والسنة وهو واضح ولهذا يقال الإمام قُطْبُ عالم الإمكان:

ثمّ إنّ حقّ القول في المقام هو أنّ القوام لو قرء بفتح القاف فهو مبالغة وإن قرء بضمّ القاف فهو جمع القائم نحو السالك جمع سالك والفجار جمع فاجر والتجار جمع تاجر وعليه فهم القائمون بجميع الشئون على خلقه وكيف كان فالأمر سهل بعد وضوح الأمر:

وأما قوله عليه: وَعُرْفَاؤُهُ عَلَى عِبَادِهِ، العرفاء بضمّ العين وفتح الراء جمع عريف كالشهداء جمع (شهيد) والنُّقباء جمع (نقيب) وهكذا والعريف السيّد المعروف كما قال الشاعر:

بل كلّ قوم وإن عَزُّوا وإن كَثُرُوا عَرِيفُهُم بِأَثَابِي الشَّرِّ مَرْجُومٌ

وقال في المُنجد العريف العالم بالشيء من يعرف أصحابه القيمّ بأمر القوم وهو دون الرئيس ومنه عريف المكاتب لولد يُفَوِّضُ إليه القيام على مراقبة الأولاد جمع عرفاء انتهى.

أقول إن قلنا بالأوّل: فمعنى العبارة أنّ الأئمة سادات القوم بعد رسول الله

صلى الله عليه وآله

وإن قلنا بالثاني: فالمراد أنّ المراقبة للناس فوّضت إليهم من الله تعالى ومن

رسوله فهم: في أمر الولاية والإمامة بالنسبة إلى الناس عُرفاء وسادات ومن حيث إنهم أوصياء للنبي فهو ﷺ سيّد القوم والأئمة دونه والجامع أنهم عُرفاء الله وهو ممّا لا شك فيه:

وحاصل الكلام في المقام هو أن يقال كونهم ﷺ عُرفاء على عباده له احتمالان:

أحدهما: أنهم سادات العباد فإنّ العُرفاء جمع (عريف) وهو السيّد النّجيب وهو ممّا لا كلام فيه نقلاً وعقلاً أمّا النّقل فلا نحتاج إلى ذكره لوضوحه وأنّه أبين من الأمس وأظهر من الشمس كتاباً وسنة وإجماعاً ولا أعرف أحداً من أهل الفضل في جميع المذاهب مخالفاً فيه فهو واضح:

وأما عقلاً: فلأجل القاعدة المشهورة بين الفلاسفة أعني قاعدة إمكان الأشرف وتوأيدها النّصوص الدالة على كونهم أشرف المخلوقات وأنّه لولاهم لما كان من عالم الإيجاد عين ولا أثر وقد مرّ الكلام في القاعدة بما لا مزيد عليه وقلنا إنّها الأصل ومدار الإيجاد عليها، هذا إذ كانت العُرفاء جمع عريف:

وثانيهما: أنهم طرُق المعرفة بمعنى أنّ معرفة الله لا تحصل إلاّ بإرشادهم وهدايتهم والتي حصلت بغير طريقهم فهي ليست بمعرفة حقيقة كما قال الصادق عليه السلام: بنا عبد الله بنا عرف الله لولانا ما عبد الله لولانا ما عرف الله وهذا أيضاً لا ينبغي التأمّل فيه وعليه فالعُرفاء جمع عارف:

وأما على القول بأنّ العريف هو العالم بالشّي من يعرف أصحابه إلى آخر ما قاله في المنجد:

فالمعنى أنهم: كانوا يعرفون أصحابهم وأتباعهم وهو أيضاً واضح فالأئمة: قوام الله على خلقه وعرفائه على عباده وهذا هو الحقّ الحقيقي بالإتباع والحمد لله عليه:

ونعم ما قال:

فروع رسول الله أصل غصونها وأيكتها طوبى وللغرس غارس  
عليهم لإجلال النبوة هيبة يُشار إليهم والرؤس نواكس

بهم تحسن الدنيا وترهق المجالس  
كرام لما هم أكرمون الأشاوس  
أنار لنا نجم فأشرق دامن  
هداة إذا ما جاء للعلم قابس

وقد توجوا بالعلم واستودعوا الهدى  
فأحمد فيهم والوصي وسيبطه  
نجوم وأعلام إذا غاب آفل  
ينابيع علم يستفيض بحكمة  
ولغيره:

حُبُّكُمْ فَرَضَ عَلَيَّ كُلَّ الْأُمَّةِ  
خُلِقَ اللَّوْحُ وَلَا أَجْرِي الْقَلَمُ  
أَنْتُمْ أَعْلَمَ مَا شِئْتُمْ بِقَدَمِ  
غَابَ مِنْكُمْ عِلْمٌ لَاحَ عِلْمٌ  
فَحَكَمْتُمْ حَسْبُ مَا كَانَ حَكْمُ  
إِذْ لَكُمْ أَضْحَتْ عُيُوداً وَخُدَمُ

يَا بَنِي طَهٍ وَنُونَ وَالْقَلَمِ  
مَنْ يُدَانِيكُمْ وَلَوْلَاكُمْ لَمَا  
أَنْتُمْ أَكْرَمَ إِنْ عُدَّ الْوَرَى  
أَنْتُمْ لِالِدِينِ أَعْلَامُ إِذَا  
فَوَّضَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ أَمْرَهُ  
وَبِكُمْ تَفْخَرُ أَمْلاكُ الْعُلَى

وقد روى في المناقب عن الباقر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي  
صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ <sup>(١)</sup> قال عليه السلام: إيانا عني الأئمة من آل محمد وروى هذا  
المعنى أبو بصير أيضاً عنه عليه السلام.

وأيضاً عنه عليه السلام أنه قال: نحن السُّبُلُ لمن اقتدى بنا ونحن الهداة إلى الجنة  
ونحن عرى الإسلام

وأيضاً عنه عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِيناً﴾ <sup>(٢)</sup> قال: غير  
التسليم لولايتنا.

أيضاً عنه عليه السلام في قوله تعالى: مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ <sup>(٣)</sup>: نحن جنب الله.  
وعنه عليه السلام في قوله ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ نحن السابقون ونحن الآخرون.  
وعن أبي الحسن الماضي في قوله تعالى: ﴿كَأَنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ لَفِي  
سِجِّينٍ﴾ <sup>(٤)</sup> قال عليه السلام: الذين فجروا في حق الأئمة واعتدوا عليهم.

٢- آل عمران - ٨٥  
- الواقعة - ١٠

١- العنكبوت - ٤٩  
٣- الزمر - ٥٤  
٤- المصطفين - ١

وقال أمير المؤمنين عليه السلام في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّمُتَوَسِّمِينَ﴾ (١): فكان رسول الله صلى الله عليه وآله هو المتوسم والأئمة من ذريتي المتوسمون إلى يوم القيامة.

وقال عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهَا لِبِسْبِيلٍ مُّقِيمٍ﴾ (٢): فذلك السبيل المقيم هو الوصي بعد النبي.

وعن الصادق عليه السلام في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا﴾ (٣) قال عليه السلام: نعمة الله رسوله إذ يخبر أمته بمن يرشدهم من الأئمة فأحلّوهم دار البوار ذلك معني قول النبي صلى الله عليه وآله: لا تَرْجِعَنَّ بعدي كُفَّاراً يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ الْمُنَاقِبِ لِابْنِ شَهْرٍ أَشُوبِ ج ٤ ص ٢٨٤ - ٢٨٣  
أقول: الآثار به كثيرة ومن أراد الإطلاع على تفصيلها فعليه بكتب الأخبار كالبحار والمناقب وغيرها.

قال ابن حمّاد:

إِصْرَفْ هَوَاكَ إِلَى النَّبِيِّ وَآلِهِ  
قَوْمٌ بَرَّاهُمْ رَبِّهِمْ مِنْ نُورِهِ  
جَاءَتْ مَرَاتِبُهُمْ لَدَيْهِ فَأَصْبَحُوا  
طَابَتْ أَصُولُهُمْ مَعاً وَفَرَّوْعُهُمْ  
قَوْمٌ هُمْ حُجَجُ الْإِلَهِ عَلَى الْوَرَى  
يَا عَاتِبِي فِي حُبِّهِمْ قَدْ زَادَنِي  
إِنْ كَانَ ذَنْبِي حُبُّهُمْ وَمَدِيحُهُمْ  
أَتُوبُ مِنْ عَمَلٍ بِهِ أَرْجُو النَّجَا  
وَقَالَ الْكَمَيْتُ:  
بَنُو الْبَاذِخِ الْأَفْضَلُ الْأَطْيَبِ



وَأَبَاؤُهُمْ فَاِتَّخَذُوا أَوْلِيَاءَ  
وَفِي وَدَّهِمْ فَاتَّهُمْ عَادِلًا  
أَرَى لَّهُمُ الْفَضْلَ وَالسَّابِقَاتِ  
نَجْوَمُ الْأُمُورِ إِذَا دَلَّسْتَ  
وَلنعم ما قال ابن حمّاد:

إَرْضِ الْإِلَهَ وَإِسْخِطِ الشَّيْطَانَ  
وَأَمْحِضْ وَلَاكِ لِلَّذِينَ وَلَاؤُهُمْ  
آلَ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ خَيْرَ الْوَرَى  
قَوْمٌ قَوَامُ الدِّينِ وَالدُّنْيَا هُمْ  
قَوْمٌ إِذَا أَصْفَى هَوَاهُمْ مُؤْمِنٌ  
قَوْمٌ يُطِيعُ اللَّهَ طَائِعِ أَمْرِهِمْ  
وَهُمُ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمِ وَحُبُّهُمْ  
وَالْمَاءُ صَيَّرَهُمْ لِمِخْنَةِ خَلْقِهِ  
حَفِظُوا الشَّرِيعَةَ قَائِمِينَ بِحُكْمِهَا  
وَأَتَى الْقُرْآنَ بِفَضْلِ طَاعَتِهِمْ عَلَى  
وَتَوَالَتِ الْأَخْبَارُ أَنَّ مُحَمَّدًا

مَنْ دُونَ ذِي النُّسْبِ الْأَقْرَبِ  
نَهَاكَ وَفِي حَبْلِهِمْ فَأَخْطَبَ  
وَلَمْ أَتَمَنَّ وَلَمْ أَحْسَبْ  
بِظُلْمَاءِ دِيَجُورِهَا الْغَيْهَبِ  
تُعْطِي الرِّضَا فِي الْحَشْرِ وَالرِّضْوَانًا  
فَرَضَ عَلَيَّ مَنْ يَقْرَأُ الْقُرْآنًا  
وَأَجَّلَهُمْ عِنْدَ الْإِلَهِ مَكَانًا  
إِذَا أَصْبَحُوا لَهَا مَعًا أَرْكَانًا  
أَعْطَى غَدًا مِمَّا يَخَافُ أَمَانًا  
وَإِذَا عَصَاهُ فَقَدْ عَصَى الرَّحْمَانًا  
يَوْمَ الْمَعَادِ يَثْقُلُ الْمِيزَانًا  
بَيْنَ الضَّلَالَةِ وَالْهُدَى فُرْقَانًا  
يَنْفُونَ عَنْهَا الزُّورَ وَالْبُهْتَانًا  
كُلَّ الْأَنَامِ فإِسْمِعِ الْآذَانَ  
بِوَلَائِهِمْ وَبِحَفِظِهِمْ وَصَانًا

□ قوله ﷺ: لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ عَرَفَهُمْ وَعَرَفُوهُ، وَلَا يَدْخُلُ النَّارَ إِلَّا مَنْ  
أُنْكَرَهُمْ وَأُنْكَرُوهُ...

أي لا يدخل الجنة يوم القيمة إلا من عرفهم أعني الأئمة من آل محمد  
بالإمامة والولاية والوصاية في دار الدنيا وعرفوه كذلك أي بالإعتقاد بإمامتهم  
والإطاعة لهم فمن لم يعرفهم ولم يعرفوه لا يدخل الجنة أبدًا وإنما قال ﷺ  
وعرفوه إشعاراً بأن المعرفة الموجبة للدخول إلى الجنة لا بد من أن تكون  
موجودة في الطرفين وإلا فلا أثر لها ألا ترى يقول الله تعالى في كتابه: ﴿قُلْ إِنْ

كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ <sup>(١)</sup> ﴿ الآية أي حبكم الله تعالى لا أثر له ما لم يقرن بحب الله لكم كما قيل:

نگارا مهربانی از دو سر بی زیکسر مهربانی درد سر بی  
ففي المقام أيضاً كذلك فإننا نجد كثيراً من الناس يعرفون الأئمة إلا أن هذه المعرفة لا تسري إلى العمل والإطاعة لهم ومعلوم أن من كان كذلك ليس من شيعتهم فلا جرم لا يُحِبُّونه ولا يَعْرِفُونَهُ فلا يدخل الجنة وقد وردت الآثار به وهكذا الكلام في قوله ﷺ ولا يدخل النار إلى آخره فإن المنكر لإمامتهم وولايتهم مصيره إلى النار وقد وردت الآثار به أيضاً:

منها: ما رواه في البحار بإسناده قال رسول الله ﷺ لعلي ﷺ: ثلث إسم إنهن حق إتك والأوصياء من بعدك عُرْفَاء لا يَعْرِفُ اللهُ إِلَّا بِسَبِيلِ مَعْرِفَتِكُمْ وَعُرْفَاء لا يدخل الجنة إِلَّا من عَرَفَكُمْ وَعَرَفْتُمُوهُ وَعُرْفَاء لا يدخل النار إِلَّا من أَنْكَرْتُمْ وَأَنْكَرْتُمُوهُ «ج ٧ ط كمباني ص ٣١»...

ومنها: ما رواه بإسناده عن الحسن ابن علي ﷺ أنه قال: إن الله عز وجل بِمَنَّةٍ وَرَحْمَةٍ لَمَّا فَرَضَ عَلَيْكُمُ الْفَرَائِضَ لَمْ يَفْرُضْ ذَلِكَ عَلَيْكُمْ لِحَاجَةٍ مِنْهُ إِلَيْهِ بَلْ رَحْمَةٌ مِنْهُ إِلَيْكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيُمَيِّزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَلِيَبْتَلِيَ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَجِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَ لَتَسَابِقُوا إِلَى رَحْمَتِهِ وَلَتَتَفَاضَلَ مِنْ أَمْوَالِكُمْ فِي جَنَّتِهِ فَفَرَضَ عَلَيْكُمُ الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ وَإِقَامَ الصَّلَاةَ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةَ وَالصُّوْمَ وَالْوَلَايَةَ وَجَعَلَ لَكُمْ بَاباً لَتَفْتَحُوا بِهِ أَبْوَابَ الْفَرَائِضِ وَمِفْتَاحاً إِلَى سَبِيلِهِ وَلَوْلَا مُحَمَّدٌ وَالْأَوْصِيَاءُ مِنْ وُلْدِهِ كُنْتُمْ حِيَارِي كَالْبَهَائِمِ لَا تَعْرِفُونَ فَرَضاً مِنَ الْفَرَائِضِ وَهَلْ تَدْخُلُ قَرْيَةً إِلَّا مِنْ بَابِهَا فَلَمَّا مَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ بِإِمَامَةِ الْأَوْلِيَاءِ بَعْدَ نَبِيِّكُمْ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً﴾ <sup>(٢)</sup> وَفَرَضَ عَلَيْكُمْ لِأَوْلِيَائِهِ حَقُّوقاً فَأَمَرَكُمْ بِأَدَائِهَا إِلَيْهِمْ لِيَجِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَمَأْكَلِكُمْ

وَمَشْرِبِكُمْ وَيَعْرِفُكُمْ بِذَلِكَ الْبِرَّةِ وَالنَّمَاءِ وَالثَّرْوَةَ وَلِيَعْلَمَ مَنْ يَطِيعُهُ مِنْكُمْ بِالْغَيْبِ وَقَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ (١)

فَاعْلَمُوا أَنَّ مَنْ بَخَلَ فَإِنَّمَا يَبْخُلُ عَلَى نَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَيْهِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فِاعْمَلُوا مِنْ بَعْدِ مَا سَأَلْتُمْ فَسِيرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالَمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ) وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ انتهى «ص ٢١»...

ومنها: ما رواه بإسناده عن أبي جعفر عليه السلام قال عليه السلام قال رسول الله: يا علي إذا كان يوم القيمة أقعد أنا وأنت وجبرئيل على الصراط فلم يجز أحد إلا من كان معه كتاب فيه براءة بولايتك انتهى «ص ٢١»...

ومنها: ما رواه بإسناده عن محمد بن المثنى الأزدي أنه سمع أبا عبد الله يقول: نحن السبب بينكم وبين الله عز وجل انتهى «ص ٢٢»...

ومنها: ما رواه بإسناده قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا علي أنت وأصحابك في الجنة أنت وأتباعك يا علي في الجنة انتهى «ص ٢١»...

ومنها: ما رواه بإسناده عن بريد قال سمعت أبا جعفر يقول: بنا عبد الله وبنا عرف الله وبنا وحد الله ومحمد حجاب الله انتهى «ص ٢١»...

ومنها: ما رواه بإسناده عن أبي جعفر الباقر عليه السلام أنه قال: من دعا الله بنا أفلح ومن دعاه بغيرنا هلك وإستهلك انتهى..

ومنها: ما رواه أيضاً عن سعد الإسكاف قال قلت لأبي جعفر في قوله عز وجل ﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كَلًّا بِسِيْفَاهُمْ﴾ (٢) فقال عليه السلام: يا سعد إنها أعراف لا يدخل الجنة إلا من عرفهم وعرفوه ولا يدخل النار إلا بسبيل معرفتهم الحديث «ج ٣ ص ٣٨٨»...

وبإسناده عن علي عليه السلام قال: أنا يعسوب المؤمنين وأنا أول السابقين وخليفة رسول رب العالمين وأنا قسيم الجنة والنار وأنا صاحب الأعراف

انتهى «ج ٣ ص ٣٨٨»...

وأيضاً بإسناده عن سلمان الفارسي قال سمعت رسول الله ﷺ يقول  
لعلي أكثر من عشر مرّات: يا عليّ إنك والأوصياء من بعدك أعراف بين الجنّة  
والنّار لا يدخل الجنّة إلّا من عرّفكم وعرّفتموه ولا يدخل النّار إلّا من أنكركم  
وأنكرتموه انتهى «ج ٣ ص ٣٨٩»...

وأيضاً بإسناده عن أمير المؤمنين قال ﷺ ﴿على الأعراف رجال﴾ الآية  
فقال نحن الأعراف نعرف أنصارنا بأسمائهم ونحن الأعراف الذين لا يعرف  
الله إلّا بسبيل معرفتنا ونحن الأعراف نُوقف يوم القيمة بين الجنّة والنّار فلا  
يدخل الجنّة إلّا من عرفنا وعرفناه ولا يدخل النّار إلّا من أنكرنا وأنكرناه  
الحديث «ج ٣ ص ٣٨٩»...

وإسناده عن حبة العوني عن عليّ إلى أن قال: نحن الأعراف من عرفنا  
دخل الجنّة ومن أنكرنا دخل النّار انتهى «ج ٣ ص ٣٨٩»...

وأيضاً عن الشّمالي قال سئل أبو جعفر عن قول الله ﴿وعلى الأعراف  
رجال﴾ الآية فقال ﷺ: نحن الأعراف الذين لا يعرف الله إلّا بسببنا (بسبب  
معرفتنا) ونحن الأعراف الذين لا يدخل الجنّة إلّا من عرفنا وعرفناه ولا  
يدخل النّار إلّا من أنكرنا وأنكرناه وذلك أنّ الله لو شاء أن يعرف النّاس  
يعرفهم ولكنّه جعلنا سببه وسبيله وبابه الذي يؤتى منه انتهى «ج ٣ ص  
٣٨٩»... والأحاديث كثيرة في الباب:

وأما من طرق العامّة:

فمنها: ما رواه في ينابيع المودّة عن الحاكم بسنده عن الأصبح ابن نباتة  
قال كنت عند عليّ رضي الله عنه فأتاه ابن الكوا فسأله عن هذه الآية ﴿وعلى  
الأعراف رجال﴾ الآية فقال ﷺ: ويحك يا ابن الكوا نحن نقف يوم القيمة بين  
الجنّة والنّار فمن أحببنا عرفناه بسببنا فأدخلناه الجنّة ومن أبغضنا عرفناه  
بسببنا فدخّل النّار انتهى «ص ٨٨»...

ومنها: ما رواه عن المناقب بسنده عن سلمان الفارسي قال سمعت رسول الله ﷺ يقول لعلي أكثر من عشر مرّات: يا علي إنك والأوصياء من ولدك أعراف بين الجنّة والنّار لا يدخل الجنّة إلّا من عَرَفَكُم وَعَرَفْتُمُوهُ ولا يدخل النّار إلّا من أنكركم وأنكرتموه انتهى «ص ٨٨»...

ومنها: ما رواه بسنده عن مقرون قال سمعت الصادق عليه السلام يقول: جاء ابن الكوا إلى أمير المؤمنين وسأل عن هذه الآية قال عليه السلام: نحن الأعراف ونحن نعرف أنصارنا بسببهم ونحن الأعراف الذين لا يُعرف الله عزّ وجلّ إلّا بسبيل معرفتنا ونحن الأعراف يُوقفنا الله يوم القيامة على الصّراط لا يدخل الجنّة إلّا من عَرَفْنَا وَعَرَفْنَاهُ ولا يدخل النّار إلّا من أنكرنا وأنكرناه الحديث «ص ٨٨»...

ومنها: ما رواه الخوارزمي في المناقب عن رسول الله ﷺ أنّه قال: يا علي أنك قسيم الجنّة والنّار وأنك تنقر باب الجنّة فتدخلها بلا حساب انتهى «ص ٢٠٩»...

ومنها: ما رواه بإسناده عن ابن مسعود قال قال رسول الله: لما خلق الله آدم ونفخ فيه من رُوحه عطس آدم فقال: الحمد لله وساق الحديث إلى أن قال: ومن عرف حقّ عليّ زكي وطاب ومن أنكر حقّه لعن وخاب أقسمت بعزّتي أن أدخل الجنّة من أطاعه وإن عصاني وأقسمت بعزّتي أن أدخل النّار من عصاه وأن أطاعني انتهى «ص ٢٢٧»... قلت هذا حديث عجيب مؤلف.

ومنها: ما رواه أيضاً بإسناده عن أنس قال قال رسول الله ﷺ: إذا كان يوم القيامة ينادون عليّ ابن أبي طالب عليه السلام بسبعة أسماء، يا صديق، يا دالّ، يا عابد، يا هادي، يا مهدي، يا فتى، يا عليّ، مرّ أنت وشيعتك إلى الجنّة بغير حساب انتهى «ص ٢٢٨»...

ومنها: ما رواه أيضاً بإسناده عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ: إذا كان يوم القيامة أقام الله عزّ وجلّ جبرئيل ومحمّداً على الصّراط فلا يجوزهُ إلّا

من كان معه براءة من عليّ ابن أبي طالب انتهى» ص ٢٢٩...»

أقول: والأحاديث الواردة من الطرفين أعني الخاصة والعامة كثيرة جداً وفيما نقلناه كفاية ولنعم ما قيل:

عَلِيٌّ حُبُّهُ جَنَّةٌ      إِمَامُ الْإِنْسِ وَالْجِنَّةِ  
وَصِيُّ الْمُصْطَفَى حَقًّا      قَسِيمُ النَّارِ وَالْجِنَّةِ  
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَنَا مِنَ الْمُتَمَسِّكِينَ بِوِلَايَتِهِ وَوِلَايَةِ أَوْلَادِهِ الْمَعْصُومِينَ  
سَلَامُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ.

□ قوله ﷺ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ خَصَّكُمْ بِالْإِسْلَامِ، وَاسْتَخْلَصَكُمْ لَهُ...

أي أن الله تعالى لن يقبل منكم غير الإسلام أو أنه شرفكم به ووفّقكم لقبوله وطلب منكم الخلوص في دينكم فأشار ﷺ إلى قوله تعالى حيث قال: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (١)

دلّت الآية على أن الله تعالى لا يقبل غير الإسلام، وقال تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٢) و: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ (٣)

و: ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ (٤)

و: ﴿إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ (٥) وغيرها من الآيات:

دلّت الآيات على أن الدين ينبغي أن يكون خالصاً لله تعالى وهو المطلوب: □ قوله ﷺ: وَذَلِكَ لِأَنَّهُ اسْمُ سَلَامَةٍ وَجَمَاعُ كَرَامَةٍ...

علل ﷺ قوله قد خصّكم بالإسلام إلى آخر ما قال بقوله وذلك لأنه إسم سلامة وحاصل التعليل أن الإسلام مأخوذ من السّلم يقال سلم، سلامة، وسلاماً، من عيبٍ أو آفةٍ وعليه فإنما سُمّي الدين به لكونه سالماً عن العيوب

٢- النساء- ١٤٦

٤- الزّمر- ٢

١- آل عمران- ٨٥

٣- الزّمر- ٣

٥- الزّمر- ١١

والآفات فمن أخذ به يسلم عن الآفات في الدنيا والآخرة أو أنه أعني الذين في حدّ نفسه لا عيب فيه فينبغي أن يؤخذ به بخلاف غيره من الأديان والحاصل من أراد سلامة الدنيا والآخرة فعليه بالإسلام.

وأما قوله عليه السلام: «وَ جَمَاعُ كَرَامَةٍ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ الْإِسْلَامَ جَمَاعُ الْكِرَامَاتِ وَالْفَضَائِلِ وَبِذَلِكَ صَارَ نَاسِخًا لِلْأَدْيَانِ السَّابِقَةِ وَأَمَرَ النَّاسَ بِقَبُولِهِ وَإِتْبَاعِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَقَدْ مَرَّ الْكَلَامُ فِيهِ بِمَا لَا مَزِيدَ عَلَيْهِ وَالَّذِي نَذَرَ فِي الْمَقَامِ هُوَ أَنَّ الْإِسْلَامَ الَّذِي قَدْ خَصَّنَا اللَّهُ بِهِ وَهُوَ إِسْمُ سَلَامَةٍ وَجَمَاعُ كَرَامَةٍ لَيْسَ هُوَ الْإِسْلَامُ اللَّغْوِيُّ الَّذِي عَلَيْهِ الْجُمْهُورُ مِنَ الْعَامَّةِ مِنْ ذِكْرِ الشَّهَادَتَيْنِ ظَاهِرًا وَالْإِعْتِقَادِ بِالْقَلْبِ بَاطِنًا مِنْ غَيْرِ الْعَمَلِ بِالْأَرْكَانِ وَالْجَوَارِحِ وَالْوَلَايَةِ لِأَهْلِ الْبَيْتِ عليهم السلام» ضرورة أن الإسلام بالمعنى الذي فهموه وأخذوا به لا تكون فيه سلامة ولا جماع كرامة بل المراد بالإسلام في المقام هو الإيمان في الحقيقة الذي هو أخصّ منه ولنذكر في المقام بعض ما ورد في معنى الإسلام الحقيقي فنقول: روى في البحار بإسناده عن الصادق عليه السلام عن أبيه عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «لَأَنْسِبَنَّ الْإِسْلَامَ نِسْبَةً لَمْ يَنْسِبْهُ أَحَدٌ قَبْلِي وَلَا يَنْسِبْهُ أَحَدٌ بَعْدِي، الْإِسْلَامُ هُوَ التَّسْلِيمُ، وَالتَّسْلِيمُ هُوَ التَّصَدِيقُ، وَالتَّصَدِيقُ هُوَ الْيَقِينُ، وَالْيَقِينُ هُوَ الْأَدَاءُ وَالْأَدَاءُ هُوَ الْعَمَلُ، إِنَّ الْمُؤْمِنَ أَخَذَ دِينَهُ عَنْ رَبِّهِ وَلَمْ يَأْخُذْهُ عَنْ رَأْيِهِ أَيُّهَا النَّاسُ دِينَكُمْ دِينَكُمْ تَمَسَّكُوا بِهِ لَا يَزِيدُكُمْ أَحَدٌ عَنْهُ لِأَنَّ السَّيِّئَةَ فِيهِ خَيْرٌ مِنَ الْحَسَنَةِ فِي غَيْرِهِ لِأَنَّ السَّيِّئَةَ فِيهِ تَغْفِرُ وَالْحَسَنَةَ فِي غَيْرِهِ لَا تُقْبَلُ أَنْتَهَى» ج ١٥ ص ١٨٧...»

أقول: قد ورد هذا الكلام في نهج البلاغة أيضاً وقد وردت بهذا المضمون روايات لا نحتاج إلى ذكرها لكونها قريبة المضامين ولأنّ فيها كفاية لمن كان له قلب:

قال الكيدري على ما نقل عنه في شرح الحديث: الإسلام هو التسليم يعني الذين هو الإنقياد للحقّ والإذعان له والتسليم هو اليقين أي صادر عنه ولازم له

فكأنه هو من فرط تعلقه به، والتصديق هو الإقرار أي إقرار الذهن وحكمه، والإقرار هو الأداء أي مستلزم للأداء وشديد الشبه بالعلة له لأن من يتقن حقيقة الشيء وأن مصالحه منوطة بفعله ومفاسده مترتبة على تركه كان ذلك مقرباً لداعيه على فعله غاية التقوية يعني من حق المسلم الكامل في إسلامه أن يجمع بين علم اليقين والعمل الخالص ليحيط رحله في المحل الأرفع ويجاور الرفيق الأعلى انتهى:

□ قوله ﷺ: اصطفى الله تعالى منهجه، وبيّن حججه، من ظاهر علم وباطن حكم...

المنهج الطريق الواضح وفيه إشارة إلى قوله تعالى حكاية عن إبراهيم ﷺ حيث قال: ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تُمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١)

وفي قوله ﷺ: وبيّن حججه إشارة إلى أن الحجة منه تعالى قد تمت على عباده وكلمة (من) في قوله ﷺ: من ظاهر علم بيانية والمقصود أن الحجة قد تمت ظاهرة وباطنة فالحجة الظاهرة هي العلم والباطنة هي الحكم هذا إذا كان الحكم بضم الحاء وسكون الكاف والميم كما عليه الجمهور وأما إذا كان بكسر الحاء وفتح الكاف كما هو المحتمل فهو جمع حكمة وعليه فالمعنى أن الدين ظاهره علم وباطنه حكمة وإليه الإشارة بقوله تعالى ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ (٢)

والفرق هو أن الوصول إلى ظاهر الدين أعني العلم بالأصول والقرّوع والأخلاقيات وغيرهما ممّا هو مدوّن في الكتب الموضوعة ممّا لا إشكال فيه بل هو موجود لكثير من العلماء في كلّ عصرٍ وزمانٍ وأما الوصول إلى باطن الدين أعني الحكم المودعة فيه فهو ممّا لا يتفق إلا لقليل من الناس فإن العلم غير المعرفة فكُلّ عارفٍ عالمٍ في الإصطلاح إذ المعرفة تحصل بعد العلم ولا



عكس أي ليس كل عالم عارف ألا ترى أن العالم بالله غير العارف به وعلماء الدين أكثر من العرفاء به هذا وحاصل الكلام أن الإسلام لا خفاء فيه وهو مما اختاره الله تعالى لعباده وأوضح مناهجه وبيّن حُججه ظاهراً وباطناً بحيث لو تأمل الإنسان حق التأمل في أحكامه لا يشك في كونه حقاً وصدقاً.

□ قوله ﷺ: وَلَا تَنْقُضِي عَجَائِبَهُ، فِيهِ مَرَايِعُ النِّعَمِ، وَمَصَابِيحُ الظُّلْمِ...

الغرائب جمع غريبة والعجائب جمع عجيبة وهي إسم لما يتعجب منه والمرابيع جمع مربع والمصابيح جمع مصباح والظلم بضم الظاء وفتح اللام جمع ظلمة وهي ضدّ النور.

أما قوله ﷺ: لَا تَنْقُضِي غَرَائِبَهُ أَي غَرَائِبُ الْإِسْلَامِ وَالْمَقْصُودُ مِنَ الْغَرَائِبِ وَاللَّهِ الْعَالَمُ هُوَ الْأُمُورِ الْبَعِيدَةِ عَنِ الْإِدْرَاكِ بِمَعْنَى أَنْ إِدْرَاكَهَا وَالْوُصُولَ إِلَيْهَا لَا يَحْضُلُ إِلَّا بَعْدَ الْغُورِ وَالتَّدْبِيرِ الْكَامِلِ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالْأَدْلَةَ الْعَقْلِيَّةَ وَمَنْ الْمَعْلُومُ أَنَّ هَذَا الْمَقَامَ صَعْبٌ مُسْتَصْعَبٌ.

والمراد بعدم فنائها أن الجواهر العقلية المُستنبطة عن الكتاب والسنة لا تنحصر بشخص دون شخص ولا بزمان دون زمانٍ آخر بل هي موجودة دائماً مُعدّة لكل من كان بصدد دركها والوصول إليها فهي في الحقيقة غير مُنحصرة ولا محدودة ولا يبعد أن يكون كلامه ﷺ هذا إشارة إلى لزوم الاجتهاد والاستنباط في الأحكام الشرعية ولا سيما في عصر الغيبة وهذا هو الذي تقيضه المذهب خلافاً للعامة حيث ذهبوا إلى خلافه وإنسدوا باب الاجتهاد في الأحكام وصاروا بذلك مُقلّدين لأنمتهم الأربعة إلى يوم القيمة.

وأما قوله ﷺ: وَلَا تَنْقُضِي عَجَائِبَهُ فَهُوَ إمَّا يَكُونُ بِمَنْزِلَةِ التَّوْضِيحِ لِمَا قَبْلَهُ وَعَلَيْهِ فَالْعَطْفُ تَفْسِيرِي.

وإمّا أنّه جُملة مُستقلّة والمعنى أن بعض الأحكام ممّا يتعجب منه بعض الناس ممّن لا خبرة له به فيقول مثلاً هذا الحكم لا يوافق العقل ولا يساعد العرف والزمان كما نرى في زماننا هذا وهذه السيرة كانت مُستمرّة منذ وُجد

الإسلام ولا تكاد تنقضي بعد ذلك أيضاً.

وإنما قال ﷺ في الجملة الأولى (لا تفنى) وفي الثانية (لا تنقضي) حذراً عن التكرار وإلا فالمآل فيهما واحد لكون الفناء والإنقضاء مُتلازمين والفرق بحسب اللفظ وكيف كان فالمقصود أنّ غرائب الإسلام وعجائبه ممّا لا يفنى ولا ينقضي لكثرتها وعدم محدوديّتها.

وقوله فيه مرابيع النعم قلنا إنّ المرابيع جمع مربع والنعم جمع نعمة إستعار ﷺ لفظ المرابيع للبركات والإفاضات الربانيّة التي أُودعت في الإسلام وأوجبت سعادة الدارين وحاصل المراد أنّ في الإسلام كلّما يوجب الوصول إلى الكمال والبلوغ إلى مقام القرب والوصول.

وقوله ﷺ: ومصايح الظلم، أيضاً إستعارة شبه ﷺ أحكام الإسلام بالمصايح والكفر بالظلمة فكما أنّ الخلاص عن الظلمة لا يحصل إلا بسبب المصباح أعني النور كذلك الإسلام بالنسبة إلى الكفر فلا يمكن الخلاص عن ورطة الكفر والضلالة إلا بتور الإسلام.

□ قوله ﷺ: لا تُفْتَحُ الْخَيْرَاتُ إِلَّا بِمَفَاتِيحِهِ، وَلَا تُكْشَفُ الظُّلُمَاتُ، إِلَّا بِمَصَابِيحِهِ...

تفسير وتوضيح للجملة الأخيرة أو الجمل كلّها والمعنى أنّ الوصول إلى الخيرات لا يمكن إلا بالإسلام وإتباع أحكامه والعمل على موازاته كما أنّ الفرار عن ظلمة الجهل والكفر لا يمكن إلا بتور الإسلام كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ (١)

□ قوله ﷺ: قَدْ أَحْمَى حِمَاهُ، وَأَرَعَى مَرْعَاهُ، فِيهِ شِفَاءُ الْمُشْتَقَى، وَكِفَايَةُ الْمُكْتَفَى...

يقال أحمى المكان أي جعله حمى لا يقرب والمعنى أنّ الله تعالى قد أعزّ الإسلام وحفظه عن الآفات والحوادث ومنعه من كيد الأعداء ومن دخل فيه

وصار من أهله مَتَّعَهُ اللهُ بِخَيْرَاتِهِ وَأَبَاحَهُ رَعَى مَا تُنْبِتُهُ أَرْضُهُ الطَّيِّبَةُ مِنَ الْفَوَائِدِ  
وَالْبَرَكَاتِ وَفِيهِ شِفَاءُ الْمُشْتَفِيِّ أَيَّ مَنْ طَلَبَ الشِّفَاءَ عَنْ مَرَضِ الْقَلْبِ فَإِنَّ الْكَافِرَ  
وَالْمُنَافِقَ وَأَمْثَلَهُمَا كَذَلِكَ ، شَبَّهَ الْإِسْلَامَ بِالذَّوَاءِ وَشَبَّهَ الْكُفْرَ بِالذَّاءِ وَاللَّهُ تَعَالَى  
هُوَ الطَّيِّبُ وَالْكِتَابُ هُوَ النُّسخةُ وَالْعَمَلُ بِمَقْتَضَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةُ بِمَنْزِلَةِ أَكْلِ  
الذَّوَاءِ فَكَمَا أَنَّ الْأَمْرَاضَ الْجِسْمَانِيَّةَ تَحْتَاجُ إِلَى الذَّوَاءِ كَذَلِكَ الْأَمْرَاضَ  
الرُّوحَانِيَّةَ تَحْتَاجُ إِلَيْهِ وَأَيْضاً فِي الْإِسْلَامِ كِفَايَةُ الْمَكْتَفِي أَيَّ مَنْ دَخَلَ فِيهِ وَعَمِلَ  
بِأَحْكَامِهِ فَقَدْ تَمَّتِ النِّعْمَةُ عَلَيْهِ وَهُوَ حَسْبُهُ وَلِتَوْضِيحِ الْمَقَامِ نَقُولُ: الْحَمِي كَالْمَكَانِ  
الْمَكَانِ وَالْكَوَاءِ وَالْمَاءُ يُحْمِي أَيَّ يُمْنَعُ وَمِنْهُ حَمِي السُّلْطَانِ وَهُوَ كَالْمَرَعِيِّ  
الَّذِي حَمَاهُ فَمَنْعَ مِنْهُ فَإِذَا سَيَّبَ الْإِنْسَانَ مَا شِئْتَهُ فِيهِ لَمْ يُؤْمِنْ عَلَيْهَا أَنْ تَرْتَعَ فِي  
حَمَاهُ فَيَصِيبُهُ مِنْ بَطْشِهِ قَالَهُ فِي الْمَجْمَعِ انْتَهَى.

**أقول:** وَمِنْهُ الْحَدِيثُ الْأَوَّلُ لِكُلِّ مَلِكٍ حَمِيٌّ أَوْ لَا وَإِنَّ حَمِيَّ اللَّهِ مُحَارَمُهُ فَمَنْ  
رَتَعَ حَوْلَ الْحَمِيِّ أَوْ شَكَ أَنْ يَقَعَ أَيَّ قَرُبَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ وَمِثْلُهُ وَالْمَعَاصِي  
حَمِيَّ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَمَنْ يَرْتَعُ حَوْلَهَا يَوْشِكُ أَنْ يَدْخُلَهَا وَفِي قَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِنَّ حَمِيَّ  
اللَّهِ مُحَارَمُهُ إِعْلَامٌ بِأَنَّ التَّجَنُّبَ عَنْ مَقَارِبِ حُدُودِ اللَّهِ وَالْحَذَرَ مِنَ الْخَوْضِ فِي  
حَمَاهُ أَحَقُّ وَأَجْدَرُ مِنْ مَجَانِبَةِ كُلِّ مَلِكٍ فَإِنَّ النَّفْسَ لِأَمَارَةٍ بِالسُّوءِ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا  
أَبْرَأُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ الْأَمَارَةَ بِالسُّوءِ﴾ <sup>(١)</sup> وَفِي الْحَدِيثِ جَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ إِثْنَيْ  
عَشَرَ مِيلاً حَوْلَ الْمَدِينَةِ حَمِيًّا أَرَادَ تَحْرِيمَ صَيْدِهَا وَقَطْعَ شَجَرِهَا وَفِي الْحَدِيثِ  
أَيْضاً عَجِبْتُ لِمَنْ يَحْتَمِي مِنْ طَعَامِ مَخَافَةِ الذَّاءِ كَيْفَ لَا يَحْتَمِي مِنَ الذَّنُوبِ  
مَخَافَةَ النَّارِ وَعَلَيْهِ فِإِطْلَاقِ الْحَمِيَّةِ عَلَى الذَّنُوبِ مِنْ بَابِ الْمُشَاكَلَةِ إِذَا عَرَفْتَ  
هَذَا.

فَقَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: قَدْ أَحْمِي حِمَاهُ، مَعْنَاهُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ مَنَعَ وَنَهَى عَنِ الْإِقْتِحَامِ فِي  
الْمُحَرَّمَاتِ الَّتِي يُعَبَّرُ عَنْهَا بِحَمِيَّ اللَّهِ وَحَمِيَّ رَسُولِهِ وَذَلِكَ لِأَنَّ الدَّخُولَ فِيهَا  
وَالْعَمَلَ بِهَا يُوجِبُ الْهَلَكَةَ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ <sup>(٢)</sup>

وقوله ﷺ: وَأَزْعَى مَرْعَاهُ، قالوا المراد بمرعاه المباحات والمُحَلَّلَات الشرعية التي رَخَّصَ اللهُ المكلِّفِينَ فِي الإِقْدَامِ عَلَيْهَا وَالتَّمَتُّعِ بِهَا وَحَاصِلُ الكَلَامِ فِي الجُمْلَتَيْنِ هُوَ أَنَّ اللهَ تَعَالَى بَيَّنَّ لَنَا المُحَرَّمَاتِ وَالمَبَاحَاتِ وَنَهَانَا عَنِ المُحَرَّمَاتِ وَأَبَاحَ لَنَا المَبَاحَاتِ وَبِذَلِكَ تَمَّتِ الحُجَّةُ عَلَيْنَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ.

ففيه أي في الإسلام شفاء لمن يطلب الشفاء عن الأسقام والأمراض الروحانية الناشئة عن الضلالة والغواية وكفاية لمن إكتفى به في مراحل السير والسلوك إلى الله تعالى وحاصله أن الإسلام جامع للكلمات المعنوية والصورية وحاوٍ لما يقصده الإنسان في الخروج إلى مقام القرب ففيه كل ما تشتهيهِ الأنفُس وتلذُّ الأَعْيُن ولهذه الجامعية قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ (١) □ قوله ﷺ: وَهُوَ فِي مُهَلَّةٍ مِنَ اللَّهِ يَهْوَى مَعَ الغَافِلِينَ، وَيَعْدُو مَعَ المُذْنِبِينَ، بِلا سَبِيلٍ قَاصِدٍ، وَلَا إِمَامٍ قَائِدٍ..

هذا هو الفصل الثالث من الخطبة الشريفة والمقصود أن الإنسان في مهلة من الله تعالى في دار الدنيا وهذه المهلة صارت سبب غروره وعصيانه غفلة منه عن أنها ليست لذلك بل الغرض الأصلي منها هو التوجه والتنبه والرجوع إلى الله تعالى بالثوبة والإنابة ولما غفل عن هذه الدقيقة وعمل عمل المذنبين الخاطئين فلا جرم يهوي ويسقط من أعلى مراتب الإنسانية إلى أسفلها ومن الجنة التي أعدت للمتقين المطيعين إلى النار التي أعدت للضالين المكذبين ويعدو أي يصبح مع الأشقياء بلا سبيلٍ قاصدٍ أي من دون أن يسلك سبيلاً صحيحاً ويتبع إماماً عادلاً يقوده إلى الصواب وينقذه من النار وفي هذا الفصل إشارة إلى أمور:

أحدها: أن الله تعالى قد أمهل الإنسان في دار الدنيا إكمالاً لنعمة عليه وإتماماً لتحقق الاختيار فيه ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة

ولو لا ذلك الإمهال منه تعالى بالنسبة إلى عبيده لما كان مختاراً واقعاً ولأجل هذا نقول الإمهال دليل الإختيار وبه تتم الحجة عليه كاملاً فلو كان الإنسان في غفلة عن هذه الدقيقة واستفاد من المهلة غير ما ينبغي أن يستفاد منها فقد ضلّ ضلالاً مبيناً وإنما قال ﷺ ويغدو مع المذنبين بعد قوله يهوي مع الغافلين لأنّ الذنب دائماً يكون بعد الغفلة فهو من ثمراتها فإنّ غير الغافل لا يذنب أبداً وعليه فلازم الغفلة الذنب بل هي أصله وأساسه.

ثم إن الغفلة هي فتور النفس عن الالتفات والتوجه إلى ما فيه غرضها ومطلبها إما عاجلاً أو آجلاً وهي موجبة للحرمان عن سعادة الدارين وتؤدي إلى شقاوة النشأتين إذ الإهمال في رعاية أمر المعيشة ومصالحها يؤدي إلى هلاكة الشخص وإنقطاع النوع والغفلة عن إكتساب المعارف والأخلاق الفاضلة وأداء الفرائض والتوافل تؤدي إلى إبطال غاية الإيجاد أعني بلوغ كلّ شخص إلى كماله المستعد له وهو مع كونه صريح المضادة والمنازعة لخالق العباد يوجب الهلاكة والشقاوة أبد الأباد فإذا كانت الغفلة هكذا فلا شك في كونها مذمومة كما قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ (١)

و: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ، أُولَئِكَ مَا وَاهُمُ النَّارُ﴾ (٢)

و: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ (٣)

و: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ (٤) وغيرها من الآيات ولا شك أنّ جعل الشرائع والأديان وبعث الأنبياء والرسل ليس إلا لأجل تيقظ الناس عن نوم الغفلة وتوجههم إلى ما خلقوا لأجله وهو رأس الكمالات ومنشأ القربات فلا تكن من الغافلين ولا معهم لئلا تغدوا مع المذنبين فتسقط من مقام الإنسانيّة إلى مقام الحيوانيّة وتدخل في قوله تعالى:

﴿أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾<sup>(١)</sup> وذلك لأنَّ الإنسان خلق للعروج لا للسقوط هذا.

وقال بعض العرفاء في تعريف الغفلة، هي الذهول عن الحقِّ بسبب الإنغمار في غواشي النشأة بمقتضيات الطبيعة كما أنَّ اليقظة هي أول ما يستنير قلب العبد بالحياة لرؤية ثور التنبية.

وثانيها: أنَّ الله تعالى قد جعل لنا سبيلاً للوصول إلى سعادة الدارين فينبغي لكل إنسان أن يسلك السبيل ولا ينحرف عنه فمن لا يسلكه وسلك مسلكاً غيره فهو ضالٌّ مضلٌّ وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَا السَّبِيلَ إِنَّمَا شَاكَرُوا وَإِنَّمَا كَفَرُوا﴾<sup>(٢)</sup>

و: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا﴾<sup>(٣)</sup>

و: ﴿وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَمَا لَهُ سَبِيلًا﴾<sup>(٤)</sup> وغيرها من الآيات:

وإنما وصف السبيل بالقصد وقال (سبيل قاصد) للدلالة على التوسط والمعنى بلا سبيل متوسط غير متناهي البعد والمراد بالتوسط هو التوسط بين الإفراط والتفريط فالسبيل القاصد عبارة عما ليس فيه إفراط أو تفريط كما قال الله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَآتَبَعُوكَ﴾<sup>(٥)</sup> أي سفراً متوسطاً والحاصل أنَّ الإنسان الغافل المذنب لا يسلك سبيل العدل وهو واضح.

وثالثها: أنَّ الله تعالى نَصَبَ له إماماً يَقُوده من الضلالة إلى الهداية ومن الشقاوة إلى السعادة وأما الغافل المذنب فلا يعرفه ويأخذ إماماً يقوده إلى النار وقد مرَّ الكلام فيه مفصلاً.

□ قوله ﷺ: حَتَّى إِذَا كَشَفَ لَهُمْ عَنْ جَزَاءِ مَعْصِيَتِهِمْ، وَاسْتَخْرَجَهُمْ مِنْ جَلَابِيبِ غَفْلَتِهِمْ، إِسْتَقْبَلُوا مُدْبِرًا، وَاسْتَدْبَرُوا مُقْبَلًا...

أي ما زالوا كذلك أعني في غفلة وطغيان بلا سبيل قاصد ولا إمام قائد حتى

٢- الإنسان - ٣

٤- النساء - ٨٨ و ١٤٣

١- الاعراف - ١٧٩

٣- الأحزاب - ٦٢

٥- التوبة - ٤٢

إذا كشف الله تعالى لهم عن جزاء معصيتهم بموتهم وإنقطاعهم عن الدنيا واستخرجهم من جلايب غفلتهم التي كانوا فيها منهمكين في دار الدنيا فلا جرم بذلك إستقبلوا ما كانوا عنه معرضين وهو جزاء المعصية في الآخرة واستدبروا وأعرضوا عما كانوا مقبلين إليه وهو الحُطام الدنيوية وتشبيه الغفلة بالجلباب من تشبيه المعقول بالمحسوس ووجه الشبه إحاطتها بهم وملازمتها إياهم.

وحاصل الكلام هو أن بالموت ينكشف للإنسان ما كان غافلاً عنه وإليه الإشارة بقوله ﷺ: الناس نيام إذا ماتوا إنتبهوا ولأجل هذا الانكشاف سميت القيامة بيوم الجزاء ويوم الدين ويوم تُبلى السرائر وغيرها من التعبير وقد دلت الآيات عليه أيضاً، قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كُنْتُمْ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكُمْ غِطَاءَكُمْ﴾ (١)

و: ﴿رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾ (٢)

و: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يُرْثُونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (٣)

و: ﴿سِيرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (٤)

و: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ، أُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ﴾ (٥)

و: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ (٦)

و: ﴿شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ (٧)

و: ﴿يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ (٨) وغيرها من الآيات.

هذا كله على مذاق القوم بما فهموه من العبارة بأن يكون المراد بقوله ﷺ: مُدبراً ما كان غائباً عنهم من العذاب وبقوله ﷺ: (مقبلاً) ما كان حاضراً لهم من الآلاء في الدنيا فإستقبلوا الأول واستدبروا الثاني بالموت وهو واضح وفي

٢- الدخان - ١٢

٤- النمل - ٩٣

٦- الروم - ٧

٨- الأنبياء - ٩٧

١- ق - ٢٢

٢- البقرة - ٨٥

٥- يونس - ٧

٧- الأعراف - ١٧٢

المقام احتمال آخر وهو أن يكون قوله ﷺ: (مدبراً) منصوباً على الحالية عن الإقبال المصدرى الذي يدلّ عليه قوله ﷺ: **إِسْتَقْبَلُوا** والتقدير إستقبلوا إستقبالاً حال كون الإقبال مُدبراً وإستدبروا إستدباراً حال كون الإستدبار مُقبلاً فإنّ الإقبال عن الآخرة هو الإدبار عن الدنيا كما أنّ الإدبار عنها هو الإقبال إلى الآخرة والفرق إعتباري.

وأيضاً لنا احتمال ثالث وهو أن يكون المُدبر بفتح الباء وكذا المقبل على المفعوليّة لا بكسرها على الفاعليّة وعليه فالمعنى أنّهم إستقبلوا ما كانوا قد أدبروا عنه في الدنيا وهو العذاب في الآخرة وإستدبروا ما كانوا أقبلوا إليه في الدنيا وهو الحطام الدنيويّة وهذا المعنى هو الذي ذكره في المقام إلا أنّهم قد ضَبَطُوا المُدبر والمُقبل بكسر الباء على الفاعل ولم يتفطنوا أنّ هذا المعنى لا يناسب ما ضَبَطُوهُ مِنَ اللَّفْظِ فَإِنَّ المُدبر على كونه من إسم الفاعل هو الإنسان نفسه لا ما أدبر وأعرض عنه من العذاب وهكذا المقبل بكسر الباء هو الإنسان لا الحطام الدنيويّة التي كان قد أقبل إليها في الدنيا فإنّها مُقبَلٌ بفتح الباء وهو ظاهر فكيف قالوا ما قالوا في معناهما فلو صحّ ما ذكره من المعنى فحقّ العبارة فتح الباء فيهما.

والحاصل أنّنا لو قرأناها بكسر الباء فلا يستقيم ما ذكره من المعنى بل لا بدّ لنا من القول بكونهما حالين عن المصدرين المحذوفين وأما على الفتح فما ذكره حقّ لا مريّة فيه وهم لا يقولون به ونحن نقول به.

□ قوله ﷺ: **فَلَمْ يَنْتَفِعُوا بِمَا أَدْرَكُوا مِنْ طَلَبَتِهِمْ، وَلَا بِمَا قَضَوْا مِنْ وَطَرِهِمْ!!**

الفاء للتفريع أي بناء على ما ذكرناه من الغفلة والذنب وغيرهما فلا محالة لم ينتفعوا في الآخرة بما أدركوا من طلبتهم في الدنيا من اللذات الجسمانيّة ولا بما قضوا من حاجاتهم فيها أعني الوصول إلى المُستهيات النفسانيّة فما طلبوه في الدنيا ووصلوا إليه لم ينتفعوا به في الآخرة وهذا هو اليأس والحرمان والخزي العظيم الذي لا خزي أعظم منه والوجه فيه هو أنّهم تركوا الدنيا وما



فيها وراء ظهورهم بعد موتهم والمفروض أن أعمالهم كانت ناشئة عن الغفلة  
فأي نفع فيها غير الخسران كما قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا  
خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ﴾ (١)

و: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ، وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ، وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ،  
كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ، فَمَا يَكْتُمُ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا  
مُنْتَظَرِينَ﴾ (٢)

□ قوله ﷺ: وَإِنِّي أُحَذِّرُكُمْ وَنَفْسِي هَذِهِ الْمَنْزِلَةَ فَلْيَسْتَفِجِ امْرُؤٌ بِنَفْسِهِ...

بعد ما بين ﷺ في الفقرات السالفة عدم اعتبار الدنيا وأنه لا بد لكل إنسان  
من الموت والجزاء بما عمل به في الدنيا وأن النعم الدنيوية لا بقاء لها قال ﷺ:  
وَإِنِّي أُحَذِّرُكُمْ وَأَخَوْفُكُمْ وَأُحَذِّرُ نَفْسِي أَيْضاً هَذِهِ الْمَنْزِلَةَ الْعَظِيمَةَ الْمُوحِشَةَ  
الَّتِي لَا يَنْفَعُ فِيهَا مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ فَلْيَسْتَفِجِ كُلُّ امْرُؤٍ فِي  
الدُّنْيَا بِنَفْسِهِ وَلَا يَعْتَمِدْ عَلَى غَيْرِهِ فَإِنَّ النَّفْسَ بِمَا كَسَبَتْ رَهْنِيَّةً.

فقوله ﷺ: وَإِنِّي أُحَذِّرُكُمْ إِشَارَةً إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى حَيْثُ قَالَ: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ  
يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٣)

و: ﴿وَ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُحَذِّرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى  
رُسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ (٤)

و: ﴿وَيُحَذِّرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ الْمَصِيرُ﴾ (٥)

و: ﴿وَيُحَذِّرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَؤُفٌ بِالْعِبَادِ﴾ (٦)

و: وَتُرَى قُرْعُونَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾ (٧)

وفي قوله ﷺ: وَنَفْسِي إِشَارَةً إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى حِكَايَةً عَنِ يَوْسُفَ النَّبِيِّ ﷺ

١- الأنعام - ٩٤

٢- الدخان - ٢٩ = ٢٥

٤- المائدة - ٩٢

٦- آل عمران - ٣٠

٣- التور - ٦٣

٥- آل عمران - ٢٨

٧- القصص - ٦/٥

حيث قال: ﴿وَمَا أُبْرِيئُ نَفْسِي أَنْ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾<sup>(١)</sup> وفي قوله ﷺ: فَلْيَسْتَفْعِ امْرُؤٌ بِنَفْسِهِ إِشَارَةً إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾<sup>(٢)</sup>

و: ﴿تُوقَى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾<sup>(٣)</sup>

و: ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾<sup>(٤)</sup>

و: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾<sup>(٥)</sup>

و: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَّا كَسَبْتُمْ﴾<sup>(٦)</sup>

□ قوله ﷺ: فَإِنَّمَا الْبَصِيرُ مَنْ سَمِعَ وَتَفَكَّرَ (فَتَفَكَّرَ)، وَنَظَرَ فَأَبْصَرَ، وَانْتَفَعَ بِالْعِبَرِ...  
كلمة (إنما) تفيد الحصر والمراد بالبصير في المقام هو البصيرة القلبية لا الرؤية بالحاسة.

إن قلت - فما وجه الحصر ومن المعلوم أن البصير لا ينحصر فيمن سمع وتفكّر بل يطلق على من ليس كذلك أيضاً.

قلت - البصير حقيقة لا يطلق على غير ما ذكره ﷺ وإطلاقه على الناظر والرائي ليس على سبيل الحقيقة بل هو على طريق المجاز ألا ترى إلى قوله ﷺ: (وَنَظَرَ فَأَبْصَرَ) فلو كان البصير هو الناظر لما كان لهذا الكلام فائدة إلا التكرار وهو كما ترى وكيف كان فما ذكره حق لا ريب فيه. قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾<sup>(٧)</sup>

و: ﴿بَلِ الْإِنْسَانَ عَلَى نَفْسِهِ بِصِيرَةٌ﴾<sup>(٨)</sup>

و: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ﴾<sup>(٩)</sup>

و: ﴿هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾<sup>(١٠)</sup> ومن المعلوم أن

البصيرة في هذه الآيات ليست بمعنى النظر والرؤية بالحاسة بل المراد بها

٢- البقرة- ٢٨٦

٤- إبراهيم- ٥١

٦- البقرة- ١٣٤

٨- القيامة- ١٤

١٠- الأعراف- ٢٠٣

١- يوسف- ٥٢

٣- آل عمران- ١٦١

٥- المدثر- ٣٨

٧- يوسف- ١٠٨

٩- الأنعام- ١٠٤

المعرفة الحاصلة بسبب التَّفَكُّر والتَّدبُّر في أوصاف الحَقِّ وأفعاله وآياته وهو واضح لا خفاء فيه ولهذه الدَّقِيقَةُ أَرَدَفٌ عنه كلامه بقوله: (وإنتفع بالعبر) فإنَّ الإنتفاع يحصل بواسطة التَّفَكُّر لا بالنُّظر الظَّاهري وحاصل الكلام أنَّ البصير في أمر دينه ودنياه هو من كان كذلك وغيره ليس ببصير واقعاً.

□ قوله عنه: ثُمَّ سَلَّكَ جَدَدًا وَأَضِحًا يَتَجَنَّبُ فِيهِ الصَّرْعَةَ فِي الْمَهَاوِي، وَالضَّلَالَ فِي الْمَهَاوِي...

كلمة (ثم) للتراخي والمعنى أنَّ الإنسان بعد ما صار بصيراً في دينه ودنياه وإنتفع بالعبر كما هو حقّه سَلَّكَ طَرَقًا واضحاً وهو الصَّرَاطُ المستقيم يَتَجَنَّبُ فِيهِ طَرِيقَهُ هَذَا السَّقُوطِ فِي الدَّرَكَاتِ وَالِدَّخُولِ فِي الشُّبُهَاتِ وَالْمُحَرِّمَاتِ وَلَا شَكَّ أَنَّ هَذِهِ الْأُمُورَ مِنْ فُرُوعِ الْبَصِيرَةِ فَإِنَّ السَّلُوكَ فِي الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ أَعْنِي الصَّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ وَالْمِنْهَاجِ الْقَوِيمِ لَا يَحْصُلُ إِلَّا لِلتَّاقِدِ الْبَصِيرِ.

□ قوله عنه: وَلَا يُعِينُ عَلَى نَفْسِهِ الْغَوَاةَ يَتَعَسَّفُ فِي حَقِّ، أَوْ تَحْرِيفٍ فِي نُطْقٍ، أَوْ تَخَوُّفٍ مِنْ صِدْقٍ...

الغواة بضم الغين المعجزة جمع (غاوي) وهو إسم فاعل من غوى يغوي وأصل الغي جهل من إعتقاد فاسد وذلك لأنَّ الجهل قد يكون من كون الإنسان غير معتقد إعتقاداً لا صالحاً ولا فاسداً، وقد يكون من إعتقاده بشيء فاسد والثاني يقال له غي كما قال تعالى: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى﴾<sup>(١)</sup>

وقد ورد في الحديث وأعوذ بك من كلِّ لصِّ غاوي أي مُضِلٍّ غير مرشدٍ ومنه اللهم لا تجعلنا من الغاوين، وغاو وغواه كقاض وقضاه.

والتعسف مأخوذ من العسف بالفتح والسكون وهو الأخذ على غير طريق إذا عرفت هذا فلنرجع إلى البحث قال المحقق البحراني رحمه الله في شرحه لهذا الكلام ما هذا لفظه: ثم نهى أن يعين الإنسان على نفسه الغواة بأحد أمور أن يتعسف في حق أي لا يحملهم على مرّ الحق وصعبه فإنَّ الحقَّ له درجات

بعضها من بعض فالإستقصاء فيه على غير أهله يوجب لهم النفرة عمّن يقوله ويأمر به والعداوة له والقول فيه ويحتمل أن يريد بالتعسف في الحقّ التّكلف في العمل به مع نوع من التّفصير فيه فإنّ الغواية هم تاركوا الحقّ فإذا وجدوا ريكاً فيه أو متكلّفاً للعمل به مقصراً طمعوا في الآتية للباطل فكان قد أعانهم على نفسه بذلك وكذلك إذا أنسو منه الكذب والتّحريف في القول أو التّخوف من الصّدق كان أرعى لهم من الطّمع في إنفعاله لباطلهم وإدخاله فيه فكان مُعيناً لهم على إغواء نفسه بذلك انتهى ما ذكره رحمه الله.

وقال الشارح المعتزلي: ثمّ يصف الأمور التي يعين بها الإنسان أرباب الضلال على نفسه وهي أن يتعسف في حقّ يقوله أو يأمر به فإنّ الرّفق أنجح وأن يحرف المنطق فإنّ الكذب لا يثمر خيراً وأن يتخوف من الصّدق في ذات الله قال سبحانه: ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ﴾ <sup>(١)</sup> فذمّ من لا يصدق ويجاهد في الحقّ انتهى.

وقال الخوئي رحمه الله بعد نقله ما نقلناه عن البحراني والمعتزلي: وهذا معنى لا بأس به إلى أن قال رحمه الله: إلا أنّ الظاهر أنّه عليه السلام أراد معنى آخر أي لا يعين الغاوين بما ضرره عايد إليه وهو تعسّفه في حقّ وعدم كشفه لهم وتبليغه عليهم وإرجاعهم إليه، إلى أن قال: فعلى ما قلناه يكون المراد بالضرر الأخرى وبالتعسف العدول والانحراف عن قول الحقّ والعمل به انتهى.

وأنا أقول: الحقّ أنّ ما ذكره لا يرجع إلى محصلٍ وإنما نقلنا كلامهم في المقام لتعلم أنّ هذه الأقاويل لا طائل تحتها وأنها في الحقيقة ليست من شرح الكلام بشئٍ وإنما هي خارجة عن حريم البحث بل التّحقيق في شرح كلامه عليه السلام هو أنّ إعانة الغواية على نفسه لها ثلاث طرق ينبغي التّجنّب عنها:

أحدها: التعسف في الحقّ.

وثانيها: التّحريف في النّطق.

وثالثها: التَّخَوُّفُ مِنَ الصَّدَقِ.

أَمَّا التَّعَسُّفُ فِي الْحَقِّ: فَمَعْنَاهُ تَأْوِيلُ الْحَقِّ وَتَفْسِيرُهُ عَلَى مِيلِ الْغَاوِي بِسَبَبِ  
الْمَحَامِلِ الْبَعِيدَةِ وَالْإِحْتِمَالَاتِ الْبَارِدَةِ الرَّكِيكَةِ الضَّعِيفَةِ كَمَا هُوَ شَأْنُ الْمُتَمَلِّقِينَ  
الْمُذَبْذَبِينَ الْمُنَافِقِينَ فِي كُلِّ عَصْرِ وَزَمَانٍ فَيَحْمَلُونَ الْأَخْبَارَ عَلَى طَبَقِ أُمِّيَالِ  
الْحِكَامِ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْغَوَاةِ لِيُقَرَّبُوا بِهِ إِلَيْهِمْ وَيَتَمَتَّعُوا مِنْ دُنْيَاهُمْ وَإِنَّمَا عَبَّرَ ﷺ  
هَذِهِ الرُّوْيَةَ بِالتَّعَسُّفِ لِأَنَّ أَصْلَهُ الْأَخْذَ عَلَى غَيْرِ الطَّرِيقِ وَمَا نَحْنُ فِيهِ كَذَلِكَ  
وَرَبَّمَا يَظُنُّ الْمُتَعَسِّفُ أَنَّ هَذَا حَسَنٌ بَلْ هُوَ مُصَدِّقٌ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ  
رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾<sup>(١)</sup> وَلَيْسَ كَذَلِكَ.

ثُمَّ إِنَّ التَّعَسُّفَ فِيهِ تَارَةٌ يَكُونُ بِمَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْلِ وَأُخْرَى يَكُونُ بِالْعَمَلِ،  
فَيَعْمَلُ فِي الظَّاهِرِ بِخِلَافِ مَا يَعْمَلُ فِي الْبَاطِنِ وَيَعْبُرُ عَنْهُ بِالرِّيَاءِ وَبِالْجُمْلَةِ  
التَّعَسُّفُ الْعَدُولُ عَنِ الْحَقِّ بِأَيِّ وَجْهِ إِتْفَاقٍ وَأَمَّا كَوْنُهُ مَذْمُومًا وَمُصَدِّقًا لِلْإِعَانَةِ  
عَلَى نَفْسِهِ أَيْ عَلَى ضَرَرِهَا، فَلِأَنَّ الْغَاوِيَّ يَطْمَعُ فِي دِينِ الْمُتَعَسِّفِ وَيَأْخُذُ دِينَهُ  
مِنْهُ تَدْرِيجًا وَأَيُّ ضَرَرٍ أَضْرَّ عَلَى النَّفْسِ مِنْ هَذَا فَالْمُتَعَسِّفُ هُوَ الَّذِي أَعَانَ  
الظَّالِمَ الْغَاوِيَّ عَلَى الظُّلْمِ وَالتَّسْلُطِ عَلَيْهِ وَعَلَى غَيْرِهِ وَالسَّبَبُ التَّعَسُّفُ وَهَذَا  
مَعْنَى قَوْلِهِ ﷺ: «وَلَا يُعِينُ عَلَى نَفْسِهِ الْغَوَاةَ بِتَعَسُّفٍ فِي حَقِّ، فَالْبَاءُ لِلْسَّبَبِيَّةِ.

وَإِنَّمَا قَالَ (فِي حَقِّ) بِالتَّنْكِيرِ وَلَمْ يَقُلْ فِي الْحَقِّ، لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ التَّعَسُّفَ لَا  
يَجِبُ أَنْ يَكُونَ فِي حَقِّ خَاصٍّ بَلْ هُوَ يَجْرِي فِي أَيِّ حَقٍّ مِنَ الْحَقُوقِ فَحَقُّ  
الْكَلَامِ هُوَ التَّنْكِيرُ وَهَكَذَا الْكَلَامُ فِي قَوْلِهِ ﷺ: (فِي نَطْقٍ) وَقَوْلِهِ ﷺ: (مَنْ  
صَدَقَ) فَالْوَجْهُ مَا ذَكَرْنَاهُ.

أَلَا تَرَى أَنَّ الْغَوَاةَ لَا تَطْمَعُونَ فِي غَيْرِ الْمُتَعَسِّفِينَ مِنْ أَهْلِ الْحَقِّ الَّذِينَ لَا  
يَقُولُونَ إِلَّا حَقًّا وَلَا يَعْمَلُونَ إِلَّا مَا هُوَ مَرْضِيٌّ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ وَيَتَّصِلُونَ  
فِي الشَّرِيعَةِ وَيَخَافُونَ اللَّهَ فَهَمَّ فِي دِينِهِمْ كَالْجِبِلِّ الرَّاسِخِ لَا تَحْرَكُهُ الْعَوَاصِفُ.  
وَثَانِيهَا التَّحْرِيفُ فِي النُّطْقِ: وَمَعْنَاهُ التَّكَلُّمُ بِمَا يُرْضِي الْغَوَاةَ فِي الْمَجَامِعِ

وغيرها فلا يقول إلا ما فيه رضى لهم وهو يَتَحَقَّقُ تارةً بتحريف الآيات والأخبار وتارةً بكتمان الحقائق وعدم النُّطق بها فإنَّ الحقَّ مُرٌّ لا يحتمله إلا أهله وعليه فالمراد بقوله ﷺ هذا، هو تبليغات السُّوء وتلبيس الحقِّ بالباطل وإيراد الباطل بصورة الحقِّ كما هو شأن الكاذبين المنافقين.

**وثالثها التَّخَوُّفُ من كلمات الصَّادقة:** وخوفه من الصِّدق معناه أنَّه يكذب في أقواله ظناً منه أنَّ الصِّدق يُوقعه في الحَظَر ولا يعلم أنَّ النِّجاة في الصِّدق كما أنَّ الهلاك في الكذب إلا فيما إستثنى في الشريعة المُقدَّسة حسب ما مرَّ بيانه تفصيلاً، فإذا رأى أنَّه يكذب يعلم بل يقطع بأنَّه لا دين له فيمكن له إغوائه وإضلاله فكان الكاذب هو الذي صار سبباً ومُعِيناً إيَّاه على ضرر نفسه وهو ظاهر فتأمل في المقام لعلَّكَ تَستخرج وجهاً آخر أحسن ممَّا إستخرجناه وإستخرجه من كان قبلنا فكم ترك الأوائل للأواخر هذا ما فهمناه من العبارة.

□ قوله ﷺ: **فَأَفِقْ أَيُّهَا السَّامِعُ مِنْ سَكْرَتِكَ، وَاسْتَيْقِظْ مِنْ غَفْلَتِكَ! وَاخْتَصِرْ مِنْ عَجَلَتِكَ...**

(فَأَفِقْ) الفاء للتفريع والفعل أمر من الإفاقة والماضي منه أفاق والمضارع يَفِيقُ، والإفاقة الرجوع إلى ما كان عليه يقال أفاق من مرضه أي رجعت إليه الصِّحة، وأفاق من سكرته أي رجع إلى عقله وشعوره بعد ذهاب سكرته فشبهه ﷺ الإنسان تارةً بالسُّكران وتارةً بالغافل النَّائم وتارةً بالمُستعجل الذي لا يدري ما يصنع والمراد بالسُّكر هو سُكر الشهوة والمقام وغيرهما وبالغفلة الغفلة عمَّا خُلق لأجله وبالعجلة العجلة إلى وصول الأغراض والمقاصد الدنيوية وبالإفاقة في الأول التَّوجُّه إلى ما هو خير له وبالإستيقاظ اليقظة عن نوم الغفلة وبالإختصار تقليل السرعة في الوصول إلى الحُطام الدنيوية وهذا الكلام ممَّا لا يخفى لطفه فقال ﷺ: **فَأَفِقْ أَيُّهَا السَّامِعُ مِنْ سَكْرَتِكَ،** أي إرجع إلى نفسك من سكرتك الهالكة وهي حبُّ الدُّنيا وما فيها من شهوة المقام وشهوة البطن وشهوة الفرح وغيرها ممَّا يخرج الإنسان عن إنسانيته ويدخله

في سلك الحيوانات وهو أعني التعبير بالسكرة إقتباس من القرآن: قال الله تعالى: ﴿لَعَنَرَكْ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ (١)

وقوله ﷺ: وَأَسْتَيْقِظُ مِنْ غَفْلَتِكَ، إشارة إلى غفلة أكثر الناس في دار الدنيا وأن ينبغي لهم الخروج عنه باليقظة أعني التوجه والتذكر ثم العمل بمقتضاه والآيات في الغفلة كثيرة: قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾ (٢)

و: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ، أُولَئِكَ مَاوَاهُمُ النَّارُ﴾ (٣)

و: ﴿أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ (٤)

و: ﴿فَأَعْرَفْنَاهُمْ فِي النَّيْمِ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ (٥)

و: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ فِي غَفْلَةٍ﴾ (٦)

و: ﴿إِقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ (٧) وغيرها من الآيات.

وإذا كان الأمر على هذا المنوال فيجب على الأنبياء والأوصياء والعلماء أن يخوفوا الناس من هذا الداء المهلك ويُرشدوهم إلى دواءه وهو التنبه والتذكر إتماماً للحجة وإكمالاً للنعمة لئلا يقولوا يوم القيمة ﴿يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ (٨)

وقوله ﷺ: وَأَخْتَصِرُ مِنْ عَجَلَتِكَ، أي قَلِّلْ سُرْعَتَكَ في أمور الدنيا وقصِّر الإهتمام بها إذ بقائها يسير وزوالها قريب وما شأنه هذا لا ينبغي للعاقل الإلتفات إليه فضلاً عن التعجيل في الوصول إليه قال الله تعالى: ﴿ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ (٩)

□ قوله ﷺ: وَأَنْعِمِ الْفِكْرَ فِيمَا جَاءَكَ عَلَى لِسَانِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ ﷺ مِمَّا لَا يَدُّ مِنْهُ، وَلَا مَحِيصَ عَنْهُ...

٢- يونس - ٩٢  
٤- الأعراف - ١٧٩  
٦- مريم - ٣٩  
٨- الأنبياء - ٩٧

١- الحجر - ٧٢  
٣- يونس - ٧  
٥- الأعراف - ١٣٦  
٧- الأنبياء - ١  
٩- الذاريات - ١٤

أي أمين النظر وتُدبّر فيما جاءك من الأحكام الشرعية على لسان النبي  
الأمي وهو الرسول ﷺ مما لا بدّ منه ولا مَحْيَصُ عنه، قالوا هو الموت إذ لا  
مناص ولا خلاص ولا مهرب منه.

وأنا أقول: لا وجه لهذا التفسير ولا دليل عليه أعني تفسير قوله ﷺ: **مِمَّا لَا يَدُّ**  
**مِنْهُ** الخ بالموت، إذ الكلام ليس في الموت فعلاً ولا ندري وجه تفسير  
الكلام به.

والحق في المقام بقريته السياق هو أن المراد به هو أحكام الإسلام حلالها  
وحرامها فإنها هي التي جاءت على لسانه ﷺ وأما الموت والإخبار به فليس  
مما جاء على لسانه ﷺ دون غيره بل هو أمرٌ مقطوعٌ به في كل عصرٍ وزمانٍ ولا  
يحتاج إلى إخبار النبي أو الوصي به.

وبعبارةٍ أُخرى: كلمة (من) في قوله ﷺ: (مِمَّا) بيانيةٌ فهي لبيان ما جاء على  
لسان الرسول ﷺ وعلى ما ذكره معنى العبارة أن ما جاء على لسانه ﷺ هو  
الموت فاقض ما أنت قاض.

إن قلت - فعلى ما ذكرت من أن المراد به الأحكام مما لا بدّ منه وليس كذلك  
لقوله تعالى: ﴿لَا إِخْرَافَ فِي الدِّينِ﴾<sup>(١)</sup>

قلت - ما جاء به الرسول لا يختص بالأحكام الدينية الشرعية الفرعية بل  
أعمّ منها ومما هو مربوط بالآخرة من سؤال القبر والصراط والميزان والجنة  
والنار وغيرها فيمكن أن يكون المراد بما جاء على لسانه من الأحكام هو هذه  
الأمر التي لا بدّ منها:

ويمكن أن يكون المراد الأحكام كلها أعني أحكام الإسلام وكونها مما لا بدّ  
منه معناه قوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾<sup>(٢)</sup>  
الآية بتقريب أن من يأخذ ديناً فلا بدّ له من الإسلام فإن من أخذ بغيره فلن



يُقْبَلُ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ فَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ (١) معناه عدم الإكراه تكويناً بمعنى أن يُجْبَرَ عَلَيْهِ مِنْ غَيْرِ إِخْتِيَارٍ وَأَمَّا الْإِكْرَاهُ التَّشْرِيعِيُّ فَهُوَ يَسْتَفَادُ مِنَ الْآيَةِ كَمَا عَرَفْتَ وَحَاصِلُ الْكَلَامِ هُوَ إِعْمَانُ النَّظَرِ فِيمَا جَاءَ عَلَى لِسَانِهِ مِنَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ وَسَائِرِ الْأَحْكَامِ وَمَا أَخْبَرَ بِهِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْآخِرَةِ وَبِالْجُمْلَةِ جَمِيعَ مَا جَاءَ بِهِ:

وَأَمَّا كَوْنُ النَّبِيِّ أُمَّيًّا فَإِنَّمَا هُوَ بِإِعْتِبَارِ نَسَبَتِهِ ﷺ إِلَى أُمِّ الْقُرَى أَعْنِي مَكَّةَ زَادَهَا اللَّهُ شَرَفًا وَذَلِكَ لِأَنَّهُ ﷺ وُلِدَ فِيهَا أَوْ بِمَعْنَى أَنَّهُ مَنْسُوبٌ إِلَى أُمِّهِ كَمَا هُوَ خَرَجَ مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ لَا يَقْرَأُ وَلَا يَكْتُبُ وَأَمَّا مَا زَعَمَهُ بَعْضُ مَنْ لَا خُبْرَةَ لَهُ بِمَقَامَاتِ الْأَنْبِيَاءِ عَمُومًا وَمَقَامَاتِهِ خُصُوصًا مِنْ أَنَّهُ ﷺ إِنَّمَا سُمِّيَ بِهِ لِأَنَّهُ لَمْ يَحْسُنْ أَنْ يَكْتُبَ فَقَدْ كَذَّبَ وَإِفْتَرَى عَلَيْهِ إِذَا الْأُمِّيُّ بِهَذَا الْمَعْنَى لَا يُطْلَقُ عَلَيْهِ بَلْ لَا يَجُوزُ أَنْ يُطْلَقَ عَلَيْهِ عَقْلًا وَشَرَعًا:

أَمَّا عَقْلًا: فَلِأَنَّ الْكِتَابَةَ وَالْعِلْمَ بِهَا كَمَالٌ لِلْإِنْسَانِ وَعَدَمُهَا نَقْصٌ فِيهِ بَلْ هِيَ مِنْ أَعْلَى الْكَلِمَاتِ وَأَفْضَلِ الدَّرَجَاتِ وَقَدْ ثَبِتَ أَنَّ النَّبِيَّ هُوَ الْإِنْسَانُ الْكَامِلُ مِنْ جَمِيعِ الْجِهَاتِ سِوَى نَقْصِ الْإِمْكَانِيَّةِ فَلَوْ فَرَضْنَا كَوْنَهُ غَيْرَ عَالِمٍ بِالْكِتَابَةِ فَهُوَ نَاقِصٌ لَا يَصْلِحُ لِلنَّبُوءَةِ وَقَدْ تَكَلَّمْنَا فِيهَا مَفْصَلًا:

وَأَمَّا شَرَعًا: فَمِنْ الْكِتَابِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (٢)

وَجِهَ الْإِسْتِدْلَالُ بِهَا مِنْ جِهَتَيْنِ:

أَحَدِيهِمَا: مَا يَسْتَفَادُ مِنْ قَوْلِهِ: (فِي الْأُمِّيِّينَ) حَيْثُ أَطْلَقَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى أَهْلِ مَكَّةَ (الْأُمِّيِّينَ) وَمَعْلُومٌ أَنَّ هَذَا الْإِطْلَاقَ لَيْسَ مِنْ جِهَةِ أَنَّهُمْ كَانُوا لَا يَكْتُبُونَ بَلْ مِنْ حَيْثُ كَوْنِهِمْ مَنْسُوبِينَ إِلَى أُمِّ الْقُرَى وَهَكَذَا إِطْلَاقُ الْأُمِّيِّ عَلَيْهِ ﷺ:

وِثَانِيهِمَا: مَا يَسْتَفَادُ مِنْ قَوْلِهِ: (وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ) فَإِنَّ تَعْلِيمَ الْكِتَابِ فِي حَقِّ

من لا يَقْرَأُ ولا يَكْتُبُ من المُحَالَات فإنَّ الفاقِدَ للشَّيْ لا يكون قادراً على إعطائه  
فحيث إنَّه ﷺ كان عالماً بالكتاب ومأموراً بتعليمه كان واجداً له في حدِّ نفسه  
وهو المطلوب.

وأما من الأخبار: فمنها ما رواه الفيض رحمته في الصَّافي في تفسير قوله تعالى:  
﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ﴾ <sup>(١)</sup> من علل الشَّرائع عن الجواد عليه أنه  
سئل عن ذلك فقال عليه: ما يقول النَّاسُ قيل يَزعمون أنه سُمِّي الأُمِّي لأنه لم  
يَحسن أن يكتب فقال عليه كذبوا عليهم لعنة الله أتى ذلك والله يقول هو الَّذي  
بَعَث الآية فكيف كان يعلمهم ما لا يَحسن والله لقد كان رسول الله ﷺ يَقْرَأُ  
ويَكْتُبُ بإثنين وسبعين أو قال بثلاث وسبعين لساناً وإِنما سُمِّي الأُمِّي لأنه كان  
من أهل مَكَّة ومَكَّة من أمَّهات القرى وذلك قوله تعالى: ﴿وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ  
حَوْلَهَا﴾ <sup>(٢)</sup> والأخبار من طريق أهل البيت في الباب كثيرة ونحن قد فصلنا  
الكلام في هذا الوصف وغيره من أوصافه عليه عند البحث عن النبوة وذكرنا  
الأخبار الواردة والأدلة العقلية الدالة على المدعى فراجع هناك إن شئت:

□ قوله عليه: وَخَالَفَ مَنْ خَالَفَ فِي ذَلِكَ إِلَى غَيْرِهِ، وَدَعَا وَمَا رَضِيَ لِنَفْسِهِ...

الظاهر أنَّ الأوَّل بكسر الكلام أمر من خَالَفَ يُخَالَفُ والثاني بفتح اللام  
ماض من هذا الباب وعليه فالمعنى خالف أنت أيها المُستمع من خالف  
الرَّسول في ما جاء به إلى غيره ودَعَا وما رَضِيَ لنفسه من المخالفة وذلك لأنَّ  
الموافقة له توجب خزي الدارين وهلاك النَّشأتين وفيه إيماء إلى أنَّ الإنسان إذا  
عَرَفَ الحقَّ لا يعبأ بمن خالفه فيه قليلاً كان المخالف أو كثيراً إذ لا يعرف الحقَّ  
بالرَّجال بل الرَّجال يُعرفون بالحقِّ:

□ قوله عليه: وَضَعَ فَخْرَكَ، وَاحْطَطُ كِبْرَكَ، وَادْكُرْ قَبْرَكَ...

ضَع بفتح الضاد وسكَّون العين فعل أمر من وَضَعَ يَضَعُ والأمر منه (ضَع)  
والواو في قوله عليه: (وَضَعَ) للعطف أو الإستئناف والمعنى لا تفخر على أحد:

وأحطط أيضاً أمر من أحطَّ يحطُّ والمصدر منه الإحطاط وأصل الحطّ القلع  
عن مادة كما قال الشاعر:

كجلمود صخرٍ حطّه السَّيل من علٍ، أي أقلعه السَّيل من مكانه.  
والمعنى أقلع مادة الكبر عن نفسك وأمحه عنها بالمرّة بحيث لا يبقى منه  
عين ولا أثر إن كنت تريد النجاة من عواقبه ولوازمه فإنّه داءٌ مهلك، وفي قوله  
﴿وَإِذْ كُنَّا قَبْرًا بَعْدَ وَضَعِ الْفَخْرِ وَاحْطَاطِ الْكِبْرِ إِشَارَةً إِلَى أَنَّ الْإِنْسَانَ الَّذِي هَذَا  
مَأْوَاهُ وَمَسْكَنُهُ بَعْدَ الْمَوْتِ فَلَا يَنْبَغِي لَهُ الْإِتِّصَافُ بِهَذِهِ الرِّذَائِلِ وَلِتَتَكَلَّمَ فِيهَا  
بِحَسَبِ الْإِجْمَالِ وَنَقُولُ:

الفخر المباهات في الأشياء الخارجة عن الإنسان كالمال والجاه وقيل إنّه  
المباهات باللسان بما توهمه كمالاً وكيف كان فهو من أصناف التَّكْبُرِ وكلّ ما  
ورد في ذمّه يدلّ على ذمّه والأسباب الباعثة عليه هي أسباب التَّكْبُرِ وقد دلّ  
على ذمّه العقل والنقل:

أمّا العقل: فلا شكّ فيه إذ المباهات فيما هو خارج عن مقام ذات الإنسان  
قبيح عقلاً وذلك لأنّ ما هو خارج عن ذاته لا ربط له بالإنسانيّة بل هو أمرٌ  
إعتباري والأمر الاعتباري لا بقاء لها وكلّ ما هو كذلك لا يصحّ الإعتماد عليه  
فالفخر بها على الغير قبيحٌ جداً وترتيب القياس هو أن يقال: الفخر هو  
المباهات في الأشياء الخارجة عن الإنسان، وكلّ ما هو خارج عن الإنسان فهو  
مذموم ليس منه فالفخر مذموم ليس منه وعلى التعريف الثاني نقول:

الفخر هو المباهات باللسان بما توهمه كمالاً، وكلّ ما يتوهمه الإنسان كمالاً  
ليس بكمال له فالفخر ليس من الكمالات وكلّ ما هو ليس بكمال فهو نقص  
فالفخر نقص، وأمّا النقل فمن الآيات: منها: قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ  
مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ (١)

و: ﴿وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ (٢)

و : «إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً» (١)

و : «إِعْلَمُوا أَنَّهَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ» (٢)

ومن الأخبار ما رواه في جامع السعادات عن الباقر عليه السلام أنه قال: عجبا للمختال الفخور وإنما خلق من نطفة ثم يعود جيفة وهو فيما بين ذلك لا يدري ما يصنع به انتهى...

وعن سيد الساجدين عليه السلام: عجبا للمتكبر الفخور الذي كان بالأمس نطفة ثم هو غدا جيفة انتهى...

وعن الباقر عليه السلام: صعد رسول الله ٩ يوم فتح مكة المنبر فقال: أيها الناس إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتفآخرها بآبائها إلا إنكم من آدم و آدم من طينٍ إلا إن خير عباد الله عبدٌ إتقاه انتهى...

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: آفة الحسب الإفتخار والعجب انتهى...

وأيضاً أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وآله فقال يا رسول الله أنا فلان ابن فلان حتى عدت تسعة فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أما أنك عاشرهم في النار انتهى جامع السعادات «ص ٣٦٧»...

وروى في البحار بإسناده عن أبي جعفر عليه السلام قال عليه السلام: ثلثة من عمل الجاهلية الفخر بالأنساب والطعن في الأحساب والإستسقاء بالأنواء انتهى» ج ١٥ ص ١٤١ الجزء الثالث من الإيمان والكفر»...

وإسناده عن أمير المؤمنين قال عليه السلام: من صنع شيئاً للمفاخرة حشره الله يوم القيمة أسود انتهى «ص ١٤١»...

وقال الصادق عليه السلام: ثلاث إذا كن في المرء فلا تتحرج أن تقول إنه في جهنم، البداء، والخيلاء، والفخر انتهى «ص ١٤١»...

وأما الكبر فهو أيضاً مذموم عقلاً ونقلاً وقبل الشروع بذكر الأدلة لا بد من تعريفه وبيان ماهيته فنقول: إعلم أن الكبر هو الركون إلى رؤية النفس فوق

الغَيرِ وبعبارةٍ أوضح هو عِزَّةٌ وتَعْظِيمٌ يوجب رُؤيةَ النَّفسِ فوقَ الغيرِ وإعتقادَ المِزيةِ والرُّحْجانِ عليه فهو يستدعي مُتَكَبِّراً عليه وبه يَنْفَصِلُ عن العُجبِ إذ العُجبُ مُجرَّدُ إستِعْظامِ النَّفسِ من دونِ إعتبارِ رُؤيتها فوقَ الغيرِ فالعُجبُ سَبَبُ الكِبرِ والكِبرِ من نتائجهِ ثمَّ إنَّ الكِبرَ هو خِلقٌ في الباطنِ يقتضي أعمالاً في الظَّاهرِ هي ثمراتهِ وتُسمَّى تلكَ الأعمالُ الظَّاهرةُ الصَّادرةُ منه تَكَبُّراً وعليه فالكِبرُ هو تَعَزُّزُ النَّفسِ ورُؤيتها باطناً فوقَ الغيرِ من دونِ صدورِ فعلٍ عن جوارحه والتَّكَبُّرُ هو ظهورُ ما في الباطنِ بسببِ الأعمالِ الظَّاهرةِ الصَّادرةِ وهذه الأعمالُ المُعَبَّرُ عنها بالتَّكَبُّرِ قد يصدرُ عن الحِقْدِ أو الحَسَدِ أو الرِّياءِ وإن لم تكن في النَّفسِ عِزَّةٌ وتَعْظُمُ:

والدليل العقلي على ذمّه وقبحه من وجوه:

أحدها: ما أشرنا إليه في الفخر فإنهما أعني الكبر والفخر من باب واحد بل الكبر هو الأصل والفخر هو الفرع ولهذا قالوا إنَّ الفخر من أصناف التَّكَبُّرِ وكيف كان فالعقل الحاكم بقبح الفخر يحكم بقبح الكبر بطريق أولي:  
وثانيها: أن الكبر هو الحجاب الأعظم للوصول إلى مقام الإنسانيّة الواقعيّة والدّخول في سلك المؤمنين وكل ما كان كذلك مذمومٌ يجب الإحتراز منه عقلاً فالكبر مذمومٌ عقلاً:

وثالثها: أنه مانع من التَّقَرُّبِ إلى الله تعالى وكل ما هو مانعٌ منه مذمومٌ فالكبر مذمومٌ:

أمّا بيان الصَّغرى فواضح وأمّا الكبرى فلأنَّ الغرض الأصلي والعلّة الغائيّة من إيجاد الإنسان هو التَّخَلُّقُ بالأخلاق الحَسَنَة والتَّجَلِّيُ بالكلمات الموصلة إلى مقام القُربِ فالمانع منه هو المانع عن الكمال المطلوب ولا شك في قبحه:  
ورابعها: أن العقلاء بأجمعهم قد إتفقوا على قبحه وذمّه وإطباق العقلاء حُجَّةٌ عقلاً فهو مذمومٌ وأمّا الأدلّة النقليّة فكثيرة جداً ولنشر إلى شطرٍ منها:

فمن الآيات قوله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ

﴿مُتَكَبِّرٍ﴾ (١)

و: ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ (٢)

و: ﴿قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾ (٣)

و: ﴿لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتْوًا كَبِيرًا﴾ (٤)

و: ﴿إِنَّ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرًا مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ﴾ (٥)

و: ﴿أَدْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ (٦)

و: ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ (٧)

و: ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوَى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ (٨)

و: ﴿أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْغَالِينَ﴾ (٩)

و: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ (١٠) والآيات كثيرة:

ومن الأخبار: قال رسول الله ﷺ: لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال

حبة من خردل من كبر انتهى...

وقال ﷺ: مَنْ تَعَظَّمَ فِي نَفْسِهِ وَإِخْتَالَ فِي مَشِيهِ لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضَبَانِ

انتهى...

وقال ﷺ: لا ينظر الله إلى رجل يجر إزاره بطراً انتهى...

وقال ﷺ: لا يدخل الجنة جبار ولا بخيل ولا سيئ الملكة انتهى...

وقال الله تعالى: الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني في واحدٍ

منهما ألقيته في جهنم...

وقال ﷺ: ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيمة ولا يزكيهم ولهم

عذاب أليم، شيخ زان وملك جبار، ومقل مختال انتهى...

وقال ﷺ: ألا أخبركم بأهل النار كل عقل جواظٍ جعظري متكبر انتهى...

٢- الغافر ٣٥

٤- الفرقان - ٢١

٦- الغافر - ٧٦

٨- الزمر - ٦٠

١٠- الأعراف ١٤٦

١- الغافر - ٢٧

٢- النحل - ٢٢

٥- الغافر - ٥٦

٧- النحل - ٢٣

٩- ص - ٧٥

وقال ﷺ: إِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيْنَا وَأَبْعَدَكُمْ مِنَّا فِي الْآخِرَةِ التُّرَثَارُونَ  
الْمُنْشِدِقُونَ الْمُتَفِيهَقُونَ أَي الْمُتَكَبِّرُونَ...

وقال ﷺ: يُحْتَسَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِي مِثْلِ صُورِ الذَّرِّ تَطَاهَمِ النَّاسِ  
ذَرًّا فِي مِثْلِ صُورِ الرَّجَالِ يَعْطُوهُمْ كُلَّ شَيْءٍ مِنَ الصَّغَارِ ثُمَّ يَسَاقُونَ إِلَى سَجْنٍ  
فِي جَهَنَّمَ يُقَالُ لَهُ يُؤَلْسُ تَعْطُوهُمْ نَارِ الْأَنْيَارِ يُسْقَوْنَ مِنْ طِينَةِ الْخَبَالِ  
وَعَصَارَةِ أَهْلِ النَّارِ انْتَهَى...

وقال الباقر عليه السلام: الكبر رداء الله والمتكبر ينازع الله في رداءه انتهى...  
وقال عليه السلام: العزّ رداء الله والكبر إزاره فمن تناول شيئاً منه أكبّه الله في  
جهنم انتهى...

وقال الصادق عليه السلام: إِنَّ فِي جَهَنَّمَ لَوَادِيًّا لِلْمُتَكَبِّرِينَ يُقَالُ لَهُ سَقَرٌ شَكِيٌّ إِلَى  
اللَّهِ شِدَّةَ حَرِّهِ وَسَأَلَهُ أَنْ يَأْذَنَ لَهُ أَنْ يَتَنَفَّسَ فَأَحْرَقَ جَهَنَّمَ...  
وقال عليه السلام: إِنَّ فِي السَّمَاءِ مَلَائِكَةً مُوَكَّلِينَ بِالْعِبَادِ فَمَنْ تَوَاضَعَ رَفَعَاهُ وَمَنْ  
تَكَبَّرَ وَضَعَاهُ انْتَهَى...

أقول: الأحاديث كلها نقلناها عن جامع السعادات للتراقي « ج ١ ص ٣٤٩  
إلى ص ٣٥١ ».

وروى في البحار بإسناده عن الصادق عليه السلام حيث سئله أبا عبد الله عن  
أدنى الإلحاد قال عليه السلام: الكبر أدناه انتهى...

وإسناده عن داود ابن فرقد عن أخيه قال سمعت أبا عبد الله يقول: إِنَّ  
الْمُتَكَبِّرِينَ يَجْعَلُونَ فِي صُورِ الذَّرِّ يَتَوَطَّأَهُمُ النَّاسُ حَتَّى يَفْرَغَ اللَّهُ مِنَ الْحِسَابِ  
انْتَهَى...

وإسناده عن أبي جعفر عن آبائه قال قال رسول الله ﷺ: إِنَّ أَحَبَّكُمْ إِلَيَّ  
وَأَقْرَبَكُمْ مِنِّي يَوْمَ الْقِيَمَةِ مَجْلِسًا أَحْسَنَكُمْ خُلُقًا وَأَشَدَّكُمْ تَوَاضُعًا وَإِنَّ  
أَبْعَدَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ مِنِّي التُّرَثَارُونَ وَهُمْ الْمُتَكَبِّرُونَ انْتَهَى...

أقول: الأخبار منقولة عن البحار « ج ١٥ الجزء الثالث من الإيمان والكفر

ص ١١٢ الى ص ١٣٤».

وما نقلناه عن جامع السعادات أيضاً موجود في البحار ومع ذلك كله إننا اكتفينا في نقل الأخبار بهذا القدر مع أنه بالنسبة إلى الموجود في كتب الأخبار قليل جداً إن شئت فراجعها:

ثم إن التكبر قد يكون على الله وقد يكون على الرُّسُل، وقد يكون على العباد:

**فالأول:** كما كان لِنمرود وِفِرعون وسببه الطغيان ومَحض الجهل وهو أفحش أنواع الكبر وقد وردت الآيات في ذمه قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ ذَاخِرِينَ﴾<sup>(١)</sup>

و: ﴿فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾<sup>(٢)</sup>

**والثاني:** يتحقق بعدم الإطاعة والإنقياد لهم وقد حكى الله تعالى عنهم أي عن المتكبرين في كتابه، كقوله تعالى: ﴿أَمْؤُلَاءِ مَنِ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِّنْ بَيْنِنَا﴾<sup>(٣)</sup> و: ﴿أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾<sup>(٤)</sup>

و: ﴿أَنْوَمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا﴾<sup>(٥)</sup>

و: ﴿وَلَإِنِ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا الْأَخَاسِرُونَ﴾<sup>(٦)</sup>

**والثالث:** يتحقق باستعظامه نفسه وإستصغاره الناس وعدم الإعتناء بهم كما مرّت الآيات فيه والأقسام كلها مذمومة مطرودة ولا شك أن القسم الأول أقبح من الثاني والثالث ثم الثاني أقبح من الثالث والوجه معلوم:

ثم إن التكبر تارة في العلم وتارة في العمل والعبادة وتارة في الحساب والتسب وتارة بالجمال وتارة بالمال وأمثال ذلك ممّا يطول الكلام بذكره وتفصيل الكلام فيه يطلب من كتب الأخلاق ولا سيّما كتاب الإحياء للغزالي فإنه أطب الكلام فيه بما لا مزيد عليه:

١- الغافر - ٦٠

٢- النحل - ٢٣

٣- الأنعام - ٥٣

٤- إبراهيم - ١٠

٥- المؤمنون - ٤٨

٦- المؤمنون - ٣٦



وأما قوله عليه السلام: وأذُكُرُ قَبْرِكَ، أي إذا ذُكِرَتِ القَبْرُ ووحشته وسؤال النكيرين فيه وتأمَلتَ فيه فلا محالة لا تفتخر ولا تتكبر على أحدٍ أو المعنى أنك إذا ذُكِرَتِ القَبْرُ وأنتَ تدخل فيه وتُصير جيفة فتقول من كان هذا آخره لا ينبغي أن يتكبر على أبناء نوعه ولذلك قال عليه السلام:

□ قوله عليه السلام: فَإِنَّ عَلَيْهِ مَمْرَكَ، وَكَمَا تَدِينُ تُدَانُ، وَكَمَا تَزْرَعُ تَحْصُدُ، وَمَا قَدَّمْتَ الْيَوْمَ تَقْدَمُ عَلَيْهِ غَدًا...

أي فإن القبر مَمْرَكَ لا محالة وكما تُجزي تُجزى وكما تزرع من الأعمال تحصد منها وما قدمت من الخير والشر اليوم أعني في الدنيا ستري جزاءه غداً يوم القيمة:

أما الأول أعني المُرور على القبر فهو مما لا بحث فيه ضرورة أن الإنسان لا بد له بعد الموت منه وإنما قال عليه السلام: (مَمْرَكَ) للإشارة إلى أن القبر ليس المقصد الأصلي والمسكن الأبدي بل المقصد الأصلي هو الجنة أو النار والمنازل والمواقف بين المبدء أعني الموت والمنتهى أعني الجنة أو النار كثيرة جداً كما مرّ مراراً:

والثاني أعني قوله عليه السلام: كَمَا تَدِينُ تُدَانُ، وَكَمَا تَزْرَعُ تَحْصُدُ، ففيه إشارة بل تصريح بثبوت الجزاء للعمل خيره وشره وهو أيضاً ثابت عقلاً ونقلاً:

أما العقل: فلأن الله تعالى خلق الخلق بمقتضى جوده وكرمه وقد ثبت أنه عادل والعدل معناه وضع الشيء في محله والظالم والمظلوم كلاهما مخلوقان له والمفروض أن المظلوم لا يقدر على دفع الظلم عن نفسه فلو فرضنا عدم الجزاء يلزم الظلم في حقه تعالى إذ للمظلوم أن يقول يا رب لم خلقتني والحال هذه فالعقل يحكم بوجود الجزاء قطعاً هذا كله في طريق الظلم:

وهكذا الكلام في الأعمال الصالحة من العدل والإنصاف والخيرات والعبادات والإنفاق وغيرها فإن الإنسان الذي يأتي بها مع قدرته على خلافها بمقتضى العدل يستحق الإحسان كما قال تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا

الإحسان<sup>(١)</sup> وهذا أمر عقلي لا شك فيه.

وأما النقل: فمن الآيات قوله تعالى: ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾<sup>(٢)</sup>

و: ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾<sup>(٣)</sup>

و: ﴿لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾<sup>(٤)</sup>

و: ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا﴾<sup>(٥)</sup>

و: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ﴾<sup>(٦)</sup>

و: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾<sup>(٧)</sup>

و: ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا﴾<sup>(٨)</sup>

و: ﴿ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾<sup>(٩)</sup>

و: ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾<sup>(١٠)</sup>

و: ﴿وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾<sup>(١١)</sup>

و: ﴿قَالِيَوْمَ لَا تُظَلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾<sup>(١٢)</sup>

و: ﴿ذَٰلِكَ جَزَاؤُنَا لَهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَافِرِينَ﴾<sup>(١٣)</sup> والآيات كثيرة.

وبعد حكم العقل على ثبوت الجزاء ودلالة القرآن عليه بالصرحة فلا نحتاج إلى ذكر الأخبار الواردة في الباب فإنها أكثر من أن يخفى وقد أومأنا إلى شطر منها فيما مضى في مضامين الكتاب:

وفي قوله ﷻ: كما تزرع تحصد، شبه ﷻ الأعمال الصادرة عن الإنسان بالزرع الذي يزرعه الزارع والجزاء مترتب عليها يوم الجزاء بالحصيد وهو

١- الرحمن - ٦٠

٢- إبراهيم - ٥١

٣- سبأ - ٤

٤- الجاثية - ١٤

٥- النجم - ٣١

٦- طه - ١٥

٧- الغافر - ١٧

٨- الغافر - ٤٠

٩- يونس - ٥٣

١٠- النمل - ٩٠

١١- الصافات - ٢٩

١٢- سبأ - ١٧

١٣- يس - ٥٤

قطع الزرع قال الله تعالى: ﴿وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾<sup>(١)</sup> وهو من أحسن الإستعارات ومع ذلك يدل على تجسّم الأعمال وهو ظاهر.

والثالث: أعني قوله عليه السلام: وَمَا قَدَّمْتَ الْيَوْمَ تَقَدَّمُ عَلَيْهِ غَدًا، فهو كالتفسير لقوله عليه السلام: وَكَمَا تَدِينُ تُدَانُ، وَكَمَا تَزْرَعُ تَحْصُدُ، فإن ما يدين ويزرع في الدنيا هو الذي يُدان ويحصد به فما قدّمه في الدنيا من الأعمال الحسنة والأعمال السيئة تقدم عليه غداً يوم القيمة أي يرى نتيجة زرعه قال بعض العرفاء بالفارسية:

هَفْت دُوزخ چيست افعال بَدَت

هشت جنت هست اعمال خُودت

خَشْر تُو بر صورتِ اعمالِ توست

هرچه بینی نیک وید احوال توست

جملة أخلاق و أوصاف ای پسر

هر زمان گردد مُمَثَل در صُور

گاه نارت می نماید گاه نُور

گاه دُوزخ گاه جَنّات است و خُور

لاله و گُلها و ریحان و سَمَن

جُملة طاعات است و اخلاق حَسَن

خُور و غلمان جُمَلگی اوصاف تست

مِهَر و مَه رُوح است و قلب صاف تست

قَصْر مروارید و دَرهای ثَمین

شد دل پرنُور تو ای مَرَدِ دین

جُوی خَمَر و جُوی آب و جُوی شیر

نیست جز اوصاف پاک دلپذیر

گرز آتش صورت فعل بدست  
 روح را از وی عذاب سَرمَد است  
 مالک دوزخ قوای نَفْسِی است  
 ممانع لذات رُوح قُدسی است  
 طاعت و اوراد با روی و ریا  
 گشت زُقوم حُمَمِی اندر جزا  
 صورت عدل است میزان و صراط  
 بر صراط حق گذر با احتیاط  
 شد عبادت‌ها و طاعات ای پسر  
 آن طعام و شربت هم چون شکر  
 چون شود اخلاق و اوصاف نکو  
 هشت جَنَّتْ خود توئی ای نیک خو  
 گر گرفتار صفات بد شدی  
 هم تو دوزخ هم عذاب سَرمَدی  
 آن چه گفتم هست از عین الیقین  
 نی با استدلال و تقلید است این  
 راست گوی و راست دان و راست بین  
 راستی کُن کج مَرُو در راه دین  
 خلق نیکو بهترین طاعت است  
 در خِلافِ نفس جان را راحت است

□ قوله ﷺ: فَأْمَهْدُ لِقَدَمِكَ، وَقَدِّمُ لِيَوْمِكَ، فَالْحَذَرَ الْحَذَرَ أَيُّهَا الْمُسْتَمِعُ، وَالْجِدَّةَ الْجِدَّةَ أَيُّهَا الْغَافِلُ، وَلَا يُنْبِتُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ...

أي إذا عرفت حالک فی الدنیا ومهدت ما ذکرناه لک من أنك كما تُدین  
 تُدان وكما تزرع تحصد فأمهد لقدمک أي هیئ لموضع قدمک من الحسنات

والأعمال وقدم الزاد ليوم الجزاء فالحذر الحذر أيها المستمع عن الغفلة والزلة  
والجدد الجد في الإتيان بالخيرات أيها الغافل ولا يبتك أي لا يخبرك أحد مثل  
واعظ خبير، أراد ﷺ بالواعظ الخبير نفسه:

وفي قوله ﷺ: قَامَهُدُ لِقَدَمِكَ، إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ  
لَهُمْ قَدَمٌ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ (١)

وقوله في المجرمين: ﴿يُعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنُّوَاصِي  
وَالْأَقْدَامِ﴾ (٢)

وفي قوله ﷺ: وَقَدِّمُ لِيَوْمِكَ، إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَمَا تَقْدُمُوا لِنَفْسِكُمْ مِنْ  
خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ (٣)

و: ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ (٤) وغيرها من الآيات.  
□ قوله ﷺ: إِنَّ مِنْ عَزَائِمِ اللَّهِ فِي الذِّكْرِ الْحَكِيمِ الَّتِي عَلَيْهَا يُثِيبُ وَيُعَاقِبُ، وَلَهَا  
يَرْضَى وَيَسْخَطُ...

ثم أشار ما عليه مدار الثواب والعقاب والسخط والرضى من الله تعالى على  
ما ورد في القرآن الكريم فينبغي للإنسان مراعاته:  
□ قوله ﷺ: أَنَّهُ لَا يَنْفَعُ عَبْدًا - وَإِنْ أَجْهَدَ نَفْسَهُ وَأَخْلَصَ فِعْلَهُ أَنْ يَخْرُجَ مِنْ  
الدُّنْيَا لَأَقِيًّا رَبَّهُ بِخَصْلَةٍ مِّنْ هَذِهِ الْخِصَالِ لَمْ يَتَّبِ مِنْهَا...

أوضح ﷺ كلامه بقوله: أَنَّهُ لَا يَنْفَعُ الْخَ وَحَاصِلُهُ أَنَّ هَذِهِ الْأُمُورَ الَّتِي عَلَيْهَا  
مدار الثواب والعقاب والسخط والرضى لا يجوز الإهمال بها وذلك لأنه لا  
ينفع عبداً عمله وإن أجهد فيه نفسه وأخلص فعله أن يخرج من الدنيا بالموت  
لاقياً ربه بخصلة منها ولم يتب منها وبعبارة أخرى إذا لاقى ربه بخصلة منها من  
غير التوبة لا تنفعه الأعمال التي صدرت منه كائناً ما كان وهي أمور:  
أحدها قوله ﷺ: أَنْ يُشْرَكَ بِاللَّهِ فِيمَا افْتَرَضَ عَلَيْهِ مِنْ عِبَادَتِهِ...

الظاهر أن المراد بالشرك في المقام هو الشرك في العبادة المعبر عنه بالرياء والدليل عليه قوله ﷺ: فيما فيما افترض الخ ومعلوم أن الرياء يُحرق العمل ويأكله كما تأكل النار الحطب والآيات في ذمه كثيرة قال الله تعالى: ﴿لَإِنْ أَشْرَكَتَ لِيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾<sup>(١)</sup>

و: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾<sup>(٢)</sup>

و: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾<sup>(٣)</sup> وقد مرّ الكلام في الرياء وأقسامه مفصلاً:

الثاني قوله ﷺ: أَوْ يَشْفِي بِهَلَاكِ نَفْسٍ...

وهو المسمى بالانتحار في عرف القوم والمقصود أن الإنسان يشفي غيظه بقتل نفسه وهو من المحرمات التي توجب هبط الأعمال بالكلية قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾<sup>(٤)</sup>، وقد روي: انّ مَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ مُتَعَمِّدًا فَهُوَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا.

الثالث قوله ﷺ: أَوْ يُعَرَّ بِأَمْرٍ فَعَلَهُ غَيْرُهُ...

قال الخوئي رحمه الله الظاهر أن المراد به أن يحكي أمراً قبيحاً ارتكبه غيره ويدلّ على أنه حرام ومَعْصِيَةٌ قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ﴾<sup>(٥)</sup> ثم ذكر بعد الآية روايات لإثبات مدّعاها ونقل عن البحراني أنه روى بعض الشارحين (يعرّ) بالعين المهملة ومعناه أن يقذف غيره بأمر قد فعله هو فيكون غيره منصوباً مفعولاً به ثم قال وعليه فيدلّ على حرمة ما يدلّ على حرمة البهت والافتراء قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكُذِّبُ﴾<sup>(٦)</sup> انتهى.

وأما الشارح المعتزلي ففسّر قوله ﷺ: أَوْ يَشْفِي غِيظَهُ بِهَلَاكِ نَفْسِهِ، بأن يقتل إنساناً بغير حقّ بل ليشفي غيظه وفسّر قوله ﷺ: أَوْ يُعَرَّ بِأَمْرٍ فَعَلَهُ غَيْرُهُ، بالقذف فقال: أو يقذف غيره بأمر قد فعله هو وأنت ترى وعليه فضبط اللفظ

٢- الأنعام - ٨٨

٤- البقرة - ١٩٥

٦- النحل - ١٠٥

١- الزمر - ٦٥

٣- الكهف - ١١٠

٥- النور - ١٩

هو (يعرّ) بالعين المهملة كما هو موجود في نسخته:

**أقول:** أمّا ما ذكره المُعتزلي فهو يصحّ بناء على ضبطه (من أنّ الجملة الاولى بهلاك نفس) بدل بهلاك نفسه، والثانية (يعرّ) بدل يقرّ، ولا دليل فيما تفحصنا على ما ذكره في المقامين إذ النسخ الموجودة المُصحّحة كلّها على خلاف نسخته فالمضبوط فيما بأيدينا هو (بهلاك نفسه) في الجملة الاولى (ويقرّ) بالقاف في الثانية ولا نعلم من أين وُجِدَ النسخة المذكورة فيها ما ذكره فلو كان نقله صحيحاً فلمّ لم يذكر النسخة التي أخذ ما أخذ منها وهذا دأبه في كثير من الموارد وأظنّ أنّ الوجه فيه عجزه عن شرح المُعضلات من كلامه عليه السلام فإنّه ليس من فرسان هذا الميدان بل هو من المورّخين العالمين بأنساب العرب وإطلاعاته كانت مُنحصرة في ترجمة اللغات وبيان ما أخذ إشتقاقها وإعرابها وأمّا التّحقيق في كلامه عليه السلام وفهم دقائقه ورقائقه فهو أمر آخر يحتاج إلى قريحة صافية عن التّعصّب ومع ذلك إلى الخوض في الحقائق العلميّة التي هو بمَعزلٍ عنها بالكلية وعليه فلا يبعد تفسيره كلامه عليه السلام من عند نفسه بما هو أوضح معنى عنده وليس هذا أوّل قارورة كُسرت في الإسلام وإلّا فكانَ عليه ذكر المأخذ:

وأما ما ذكره الخوئي فهو أيضاً لا يرجع إلى مُحصّلٍ وذلك لأنّ العبارة (يقرّ) ومعناه الإقرار وأين هذا ممّا ذكره في تفسيره بقوله: أن يحكي أمراً قبيحاً الخ فإنّ الحكاية عن فعل الغير غير الإقرار وهو لا تُسمّى به أصلاً فإنّ الإقرار على الغير لا معنى له وإنّما هو الشهادة أو الحكاية والحاصل أنّ الإقرار على النفس وللنفس لا على الغير وللغير:

وأما البحراني فهو عليه السلام أيضاً لم يأت بمُقتعٍ في المقام كما عرفت: والذي يختلج بالبال في حلّ الإشكال وجهان:

أحدهما: أن يكون المراد أن يقرّ لنفسه ما فعله غيره وبعبارة أخرى إستناده

فعل الغير إلى نفسه بأن يقول مثلاً أنا فعلته وفيه تضييعٌ لحقّ الغير:

الثاني: أن يكون الإقرار بمعناه اللغوي أعني الإثبات سواء كان على نفسه  
ولنفسه أم على غيره ولغيره والمعنى أن يُقرَّ ويثبت بأمرٍ فَعَلَ ذلك الأمر غيره  
على ذلك الغير فيستلزم إهلاكه أو أذاه بحيث لو لم يُثبته في حق الغير لما ثبت  
فيدخل به فيمن يسعى في الأرض فساداً وهو حرام قطعاً وموارده كثيرة ولعله  
ﷺ أراد به شيئاً آخر لا نعلمه:

الرابع قوله ﷺ: أَوْ يَسْتَنْجِحُ حَاجَةً إِلَى النَّاسِ بِإِظْهَارِ بِدْعَةٍ فِي دِينِهِ...

النجاح الظفر بالشيء والمعنى يطلب الظفر بالشيء الذي قصده من الناس  
بسبب إظهار بدعة في دينه ومن المعلوم أن البدعة حرام ولا سيما إذا كانت  
سبباً ووسيلة للوصول إلى الدنيا وزخارفها وذلك لأن البدعة أعني إدخال ما  
ليس من الدين في الدين تارة سببها الجهل والحماقة لعدم علم صاحبها بأنها  
بدعة واخرى مع العلم بكونها كذلك وما نحن فيه من هذا القبيل فمن الأول  
قوله: هذا حرام وهذا حلال مثلاً ومَنشأه الجهل بالأحكام الشرعية بحيث لو  
علم بالحكم لا يقول به، ومن الثاني قوله هذا حرام أو حلال مع علمه بأنه ليس  
كذلك وإنما دَعته الحاجة إلى المقام أو التَّقَرُّب إلى السلطان أو غير ذلك إليه  
فيكون مَنشأه قلة الاعتناء بالدين أو عدمه كما هو شأن أكثر المبدعين من  
رؤساء المذاهب المختلفة فإنهم كانوا عالمين بفساد مذهبهم ومسلكهم وأن ما  
إخترعوه من عند أنفسهم ليس من الدين بل هو ضده ومع ذلك قالوا بما قالوا  
فَضَّلُوا وَأَضَلُّوا كثيراً من الناس وكيف كان فالبدعة مذمومة عقلاً ونقلأً أما  
العقل فلأن البدعة توجب الإضرار على النفس وعلى الغير بل إهلاكهما ولا  
شك أن الإضرار على النفس أو على الغير حرام مذموم عقلاً لأنه من التعدي  
والتجاوز بحقوق الناس والمتعدي مذموم عقلاً فالمبدع مذموم:  
أما الصغرى أعني الإضرار فهو مما لا شك فيه ولا شك في ذمه أيضاً لأنه  
من الإلقاء في التهلكة والعقل يحكم بدمه وَرَدَّعَهُ وإذا كان كذلك فالنتيجة  
قطعية ولا سيما في حق الغير فإن الهلاكة الدينية أشد وأعظم من غيرها  
والإهلاك أشد:



وَأَمَّا النَّقْلُ: فَمِنَ الْآيَاتِ: قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِباً أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ (١)

و: ﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجاً وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ (٢)

و: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ (٣)

و: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾ (٤)

و: ﴿وَاتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ﴾ (٥)

وغيرها من الآيات.

ومن الأخبار ما رواه في البحار بالأسانيد الثلاثة عن الرضا عليه السلام عن آبائه قال رسول الله صلى الله عليه وآله إن الله غافر كل ذنب إلا من أحدث ديناً أو إغتصب أجيراً أجره أو رجلاً باع حراً انتهى...

و بإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان رجل في الزمن الأول طلب الدنيا من حلال فلم يقدر عليها وطلبها من حرام فلم يقدر عليها فأتاه الشيطان وقال يا هذا إنك قد طلبت الدنيا من حلال فلم تقدر عليها وطلبتها من حرام فلم تقدر عليها أفلا أدلك على شيء يكثر به مالك ودينك وتكثر به تبعك قال بلى، قال تبتدع ديناً وتدعو إليه الناس ففعل فاستجاب له الناس فأطاعوه وأصاب من الدنيا ثم إنه فكر فقال ما صنعتُ إبتدعتُ ديناً ودعوتُ الناس إليه وما أرى لي توبة إلا أن آتي ما دعوته (من دعوته) إليه فأردّه فجعل يأتي أصحابه الذين أجابوه فيقول: إن الذي دعوتكم إليه باطل وإنما إبتدعته فجعلوا يقولون: كذبت هذا الحق ولكنك شككت في دينك فرجعت عنه فلما رأى ذلك عمد إلى سلسلة فوثد لها وتداً ثم جعلها في عنقه وقال: لا أحلها حتى يتوب الله عز

وَجَلَّ عَلَيَّ فَأَوْحَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيَّ نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ: قُلْ لِفُلَانٍ وَعِزَّتِي لَوْ  
دَعَوْتَنِي حَتَّى يَنْقَطِعَ أَوْصَالُكَ مَا اسْتَجَبْتُ لَكَ حَتَّى تَرُدَّ مَنْ مَاتَ عَلَيَّ مَا  
دَعَوْتَهُ إِلَيْهِ فَيَرْجِعَ عَنْهُ أَنْتَهَى» ج ١٥ الجزء الثالث ص ٣٢»...

وأيضاً بإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: من مثل مثلاً أو إقتنى كلباً  
فقد خرج من الإسلام فقيل له هلك إذا كثيراً من الناس فقال عليه السلام: ليس حيث  
ذهبت إنا عنيت بقولي من مثل مثلاً من نصب ديناً غير دين الله ودعا الناس  
إليه وبقولي من إقتنى كلباً مبغضاً لنا هل البيت إقتناه فأطعمه وسقاه من  
فعل ذلك فقد خرج من الإسلام انتهى» ص ٣٣»...

وأيضاً بإسناده عن أبي الربيع قال قلت له ما يخرج به الرجل من الإيمان  
قال: الرأي يراه مخالفاً للحق فيقيم عليه انتهى» ص ٣٣»....

وأيضاً بإسناده عن الحلبي قال قلت لأبي عبد الله ما أدنى ما يكون به  
العبد كافراً قال عليه السلام: أن يبتدع شيئاً فيتولّى عليه ويبرأ ممن خالفه انتهى» ص  
٣٣»... والأخبار كثيرة:

الخامس قوله عليه السلام: أَوْ يَلْقَى النَّاسَ بَوَجْهَيْنِ، أَوْ يَمْشِي فِيهِمْ بِلِسَانَيْنِ...

فالأول هو المنافق والثاني النمام وعليه فيمكن أن يعد كل واحد منهما  
قسماً برأسه ويمكن إدغامهما في النفاق بالمعنى الأعم وعدّهما قسماً واحداً  
والأمر سهل بعد ثبوت الذمّ فيهما عقلاً ونقلاً:

أما العقل: فواضح فإن النفاق يوجب إغفال الغير وإلقائه في الخطر والضرر  
وتلبيس الباطل بالحق وأمثال ذلك والعقل يحكم بخلافه ألا ترى أن العقلاء  
يذمّون المنافقين ويطرّدونهم عن مجالسهم ومجامعهم ويحترزون عن  
مجالسهم ومجالستهم وهو ظاهر:

وأما النقل: فمن الآيات الدالة على الأول أعني النفاق والمنافق:  
فمنها: قوله تعالى: ﴿رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا﴾ (١)

و: ﴿إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ (١)

و: ﴿بَشِيرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (٢)

و: ﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا﴾ (٣)

و: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الذَّرِكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ (٤)

و: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (٥)

و: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارِ جَهَنَّمَ﴾ (٦)

و: ﴿وَلَا تُطِيعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ (٧)

و: ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ كَاذِبُونَ﴾ (٨)

ومما دلّ على الثاني أعني النِّمِية قوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِيعُ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ، هَمَّازٍ

مُشَاءٍ بِتَمِيمٍ﴾ (٩)

وأما الأخبار الواردة في ذمّ النفاق:

منها قال رسول الله ﷺ: من كان له وجهان في الدنيا كان له لسانان من

نار يوم القيامة انتهى...

وقال ﷺ: تجذون من شرّ عباد الله يوم القيامة ذالوجهين الذي يأتي هؤلاء

بوجهٍ وهؤلاء بوجهٍ انتهى...

وقال ﷺ: يجيئ يوم القيامة ذو الوجهين دالعا لسانه في قفاه وآخر من

قُدَّامه يلتهبان ناراً حتى يلتها جَسده ثم يقال هذا الذي كان في الدنيا ذو

وَجْهَيْنِ وَذُو لِسَانَيْنِ يَعْرِفُ بِذَلِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ انْتَهَى...

و ورد في التوراة: بطلت الأمانة والرّجل مع صاحبه بشفتين مُختلفتين

يُهلك الله يوم القيامة كلَّ شفتين مُختلفتين انتهى...

و عن ابن أسباط بإسناده قال قال الله تعالى لعيسى: يا عيسى وليكن

٢- النساء - ١٣٨

٤- النساء - ١٤٥

٦- التوبة - ٦٨

٨- المنافقون - ١

١- النساء - ١٤٠

٣- التوبة - ٩٧

٥- التوبة - ٦٧

٧- الأحزاب - ٤٨

٩- القلم - ١٠/١١

لسانك في السر والعلانية لساناً واحداً وكذلك قلبك إنِّي أحذرك نفسك وكفى  
بي خبيراً لا يصلح لسانان في فمٍ واحدٍ ولا سيفان في عمَدٍ واحدٍ ولا قلبان  
في صدرٍ واحدٍ كذلك الأذهان انتهى...

وقال الباقر عليه السلام: لبئس العبد عبد يكون ذا وجهين وذا لسانين يطري أخاه  
شاهداً وبأكله غائباً إن أعطي حسده وإن إبتلي خذله انتهى الأحاديث كلها  
نقلناه عن «جامع السعادات ج ٢ ص ٤٠٧»...

وروى في البحار بإسناده عن الرضا عليه السلام أنه قال: إن المنافقين يُخادعون  
الله وهو خادعهم إلى قوله سبيلاً، ليسوا من عترة رسول الله وليسوا من  
المؤمنين وليسوا من المسلمين يُظهرون الإيمان ويُسرّون الكفر والتكذيب  
لَعَنَهُمُ اللهُ انتهى الجزء الثالث من الإيمان والكفر «ج ١٥ ص ٢٣»...  
وإسناده قال رسول الله صلى الله عليه وآله: خُلَّتَانِ لَا تَجْتَمِعَانِ فِي مَنَاقِبِ فَحَقِّهِ الْإِسْلَامِ  
وَحَسَنِ سَمْتٍ فِي الْوَجْهِ أَنْتَهَى «ص ٢٣»...

وقال الصادق عليه السلام: أربع علامات للنفاق، قساوة القلب، وجُمود العين،  
والإصرار على الذنب والجِرس على الدنيا انتهى «ص ٢٣»...

عن عباد ابن صهيب قال سمعت أبا عبد الله يقول: لا يجمع الله لمنافقٍ ولا  
لفاسقٍ حُسن السمت والفقهِ وحُسن الخلق أبدأ انتهى «ص ٢٣»...

وأما الأخبار في ذمّ النَمِيمَةِ فأيضاً كثيرة نشير إلى بعض منها:  
قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا يدخل الجنة نَمَامٌ وفي خبر آخر: لا يدخل الجنة  
قَتَاتُ أَي النَّمَامِ أَنْتَهَى..

وقال صلى الله عليه وآله: أَحَبُّكُمْ إِلَيَّ اللهُ أَحْسَنُكُمْ أَخْلَاقاً الْمَوْطُونُ أَكْنَافاً الَّذِينَ يَأْلَفُونَ  
وَيُؤْلَفُونَ وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ اللهُ الْمُشَاوُنُ بِالنَّمِيمَةِ الْمُفْرَقُونَ بَيْنَ الْأَحِبَّةِ  
الْمُلْتَمِسُونَ لِلْبِرَاءِ الْعَثْرَاتُ أَنْتَهَى...

وقال صلى الله عليه وآله: أَلَا أَنْبَيْتُكُمْ بِشِرَارِكُمْ؟ قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ صلى الله عليه وآله: الْمُشَاوُنُ  
بِالنَّمِيمَةِ الْمُفْرَقُونَ بَيْنَ الْأَحِبَّةِ...

البَاغُونَ لِلْبِرَاءِ الْمَعَايِبِ انْتَهَى) وَقَالَ الْبَاقِرُ رضي الله عنه: الْجَنَّةُ مُحَرَّمَةٌ عَلَى الْمَغْتَابِينَ الْمَشَائِينَ بِالنَّمِيمَةِ انْتَهَى...

وَرَوَى أَنَّهُ أَصَابَ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَحْطًا فَاِسْتَقَى مُوسَى مَرَّاتٍ فَمَا أُجِيبَ فَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ: إِنِّي لَا أُسْتَجِيبُ لَكَ وَلِمَنْ مَعَكَ وَفِيكُمْ نَمَامٌ قَدْ أُصِرَّ عَلَى النَّمِيمَةِ فَقَالَ مُوسَى يَا رَبِّ مَنْ هُوَ حَتَّى نُخْرِجَهُ مِنْ بَيْنِنَا فَقَالَ يَا مُوسَى أَنْهَاكُمُ عَنِ النَّمِيمَةِ وَأَكُونَ نَمَامًا فَتَابُوا بِأَجْمَعِهِمْ فَسُقُوا انْتَهَى...

وَرُوِيَ: أَنَّ ثُلُثَ عَذَابِ الْقَبْرِ مِنَ النَّمِيمَةِ انْتَهَى «جامع السَّعَادَاتِ لِلنَّرَاقِيِّ ج ٢ ص ٢٧٠ إلى ٢٧٣»...

وَرُوِيَ فِي الْبَحَارِ بِإِسْنَادِهِ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ قَالَ رضي الله عنه: أَرْبَعَةٌ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ، الْكَاهِنُ، وَالْمَنَافِقُ، وَمُدْمِنُ الْخَمْرِ، وَالْقَتَاتُ وَهُوَ النَّمَامُ انْتَهَى «ج ١٦ باب النَّمِيمَةِ ص ١٩٠»...

وَبِإِسْنَادِهِ عَنِ الصَّادِقِ رضي الله عنه قَالَ رضي الله عنه: بَيْنَا مُوسَى ابْنُ عِمْرَانَ يَنَاجِي رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِذْ رَأَى رَجُلًا تَحْتَ ظِلِّ عَرْشِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَقَالَ: يَا رَبِّ مَنْ هَذَا الَّذِي قَدْ أَظْلَمَهُ عَرْشُكَ فَقَالَ: هَذَا كَانَ بَارًا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَمْشِ بِالنَّمِيمَةِ انْتَهَى...

وَبِإِسْنَادِهِ عَنْهُ رضي الله عنه قَالَ: لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ سَقَاكُ الدَّمِّ وَلَا مُدْمِنُ الْخَمْرِ وَلَا مَشَاءُ بِنَمِيمٍ انْتَهَى) وَالْأَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ «ج ١٦ باب النَّمِيمَةِ وَالسَّعَايَةِ» وَهَنَّاكَ أَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ لَمْ نَذْكُرْهَا مَخَافَةَ الْإِطَالَةِ:

□ قَوْلُهُ رضي الله عنه: اعْقِلْ ذَلِكَ فَإِنَّ الْمَثَلَ دَلِيلٌ عَلَى شَبْهِهِ...

أَيُّ اجْعَلْ مَا ذَكَرْنَاهُ لَكَ مِيزَانَ عَقْلِكَ وَتَدَبَّرْ فِيهِ حَقَّ التَّدَبُّرِ وَفِي قَوْلِهِ رضي الله عنه: فَإِنَّ الْمَثَلَ الْخِشَاءُ إِشَارَةٌ إِلَى الْقَاعِدَةِ الْمَشْهُورَةِ، حُكْمُ الْأَمْثَالِ فِيمَا يَجُوزُ وَفِيمَا لَا يَجُوزُ وَاحِدًا، وَالْحَاصِلُ أَنَّكَ لَا تَقْتَصِرُ عَلَى الْأَمْثَلَةِ الَّتِي مَثَلْنَاكَ لَكَ وَذَلِكَ لِأَنَّ الْإِسْتِدْلَالَ عَلَى الْمُمَثَّلِ دَائِمًا يَكُونُ بِالْمِثْلِ تَوْضِيحًا لِلْمُرَادِ وَتَنْبِيْهُهَا عَلَى حَقِيقَةِ الْحَالِ.

□ قَوْلُهُ رضي الله عنه: إِنَّ الْبُهَاتِمَ هَمُّهَا بَطُونُهَا، وَإِنَّ السِّبَاعَ هَمُّهَا الْعُدْوَانُ عَلَى غَيْرِهَا...

أي أن البهائم أعني غير السباع منها ليس لها إلا الأكل والشرب والنوم مثلاً  
والسباع منها همها العدوان والتجاوز إلى حقوق الغير بالغلبة والاستيلاء وإنما  
فرق الله بينهما لأن البهائم غير السباع والأول كالحمار والبقر والمعز والضأن  
وأمثالها ليس فيها العدوان على الغير كما هو ظاهر بخلاف السباع منها كالأسد  
والنمر وأمثالهما فإن شأنها العدوان وكان هذا الوصف بحسب فطرتها الأولية.  
قال الدميري في حيوه الحيوان: السبع بضم الباء وإسكانها الحيوان  
المفترس والجمع أسبع وسباع وأرض مسبعة أي كثير السباع وسكون الباء لغة  
أهل نجد إلى أن قال:

قيل سمى سبعا لأنه يمكث في بطن أمه سبعة أشهر ولا تلد الأنثى أكثر من  
سبعة أولاد ولا ينزو الذكر على الأنثى إلا بعد سبع سنين من عمره:  
□ قوله ﷺ: وَإِنَّ النِّسَاءَ هُمُّنَّ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْفَسَادُ فِيهَا...

النساء والنسوان والنسوة بفتح النون جمع المرأة من غير لفظها كالقوم في  
جمع المرء، والمقصود أن النساء لا هم لها إلا الزينة والتجمل في الحياة الدنيا  
والفساد فيها ولا كمال لها بزعمها إلا هاتين الصفتين مع أنهما من النقائص في  
الحقيقة إذا عرفت هذا فنقول:

غرضه ﷺ من هذه الأمثلة هو أن كما الإنسان الذي به يصير الإنسان إنساناً  
واقعاً ليس بما ذكرناه بل هو شيء آخر ينبغي أن يقصده ويطلبه من إتصافه  
بالملكات الفاضلة والصفات الحسنة من العدل والجود والعلم والرحم وأمثال  
ذلك وبعبارة أخرى الكمال المتصور على قسمين ولا ثالث لهما أحدهما  
الكمال الحسي الصوري، وثانيهما الكمال العقلي المعنوي:

أما القسم الأول: فهو لا يعد كمالاً للإنسان بل هو من كمالات الحيوان.

والقسم الثاني: يختص بالإنسان إذ الحيوان لا يمكن له الإتصاف به:

فإذا كان الإنسان همّه بطنه فهو كالبهائم وإذا كان همّه العدوان على الغير فهو

كالسباع وإذا كان همّه التزيّن والتجمل في جسمه ثم الفساد بين العباد فهو

كالنساء وليس من الرجال واقعاً وإن كان منهم صورةً وجِسماً وهو واضح:  
 والسِر فيه: هو أن إنسانية الإنسان شيء وراء جسمه وبدنه والبدن مُركبة  
 ولما ثبت في العلوم العقلية أن كمال كل شيء بحسبه فلا جرم كمال الجسم  
 غير كمال الإنسان كما أن الجسم غير الإنسان فما نُعبر عنه بالإنسان واقعاً غير  
 هذه الصورة الخارجية التي تأكل وتمشي فإن هذه الأوصاف توجد في غيرها  
 مما هو شريك لها في جنسها الأعم أعني الحيوانية فلو فرضنا كون الأكل أو  
 المشي أو النوم أو الغضب وأمثال ذلك من الصفات الحيوانية كمالاً له أعني  
 للإنسان فكل من كان أكله أو مشيه أو نومه أكثر فهو أكمل من غيره إذ  
 المفروض أن مدار الكمال عليها فيلزم أن يكون البقر أكمل من الإنسان لأنه  
 يأكل ما لا يقدر الإنسان عليه وهكذا وعليه فإن التزم ملتزم به فلا كلام لنا معه  
 لأنه لم يعرف الفرق بين الحيوان والإنسان وإن لم يلتزم به كما هو الحق فهو  
 الذي يليق بالخطاب في الكتاب والسنة:

□ قوله ﷺ: **إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ مُسْتَكِينُونَ، إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ مُشْفِقُونَ، إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ خَائِفُونَ...**

وصف ﷺ المؤمنين بالإستكانة والإشفاق والخوف فمن أراد معرفة  
 المؤمن فينبغي له أن يعرفه بهما والإستكانة هي الخُضوع والتواضع والإشفاق  
 هو الترحم والتعاطف والخوف هو الوجَل في القلب وقد دلت الآيات عليها:  
 أما الإستكانة: فقال تعالى: **﴿فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾** <sup>(١)</sup>، وقد مر الكلام  
 فيه وأما الإشفاق: فلقوله تعالى: **﴿وَهُمْ مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾** <sup>(٢)</sup>  
 و: **﴿الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِّنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ﴾** <sup>(٣)</sup>  
 و: **﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ﴾** <sup>(٤)</sup>  
 و: **﴿وَالَّذِينَ هُمْ مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ﴾** <sup>(٥)</sup> وغيرها من الآيات:

٢- الأنبياء - ٢٨

٤- الشورى - ١٨

١- الشعراء - ٤

٣- الأنبياء - ٤٩

٥- المعارج - ٢٧

و: ﴿وَأَذْكُرُ رَبِّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً﴾ (١)

و: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (٢)

و: ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ  
الْحِسَابِ﴾ (٣)

و: ﴿يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ (٤)

و: ﴿وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ (٥)

و: ﴿ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ﴾ (٦)

وأما الأخبار الواردة في أوصاف المؤمن فقد ذكرنا شرطاً منها فيما مضى  
وفيه كفاية:



كالنساء وليس من الرجال واقعاً وإن كان منهم صورةً وجِسماً وهو واضح:  
 والسِر فيه: هو أن إنسانية الإنسان شيء وراء جسمه وبدنه والبدن مُركبة  
 ولمّا ثبت في العلوم العقلية أن كمال كل شيء بحسبه فلا جرم كمال الجسم  
 غير كمال الإنسان كما أن الجسم غير الإنسان فما نُعبر عنه بالإنسان واقعاً غير  
 هذه الصورة الخارجية التي تأكل وتمشي فإن هذه الأوصاف توجد في غيرها  
 ممّا هو شريك لها في جنسها الأعم أعني الحيوانية فلو فرضنا كون الأكل أو  
 المشي أو النوم أو الغضب وأمثال ذلك من الصفات الحيوانية كمالاً له أعني  
 للإنسان فكل من كان أكله أو مشيه أو نومه أكثر فهو أكمل من غيره إذ  
 المفروض أن مدار الكمال عليها فيلزم أن يكون البقر أكمل من الإنسان لأنه  
 يأكل ما لا يقدر الإنسان عليه وهكذا وعليه فإن إلّتم ملتزم به فلا كلام لنا معه  
 لأنه لم يعرف الفرق بين الحيوان والإنسان وإن لم يلتزم به كما هو الحق فهو  
 الذي يليق بالخطاب في الكتاب والسنة:

□ قوله ﷺ: **إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ مُسْتَكِينُونَ، إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ مُشْفِقُونَ، إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ خَائِفُونَ...**

وصف ﷺ المؤمنين بالإستكانة والإشفاق والخوف فمن أراد معرفة  
 المؤمن فينبغي له أن يعرفه بهما والإستكانة هي الخُضوع والتّواضع والإشفاق  
 هو الترحم والتعاطف والخوف هو الوجَل في القلب وقد دلت الآيات عليها:  
 أما الإستكانة: فقال تعالى: **﴿فَضَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾** <sup>(١)</sup>، وقد مرّ الكلام  
 فيه وأما الإشفاق: فلقوله تعالى: **﴿وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾** <sup>(٢)</sup>  
 و: **﴿الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ﴾** <sup>(٣)</sup>  
 و: **﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ﴾** <sup>(٤)</sup>  
 و: **﴿وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ﴾** <sup>(٥)</sup> وغيرها من الآيات:

٢- الأنبياء - ٢٨

٤- الشورى - ١٨

١- الشعراء - ٤

٣- الأنبياء - ٤٩

٥- المعارج - ٢٧

- و: ﴿وَأَذْكُرُ رَبِّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً﴾ (١)
- و: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (٢)
- و: ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ  
الْحِسَابِ﴾ (٣)
- و: ﴿يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ (٤)
- و: ﴿وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ (٥)
- و: ﴿ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ﴾ (٦)
- وأما الأخبار الواردة في أوصاف المؤمن فقد ذكرنا شرطاً منها فيما مضى  
وفيه كفاية:

## الفهرست

- و من كلام له ﷺ (١٣١) ..... ٥
- قوله ﷺ: أَيْتُهَا النُّفُوسُ الْمُخْتَلِفَةُ وَالْقُلُوبُ الِى لِسْنَتِهِ فَيَهْلِكُ الْأُمَّةَ مَتْنٌ .. ٥
- اللغة ..... ٥
- المعنى ..... ٦
- الشرح ..... ٧
- قوله ﷺ: أَيْتُهَا النُّفُوسُ الْمُخْتَلِفَةُ وَالْقُلُوبُ الْمُتَشَتِّتَةُ ..... ٧
- قوله ﷺ: الشَّاهِدَةُ أَبْدَانُهُمْ وَالْغَائِبَةُ عَنْهُمْ عُقُولُهُمْ ..... ٩
- قوله ﷺ: اظْأَرَكُم عَلَى الْحَقِّ وَأَنْتُمْ تَنْفِرُونَ عَنْهُ نُفُورَ الْمِعْزَى وَ..... ٩
- قوله ﷺ: هَيْهَاتَ أَنْ أُطْلَعَ بِكُمْ سَرَارَ الْعَدْلِ أَوْ أُقِيمَ اغْوِجَاجٌ وَ..... ١١
- قوله ﷺ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ الَّذِي كَانَ مِنَّا مُنَافَسَةً وَ..... ١٣
- قوله ﷺ: وَلَكِنْ لِنَزْدِ الْمَعَالِمَ مِنْ دِينِكَ وَنُظْهِرَ الْإِضْلَاحَ فِي بِلَادِكَ، .. ١٦
- قوله ﷺ: فَيَأْمَنَ الْمَظْلُومُونَ مِنْ عِبَادِكَ وَتُقَامَ الْمَعْطَلَّةُ مِنْ حُدُودِكَ .. ١٦
- قوله ﷺ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَوَّلُ مَنْ أَنْابَ وَسَمِعَ وَأَجَابَ لَمْ يَسْبِقْنِي وَ..... ١٦
- قوله ﷺ: وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الْوَالِي وَ..... ٢٦
- قوله ﷺ: فَتَكُونَ فِي أَمْوَالِهِمْ نَهْمَةٌ ..... ٢٩
- قوله ﷺ: وَلَا الْجَاهِلُ فَيُضِلُّهُمْ بِجَهْلِهِ ..... ٢٩
- قوله ﷺ: وَلَا الْجَافِي فَيَقْطَعُهُمْ بِجَفَائِهِ ..... ٢٩
- قوله ﷺ: وَلَا الْحَائِفُ لِلدُّوْلِ فَيَتَّخِذُ قَوْمًا دُونَ قَوْمٍ ..... ٣٠
- قوله ﷺ: وَلَا الْمُرْتَشِي فِي الْحُكْمِ فَيَذْهَبُ بِالْحُقُوقِ وَ..... ٣٣
- قوله ﷺ: وَلَا أَلْ مُعْطَلٌ لِلْسُّنَةِ فَيَهْلِكُ الْأُمَّةَ. .... ٣٥

- و من خطبة له عليه السلام (١٣٢) ..... ٤١
- قوله عليه السلام: نَحْمِدُهُ عَلَى مَا أَخَذَ وَأَعْطَى إِلَى وَقَرَّبُوا الظُّهُورَ لِلزِّيَالِ متن ... ٤١
- اللغة ..... ٤٢
- المعنى ..... ٤٢
- الشرح ..... ٤٣
- قوله عليه السلام: نَحْمِدُهُ عَلَى مَا أَخَذَ وَأَعْطَى وَعَلَى مَا أَبْلَى وَابْتَلَى ..... ٤٣
- قوله عليه السلام: البَاطِنُ لِكُلِّ خَفِيَّةٍ وَالْحَاضِرُ لِكُلِّ سَرِيرَةٍ الْعَالِمِ و..... ٤٧
- قوله عليه السلام: وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ غَيْرُهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا صلى الله عليه وآله نَجِيَّهُ وَبَعِيثُهُ ..... ٤٩
- قوله عليه السلام: شَهَادَةٌ يُوَافِقُ فِيهَا السِّرُّ الْإِعْلَانُ وَالْقَلْبُ اللَّسَانَ ..... ٤٩
- قوله عليه السلام: فَإِنَّهُ وَاللَّهِ الْجِدُّ لَا اللَّعِبُ وَالْحَقُّ لَا الْكَذِبُ ..... ٥١
- قوله عليه السلام: وَمَا هُوَ إِلَّا الْمَوْتُ أَسْمَعَ دَاعِيَهُ وَأَعْجَلَ حَادِيَهُ ..... ٥١
- قوله عليه السلام: فَلَا يَغْرُبُكَ سِوَادُ النَّاسِ مِنْ نَفْسِكَ ..... ٥٢
- قوله عليه السلام: وَقَدْ رَأَيْتَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ مِمَّنْ جَمَعَ الْمَالَ و..... ٥٢
- قوله عليه السلام: كَيْفَ نَزَلَ بِهِ الْمَوْتُ فَازْعَجَهُ عَنْ وَطْنِهِ وَأَخَذَهُ مِنْ مَامِنِهِ ... ٥٢
- قوله عليه السلام: مَحْمُولًا عَلَى أَعْوَادِ الْمَنَايَا يَتَعَاطَى بِهِ الرَّجَالُ و..... ٥٤
- قوله عليه السلام: أَمَا رَأَيْتُمْ الَّذِينَ يَأْمُلُونَ بَعِيدًا وَيَبْتُونَ مَشِيدًا وَيَجْمَعُونَ كَثِيرًا! ٥٤
- قوله عليه السلام: كَيْفَ أَصْبَحَتْ بِيُوتُهُمْ قُبُورًا وَمَا جَمَعُوا و..... ٥٥
- قوله عليه السلام: لَا فِي حَسَنَةٍ يَزِيدُونَ وَلَا مِنْ سَيِّئَةٍ يَسْتَعْتِبُونَ! ..... ٥٦
- قوله عليه السلام: فَمَنْ أَشْعَرَ التُّقْوَى قَلْبَهُ بَرَزَ مَهْلَةً وَفَازَ عَمَلُهُ فَأَهْتَبِلُوا و..... ٥٦
- قوله عليه السلام: فَإِنَّ الدُّنْيَا لَمْ تُخْلَقْ لَكُمْ دَارَ مَقَامٍ بَلْ و..... ٥٧
- قوله عليه السلام: فَكُونُوا مِنْهَا عَلَى أَوْفَارٍ وَقَرَّبُوا الظُّهُورَ لِلزِّيَالِ ..... ٥٨
- و من خطبة له عليه السلام (١٣٣) ..... ٥٩
- قوله عليه السلام: وَانْقَادَتْ لَهُ الدُّنْيَا وَالْأَجْرَةُ إِلَى عَلَى نَفْسِي وَأَنْفُسِكُمْ متن ... ٦٠
- اللغة ..... ٦٠

- المعنى ..... ١٠٧
- الشرح ..... ١٠٨
- قوله ﷺ: لَمْ تَكُنْ بِيَعْتِكُمْ إِيَّايَ فَلْتَةً ..... ١٠٨
- قوله ﷺ: وَلَيْسَ أَمْرِي وَأَمْرُكُمْ وَاجِدًا إِنِّي أُرِيدُكُمْ لِلَّهِ ..... ١١٢
- قوله ﷺ: أَيُّهَا النَّاسُ أَعِينُونِي عَلَى أَنْفُسِكُمْ ..... ١١٢
- قوله ﷺ: وَإِنَّمَا اللَّهُ لِأَنْصِفَنَّ الْمَظْلُومَ مِنْ ظَالِمِهِ ..... ١١٣
- قوله ﷺ: حَتَّى أُرِدَّهَ مِنْهَلِ الْحَقِّ وَإِنْ كَانَ كَارِهًا ..... ١١٤
- ومن كلام له ﷺ (١٣٧) ..... ١١٥
- قوله ﷺ: وَاللَّهِ مَا أَنْكَرُوا عَلَيَّ مُنْكَرًا وَلَا إِلَى النُّعْمَةِ وَرَدًّا الْعَافِيَةَ مَتَى ..... ١١٥
- اللغة ..... ١١٥
- المعنى ..... ١١٦
- الشرح ..... ١١٧
- قوله ﷺ: وَاللَّهِ مَا أَنْكَرُوا عَلَيَّ مُنْكَرًا وَلَا جَعَلُوا بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ نِصْفًا ..... ١١٧
- قوله ﷺ: وَإِنَّهُمْ لَيَطْلُبُونَ حَقًّا هُمْ تَرَكَوهُ وَدَمًا هُمْ سَفَكُوهُ ..... ١٢٢
- قوله ﷺ: فَإِنْ كُنْتُ شَرِيكَهُمْ فِيهِ فَإِنَّ لَهُمْ نَصِيبَهُمْ مِنْهُ ..... ١٢٣
- قوله ﷺ: وَإِنْ أَوْلَ عَدْلِهِمْ لِلْحُكْمِ عَلَيَّ أَنْفُسِهِمْ ..... ١٢٦
- قوله ﷺ: إِنْ مَعِيَ لَبِصِيرَتِي مَا لَبِسْتُ وَلَا لَبِسَ عَلَيَّ ..... ١٢٧
- قوله ﷺ: وَإِنَّهَا لِلْفِتْنَةِ الْبَاغِيَةِ فِيهَا الْحَمَاءُ وَالْحُمَةُ وَالشُّبُهَةُ الْمُغْدِفَةُ ..... ١٢٩
- قوله ﷺ: وَإِنَّ الْأَمْرَ لَوَاضِحٌ وَقَدْ زَاخَ الْبَاطِلُ عَنِ نِصَابِهِ ..... ١٣٦
- قوله ﷺ: وَإِنَّمَا اللَّهُ لَأَفْرِطَنَّ لَهُمْ حَوْضًا أَنَا مَا تِيحُهُ لَا يَصُدُّرُونَ ..... ١٣٧
- قوله ﷺ: تَقُولُونَ الْبَيْعَةَ الْبَيْعَةَ قَبِضْتُ كَفِّي فَبَسَطْتُمُوهَا ..... ١٣٩
- قوله ﷺ: اللَّهُمَّ إِنَّهُمَا قَطَعَانِي وَظَلَمَانِي وَنَكَتَا بِيَعْتِي وَالْبَا النَّاسَ عَلَيَّ ..... ١٣٩
- قوله ﷺ: فَأَخْلَلُ مَا عَقَدَا وَلَا تُحْكِمُ لَهُمَا مَا أُبْرِمَا وَأَرْهِمَا ..... ١٤٠
- قوله ﷺ: وَلَقَدْ اسْتَبْتَبْتُهُمَا قَبْلَ الْقِتَالِ وَأَسْتَأْنَيْتُ بِهِمَا أَمَامَ ..... ١٤٠

ومن خطبة له ﷺ (١٣٨) ..... ١٤٣

قوله ﷺ: يَعْطِفُ الْهَرَى عَلَى الْهَدَى إِذَا إِلَى طَرْفَهُ لِيَتَّبِعُوا عَقِبَهُ مَتْن. . . ١٤٣

اللغة ..... ١٤٤

المعنى ..... ١٤٤

الشرح ..... ١٤٥

قوله ﷺ: وَيَعْطِفُ الرَّأْيَ عَلَى الْقُرْآنِ إِذَا عَطَفُوا الْقُرْآنَ عَلَى الرَّأْيِ. . . ١٤٦

قوله ﷺ: حَتَّى تَقُومَ الْحَرْبُ بِكُمْ عَلَى سَاقٍ بَادِيًا نَوَاجِدُهَا وَ..... ١٤٦

قوله ﷺ: أَلَا وَفِي غَدِّ وَسَيَاتِي غَدِّ بِمَا لَا تَعْرِفُونَ ..... ١٤٧

قوله ﷺ: يَأْخُذُ الْوَالِي مِنْ غَيْرِهَا عُمَالَهَا عَلَى مَسَاوِي أَعْمَالِهَا. . . ١٤٧

قوله ﷺ: وَتُخْرِجُ لَهُ الْأَرْضُ أَفَالِيدَ كَبِيدِهَا وَتُلْقِي إِلَيْهِ سِلْمًا مَقَالِيدَهَا. . ١٤٧

قوله ﷺ: فَيُتْرِكُكُمْ كَيْفَ عَدَلُ السَّيْرَةِ وَيُحْيِي مَيِّتَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ. . . ١٤٧

قوله ﷺ: كَأَنِّي بِهِ قَدْ نَعَقَ بِالشَّامِ وَفَحَصَ بِرَايَاتِهِ فِي ضَوَاحِي كُوفَانَ. ١٤٧

قوله ﷺ: فَعَطَفَ عَلَيْهَا عَطْفَ الضَّرُوسِ وَفَرَسَ الْأَرْضَ بِالرُّؤُوسِ. . ١٤٧

قوله ﷺ: قَدْ فَغَرَّتْ فَأَغْرَتُهُ وَثَقُلَتْ فِي الْأَرْضِ وَطَأَّتُهُ. . . ١٤٧

قوله ﷺ: بَعِيدُ الْجَوْلَةِ عَظِيمِ الصُّوَلَةِ ..... ١٤٨

قوله ﷺ: وَاللَّهِ لَيُشْرِدَنَّكُمْ فِي أَطْرَافِ الْأَرْضِ حَتَّى لَا وَ..... ١٤٨

قوله ﷺ: فَلَا تَزَالُونَ كَذَلِكَ حَتَّى تَتُوبَ إِلَى الْعَرَبِ عَوَازِبَ أَخْلَامِهَا. ١٤٨

قوله ﷺ: فَالزَّمُوا السُّنَنَ الْقَائِمَةَ وَالْآثَارَ الْبَيِّنَةَ وَ..... ١٤٨

قوله ﷺ: وَاعْلَمُوا أَنَّ الشَّيْطَانَ إِنَّمَا يُسْنِي لَكُمْ طَرْفَهُ لِيَتَّبِعُوا عَقِبَهُ. . . ١٤٨

ومن كلام له ﷺ (١٣٩) ..... ١٩٧

قوله ﷺ: لَنْ يُسْرَعَ أَحَدٌ قَبْلِي إِلَى دَعْوَةٍ أَلَى وَشِيْعَةٍ لِأَهْلِ الْجَهَالَةِ مَتْن. ١٩٧

اللغة ..... ١٩٧

المعنى ..... ١٩٧

الشرح ..... ١٩٧

- قوله ﷺ: لَنْ يُسْرَعَ أَحَدٌ قَبْلِي إِلَى دَعْوَةٍ حَقٌّ وَصِلَةٍ رَحِمٍ وَعَائِدَةٍ كَرَمٍ ١٩٨
- قوله ﷺ: فَاسْمَعُوا قَوْلِي وَعُوا مَنْطِقِي ..... ١٩٩
- قوله ﷺ: عَسَى أَنْ تَرَوْا هَذَا الْأَمْرَ مِنْ بَعْدِ هَذَا الْيَوْمِ ..... ١٩٩
- قوله ﷺ: حَتَّى يَكُونَ بَغْضُكُمْ أُمَّةً لِأَهْلِ الضَّلَالَةِ ..... ٢٠٣
- ومن كلام له ﷺ (١٤٠) ..... ٢٠٧
- قوله ﷺ: وَإِنَّمَا يَنْبَغِي لِأَهْلِ الْعِضْمَةِ إِلَى مُعَافَاتِهِ مِمَّا ابْتَلَى بِهِ غَيْرُهُ مَتْنٌ ٢٠٧
- اللُّغَةُ ..... ٢٠٧
- المعنى ..... ٢٠٧
- الشرح ..... ٢٠٨
- قوله ﷺ: وَإِنَّمَا يَنْبَغِي لِأَهْلِ الْعِضْمَةِ وَالْمَضْنُوعِ إِلَيْهِمْ ..... ٢٢٢
- قوله ﷺ: وَيَكُونُ الشُّكْرُ هُوَ الْغَالِبُ عَلَيْهِمْ وَالْحَاجِزُ لَهُمْ عَنْهُمْ ..... ٢٢٣
- قوله ﷺ: فَكَيْفَ بِالْعَائِبِ الَّذِي عَابَ أَخَاهُ وَغَيْرَهُ بِبُلُوَاهُ ..... ٢٢٣
- قوله ﷺ: أَمَا ذَكَرَ مَوْضِعَ سَتْرِ اللَّهِ عَلَيْهِ مِنْ ذُنُوبِهِ مِمَّا ..... ٢٢٣
- قوله ﷺ: بِهِ وَكَيْفَ يَذُمَّ بِذَنْبٍ قَدْ رَكِبَ مِثْلَهُ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ ..... ٢٢٣
- قوله ﷺ: وَإِنَّمَا اللَّهُ لَيْسَ لَمْ يَكُنْ عَصَاهُ فِي الْكَبِيرِ وَعَصَاهُ ..... ٢٢٤
- قوله ﷺ: يَا عَبْدَ اللَّهِ لَا تَعْجَلْ فِي عَيْبِ أَحَدٍ بِذَنْبِهِ فَلَعَلَّهُ مَغْفُورٌ لَهُ ... ٢٢٤
- قوله ﷺ: وَلَا تَأْمَنْ عَلَى نَفْسِكَ صَغِيرَ مَعْصِيَةٍ فَلَعَلَّكَ مَعْدَبٌ عَلَيْهِ ... ٢٢٤
- قوله ﷺ: فَلْيَكْفِفْ مَنْ عَلِمَ مِنْكُمْ عَيْبَ غَيْرِهِ لِمَا يَعْلَمُ مِنْ عَيْبِ نَفْسِهِ ٢٢٥
- قوله ﷺ: وَلْيَكُنِ الشُّكْرُ شَاغِلًا لَهُ عَلَى مُعَافَاتِهِ مِمَّا ابْتَلَى بِهِ غَيْرُهُ ... ٢٢٥
- ومن كلام له ﷺ (١٤١) ..... ٢٢٧
- قوله ﷺ: أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ عَرَفَ مِنْ أَخِيهِ إِلَى وَالْحَقُّ أَنْ تَقُولَ رَأَيْتُ مَتْنٌ ٢٢٧
- اللُّغَةُ ..... ٢٢٧
- المعنى ..... ٢٢٧
- الشرح ..... ٢٢٨

- قوله ﷺ: أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ عَرَفَ مِنْ أَخِيهِ وَثِيْقَةَ دِينٍ وَ..... ٢٢٨
- قوله ﷺ: أَمَا إِنَّهُ قَدْ يَرْمِي الرَّامِيَّ وَتُخْطِي السُّهَامَ وَ..... ٢٢٩
- قوله ﷺ: وَاللَّهِ سَمِيعٌ وَشَهِيدٌ أَمَا إِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَ الْحَقِّ وَ..... ٢٣١
- ومن كلامٍ له ﷺ (١٤٢) .....** ٢٣٣
- قوله ﷺ: وَلَيْسَ لِي وَاضِعٌ الْمَعْرُوفِ فِي غَيْرِ الْإِلَى إِنْ شَاءَ اللَّهُ مَتْنٌ ..... ٢٣٣
- اللُّغَةُ ..... ٢٣٣
- الْمَعْنَى ..... ٢٣٣
- الشَّرْحُ ..... ٢٣٤
- قوله ﷺ: وَلَيْسَ لِي وَاضِعٌ الْمَعْرُوفِ فِي غَيْرِ حَقِّهِ وَعِنْدَ غَيْرِ أَهْلِهِ ..... ٢٣٤
- قوله ﷺ: مِنَ الْحَظِّ فِيمَا آتَى إِلَّا مَحْمَدَةَ اللَّئَامِ وَتَنَاءً وَ..... ٢٣٥
- قوله ﷺ: وَهُوَ عَنِ ذَاتِ اللَّهِ بِخَيْلٍ ..... ٢٤١
- قوله ﷺ: فَمَنْ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَلْيَصِلْ بِهِ الْقَرَابَةَ ..... ٢٤١
- قوله ﷺ: وَلْيُحْسِنْ مِنْهُ الصِّيَافَةَ ..... ٢٤٤
- قوله ﷺ: وَلْيَفُكْ بِهِ الْأَسِيرَ وَالْعَانِي ..... ٢٤٧
- قوله ﷺ: وَلْيُعْطِ مِنْهُ الْفَقِيرَ وَالْغَارِمَ ..... ٢٥١
- قوله ﷺ: وَلْيَصْبِرْ نَفْسَهُ عَلَى الْحُقُوقِ وَالنُّوَابِ اِبْتِغَاءَ الثُّوَابِ ..... ٢٥٣
- قوله ﷺ: فَإِنْ فُوزًا بِهَذِهِ الْخِصَالِ شَرَفٌ مَكَارِمِ الدُّنْيَا وَ..... ٢٥٧
- ومن خطبة له ﷺ (١٤٣) .....** ٢٥٩
- قوله ﷺ: أَلَا وَإِنَّ الْأَرْضَ الَّتِي تُقْلِكُمْ إِلَىٰ إِنَّكَ عَلَىٰ مَا تَشَاءُ قَدِيرٌ مَتْنٌ ..... ٢٦٠
- اللُّغَةُ ..... ٢٦٠
- الْمَعْنَى ..... ٢٦٠
- الشَّرْحُ ..... ٢٦٢
- قوله ﷺ: أَلَا وَإِنَّ الْأَرْضَ الَّتِي تُقْلِكُمْ وَالسَّمَاءَ الَّتِي تُظِلُّكُمْ وَ..... ٢٦٢
- قوله ﷺ: وَمَا أَصْبَحْنَا تَجُودَانِ لَكُمْ بِبَرَكَتَيْهِمَا تَوَجُّعاً لَكُمْ وَلَا وَ..... ٢٦٣



- قوله ﷺ: وَلَكِنْ أَمْرًا بِمَنَافِعِكُمْ فَاطَاعَتَا ..... ٢٦٤
- قوله ﷺ: إِنْ أَلَّهِ بِبَتْلَى عِبَادَةٌ عِنْدَ الْأَعْمَالِ السَّيِّئَةِ بِتَقْصِصِ الثَّمَرَاتِ
- قوله ﷺ: لِيَتُوبَ تَائِبٌ وَيُقْلِعَ مَقْلِعٌ وَيَتَذَكَّرُ مُتَذَكِّرٌ وَيَزِدَّ جِرَ مُزْدَجِرٌ ..... ٢٦٦
- قوله ﷺ: وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ الْإِسْتِغْفَارَ سَبِيلاً لِدُرُورِ الرِّزْقِ ..... ٢٦٨
- قوله ﷺ: فَرَحِمَ اللَّهُ امْرَأً اسْتَقْبَلَ تَوْبَتَهُ وَاسْتَقَالَ حَطِيئَتَهُ وَبَادَرَ مَنِيئَتَهُ .. ٢٧٠
- قوله ﷺ: اللَّهُمَّ إِنَّا خَرَجْنَا إِلَيْكَ مِنْ تَحْتِ الْأَسْتَارِ ..... ٢٧١
- قوله ﷺ: رَاغِبِينَ فِي رَحْمَتِكَ وَرَاجِينَ فَضْلَ نِعْمَتِكَ ..... ٢٧١
- قوله ﷺ: اللَّهُمَّ فَاسْقِنَا غَيْثَكَ وَلَا تَجْعَلْنَا مِنَ الْقَانِطِينَ وَلَا تُهْلِكْنَا ..... ٢٧٢
- قوله ﷺ: اللَّهُمَّ إِنَّا خَرَجْنَا إِلَيْكَ نَشْكُو إِلَيْكَ مَا لَا ..... ٢٧٢
- قوله ﷺ: اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ إِلَّا تَرُدُّنَا حَائِبِينَ وَلَا تَقْلِبْنَا ..... ٢٧٣
- قوله ﷺ: اللَّهُمَّ انشُرْ عَلَيْنَا غَيْثَكَ وَبَرِّكْتَكَ وَرِزْقَكَ وَرَحْمَتَكَ ..... ٢٧٣
- قوله ﷺ: وَاسْقِنَا سُقْيَا نَاقِعَةً مُرْوِيَةً مُعْشِبَةً تُنْبِتُ بِهَا مَا قَدْ فَاتَ ..... ٢٧٣
- قوله ﷺ: نَافِعَةً الْحَيَا كَثِيرَةً الْمُجْتَنَى تُرْوَى بِهَا الْقَيْعَانَ ..... ٢٧٣
- ومن خطبة له ﷺ (١٤٤) ..... ٢٧٥
- قوله ﷺ: بَعَثَ رَسُولَهُ بِمَا خَصَّهُمْ بِهِ مِنْ أَلَى فَاسْتَجَابُوا وَأَقْبَلُوا مَتْنًا ..... ٢٧٥
- اللُّغَةُ ..... ٢٧٦
- المعنى ..... ٢٧٦
- الشرح ..... ٢٧٧
- قوله ﷺ: بَعَثَ رَسُولَهُ بِمَا خَصَّهُمْ بِهِ مِنْ وَحْيِهِ وَجَعَلَهُمْ ..... ٢٧٧
- قوله ﷺ: لِأَنَّ تَجِبَ الْحُجَّةَ لَهُمْ بِتَرْكِ الْأَعْدَارِ إِلَيْهِمْ ..... ٢٧٩
- قوله ﷺ: فَدَعَاهُمْ بِلِسَانِ الصِّدْقِ إِلَى سَبِيلِ الْحَقِّ ..... ٢٧٩
- قوله ﷺ: أَلَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ كَشَفَ الْخَلْقَ كَشْفَةً ..... ٢٨٠
- قوله ﷺ: لَا أَنَّهُ جَهْلٌ مَا أَخْفَوَهُ مِنْ مَصُونِ أَسْرَارِهِمْ ..... ٢٨١
- قوله ﷺ: فَيَكُونُ الثَّوَابُ جَزَاءً وَالْعِقَابُ بَوَاءً ..... ٢٨١

- قوله ﷺ: أَيْنَ الَّذِينَ زَعَمُوا أَنَّهُمِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ دُونَنَا كَذِبًا وَبَغْيًا ٢٨٢
- قوله ﷺ: بِنَا يُسْتَعطَى الْهُدَى وَيُسْتَجَلَى الْعَمَى ..... ٢٩٠
- قوله ﷺ: إِنَّ الْأُيُمَّةَ مِنْ قُرَيْشٍ عَرِسُوا فِي هَذَا الْبَطْنِ مِنْ هَاشِمٍ ..... ٢٩٠
- قوله ﷺ: آتَرُوا عَاجِلًا وَأَخْرُوا آجِلًا وَتَرَكُوا صَافِيًا ..... ٢٩١
- قوله ﷺ: كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى فَاسِقِهِمْ وَقَدْ صَحِبَ الْمُتَكْرَفَ الْفَالِقَةَ ..... ٢٩٣
- قوله ﷺ: حَتَّى شَابَتْ عَلَيْهِ مَفَارِقُهُ وَصَبِغَتْ بِهِ خَلَائِقُهُ ..... ٢٩٥
- قوله ﷺ: ثُمَّ أَقْبَلَ مُزِيدًا كَالْتِيَارِ لَا يُبَالِي مَا غَرِقَ أَوْ كَوَّقَعَ ..... ٢٩٦
- قوله ﷺ: أَيْنَ الْعُقُولُ الْمُسْتَضْبِحَةُ بِمَصَابِيحِ الْهُدَى وَالْأَوْ ..... ٢٩٦
- قوله ﷺ: أَيْنَ الْقُلُوبُ الَّتِي وَهَبَتْ لِلَّهِ وَعُوقِدَتْ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ ..... ٢٩٦
- قوله ﷺ: ازْدَحَمُوا عَلَى الْحُطَامِ وَتَشَاحُوا عَلَى الْحَرَامِ ..... ٢٩٧
- قوله ﷺ: وَرَفِعَ لَهُمْ عِلْمَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ فَصَرَفُوا عَنِ الْجَنَّةِ ..... ٢٩٧
- قوله ﷺ: وَدَعَاهُمْ رَبُّهُمْ فَانْفَرُوا وَوَلَّوْا وَدَعَاهُمُ الشَّيْطَانُ ..... ٢٩٨
- ومن خطبة له ﷺ (١٤٥) ..... ٢٩٩**
- قوله ﷺ: أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنْتُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا غَرَضٌ تَتَّصِلُ فِيهِ الْمَنَائِمَا ..... ٢٩٩
- اللُّغَةُ ..... ٢٩٩
- المعنى ..... ٣٠٠
- الشرح ..... ٣٠٠
- قوله ﷺ: أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنْتُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا غَرَضٌ تَتَّصِلُ فِيهِ الْمَنَائِمَا ..... ٣٠٠
- قوله ﷺ: مَعَ كُلِّ جِرْعَةٍ شَرَقٌ، وَفِي كُلِّ أَكْلَةٍ غَصَصٌ ..... ٣٠١
- قوله ﷺ: لَا تَتَّالُونَ مِنْهَا نِعْمَةً إِلَّا بِفِرَاقٍ أُخْرَى ..... ٣٠١
- قوله ﷺ: وَلَا يُعَمَّرُ مُعَمَّرٌ مِنْكُمْ يَوْمًا مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا بِهَذَا آخَرَ مِنْ أَجَلِهِ ..... ٣٠٢
- قوله ﷺ: وَلَا تُجَدِّدُ لَهُ زِيَادَةٌ فِي أَكْلِهِ إِلَّا بِفِقَادِ مَا قَبْلَهَا مِنْ رِزْقِهِ ..... ٣٠٢
- قوله ﷺ: وَلَا يَتَجَدَّدُ لَهُ جَدِيدٌ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَخْلُقَ لَهُ جَدِيدٌ ..... ٣٠٢
- قوله ﷺ: وَلَا تَقُومُ لَهُ نَابِتَةٌ إِلَّا وَتَسْقُطُ مِنْهُ مَخْصُودَةٌ ..... ٣٠٣

- قوله ﷺ: وَقَدْ مَضَتْ أَصُولُ نَحْنُ فُرُوعُهَا فَمَا بَقَاءُ فَرْعٍ ..... ٣٠٣
- قوله ﷺ: وَمَا أُخْدِثَتْ بِدَعَاةٍ إِلَّا تَرَكَ بِهَا سُنَّةً ..... ٣٠٣
- قوله ﷺ: فَأَتَّقُوا الْبِدْعَ وَالزَّمُوا الْمَهْيَعَ إِنَّ عَوَازِمَ الْأُمُورِ ..... ٣٠٣
- ومن كلام له ﷺ (١٤٦) ..... ٣٠٥
- قوله ﷺ: إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ لَمْ يَكُنْ نَضْرَهُ إِلَى نِقَاتِلِ بِالنُّصْرِ وَالْمَعُونَةِ مَتْنِ ..... ٣٠٥
- اللغة ..... ٣٠٥
- المعنى ..... ٣٠٦
- الشرح ..... ٣٠٧
- قوله ﷺ: إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ لَمْ يَكُنْ نَضْرَهُ وَلَا خِذْلَانَهُ بِكَثْرَةِ وَلَا بِقِلَّةِ ..... ٣٠٧
- قوله ﷺ: وَهُوَ دِينَ اللَّهِ الَّذِي أَظْهَرَهُ وَجُنْدَهُ الَّذِي أَعَدَّهُ ..... ٣٠٧
- قوله ﷺ: وَنَحْنُ عَلَى مَوْعُودٍ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ مُنْجِزٌ وَعْدَهُ وَنَاصِرٌ جُنْدَهُ ..... ٣٠٨
- قوله ﷺ: وَمَكَانُ الْقَيْمِ بِالْأَمْرِ مَكَانُ النُّظَامِ مِنَ الْخَرْزِ يَجْمَعُهُ وَيَضُمُّهُ ..... ٣٠٨
- قوله ﷺ: فَإِنْ انْقَطَعَ النُّظَامُ تَفَرَّقَ الْخَرْزُ وَذَهَبَ ثُمَّ لَمْ يَجْتَمِعْ ..... ٣٠٩
- قوله ﷺ: وَالْعَرَبُ الْيَوْمَ وَإِنْ كَانُوا قَلِيلًا فَهَمْ كَثِيرُونَ ..... ٣٠٩
- قوله ﷺ: فَكُنْ قُطْبًا وَاسْتَدِرِ الرَّحَا بِالْعَرَبِ وَأَضْلِهِمْ ..... ٣٠٩
- قوله ﷺ: فَإِنَّكَ إِنْ شَخَّصْتَ مِنْ هَذِهِ الْأَرْضِ انْتَقَضَتْ ..... ٣٠٩
- قوله ﷺ: حَتَّى يَكُونَ مَا تَدْعُ وَرَاءَكَ مِنَ الْعَوْرَاتِ أَهَمَّ ..... ٣١٠
- قوله ﷺ: إِنَّ الْأَعَاجِمَ إِنْ يَنْظُرُوا إِلَيْكَ غَدًا يَقُولُوا هَذَا ..... ٣١٠
- قوله ﷺ: فَيَكُونُ ذَلِكَ أَشَدَّ لِكَلْبِهِمْ عَلَيْكَ وَطَمَعِهِمْ فِيكَ ..... ٣١٠
- قوله ﷺ: فَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ مَسِيرِ الْقَوْمِ إِلَى قِتَالِ الْمُسْلِمِينَ ..... ٣١٠
- قوله ﷺ: وَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ عَدْدِهِمْ فَإِنَّا لَمْ نَكُنْ نُقَاتِلُ ..... ٣١١
- ومن خطبة له ﷺ (١٤٧) ..... ٣١٣
- قوله ﷺ: فَبِعَثَّ اللَّهُ تَعَالَى مُحَمَّدًا ﷺ بِالْحَقِّ إِلَى وَصَامِتٍ نَاطِقٍ مَتْنِ ..... ٣١٤
- اللغة ..... ٣١٤

- المعنى ..... ٣١٤
- الشرح ..... ٣١٦
- قوله ﷺ: فَبَعَثَ اللَّهُ تَعَالَى مُحَمَّدًا ﷺ بِالْحَقِّ لِيُخْرِجَ عِبَادَةَ وَ..... ٣١٦
- قوله ﷺ: بِقُرْآنٍ قَدْ بَيَّنَّهُ وَأَحْكَمَهُ..... ٣١٧
- قوله ﷺ: لِيَعْلَمَ الْعِبَادُ رَبَّهُمْ إِذْ جَهِلُوهُ وَلِيَقْرُوا بِهِ بَعْدَ إِذْ جَحَدُوهُ وَ..... ٣١٨
- قوله ﷺ: فَتَجَلَّى لَهُمْ فِي كِتَابِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونُوا رَأَوْهُ بِمَا أَرَاهُمْ وَ..... ٣٢١
- قوله ﷺ: وَكَيْفَ مَحَقَّ مَنْ مَحَقَّ بِالْمَثَلَاتِ وَاحْتَصَدَّ وَ..... ٣٢٨
- قوله ﷺ: وَإِنَّهُ سَيَأْتِي عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِي زَمَانٌ لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ وَ..... ٣٢٩
- قوله ﷺ: وَلَيْسَ عِنْدَ أَهْلِ ذَلِكَ الزَّمَانِ سِلْعَةٌ أَبْوَرُ مِنْ وَ..... ٣٤٨
- قوله ﷺ: وَلَا أَنْفَقَ مِنْهُ إِذَا حُرِّفَ عَنْ مَوَاضِعِهِ..... ٣٤٨
- قوله ﷺ: وَلَا فِي الْبِلَادِ شَيْءٌ أَنْكَرَ مِنَ الْمَعْرُوفِ وَلَا أَعْرَفَ مِنَ الْمُنْكَرِ. ٣٤٨
- قوله ﷺ: فَقَدْ نَبَذَ الْكِتَابَ حَمَلْتَهُ وَتَنَاسَاهُ حَفَظْتَهُ..... ٣٤٩
- قوله ﷺ: فَالْكِتَابُ يَوْمَئِذٍ وَأَهْلُهُ طَرِيدَانِ مَنْفِيَانِ وَ..... ٣٤٩
- قوله ﷺ: فَالْكِتَابُ وَأَهْلُهُ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ فِي النَّاسِ وَ..... ٣٤٩
- قوله ﷺ: لِأَنَّ الضَّلَالََةَ لَا تُوَافِقُ الْهُدَى وَإِنْ اجْتَمَعَا..... ٣٤٩
- قوله ﷺ: فَاجْتَمَعَ الْقَوْمُ عَلَى الْفُرْقَةِ وَافْتَرَقُوا عَنِ الْجَمَاعَةِ..... ٣٥٠
- قوله ﷺ: كَانَتْهُمْ أئِمَّةُ الْكِتَابِ وَلَيْسَ الْكِتَابُ إِمَامَهُمْ..... ٣٥٠
- قوله ﷺ: فَلَمْ يَبْقَ عِنْدَهُمْ مِنْهُ إِلَّا إِسْمُهُ وَلَا يَعْرِفُونَ إِلَّا خَطَّةً وَزَبْرَةً..... ٣٥٠
- قوله ﷺ: وَمِنْ قَبْلِ مَا مَثَلُوا بِالصَّالِحِينَ كُلِّ مَثَلَةٍ وَسَمَوْا وَ..... ٣٥٠
- قوله ﷺ: وَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِطُولِ آمَالِهِمْ وَتَغْيِبِ آجَالِهِمْ... ٣٥٢
- قوله ﷺ: حَتَّى نَزَلَ بِهِمُ الْمَوْعُودُ الَّذِي تُرِدُّ عَنْهُ الْمَعْدِرَةُ وَ..... ٣٥٢
- قوله ﷺ: أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ مَنْ اسْتَنْصَحَ اللَّهَ وَفَّقَ وَمَنِ اتَّخَذَ وَ..... ٣٥٣
- قوله ﷺ: فَإِنَّ جَارَ اللَّهِ آمِنٌ وَعَدُوُّهُ خَائِفٌ..... ٣٥٤
- قوله ﷺ: وَإِنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِمَنْ عَرَفَ عَظَمَةَ اللَّهِ أَنْ يَتَعَظَّمَ..... ٣٥٤

- قوله ﷺ: فَإِنَّ رِفْعَةَ الدِّينِ يَعْلَمُونَ مَا عَظَمْتُهُ أَنْ يَتَوَاضَعُوا لَهُ ..... ٣٥٤
- قوله ﷺ: وَسَلَامَةَ الدِّينِ يَعْلَمُونَ مَا أَنْ يُسْتَسْلِمُوا لَهُ ..... ٣٥٥
- قوله ﷺ: فَلَا تَنْفِرُوا مِنَ الْحَقِّ نِفَارَ الصَّحِيحِ مِنَ الْأَجْرِبِ ..... ٣٥٥
- قوله ﷺ: وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ لَنْ تَعْرِفُوا الرُّشْدَ حَتَّى تَعْرِفُوا الَّذِي تَرَكَّهُ ... ٣٥٥
- قوله ﷺ: وَلَنْ تَأْخُذُوا بِمِيثَاقِ الْكِتَابِ حَتَّى تَعْرِفُوا الَّذِي نَقَضَهُ ..... ٣٥٥
- قوله ﷺ: وَلَنْ تَمْسُكُوا بِهِ حَتَّى تَعْرِفُوا الَّذِي نَبَذَهُ ..... ٣٥٦
- قوله ﷺ: فَالْتَمِسُوا ذَلِكَ مِنْ عِنْدِ أَهْلِهِ فَإِنَّهُمْ عَيْشٌ ..... ٣٥٦
- قوله ﷺ: هُمْ الدِّينَ يُخْبِرُكُمْ حُكْمَهُمْ عَنْ عِلْمِهِمْ وَصَمْتَهُمْ ..... ٣٥٦
- قوله ﷺ: لَا يَخَالِفُونَ الدِّينَ وَلَا يَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَهُوَ بَيْنَهُمْ ..... ٣٥٧
- ومن كلام له ﷺ (١٤٨) ..... ٣٥٩
- قوله ﷺ: كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَرْجُوا الْأَمْرَ لَهُ إِلَى وَيَحْضُرُ الْبَاكِيَ مَتْن ... ٣٥٩
- اللغة ..... ٣٥٩
- المعنى ..... ٣٥٩
- الشرح ..... ٣٦٠
- قوله ﷺ: كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَرْجُوا الْأَمْرَ لَهُ وَيَعْطِفُهُ عَلَيْهِ دُونَ صَاحِبِهِ .. ٣٦٠
- قوله ﷺ: لَا يَمْتَنَانِ إِلَى اللَّهِ بِحَبْلِ وَلَا يَمْدَانِ إِلَيْهِ بِسَبَبٍ ..... ٣٦١
- قوله ﷺ: كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا حَامِلٌ ضَبُّ لِمَا فِيهِ وَعَمَّا قَلِيلٍ ..... ٣٦١
- قوله ﷺ: وَاللَّهُ لَئِنْ أَصَابُوا الَّذِي يُرِيدُونَ لَيَنْتَزِعَنَّ هَذَا نَفْسَ هَذَا ..... ٣٦١
- قوله ﷺ: قَدْ قَامَتِ الْفِتْنَةُ الْبَاغِيَّةُ ..... ٣٦١
- قوله ﷺ: فَأَيْنَ الْمُحْتَسِبُونَ فَقَدْ سُنَّتْ لَهُمُ السُّنَنُ وَقَدَّمَ لَهُمُ الْخَبْرُ ... ٣٦١
- قوله ﷺ: وَلِكُلِّ ضَلَّةٍ عِلَّةٌ وَلِكُلِّ نَاكِثٍ شَبْهَةٌ ..... ٣٦٣
- قوله ﷺ: وَاللَّهُ لَا أَكُونُ كَمَا سَمِعَ اللَّذْمَ يَسْمَعُ النَّاعِي وَيَحْضُرُ الْبَاكِيَ . ٣٦٥
- ومن كلام له ﷺ (١٤٩) ..... ٣٦٧

- قوله ﷺ: أَيُّهَا النَّاسُ كُلُّ امْرِئٍ لَاقٍ مَا يَفْعَلُ إِلَى وَقِيَامِ غَيْرِي مَقَامِي مَتْن . ٣٦٧  
اللغة ..... ٣٦٧  
المعنى ..... ٣٦٨  
الشرح ..... ٣٦٩  
قوله ﷺ: أَيُّهَا النَّاسُ كُلُّ امْرِئٍ لَاقٍ مَا يَفْعَلُ مِنْهُ فِي فِرَارِهِ ..... ٣٦٩  
قوله ﷺ: الْأَجَلُ مَسَاقُ النَّفْسِ وَالْهَرَبُ مِنْهُ مُوَافَاتُهُ ..... ٣٧٠  
قوله ﷺ: كَمْ أَطْرَدْتُ الْأَيَّامَ أَبْحَثُهَا عَنْ مَكْنُونِ هَذَا الْأَمْرِ فَأَبَى اللَّهُ ..... ٣٧٢  
قوله ﷺ: أَمَا وَصِيَّتِي فَاللَّهُ لَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَمُحَمَّدًا ﷺ فَلَاؤُ ..... ٣٧٥  
قوله ﷺ: أَقِيمُوا هَذَيْنِ الْعَمُودَيْنِ وَأَوْقِدُوا هَذَيْنِ الْمِضْبَاحَيْنِ ..... ٣٧٧  
قوله ﷺ: وَخَلَاكُمْ ذَمٌّ مَا لَمْ تُشْرِدُوا ..... ٣٧٨  
قوله ﷺ: حُمِّلَ كُلُّ امْرِئٍ مِنْكُمْ مَجْهُودَةً وَخُفِّفَ عَنْ ..... ٣٧٨  
قوله ﷺ: رَبُّ رَحِيمٌ وَدِينٌ قَرِيمٌ وَإِمَامٌ عَلِيمٌ ..... ٣٧٩  
قوله ﷺ: أَنَا بِالْأَمْسِ صَاحِبِكُمْ وَأَنَا الْيَوْمَ عِبْرَةٌ لَكُمْ وَعَدَا ..... ٣٧٩  
قوله ﷺ: أَنْ تَبَّتِ الْوَطْأَةُ فِي هَذِهِ الْمَزَلَةِ فَذَاكَ ..... ٣٨٠  
قوله ﷺ: وَإِنْ تَدَحَّضِ الْقَدَمَ فَإِنَّا كُنَّا فِي أَفْيَاءِ أَعْصَانٍ ..... ٣٨١  
قوله ﷺ: إِضْمَحَلُّ فِي الْجَوْ مُتَلَفِّقُهَا وَعَفَى فِي الْأَرْضِ ..... ٣٨٢  
قوله ﷺ: وَإِنَّمَا كُنْتُ جَاراً جَاوَرَكُمْ بَدْنِي أَيَّاماً ..... ٣٨٤  
قوله ﷺ: وَ سَتَعْقِبُونَ مِنِّي جُنَّةً خَلَاءً سَاكِنَةً بَعْدَ حَرَائِكِ ..... ٣٨٦  
قوله ﷺ: لِيُعِظْكُمْ هُدُوِي وَخُفُوتُ إِطْرَاقِي وَسُكُونُ أَطْرَاقِي ..... ٣٨٧  
قوله ﷺ: فَإِنَّهُ أَوْعَظُ لِلْمُعْتَبِرِينَ مِنَ الْمُنْطِقِ الْبَلِيغِ وَالْقَوْلِ الْمَسْمُوعِ ..... ٣٨٧  
قوله ﷺ: وَدَاعِي لَكُمْ وَدَاعِ امْرِئٍ مُرْصَدٌ لِلتَّلَاقِي، غَدَا تَرَوْنَ ..... ٣٨٧  
قوله ﷺ: وَتَعْرِفُونَنِي بَعْدَ خُلُوعِ مَكَانِي، وَقِيَامِ غَيْرِي مَقَامِي ..... ٣٨٨  
ومن خطبة له ﷺ (١٥٠) ..... ٣٩٥  
قوله ﷺ: وَ أَخَذُوا يَمِيناً وَ شِمَالاً: طَعْنَا إِلَى مُفَارِقِ اللَّيْلِ مَبَايِنِ مَتْن . ٣٩٦

- الدعة ..... ٣٩٦
- المعنى ..... ٣٩٦
- الشرح ..... ٣٩٧
- قوله ﷺ وَ أَخَذُوا يَمِينًا وَ شِمَالًا: طَعْنَا فِي مَسَالِكِ الْغَيْ، ..... ٣٩٨
- قوله ﷺ: فَلَا تَسْتَعْجِلُوا مَا هُوَ كَائِنٌ مُرْصَدٌ، وَلَا تَسْتَبْطِنُوا ..... ٣٩٩
- قوله ﷺ: فَكَمْ مِّنْ مُّسْتَعْجِلٍ بِمَا إِنِ أُذْرِكُهُ وَدَّ أَنَّهُ لَمْ يَذْرِكُهُ، ..... ٣٩٩
- قوله ﷺ: وَمَا أَقْرَبَ الْيَوْمَ مِنْ تَبَاشِيرٍ عَدِ ..... ٤٠٠
- قوله ﷺ: يَا قَوْمَ هَذَا إِبْتَانٌ وَرُودٌ كُلِّ مَوْعُودٍ، وَدُتُّو ..... ٤٠٠
- قوله ﷺ: أَلَا وَإِنَّ مَنِ ادْرَاكَهَا مِنَّا يَسْرِي فِيهَا بِسِرَاجٍ مُّبِيرٍ، ..... ٤٠٠
- قوله ﷺ: لِيَحُلَّ فِيهَا رَبِقًا، وَ يُعْتِقَ فِيهَا رِقًا، وَيَصْدَعُ شَعْبًا، ..... ٤٠١
- قوله ﷺ: فِي سُتْرَةٍ عَنِ النَّاسِ لَا يُبْصِرُ الْقَائِفُ أَثْرَهُ وَ لَوْ تَابَعَ نَظْرَهُ. ... ٤٠١
- قوله ﷺ: ثُمَّ لَيْسَ حَذَنٌ فِيهَا قَوْمٌ شَحَذَ الْقَيْنِ النَّضْل ..... ٤٠٣
- قوله ﷺ: تُجَلَى بِالتَّنْزِيلِ أَبْصَارُهُمْ، وَيَزْمَى بِالتَّفْسِيرِ فِي ..... ٤٠٣
- قوله ﷺ: وَطَالَ الْأَمَدُ بِهِمْ لِيَسْتَكْمِلُوا الْخِزْيَ، وَيَسْتَوْجِبُوا الْغَيْرَ، ..... ٤٠٤
- قوله ﷺ: حَتَّى إِذَا اخْلَوْ لَقَى الْأَجَلَ، وَاسْتَرَاخَ قَوْمٌ إِلَى ..... ٤٠٤
- قوله ﷺ: لَمْ يَمُنُّوا عَلَى اللَّهِ بِالصَّبْرِ، وَلَمْ يَسْتَعْظِمُوا ..... ٤٠٥
- قوله ﷺ: حَتَّى إِذَا وَافَقَ وَارِدَ الْقَضَاءِ انْقِطَاعَ مَدَّةِ الْبَلَاءِ ..... ٤٠٥
- قوله ﷺ: حَمَلُوا بِضَائِرَهُمْ عَلَى أَسْيَافِهِمْ، وَ دَانُوا لِرَبِّهِمْ بِأَمْرِ وَاعِظِهِمْ. ٤٠٥
- قوله ﷺ: حَتَّى إِذَا قَبِضَ اللَّهُ رَسُولَهُ ﷺ رَجَعَ قَوْمٌ عَلَى ..... ٤٠٦
- قوله ﷺ: وَاتَّكَلُوا عَلَى الْوَلَائِحِ، وَ وَصَلُوا غَيْرَ الرَّحِمِ، ..... ٤٠٧
- قوله ﷺ: وَنَقَلُوا الْبِنَاءَ عَنِ رِصِّ أَسَاسِهِ، فَبَنَوْهُ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ ..... ٤٠٨
- قوله ﷺ: مَعَادِنُ كُلِّ خَطِيئَةٍ، وَ أَبْوَابُ كُلِّ ضَارِبٍ فِي ..... ٤٠٨
- قوله ﷺ: عَلَى سُنَّةٍ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ مِنْ مَّنْقَطِعٍ إِلَى ..... ٤١١
- ومن خطبة له ﷺ (١٥١) ..... ٤١٩

- قوله ﷺ: وَأَسْتَعِينُهُ عَلَىٰ مَذَاجِرِ الشَّيْطَانِ إِلَىٰ لَكُمْ سَبِيلَ الطَّاعَةِ مَتْنٌ .. ٤٢٠
- اللُّغَةُ ..... ٤٢٠
- المعنى ..... ٤٢١
- الشرح ..... ٤٢٣
- قوله ﷺ: وَأَسْتَعِينُهُ عَلَىٰ مَذَاجِرِ الشَّيْطَانِ وَ مَزَاجِرِهِ، وَالِإِعْتِصَامِ ..... ٤٢٣
- قوله ﷺ: وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَشْهَدُ ..... ٤٢٥
- قوله ﷺ: وَنَجِيبُهُ وَصَفْوَتُهُ، لَا يُوَارِي فَضْلُهُ، وَلَا يُجْبِرُ فَقْدُهُ ..... ٤٢٦
- قوله ﷺ: أَضَاءَتْ بِهِ الْبِلَادُ بَعْدَ الضَّلَالَةِ الْمُظْلِمَةِ، وَالْجَهَالَةِ ..... ٤٢٩
- قوله ﷺ: وَالنَّاسُ يَسْتَحِلُّونَ الْحَرِيمَ، وَيَسْتَذِلُّونَ الْحَكِيمَ، ..... ٤٣١
- قوله ﷺ: ثُمَّ إِنَّكُمْ مَعَشَرَ الْعَرَبِ أَغْرَاضَ بَلَايَا قَدْ اقْتَرَبَتْ ..... ٤٣٢
- قوله ﷺ: فَاتَّقُوا سَكَرَاتِ النِّعْمَةِ، وَاحْذَرُوا بَوَائِقَ النِّقْمَةِ ..... ٤٣٢
- قوله ﷺ: وَ تَثَبَّتُوا فِي قَتَامِ الْعِشْوَةِ وَأَعْوَجَاجِ الْفِتْنَةِ، عِنْدَ ..... ٤٣٤
- قوله ﷺ: تَبَدُّو فِي مَذَارِجِ خَفِيَّةٍ، وَ تَوَوَّلُوا إِلَىٰ فِطْرَةِ جَلِيَّةٍ ..... ٤٣٥
- قوله ﷺ: شِبَابُهَا كَشِبَابِ الْغُلَامِ، وَأَثَارُهَا كَأَثَارِ السَّلَامِ ..... ٤٣٥
- قوله ﷺ: تَتَوَارَثُهَا الظُّلْمَةُ بِالْعَهْودِ ..... ٤٣٧
- قوله ﷺ: أَوْلَهُمْ قَائِدٌ لِأَخْرِهِمْ، وَأَخْرَهُمْ مُقْتَدٍ بِأَوْلِهِمْ ..... ٤٣٨
- قوله ﷺ: يَتَنَافَسُونَ فِي دُنْيَا دُنْيَةٍ، وَ يَتَكَالَبُونَ عَلَىٰ حِيْفَةٍ مُرِيحَةٍ ..... ٤٣٨
- قوله ﷺ: وَعَنْ قَلِيلٍ يَنْبَرَأُ التَّابِعُ مِنَ الْمُتَّبِعِ، وَالْقَائِدُ مِنَ الْمُقْتَدِ ..... ٤٣٩
- قوله ﷺ: فَيَتَزَايَلُونَ بِالْبَغْضَاءِ، وَيَتَلَاعَنُونَ عِنْدَ اللَّقَاءِ ..... ٤٤٠
- قوله ﷺ: ثُمَّ يَأْتِي بَعْدَ ذَلِكَ طَالِعُ الْفِتْنَةِ الرَّجُوفِ، وَالْقَاصِمَةُ الزُّحُوفِ ..... ٤٤٠
- قوله ﷺ: فَتَزِيغُ قُلُوبٌ بَعْدَ سِتْقَامَةٍ، وَ تَضِلُّ ..... ٤٤٢
- قوله ﷺ: مَنْ أَشْرَفَ لَهَا قَصْمَتُهُ، وَمَنْ سَعَىٰ فِيهَا حَطْمَتُهُ ..... ٤٤٣
- قوله ﷺ: يَتَكَادَمُونَ فِيهَا تَكَادَمَ الْحُمْرِ فِي الْعَائَةِ ..... ٤٤٤
- قوله ﷺ: قَدْ اضْطَرَبَ مَعْقُودُ الْحَبْلِ، وَعَمِيَ وَجْهُ الْأَمْرِ ..... ٤٤٤



- قوله ﷺ: تَعْيِضُ فِيهَا الْحِكْمَةُ، وَتَنْطِقُ فِيهَا الظُّلْمَةُ ..... ٤٤٥
- قوله ﷺ: وَتَدُقُّ أَهْلَ الْبَدْوِ بِمَسْحَلِهَا، وَتَرْضُهُمْ بِكَلْكَلِهَا ..... ٤٤٥
- قوله ﷺ: يَضِيعُ فِي غَبَارِهَا الْوُحْدَانُ، وَيَهْلِكُ فِي طَرِيقِهَا الرُّكْبَانُ ... ٤٤٥
- قوله ﷺ: تَرْدُ بَمِرِّ الْقَضَاءِ، وَتَحْلُبُ عَيْطِ الدِّمَاءِ، وَتَثْلِمُ ..... ٤٤٦
- قوله ﷺ: تَهْرُبُ مِنْهَا الْأَكْيَاسُ، وَتَدْبِرُهَا الْأَرْجَاسُ، ..... ٤٤٦
- قوله ﷺ: مِنْهَا بَيْنَ قَتِيلٍ مُطْلُولٍ، وَوَحَائِفٍ مُسْتَجِيرٍ، ..... ٤٤٧
- قوله ﷺ: فَلَا تَكُونُوا أَنْصَابَ الْفِتَنِ وَأَعْلَامَ الْبِدَعِ ..... ٤٤٧
- قوله ﷺ: وَالزَّمُوا مَا عُقِدَ عَلَيْهِ حَبْلُ الْجَمَاعَةِ، وَبَيَّنَّتْ ..... ٤٤٨
- قوله ﷺ: وَأَقْدَمُوا عَلَى اللَّهِ مَظْلُومِينَ، وَلَا تَقْدَمُوا عَلَيْهِ ظَالِمِينَ ..... ٤٤٨
- قوله ﷺ: وَأَتَّقُوا مَدَارِجَ الشَّيْطَانِ، وَمَهَابِطَ الْعُدْوَانِ ..... ٤٥١
- قوله ﷺ: وَلَا تَدْخُلُوا بَطُونَكُمْ لَعَقَ الْحَرَامِ، فَإِنَّكُمْ ..... ٤٥١
- ومن خطبة له ﷺ (١٥٢) ..... ٤٥٣**
- قوله ﷺ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الدَّالُّ عَلَى وُجُودِهِ إِلَى الْمُؤْمِنِينَ خَائِفُونَ مَتْنِ ..... ٤٥٤
- اللُّغَةُ ..... ٤٥٥
- المعنى ..... ٤٥٥
- قوله ﷺ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الدَّالُّ عَلَى وُجُودِهِ ..... ٤٥٨
- قوله ﷺ: وَبِمُخَدِّثِ خَلْقِهِ عَلَى أَرْزَلِيَّتِهِ ..... ٤٦٠
- قوله ﷺ: وَبِأَشْتِيَاهِهِمْ عَلَى أَنْ لَا شِبْهَ لَهُ ..... ٤٦٢
- قوله ﷺ: لَا تَسْتَلِمُهُ الْمَشَاعِرُ، وَلَا تَحْجُبُهُ السَّوَاتِرُ ..... ٤٦٣
- قوله ﷺ: لِإِفْتِرَاقِ الصَّانِعِ وَالْمَصْنُوعِ، وَالْحَادِ ..... ٤٦٥
- قوله ﷺ: الْأَحَدِ لِابْتِأْوِيلِ عَدَدِهِ، وَالْخَالِقِ لِإِبْمَعْنَى حَرَكَةٍ وَنَصْبٍ ..... ٤٦٩
- قوله ﷺ: وَالْخَالِقِ لِإِبْمَعْنَى حَرَكَةٍ وَنَصْبٍ ..... ٤٧٠
- قوله ﷺ: وَالسَّمِيعِ لِأِبَادَاةٍ، وَالْبَصِيرِ لِإِبْتَفْرِيقِ آلَةٍ ..... ٤٧٤
- قوله ﷺ: مَنْ وَصَفَهُ فَقَدْ حَدَّهُ، وَمَنْ حَدَّهُ فَقَدْ عَدَّهُ، ..... ٤٧٦

- قوله ﷺ: وَمَنْ قَالَ كَيْفَ؟ فَقَدْ اسْتَوْصَفَهُ ..... ٤٧٩
- قوله ﷺ: وَمَنْ قَالَ أَيْنَ؟ فَقَدْ حَيَّرَهُ ..... ٤٨٠
- قوله ﷺ: وَعَالِمٌ إِذْ لَا مَعْلُومَ، وَرَبٌّ إِذْ لَا مَرْبُوبَ، وَقَادِرٌ إِذْ لَا مَقْدُورَ ..... ٤٨١
- قوله ﷺ: مِنْهَا قَدْ طَلِعَ طَالِعٌ، وَوَلِمَعَ لَامِعٌ ..... ٤٨٦
- قوله ﷺ: وَاسْتَبَدَلَ اللَّهُ بِقَوْمٍ قَوْمًا، وَبِيَوْمٍ يَوْمًا ..... ٤٨٨
- قوله ﷺ: وَانْتَظَرْنَا الْغَيْرَ انْتِظَارَ الْمُجَدِّبِ الْمَطْرَ ..... ٤٨٨
- قوله ﷺ: وَإِنَّمَا الْأَئِمَّةُ قَوَامُ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ، وَعُرْفَاؤُهُ عَلَى عِبَادِهِ ..... ٤٨٨
- قوله ﷺ: لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ عَرَفَهُمْ وَعَرَفُوهُ، وَلَا ..... ٤٩٤
- قوله ﷺ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ خَصَّكُمْ بِالْإِسْلَامِ، وَاسْتَخَلَصَكُمْ لَهُ ..... ٤٩٩
- قوله ﷺ: وَذَلِكَ لِأَنَّهُ اسْمٌ سَلَامَةٌ وَجِمَاعٌ كَرَامَةٌ ..... ٤٩٩
- قوله ﷺ: اصْطَفَى اللَّهُ تَعَالَى مَنَّهُجَهُ، وَبَيَّنَّ حُجَجَهُ، وَ..... ٥٠١
- قوله ﷺ: وَلَا تَنْقُضِي عَجَائِبُهُ، فِيهِ مَرَايِعُ النِّعَمِ، وَمُضَلِّحُ الظُّلَمِ ..... ٥٠٢
- قوله ﷺ: لَا تُفْتَحُ الْخَيْرَاتُ إِلَّا بِمِفَاتِيحِهِ، وَلَا تُكْشَفُ وَ..... ٥٠٣
- قوله ﷺ: قَدْ أَحْمَى حِمَاةً، وَأَرْعَى مَرْعَاءً، فِيهِ شِفَاءُ الْمُشْتَفَى، وَ..... ٥٠٣
- قوله ﷺ: وَهُوَ فِي مُهَلَّةٍ مِنَ اللَّهِ يَهْوَى مَعَ الْعَافِلِينَ، وَيَعْدُو مَعَ ..... ٥٠٥
- قوله ﷺ: حَتَّى إِذَا كَشَفَ لَهُمْ عَنْ جَزَاءِ مَعْصِيَتِهِمْ، وَ..... ٥٠٧
- قوله ﷺ: فَلَمْ يَنْتَفِعُوا بِمَا أَدْرَكُوا مِنْ طَلَبَتِهِمْ، وَ..... ٥٠٩
- قوله ﷺ: وَإِنِّي أَخَذَرْتُكُمْ وَنَفْسِي هَذِهِ الْمُنْرَلَةَ فَلْيَنْتَفِعْ امْرُؤٌ بِنَفْسِهِ ..... ٥١٠
- قوله ﷺ: فَإِنَّمَا الْبَصِيرُ مَنْ سَمِعَ وَتَفَكَّرَ (فَتَفَكَّرَ)، وَنَظَرَ فَأَبْصَرَ، وَ..... ٥١١
- قوله ﷺ: ثُمَّ سَلَكَ جَدَدًا وَأَضْحًا يَتَجَنَّبُ فِيهِ الصَّرْعَةَ وَ..... ٥١٢
- قوله ﷺ: وَلَا يُعِينُ عَلَى نَفْسِهِ الْعَوَاةَ بَتَعَسُفٍ فِي حَقِّي، وَ..... ٥١٢
- قوله ﷺ: فَأَفِقْ أَيُّهَا السَّامِعُ مِنْ سَكْرَتِكَ، وَاسْتَيْقِظْ مِنْ ..... ٥١٥
- قوله ﷺ: وَأَنْعِمِ الْفِكْرَ فِيمَا جَاءَكَ عَلَى لِسَانِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ ﷺ وَ..... ٥١٦
- قوله ﷺ: وَخَالَفَ مَنْ خَالَفَ فِي ذَلِكَ إِلَى غَيْرِهِ، وَ..... ٥١٩

- قوله ﷺ: وَضَعَفَخْرَكَ، وَآخَطَطَ كِنَكَ، وَآذَكَرَ قَبْرَكَ ..... ٥١٩
- قوله ﷺ: فَإِنَّ عَلَيْنِهِ مَمْرَكَ، وَكَمَا تَدِينُ تُدَانُ، وَكَمَا تَزْرَعُ ..... ٥٢٦
- قوله ﷺ: فَاْمَهْدَ لِقَدَمِكَ، وَقَدِّمَ لِيَوْمِكَ، فَالْحَذَرَ الْحَذَرَ ..... ٥٢٩
- قوله ﷺ: إِنَّ مِنْ عَزَائِمِ اللَّهِ فِي الذِّكْرِ الْحَكِيمِ الَّتِي عَلَيْهَا يُثِيبُ ..... ٥٣٠
- قوله ﷺ: أَنَّهُ لَا يَنْفَعُ عَبْدًا - وَإِنْ أَجْهَدَ نَفْسَهُ وَأَخْلَصَ ..... ٥٣٠
- قوله ﷺ: اعْقِلْ ذَلِكَ فَإِنَّ الْمَثَلَ دَلِيلٌ عَلَى شَبِيهِهِ ..... ٥٣٨
- قوله ﷺ: إِنَّ الْبَهَائِمَ هَمُّهَا بَطُونُهَا، وَإِنَّ السِّبَاعَ هَمُّهَا ..... ٥٣٨
- قوله ﷺ: وَإِنَّ النِّسَاءَ هَمُّهُنَّ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْفَسَادُ فِيهَا ..... ٥٣٩
- قوله ﷺ: إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ مُسْتَكِينُونَ، إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ مُشْفِقُونَ، ..... ٥٤٠





